# البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ / ٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

ماهر حبوش

الجزء الثاني عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

# سورة يونس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ
أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ
مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ
ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣
إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ
٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ
مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا
وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا
كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ
دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم
بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ وَإِذَا
مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ
يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن

قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ
لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا
يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم
بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ
بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ
إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ
وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

المفردات القَدَم؛ قال الليث وأبو الهيثم: القدم: السَّابقة، قال ذو الرُّمَّة:

**وأنت امرؤٌ من أهلِ بيتِ ذُؤابةٍ ... لهم قَدَمٌ معروفةٌ ومَفاخِرُ**[1]

(١) تهذيب اللغة ٩/ ٤٥، وتفسير الرازي ١٧/ ٧، وينظر العين ٥/ ١٢٢، والبيت في ديوان ذي الرمة ٢/ ١٠٤٤. قال الشارح: قوله: بيت ذؤابة، يقول: من أهل بيت فرعٍ، يقول: ليس بذَنَبٍ هو رأس، وقوله: لهم قدم، أي: سابقة أمر تقدَّموا فيه.

وقال أبو عبيدة والكسائي: كلُّ سابقٍ في خيرٍ أو شرٍّ فهو قَدَمٌ[١].

وقال الأخفش: سابقة إخلاصٍ[٢]، كما في قول حسَّان:

لنا القدمُ العُليا إليك وخَلْفُنا لأوَّلنا في طاعة الله تابعُ[٣]

وقال أحمد بن يحيى: كلُّ ما قدَّمْتَ من خيرٍ[٤].

وقال ابنُ الأنباريِّ: العمل الذي يُتقدَّم فيه ولا يقعُ فيه تأخيرٌ ولا إبطاء[٥].

المُرور: مجاوزةُ الشيءِ والعبورُ عليه، تقول: مررتُ بزيدٍ، أي: جاوَزْته، والمِرَّةُ: القوَّة، ومنه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦] ومِرَرُ الحبل: قُوَاه، ومنه: «لا تَحِلُّ الصدقةُ لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[٦].

العاصف: الشديدة؛ يقال: عَصَفت الريحُ، قال الشاعر:

حتى إذا عصفتْ ريحٌ مزَعْزِعةٌ فيها قِطَارٌ ورعدٌ صوتُه زَجِلُ[٧]

وأَعْصَفَت الريحُ، قال الشاعر:

وَلِهَتْ عليه كلُّ مُعْصِفةٍ هوجاءُ ليس لِلُبِّها زَبْرُ[٨]

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٥٠، وينظر مجاز القرآن ١/ ٢٧٣.

(٢) في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٦٤: القدم هاهنا: التقديم، كما تقول: هؤلاء أهل القدم في الإسلام، أي: الذين قدَّموا خيراً فكان لهم فيه تقديم.

(٣) ديوان حسان ص٣١٠.

(٤) تهذيب اللغة ٩/ ٤٦، وتفسير الرازي ١٧/ ٧.

(٥) تفسير الرازي ١٧/ ٧.

(٦) أخرجه أحمد (٦٥٣٠)، وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢) ـ وحسنه ـ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٧) عزاه الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٦٠، والطبري ١٢/ ١٤٦ لبعض بني دُبَيْر. قوله: قطار، هو جمع قَطْرٍ، وهو المطر، والزَّجِلُ من الغيث: الذي لرعده صوت. معجم متن اللغة (قطر) و(زجل).

(٨) البيت لابن أحمر كما في الكتاب ٢/ ١١١، وأساس البلاغة واللسان والتاج (زبر). قوله: ولهت عليه، يعني أن الرياح حنَّت وصوَّتت في هبوبها على هذا الموضع كما تحن الناقة التي فقدت ولدها. والهوجاء: الشديدة الهبوب، واللب: العقل، وزَبْره: إحكامه، يريد أنها =

وقال أبو تمام:

إنَّ الرياحَ إذا ما أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عَيْدانَ نجدٍ ولا يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ[١]

الموج: ما ارتفع من الماء عند هُبوب الهواء، سمِّي موجًا لاضطرابه.

* * *

التفسير ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ هذه السورةُ مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ فإنها نزلت بالمدينة، وهي: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ إلى آخرهن؛ قاله ابن عباس[٢].

وقال الكلبي: إلَّا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ فإنها نزلت في اليهود بالمدينة.

وقال قوم: نزل من أوَّلها نحوٌ من أربعين آيةً بمكة، ونزل باقيها بالمدينة[٣].

وقال الحسن وعطاءٌ وجابر: هي مكية[٤].

وسببُ نزولها أنَّ أهلَ مكةَ قالوا: لم يجد الله رسولًا إلا يتيمَ أبي طالب؟! فنزلت[٥].

وقال ابنُ جُرَيْجٍ: عَجِبَتْ قريشٌ أنْ بُعِثَ رجلٌ منهم فنزلت[٦].

وقيل: لما حدَّثهم عن البعث والمَعَادِ والنُّشور تعجَّبوا.

---

= لا عقل لها، وهذا على طريق المَثَل. أورده سيبويه شاهداً على جعل «هوجاء» نعتاً لـ«كل». شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ٢/ ٢٢-٢٣.

(١) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٠. العيدان: جمع عيدانة، وهي النخلة الطويلة، والرتَم: ضرب من الشجر. قاله التبريزي شارح الديوان.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٢٠، وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٤٧٠ عن ابن عباس أنها مكية، ولم يستثن.

(٣) ذكره مع قول الكلبيِّ ابنُ عطية في المحرر ٣/ ١٠٢.

(٤) النكت والعيون ٢/ ٤٢٠.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٥، وللنحاس ٣/ ٢٧٦، والكشاف ٢/ ٢٢٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ١٠٧.

ومناسَبتُها لمَا قبلها أنه تعالى لمَّا أنزل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٤ و١٢٧] وذَكَر تكذيبَ المنافقين، ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهو محمدٌ ﷺ، أتبع ذلك بذكر الكتابِ الذي أُنزل والنبيِّ الذي أُرسل، وأنَّ ديدن الضالِّين واحدٌ ـ منافقيهم ومشركيهم ـ في التكذيب بالكتب الإلهية وبمن جاء بها، ولمَّا كان ذكرُ القرآن مقدَّمًا على ذكر الرسول في آخر السورة جاء في أول هذه السورة كذلك، فتقدَّم ذكرُ الكتاب على ذكر الرسول.

وتقدَّم ما قاله المفسرون في أوائل هذه السورِ المفتتَحَةِ بحروف المعجم، وذكروا هنا أقوالًا عن المفسرين منها: أنا الله أرى، ومنها: أنا الله الرحمن، ومنها: أنه يتركَّبُ منها ومن «حم» ومن «نون»: الرحمن، فـ«الرا» بعضُ حروف «الرحمن» مفرَّقةً[(١)]، ومنها: أنا الربُّ، وغير ذلك[(٢)].

والظاهرُ أن «تلك» باقيةٌ على موضوعها من استعمالها لِبُعْدِ المشار إليه.

فقال مجاهد وقتادةُ: أشار بـ«تلك» إلى الكتب المتقدِّمة من التوراة والإنجيل والزبور[(٣)]. فتكون الآيات: القصص التي وُصفت في تلك الكتب.

وقال الزجَّاج: إشارة إلى آيات القرآن التي جرى ذكرُها[(٤)].

وقيل: إشارة إلى الكتاب المُحْكَم الذي هو مخزونٌ مكتوبٌ عند الله، ومنه نُسخ كلُّ كتابٍ، كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤].

وقيل: إشارة إلى «الر» وأخواتِها من حروف المعجم، أي: تلك الحروفُ المفتتحُ بها السُّوَرُ وإنْ قَرُبَتْ ألفاظُها فمعانيها بعيدةُ المنال، وهي آياتُ الكتاب، فإنَّ الكتابَ بها يُتْلى وألفاظُه إليها ترجعُ؛ ذكره ابن الأنباري[(٥)].

---

(١) وهذه الثلاثة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في زاد المسير ٤/٤، وأخرج عنه الأول والأخير الطبري ١٢/١٠٣-١٠٤.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/٢٦٩، وفيه: أنا الربُّ لا ربَّ غيري.
(٣) أخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٢/١٠٥.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٥، وزاد المسير ٤/٤.
(٥) كما في زاد المسير ٤/٤.

وقيل: استعمل «تلك» بمعنى هذه، والمشارُ إليه حاضرٌ قريبٌ؛ قاله ابن عباس واختاره أبو عبيدة[١]؛ فقيل: آيات القرآن. وقيل: آياتُ السور التي تقدَّم ذكرها في قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ وقيل: المشارُ إليه هو «الر» فإنها كنوزُ القرآن، وبها العلومُ التي استأثَرَ الله بها[٢]. وقيل: إشارةٌ إلى ما تضمَّنَته السورةُ من الآيات.

و«الكتاب»: السورة، و«الحكيم»: الحاكم، أو: ذو الحِكْمة لاشتماله عليها وتعلُّقِه بها، أو: المُحْكَم، أو: المحكومُ به، أو: المُحْكِم، أقوالٌ.

والهمزة في «أكان» للاستفهام على سبيل الإنكار؛ لوقوع العَجَب من الإيحاء إلى بشرٍ منهم بالإنذار والتبشير، أي: لا عجب في ذلك فهي عادةُ الله في الأمم السالفة؛ أوْحَى إلى رسلهم الكتبَ بالتبشير والإنذارِ على أيدي مَن اصْطَفاه منهم، واسم «كان»: «أن أوحينا»، و«عجبًا» الخبر.

و«للناس» قيل: هو في موضع الحال من «عجبًا» لأنه لو تأخَّر لكان صفةً، فلما تقدَّم كان حالًا.

وقيل: يتعلَّق بقوله: «عجبًا»، وليس مصدرًا بل هو بمعنى مُعْجِب، والمصدرُ إذا كان بمعنى المفعول جاز تقدُّم معموله عليه كاسم المفعول.

وقيل: هو تبيينٌ، أي: أعني للناس.

وقيل: يتعلَّق بـ«كان» وإن كانت ناقصةً، وهذا لا يتمُّ إلا إذا قدِّرت دالَّةً على الحدث؛ فإنها إنْ تمحَّضت للدلالة على الزمان لم يصحَّ تعلُّقٌ بها.

وقرأ عبد الله: «عَجَبٌ»[٣]، فقيل: «عجبٌ» اسم «كان» و«أنْ أوحينا» هو الخبر، فيكون نظيرَ:

يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ[٤]

(١) المصدر السابق، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٧٢.
(٢) في (ح): وبها العلم الذي استأثر الله به.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٢.
(٤) وصدره: كأن سبيئةً من بيت رأسٍ، والبيت لحسان، وهو في ديوانه ص٥٩، والكتاب =

وهذا محمولٌ على الشذوذ، وهذا تخريجُ الزمخشري وابن عطية[١].

وقيل: «كان» تامة و«عَجَبٌ» فاعلٌ بها، والمعنى: أَحَدَثَ للناس عَجَبٌ لأنْ أوحينا، وهذا التوجيهُ حسنٌ.

ومعنى «للناس عجبًا» أنهم جعلوه لهم أعجوبةً يتعجَّبون منها، ونصبوه عَلَمًا لهم يوجِّهون نحوَه استهزاءَهم وإنكارَهم.

وقرأ رؤبة: «إلى رَجْلٍ» بسكون الجيم[٢]، وهي لغةٌ تميميةٌ يسكِّنون فَعُلًا نحو: سَبْع وعَضْد، في: سَبُعٍ وعَضُدٍ.

ولمَّا كان الإنذارُ عامًّا كان متعلَّقُه وهو «الناس» عامًّا، والبشارةُ خاصةٌ فكان متعلَّقها خاصًّا، وهو «الذين آمنوا».

و«أنْ أَنْذِرْ»، «أنْ» تفسيريةٌ، أو مصدريةٌ مخفَّفةٌ من الثقيلة، وأصلُه: أنه أنذر الناسَ، على معنى: أن الشأنَ قولُنا: أنذر الناس، قالهما الزمخشري[٣].

ويجوزُ أن تكون «أنْ» المصدريةَ الثنائيةَ الوضع لا المخفَّفةَ من الثقيلة؛ لأنها تُوْصَلُ بالماضي والمضارع والأمر، فوُصلت هنا بالأمر، ويَنْسَبِكُ منها معه مصدرٌ تقديره: بإنذار الناس، وهذا الوجهُ أَوْلَى من التفسيرية؛ لأنَّ الكوفيين لا يثبتون لـ«أنْ» أن تكون تفسيريةً، ومِن المصدرية المخفَّفة من الثقيلة؛ لتقديرِ حذفِ اسمها وإضمار خبرها وهو القول، فيجتمع فيها حذفُ الاسم والخبر، ولأنَّ التأصيل خيرٌ من دعوى الحذف بالتخفيف[٤].

---

= ١/ ٤٩. السبيئة: الخمر. وبيت رأس؛ قال الأعلم في شرح شواهد الكتاب ص٧٨: اسم موضع بعينه، وقيل: رأسٌ هو رئيس الخمارين، ويقال: هو اسم خمارٍ معروف.

(١) الكشاف ٢/ ٢٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٣، لكن ابن عطية أشار إلى شذوذه، واستجاد الزمخشري غيره، وهو أن تكون «كان» تامةً، و«أن أوحينا» بدلاً من «عجبٌ»، وهو قريب مما سيذكره المصنف، وتنظر مناقشة ذلك في روح المعاني ١١/ ١١.

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر ٣/ ١٠٣ دون نسبة.

(٣) في الكشاف ٢/ ٢٢٤. وقال السمين في الدر ٦/ ١٤٥ عن الوجه الثاني: وفيه نظر من حيث إن أخبار هذه الأحرف لا تكون جملة طلبية. . .، وينظر تتمة كلامه ثمة.

(٤) في (يه): والتخفيف، وغير واضحة في (ز١).

«وبشِّر الذين آمنوا أنَّ لهم»، أي: بأنَّ لهم، وحُذفت الباء.

و«قدم صدق»؛ قال ابنُ عباس ومجاهدٌ والضحاك والربيع بن أنس وابن زيد: هي الأعمالُ الصالحة من العبادات.

وقال الحسن وقتادة: هي شفاعةُ محمدٍ ﷺ.

وقال زيد بن أسلم وغيره: هي المصيبةُ بمحمدٍ ﷺ [في موته].

وقال ابن عباس وغيره: هي السعادةُ السابقةُ لهم في اللوح المحفوظ[١].

وقال مقاتل: سابقة خيرٍ عند الله قدَّموها[٢]. وإلى هذا المعنى أشار وضَّاحُ اليمن في قوله:

مـا لـكَ وضـاحُ دائـمَ الـغَـزَلِ ... ألـسـتَ تـخـشـى تَـقَـارُبَ الأَجَـلِ
صـلِّ لـذي الـعـرش واتَّـخِـذْ قَـدَمًـا ... يُـنـجـيـك يـومَ الـعِـثَـارِ والـزَّلَـلِ[٣]

وقال قتادة أيضاً: سلفَ صِدْقٍ. وقال عطاء: مقامَ صدقٍ. وقال يَمَانٌ: إيمانَ صِدْقٍ. وقال الحسن أيضاً: ولد صالح قدَّموه. وقيل: تقديم الله في البعث لهذه الأمة وفي إدخالهم الجنة، كما قال: «نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة»[٤].

وقيل: تقدُّم شرفٍ، ومنه قولُ العجَّاج:

ذلَّ بـنـو الـعـوَّام مـن آل الـحَـكَـمْ ... وتـركـوا الـمُـلْـكَ لـمَـلْـكٍ ذي قَـدَمْ[٥]

(١) تفسير الطبري ١٢/١٠٨-١١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٣، وعنه نقل المصنف هذه الأقوال، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره بنحوه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٢/ ٨٧، والقرطبي ١٠/ ٤٥٠، وهو قريب من القول الأول.

(٣) ديوان وضاح اليمن ص٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٥٠.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٠-٢٧١، وزاد المسير ٤/ ٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٤٩-٤٥٠، والحديث أخرجه البخاري (٨٩٦)، ومسلم (٨٥٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٥١، والبيت في ديوان العجاج ص١٤٩، وعندهم جميعاً: زل بنو...، ورواية الديوان: وشنئوا الملك...، أي: أبغضوا ذلك فسلَّموه إليهم. قاله الأصمعي شارح الديوان.

وقال الزجَّاج: درجة عالية. وعنه: منزلة رفيعة[١]، ومنه قولُ ذي الرُّمَّة:

لكم قَدَمٌ لا ينكرُ الناسُ أنها مع الحَسَبِ العاديِّ طمَّتْ على البحرِ[٢]

وقال الزمخشري: «قدمَ صدقٍ عند ربِّهم»: سابقةً وفضلًا ومنزلةً رفيعةً، ولمَّا كان السعيُ والسبقُ بالقدم سُمِّيت المَسْعاةُ الجميلةُ والسابقةُ قدمًا، كما سُمِّيت النعمةُ يدًا لأنها تعطَى باليد، وباعًا لأنَّ صاحبها يَبُوعُ بها، فقيل: لفلانٍ قدمٌ في الخير، وإضافتُه إلى «صدق» دلالةٌ على زيادة فضلٍ، وأنه من السَّوابق العظيمة[٣].

وقال ابن عطية: والصدقُ في هذه الآية بمعنى الصلاح، كما تقول: رجلُ صدقٍ[٤].

وعن الأوزاعي: «قِدَم» بكسر القاف تسميةً بالمصدر[٥].

«قال الكافرون» ذهب الطبري إلى أنَّ في الكلام حذفًا يدلُّ الظاهرُ عليه، تقديره: فلمَّا أَنْذَرَ وبشَّر قال الكافرون كذا وكذا[٦].

قال ابن عطية: «قال الكافرون» يحتملُ أن يكون تفسيرًا لقوله: أكان للناس وَحْيُنا إلى بشرٍ عجبًا قال الكافرون عنه كذا وكذا[٧].

وقرأ الجمهور والعَرَبِيَّان ونافعٌ: «لسِحْرٌ» إشارةً إلى الوحي، وباقي السبعة وابنُ مسعود وأبو رزينٍ ومسروقٌ وابنُ جبير ومجاهدٌ وابنُ وثَّاب وطلحةُ والأعمش وابنُ

---

(١) الأول في تفسير القرطبي ١٠/٤٤٩، والثاني في معاني القرآن للزجاج ٣/٦، ومعناهما واحد.

(٢) ديوان ذي الرمة ٢/٩٧٢، وتفسير الطبري ١٢/١١٢، والمحرر الوجيز ٣/١٠٣، ورواية الديوان: طمت على الفخر، وطمَّت: علت. قاله الأصمعي شارح الديوان.

(٣) الكشاف ٢/٢٢٤.

(٤) المحرر الوجيز ٣/١٠٣.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) تفسير الطبري ١٢/١١٣.

(٧) المحرر الوجيز ٣/١٠٣.

مُحَيْصنٍ وابنُ كثيرٍ وعيسى بنُ عمر بخلافٍ عنهما: «لساحر» إشارةً إلى الرسول ﷺ[١].

وفي مصحف أبيٍّ: «ما هذا إلا سحر»[٢]، وقرأ الأعمشُ أيضًا: «ما هذا إلّا ساحر»[٣].

قال ابن عطية: وقولُهم في الإنذار والبشارة: سحر، إنما هو بسببِ أنه فرَّقَ كلمتهم، وحال بين القريب وقريبِه، فأَشْبَهَ ذلك ما يفعلُه الساحر، وظنُّوه من ذلك الباب[٤].

وقال الزمخشري: وهذا دليلُ عجزِهم واعترافِهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرًا[٥].

ولمَّا كان قولُهم فيما لا يمكِنُ أن يكونَ سحرًا ظاهرَ الفساد لم يَحْتَجْ قولُهم إلى جوابٍ؛ لأنهم يعلمون نشأته معهم بمكةَ وخلطتهم له وما كانت بَلَد[٦] علم، ثم ما أتى به من الوحي المتضمِّن ما لم يتضمَّنْه كتابٌ إلهيٌّ: من قصص الأوَّلين، والإخبارِ بالغُيوب، والاشتمالِ على مصالح الدنيا والآخرة، مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم، إلى غير ذلك من المعاني التي تضمَّنها، يقضي بفسادِ مقالتهم.

وقولُهم ذلك هو دَيْدنُ الكَفَرة مع أنبيائهم إذا أتوهم بالمعجزات، كما قال فرعون وقومُه في موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩، والشعراء: ٣٤]، «قالوا ساحران تظاهَرَا» [القصص: ٤٨] وقومُ عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] ودعوى السحرِ إنما هي على سبيل العناد والجَحْد.

---

(١) ينظر السبعة ص٣٢٢، والتيسير ص١٢٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٣. والعربيان هما: أبو عمرو وابن عامر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٣، والكشاف ٢/ ٢٢٥.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٣، وفيه: فظنُّوه، بالفاء.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٢٤-٢٢٥.
(٦) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: قلة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ تقدَّم تفسيرُ مِثْلِ هذه الجملةِ في سورة الأعراف[١]، وجاءتا عقب ذكر القرآن والتنبيهِ على المَعَاد، ففي «الأعراف»: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ [الآية: ٥٢] وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الآية: ٥٣] وهنا: «تلك آياتُ الكتاب»، وذِكْرُ الإنذارِ والتبشير، وثمرتُهما لا تظهرُ إلا في المعاد.

ومناسبةُ هذه لِمَا قبلها: أنَّ مَن كان قادرًا على إيجاد هذا الخَلْقِ العُلْويِّ والسُّفْليِّ العظيمين وهو ربُّكم الناظرُ في مصالحكم، فلا يُتَعَجَّب أن يَبْعَثَ إلى خَلْقه مَن يحذِّر مِن مخالَفته ويبشِّرُ على طاعته؛ إذ ليس خَلْقُهم عَبَثًا بل على ما اقْتَضَتْه حكمتُه وسَبَقَتْ به إرادتُه؛ إذ القادرُ على العظيم قادرٌ على ما دونه بطريقِ الأَوْلَى.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ قال مجاهد: أي: يَقْضيه وحده[٢]. والتدبيرُ: تنزيلُ الأمور في مراتبها، والنظرُ في أدبارها وعواقبها، و«الأمر» أمرُ[٣] الخلقِ كلِّه عُلْويِّه وسُفْليِّه.

وقيل: يبعث بالأمر ملائكتَه؛ فجبريلُ للوحي، وميكائيلُ للقَطْر، وعزرائيلُ للقَبْض، وإسرافيلُ للصُّوْر.

وهذه الجملةُ بيانٌ لعظيم شأنه وملكِه، لمَّا ذكر الإيجادَ ذكر ما يكون فيه من الأمور، وأنه المنفردُ به إيجادًا وتدبيرًا لا يَشْرَكُه أحدٌ في ذلك، وأنه لا يَجْتَرِئُ أحدٌ على الشفاعة عنده إلَّا بإذنه؛ إذ هو تعالى أَعلمُ بموضع الحكمة والصواب، وفي هذه[٤] دليلٌ على عظم عزَّته وكبريائه كما قال ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ الآية [النبأ: ٣٨].

ولمَّا كان الخطابُ عامًّا، وكان الكفارُ يقولون عن أصنامهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ردَّ ذلك تعالى عليهم، وناسَبَ ذكرُ الشفاعة التي تكونُ في القيامة بعد ذكر المبدأ ليجمع بين الطرفين: الابتداء والانتهاء.

---

(١) الآية: (٥٤).

(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ١١٤.

(٣) في (يه): أي أمر، وكلمة «أمر» وقع بدلاً منها في المطبوع: قيل.

(٤) في (يه): هذا.

وقال أبو مسلم الأصْبَهانيُّ: الشفيعُ هنا من الشَّفْع الذي يخالف الوِتْر، فمعنى الآية أنه أوْجَدَ العالَمَ وحده لا شريكَ يُعِينُه، ولم يَحْدُثْ شيءٌ في الوجود إلَّا من بعد أن قال له: كن[١].

وقال أبو البقاء: «يدبِّر الأمر» يجوزُ أن يكون مستأنَفًا، وخبرًا ثانيًا، وحالًا[٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: المتَّصِفُ بالإيجاد والتدبير والكبرياء هو ربُّكم الناظرُ في مصالحكم، فهو المستحِقُّ للعبادة، إذ لا يَصْلُحُ لأنْ يُعبَدَ إلَّا هو تعالى، فلا تُشْرِكوا به بعضَ خَلْقِه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حضٌّ على التذكُّرِ والتفكُّرِ في الدلائل الدالَّةِ على ربوبيته وإمحاضِ[٣] العبادةِ له.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ ذَكَر ما يقتضي التذكُّرَ، وهو كونُ مَرْجِعِ الجميع إليه، وأكَّد هذا الإخبارَ بأنه وَعْدُ الله الذي لا شكَّ في صِدْقِه، ثم استأنَفَ الإخبار وفيه معنى التعليلِ[٤] بابتداء الخَلْقِ وإعادته، وأنَّ مُقْتَضَى الحكمة بذلك هو جزاءُ المكلَّفين على أعمالهم.

وانتصب «وَعْدَ الله» و«حقًّا» على أنهما مصدران مؤكِّدان لمضمون الجملة، والتقدير: وَعَدَ اللهُ وَعْدًا، فلمَّا حَذف الناصبَ أضاف المصدر إلى الفاعل، وذلك كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨] والتقدير في «حقًّا»: حَقَّ ذلك حَقًّا.

وقيل: انْتَصَبَ «حقًّا» بـ«وَعْدَ» على تقديرِ «في»، أي: وَعْدَ الله في حقٍّ، وقال عليّ بن سليمان: التقدير: وقتَ حقٍّ، وأنشد:

---

(١) تفسير الرازي ١٧/ ١٥.
(٢) الإملاء ٢/ ٢٤.
(٣) في (يه): وإخلاص.
(٤) أي أن قوله: «إنه يبدأ الخلق ثم يعيده» استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه. ينظر الكشاف ٢/ ٢٢٥، والكلام فيه بنحوه أوضح مما هنا.

أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ خارجًا ولا والجًا إلَّا عليَّ رقيبُ[١]

وقرأ عبد الله وأبو جعفر والأعمشُ وسهل بن شعيب: «أنه يبدأ» بفتح الهمزة[٢]، قال الزمخشري: هو منصوبٌ بالفعل، أي: وَعَدَ اللهُ تعالى [وعدًا] بدءَ الخلق ثم إعادتَه، والمعنى: إعادةَ الخَلْقِ بعد بَدْئه، [قُرِئ]: «وَعَدَ الله» على لفظ الفعل، ويجوزُ أن يكون مرفوعًا بما نَصَبَ «حقًّا»، أي: حَقَّ حقًّا بَدْءُ الخَلْقِ، كقوله:

أَحَقًّا عبادَ الله أنْ لستَ جائيًا ولا ذاهبًا إلَّا عليَّ رقيبُ[٣]

انتهى.

وقال ابنُ عطية: وموضعُها النصبُ على تقدير: أَحُقُّ أنه، وقال الفرَّاء: موضعُها رفعٌ على تقدير: يَحِقُّ أنه[٤].

قال ابنُ عطية: ويجوزُ عندي أن يكون «أنه» بدلًا من قول: «وَعْدَ الله»، قال أبو الفتح[٥]: إن شئتَ قدَّرت: لأنه يبدأ، أي: فَمَن في قُدْرَته هذا فهو غنيٌّ عن إخلاف الوعد، وإن شئتَ قدَّرت: وَعَدَ اللهُ [وعدًا][٦] حقًّا أنه يبدأ، ولا يَعْمَلُ فيه

(١) البيت لابن الدمينة، كما في ديوانه (صنعة ثعلب) ص١٠٣، والحماسة (بشرح المرزوقي) ٣/ ١٣٦٤، وأمالي الزجاجي ص١٥٥، وأمالي القالي ١/ ٢٠٣، ورواية الديوان: ... أن لست صادرًا ولا واردًا، ومثله في الحماسة وأمالي القالي بتقديم وتأخير، أي: واردًا ولا صادرًا. وعزاه صاحب الأغاني ٢٢/ ٧٨ لمالك بن الصمصامة الجعدي، وصحح ذلك البكري في سمط اللآلي ١/ ٤٨٥، وقال صاحب الأغاني ٢٢/ ٧٦: ومن الناس مَن يرويه لابن الدمينة ويُدْخِله في قصيدته التي على هذه القافية والرَّوي. وعلي بن سليمان هو الأخفش الصغير، ولم أقف على قوله، ولم يتبين لي محل الشاهد في البيت على هذا القول، وسيرد لاحقاً شاهداً على أمر آخر.

(٢) المحتسب ١/ ٣٠٧، وقراءة أبي جعفر من العشرة، وهي في النشر ٢/ ٢٨٢.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٢٥، وما سلف بين حاصرتين منه، وقد سلف البيت قريباً باختلاف يسير في الرواية.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٤، وقول الفراء بنحوه في معاني القرآن ١/ ٤٥٧.

(٥) في المحتسب ١/ ٣٠٧، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ١٠٤.

(٦) ما بين حاصرتين من المحتسب، وليس في المحرر.

المصدر الذي هو «وَعْدَ الله»؛ لأنه قد وُصف [فأَذِنَ][١] ذلك بتمامه وقطع عمله. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «حقٌّ» بالرفع، فهو ابتداءٌ، وخبرُه «أنه»[٢]. انتهى.

وكونُ «حقٌّ» خبرَ مبتدأ و«أنه» هو المبتدأ هو الوجهُ في الإعراب، كما تقول: صحيحٌ أنك تخرج؛ لأن «أنَّ» مَعْرِفةٌ[٣]، والذي تقدَّمها في نحو هذا المثال نكرةٌ.

والظاهرُ أن بَدْءَ الخلق هو النشأةُ الأولى، وإعادتَه هو البعثُ من القبور.

و«ليجزي» متعلِّقٌ بـ«يُعيدُه»، أي: ليقع الجزاءُ على الأعمال.

وقيل: البدءُ من التراب، ثم يعيدُه إلى التراب، ثم يُعيده إلى البعث.

وقيل: البدءُ نشأتُه من الماء، ثم يعيدُه من حالٍ إلى حالٍ.

وقيل: يَبْدَؤُه من العَدَم، ثم يُعيدُه إليه، ثم يُوجِدُه.

وقيل: يبدؤه في زمرةِ الأشقياء ثم يعيدُه عند الموت إلى زمرة الأولياء، وبعكس ذلك.

وقرأ طلحة: «يُبْدِئُ» مِن أَبْدأ رُباعيًّا[٤]، وبَدَأَ وأَبْدَأَ بمعنًى.

و«بالقسط» معناه: بالعدل، وهو متعلقٌ بقوله: «ليجزي»، أي: ليُثيبَ المؤمنين بالعدل والإنصاف في جزائهم، فيُوْصِلَ كلًّا إلى جزائه وثوابِه على حَسَبِ تفاضُلهم في الأعمال، فيُنْصِفَ بينهم ويَعْدِلَ؛ إذ ليسوا كلُّهم متساوين في مقادير الثواب، وعلى هذا يكون «بالقسط» منه تعالى؛ قال الزمخشري: أو: بقِسْطهم بما[٥] أقسطوا وَعَدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأن الشرك ظلمٌ، قال الله

---

(١) ما بين حاصرتين من المحرر (على تحريف فيه)، وهو بنحوه في المحتسب.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٧، وذكر القراءة دون نسبة الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٢٥.

(٣) في المطبوع: لأن اسم أن معرفة، والمثبت من النسخ الخطية وكذلك هي في نسخ الدر المصون وهو ينقل عن أبي حيان، والمقصود بقوله: «أنَّ» هو المصدر المنسبك منها مع ما بعدها، وقد استُدْرِكت كلمة «اسم» في مطبوع الدر المصون ٦/ ١٤٩ من مطبوع البحر، فلتصحح.

(٤) القراءات الشاذة ص٥٦، والمحرر ٣/ ١٠٥.

(٥) في الكشاف ٢/ ٢٢٥: وبما.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والعصاةُ ظُلَّامٌ لأنفسهم، وهذا أوجهُ لمقابَلة قوله: «بما كانوا يكفرون». انتهى، فجعل القسط من فِعْلِ الذين آمنوا، وهو على طريقة الاعتزال.

والظاهرُ أن «والذين كفروا» مبتدأ، ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله: «الذين آمنوا» فيكون الجزاءُ بالعدل قد شمل الفريقين.

ولمَّا كان الحديث مع الكفار ومفتتح السورة معهم، ذَكَر شيئًا من أنواع عذابهم فقال: «لهم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون»، وتقدَّم شرحُ هذا في سورة الأنعام(١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ لمَّا ذكر تعالى الدلائلَ على ربوبيته من إيجاد هذا العالَم العلويِّ والسفليِّ، ذَكَر ما أَوْدَعَ في العالَم العلويِّ من هذين الجوهرين النيِّرَيْنِ المشرِقَيْنِ، فـ«جعل الشمسَ ضياءً»، أي: ذاتَ ضياءٍ، أو: مضيئةً، أو: نفسَ الضياء مبالغةً، و«جَعَل» يحتملُ أن تكون بمعنى «صيَّر» فيكون «ضياءً» مفعولًا ثانيًا، ويحتمل أن تكون بمعنى «خَلَقَ» فيكون حالًا، «والقمر نورًا»، أي: ذا نورٍ، أو: منوِّرًا، أو: نفسَ النور مبالغةً، إذ هما مصدران.

وقيل: يجوزُ أن يكون «ضياءً» جمعَ ضوءٍ كحوضٍ وحِيَاضٍ. وهذا فيه بعدٌ.

ولمَّا كانت الشمسُ أعظمَ جِرْمًا خُصَّت بالضياء؛ لأنه هو الذي له سطوعٌ ولمعانٌ، وهو أعظمُ من النور، قال أرباب علم الهيئة: الشمسُ قَدْر الأرض مئةً وأربعًا وستِّين مرةً، والقمرُ ليس كذلك، فخُصَّ الأعظم بالأعظم. وقد تقدم الفرق بين الضياء والنور في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] يقتضي أنْ يكون النورُ أعظمَ وأبلغَ في الشروق، وإلَّا فلمَ عَدَلَ إلى الأقلِّ الذي هو النور؛ فقال ابنُ عطية: لفظةُ النور أحكمُ وأبلغُ، وذلك أنه شبَّه هُدَاه ولطفَه الذي نَصَبَه لقومٍ يهتدون وآخَرين

(١) الآية (٧٠) منها.

يضلُّون معه بالنور الذي هو أبدًا موجودٌ في الليل وأثناءَ الظلام، ولو شبَّهه بالضياء لوَجَبَ أن لا يضلَّ أحدٌ؛ إذ كان الهدى يكونُ كالشمس التي لا تَبْقَى معها ظلمةٌ، فمعنى الآيةِ أنه تعالى جَعَل هُدَاه في الكفر كالنور في الظلام، فيهتدي قومٌ ويَضِلُّ قومٌ آخَرون، ولو جَعَله كالضياء لوَجَبَ أن لا يَضِلَّ أحدٌ، وبقي الضياءُ على هذا أبلغَ في الشروق كما اقتضت هذه الآية[1].

وقرأ قُنْبُلٌ: «ضِئاءً» هنا وفي «الأنبياء» و«القصص» بهمزةٍ قبل الألف بَدَلَ الياء[2]، ووُجِّهت على أنه من المقلوب؛ جُعِلَتْ لامُه عينًا فكانت همزةً، وتطرَّفت الواوُ التي كانت عينًا بعد ألفٍ زائدةٍ فانقلبت همزةً.

وضعَّف ذلك بأنَّ القياسَ الفِرارُ من اجتماع همزتين إلى تخفيف إحداهما، فكيف يُتخيَّلُ إلى تقديمٍ وتأخيرٍ يؤدِّي إلى اجتماعهما ولم يكونا في الأصل.

والظاهرُ عودُ الضمير على القمر، أي: [قدَّر][3] مسيرَه منازِلَ، أو: قدَّره ذا منازِلَ، أو: قدَّر له منازلَ، فحَذَفَ وأَوْصَلَ الفعلَ، فانتصبَ بحسَب هذه التقاديرِ على الظرف أو الحال أو المفعول، كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

وعاد الضميرُ عليه وحده لأنه هو المُراعَى في معرفة عدد السنينَ والحسابِ عند العرب، وقال ابن عطية: ويحتملُ أنْ يريدَهما معًا بحسب أنهما مُصَرَّفان في معرفة عدد السنينَ والحسابِ، لكنه اجتُزِئَ بذكر أحدهما، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وكما قال الشاعر:

رَمَاني بأمرٍ كنتُ منه ووالدي      بريئًا ومن أَجْلِ الطَّوِيِّ رماني[4]

والمنازلُ هي البروجُ، وكانت العربُ تنسبُ إليها الأنواءَ، وهي ثمانيةٌ وعشرون منزلةً: الشَّرَطانِ، والبُطَيْن، والثُّريَّا، والدَّبَران، والهَقْعَة، والهَنْعة، والذِّراع،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٥.
(٢) السبعة ص٣٢٣، والتيسير ص١٢٠-١٢١.
(٣) من الكشاف ٢/ ٢٢٥.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ١٠٥، والبيت لابن أحمر كما في الكتاب ١/ ٧٥، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

والنَّثْرة، والطَّرْف، والجَبْهة، والزُّبْرة، والصَّرْفة، والعوَّاء، والسِّماك، والغَفْر، والزُّبَانَيان، والإكليل، والقَلْب، والشَّوْلة، والنَّعائم، والبَلْدَة، وسَعْدُ الذَّابحُ، وسَعْدُ بُلَعَ، وسَعْدُ السُّعود، وسَعْدُ الأَخْبِية، والفَرْغ المُقَدَّم، والفرغُ المؤخَّر، والرِّشاء وهو الحوت[١].

واللام متعلِّقةٌ بقوله: «وقدَّره منازل» قال الأَصْمَعي: سُئل أبو عمرٍو عن الحساب أَفَبِنَصْبِه أم بجَرِّه[٢]؟ فقال: ومَن يدري ما عددُ الحساب؟ انتهى.

يريد أنَّ الجرَّ إنما يكون مُقْتَضيًا أنَّ الحساب يكونُ يُعْلَم عددُه، والحسابُ لا يمكن أن يُعْلَم[٣] منتهى عددِه.

و«الحساب»: حسابُ الأوقات من الأشهر والأيام والليالي ممَّا يُنتفعُ به في المعاش والإجارات، وغيرِ ذلك ممَّا يُضْطَرُّ فيه إلى معرفة التواريخ.

وقيل: اكتفى بذكر عدد السنين عن عدد الشهور، وكَنَى بالحساب عن المعاملات.

والإشارة بـ«ذلك» إلى مخلوقِهِ، و«ذلك» يُشارُ بها إلى الواحد، وقد يشارُ بها إلى الجمع.

ومعنى «بالحق»: مُلْتَبِسًا بالحقِّ الذي هو الحكمةُ البالغةُ، ولم يَخْلُقه عَبَثًا، كما جاء: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص: ٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

وقال ابنُ جرير: «الحق» هنا هو اللهُ تعالى، والمعنى: ما خلق الله ذلك إلا بالله وحده لا شريكَ معه[٤]. انتهى، وما قاله تركيبٌ قلقٌ؛ إذ يصيرُ: ما ضرب زيدٌ عمرًا إلا بزيدٍ.

---

(١) تنظر معاني هذه المنازل في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١/ ١٧٦-١٨٦، والعمدة لابن رشيق ٢/ ٢٥٣-٢٥٧، والقاموس كلٌّ في بابه.
(٢) في (ح): أفتنصبه أم تجره، ووقع في (د١) والمطبوع: أو، بدل: أم.
(٣) في (ز١): نعلم.
(٤) تفسير الطبري ١٢/ ١١٩ بنحوه.

وقيل: الباء بمعنى اللام، أي: للحق، وهو إظهارُ صَنْعتِه وبيانُ قدرتِه، ودلالةً على وحدانيته.

وقرأ ابن مصرِّفٍ: «والحَسَاب» بفتح الحاء، ورواه أبو توبةَ عن العرب[١].

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وحفصٌ: «يُفصِّل» بالياء جَرْيًا على لفظة الله، وباقي السبعة بالنون على سبيل الالتفات والإخبار بنون العظمة[٢].

وخُصَّ من يعلم بتفصيل الآيات لهم لأنهم الذين ينتفعون بتفصيل الآيات، ويتدبَّرون بها في الاستدلال والنظر الصحيح، و«الآيات»: العلاماتُ الدالَّة، أو: آياتُ القرآن.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ الاختلافُ: تعاقُبُ الليل والنهار، وكونُ أحدِهما يَخْلُفُ الآخَر، «وما خَلَق الله في السماوات» من الأجرام النيِّرة التي فيها، والملائكةِ المقيمين بها، وغيرِ ذلك ممَّا يعلمُه الله تعالى، «والأرض» من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان، وخَصَّ المتقين لأنهم الذين يخافون العواقبَ، فيحملُهم الخوفُ على تدبُّرِهم ونظرهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ الظاهرُ أنَّ الرجاء هو التأميلُ والطمع، أي: لا يؤمِّلون لقاءَ ثوابنا وعقابِنا. وقيل: معناه: لا يخافون. قال ابن زيد: وهذه الآيةُ في الكفار[٣]. والمعنى: إنَّ المكذِّبَ بالبعث ليس يرجو رحمةً في الآخرة، ولا يُحْسِنُ ظنًّا بأنه يَلْقَى اللهَ.

وفي الكلام محذوفٌ، أي: ورَضُوا بالحياة الدنيا من الآخرة، كقوله: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨] والمعنى: إنَّ منتهَى غَرَضهم

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٦. وأبو توبة هو ميمون بن حفص النحوي الكوفي، ويقال له أيضاً: أبو حفص، راوٍ معروف من أئمة العربية، روى القراءة عن الكسائي عرضاً. غاية النهاية ٢/ ٣٢٥.

(٢) السبعة ص٣٢٣، والتيسير ص١٢١.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ١٢٢-١٢٣.

وقُصارى آمالهم إنَّما هو مقصورٌ على ما يَصِلون إليه في الدنيا «واطمأنُّوا بها»، أي: سكنوا إليها، وقَنعوا بها، ورفضوا ما سواها.

والظاهرُ أن قوله: «والذين هم» هو[١] قسمٌ من الكفار غيرُ القسم الأول، وذلك لتكرير الموصول فيدلُّ على المغايرة، ويكون معطوفًا على اسم «إنَّ»، ويكون «أولئك» إشارةً إلى صنفي الكفار: ذي الدنيا المتوسِّعِ فيها الناظرِ في الآيات فلم تؤثِّر عنده رجاءَ لقاء الله بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء، والعادمِ التوسُّع الغافلِ عن آيات الله الدالَّةِ على الهداية.

ويحتمل أن يكون من عطف الصفات، فيكون «الذين هم عن آياتنا غافلون» هم الذين لا يرجون لقاء الله.

والظاهِرُ أن «واطمأنُّوا بها» عطفٌ على الصلة، ويحتمل أن تكون واوَ الحال، أي: وقد اطمأنُّوا بها.

والآيات؛ قيل: آيات القرآن.

وقيل: العلاماتُ الدالَّةُ على الوحدانية والقدرة.

وقال ابن زيد: ما أنزلناه من حلالٍ وحرامٍ وفرضٍ من حدودٍ وشرائعِ أحكامٍ.

و«بما كانوا يكسبون» إشعارٌ بأنَّ الأعمال السابقةَ يكون عنها العذابُ، وفي ذلك ردٌّ على الجبرية، ونصٌّ على تعلُّق العقاب بالكسب، ومجيئُه بالمضارع دليلٌ على أنهم لم يزالوا مستمرِّين على ذلك ماضيَ زمانهم ومستقبلَه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ أي: يزيدُ في هداهم بسبب إيمانهم السابقِ وتَثَبُّتِهم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٤] أو يهديهم إلى طريق الجنة بنور إيمانهم، كما قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) في (به): هم.

قال مجاهد: يكونُ لهم إيمانهم نورًا يمشون به[١]. وفي الحديث: إذا قام من قبره تَمثَّل له رجلٌ جميلُ الوجه طيبُ الرائحة، فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ، فيقودُه إلى الجنة، وبعكس هذا في الكافر[٢].

وقال ابن الأنباري[٣]: إيمانُهم يهديهم إلى خصائص المعرفة ومزايا في الألطاف تُسَرُّ بها قلوبُهُم[٤]، وتزولُ بها الشكوكُ والشبهاتُ عنهم، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] وهذه الزوائدُ والفوائدُ يجوز حصولُها في الدنيا قبل الموت، ويجوز حصولُها بعد الموت.

قال القفَّال: وإذا حَمَلْنا الآيةَ على هذا كان المعنى: يهديهم ربُّهم بإيمانهم وتجري من تحتهم الأنهارُ، إلا أنه حَذَفَ الواو[٥].

وقيل: معناه: يُقَدِّمهم إلى الثواب، من قول العرب: القدمُ تَهْدي الساق[٦].

وقال الحسن: يرحمُهم[٧].

وقال الكلبي: يدعوهم[٨].

والظاهرُ أنْ يكون «تجري» مستأنفًا، فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين؛ أحدهما: هدايةُ الله لهم، وذلك في الدنيا، والآخَر: بجريان الأنهار، وذلك في الآخرة. كما تضمَّنت الآيةُ في الكفَّار شيئين: أحدهما: اتِّصافُهم بانتفاءِ رجاءِ

---

(١) أخرجه الطبري ١٢/ ١٢٤.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ١٢٤ من طريق قتادة عن النبي ﷺ مرسلاً، وينظر حديث البراء بن عازب ﷺ عند أحمد (١٨٥٣٤).

(٣) كما في تفسير الرازي ١٧/ ٤٢.

(٤) في تفسير الرازي: . . . ومزايا في الألفاظ ولوامع من النور تستنير بها قلوبهم. . .

(٥) المصدر السابق، وفيه: إلا أنه حذف الواو وجعل قوله: «تجري» خبراً مستأنفاً منقطعاً عما قبله.

(٦) من ذلك قول طرفة كما في ديوانه ص٨٦:

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقَهُ قَدَمُه

(٧) تفسير أبي الليث ٢/ ٨٩، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٥٨.

(٨) تفسير أبي الليث ٢/ ٨٩.

لقاءِ الله وما عُطِف عليه، والثاني: مقرُّهم ومأواهم وذلك النار. فصار تقسيمًا للفريقين في المعنى، وتقدَّم قولُ القفَّال أن يكون «تجري» معطوفًا حُذف منه الحرفُ. وأن يكون حالًا[1].

ومعنى «من تحتهم»، أي: من تحت منازلهم.

وقيل: من بين أيديهم، وليس التحتَ الذي هو بالمسافة، بل يكون إلى ناحيةٍ من الإنسان، ومنه: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] وقال: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

قال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: دلَّت هذه الآية على أنَّ الإيمان الذي يستحِقُّ به العبدُ الهدايةَ والتوفيقَ والنورَ يومَ القيامة هو الإيمانُ المقيَّدُ، وهو الإيمان المقرونُ بالعمل الصالح، والإيمانُ الذي لم يَقترِنْ بالعمل الصالح فصاحِبُه لا توفيقَ له ولا نور.

قلت: الأمر كذلك، ألا ترى كيف أَوْقَعَ الصِّلةَ مجموعًا فيها بين الإيمان والعملِ، كأنه قال: إنَّ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ثم قال: «بإيمانهم»، أي: بإيمانهم المضمومِ إليه هذا العملُ الصالح وهو بيِّنٌ واضح لا شبهة فيه[2]. انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

وجوَّزوا «في جنات النعيم» أن يتعلَّق بـ«تجري»، وأن يكون حالاً من «الأنهار»، وأن يكون خبرًا بعد خبرٍ.

ومعنى «دعواهم»: دعاؤهم ونداؤهم؛ لأنَّ «اللهم» نداءُ الله، والمعنى: اللهمَّ إنَّا نُسَبِّحك، كقول القانت في دعاء القنوت: «اللهم إياك نعبد، ولك نصلِّي ونسجد»[3].

وقيل: عبادتُهم، كقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨]

---

(١) قوله: وأن يكون حالاً، معطوف على قوله: أن يكون «تجري» مستأنفاً.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٦، وفيه: ... أي بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح...
(٣) قطعة من حديث مرسل أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩)، وروي عن عمر وعلي وأبيّ ﷺ. ينظر مصنف عبد الرزاق ٣/ ١١٠-١١٤.

ولا تكليف في الجنة، فيكونُ ذلك على سبيل الابتهاج والالتذاذ، وأطلق عليه العبادة مَجازًا.

وقال أبو مسلم: فِعْلُهم وإقرارُهم.

وقال القاضي: طريقُهم في تقديس الله وتحميده[(١)].

و«تحيتُهم»، أي: ما يُحيِّي به بعضُهم بعضًا، فيكون مصدرًا مضافًا للمجموع لا على سبيل العمل، بل يكون كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨].

وقيل: يكون مضافًا إلى المفعولِ، والفاعلُ اللهُ تعالى أو الملائكةُ، أي: تحيةُ الله إياهم، أو تحيةُ الملائكة إياهم.

«وآخِرُ دعواهم»، أي: خاتمةُ دعائهم وذكرِهم، قال الزجَّاج: أعلمَ تعالى أنهم يَبتدئون بتنزيهه وتعظيمه ويختمون بشكره والثناءِ عليه[(٢)].

وقال ابن كيسان: يفتتحون بالتوحيد ويختمون بالتحميد[(٣)].

وعن الحسن البصري يعزوه إلى الرسول ﷺ: أنَّ أهل الجنة يُلْهَمون التحميدَ والتسبيح[(٤)].

و«أنْ» المخفَّفةُ من الثقيلة، واسمُها ضميرُ الشأن لازمُ الحذف، والجملةُ بعدها خبر «أنْ»، و«أنْ» وصِلَتُها خبر قوله: «وآخِرُ».

وقرأ عكرمةُ ومجاهدٌ وقتادةُ وابنُ يَعْمَرَ وبلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ وأبو مِجْلَزٍ وأبو حَيْوَةَ وابنُ مُحَيْصِنٍ ويعقوبُ: «أنَّ» الحمد بالتشديد ونصب «الحمد»[(٥)]. قال ابن جني: ودلَّت على أنَّ قراءة الجمهور بالتخفيف ورفعِ «الحمد» هي على أنَّ «أنْ» هي المخفَّفةُ، كقول الأعشى:

---

(١) ذكر هذه الأقوال الرازي في تفسيره ١٧/ ٤٣-٤٤، والقاضي هو عبد الجبار المعتزلي.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٨، وزاد المسير ٤/ ١١، وليس في المعاني قوله: ويختمون...
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٤، وزاد المسير ٤/ ١١، وتحرفت فيه كلمة «بالتحميد» إلى: بالتوحيد.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين ٢/ ٢٤٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٧٤، وينظر حديث جابر عند مسلم (٢٨٣٥).
(٥) القراءات الشاذة ص٥٦، والمحتسب ١/ ٣٠٨، والمحرر الوجيز ٢/ ١٠٨، وزاد المسير ٤/ ١١.

في فتيةٍ كسيوفِ الهند قد عَلِموا    أنْ هالكٌ كلُّ مَن يَحْفَى ويَنْتَعِلُ

يريد: أنه هالكٌ[١].

وإذا خُفِّفَتْ لم تعمل في غير ضميرِ أمرٍ محذوفٍ، وأجاز المبرِّد إعمالَها كحالها مشدَّدةً[٢].

وزعم صاحبُ «النظم»[٣] أنَّ «أنْ» هنا زائدةٌ، و«الحمدُ لله» خبرُ «وآخِرُ دعواهم»، وهو مخالفٌ لنصِّ سيبويه[٤] والنحويين، وليس هذا من محالٌ زيادتها.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ قال مجاهدٌ: نزلت في دعاء الرجلِ على نفسه وماله أو ولده ونحوِ هذا، فأخبر تعالى أنه[٥] لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثلَ ما يريدون فِعْلَه معهم[٦] في إجابته إلى الخير لأهلكهم. ثم حذف بعد ذلك من القول جملةً يتضمَّنُها الظاهرُ تقديرُها: فلا يَفعل ذلك، ولكنْ نَذَرُ الذين لا يرجون، فاقْتَضَبَ القولَ ووصل إلى هذا المعنى بقوله: «فنذر الذين لا يرجون» فتأمَّلْ هذا التقديرَ تجدْه صحيحًا؛ قاله ابن عطية[٧].

وقيل: نزلت في قولهم: ﴿أَئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧] وما جرى مجراه[٨].

(١) المحتسب ١/ ٣٠٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٨، وبيت الأعشى في ديوانه ص١٠٩، والكتاب ٢/ ١٣٧، و٣/ ٧٤ و١٦٤، والمقتضب ٣/ ٩، والأصول في النحو ١/ ٢٣٩، والإنصاف ١/ ١٩٩، والخزانة ٨/ ٣٩٠، وعجزه في الديوان: أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ. وزعم بعضهم أن رواية النحويين له مصنوعة، وأنهم غيَّروه ليقع الاسم بعد «أنْ» المخففة مرفوعًا، وينظر بحث ذلك في الخزانة ٨/ ٣٩١.

(٢) المقتضب ٢/ ٣٦١.

(٣) نظم القرآن لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني الجَمَاجمي، والكلام من تفسير الرازي ١٧/ ٤٧.

(٤) في الكتاب ٣/ ٦٣.

(٥) كلمة: أنه، من النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ١٢٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٨، والكلام منه.

(٦) في النسخ الخطية: منهم، والمثبت من النهر والمحرر.

(٧) في المحرر ٣/ ١٠٨، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٢/ ١٣٠-١٣١.

(٨) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٨.

وقال الزمخشري: والمرادُ أهلُ مكة وقولُهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢] يعني: ولو عجَّلنا لهم الشرَّ الذي دَعَوْا به كما نعجِّلُ لهم الخيرَ لأُميتوا وأُهلكوا.

قال: فإن قلتَ: كيف اتَّصل به: «فنَذَرُ الذين لا يرجون لقاءَنا»، وما معناه؟

قلت: قولُه: «ولو يُعجِّلُ الله» متضمِّنٌ معنَى نَفْي التعجيل، كأنه قال: ولا نُعجِّلُ لهم الشرَّ ولا نَقْضي إليهم أجلَهم، فنذرُهم في طغيانهم، أي: فنُمْهِلُهم ونُفيض عليهم النعمةَ مع طغيانهم إلزامًا للحجة عليهم(١).

ومناسَبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها: أنه تعالى لمَّا ذكر عَجَبَ الناس من إيحاء الله إلى رجلٍ منهم، وكان فيما(٢) أَوْحَى إليه الإنذارُ والتبشيرُ، وكانوا يستهزئون بذلك ولا يعتقدون حلولَ ما أُنذروه بهم فقالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ وقال إخبارًا عنهم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧] وقالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٠] ثم استطرد من ذلك إلى وحدانيته تعالى وذكر إيجاده العالَمَ، ثم إلى تقسيم الناس إلى مؤمنٍ وكافرٍ وذكر منازل الفريقين، ثم رجع إلى أنَّ ذلك المنذَرَ به الذي طلبوا وقوعَه عَجَلًا لو وقع لهلكوا، فلم يكن في إهلاكهم رجاءُ إيمانِ بعضهم، وإخراجُ مؤمنٍ من صُلْبهم، بل اقتضت حكمتُه أن لا يُعَجِّلَ لهم ما طلبوه لمَا ترتَّب على ذلك.

وانتصب «استعجالَهم» على أنه مصدرٌ مشبَّهٌ به، فقال الزمخشري: أصلُه: ولو يعجِّلُ الله للناس الشرَّ تعجيلَه لهم الخيرَ، فوضع استعجالَهم له(٣) بالخير موضع تعجيله لهم الخيرَ إشعارًا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم كأنَّ استعجالهم بالخير تعجيلٌ لهم.

وقال الحَوْفيُّ وابنُ عطية: التقدير: مِثْلَ استعجالهم(٤)، وكذا قدَّره أبو البقاء(٥).

---

(١) الكشاف ٢/٢٢٧.
(٢) في (ز١): مما.
(٣) في (أ): استعجالهم لهم، وفي (د١) و(ز١) و(يه): استعجاله لهم، والمثبت من (ح) و(ع)، وهو الموافق لما في الكشاف، لكن ليس في مطبوعه كلمة: له.
(٤) المحرر الوجيز ٢/١٠٨.
(٥) الإملاء ٢/٢٥.

ومدلولُ «عجَّل» غيرُ مدلول «استَعْجَلَ»؛ لأن «عجَّل» يدلُّ على الوقوع «واسْتَعْجَلَ» يدل على طلب التعجيل، وذاك واقِعٌ من الله وهذا مضافٌ إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري، فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون التقدير: تعجيلًا مثلَ استعجالهم بالخير، فشبَّه التعجيلَ بالاستعجال لأن طَلَبَهم للخير ووقوعَ تعجيله مقدَّمٌ عندهم على كل شيء.

والثاني: أن يكونَ ثَمَّ محذوفٌ يدل عليه المصدرُ، تقديره: ولو يعجِّلُ الله للناس الشرَّ إذا استعجلوا به استعجالَهم بالخير؛ لأنهم كانوا يستعجلون بالشرِّ ووقوعِه على سبيل التهكُّم كما كانوا يستعجلون بالخير.

وقرأ ابن عامر: «لقَضَى» مبنيًّا للفاعل «أجَلَهم» بالنصب[(١)]، والأعمش: «لقَضَيْنا»[(٢)]، وباقي السبعة مبنيًّا للمفعول «وأجلُهم» بالرفع، و«قُضيَ» أكملُ.

والفاء في «فنَذَرُ» جوابُ ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف، تقديره: فنحن نذر؛ قاله الحَوْفيُّ.

وقال أبو البقاء: «فنذر» معطوفٌ على فعلٍ محذوف تقديره: ولكن نُمْهِلُهم فنذرُ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ ومناسَبةُ هذه الآية لِمَا قبلها: أنه لمَّا استَدْعَوْا حلولَ الشرِّ بهم، وأنه تعالى لا يفعلُ ذلك بطلبهم، بل يترك مَن لا يرجو لقاءَه يَعْمَهُ في طغيانه، بَيَّنَ شدة افتقارِ الناس إليه واضطرارهم إلى استمطارِ إحسانه مسيئهم ومحسنهم، وأنَّ مَن لا يرجو لقاءَه مضطرٌّ إليه حالةَ مسِّ الضرِّ له فكلٌّ يلجأُ إليه حينئذٍ ويُفْرِدُه بأنه القادرُ على كشف الضرِّ.

والظاهرُ أنه لا يُراد بالإنسان هنا شخصٌ معيَّنٌ، كما قيل: إنه أبو حذيفة هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي؛ قاله ابنُ عباس ومقاتلٌ[(٣)].

(١) السبعة ص٣٢٣، والتيسير ص١٢١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٠٨؛ ووقع في مطبوع القراءات الشاذة ص٥٦ عن الأعمش وابن محيصن: «لقفّينا» ولعله تحريف.

(٣) زاد المسير ٤/١٢.

وقيل: عتبة بن ربيعة. وقيل: الوليد بن المغيرة.

وقيل: هما؛ قاله عطاء[١].

وقيل: النَّضْر بنُ الحارث.

وأنَّه لا يراد به الكافرُ[٢]، بل المرادُ الإنسانُ من حيث هو، سواءٌ كان كافرًا، أم عاصيًا بغير الكفر.

واحْتَملَت هذه الأحوالُ الثلاثةُ أن تكون لشخصٍ واحدٍ، واحتملت أن تكون لأشخاصٍ إذ الإنسانُ جنسٌ، والمعنى: إنَّ الذي أصابه الضرُّ لا يزال داعيًا ملتجئًا راغبًا إلى الله في جميع حالاته كلِّها.

وابتدأ بالحالة الشاقَّة وهي اضطجاعُه وعجزُه عن النهوض وهي أعظم في الدعاء وآكَدُ، ثم بما يليها وهي حالةُ القعود، وهي حالةُ العجز عن القيام، ثم بما يليها وهي حالةُ القيام، وهي حالةُ العجز عن المشي، فتراه يضطربُ ولا ينهض للمشي كحالة الشيخ الهِم[٣].

و«لجنبه» حالٌ، أي: مضطجعًا، ولذلك عُطِفَ عليه الحالان، واللامُ على بابها عند البصريين، والتقدير: مَلْقِيًّا لجنبه، لا بمعنى «على»، خلافًا لزاعمه. وذو الحال الضميرُ في «دعانا»، والعاملُ فيه «دعانا» أي: دعانا مُلْتَبِسًا بأحد هذه الأحوال.

وقال ابن عطية: ويجوزُ أن يكون حالًا من «الإنسان» والعاملُ فيه «مسَّ»، ويجوز أن يكون حالًا من الفاعل في «دعانا» والعاملُ فيه «دعا»، وهما مَعْنيان مُتَباينان، و«الضُّر» لفظٌ عام لجميع الأمراض والرَّزايا في النفس والمال والأحِبَّة، هذا قولُ اللغويين، وقيل: هو مختصٌّ برزايا البدن: الهزالِ والمرض[٤]. انتهى.

(١) المصدر السابق.
(٢) عطف على قوله: أنه لا يُراد بالإنسان.....
(٣) في النسخ عدا (ز١): الهرم، والمثبت من (ز١)، وكلاهما بمعنى.
(٤) المحرر الوجيز ٣/١٠٩.

والقولُ الأولُ قولُ الزجَّاج[١].

وضعَّف أبو البقاء أن يكون «لجنبه» فما بعده أحوالًا من «الإنسان» والعاملُ فيها «مسَّ»، قال: لأمرين:

أحدهما: أن الحال على هذا واقعةٌ بعد جواب «إذا»، وليس بالوجه.

والثاني: أن المعنى كثرةُ دعائه في كلِّ أحواله، لا على الضرِّ يصيبه في كلِّ أحواله، وعليه آياتٌ كثيرةٌ في القرآن[٢]. انتهى.

وهذا الثاني يلزمُ فيه مَن مَسَّه الضرُّ في هذه الأحوال دعاؤه في هذه الأحوال؛ لأنه جوابُ ما ذُكرت فيه هذه الأحوالُ، فالقيدُ في حيِّز الشرط قيدٌ في الجواب، كما تقول: إذا جاءنا زيدٌ فقيرًا أحسنَّا إليه، فالمعنى: أحسنَّا إليه في حال فقره، فالقيدُ في الشرط قيدٌ في الجزاء.

ومعنى كَشْفِ الضرِّ: رفعُه وإزالتُه، كأنه كان غطاءً على الإنسان ساترًا له.

وقال صاحب «النظم»: «وإذا مسَّ الإنسان» وَضْعُه[٣] للمستقبل و«فلمَّا كشفنا» للماضي، فهذا النظمُ يدلُّ على أن معنى الآية أنه هكذا كان فيما مضى وهكذا يكون في المستقبل، فدل ما في الآية من الفعل المستقبَل على ما فيه من المعنى المستقبَل، وما فيه من الفعل الماضي على ما فيه من المعنى الماضي. انتهى.

والمرورُ هنا مجازٌ عن المُضيِّ على طريقته الأُولى من غير ذِكْرٍ لمَا كان عليه من البلاء والضرِّ، وقال مقاتل: أَعْرَضَ عن الدعاء[٤].

وقيل: مرَّ عن موقف الابتهال والتضرُّع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به. وهذا قريبٌ من القول الذي قبله.

---

(١) أجاز في معانيه ٣/ ٩ القولين، أعني أن يكون العامل في «لجنبه» هو «دعانا»، وأن يكون العامل «مَسَّ».

(٢) الإملاء ٢/ ٢٥.

(٣) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: وصفه، وجاء في تفسير الرازي ١٧/ ٥٢ (والكلام منه): موضوعة.

(٤) زاد المسير ٤/ ١٢.

والجملة من قوله: «كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضرٍّ مسَّه» في موضع الحال، أي: إلى كَشْفِ ضرٍّ مسَّه.

قال ابن عطية: وقوله: «مرَّ» يقتضي أنَّ نزولها في الكفار، ثم هي بعدُ تتناولُ كلَّ مَن دخل تحت معناها من كافرٍ وعاصٍ، فمعنى الآية: مرَّ في إشراكه بالله وقلَّةِ توكُّله عليه[1]. انتهى.

والكافُ من «كذلك» في موضع نصبٍ، أي: مِثْلَ ذلك، و«ذلك» إشارةٌ إلى تزيين الإعراض عن الابتهال إلى الله تعالى عند كشف الضرِّ، وعدمِ شكرِه وذِكْرِه على ذلك. و«زُيِّن» مبنيٌّ للمفعول، فاحتمل أن يكون الفاعلُ اللهَ تعالى: إمَّا على سبيل خَلْقِ ذلك واختراعه في قلوبهم كما يقول أهل السنَّة، وإمَّا بتَخْلِيته وخذلانه كما تقول المعتزلة. أو الشيطانَ بوسوسته ومُخادَعَتِه، قيل: أو النفسَ.

وفُسِّرَ المُسْرِفون بالكافرين، والكافرُ مُسْرِفٌ لتضييعه السعادةَ الأبدية بالشهوة الخسيسة المُنْقَضِيةِ، كما يضيِّعُ المُنْفِقُ مالَه متجاوزًا فيه الحدَّ.

«ما كانوا يعملون» من الإعراض عن جناب الله ومن اتِّباع الشهوات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ هذا إخبارٌ لمعاصري الرسولِ ﷺ وخطابٌ لهم بإهلاكِ مَن سَلَفَ قبلَهم من الأمم[2] بسبب ظلمهم ـ وهو الكفرُ ـ على سبيل الرَّدْع لهم، والتذكيرِ بحالِ مَن سبق من الكفار، والوعيدِ لهم، وضربِ الأمثال، فكما فُعِلَ بهؤلاء يُفْعَلُ بكم، ولفظةُ «لمَّا» مُشْعِرةٌ بالعلِّية، وهي حرفُ تعليقٍ في الماضي، ومَن ذهب إلى أنها ظرفٌ معمولٌ لـ«أهلكنا» كالزمخشريِّ[3] مُتَّبِعًا لغيره فإنما تدلُّ إذ ذاك على وقوع الفعل في حين الظلم، فلا يكونُ لها إشعارٌ إذ ذاك بالعلِّية، لو قلتَ: جئتُ حين قام زيدٌ، لم يكن مجيئُك متسبِّبًا عن قيام زيد، وأنت ترى حيثما جاءت «لمَّا» كان

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٩.
(٢) في (يه): من سلف من قبلهم من الأمم الماضية.
(٣) في الكشاف ٢/ ٢٢٨.

جوابُها أو ما قام مقامَه متسبِّبًا عمَّا بعدها، فدلَّ ذلك على صحة مذهب سيبويه من أنها حرفُ وجوبٍ لوجوبٍ[(١)].

«وجاءتهم» ظاهرُه أنه معطوفٌ على «ظلموا»، أي: لمَّا حصل هذان الأمران: مجيءُ الرسل بالبينات وظلمُهم، أُهلكوا.

وقال الزمخشري: والواو في «وجاءتهم» للحال، أي: ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلُهم بالحجج والشواهِدِ على صدقهم وهي المعجزات[(٢)]. انتهى.

وقال مقاتل: «البيناتُ» مخوِّفات العذاب.

والظاهر أن الضمير في قوله: «وما كانوا» عائدٌ على «القرون»، وأنه معطوفٌ على قوله: «ظلموا»، وجوَّز الزمخشريُّ أن يكون اعتراضًا لا معطوفًا، قال: واللامُ لتأكيد النفي بمعنى: وما كانوا يؤمنون حقًّا، تأكيدًا لنفي إيمانهم، وأنَّ الله تعالى قد علم أنهم مُصِرُّون على كفرهم، وأن الإيمان مستبعَدٌ منهم، والمعنى: إنَّ السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسلَ، وعلم الله تعالى أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن أُلزِموا الحجة ببعثة الرسل[(٣)]. انتهى.

وقال مقاتل: الضمير في قوله: «وما كانوا ليؤمنوا» عائدٌ على أهل مكة[(٤)]. فعلى قوله يكون التفاتًا لأنه خرج من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، ويكون متَّسقًا مع قوله: «وإذا تتلى عليهم».

والكاف في «كذلك» في موضع نصبٍ، أي: مثْلَ ذلك الجزاءِ وهو الإهلاكُ نجزي القومَ المجرمين، فهذا وعيدٌ شديدٌ لمن أجرم يدخل فيه أهلُ مكة وغيرُهم. وقرأت فرقة: «يجزي» بالياء[(٥)]، أي: يجزي الله، وهو التفاتٌ.

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٤، وينظر ما سلف عند شرح مفردات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة: ١٧].
(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) زاد المسير ٤/ ١٣.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١١٠.

والخطاب في «جعلناكم» لمن بُعِثَ إليهم رسولُ الله ﷺ، وقيل: خطابٌ لمشركي مكة، والمعنى: استخلفناكم في الأرض بعد القرون المهلَكة لننظر أتعملون خيرًا أم شرًّا، فنعاملَكم على حَسَب عملِكم.

ومعنى «لننظر»: ليتبيَّن[١] في الوجود ما عَلِمْناه أولًا[٢]، فالنظرُ مجازٌ عن هذا.

قال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة؟ قلت: هو مستعارٌ للعلم المحقَّق الذي هو علمٌ بالشيء موجودًا، شُبِّه بنظر الناظر وعِيَانِ المعايِنِ في تَحقُّقِه[٣]. انتهى، وفيه دسيسةُ الاعتزال، وأنه يلزمُ من النظر المقابَلةُ، وفيه إنكارُ وَصْفِه تعالى بالبصير وردُّه إلى معنى العلم.

وقيل: لننظر هو على حذف مضافٍ، أي: لينظر رسلُنا وأولياؤنا، وأُسْنِدَ النظرُ إلى الله مجازًا وهو لغيره.

وقرأ يحيى بنُ الحارث الذِّمَاريُّ: «لنَظُّر» بنون واحدة وتشديد الظاء، وقال: هكذا رأيتُه في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه[٤]، ويعني أنه رآها بنونٍ واحدةٍ؛ لأن النَّقْطَ والشَّكْلَ بالحركات والتشديدات إنما حدث بعد عثمان؛ ولا يدلُّ كَتْبُه بنونٍ واحدةٍ على حذف النون من اللفظ، ولا على إدغامها في الظاء؛ لأن إدغام النون في الظاء لا يجوز، ومسوِّغُ حذفها أنه لا أثر لها في الأنف، فينبغي أن تُحْمَلَ قراءةُ يحيى على أنه بالَغَ في إخفاء الغُنَّة فتَوَهَّم السامعُ أنه إدغامٌ فنَسَبَ ذلك إليه.

و«كيف» معمولةٌ لـ«تعملون»، والجملةُ في موضع نصبٍ لـ«ننظر» لأنها معلّقةٌ، وجاز التعليقُ في «نظر» وإن لم يكن من أفعال القلوب لأنها وصلة إلى فعل القلب الذي هو العلم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ قال ابن عباس والكلبي: نزلت في

(١) في (يه) والمحرر ٣/ ١١٠ (والكلام منه): لنبين.
(٢) في المحرر: أزلًا.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٢٨.
(٤) المحتسب ١/ ٣٠٩، والمحرر ٣/ ١١٠.

المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قالوا: يا محمد، ائت بقرآنٍ غير هذا فيه ما نسألك. وقال مجاهد وقتادةُ: نزلت في جماعةٍ من مشركي مكة[(١)].

وقال مقاتل: في خمسة نفرٍ: عبد الله بن [أبي] أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن وائل[(٢)].

وقيل: الخمسةُ: الوليدُ، والعاصي، والأسودُ بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن حنظلة. ورُوي هذا عن ابن عباس[(٣)].

قال الزمخشريُّ: غاظهم ما في القرآن من ذمِّ عبادة الأوثان والوعيدِ للمشركين، فقالوا: ائتِ بقرآنٍ آخَرَ ليس فيه ما يَغيظُنا من ذلك نتَّبعك[(٤)].

وقال ابن عطية[(٥)]: نزلت في قريش؛ لأنَّ بعض كفارِ قريش قال هذه المقالة على معنى: ساهِلْنا يا محمد، واجْعَلْ هذا الكلامَ الذي من قِبَلِكَ هو باختيارنا[(٦)]، وأَحِلَّ ما حرَّمْتَه وحَرِّمْ ما أَحْلَلْتَه ليكون أمرُنا حينئذٍ واحدًا وكلمتُنا متَّصلةً. انتهى.

ونبَّه تعالى على الوصف الحامل لهم على هذه المقالة، وهو كونُهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء على ما اقترفوه، والمعنى: وإذا تُسْرَدُ عليهم آياتُ القرآن واضحاتٍ نيِّراتٍ لا لَبْسَ فيها قالوا كيت وكيت، وأُضيفت الآيات إليه تعالى لأنها كلامُه جلَّ وعزَّ.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٦، وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٧، وتفسير البغوي ٢/ ٣٤٧، وزاد المسير ٤/ ١٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٦، وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٧، وتفسير البغوي ٢/ ٣٤٧، وجاء الاسم الأخير عندهم: العاص بن عامر، وزاد في مطبوع الثعلبي: بن هاشم، والبغوي: بن هشام. وما بين حاصرتين من أسباب النزول، والإصابة ٦/ ١١.

(٣) تفسير الرازي ١٧/ ٥٥.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٢٨.

(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ١١٠.

(٦) في (يه): يكون باختيارنا، وجاء في المحرر: على اختيارنا، بدل: هو باختيارنا.

والتبديلُ يكونُ في الذات ـ بأن يُجْعَلَ بدلَ ذاتٍ ذاتٌ أخرى ـ ويكونُ في الصفة، والتبديلُ هنا هو في الصفة، وهو أنْ يُزال بعضُ نَظْمه بأنْ يُجعل مكانَ آيةِ العذاب آيةُ الرحمة، ولا يراد بالتبديل هنا أنْ يكون في الذات؛ لأنه يَلْزمُ جَعْلُ الشيء المقتضي للتغاير هو الشيءَ بعينه؛ لأنَّ التبديل في الذات هو الإتيانُ بقرآنٍ غيرِ هذا[1]، ولمَّا كان الإتْيانُ بقرآنٍ غيرِ هذا غيرَ مقدورٍ للإنسان لم يَحْتَجْ إلى نفيه، ونَفَى ما هو مقدورٌ للإنسان وإن كان مستحيلًا ذلك في حقِّه ﷺ، فقيل له: «قل ما يكونُ لي أنْ أبدِّلَه من تلقاء نفسي» وانتفاءُ الكون هنا هو كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] أي: يستحيل ذلك.

ويحتملُ أن يكون التبديلُ في الذات على أن يُلْحَظَ في قوله: «ائت بقرآن غير هذا» بقاءُ هذا القرآن ويؤتى بقرآنٍ غيرِه، فيكون «أو بدِّله» بمعنى: أَزِلْه بالكلِّية وائت ببدله، فيكون المطلوبُ أحدَ أمرين: إمَّا إزالته بالكلية وهو التبديلُ في الذات، أو الإتيان بغيره مع بقائه فيحصل التغايُرُ بين المطلوبين.

و«تلقاء» مصدرٌ كالتِّبْيان، ولم يَجِئْ مصدرٌ على تِفْعال غيرُهما ويستعمل ظرفًا للمقابلة، تقول: زيد تلقاءك، وقُرِئَ بفتح التاء[2]، وهو قياسُ المصادر التي للمبالغة كالتَّطْواف والتَّجْوال والتَّرْداد.

والمعنى: من قِبَل نفسي «إن أتَّبع» فيما آمُرُكم به وما أنهاكم عنه من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ ولا تبديلٍ إلا ما يَجِيئُني خبرُه من السماء.

واستُدل بقوله: «إن أتَّبعُ إلَّا ما يُوْحَى إليَّ» على نفي الحكم بالاجتهاد، وعلى نفي القياس.

وإنما قالوا: «ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّله» لأنهم كانوا لا يعترفون بأن القرآن مُعْجِزٌ، وإن كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١] وقولهم: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون: ٣٨] ولا يمكن أن يريدوا: «ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّله» من جهة الوحي؛ لقوله: «إني أخاف».

---

(١) يعني أنه إذا بدَّل هذا القرآن بغيره فقد أتى بقرآن غيرِ هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان كلُّ واحد منهما شيئاً واحداً. تفسير الرازي ١٧/ ٥٥، والكلام فيه بنحوه بتفصيل.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٩.

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: فما كان غرضُهم ـ وهم أدْهَى الناسِ وأنكرُهم ـ في هذا الاقتراح؟ قلت: المكرُ والكيدُ: أمَّا اقتراحُ إبدالِ قرآنٍ بقرآنٍ ففيه: إنه من عندك وإنك لقادرٌ على مثله فأَبْدِلْ مكانه آخَرَ، وأمَّا اقتراحُ التبديل والتغيير فللطَّمَع ولاختيار الحال، وأنه إنْ وُجِدَ منه تبديلٌ فإمَّا أن يُهْلِكه الله فينجوا منه، أو لا يهلكه فيَسْخَروا منه ويجعلوا التبديلَ حجةً عليه وتصحيحًا لافترائه على الله تعالى[1]. انتهى.

و«إنْ عصيتُ» بالتبديل من تلقاء نفسي، وبعدم اتِّباعِ الوحي، وتركي العملَ به، وهو شرطٌ جوابُه محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله.

واليومُ العظيم هو يومُ القيامة، ووُصِفَ بالعظم لطوله، أو لكثرة شدائده، أو للمجموع.

وانْظُرْ إلى حُسْنِ هذا الجواب؛ لمَّا كان أحدُ المطلوبَيْنِ التبديلَ بدأ به في الجواب، ثم أَتْبَعَ بأمرٍ عامٍّ يشملُ انتفاءَ التبديل وغيرِه، ثم أتى بالسبب الحامِلِ على ذلك وهو الخوفُ، وعلَّقه بمطلق العصيان فبأدنى عصيانٍ تَرَتَبَ الخوف.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ هذه مبالَغةٌ في التَّبْرِئة ممَّا طلبوا منه، أي: إنَّ تلاوته عليهم هذا القرآن إنما هو بمشيئة الله تعالى وإحداثه أمرًا عجيبًا خارجًا عن العادات، وهو أن يَخْرجَ رجلٌ أميٌّ لم يتعلَّم ولم يستمع ولم يشاهد العلماءَ ساعةً من عمره، ولا نشأ في بلدةٍ فيها علماءُ، فيقرأ عليكم كتابًا فصيحًا يبهرُ[2] كلامَ كلِّ فصيحٍ، ويعلو على كلِّ منثورٍ ومنظومٍ، مشحونًا بعلوم من علوم الأصول والفروع، وأخبارِ ما كان وما يكون، ناطقًا بالغيوب التي لا يَعْلَمُها إلا اللهُ تعالى، وقد بلغ بين ظَهْرانَيْكم أربعين سنةً تطَّلعون على أحواله ولا يَخْفَى عليكم شيءٌ من أسراره، وما سمعتُم منه حرفًا من ذلك، ولا عرَّفه به أحدٌ من أقرب الناس إليه وألْصَقُهم به.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ح): يسمو. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ٢/ ٢٢٩، والكلام منه.

ومفعولُ «شاء» محذوفٌ، أي: قُلْ لو شاء الله أنْ لا أتلوَه، وجاء جوابُ «لو» على الفصيح من عدم إتيان اللام لكونه منفيًّا بـ«ما».

ويقال: دَرَيْتُ به وأَدْرَيْتُ زيدًا به، والمعنى: ولا أَعْلَمَكم به على لساني، وقرأ قنبل والبَزِّي من طريق النقَّاش عن أبي ربيعةَ عنه: «ولأدراكم» بلامٍ دخلت على فعلٍ مُثْبَتٍ معطوفٍ على مَنْفيٍّ[١]، والمعنى: ولأَعْلَمَكم به من غير طَرِيقي وعلى لسان غيري ولكنه يَمنُّ على مَن يشاء من عباده فخصَّني بهذه الكرامة ورآني لها أهلًا دون الناس.

وقراءة الجمهور: «ولا أدراكم به» فـ«لا» مؤكِّدةٌ وموضِّحةٌ أنَّ الفعلَ منفيٌّ لكونه معطوفًا على مَنْفيٍّ، وليست «لا» هي التي نُفي الفعلُ بها؛ لأنه لا يصحُّ نفيُ الفعل بـ«لا» إذا وقع جوابًا، والمعطوفُ على الجواب جوابٌ، وأنت لا تقول: لو كان كذا لا كان كذا، إنما تقولُ[٢]: ما كان كذا.

وقرأ ابنُ عباس وابنُ سِيرينَ والحسنُ وأبو رجاءٍ: «ولا أَدْرَأْتُكم به» بهمزةٍ ساكنةٍ[٣]، وخرِّجت هذه القراءةُ على وجهين:

أحدهما: أنَّ الأصل: «أَدْرَيْتُكم» بالياء، فقلبها همزةً على لغةِ مَن قال: لَبَّأْتُ بالحج، ورَثَأْتُ زوجي بأبياتٍ، يريد: لَبَّيْتُ ورَثَيْتُ، وجاز هذا البدلُ لأنَّ الألف والهمزةَ من وادٍ واحدٍ، ولذلك إذا حرِّكت الألفُ انْقَلَبَتْ همزةً، كما قالوا في العالم: العَأْلَم، وفي المشتاق: المُشْتَئِق[٤].

---

(١) التيسير ص١٢١، وأبو ربيعة هو محمد بن إسحاق بن وهب الربعي المكي، وهو أنبل أصحاب البزي في وقته، توفي سنة (٢٩٤هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥٤.

(٢) في (أ) و(د١) و(ز١) و(ع): يكون..

(٣) القراءات الشاذة ص٥٦، والمحتسب ١/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٠، والكشاف ٢/ ٢٢٩.

(٤) قول المصنف: إذا حركت الألف انقلبت همزة، لا ينطبق على المثال الأول، وهو قوله: العألم، حيث إن الهمزة فيه ساكنة، وقد قال السمين في الدر ١/ ٧٥: والظاهر أنها لغة مطردة، فإنهم قالوا في قراءة ابن ذكوان: «مِنْسَأْته»: إن أصلها ألف فقلبت همزة ساكنة. اهـ. وينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقد أورد المصنف ثمة قول العجاج:

وخِنْدِفٌ هامةُ هذا العَأْلَمِ

=

والوجه الثاني: أنَّ الهمزة أصلٌ، وهو من الدَّرْء، وهو الدفعُ، يقال: دَرَأْتُه، إذا دَفَعْتَه، كما قال: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨] وأَدْرَأْتُه: جعلتُه دارئاً، والمعنى: ولاجَعَلْتُكم بتلاوته خُصَماء تَدْرؤونني بالجدال وتكذِّبونني.

وزعم أبو الفتح أنَّما هي: «أَدْرَيْتُكم» فقُلبت الياء ألفًا لانفتاح ما قبلها، وهي لغةٌ لعُقَيلٍ حكاها قُطْربٌ، يقولون في أعطيتُك: أعطاتك[1].

وقال أبو حاتم: قلب الحسنُ الياء ألفًا كما في لغة بني الحارث بن كعب: السلامُ عَلَاكَ، قيل: ثم هَمَزَ على لغةِ مَن قال في العالم: العَأْلم[2].

وقرأ شهر بن حَوْشَبٍ والأعمش: «ولا أنذرتكم به» بالنون والذال من الإنذار[3]، وكذا في حرف ابن مسعود[4].

ونبَّه على أنَّ ذلك وحيٌ من الله تعالى بإقامته فيهم عُمرًا وهو أربعون سنةً، من قبل ظهور القرآن على لساني يافعًا وكهلًا، لم تجرِّبوني في كذبٍ، ولا تعاطَيْتُ شيئًا من هذا، ولا عانَيْتُ اشتغالًا، فكيف أُتَّهمُ باختلاقه، أفلا تعقلون أنَّ مَن

---

= أما «مشتاق» فهو كما قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/ ٩١: مفتعِلٌ (يعني اسم فاعل) من الشوق، وأصله «مشتوِق»، ثم قلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، فلما احتاج إلى حركة الألف حركها بمثل الكسرة التي كانت في الواو التي هي أصل الألف. اهـ. وكان قد أنشد قبل هذا الكلام قول الراجز:

يا دار ميٍّ بدكاديك البُرَق    صبراً فقد هيَّجْتِ شوق المشتئقْ

قال: القول فيه عندي أنه اضطر إلى حركة الألف التي قبل القاف من «المشتاق» لأنها تقابل لام «مستفعلِن»، فلما حركها انقلبت همزة. وينظر شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٠٥ و٤/ ١٧٥. وكلام المصنف في هذا الوجه والذي بعده قد قاله الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٢٩، لكن دون ذكر الأمثلة.

(١) المحتسب ١/ ٣٠٩-٣١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٠.

(٢) ينظر الكلام بتفصيل أكثر في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٨-٢٤٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٦٨-٤٦٩.

(٣) القراءات الشاذة ص٥٦، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٠، كلاهما عن ابن عباس وشهر بن حوشب.

(٤) لم أقف عليها عن ابن مسعود ﷺ.

كان بهذه الطريقة من مكثه الأزمانَ الطويلةَ من غير تعلُّم ولا تلمذ[(١)] ولا مطالعةِ كتابٍ ولا مراسِ جدالٍ ثم أَتى بما ليس يمكنُ أنْ يأتيَ به أحدٌ لا يكون إلا محقًّا فيما أتى به مبلِّغًا عن ربِّه ما أَوْحَى إليه وما اختصَّه به، كما جاء في حديث هرقل: هل جرَّبتُم عليه كذبًا؟ قال: لا، فقال: لم يَكُنْ ليَدَعَ الكذبَ على الخَلْقِ ويَكْذِبَ على الله[(٢)].

وأدغم ثاءَ «لبثت» أبو عمرٍو وأظهرها باقي السبعة[(٣)].

وقرأ الأعمش: «عُمْرًا» بإسكان الميم[(٤)].

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «من قبله» على القرآن، وأجاز الكرمانيُّ أن يعود على التلاوة، وعلى النزول، وعلى الوقت، يعني وقت نزوله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ تقدَّم تفسيرُ مِثْلِ هذا الكلام، ومساقُه هنا باعتبارين:

أحدهما: أنه لمَّا قالوا: «ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّله» كان في ضِمْنه أنهم ينسبونه إلى أنه ليس من عند الله وإنما هو اختلاقٌ، فبُولِغَ في ظلم مَن افترى على الله كذبًا، كما قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقد قام الدليلُ القاطعُ على أنَّ هذا القرآنَ هو من عند الله، وقد كذَّبتُم بآياته، فلا أحدَ أظلمُ منكم.

والاعتبارُ الثاني: أنَّ ذلك توطئةٌ لمَا يأتي بعده من عبادة الأوثان، أي: لا أحدَ أظلمُ منكم في افترائكم على الله أنَّ له شريكًا وأنَّ له ولدًا، وفيما نسبتُم إليه من التحليل والتحريم.

---

(١) كذا في النسخ، ولعلها: تتلمذ.

(٢) قطعة من خبر طويل أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان.

(٣) والذي في السبعة ص١٨٨، والتيسير ص٤٤ نقل الإدغام إضافة إلى أبي عمرو عن ابن عامر وحمزة والكسائي، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ١١٠-١١١.

(٤) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٢٩ دون نسبة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ الضميرُ في «ويعبدون» عائدٌ على كفار قريش[(١)] الذين تقدَّمت مُحاوَرَتُهم، و«ما لا يضرُّهم ولا ينفعُهم» هو الأصنامُ؛ جمادٌ لا تقدر على نفعٍ ولا ضرٍّ، قيل: إنْ عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا[(٢)] عبادتها لم تَضُرَّهم، ومِن حقِّ المعبود أن يكون مُثيبًا على الطاعة معاقبًا على المعصية.

وكان أهلُ الطائف يعبدون اللاتَ، وأهلُ مكة العُزَّى ومناةَ وإسافًا ونائلةَ وهُبَل.

والإخبارُ بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيلِ والتحقيرِ لهم ولمعبوداتهم، والتنبيهِ على أنهم عبدوا مَن لا يستحقُّ العبادةَ، وفي قوله: «من دون الله» دلالةٌ على أنهم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعبدون الله.

قال ابن عباس: يعنون في الآخرة[(٣)].

وقال النضر بن الحارث: إذا كان يومُ القيامة شفعتْ فيَّ اللاتُ والعزَّى[(٤)].

وقال الحسن: شفعاؤنا في إصلاح معايشنا في الدنيا؛ لأنهم لا يُقِرُّون بالبعث[(٥)].

و«أتنبؤن» استفهامٌ على سبيل التهكُّم بما ادَّعَوْه من المُحال الذي هو شفاعةُ الأصنام، وإعلامٌ بأنَّ الذي أَنْبَؤوا به باطلٌ غيرُ منطوٍ تحت الصحة، فكأنهم يُخْبِرونه بشيءٍ لا يتعلَّقُ به عِلْمُه.

و«ما» موصولةٌ بمعنى الذي.

قال الزمخشري: بكونهم شُفعاءَ عنده، وهو إنباءٌ بما ليس بمعلومٍ لله تعالى، وإذا لم يكن معلومًا له وهو العالِمُ بالذات المحيطُ بجميع المعلومات لم يكن شيئًا؛

---

(١) في (يه): على كفار مكة من قريش.
(٢) في (يه): إن يعبدوها . . . وإن يتركوا.
(٣) زاد المسير ٤/١٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/١٩٣٦ عن عكرمة.
(٥) زاد المسير ٤/١٦.

لأنَّ الشيء ما يُعْلَمَ ويُخبر عنه، فكان خبرًا ليس له مُخْبِرٌ عنه[١]. انتهى، فتكون «ما» واقعةً على الشفاعة، والفاعلُ بـ«يعلم» هو الله، والمفعولُ الضميرُ المحذوفُ العائدُ على «ما».

وقولُه «في السماوات ولا في الأرض» تأكيدٌ لنفيه؛ لأن ما لم يوجد فيهما فهو مُنْتَفٍ معدومٌ، قاله الزمخشري[٢].

وفي «التحرير»: «أَتُنَبِّؤون» معناه التهكُّم والتقريعُ والتوبيخُ والإنكارُ، والمعنى على هذا: أَتُخبرون الله بما يعلمُ خلافَه في السماوات والأرض، فإنَّ صفات الذات لا يجري فيها النفيُ.

وقيل: أتُخْبِرون الله بما لا يَعْلَمُه موجودًا في السماوات والأرض فكيف يصحُّ وجودُ ما لا يعلمُه الله، وهو كما يقال للرجل: قد قلتَ كذا، فيقول: ما عَلِمَ الله هذا مني، أي: ما كان هذا قطُّ؛ إذ لو كان لعَلِمَه الله. انتهى.

والذي يظهرُ أنَّ «ما» موصولٌ يراد به الأصنامُ لا الشفاعةُ التي ادَّعَوْها، والفاعلُ بـ«يَعْلَم» ضميرٌ يعودُ على «ما» لا على الله، وذلك على حذف مضافٍ، والمعنى: قل أتُعْلِمون الله بشفاعة الأصنام التي انْتَفَى علمُها في السماوات والأرض، أي: ليست متَّصفةً بعلمِ البتَّةَ، فيكون ذلك ردًّا عليهم في دعواهم أنها تَشْفَعُ عند الله؛ لأنَّ مَن كان منتفيًا عنه العلمُ فكيف يَشْفَعُ، وهو لا يعلمُ مَن يَشْفَعُ فيه، ولا ما يَشْفَعُ فيه، ولا مَن يَشْفَعُ عنده؟ كما ردَّ عليهم في العبادة بقوله: «ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم» فانتفاءُ الضرِّ والنفع قادحٌ في العبادة، وانتفاءُ العلم قادحٌ في الشفاعة، فتَبْطُلُ العبادةُ ودَعْوَى الشفاعةِ، ويكونُ قوله: «في السماوات والأرض» على هذا تنبيهًا على مَحَالِّ المعبودات المدَّعى شفاعتُهم؛ إذ من المعبودات السماوية الكواكبُ كالشمس والشِّعرى.

وقرئ: «أتُنْبِئون» بالتخفيف من أَنْبَأَ[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القراءات الشاذة ص٥٦ عن بعضهم، وعزاها القرطبي ١٠/ ٤٧٠ لأبي السمَّال.

ولمَّا ذكر تعالى عبادتَهم ما لا يضرُّ ولا ينفع، وكان ذلك إشراكًا، استأنف تنزيهًا بقوله: «سبحانه وتعالى»، و«ما» يحتمل أن تكون بمعنى الذي ومصدريةً، أي: شركائهم الذين يشركونهم به، أو: عن إشراكهم.

وقرأ العربيان والحرميَّان وعاصمٌ: «يشركون» بالياء على الغيبة هنا وفي حرفي «النحل» وحرفٍ في «الروم»[١]، وذكر أبو حاتم أنه قرأها كذلك الحسنُ والأعرجُ وابنُ القعقاع وشيبةُ وحُميدٌ وطلحةُ والأعمش[٢]. وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ في «النمل» فقط بالتاء على الخطاب، وعاصمٌ وأبو عمرو بالياء على الغيبة، وقرأ حمزة والكسائيُّ الخمسةَ بالتاء على الخطاب[٣].

وأتى بالمضارع ولم يأتِ: عمَّا أشركوا، للدلالة على استمرار حالهم كما جاء «ويعبدون»، وأنهم على الشِّرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ لمَّا ذكر تعالى الدلالةَ على فساد عبادة الأصنام ذكر الحاملَ على ذلك، وهو الاختلافُ الحادثُ بين الناس.

والظاهرُ عمومُ «الناس»، ويُتصوَّر في آدم وبَنيه إلى أن وقع الاختلافُ بعد قتل أحدِ ابنَيْه الآخَرَ، وقاله أبيُّ بنُ كعب[٤].

وقال الضحاك: المراد أصحابُ سفينة نوح، اتفقوا على الحنيفية ودينِ الإسلام[٥].

---

(١) السبعة ص٣٢٤، والتيسير ص١٢١، وحرفي النحل هما في الآية (١) و(٣)، وحرف الروم في الآية (٤٠).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١١١.
(٣) السبعة ص٢٣٤، والتيسير ص١٢١ و١٦٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٧ مختصراً بلفظ: اختلفوا من بعد آدم. وأخرجه الطبري ١٢/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٧ عن مجاهد بلفظ: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا» حين قتل أحد ابني آدم أخاه.
(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٢٨ مختصراً.

وعن ابن عباس: مَن كان من ولد آدم إلى زمان إبراهيم[١]. ورُدَّ بأنه عُبد في زمان نوحٍ عليه السلام الأصنامُ كوَدٍّ وسُواعٍ.

وحكى ابن القشيري أنَّ «الناس» قومُ إبراهيم إلى أن غيَّر الدِّين عمرو بن لُحَيٍّ[٢].

وقال ابن زيد: هم الذين أُخذ عليهم الميثاقُ يومَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] لم يكونوا أمةً واحدةً غير ذلك اليوم[٣].

وقال الأصم: هم الأطفال المولودون؛ كانوا على الفطرة فاختلفوا بعد البلوغ.

وأبْعدَ مَن ذهب إلى أنَّ المراد بـ«الناس» هنا آدمُ وحده، وهو مرويٌّ عن مجاهدٍ والسُّدي[٤]، وعبَّر عنه بالأمة لأنه جامعٌ لأنواع الخير.

وهذه الأقوالُ هي على أن المراد بـ«أمة واحدة»: في الإسلام والإيمان.

وقيل: في الشرك، وأريدَ قومُ إبراهيم؛ كانوا مجتمعين على الكفر، فآمَنَ بعضُهم واستمرَّ بعضُهم على الكفر[٥]. أو: مَن كان قبل البعث من العرب وأهلِ الكتاب، كانوا على الكفر والتبديل والتحريف حتى بُعث رسول الله ﷺ، فآمَنَ بعضهم. أو: العرب خاصة. أقوالٌ ثالثُها للزجَّاج[٦].

والظاهرُ أنَّ المراد بقوله: «أمة واحدة»: في الإسلام؛ لأنَّ هذا الكلامَ جاء عَقِيبَ إبطال عبادة الأصنام، فلا يناسبُ أن يُقوَّى عُبَّادُ الأصنام بأنَّ[٧] الناس كانوا على ملَّة الكفر، إنما المناسبُ أن يقال: إنهم كانوا على الإسلام حتى تحصُلَ النفرةُ من اتِّباع غيرِ ما كان الناسُ عليه.

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) ذكره الثعلبي ٣/ ٢٧٨ عن عطاء، والواحدي ٢/ ٥٤٢ عن ابن عباس في رواية عطاء.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٩٣.
(٤) النكت والعيون ٢/ ٤٢٨.
(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٥٤٢ عن ابن عباس من رواية الكلبي، وذكره شيخه الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٧٨ عن الكلبي قوله.
(٦) في معاني القرآن ٣/ ١٢.
(٧) في (أ) و(ح) و(د١) و(ع): فإن، والمثبت من (ز١) و(يه)، وهو الصواب.

وأيضًا فقولُه: «ولولا كلمةٌ» هو وعيدٌ، فصَرْفُه إلى أقرب مذكورٍ وهو الاختلافُ هو الوجهُ، والاختلافُ بسبب الكفر هو المقتضي للوعيد، لا الاختلافُ الذي هو بسبب الإيمان؛ إذ لا يَصْلُحُ أن يكون سببًا للوعيد.

وقد تقدَّم الكلامُ على نحو هذا في «البقرة» في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة الآية: ٢١٣] ولكن أعَدْنا الكلامَ فيه لبُعْده.

والكلمةُ هنا هو القضاءُ، والتقدير: لبني آدم بالآجال المؤقَّتة، قال ابن عطية: ويحتملُ أن يريد الكلمة في أمر القيامة، وأنَّ العقاب والثواب إنما يكون حينئذٍ[١].

وقال الزمخشري[٢]: هو تأخيرُ الحُكْم بينهم إلى يوم القيامة، «القُضِيَ بينهم» عاجلًا فيما اختلفوا فيه وتمييز[٣] المُحِقِّ من المُبْطِل، وسَبَقت كلمةُ الله بالتأخير لحكمةٍ أوجبت أن تكون هذه الدارُ دارَ تكليفٍ وتلك دارَ ثوابٍ وعقابٍ.

وقال الكلبي: الكلمةُ أنَّ الله أخَّر هذه الأمة فلا يُهْلِكُهم بالعذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، فلولا هذا التأخيرُ لقُضي بينهم بنزول العذاب أو بإقامة الساعة[٤].

وقيل: الكلمةُ السابقة أنْ لا يأخذَ أحدًا إلَّا بحُجَّة، وهو إرسالُ الرسل.

وقيل: الكلمةُ قولُه: «سبقَتْ رحمتي غضبي»[٥]، ولولا ذلك ما أخَّر العصاةَ إلى التوبة.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ هذا من اقتراحهم، قال الزمخشريُّ: وكانوا لا يعتدُّون بما أُنزل عليه من الآيات العِظَام المتكاثِرة التي لم ينزل على أحدٍ من الأنبياء مثلُها، وكفى بالقرآن وحده آيةً باقيةً على وجه الدهر، بديعةً غريبةً في الآيات، دقيقة

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١١.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٣٠.
(٣) كذا في النسخ، والذي في الكشاف: ولمُيِّز، وهو الأنسب للسياق.
(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٤٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٧٢.
(٥) هو في الصحيحين، وسلف تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

المسلك من بين المعجزات. وجعلوا نزولها كَلَا نزولٍ فكأنه لم ينزل عليه آيةٌ قطُّ، حتى قالوا: لولا أُنزل عليه آيةٌ واحدةٌ من ربِّه، وذلك لفَرْطِ عنادهم وتماديهم في التمرُّد، وانْهِماكِهم في الغيِّ، «فقل إنما الغيبُ لله» أي: هو المختصُّ بعلم الغيب المستأثِرُ به، لا عِلْمَ لي ولا لأحدٍ به، يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترَحَة أمرٌ مغيَّبٌ لا يَعْلَمُه إلَّا هو سبحانه، «فانتظروا» نزولَ ما اقترَحْتُموه، «إنِّي معكم من المنتظرين» بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجُحودِكُم الآيات[١].

وقال ابن عطية[٢]: «آيةٌ من ربِّه»: آيةٌ تضطرُّ الناسَ إلى الإيمان، وهذا النوعُ من الآيات لم يأتِ بها نبيٌّ قط، ولا من[٣] المعجزات اضطرارية، وإنما هي معرضةٌ للنظر[٤] ليَهْتَديَ قومٌ ويَضِلَّ آخَرون، «فقل إنما الغيب لله» إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطَّلع على غيبه في ذلك أحدٌ، وقوله: «فانتظروا» وعيدٌ، وقد صدَّقه الله تعالى بنصرته محمدًا ﷺ.

وقيل: الآيةُ التي اقترحوا أن تَنزلَ ما تضمَّنه قولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ الآية [الإسراء: ٩٠].

وقيل: موسى وعيسى، كالعصا واليد البيضاء وإحياء الموتى، طلبوا ذلك على سبيل التعنُّت.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ لمَّا ذكر تعالى قولَه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الآية [يونس: ١٥]، ثم ذكر قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ وذلك على سبيل التعنُّت، أخبر أنَّ هؤلاء إنما يَصيرون لهذه المقالات عندما يكونون في رخاءٍ من العيش وخلوِّ بالٍ، وأنَّ إحسان الله تعالى قابَلوه بما لا يجوز من ابتغاء المكر لآياته، وكان خليقًا بهم أن يكونوا أوَّلَ مَن

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٠-٢٣١، وقوله: وجحودكم، من (يه)، وهو الموافق لما في الكشاف، وجاء في باقي النسخ: وجحدكم.
(٢) في المحرر ٣/ ١١١-١١٢.
(٣) في المحرر: ولا هي، وكلاهما بمعنى.
(٤) في النسخ: النظر، والمثبت من المحرر.

صدَّق بآياته، وإعراضُهم عن الآيات نظيرُ قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

وسببُ نزولها أنه لمَّا دعا على أهل مكة الرسول ﷺ بالجدب قُحِطوا سبعَ سنين، فأتاه أبو سفيان فقال: ادعُ لنا بالخِصْب فإنْ أَخْصَبْنا صدَّقْنا، فسأل الله لهم فسُقوا ولم يؤمنوا(١).

وهذه وإن كانت في الكفار، فهي تتناولُ مِن العاصين مَن لا يؤدِّي شكرَ الله عند زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثيرٌ؛ تجدُ الإنسان يَعْقِدُ عند مسِّ الضرِّ التوبةَ والتنصُّلَ من سائر المعاصي، فإذا زال عنه رجع إلى أقبح عاداته.

والرحمةُ هنا: الغيثُ بعد القَحْطِ، والأمْنُ بعد الخوف، والصحةُ بعد المرض، والغنى بعد الفقر، وما أشبه ذلك. ومعنى «مستهم»: خالطَتْهم حتى أحسُّوا بسوء أثرها فيهم.

ومعنى «مكرٌ في آياتنا»: التكذيبُ بالقرآن والشكُّ فيه، قاله جماعةٌ.

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: الاستهزاءُ والتكذيبُ.

وقال أبو عبيدة: الردُّ والجحود.

وحكى الماوردي: النفاق؛ لأنه إظهارُ الإيمان وإبطانُ الكفر(٢). وهو شبيهٌ بما قال الزمخشريُّ أنَّ المكر أَخْفَى الكيد(٣).

وقال ابن عطية: والمكرُ: الاستهزاءُ والطعنُ عليها من الكفار، واطِّراحُ الشكر والخوفِ من العصاة(٤). انتهى.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٣٠، وزاد المسير ٤/ ١٧، وأصله في البخاري (١٠٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود ﷺ دون ذكر هذه الآية.

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٨، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٢/ ١٤٥، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٧٦، وقول الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٣٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٣١، ولفظه: والمكر إخفاء الكيد وطيه.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١١٢.

والإذاقةُ والمسُّ هنا مَجازان، وفي هذه الجملة دليلٌ على سرعة تقلُّبِ ابنِ آدم من حالة الخير إلى حالة الشر، وذلك بلفظِ «أذقنا»، كأنه قيل: أوَّلَ ذَوْقِه الرحمةَ قبل أن يُداوِمَ استطعامَها مَكَرَ، وبلفظِ «مِن» المُشْعِرةِ بابتداء الغاية، أي: يُنشئُ المكر إثْرَ كَشْفِ الضَّرَّاء لا يُمْهِلُ ذلك، وبلفظ «إذا» الفجائيةِ الواقعةِ جوابًا لـ«إذا» الشرطية، أي: في وقتِ إذاقةِ الرحمةِ فاجَؤوا بالمكر.

ولمَّا كانت هذه الجملةُ كما قلنا تتضمَّنُ سرعةَ المكر منهم قيل: ﴿قل الله أسرعُ مكرًا﴾ فجاءت أفعل التفضيل، ومعنى وَصْفِ المكرِ بالأسْرَعية: إنه تعالى قبل أن تُدَبِّروا مكائدَكم قضى بعقابكم، وهو مُوْقِعُه بكم واستَدْرَجَكم بإمهاله.

قال ابن عطية: «أَسْرَعُ» مِن سَرُعَ، ولا يكون من أَسْرَعَ يُسْرِعُ؛ حكى ذلك أبو علي، ولو كان من أَسْرَعَ لكان شاذًّا[١]، وقد قال رسول الله ﷺ في نار جهنم: «لهي أسود من القار»[٢]، وما حُفِظَ من النبيِّ ﷺ فليس بشاذٍّ. انتهى.

وقيل: «أسرع» هنا ليست للتفضيل، وهذا ليس بشيءٍ إذ السياقُ يردُّه، وفي بناء «أفعل» التفضيل وفِعْلَي التعجب[٣] من أَفْعَلَ ثلاثةُ مذاهبَ: المنعُ مطلَقًا، وما ورد من ذلك فهو شاذٌّ، والجوازُ مطلقًا، والتفصيلُ بين أن تكون الهمزةُ فيه للنقل فيُمنع، أو لغير النقل فيجوزُ، نحو: أَشْكَلَ الأمرُ، وأظلم الليلُ، وتقريرُ الصحيح من ذلك هو في علم النحو.

وأمَّا تنظيرُ «أسود من القار» بـ«أسرع» ففاسدٌ؛ لأنَّ «أسود» ليس فعلُه على وزن أَفْعَلَ وإنما هو على وزن فَعِلَ، نحو: سَوِدَ فهو أسودُ، ولم يمتنع التعجُّبُ ولا بناءُ «أفعل» التفضيل عند البصريين من نحو سَوِدَ وحَمِرَ وأَدِمَ إلَّا لكونه لونًا، وقد أجاز ذلك بعضُ الكوفيين في الألوان مطلقًا، وبعضُهم في السَّواد والبياض فقط.

---

(١) إلى هنا كلام أبي علي وما بعده هو من كلام ابن عطية متعقِّبًا. ينظر المسائل العَضُديات ص١٦٢-١٦٣، والمحرر ٣/ ١١٢.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤ عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً، وقال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٣٩٠: ومعناه مرفوع لأنه لا يدرك بالرأي، ولا يكون إلا توقيفاً.

(٣) وقعت العبارة في (د١) و(ز١) و(يه) كما يلي: وقيل «أسرع» هنا ليست للتفضيل، وحكاية ذلك عن أبي علي هو مذهب، وفي بناء التعجب وأفعل التفضيل. . .، وسقط قوله: وحكاية ذلك. . .، إلى هنا من (أ) و(ع)، والمثبت من (ح) والدر المصون ٦/ ١٦٧.

والرسلُ هنا: الحفظةُ بلا خلافٍ، والمعنى: إنَّ ما تظنُّونه خافيًا مَطْويًّا عن الله لا يَخْفَى عليه، وهو منتقمٌ منكم.

وقرأ الحسن وابنُ أبي إسحاق وأبو عمرو: «رُسْلَنا» بالتخفيف. وقرأ الحسن وقتادةُ ومجاهدٌ والأعرج ورُويت عن نافع: «يمكرون» على الغيبة جَرْيًا على ما سبق. وقرأ أبو رجاءٍ وشيبةُ وأبو جعفر وابنُ أبي إسحاق وعيسى وطلحةُ والأعمشُ والجَحْدَريُّ وأيوب بنُ المتوكِّل وابنُ مُحَيْصِنٍ وشبلٌ وأهلُ مكة والسبعةُ بالتاء على الخطاب(١)؛ مبالغةً لهم في الإعلام بحالِ مَكْرِهم، والتفاتًا لقوله: «قل الله»، أي: قل لهم، فناسَبَ الخطاب، وفي قوله: «إنَّ رسلنا» التفاتٌ أيضًا إذ لم يأتِ: «إنَّ رسلَه».

وقال أيوب بن المتوكل: في مصحف أُبيٍّ: «يا أيها الناسُ إنَّ الله أسرعُ مكرًا وإنَّ رسله لديكم يكتبون ما تمكرون»(٢)، وينبغي أن يُحمل هذا على التفسير لأنه مخالفٌ لمَا أجمع عليه المسلمون من سواد المصحف، والمحفوظُ عن أبيٍّ القراءةُ والإقراءُ بسواد المصحف.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مناسَبةُ هذه الآية لِمَا قبلها أنه لمَّا ذكر تعالى أنَّ الناس إذا أصابهم الضرُّ لجؤوا إلى الله تعالى، فإذا أذاقهم الرحمةَ عادوا إلى عادتهم من إهمالِ جانبِ الله والمكرِ في آياته، وكان قبل ذلك قد ذكر نحوًا من هذا في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الآية [يونس: ١٢] وكان المذكورُ في الآيتين أمرًا كلِّيًا = أوضح تعالى ذلك الأمرَ الكُلِّيَّ بمثالٍ جليٍّ كاشفٍ عن حقيقة ذلك المعنى الكُلِّيِّ، ينقطع فيه رجاءُ الإنسان عن كلِّ متعلَّقٍ به إلا الله تعالى، فيُخْلِصُ له الدعاءَ وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفُها

(١) تنظر هذه القراءات في المحرر الوجيز٣/ ١١٢، وعنه نقل المصنف، ووقع في مطبوعه سقط لبعض الكلام. وقراءة الحسن وقتادة ومجاهد ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٦. والمشهور عن نافع: «تمكرون» بالتاء.

(٢) المصدر السابق.

إلَّا هو تعالى، ويتبيَّنُ[١] بُطلان عبادته ما لا يضرُّ ولا ينفعُ، ودعواه أنه شفيعُه عند الله، ثم بعد كشف هذه النازلةِ عاد إلى عادته مِن بَغْيه في الأرض، فإنجاؤه تعالى إياهم هو مثالٌ مِن إذاقةِ[٢] الرحمة، وما كانوا فيه قبلُ من إشرافهم على الهلاك هو مثالٌ من الضرِّ الذي مسَّهم.

وقرأ زيد بن ثابت والحسنُ وأبو العالية وزيد بن عليٍّ وأبو جعفر وعبد الله بن جُبير وأبو عبد الرحمن وشيبةُ وابنُ عامرٍ: «يَنْشُركم»[٣] من النَّشر والبث.

وقرأ الحسن أيضًا: «يُنْشِركم» من الإنشار وهو الإحياء، وهي قراءةُ عبد الله[٤].

وقرأ بعض الشاميين: «ينشِّركم» بالتشديد للتكثير من النشر الذي هو مطاوِعُهُ الانتشار.

وقرأ باقي السبعةِ والجمهورُ: «يسيِّركم» من التسيير، قال أبو علي: هو تضعيفُ مبالغةٍ لا تضعيفُ تعديةٍ، لأن العرب تقول: سِرْتُ الرجلَ وسَيَّرْتُهُ، ومنه قولُ الهُذَليِّ:

فلا تَجْزَعَنْ من سنَّةٍ أنت سِرْتَها فأوَّلُ راضٍ سنَّةً مَن يَسيرُها[٥]

قال ابن عطية: وعلى هذا البيتِ اعتراضٌ حتى لا يكون شاهدًا في هذا، وهو أن يكون الضميرُ كالظرف، كما تقول: سِرْتُ الطريقَ[٦]. انتهى.

وما ذكره أبو عليٍّ لا يتعيَّنُ، بل الظاهرُ أن التضعيف فيه للتعدية؛ لأنَّ سار الرجلُ لازمًا أكثرُ من: سِرْتُ الرجلَ متعديًا، فجَعْلُه ناشئًا عن الأكثر أحسنُ من جَعْلِه ناشئًا عن الأقلِّ.

(١) في (أ) و(ز١) و(ع): وتبيين، وفي (يه): ويبين.
(٢) في (ح): مثالُ مَن أذاقَهُ.
(٣) السبعة ص٣٢٥، والتيسير ص١٢١ عن ابن عامر، والنشر ٢/ ٢٨٢ عن أبي جعفر، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ١١٣.
(٤) المحرر ٣/ ١١٣، وهي عن الحسن في القراءات الشاذة ص٥٦.
(٥) الحجة للفارسي ٤/ ٢٦٥ بنحوه، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٢، والكلام منه، وليس في الحجة قوله: وهو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية. والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١/ ١٥٧ برواية: وأول راضي سنَّةٍ. . .
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١١٢.

وأمَّا جَعْلُ ابنِ عطية الضميرَ كالظرف ـ قال: كما تقول: سرتُ الطريقَ ـ فهذا لا يجوزُ عند الجمهور؛ لأن «الطريق» عندهم ظرفٌ مختصٌّ كالدار والمسجد، فلا يصلُ إليه الفعلُ ـ غيرَ «دَخَلْتُ» عند سيبويه[١]، وانطلقتُ وذهبتُ عند الفرَّاء[٢] ـ إلا بوساطةِ «في»، إلا في ضرورةٍ، وإذا كان كذلك فضميرُه أَحْرَى أنْ لا يتعدَّى إليه الفعل، وإذا كان ضميرُ الظرف الذي يصلُ إليه الفعلُ بنفسه يصلُ إليه بوساطة «في» إلا إن اتُّسِعَ فيه فلَأَنْ يكونَ الضميرُ الذي يصلُ الفعلُ إلى ظاهره بـ«في» أَوْلَى أن يصل إليه الفعلُ بوساطة «في»، وزعم ابن الطَّراوة أنَّ «الطريق» ظرفٌ غير مختصٍّ، فيصل إليه الفعلُ بغير وساطة «في»، وهو زَعْمٌ مردودٌ في النحو.

ومعنى «يسيركم»: يجعلُكم تسيرون، والسيرُ معروفٌ، وفي قوله: «والبحر»، دلالةٌ على جواز ركوب البحر، ولمَّا كان الخوفُ في البحر أغلبَ على الإنسان منه في البرِّ وقع المثالُ به لذلك المعنى الكُلِّيِّ به، من التجاءِ العبدِ لربِّه تعالى حالةَ الشدة، والإهمال لجانبه حالةَ الرخاء.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جُعِلَ الكونُ في الفلك غايةً للتسيير في البحر، والتسييرُ في البحر إنما هو بالكون في الفلك؟

قلت: لم يُجْعَلِ الكونُ في الفلك غايةً للتسيير، ولكنْ مضمونُ الجملة الشرطية الواقعة بعد «حتى» بما في حيِّزها، كأنه قال: يسيِّركم حتى إذا وقعت هذه الحادثةُ، فكان كيت وكيت: من مجيء الريح العاصف، وتراكُمِ الأمواج، والظنِّ للهلاك، والدعاء للإنجاء[٣]. انتهى، وهو حسن.

وقرأ أبو الدرداء وأم الدرداء: «في الفُلْكيِّ» بزيادة ياء النَّسَب[٤]، وخرِّج ذلك على زيادتها كما زادوها في الصفة في نحو: أحمريّ ودَوَّاريّ[٥]،

---

(١) ينظر الكتاب ١/ ٣٥ و١٥٩ و١٦٣ و٤١٤.
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٣١.
(٤) المحتسب ١/ ٣١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٣.
(٥) يقال في دَور الدهر بالإنسان: دوَّار ودوَّاري، ومنه قول العجاج:
أطرباً وأنت قِنَّسْري والدهر بالإنسان دوَّاري
=

وفي العَلَم كقول الصَّلَتان:

أنـا الـصَّـلَـتـانـيُّ الـذي قـد عَـلِـمْـتُـمُ[(١)]

أو على إرادة النَّسَب مرادًا به اللجُّ، كأنه قيل: في اللُّجِّ الفُلْكيِّ وهو الماءُ الغَمْرُ الذي لا تجري الفلكُ إلا فيه.

والضميرُ في «وجرين» عائدٌ على «الفلك» على معنى الجمع؛ إذ «الفلكُ» كما تقدَّم في سورة البقرة يكون مفردًا وجمعًا، والضميرُ في «بهم» عائدٌ على الكائنينَ في الفلك، وهو التفاتٌ إذ هو خروج من خطابٍ إلى غيبةٍ.

وفائدةُ صَرْفِ الكلام من الخطاب إلى الغيبة؛ قال الزمخشري: المبالغةُ، كأنه يذكر لغيرهم حالَهم ليُعَجِّبهم منها ويستدعي منهم الإنكارَ والتقبيح[(٢)]. انتهى.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنَّ حكمة الالتفات هنا هي أنَّ قوله: «هو الذي يسيِّركم في البرِّ والبحر» خطابٌ فيه امتنانٌ وإظهارُ نعمةٍ للمخاطَبين، والمسيَّرون في البرِّ والبحر مؤمنون وكفارٌ، والخطابُ شاملٌ فحَسُنَ خطابُهم بذلك ليستديم الصالحُ الشكرَ، ولعل الطالح يتذكَّرُ هذه النعمة فيرجع، فلمَّا ذُكرت حالةٌ آلَ الأمرُ في آخِرِها إلى أنَّ المُلْتَبِس بها هو باغٍ في الأرض بغير الحقِّ، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكونَ المؤمنون يخاطَبون بصدور مثلِ هذه الحالة التي آخِرُها البغيُ.

وقال ابن عطية: «بهم» خروجٌ من الحضور إلى الغيبة، وحَسُنَ ذلك لأنَّ قوله: «كنتم في الفلك» هو بالمعنى المعقول: حتى إذا حَصَل بعضُكُم في السفن[(٣)].

---

= والقِنَّسْري: الكبير المُسِنّ، ودوّاري: دائر، يقول: إن الدهر يتصرف بالإنسان ويدور به، فكيف تطرب وأنت كبير، يوبِّخه بذلك. ينظر ديوان العجاج ص٢٩٣، والمحتسب ١/ ٣١٠، والخصائص ٣/ ١٠٤.

(١) وعجزه: متى ما يُحكَّم فهو بالحق صادحُ. أمالي القالي ٢/ ١٤١، والمحتسب ١/ ٣١١، والخزانة ٢/ ١٧٦، والصلتان اسمه: قُثم بن خَبِيَّة، أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة، قال الآمدي: شاعر مشهور خبيث. الخزانة ٢/ ١٨١.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٣١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣.

انتهى، فكأنه قدَّر مفردًا غائبًا فعاد[1] الضميرُ عليه، فيَصِيرُ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ﴾ [النور: ٤٠] أي: أو كَذِي ظلماتٍ، فعاد الضميرُ غائبًا على اسمٍ غائبٍ، فلا يكون ذلك من باب الالتفات.

والباء في «بهم» و«بريحٍ» قال العُكْبُري: تتعلق الباءان بـ«جَرَين»[2]. انتهى.

والذي يظهرُ أن الباء في «بهم» متعلِّقةٌ بـ«جَرَيْنَ» تَعلُّقها بالمفعول، نحو: مررتُ بزيدٍ، وأنَّ الباء في «بريح» يجوز أن تكون للسبب، فاختلف المدلولُ في الباءين فجاز أن يتعلَّقا بفعلٍ واحدٍ، ويجوز أن تكون الباء للحال، أي: وجَرَيْنَ بهم ملتبِسةً بريحٍ طيّبة، فتتعلَّقُ بمحذوفٍ، كما تقول: جاء زيدٌ بثيابه، أي: مُلْتَبِسًا بها.

و«فرحوا بها» يحتملُ أن يكون معطوفًا على قوله: «وجَرَيْنَ بهم»، ويحتملُ أن يكون حالًا، أي: وقد فرحوا بها، كما احتمل قوله: «وجرين» أن يكون معطوفًا على «كنتم»، وأن يكون حالًا.

والظاهرُ أن قوله: «جاءتها ريحٌ عاصفٌ» هو جوابُ «إذا».

والظاهرُ عودُ الضمير في «جاءتها» على «الفُلْك»، لأنه هو المحدَّثُ عنه في قوله: «وجَرَيْن بهم»، وقاله مقاتلٌ.

وجوَّزوا أن يعود على الريح الطيبة؛ وقاله الفرَّاء[3]، وبدأ به الزمخشري[4].

ومعنى طِيْبِ الريحِ: لِيْنُ هبوبِها وكونُها موافِقةً.

وقرأ ابن أبي عبلة: «جاءتهم»[5].

ومعنى «من كلِّ مكان»: من أمكنةِ الموج، والظنُّ هنا على بابه الأصلي من ترجيح أحد الجائزَيْنِ، وقيل: معناها التيقُّنُ، ومعنى «أُحيطَ بهم»، أي: للهلاك كما يحيطُ العدوُّ بمن يريد إهلاكَه، وهي كنايةٌ عن استيلاءِ أسبابِ الهلاك.

---

(١) في (د١): يعاد.
(٢) لم أقف عليه في الإملاء.
(٣) جوَّزه الفراء وبدأ بالذي قبله. معاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٠.
(٤) في الكشاف ٢/ ٢٣١.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «حِيْطَ بهم» ثلاثيًا.

والجملةُ من قوله: «دعوا الله» قال أبو البقاء: هي جوابُ ما اشْتَمَلَ عليه المعنى من معنى الشرط، تقديره: لمَّا ظنُّوا أنهم أُحيطَ بهم دعوا الله[١]. انتهى. وهو كلامٌ لا يتحصَّلُ منه شيء.

وقال الطبري: جوابُ «حتى إذا كنتم في الفلك»: «جاءتها ريح عاصفٌ»، وجواب قوله: «وظنُّوا أنهم أُحيط بهم»: «دعوا الله»[٢]. انتهى، وهو مخالفٌ للظاهر، لأن قوله: «وظنُّوا» ظاهرُه العطفُ على جواب «إذا»، لا أنه معطوفٌ على «كنتم»، لكنه محتملٌ، كما تقول: إذا زارك فلانٌ فأكْرِمْه، وجاءك خالدٌ فأَحْسِنْ إليه، وكأنَّ أداة الشرط مذكورةٌ.

وقال الزمخشري: هي بدلٌ من «ظنوا» لأنَّ دعاءهم من لوازِم ظنِّهم الهلاكَ، فهو ملتبسٌ به[٣]. انتهى.

وكان أستاذُنا أبو جعفر بن الزبير يخرِّجُ هذه الآيةَ على غيرِ ما ذكروا، ويقول: هو جوابُ سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنه قيل: فما كان حالُهم إذ ذاك؟ فقيل: «دعوا الله مخلصين له الدين». انتهى.

ومعنى الإخلاص: إفرادُه بالدعاء من غير إشراكِ أصنامٍ ولا غيرِها؛ قال معناه ابنُ عباس وابنُ زيد.

وقال الحسن: مخلصين لا إخلاصَ إيمانٍ، لكن لأَجْلِ العلم بأنه لا يُنجيهم من ذلك إلَّا الله، فيكون ذلك جاريًا مجرى الإيمان الاضطراري[٤]. انتهى.

والاعترافُ بالله مركوزٌ في طبائع العالَم، وهم مجبولون على أنه هو المتصرِّفُ في الأشياء، ولذلك إذا حَقَّتِ الحقائقُ رجعوا كلُّهم إليه مؤمنهم وكافرهم.

«لئن أنجيتنا» ثَمَّ قسمٌ محذوفٌ، وذلك القسمُ وما بعده محكيٌّ بقولٍ، أي:

(١) لم أقف عليه في الإملاء.
(٢) تفسير الطبري ١٢/ ١٤٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٣١.
(٤) ذكر هذه الأقوال الرازي في تفسيره ١٧/ ٧٠.

قائلين، أو أُجْرِيَ «دَعَوا» مجرى: قالوا؛ لأنه نوعٌ من القول.

والإشارةُ بـ«هذه» إلى الشدائد التي هم فيها، وقال الكلبي: إلى الريح العاصف[(١)].

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قال ابن عباس: يبغون بالدعاء إلى عبادة غيرِ الله والعملِ بالمعاصي والفساد[(٢)].

قال الزمخشري: فإن قلتَ: ما معنى قوله: «بغير الحقِّ» والبغيُ لا يكون بحقٍّ؟ قلت: بلى، وهو استيلاءُ المسلمين على أرض الكفرة، وهدمُ دُوْرِهم، وإحراقُ زروعهم، وقطعُ أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببني قُرَيظة[(٣)]. انتهى.

وكان قد شرح قولَه: «يبغون» بأنهم يُفسدون ويَعيثون مُتراقين في ذلك مُمْعِنِينَ فيه، من بَغَى الجرح: إذا ترامَى للفساد[(٤)]. انتهى.

قال الزجَّاج: البغي: الترقِّي في الفساد، وقال الأصمعي: بغى الجرح: إذا ترقى إلى الفساد، وبغت المرأة: فَجَرَت[(٥)]. انتهى.

ولا يصح أن يقال في المسلمين: إنهم باغون على الكفرة، إلا إنْ ذُكر أنَّ أصل البغي هو الطلبُ مطلقًا، ولا يتضمَّنُ الفسادَ، فحينئذٍ ينقسمُ إلى: طلبٍ بحقٍّ، وطلبٍ بغيرِ حقٍّ.

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٧٥-٤٧٦.

(٢) زاد المسير ٤/ ٢٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٣٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤، وتفسير الرازي ١٧/ ٧١، وعنه نقل المصنف، ولفظ الزجاج: البغي: الترامي في الفساد، قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى...، وكذا في المصادر عن الأصمعي، ينظر غريب الحديث للحربي ٢/ ٦٠٦، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٦، وتهذيب اللغة ٨/ ٢١١، وزاد المسير ٤/ ٢٠، وفيها جميعاً: ترامى، ولعلها قريبة في المعنى من: ترقَّى.

ولمَّا حَمَلَ ابنُ عطيةَ البغيَ هنا على الفساد قال: أكَّد ذلك بقوله: «بغير الحق»[١].

وجواب «لمَّا» إذا الفجائيةُ وما بعدها، ومجيء «إذا» وما بعدها جوابًا لها دليلٌ على أنها حرفٌ يترتَّبُ ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعد «لما»، وأنها تُفيدُ الترتُّب والتعليق في المضيِّ، وأنها كما قال سيبويه ـ حرفٌ، ومذهبُ غيره أنها ظرفٌ[٢]، وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو[٣].

والجوابُ بـ«إذا» الفجائيةِ دليلٌ على أنه لم يتأخَّر بَغْيُهم عن إنجائهم، بل بنفسِ ما وقع الإنجاءُ وقع البغيُ.

والخطاب بـ«يا أيها الناس»؛ قال الجمهور: لأهل مكة. والذي يظهر أنه خطابٌ لأولئك الذين أنجاهم الله وبَغَوا، ويَحْتَمِلُ ـ كما قالوا ـ العمومَ، فيندرجُ أولئك فيهم.

وهذا ذمٌّ للبغي في أوجز لفظٍ، ومعنى «على أنفسكم»: وبالُ البغي عليكم ولا يجني ثمرتَه إلا أنتم، فقوله: «على أنفسكم» خبرٌ للمبتدأ الذي هو «بغيُكم»، فيتعلَّقُ بمحذوفٍ، وعلى هذا التوجيهِ انتصب «متاعَ» في قراءةِ زيد بن عليٍّ وحفصٍ وابن أبي إسحاق وهارون عن ابن كثير[٤] على أنه مصدرٌ في موضع الحال، أي: متمتِّعين، أو باقيًا على المصدرية، أي: تتمتَّعون به متاعَ، أو نصبًا على الظرف نحو: مَقْدَمَ الحاجِّ، أي: وقتَ متاعِ الحياة الدنيا، وكلُّ هذه التوجيهات منقولةٌ، والعاملُ في «متاعَ» إذا كان حالًا أو ظرفًا ما تعلَّق به خبرُ «بغيُكم»، أي: كائنٌ على أنفسكم، ولا ينتصبان بـ«بغيُكم» لأنه مصدرٌ قد فُصِلَ بينه وبين معموله بالخبر، وهو غيرُ جائزٍ.

وارتفع «متاعُ» في قراءة الجمهور على أنه خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣.

(٢) ينظر ما سلف في هذه السورة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾، وممن قال بظرفيتها ابن السراج في الأصول في النحو ٢/ ١٥٧ و٣/ ١٧٩، والفارسي في كتاب الشعر ١/ ٧٠ و٨٩.

(٣) ينظر الارتشاف ٤/ ١٨٩٦-١٨٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣، وقراءة حفص في السبعة ص٣٢٥، والتيسير ص١٢١.

وأجاز النحاسُ وتبعه الزمخشريُّ أن يكون «على أنفسكم» متعلِّقًا بقوله: «بغيُكم» كما تعلَّق في قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ويكون الخبر «متاع» إذا رفعتَه، ومعنى «على أنفسكم»: على أمثالِكم والذين جنسُكم جنسُهم، يعني: بغيُ بعضِكم على بعضٍ منفعةُ الحياة الدنيا[(١)].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق أيضًا: «متاعًا الحياةَ الدنيا» بنصب «متاع» وتنوينِه ونصبِ «الحياة»[(٢)].

وقال سفيان بن عيينة في هذه الجملة: تعجَّلُ لكم عقوبتُه في الحياة الدنيا[(٣)].

وقرأت فرقةٌ: «فينبِّئكم» بالياء على الغائب، والمراد الله تعالى[(٤)].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ مناسَبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها: أنه تعالى لمَّا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ ضرب مثلًا عجيبًا غريبًا للحياة الدنيا يذكِّر مَن يبغي فيها على سرعة زوالها وانقضائها، وأنها بحالِ ما تَغُرُّ[(٥)] وتَسُرُّ تضمحِلُّ ويَؤُول أمرُها إلى الفناء.

قال الزمخشري: هذا من التشبيه المركَّب، شُبهتْ حالُ الدنيا في سرعة تقضِّيها وانقراضِ نعيمها بعد الإقبال بحالِ نباتِ الأرض في جفافه وذهابِه حطامًا بعدما التفَّ وتكاثَفَ وزَيَّنَ الأرضَ بخضرته ورفيفه[(٦)]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٧٦. والمقصود من قوله: منفعة الحياة الدنيا، أنها لا تبقى ويبقى عقابها، وهو تفسير للمراد من «متاع الحياة الدنيا» فإن المتاع يطلق على ما لا بقاء له. ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٥/ ١٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤.

(٥) في (يه) والمطبوع: تعز.

(٦) الكشاف ٢/ ٢٣٣.

و«إنما» هنا ليست للحصر لا وضعًا ولا استعمالًا؛ لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالًا غيرَ هذا، والمثلُ هنا يحتمل أن يراد به الصفة، وأن يراد به القولُ السائرُ المشبَّهُ به حالُ الثاني بالأول، والظاهرُ تشبيهُ صفة الحياة الدنيا بماءٍ فيما يكون به ويترتَّب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع.

وقيل: شُبِّهت الحياةُ الدنيا بالنبات على تلك الأوصاف، فيكون التقدير: كنباتِ ماءٍ، فحُذف المضاف.

وقيل: شُبهت الحياةُ بحياةٍ مقدَّرةٍ على هذه الأوصاف، فيكونُ التقدير: كحياةِ قومٍ بماءٍ أنزلناه من السماء. قيل: ويقوِّي هذا قولُه: «وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها».

و«[من][1] السماء» إمَّا أن يراد: من السحاب، وإمَّا أن يراد: من جهة السماء.

والظاهرُ أن النبات اختلط بالماء، ومعنى الاختلاطِ: تَشَبُّثُه به وتَلَقُّفُه إياه وقبولُه له؛ لأنه يجري له مجرى الغذاء، فتكونُ الباءُ للمُصاحبة، وكلُّ مختلطَيْنِ يصحُّ في كلٍّ منهما أن يقال: اختَلَطَ بصاحبه، فلذلك فسَّره بعضُهم بقوله: خالَطَه الماءُ وداخَلَه فغذَّى كلَّ جزءٍ منه.

وقال الكرماني: فاختَلَطَ به اختلاطَ مجاوَرةٍ؛ لأنَّ الاختلاط تَدَاخُلُ الأشياءِ بعضِها في بعضٍ. انتهى.

ولا يَمتنِعُ اختلاطُ النبات بالماء على سبيل التداخُل، فلا تقولُ: إنه اختلاطُ مجاوَرةٍ.

وقيل: اختلط: اختَلَفَ وتَنوَّع بالماء. وينبو لفظُ «اختلط» عن هذا التفسير.

وقيل: معنى «اختلط»: تَرَكَّبَ.

وقيل: امتدَّ وطال.

وقال الزمخشري: فاشْتَبَكَ بسببه حتى خالَطَ بعضُه بعضًا[2].

---

(١) ما بين حاصرتين من النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ١٤٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٣٣.

وقال ابن عطية: وصلت فرقةٌ النباتَ بقوله: «فاختلط»، أي: اختلط النباتُ بعضُه ببعضٍ بسبب الماء[١]. انتهى.

وعلى هذه الأقوالِ الباءُ في «به»[٢] للسببية.

وأَبْعَدَ مَنَ ذهب إلى أنَّ الفاعل في قوله: «فاختلط» هو ضميرٌ يعود على الماء، أي: فاختلط الماءُ بالأرض، ويقفُ هذا الذاهبُ على قوله: «فاختلط»، ويستأنفُ به «نباتُ الأرض» على الابتداء والخبر المقدَّم؛ قال ابن عطية: يحتمل على هذا أن يعود الضميرُ في «به» على الماء، وعلى الاختلاط الذي تضمَّنه الفعلُ[٣]. انتهى.

والوقفُ على قوله: «فاختلط» لا يجوزُ، وخاصةً في القرآن؛ لأنه تفكيكٌ للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيحِ اللفظ، وذهابٌ إلى اللُّغزِ والتعقيدِ والمعنى الضعيفِ، ألا ترى أنه لو صرَّح بإظهار الاسم الذي الضميرُ في «به» كنايةٌ عنه، فقيل: بالاختلاط نباتُ الأرض، أو: بالماء نباتُ الأرض، لم يَكَدْ ينعقدُ كلامًا من مبتدأ وخبرٍ؛ لضعف هذا الإسناد وقُرْبِه من عدم الإفادة، ولولا أنَّ ابنَ عطية ذكره وخرَّجه على ما ذكرناه عنه لم نذكره في كتابنا.

ولمَّا كان النباتُ ينقسم إلى مأكولٍ وغيرِه، بيَّن أن المراد أحدُ القسمين بـ«مِن»، فقال: «ممَّا يأكل الناسُ» كالحبوب والثمار والبقول «والأنعامُ» كالحشيش وسائرِ ما يُرْعَى.

قال الحوفي: «من» متعلِّقة بـ«اختلط». وقال أبو البقاء: «ممَّا يأكل» حالٌ من النبات[٤]. فاقْتَضَى قولُ أبي البقاء أن يكون العاملُ في الحال محذوفًا؛ لأنَّ المجرور والظرفَ إذا وقَعَا حالين كان العاملُ محذوفًا، وقولُ أبي البقاء هو الظاهرُ، وتقديره: كائنًا ممَّا يأكلُ.

و«حتى» غايةٌ، فيحتاج أن يكون الفعلُ الذي قبلها متطاوِلًا حتى تصحَّ الغايةُ،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤.
(٢) في النسخ: بماء، وهو سبق قلم من المصنف رحمه الله، وينظر الدر المصون ٦/ ١٧٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤.
(٤) الإملاء ٢/ ٢٧.

فإمّا أن يقدَّر قبلها محذوفٌ، أي: فما زال ينمو حتى إذا، أو يُتجوَّزَ في «فاختلط»، ويكون معناه: فدام اختلاطُ النباتِ بالماء حتى إذا.

وقولُه: «أخذت الأرضُ زُخْرُفَها وازَّيَّنتْ» جملةٌ بديعةُ اللفظ، جُعلت الأرضُ آخِذةً زُخْرُفَها متزيِّنةً، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثيابَ الفاخرة من كلِّ لونٍ فاكتست وتزيَّنَتْ بأنواع الحليّ، فاستُعير الأخذُ ـ وهو التناوُلُ باليد ـ لاشتمال نبات الأرض على بهجةٍ ونضارةٍ وألوانٍ مختلفةٍ، واستُعير لتلك البهجةِ والنضارةِ والألوانِ المختلفة لفظةُ الزُّخرف، وهو الذهبُ، لمَّا كان من الأشياء البَهِجةِ المنظر السارَّةِ للنفوس.

«وازَّيَّنت»، أي: بنباتها وما أُودع فيه من الحبوب والثمار والأزهار، ويَحْتَمِلُ أن يكون قولُه: «وازَّينت» تأكيدًا لقوله: «أخذت الأرضُ زخرفها»، ويحتمل[1] أن لا يكون تأكيدًا؛ إذ قد يكونُ أخذُ الزخرف لا لقصدِ التزيين، فقيل: «وازَّينتْ» ليفيد أنها قصدت التزيين. ونسبةُ الأخذِ إلى الأرض والتزيين من بديع الاستعارة.

وقرأ الجمهور: «وازَّيَّنتْ»، وأصلُه: وتزيَّنَتْ، فأُدغمت التاءُ في الزاي، فاجْتُلبت همزةُ الوصل لضرورةِ تسكين الزاي عند الإدغام.

وقرأ أُبيٌّ وعبد الله وزيد بن علي والأعمشُ: «وتَزَيَّنتْ» على وزن تَفَعَّلَتْ[2].

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عبد الرحمن وابنُ يعمر والحسنُ والشعبي وأبو العالية وقتادةُ ونصر بنُ عاصمٍ وابنُ هُرْمُزٍ وعيسى الثَّقَفي: «وأَزْيَنَتْ» على وزن أَفْعَلَتْ[3]، كـ: أَحْصَدَ الزرعُ، أي: حضرت زينتُها وحانت، وصحت الياءُ فيه على جهة النُّدور، كـ: أَغْيَلَت المرأةُ[4]، والقياسُ: وأَزَانَتْ، كقولك: وأَبانَتْ.

---

(١) في النسخ عدا (يه): واحتمل، والمثبت من (يه).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤، ولم يذكر زيد بن علي.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٥٦، والمحتسب ١/ ٣١١، والمحرر ٣/ ١١٤، وزاد المسير ٤/ ٢١، وليس في هذه المصادر ذكر ابن هرمز.
(٤) أي: سقت ولدها الغَيل، وهو اللبن تُرضعه ولدها وهي حامل. القاموس (غيل).

وقرأ أبو عثمان النهديُّ بهمزةٍ مفتوحةٍ بوزن: افْعَألَّتْ، قاله عنه صاحبُ «اللوامح»[(١)]، قال: كأنه كانت في الوزن بوزن: احْمارَّتْ، لكنهم كرهوا الجمعَ بين ساكنَيْن فحُرِّكت الألف فانقلبت همزةً مفتوحةً[(٢)]، ونَسب ابنُ عطيةَ هذه القراءةَ لفرقةٍ، فقال: وقرأت فرقةٌ: «وازْيَأَنَّتْ»، وهي لغةٌ، منها قولُ الشاعر:

إذا ما الهَوَادي بالعَبِيطِ احمأرَّتِ[(٣)]

وقرأ أشياخُ عوف بن أبي جميلةَ: «وازْيَانَّتْ» بنونٍ مشدَّدةٍ وألفٍ ساكنةٍ قبلها[(٤)]، قال ابن عطية: وهي قراءةُ أبي عثمان النهديِّ[(٥)].

وقرأت فرقة: «وازَّايَنَتْ»[(٦)]، والأصل: وتَزَايَنَتْ فأدغم.

والظنُّ هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزَيْن، وقيل: بمعنى: أيْقَنوا، وليس بسديدٍ.

ومعنى القدرةِ عليها: التمكُّنُ من تحصيلها ومنفعَتِها ورفعِ غلَّتها، وذلك لحُسْن نموِّها وسلامتِها من العاهات. والضميرُ في «أهلها» عائدٌ على «الأرض»، وهو على حذف مضافٍ، أي: أهلُ نباتها، وقيل: الضمير عائد على الغَلَّة. وقيل: على الزينة. وهو ضعيفٌ.

وجواب «إذا» قولُه: «أتاها أمرُنا» كالريح والصرِّ والسَّموم، وغيرِ ذلك من الآفات كالفأر والجراد، وقيل: أتاها أمرُنا بإهلاكها.

---

(١) وقاله عنه أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٦، وابن جني في المحتسب ١/ ٣١١.

(٢) هذا التأويل عند ابن جني في المحتسب ١/ ٣١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤، وهذا عجز بيت ذكره ابن جني في المحتسب ١/ ٤٧، والخصائص ٣/ ١٢٦، وعزاه لكثير، وفيهما: إذا ما العوالي...، قلت: ما ورد في ديوان كثير هو من قصيدة في مدح عبد العزيز بن مروان:

وأنت ابنَ ليلى خيرُ قومك مشهدًا ... إذا ما احمارَّتْ بالعَبيط العوامِلُ

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥١، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٤. وعوف بن أبي جميلة هو أبو سهل البصري الحافظ، روى عن أبي العالية وابن سيرين وغيرهما، توفي سنة (١٤٦هـ). السير ٦/ ٣٨٣.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١١٤.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥١، والمحرر ٣/ ١١٤.

وأبهم في قوله: «ليلًا أو نهارًا» وقد عَلِمَ تعالى متى يأتيها أمرُه، أو تكونُ «أو» للتنويع؛ لأنَّ بعض الأرض يأتيها أمرُه تعالى ليلًا وبعضَها نهارًا، ولا يخرجُ كائنٌ عن وقوعه فيهما.

والحصيد: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، أي: المحصود، ولم يؤنَّث كما لم تؤنَّث: امرأةٌ جَرِيحٌ، وقال أبو عبيدة: الحصيد المستأصَل[(١)]. انتهى.

وعبَّر بـ«حصيد» عن التالف استعارةً، جَعَلَ ما هلك من الزرع بالآفة قبلَ أوانه حصيدًا؛ لعلاقةِ مَا بينهما من الطرح على الأرض.

وقيل: يجوز أن تكون تشبيهًا بغير الأداة، والتقدير: فجعلناها كالحصيد.

وقوله: «كأنْ لم تَغْنَ بالأمس» مبالغةٌ في التلف والهلاك، حتى كأنها لم توجد قبلُ، ولم تَقُمْ بالأرض بَهِجَةً خَضِرةً نَضِرةً تَسُرُّ أهلها.

وقرأ الحسن وقتادة: «كأنْ لم يَغْنَ» بالياء على التذكير[(٢)]؛ فقيل: عائدٌ على المضاف المحذوفِ الذي هو الزرعُ، حُذِفَ وقامت هاء التأنيث مقامه في قوله: «عليها» وفي قوله: «أتاها... فجعلناها». وقيل: عائدٌ على الزُّخرف. والأَوْلَى عَوْدُه على الحصيد، أي: كأن لم يَغْنَ الحصيدُ.

وكان مروان بن الحكم يقرأ على المنبر: «كأنْ لم تتغنَّ» بتاءين مثل تتفعَّل[(٣)]، وقال الأعشى:

طَويلُ الثَّوَاءِ طَويلُ التَّغَنِّي[(٤)]

وهو من غَنِيَ بكذا: أقام به.

قال الزمخشريُّ: «والأمس» مَثَلٌ في الوقت [القريب] كأنه قيل: كأنْ لم تَغْنَ آنفًا[(٥)]. انتهى.

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٧٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٥، وينظر القراءات الشاذة ص٥٦.

(٣) المحتسب ١/ ٣١٢، والمحرر ٣/ ١١٥، والكشاف ٢/ ٢٣٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٣٣، وهو في ديوان الأعشى ص٧٥ برواية:

وكنت امرأً زمنًا بالعراق عفيف المناخ طويل التَّغَنّ

(٥) الكشاف ٢/ ٢٣٣، وما بين حاصرتين منه.

وليس الأمسُ عبارةً عن مطلق الوقت، ولا هو مرادفٌ لقوله: آنفًا؛ لأنَّ آنفًا معناه: الساعة، والمعنى: كأنْ لم يكن لها وجودٌ فيما مضى من الزمان، ولو أنَّ قائلًا قال في غير القرآن: كأنْ لم يكن لها وجودٌ الساعةَ، لم يَصِحَّ هذا المعنى؛ لأنه لا وجودَ لها الساعةَ فكيف تُشبَّه وهي لا وجود لها حقيقةً بما لا وجود لها حقيقة، إنما يشبَّه ما انتفَى وجودُه الآن بما قدِّر انتفاءُ وجودِه في الزمان الماضي لسرعة انتقاله من حالةِ الوجود إلى حالة العدم، فكأنَّ حالةَ الوجود ما سَبَقَتْ له.

وفي مصحف أبيٍّ: «كأنْ لم تَغْنَ بالأمس وما كنَّا لنُهلكها إلَّا بذنوب أهلها كذلك نفصِّلُ الآيات» رواها عنه ابن عباس، وقيل: في مصحفه: «وما كان الله ليُهلكها إلَّا بذنوب أهلها»[1].

وفي «التحرير»: وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن يقرأ في قراءة أبيٍّ: «كأنْ لم تَغْنَ بالأمس وما أهلكناها إلَّا بذنوب أهلها» ولا يَحْسُنُ أن يقرأ أحدٌ بهذه القراءةِ لأنها مخالِفةٌ لخطِّ المصحف الذي أجمع عليه الصحابةُ والتابعون. انتهى.

«كذلك نفصِّل الآيات لقوم يتفكَّرون» أي: مِثْلَ هذا التفصيلِ الذي فصَّلناه في الماضي نفصِّل في المستقبل، وقرأ أبو الدرداء: «لقوم يتذكَّرون» بالذال بدل الفاء[2].

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٢٥﴾ لـمَّا ذكر مَثَلَ الحياة الدنيا، وما تَؤُولُ إليه من الفناء والاضمحلال، وما تضمنته من الآفات والعاهات، ذكر تعالى أنه داعٍ إلى دار السلامة والصحة والأمن، وهي الجنةُ، إذ أهلُها سالمون من كلِّ مكروهٍ، ويجوز أن يكون تعالى أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريفِ، كما قيل: بيت الله، ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] ويجوز أن تكون مضافةً إلى السلامة بمعنى التسليم؛ لفشوِّ ذلك بينهم، ولتسليم الملائكة عليهم، كما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوٗا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة: ٢٥ ٢٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٥.

(٢) المصدر السابق.

قال الحسن: إنَّ السلام لا ينقطعُ عن أهل الجنة وهو تحيتُهم، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣][(١)].

وقد وردت في دعوةِ اللهِ عبادَه أحاديثُ[(٢)]، وقال قتادة: ذُكر لنا أنَّ في التوراة مكتوبًا: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشرّ انْتهِ[(٣)].

ولمَّا كان الدعاء عامًّا لم يتقيَّدْ بالمشيئة، ولمَّا كانت الهدايةُ خاصةً تقيَّدتْ بالمشيئة فقال: «ويهدي مَن يشاء».

وقال الزمخشري: «ويهدي» يوفِّقُ «مَن يشاء» وهم الذين عَلم أنَّ اللُّطف يُجْدي عليهم؛ لأنَّ مشيئته تابعةٌ لحكمته[(٤)].

❁ ❁ ❁

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ
عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا
كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٨١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٨٠.

(٢) ينظر حديث جابر بن عبد الله ﷺ في صحيح البخاري (٧٢٨١)، وتفسير الطبري ١٢/ ١٥٥، وحديث أبي الدرداء ﷺ عند أحمد (٢١٧٢١)، وابن حبان (٣٣٢٩)، والطبري ١٢/ ١٥٥.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ١٥٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٢٣.

يَهِدِّيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا
يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن
رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ
بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ
أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا
يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا
يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ
قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى
ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾
هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى
ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ
أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟
مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن
رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ

مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

المفردات

رَهِقَه: غَشِيَه، وقيل: لَحِقَه، ومنه: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] ورجلٌ مُرَهَّقٌ: يغشاه الأضياف. وقال الأزهري: الرَّهَقُ اسمٌ من الإرهاق، وهو أن يَحْمِلَ الإنسانُ على نفسه ما لا يُطيقُ[(١)]، يقال: أرهَقْتُه أن يصلِّي: إذا أعجلْتَه عن الصلاة[(٢)].

وقيل: أصل الرَّهَق: المُقارَبةُ، يقال: غلامٌ مُراهِقٌ، أي: قارَبَ الحُلم، وفي الحديث: «ارْهَقوا القِبْلة»[(٣)]، أي: ادْنُوا منها، ويقال: رَهِقَتِ الكلابُ الصيدَ: إذا لَحِقَتْه. وأرهَقْنا الصلاة: أخَّرناها حتى تدنوَ من الأخرى.

القَتَر والقَتَرةُ: الغبارُ الذي معه سوادٌ، وقال ابن عرفة: الغبارُ، وقال الفرزدق:

---

(١) تهذيب اللغة ٥/٣٩٩، ولفظه: ... أن يُحْمَل عليه ما لا يطيقه.

(٢) اللسان (رهق)، وفيه: ... أعجلْتَه الصلاةَ، وفيه أيضاً: أرهقني القوم أن أصلي، أي: أعجلوني. فزيادة كلمة «عن» عند المصنف فيها نظر.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٣٨٧)، والعقيلي في الضعفاء ٤/١٩٦ من حديث عائشة ﵂، وفي إسناده مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، قال عنه الحافظ في التقريب: لين الحديث. وروى العقيلي عن أحمد قال: أراه ضعيف الحديث، وعن يحيى: مدني ليس بشيء. ثم قال العقيلي: لا يُعرف إلا به، وقد روي بغير هذا الإسناد اللفظ في معناه من طريق أصلح من هذا، رواه سهل بن أبي حَثْمةَ أن النبي ﷺ قال: «مَن صلى إلى سترة فليَدْنُ منها» وهذا ثابت. اهـ. قلت: أخرجه أحمد (١٦٠٩٠)، وأبو داود (٦٩٥)، والنسائي ٢/٦٢.

مـتـوَّجٌ بـرداء الـمُـلْـكِ يـتـبـعُـه مـوجٌ تَرَى فوقَه الراياتِ والقَتَرا[(١)]

أي: غبار العسكر.

وقال ابن بحر: أصل القَتَر: دخانُ النار، ومنه: قُتَار القِدْر[(٢)]. انتهى.

ويقال: القَتْر بسكون التاء.

الشأن: الأمر، وجمعه: شُؤون، وأصلُه الهمزُ بمعنى القَصْدِ من شَأَنْتُ شَأْنَه: إذا قَصَدْتَ قَصْدَه.

عَزَبَ يَعْزِبُ ويَعْزُبُ بكسرِ الزاي وضمِّها: غاب حتى خَفيَ، ومنه: الروضُ العازب، وقال أبو تمام:

وقَلْقَلَ نأيٌ من خراسانَ جَأْشَها فقلتُ اطمئنِّي أَنْضَرُ الروضِ عازِبُهْ[(٣)]

وقيل للغائب عن أهل: عازِبٌ، حتى قالوه لمن لا زوجة له.

* * *

التفسير ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ «أحْسَنوا» قال ابن عباس: ذكروا كلمة «لا إله إلَّا الله»[(٤)].

وقال الأَصَمُّ: أَحْسَنوا في كلِّ ما تعبَّدوا به، أي: أَتَوا بالمأمور به كما ينبغي، واجتنبوا المنهيَّ[(٥)].

وقيل: أحسنوا معاملةَ الناس.

ورَوَى أنس عن رسول الله ﷺ: «أحْسِنوا العملَ في الدنيا»[(٦)].

---

(١) ديوان الفرزدق ١/ ٢٣٤، وتفسير الطبري ١٢/ ١٦٥، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٦، والصحاح واللسان (قتر). ورواية الديوان: مُعْتَصب برداء...

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٣٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٨٥، وعنه نقل المصنف.

(٣) ديوان أبي تمام ١/ ٢٢٠. العازب: البعيد، والمعنى: أحزنها بُعدي، فقلت: اسكُني فإن الروض أنضرُه ما بَعُد. قاله شارح الديوان.

(٤) تفسير الرازي ١٧/ ٧٧، وأخرجه الطبري ١٢/ ١٦٤ بلفظ: شهدوا أنْ لا إله إلا الله.

(٥) تفسير الرازي ١٧/ ٧٧.

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١١٧٣، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٧٩)،

وفي الصحيح: ما الإحسان؟ قال: «أنْ تعبدَ الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك»[(١)].

وعن عيسى عليه السلام: ليس الإحسانُ أن تُحْسِنَ إلى مَن أَحْسَن إليك؛ ذلك مكافأةٌ، ولكنَّ الإحسانَ أنْ تُحْسِنَ إلى مَن أساء إليك[(٢)].

و«الحسنى» قال الأكثرون: هي الجنة. ورُوي ذلك عن الرسول ﷺ، ولو صحَّ وَجَبَ المصيرُ إليه[(٣)].

وقال الطبري: «الحسنى» عامٌّ في كلِّ حَسَنٍ، فهو يعمُّ جميعَ ما قيل، وَوَعَد الله في جميعها بالزيادة، ويؤيِّد ذلك أيضًا قوله: «أولئك أصحاب الجنة» ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير في المعنى[(٤)].

وقال عبد الرحمن بن سابط: هي النضرة[(٥)].

وقال ابن زيد: الجزاء في الآخرة[(٦)].

---

= والذهبي في السير ٢٢/ ١١٣ من طريق سلم بن سالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابت، عن أنس به. قال الذهبي: نوح تالف وسَلْم ضعَّفوه.

(١) قطعة من حديث جبريل الطويل، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٧/ ٤٣٦ عن الشعبي يرويه عن عيسى عليه السلام.

(٣) رويت في ذلك أحاديث كلُّها ضعيفة، ينظر حديث أبي موسى الأشعري وأبي بن كعب رضي الله عنهما في تفسير الطبري ١٢/ ١٥٨ و١٦٢، وشرح أصول الاعتقاد (٧٨٠) و(٨٨٢). وورد ذلك أيضاً في حديث أنس رضي الله عنه، وقد سلف تخريجه والكلام عليه قبل تعليقين، وإسناده ضعيف جدًّا كما ذكرنا.

(٤) نقله المصنف عن الطبري بواسطة ابن عطية في المحرر ٣/ ١١٦، ولم أقف عليه في تفسير الطبري، بل ظاهر كلامه يخالفه، حيث قال ١٢/ ١٦٤: وأَوْلَى الأقوالِ في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحُسنى؛ أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة... إلخ.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١٦١-١٦٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥. وهو في زاد المسير ٤/ ٢٤، ووقع في مطبوعه: النصرة.

(٦) زاد المسير ٤/ ٢٤، وأخرج الطبري ١٢/ ١٦٤ عنه قول: «الحسنى»: الجنة...

وقيل: الأمنية. ذكره ابن الأنباري[(١)].

وقال الزمخشري[(٢)]: المثوبةُ الحُسْنَى، «وزيادة»: وما يزيد على المثوبة وهو التفضُّل، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] وعن عليٍّ: الزيادةُ غرفةٌ من لؤلؤة واحدة[(٣)]. وعن ابن عباس: «الحسنى»: الحسنةُ، والزيادة عشرةُ أمثالها[(٤)]. وعن الحسن: عشرة أمثالها إلى سبع مئة[(٥)]. وعن مجاهد: الزيادة: مغفرة من الله ورضوان[(٦)]. وعن يزيد[(٧)] بن شجرة: الزيادة: أن تمرَّ السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أُمْطِرَكم؟ فلا يريدون شيئًا إلا أمطرتهم. وزعمت المشبِّهةُ والمُجْبِرةُ أنَّ الزيادة: النظرُ إلى وجه الله تعالى، وجاءت بحديثٍ موضوع[(٨)]: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ نُودوا: يا أهل الجنة، فيَكْشِفون الحجابَ فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله تعالى شيئًا هو أحب إليهم منه». انتهى.

أمَّا تفسيرُه أولًا ونَقْلُه عمَّن ذَكَر تفسير الزيادة فهو نصُّ الجبائي ونَقْلُه[(٩)].

وأمَّا قولُه: وجاءت بحديثٍ موضوع، فليس بموضوعٍ، بل خرَّجه مسلم في

---

(١) زاد المسير ٤/ ٢٤.

(٢) في الكشاف ٢/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٥٨ - تفسير)، والطبري ١٢/ ١٦٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥ من طريق الحكم بن عتيبة عن علي ﷺ، وإسناده ضعيف للانقطاع بين الحكم بن عتيبة وعلي ﷺ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٤: لا يصح.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ١٦٣، وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١٦٣.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ١٦٣-١٦٤.

(٧) في النسخ: زياد، وهو خطأ. ويزيد بن شجرة هو أبو شجرة الرَّهاوي (نسبة إلى رها بطن من مذحج) الشامي، يقال: له صحبة، وكان أمير الجيش في غزو الروم، توفي سنة (٥٨هـ). السير ٩/ ١٠٦. وقوله ذكره بالإضافة إلى الكشاف الثعلبي ٣/ ٢٨٣، والقرطبي ١٠/ ٤٨٤.

(٨) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف: مرفوع، وكلاهما تصحيف، والصواب: مرقوع بالقاف، كما قيَّدها الشهاب في حاشيته على البيضاوي ٥/ ٢٢، والآلوسي ١١/ ١٠٣.

(٩) تفسير الرازي ١٧/ ٧٨.

«صحيحه» عن صهيبٍ، والنسائيُّ عنه، عن الرسول ﷺ[١]. وخرَّجه ابن المبارك في «رقائقه» موقوفًا على أبي موسى[٢].

وقال بأنَّ الزيادة هي النظرُ إلى الله تعالى أبو بكر الصدِّيق، وعلي بن أبي طالب في روايةٍ، وحذيفةُ، وعبادةُ بن الصامت، وكعب بن عُجْرةَ، وأبو موسى، وصهيب، وابنُ عباس في روايةٍ، وهو قولُ جماعةٍ من التابعين[٣].

ومسألةُ الرؤية يُبْحَثُ فيها في أصول الدين.

قال مجاهد: أراد: ولا يلحقُها خزيٌ، والخزيُ يتغيَّر به الوجهُ ويسودُّ. قال ابن عباس: والذلةُ: الكآبة. وقال غيره: الهوان. وقيل: الخيبةُ[٤].

نفَى عن المحسنين ما أثبت للكفار من قوله: «وتَرْهقُهم ذلَّة»، وقوله: ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١] وكَنَى بالوجه عن الجملة لكونه أشرفَها، ولظهورِ أثر السرور والحزن فيه.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر والأعمش: «قَتْر» بسكون التاء[٥]، وهي لغةٌ كالقَدَر والقَدْر.

وجُعلوا أصحاب الجنة لتصرُّفهم فيها كما يتصرَّف المُلَّاك على حسب اختيارهم.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ لـمَّا ذكر ما أَعَدَّ للَّذين أحسنوا، وحالَهم يوم القيامة، ومآلَهم إلى الجنة، ذَكَر ما أعدَّ

---

(١) صحيح مسلم (١٨١): (٢٩٧) (٢٩٨)، وسنن النسائي الكبرى (١١١٧٠).
(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (٤١٩ ـ زيادات نعيم بن حماد). وكلمة رقائقه، تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: دقائقه.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ١٥٦-١٦١، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، وشرح أصول الاعتقاد ٣/ ٥٠٤-٥١٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٨٢، وعنه نقل المصنف.
(٤) ينظر النكت والعيون ٢/ ٤٣٣، وزاد المسير ٤/ ٢٥، والثالث عزاه ابن الجوزي لأبي سليمان الدمشقي.
(٥) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٦ وعنه نقل المصنف.

لأضدادهم وحالَهم ومآلَهم، وجاءت صلةُ المؤمنين «أَحْسَنوا» وصلةُ الكافرين «كسبوا السيئات» تنبيهًا على أنَّ المؤمن لمَّا خُلِقَ على الفطرة واصَلَها بالإحسان، وعلى أنَّ الكافر لمَّا خُلِقَ على الفطرة انتقل عنها وكَسَبَ السيئات، فجعلَ ذلك مُحْسِنًا وهذا كاسِبًا للسيئات ليدلَّ على أنَّ المؤمن سلك ما ينبغي وهذا سلك ما لا ينبغي.

والظاهرُ أنَّ «والذين» مبتدأٌ، وجوَّزوا في الخبر وجوهًا:

أحدها: أنه الجملةُ التي بعده، وهي «جزاءُ سيئةٍ بِمثْلِها»، و«جزاء» مبتدأٌ؛ فقيل: خبره مثبَتٌ وهو «بمثلها»، واختلفوا في الباء؛ فقيل: زائدة، قاله ابن كيسان[١]، أي: جزاءُ سيئة مثلُها، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] كما زيدت في الخبر في قوله:

فـمَـنْـعُـكَـهـا بـشـيءٍ يُـسـتـطـاعُ[٢]

أي: شيءٌ يستطاع.

وقيل: ليست بزائدةٍ، والتقدير: مقدَّرٌ بمثلها، أو مستقرٌّ بمثلها.

وقيل: محذوف؛ فقدَّره الحَوْفي: لهم جزاءُ سيئة، قال: ودلَّ على تقدير «لهم» قولُه: «للذين أحسنوا الحسنى» حتى تُشاكِلَ هذه بهذه. وقدَّره أبو البقاء: جزاءُ سيئةٍ بمثلها واقعٌ[٣]. والباءُ في قولَيْهما متعلِّقةٌ بقوله: «جزاء».

---

(١) كما في تفسير القرطبي ١٠/٤٨٦، وقاله أيضاً أبو الحسن الأخفش في معاني القرآن ٢/٥٦٧، وأجازه أبو البقاء في الإملاء ٢/٢٧، ونقله عن الأخفش ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/١٣٨ وأنه استدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ ثم قال: وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح. اهـ. ومع ذلك فقد ذكر ابن هشام في المغني ص٥١٢ عن هذا القول بعد نقله عن الأخفش وابن كيسان أنه مردود عند الجمهور.

(٢) البيت لعُبيدة بن ربيعة بن قُحفان من بني عمرو بن تميم كما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ص٤٨، والخزانة ٥/٢٩٧-٣٠١، وعزاه أبو تمام في الحماسة (بشرح المرزوقي) ١/٢٠٩ لرجل من بني تميم، وكان قد طلب منه ملك من ملوك الفرس فرساً له يقال له: سَكابِ، فمنعه إياها وقال أبياتاً منها هذا البيت، وصدره: فلا تطمع أبَيْتَ اللعن فيها، وجاء في المصادر: ومَنْعُكها. بالواو. ورواية الحماسة والخيل: بوجه، بدل: بشيء.

(٣) الإملاء ٢/٢٧.

والعائدُ من هذه الجملة الواقعة خبرًا عن «الذين» محذوفٌ تقديره: جزاءُ سيئةٍ منهم، كما حُذف في قولهم: السَّمْنُ مَنَوانِ[١] بدرهمٍ، أي: مَنَوان منه بدرهم، وعلى تقدير الحوفي: لهم جزاء، يكون الرابط: لهم.

الثاني: أن الخبر قولُه: «ما لهم من الله من عاصمٍ»، ويكون قد فَصَلَ بين المبتدأ والخبر بجملتين على سبيل الاعتراض، ولا يَجوزُ ذلك عند أبي عليٍّ الفارسيِّ، والصحيحُ جوازُه[٢].

الثالث: أن يكون الخبر «كأنما أُغشيت وجوهُهم قطعًا من الليلِ مظلمًا».

الرابع: أن يكون الخبر «أولئك» وما بعده. فيكون في هذا القول فُصِلَ بين المبتدأ والخبر بأربع جملٍ معترضةٍ، وفي القول الثالث بثلاثِ جملٍ، والصحيح منعُ الاعتراض بثلاثِ الجمل وبأربع الجمل.

وأجاز ابنُ عطية أن يكون «الذين» في موضع جرٍّ عطفًا على قوله: «للذين أحسنوا»، ويكون «جزاءُ» مبتدأً خبرُه قوله: «والذين» على إسقاط حرفِ الجر، أي: ولِلَّذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئةٍ بمثلها[٣]، فيتعادلُ التقسيم، كما تقول: في الدار زيدٌ والقصرِ عمرٌو، أي: وفي القصر عمرو، وهذا التركيبُ مسموعٌ من لسان العرب، فخرَّجه الأخفشُ على أنه من العطف على عاملين[٤]، وخرَّجه الجمهورُ على أنه ممَّا حُذف منه حرفُ الجر، وجرُّه بذلك الحرفِ المحذوفِ لا بالعطف على المجرور، وهي مسألةُ خلافٍ وتفصيلٍ يُتكلَّم فيها[٥] في علم النحو.

والظاهرُ أن «السيئات» هنا هي سيئاتُ الكفر، ويدلُّ عليه ذِكْرُ أوصافهم بعدُ.

وقيل: «السيئات»: المعاصي، فيندرجُ فيها الكفرُ وغيرُه، ولهذا قال ابنُ عطية:

---

(١) مثنَّى «مَنَا»، وهو الكيل، أو الميزان الذي يوزن به. اللسان (منا).
(٢) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩].
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٣٤.
(٥) في (ح): عليها.

وتعمُّ «السيئات» هاهنا الكفرَ والمعاصيَ، فمِثْلُ سيئةِ الكفر التخليدُ في النار، ومِثْلُ سيِّئةِ المعاصي مصروفٌ إلى مشيئة الله تعالى[١].

ومعنى «بِمثْلِها»، أي: لا يُزاد عليها، قال الزمخشري: وفي هذا دليلٌ على أنَّ المراد بالزيادة الفضلُ؛ لأنه دلَّ بترك الزيادة على السيِّئة على عَدْلِه، ودلَّ بإثبات الزيادة على المثوبة على فَضْلِه[٢]. انتهى.

وقيل: معنى «بمثلها»، أي: بما يليقُ بها من العقوبات، فالعقوباتُ تترتَّب على قَدْرِ السيئات، ولهذا كانت جهنمُ دركاتٍ، وكان المنافقون في الدَّرْكِ الأسفل لقُبْحِ معصيتهم.

وقُرئ: «يرهقهم» بالياء[٣]؛ لأنَّ تأنيث الذِّلَّةِ مَجازٌ.

وفي وصف المؤمنين[٤] نفيُ القَتَر والذِّلةِ عن وجوههم، وهنا غَشِيَتْهم الذلَّة، وبُولغ فيما يقابِلُ القَتَر، فقيل: «كأنَّما أُغْشِيَتْ وجوهُهم قِطَعًا من اللَّيلِ مُظْلِمًا» وهذه مبالَغةٌ في سواد الوجوه، وقد جاء مصرَّحًا في قوله: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

«من الله» أي: من سَخَطه وعذابه، أو: من جهته تعالى ومِن عندِه مَن يَعْصِمُهم كما يكون للمؤمنين، و«أُغشيت»: كُسِيَتْ، ومنه: الغشاءُ.

وكونُ وجوهِهم مُسْوَدَّةً هو حقيقةٌ لا مجازٌ، فتكونُ ألوانُهم مسودَّةً.

قال أبو عبد الله الرازي[٥]: واعْلَم أنَّ حكماء الإسلام قالوا: المرادُ من هذا السَّواد ههنا سوادُ الجهل وظلمةُ الضلال؛ فإنَّ الجهل طَبْعُه[٦] طبعُ الظُّلمة، فقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩] المراد منه نورُ العلم ورَوْحُه

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٣٤.
(٣) القراءات الشاذة ص٥٧.
(٤) في المطبوع: المنافقين، وهو تحريف شنيع.
(٥) في تفسيره ١٧/ ٨٠.
(٦) في تفسير الرازي: فإن العلم طبعه طبع النور والجهل طبعه...

وبِشْرُه وبِشارتُه ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١] المرادُ منه ظلمةُ الجهل وكُدورةُ الضلالة. انتهى.

وكثيرًا ما ينقلُ هذا الرجلُ عن حكماء الإسلام في التفسير، وينقلُ كلامَهم تارةً منسوبًا إليهم وتارةً مستبِدًّا به، ويعني بحكماء الإسلام الفلاسفةُ الذين خُلقوا في مدَّة[1] الملَّة الإسلامية، وهم أحقُّ بأنْ يسمَّوا سُفَهاءَ جُهَلاءَ من أن يسمَّوا حكماءَ، إذ هم أعداءُ الأنبياء عليهم السلام، والمحرِّفون للشريعة الإسلامية، وهم أضرُّ على المسلمين من اليهود والنصارى.

ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ رأى مع عمر بن الخطاب ﷺ ورقةً من التوراة فقال: «ما هذا؟» فقال: ورقةٌ من التوراة. فقال: «أَمُتَهوِّكون يا ابنَ الخطاب؟ والله لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيةً، لو كان أخي موسى حيًّا لَمَا وَسِعَه إلا اتِّباعي»[2].

وإذا كان أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب ﷺ نُهِيَ عن قراءة التوراة مع كونها كتابًا إلهيًّا، فلأَنْ يُنْهَى عن قراءةِ كلامِ الفلاسفة أحقُّ، وقد غلب في هذا الزمانِ وقَبْلَه بقليلٍ الاشتغالُ بجهالاتِ الفلاسفة على أكثر الناس، ويسمُّونها: الحكمةَ، ويَسْتَجْهِلون مَن عَرِيَ عنها، ويعتقدون أنهم الكَمَلةُ من الناس، ويَعْكُفون على دراستها، ولا تكادُ تَلْقَى أحدًا منهم يحفظُ قرآنًا ولا حديثًا عن رسول الله ﷺ، ولقد غَضَضْتُ مرَّةً من ابنِ سينا[3] ونَسَبْتُه للجهل، فقال لي بعضُهم وأَظْهَرَ التعجُّبَ من كون أحدٍ يَغُضُّ من ابن سينا: كيف يكونُ أعلمَ الناس بالله يُنْسَبُ للجهل؟! ولمَّا ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد ابن رشد[4] الاعتناءُ بمقالات الفلاسفة والتعظيمُ لهم أَغْرَى به علماءُ الإسلام بالأندلس

(١) في (ح) و(يه): هذه.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد (١٥١٥٦) من حديث جابر ﷺ، وإسناده ضعيف كما ذكر محققو المسند، وينظر الكلام عليه ثمة. والكلام من قوله: وروي... إلى هنا من (يه)، وليس في باقي النسخ.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، له كتاب: الشفاء، وغيره، وأشياء لا تُحتمل، وقد كفَّره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال»، توفي سنة (٤٢٨هـ). السير ١٧/ ٥٣١.

(٤) وجده أبو الوليد هو شيخ المالكية في زمانه، وقد ولد قبل وفاة جده بشهر، وله: بداية =

المنصورَ منصورَ الموحِّدينَ يعقوبَ بنَ يوسفَ بنِ عبد المؤمِنِ بن عليٍّ ملك المغرب والأندلس، حتى أَوْقَعَ به ما هو مشهورٌ مِن ضَرْبِه ولَعْنِه وإهانتِه وإهانةِ جماعةٍ منهم على رؤوس الأشهاد، وكان ممَّا خُوطِبَ به المنصورُ في حقِّهم قولُ بعض العلماء الشعراء:

خَليفتَنا جزاك الله خيراً ... عن الإسلام والسعيِ الكريمِ
فَحَقَّ جهادِه جاهدتَ فيه ... إلى أنْ فُزْتَ بالفتح[1] العظيمِ
وصيَّرْتَ الأنامَ بحُسْنِ هَدْيٍ ... على نهج الصراط المستقيمِ
فجاهِدْ في أناسٍ قد أضَلُّوا ... طريقَ الشرع بالعلم القديمِ
وحَرِّقْ كُتْبَهم شرقًا وغربًا ... ففيها كامنًا شرُّ العلومِ
يَدِبُّ إلى العقائد مِن أذاها ... سُمومٌ والعقائدُ كالجسومِ
وفي أمثالِها إذ لا دواءٌ ... يكونُ السيفُ ترياقَ السُّمومِ

وقال[2]:

يا وَحْشةَ الإسلام مِن فِرْقةٍ ... شاغِلةٍ أنفُسَها بالسَّفَهْ
قد نَبَذَتْ دِينَ الهُدَى خَلْفَها ... وادَّعَتِ الحكمةَ والفلسفَهْ

وقال:

قد ظهرتْ في عصرنا فرقةٌ ... ظهورُها شؤمٌ على العصرِ
لا تقتدي في الدِّين إلَّا بما ... سَنَّ ابنُ سينا أو أبو نصرِ[3]

ولمَّا حَلَلْتُ بديار مصر ورأيتُ كثيرًا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة

---

= المجتهد في الفقه، والكليات في الطب، ومختصر المستصفى في الأصول، وغيرها كثير في الفلسفة والحكمة، توفي سنة (٥٩٥هـ). السير ٢١/ ٣٠٧.

(١) في (يه): بالفضل.

(٢) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي الأديب، وهو أيضاً قائل البيتين اللذين بعدهما. نفح الطيب ٢/ ٣٨١-٣٨٥.

(٣) هو الفارابي محمد بن محمد بن طَرْخان التركي، له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضل وحار، ومنها تخرج ابن سينا، توفي بدمشق سنة (٣٣٩هـ). السير ١٥/ ٤١٦.

ظاهرًا من غيرِ أن يُنْكِرَ ذلك أحدٌ تعجَّبْتُ من ذلك؛ إذ كنَّا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرُّؤ من ذلك والإنكارِ له، وأنه إذا بيع كتابٌ في المنطق إنما يباعُ خُفْيةً، وأنه لا يتجاسَرُ أن يُنْطَقَ بلفظ المنطِق، إنَّما يسمُّونه: المَفْعِل، حتى إنَّ صاحبنا وزيرَ الملك ابنِ الأحمر، أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم[1]، كتب إلينا كتابًا من الأندلس يسألني أن أشتري له أو أستنسخَ كتابًا لبعض شيوخنا في المنطق، فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزيرٌ، فسمَّاه في كتابه لي بالمَفْعِل.

ولمَّا أُلبست وجوهُهم السوادَ قال: «كأنَّما أُغْشِيتْ وجوهُهم»، ولمَّا كانت ظُلْمةُ الليل نهايةً في السواد شبَّه سوادُ وجوههم بقطعٍ من الليل حالَ اشتداد ظُلمته.

وقرأ ابنُ كثير والكسائي: «قِطْعًا» بسكون الطاء[2]، وهو مفردٌ اسمٌ للشيء المقطوع، وقال الأخفش في قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]: بسوادٍ من الليل[3]. وأهلُ اللغة يقولون: القِطْعُ ظُلْمةُ آخِرِ الليل. وقال بعضهم: طائفةٌ من الليل.

وعلى هذه القراءةِ يكونُ قولُه: «مظلمًا» صفةً لقوله: «قِطْعًا»، كما جاء ذلك في قراءة أبيٍّ: «كأنما يَغْشَى وجوهَهم قِطْعٌ من الليل مظلمٌ»[4]. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ كذلك إلا أنه فَتَح الطاء[5].

وقيل: قِطَعٌ جمعُ قطعة، نحو: سِدْر وسِدْرة، فيجوزُ إذ ذاك أن يوصف بالمذكَّر نحو: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وبالمؤنَّث نحو: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ويجوزُ على هذا أن يكون «مظلمًا» حالًا من «الليل»، كما أَعْرَبوه في قراءة باقي السبعة: «كأنما أُغشيت وجوهُهم قِطَعًا» بتحريك الطاء بالفتح «من الليل مظلمًا» بالنصب.

---

(١) أبو عبد الله اللخمي، الإشبيلي الأصل، جُمعت له الوزارة والكتابة ولقب: ذا الوزارتين، وكان بارعًا في الآداب، ومن أعلم الناس بنقد الشعر، توفي سنة (٧٠٨هـ). الدرر الكامنة ٥/ ٢٤٤.

(٢) السبعة ص٣٢٥، والتيسير ص١٢١.

(٣) ذكره القرطبي ١١/ ١٨٣ بلفظ: بعد جنح من الليل.

(٤) القراءات الشاذة ص٥٧، وتفسير الطبري ١٢/ ١٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١١٦.

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: إذا جعلتَ «مظلمًا» حالًا من «الليل» فما العاملُ فيه؟

قلت: لا يخلو: إما أن يكون «أُغشيت»، مِن قِبَلِ أنَّ «من الليل» صفةٌ لقوله: «قِطعًا»، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وإمَّا أن يكونَ معنى الفعلِ في «من الليل»[1]. انتهى.

أمَّا الوجهُ الأوّلُ فهو بعيدٌ؛ لأنَّ الأصل أن يكون العاملُ في الحال هو العاملُ في ذي الحال، والعاملُ في «الليل» هو «مستقرّ» الواصلُ إليه بـ«من»، و«أُغشيت» عاملٌ في قوله: «قطعًا» الموصوفِ بقوله: «من الليل»، فاختلفا، فلذلك كان الوجهُ الأخير[2] أَوْلَى، أي: قِطَعًا مستقرةً من الليل ـ أو: كائنةً من الليل ـ في حالِ إظلامه.

وقيل: «مظلمًا» حالٌ من قوله: «قِطَعًا» أو صفةٌ، وذُكِّر في هذين التوجيهين لأن «قِطَعًا» في معنى: كثير، فلُوحِظَ فيه الإفرادُ والتذكيرُ.

وجوَّزوا أيضًا في قراءة مَن سكَّن الطاءَ أن يكون «مظلمًا» حالًا من قِطْعٍ، وحالًا من الضمير في «من».

قال ابن عطية[3]: فإذا كان نعتًا ـ يعني «مظلمًا» نعتًا لقِطْعٍ ـ فكان حقُّه أن يكون قبل الجملة، ولكن قد يَجيءُ بعد هذا[4]، وتقدير الجملة: قِطْعًا استقرَّ من الليل مظلمًا، على نحو قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] انتهى، ولا يتعيَّنُ تقدير العامل في المجرور بالفعل فيكونَ جملةً، بل الظاهرُ أن يقدَّرَ باسم الفاعل، فيكون من قَبيل الوصف بالمفرد والتقدير: قِطْعًا كائنًا من الليل مظلمًا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الضميرُ في «نحشرهم» عائدٌ على مَن تقدَّم ذِكْرُهم

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) في (ح): الآخر.
(٣) في المحرر ٣/ ١١٦.
(٤) كذا في النسخ، وفي مطبوع المحرر: بعدها.

من الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات، وقرأ الحسنُ وشيبةُ والقرَّاء السبعةُ: «نحشرهم» بالنون، وقرأت فرقةٌ بالياء[(١)].

وقيل: يعودُ الضمير على «الذين كسبوا السيئات» ومنهم عابدُ غيرِ الله ومَن لا يعبد شيئًا.

وانتصبَ «يومَ» على فعلٍ محذوفٍ، أي: ذكِّرهم، أو خوِّفهم، ونحوه، و«جميعًا» حالٌ. والشركاء: الشياطين، أو الملائكة، أو الأصنام، أو مَن عُبِدَ من دون الله كائنًا مَن كان. أربعةُ أقوالٍ، ومَن قال: الأصنام، قال: يُنْفَخُ فيها الروحُ فيُنْطِقُها الله بذلك مكانَ الشفاعة التي علَّقوا بها أطماعهم.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ الكفار إذا رأوا العذابَ وتقطَّعت بهم الأسباب قيل لهم: اتَّبعوا ما كنتم تعبدون، [فيقولون: كنَّا نعبد هؤلاء، فتقول الأصنام: والله ما كنا نسمع ولا نعقل و﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾]، فيقولون: والله لإياكم كنَّا نعبد، فتقول الآلهة: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الآية[(٢)].

قال ابن عطية: فظاهرُ هذه الآيةِ أنَّ محاورتَهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكةِ وعيسى بنِ مريم، بدليل القول لهم: «مكانَكُم أنتم وشركاؤكم»، ودون فرعون ومَن عُبِدَ من الجنِّ بدليل قولهم: «إنْ كنَّا عن عبادتكم لغافلين»، وهؤلاء لم يَغْفُلوا قطُّ عن عبادةِ مَن عَبَدَهم[(٣)].

و«مكانكم» عدَّه النحويون في أسماء الأفعال، وقدِّر بـ: اثبتوا، كما قال:

وقَوْلي كلما جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحْمَدي أو تستريحي[(٤)]

أي: اثْبُتي، ولكونها بمعنى «اثبتي» جَزَم «تُحْمَدي».

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٦-١١٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ١٧١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٨ عن مجاهد قوله.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧.

(٤) البيت لعمرو بن الإطنابة كما في الكامل للمبرد ٣/ ١٤٣٤، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وتحمَّلت ضميرًا فأُكِّد وعُطِفَ عليه في قوله: «أنتم وشركاؤكم»، والحركةُ التي في «مكانك» و«دونك» أهي حركةُ إعرابٍ أو حركةُ بناءٍ، تَنْبني على الخلاف الذي بين النحويين في أسماء الأفعال: أَلَها موضعٌ من الإعراب أو لا؟ فمن قال: هي في موضع نصبٍ، جَعَل الحركةَ إعرابًا، ومَن قال: لا موضعَ لها من الإعراب، جَعَلَها حركةَ بناءٍ، وعلى الأول عوَّلَ الزمخشري فقال: «مكانكم»: الْزَموا مكانَكم لا تبرحوا حتى تَنْظُروا ما يُفعل بكم(١).

واختلفوا في «أنتم»، فالظاهرُ ما ذكرناه من أنه تأكيدٌ للضمير المستكنِّ في «مكانكم»، و«شركاؤكم» عطفٌ على ذلك الضمير المستكنِّ، وهو قولُ الزمخشري؛ قال: «وأنتم» أكِّد به الضميرُ في «مكانكم» لسدِّه مَسَدَّ قوله: الْزَموا، و«شركاؤكم» عطفٌ عليه(٢). انتهى.

يعني عطفًا على الضمير المستكنِّ وتقديرُه: الْزَموا، وأنَّ «مكانكم» قام مقامه فيَحْمِلُ الضميرَ الذي في «الزموا»، ليس بجيدٍ؛ إذ لو كان كذلك لكان «مكانك» الذي هو اسمُ فعلٍ يتعدَّى كما يتعدَّى «الزموا»، ألا ترى أنَّ اسم الفعل: إذا كان الفعلُ لازمًا كان اسمُ الفعل لازمًا، وإذا كان متعدِّيًا كان متعدِّيًا، مثال ذلك: عليك زيدًا، لمَّا ناب مَنابَ «الْزَمْ» تَعدَّى، و«إليك» لمَّا نابَ مَنابَ «تنحَّ» لم يتعدَّ، ولكون «مكانك» لا يتعدَّى قدَّره النحويون بـ«اثْبُتْ»(٣)، و«اثْبُتْ» لا يتعدَّى.

قال الحَوْفي: «مكانكم» نصبٌ بإضمارِ فعلٍ، أي: الْزَمُوا مكانكم، أو: اثْبتُوا. وقال أبو البقاء: «مكانكم» ظرفٌ مبنيٌّ لوقوعه موقعَ الأمر، أي: الْزَموا(٤). انتهى.

وقد بيَّنا أنَّ تقدير «الزموا» ليس بجيدٍ؛ إذ لم تقل العرب: مكانك زيدًا، فتعدِّيه كما تعدِّي «الْزَمْ».

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (يه): باثبت.

(٤) الإملاء ٢/ ٢٨. وعلى ما نقله المصنف عن الحوفي يكون الزمخشري قد سُبق في تقدير: الزموا، كما قال السمين في الدر ٦/ ١٨٩، وقال: والعذر لمن فسَّره بذلك أنه قصد تفسير المعنى.

وقال ابن عطية: «أنتم» رفعٌ بالابتداء، والخبرُ: مَخْزِيُّون، أو: مُهانون ونحوُه[(١)]. انتهى.

فيكون «مكانكم» قد تمَّ، ثم أخبر أنهم كذا، وهذا ضعيفٌ؛ لفكِّ الكلام الظاهرِ اتصالُ بعضِ أجزائه ببعضٍ، ولتقديرِ إضمارٍ لا ضرورةَ تدعو إليه، ولقوله: «فزَيَّلْنا بينهم» إذ يدلُّ على أنهم ثَبَتوا هم وشركاؤهم في مكانٍ واحدٍ حتى وقع التزييلُ بينهم، وهو التفريقُ، ولقراءةِ مَن قرأ: «أنتم وشركاءَكم» بالنصب على أنه مفعولٌ معه[(٢)]، والعاملُ فيه اسمُ الفعل، ولو كان «أنتم» مبتدأً وقد حُذِفَ خبرُه لَمَا جاز أن يأتي بعده مفعولٌ معه، تقول: كلُّ رجلٍ وضَيْعتُه، بالرفع[(٣)]، ولا يجوزُ فيه النصبُ.

وقال ابنُ عطية أيضًا: ويجوزُ أن يكون «أنتم» تأكيدًا للضمير الذي في الفعل المقدَّر الذي هو: قفوا، أو نحوه[(٤)]. انتهى.

وهذا ليس بجيد؛ إذ لو كان تأكيدًا لذلك الضميرِ المتَّصلِ بالفعل لجاز تقديمُه على الظرف؛ إذ الظرفُ لم يتحمَّل ضميرًا على هذا القولِ فيلزمَ تأخيرُه عنه[(٥)]، وهو غيرُ جائزٍ، لا تقول: أنت مكانك، ولا يحفظ من كلامهم، والأصحُّ أنه لا يجوزُ حذفُ المؤكَّد في التأكيد المعنويِّ، فكذلك هذا؛ لأنَّ التأكيد يُنافي الحذفَ، وليس من كلامهم: أنت زيدًا، لمن رأيتَه قد شَهَرَ سيفًا وأنت تريدُ: اضرِبْ أنت زيدًا، إنما كلامُ العرب: زيدًا، تريد: اضرِبْ زيدًا.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧، وجاء في مطبوعه: موبخون، بدل: مخزيون.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٣٥.

(٣) لأنه معطوف على «كل»، والخبر محذوف تقديره: مقترنان، وقيل: هذا كلام تام لا يحتاج إلى خبر؛ لأن المعنى: كل رجل مع ضيعته. شرح الألفية لابن عقيل ١/ ٢٥٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧، وينظر التعليق الذي بعده.

(٥) في كلام المصنف رحمه الله نظر، فإن ابن عطية كان قد قال قبلُ ما نصُّه: و«مكانكم» في هذا الموضع من أسماء الأفعال إذ معناه: قفوا واسكنوا. اهـ. فلم يقدِّر الفعل الذي هو «قفوا» قبل الظرف الذي هو «مكانكم»، بل جعل «مكانكم» معناه: قفوا، وعلى هذا يكون ما قاله ابن عطية مطابقًا لما اختاره المصنف في بداية كلامه على «أنتم»، حيث قدَّر «مكانكم» بـ: اثبتوا، وجعل «أنتم» توكيدًا للضمير المستكنِّ في «مكانكم» لأنه مقدر بـ: اثبتوا. وقد تعقب السمين في الدر ٦/ ١٩١ كلام المصنف بنحو ما ذكرته، وينظر كلامه ثمة.

يقال: زِلْتُ الشيءَ عن مكانه أَزِيلُه، قال الفرَّاء: تقول العرب: زِلْتُ الضأنَ من المَعْزِ فلم تَزِلْ[١].

وقال الواحدي: التزييلُ والتزيُّلُ[٢] والمُزايَلةُ: التمييزُ والتفريق. انتهى.

وزيَّل مضاعَفٌ للتكثير، وهو لمفارقة الجثث[٣] من ذوات الياء، بخلافِ زال يَزُولُ، فمادَّتُهما مختلفةٌ، وزعم ابنُ قتيبةَ أنَّ «زيَّلنا» من مادة زال يزول[٤]، وتبعه أبو البقاء؛ وقال أبو البقاء: «فزيَّلنا» عينُ الكلمة واوٌ؛ لأنه من زال يزول، وإنما قُلبت ياءً لأنَّ وزن الكلمة: فَيْعَلَ، أي: زَيْوَلْنا، مثل: بَيْطَرَ وبَيْقَرَ، فلما اجتمعت الواوُ والياء على الشرط المعروف قُلبت ياءً[٥]. انتهى.

وليس بجيدٍ؛ لأنَّ «فعَّل» أكثر من «فَيْعَلَ»، ولأنَّ مصدره: تَزْيِيل، ولو كان «فَيْعَلَ» لكان مصدره: فَيْعَلةً، فكان يكونُ: زَيَّلَةً، كـ: بَيْطرة؛ لأن «فَيْعَلَ» ملحقٌ بـ«فَعْلَلَ»، ولقولهم في قريبٍ من معناه: زايَلَ، ولم يقولوا: زاوَلَ بمعنى: فارَقَ، إنما قالوه بمعنى: حاوَلَ وخالط.

وشُرِح «فزيَّلنا» بـ: فرَّقنا بينهم وقطَّعنا أقرانَهم والوُصَلَ التي كانت بينهم في الدنيا، أو: فباعَدْنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم، كقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾[٦] [غافر: ٧٣-٧٤].

وقرأت فرقة: «فزايَلْنا»، حكاه الفرَّاء[٧]؛ قال الزمخشريُّ: كقولك: صاعَرَ خدَّه

---

(١) أي: ميَّزتها فلم تتميَّز. تفسير الرازي ١٧/ ٨٣، وينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٢.

(٢) كذا في النسخ، وجاء في تفسير الرازي ١٧/ ٨٣ (والكلام منه) بدل «التزيُّل»: الزِّيل، وهو المراد هنا والله أعلم.

(٣) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: الحبث، وفي (يه) إلى: الجنب.

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص١٩٦، وتفسير الرازي ١٧/ ٨٣.

(٥) الإملاء ٢/ ٢٨.

(٦) في النسخ: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا، وليس في المصحف آية بهذا اللفظ، والمثبت موافق لما في الكشاف ٢/ ٢٣٥، والكلام منه.

(٧) في معاني القرآن ١/ ٤٦٢.

وصغَّر، و: كالَمْتُه وكلَّمته[١]. انتهى، يعني أنَّ فاعَلَ بمعنى فَعَّلَ، وزايَلَ في لسان العرب بمعنى فارَقَ؛ قال:

وقال العذارى إنما أنت عمُّنا وكان الشبابُ كالخليط تُزَايِلُهْ[٢]

وقال آخر:

لَعَمْري لموتٌ لا عقوبةَ بعده لِذِي البثِّ أَشْفَى من هوًى لا يُزَايِلُهْ[٣]

والظاهرُ أنَّ التزييلَ أو المُزايلةَ هو بمفارقة الأجسام وتباعُدِها.

وقيل: فرَّقنا بينهم في الحجَّة والمذهب؛ قاله ابن عطية[٤].

و«فزيَّلنا» و«قال» هنا ماضيان لفظًا، والمعنى: فنزيِّلُ بينهم ويقول؛ لأنهما معطوفان على مستقبلٍ.

ونفيُ الشركاء عبادةَ المشركين هو ردٌّ لقولهم: لإياكم كنَّا نعبد[٥]، والمعنى: إنكم كنتم تعبدون مَن أَمَرَكم أنْ تتَّخذوا لله تعالى أندادًا فأطعْتُموهم، ولمَّا تنازعوا اسْتَشْهدَ الشركاءُ بالله تعالى.

وانتصب «شهيدًا»؛ قيل: على الحال، والأصحُّ على التمييز لقبوله «مِن»، وتقدَّم الكلام في «كفى» وفي الباء[٦]. و«إنْ» هي المخفَّفةُ من الثقيلة، وعند الفراء: هي النافية واللامُ بمعنى «إلا»، وقد تقدَّم الكلام في ذلك[٧].

واكتفاؤهم بشهادة الله هو على انتفاء أنهم عَبَدوهم، ثم استأنفوا جملةً خبريةً أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم، أي: لا شعور لنا بذلك، وهذا يرجِّح أنَّ الشركاء

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٥.

(٢) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١٢٥. الخليط: الصاحب، قاله شارح الديوان.

(٣) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ص٧٨.

(٤) في المحرر ٣/ ١١٧.

(٥) وردت ضمن الخبر الذي سلف في بداية تفسير الآية.

(٦) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

(٧) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

هي الأصنامُ كما قال ابن عطية[١]؛ لأنه لو كان الشركاء ممن يَعْقِلُ من إنسيٍّ أو جنيٍّ أو مَلَكٍ لكان له شعورٌ بعبادتهم، ولا شيءَ أعظمُ سببًا للغفلة من الجمادية، إذ لا تحسُّ ولا تشعر بشيء البتة.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ «هنالك» ظرفُ مكانٍ، أي: في ذلك الموقفِ والمقامِ المقتضي للحيرة والدَّهَش، وقيل: هو إشارةٌ إلى الوقت استُعير ظرفُ المكان للزمان، أي: في ذلك الوقت.

وقرأ الأَخَوان وزيد بن علي: «تتلو» بتاءين[٢]، أي: تَتْبَعُ وتطلبُ ما أسلفَتْ من أعمالها؛ قاله السدِّي، ومنه قولُ الشاعر:

إنَّ المُريبَ يَتْبَعُ المُريبَا كما رأيتُ الذِّيبَ يتلو الذِّيبا[٣]

ويصح[٤] أن يكون من التلاوة وهي القراءة، أي: تقرأُ كُتُبَها التي تُدْفَعُ إليها.

وقرأ باقي السبعة: «تبلو» بالتاء والباء، أي: تختبر ما أسلفت من العمل، فتعرفُ كيف هو أقبيحٌ أم حسن، أنافعٌ أم ضارٌّ، أمقبولٌ أم مردود؟ كما يتعرَّفُ الرجل الشيءَ باختياره.

وروي عن عاصم «نبلوا» بنونٍ وباءٍ، أي: نختبر، و«كلَّ نفسٍ» بالنصب[٥]، و«ما أسلفت» بدلٌ من «كلَّ نفس»، أو منصوبٌ على إسقاط الخافض، أي: بما أسلفت، أو يكون «نبلوا» من البلاء وهو العذاب، أي: نصيبُ كلَّ نفسٍ عاصيةٍ بالبلاء بسببِ ما أسلفت من العمل السَّيِّئ.

وعن الحسن «تبلوا»: تتسلَّم[٦]. وعن الكلبي: تَعْلَم. وقيل: تَذُوق[٧].

---

(١) في المحرر ٣/ ١١٧، وسلفت الإشارة لذلك في بداية تفسير الآية.
(٢) السبعة ص٣٢٥، والتيسير ص١٢١ عن الأخوين، وهما حمزة والكسائي.
(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٣٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٨٩.
(٤) في المطبوع: قيل ويصح، والمثبت من النسخ الخطية.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٣٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٩ بلفظ: تسلم.
(٧) ذكره القولين القرطبي ١٠/ ٤٨٨.

وقرأ يحيى بن وثاب: «ورِدُّوا» بكسر الراء[١]، لمَّا سكَّن للإدغام نَقَلَ حركة الدال إلى حركة الراء بعد حَذْفِ حركتها.

ومعنى «إلى الله»: إلى عقابه. وقيل: إلى موضع جزائه.

«مولاهم الحقِّ» لا ما زعموهُ من أصنامهم؛ إذ هو المتولِّي حسابَهم، فهو مولاهم في المُلك والإحاطة لا في النصر والرحمة.

وقرئ: «الحقَّ» بالنصب على المدح، نحو: الحمدُ لله أهلَ الحمد، وقال الزمخشري: كقولك: هذا عبدُ الله الحقَّ لا الباطلَ، على تأكيد قوله: «ردُّوا إلى الله»[٢]. انتهى.

وقال أبو عبد الله الرازي: «ورُدُّوا إلى الله»: جُعِلوا مُلْجَئين إلى الإقرار بالإلهية بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيرَ الله، ولذلك قال: «مولاهم الحق»[٣].

«وضلَّ عنهم» أي: بطل وذهب ما كانوا يفترونه من الكذب، أو من دعواهم أنَّ أصنامهم شركاءُ الله شافعون لهم عنده.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ لمَّا بيَّنَ فضائح عَبَدةِ الأوثان أَتْبَعَها بذِكْرِ الدلائلِ على فسادِ مذهبهم بما يوبِّخُهم ويَحُجُّهم بما لا يمكنُ إلَّا الاعترافُ به من حالِ رزقهم وحواسِّهم وإظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة فبدأ بما فيه قوامُ حياتهم، وهو الرزقُ الذي لا بدَّ منه، فمن السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات، فـ«مِن» لابتداء الغاية، هُيِّئَ[٤] الرزقُ بالعالَم العُلويِّ والعالَمِ السفليِّ معًا، لم يقتصر على جهةٍ واحدةٍ تعالى توسعةً منه وإحسانًا، ومَن

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٣٥، ويتلخَّص من هذا الكلام وجهان في نصب «الحق»، الأول: أنه منصوب على المدح، والمراد به الله تعالى، وهو من أسمائه تعالى. والثاني: على المصدر المؤكِّد، والمراد به ما يقابل الباطل. ينظر روح المعاني ١١/ ١١٨.

(٣) تفسير الرازي ١٧/ ٨٥..

(٤) في (أ) و(ح) و(د١) و(ع): وهيئ.

ذهب إلى أنَّ التقدير: من أهل السماء والأرض، فتكونُ «من» للتبعيض أو للبيان، ثم ذَكَر ملكَه لهاتين الحاسَّتين الشريفتين: السمعِ الذي هو سببُ مدارِكِ الأشياء، والبصرِ الذي يَرَى ملكوتَ السماوات والأرضِ، ومعنى مُلْكِهما أنه متصرِّفٌ فيهما بما يشاء تعالى مِن إبقاءٍ وحفظٍ وإذهابٍ.

وقال الزمخشري: «مَن يملك السَّمع والأبصار»: مَن يستطيعُ خَلْقَهما وتَسْوِيَتَهما على الحدِّ الذي سُوِّيَا عليه من الفطرة العجيبة، أو: مَن يحميهما ويَعْصِمُهما من الآفات مع كثرتها في المُدَدِ الطِّوال ـ وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيءٍ ـ بكلاءته وحفظه[1]. انتهى.

ولا يَظْهَرُ هذان الوجهان اللَّذان ذَكَرهما من لفظ «أمَّن يملكُ السمعَ والأبصار».

وعن عليٍّ كرم الله وجهه: سبحان مَن بَصَّرَ بشَحْمٍ، وأَسْمَعَ بعظمٍ، وأَنْطَقَ بلحمٍ[2].

و«أم» هنا تقتضي تقديرَ «بل» دون همزةِ الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٨٤] فلا تتقدَّر بـ«بل» والهمزةِ؛ لأنها دخلت على اسم الاستفهام، وليس إضرابَ إبطالٍ بل هو لانتقالٍ من شيءٍ إلى شيءٍ ونبَّهَ تعالى بالسَّمْع والبصر على الحواسِّ لأنهما أشرفُها.

ولمَّا ذَكَر تعالى سببَ إدامةِ الحياة وسببَ انتفاعِ الحيِّ بالحواسِّ ذَكَر إنشاءَه تعالى واختراعَه للحيِّ من الميت والميتِ من الحيِّ، وذلك من باهِرِ قدرته، وهو إخراجُ الضِّدِّ[3] من ضِدِّه، وتقدَّم تفسيرُ ذلك.

و«مَن يُدبِّر الأمرَ» شاملٌ لمَا تقدَّم من الأشياء الأربعة المذكورة ولغيرها، والأمورُ التي يدبِّرُها تعالى لا نهايةَ لها، فلذلك جاء بالأمر الكلِّيِّ بعد تفصيلِ بعض الأمور واعترافِهم بأنَّ الرازقَ والمالكَ والمُخْرِجَ والمدبِّر هو الله، أي: لا يمكنهم إنكارُه ولا المُباهَتَةُ فيه.

---

(١) الكشاف ٢/٢٣٦.
(٢) تفسير الرازي ١٧/٨٦.
(٣) في (ز١): للضد.

ومعنى «أفلا تتَّقون»: أفلا تخافون عقوبةَ الله في افترائكم وجَعْلِكم الأصنامَ آلهةً، وقيل: أفلا تتَّعِظُون فتنتهون عمَّا حذَّرَتْ عنه تلك الموعظة.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ «فذلكم» إشارةٌ إلى مَن اخْتَصَّ بالأوصاف السابقة، «الحقُّ»: الثابتُ الربوبية المستَوْجِبةِ للعبادة واعتقادِ اختصاصِه بالألوهية، لا أصنامكم المربوبة الباطلة و«ماذا» استفهامٌ معناه النفيُ، ولذلك دخلت «إلا» وصَحِبَه التقريرُ والتوبيخُ، كأنه قيل: ما بعد الحق إلَّا الضلال، فالحقُّ والضلالُ لا واسطةَ بينهما؛ إذ هما نقيضان، فمن يُخْطِئُ الحقَّ وقع في الضلال.

و«ماذا» مبتدأٌ؛ تَركَّبَتْ «ذا» مع «ما» فصار مجموعُهما استفهامًا، كأنه قيل: أيُّ شيءٍ، والخبرُ «بعد الحق»، ويجوز أن تكونَ «ذا» موصولةً وتكون خبرَ «ما»، كأنه قيل: ما الذي بعد الحق، و«بعد» صلةٌ لـ«ذا».

ولمَّا ذكر تعالى تلك الصفاتِ، وأشار إلى أنَّ المتَصِفَ بها هو اللهُ، وأنه مالِكُهم، وأنه هو الحقُّ، ثم وبَّخهم على اتِّباع الضلال بعد وضوح الحقِّ، قال تعالى: «فأنَّى تُصرفون»، أي: كيف يقع صَرْفُكم بعد وضوحِ الحقِّ وقيامِ حججه عن عبادةِ مَن يستحقُّ العبادةَ، وكيف تُشركون معه غيرَه وهو لا يشارِكُه في شيءٍ من تلك الأوصافِ.

واستنباطُ كونِ الشِّطرنج ضلالًا من قوله: «فماذا بعد الحقِّ إلَّا الضلال» لا يكادُ يَظْهَر[١]؛ لأنَّ الآية إنما مساقُها في الكفر والإيمان، وعبادةِ الأصنام وعبادةِ الله، وليس مساقُها في الأمور الفروعية[٢] التي تختلفُ فيها الشرائعُ، وتختلف فيها أقوالُ علماء ملَّتنا.

---

(١) يشير إلى ما روي عن مالك أنه سئل عن الشطرنج فقال للسائل: أمِن الحقِّ هو؟ قال: لا، قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾. ينظر الموطأ ٢/ ٩٥٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٩٦-٤٩٧، وتهذيب الكمال ٢١/ ٥٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٨.

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: الفرعية.

وقد تعلَّق الجبَّائي بهذه الآيةِ في الردِّ على المُجْبِرة إذ يقولون: إنه تعالى يَصْرِفُ الكفار عن الإيمان، قال: لو كان كذلك ما قال: «أنى تُصْرَفون»، كما لو أعْمى بصر أحدهم لا يقول: أنَّى عَمِيْتَ[١].

«كذلك حقَّت كلمةُ ربِّك على الذين فسقوا، أنهم لا يؤمنون» الكافُ للتشبيه في موضع نصبٍ، والإشارةُ بـ«ذلك» قيل: إلى المصدر المفهوم من «تُصرفون» [أي:][٢] مِثْلَ صَرْفِهم عن الحقِّ بعد الإقرارِ به في قوله: «فسيقولون الله» حقَّ العذابُ عليهم، أي: جازاهم مِثْلَ أفعالهم.

وقيل: إشارةٌ إلى «الحق»؛ قال الزمخشري: «كذلك» مِثْلَ ذلك الحقِّ «حقَّتْ كلمةُ ربِّك» أي: كما حقَّ وثَبَتَ أنَّ الحقَّ بَعْدَه[٣] الضلال، أو كما حقَّ أنهم مصروفون عن الحق، فكذلك حقَّت كلمةُ ربِّك.

وقال ابن عطية: «كذلك»، أي: كما كانت صفاتُ اللهِ كما وُصِفَ، وعبادتُه واجبةً كما تَقَرَّرَ[٤]، وانصرافُ هؤلاء كما قدِّر عليهم واكتسبوا، كذلك حقَّت.

ومعنى «فَسَقوا»: تمرَّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحدِّ الأقصى فيه.

«وأنهم لا يؤمنون» بدلٌ من «كلمة ربِّك» أي: حقَّ عليهم انتفاءُ الإيمان.

ويجوزُ أن يراد بالكلمة عِدَةُ العذاب، ويكون «أنهم لا يؤمنون» تعليلًا، أي: لأنهم لا يؤمنون، ويوضِّحُ هذا الوجهَ قراءةُ ابنِ أبي عبلة «إنَّهم لا يؤمنون» بالكسر[٥]، وهذا إخبارٌ منه تعالى أنَّ في الكفار مَن خَتَمَ الله بكُفْرِه وقَضَى بتخليده.

وقرأ أبو جعفر وشيبةُ والصاحبان «كلمات» على الجمع هنا وفي آخر السورة، وقرأ باقي السبعة على الإفراد[٦].

---

(١) تفسير الرازي ١٧/ ٨٧.
(٢) ما بين حاصرتين من النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ١٥٤.
(٣) في النسخ: بعد، وهو خطأ، والمثبت من الكشاف ٢/ ٢٣٦.
(٤) في (ح): قرر.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١١٨.
(٦) ينظر السبعة ص٣٢٦، والتيسير ص١٢٢، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٨، والنشر ٢/ ٢٦٢، والصاحبان هما نافع وابن عامر.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ لمَّا استَفْهَمَهم عن أشياءَ من صفات الله تعالى واعترفوا بها، ثم أنْكر عليهم صَرْفَهم عن الحقِّ وعبادةِ الله، اسْتَفْهَمَ عن شيءٍ هو سببُ العبادة، وهو إبداءُ الخلق، وهم يسلِّمون ذلك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ثم إعادةُ الخلْقِ وهم منكرون ذلك، لكنه عَطَفَه على ما يسلِّمونه ليُعْلَم أنهما سواءٌ بالنسبة إلى قدرة الله، وأنَّ ذلك لوضوحه وقيامِ بُرهانه قُرِنَ بما يسلِّمونه؛ إذ لا يدفعُه إلَّا مُكابِرٌ؛ إذ هو من الواضحات التي لا يختلف في إمكانها العقلاء، وجاء الشرعُ بوجوبه فوَجَبَ اعتقادُه.

ولمَّا كانوا لمُكابَرَتهم لا يقرُّون بذلك أمَر تعالى نبيَّه ﷺ أن يُجيب فقال: «قل اللهُ يَبْدأُ الخلق ثم يُعيده»، وأبرزَ الجوابُ في جملةٍ مبتدَأةٍ مصرَّحٍ بجزأيْها مُعادٍ[1] الخبرُ فيها مطابقًا لخبرِ اسمِ الاستفهام، وذلك تأكيدٌ وتثبيتٌ، ولمَّا كان الاستفهامُ قبلَ هذا لا مندوحةَ لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفًا منها أحدُ جُزأيها في قوله: «فسيقولون الله» ولم يُحتَجْ إلى التأكيد بتصريح جزأيها[2].

ومعنى «تؤفكون»: تُصرَفون وتُقْلَبون عن اتِّباع الحق.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لمَّا بيَّن تعالى عجزَ أصنامهم عن الإبداء والإعادة اللَّذَيْنِ هما من أقوى أسبابِ القدرة وأعظمِ دلائلِ الألوهية، بيَّن عجزهم عن هذا النوعِ من صفات الإله، وهو الهدايةُ إلى الحقِّ وإلى مناهج الصواب، وقد أعقب الخَلْقَ بالهداية في القرآن في مواضع؛ قال تعالى حكايةً عن الكليم: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٣] فاستدلَّ بالخلق والهداية على وجود الصانع، وهما حالان للجسد والروح، ولمَّا كانت العقولُ يَلْحَقُها الاضطرابُ والغلطُ بيَّن تعالى أنه لا يهديها إلا هو، بخلافِ أصنامهم ومعبوداتهم

(١) في (د١): بخبرها معاد، وفي المطبوع: بخبرها فعاد.
(٢) في (د١) والمطبوع: خبرها.

فإنه ما كان منها لا روحَ فيه جمادٌ لا تأثيرَ له، وما فيه روحٌ فليس قادرًا على الهداية، بل الله تعالى هو الذي يهديه.

و«هَدَى» تتعدَّى بنفسها[١] إلى اثنين، وإلى الثاني بـ«إلى» وباللام، و«يهدي إلى الحقِّ» حُذِفَ مفعولُه الأول، ولا يصحُّ أن يكون لازمًا بمعنى «يهتدي»؛ لأنَّ مُقابِلَه إنما هو متعدٍّ، وهو قولُه: «قل الله يهدي للحق» أي: يهدي مَن يشاء للحقِّ.

وقد أنكر المبرِّدُ ما قاله الكسائيُّ والفرَّاءُ[٢] وتبعهما الزمخشريُّ[٣] من أن يكون «هَدَى» بمعنى «اهْتَدَى»، وقال: لا يُعْرَفُ[٤] هذا.

و«أحقُّ» ليست أفعلَ تفضيلٍ، بل المعنى: حقيقٌ بأنْ يُتَّبَعَ، ولمَّا كانوا معتقدينَ أنَّ شركاءهم تهدي إلى الحق، ولا يسلِّمون حَصْرَ الهداية لله تعالى، أمر نبيَّه ﷺ أن يبادِرَ بالجواب، فقال: «قل الله يهدي للحق» ثم عادَلَ في السؤال بالهمزة «وأم» بين مَن هو حقيقٌ بالاتِّباع ومَن هو غيرُ حقيقٍ، وجاء على الأفصح الأكثرِ من فَصْلِ «أم» ممَّا عُطِفتْ عليه بالخبر، كقوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥] بخلاف قوله: ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وسيأتي القولُ في ترجيح الوصل هنا في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقرأ أهلُ المدينة إلَّا ورشًا: «أَمَّنْ لا يَهْدِّي» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنَيْنِ[٥]، قال النحاس: لا يقدرُ أحدٌ أن يَنْطِقَ به، وقال المبرِّد: مَن رام هذا لا بدَّ أن يحرِّك حركةً خفيفةً، وسيبويه يسمِّي هذا اختلاسَ الحركة[٦].

(١) في (يه): يتعدى بنفسه.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٩٩، ونقل قوله وقول الكسائيِّ والمبردِ النحاسُ في إعراب القرآن ٢/ ٢٥٤، والقرطبي ١٠/ ٥٠١.

(٣) في الكشاف ٢/ ٢٣٦.

(٤) في (د١) و(يه) والمطبوع: نعرف.

(٥) قرأ بها نافع في رواية قالون، وأبو جعفر. السبعة ص٣٢٦، والتيسير ص١٢٢، والنشر ٢/ ٢٨٣-٢٨٤. ورواها شجاع عن أبي عمرو كما في جامع البيان للداني ٢/ ١٩٣.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٠.

وقرأ أبو عمرو وقالون في روايةٍ كذلك إلا أنه اخْتَلَسَ الحركة.

وقرأ ابنُ عامرٍ وابنُ كثيرٍ ووَرْشٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ كذلك إلَّا أنهم فتحوا الهاء، وأصله: يَهْتَدي، نُقِلت[1] حركةُ التاءِ إلى الهاء وأُدغمت التاءُ في الدال.

وقرأ حفصٌ، ويعقوبُ، والأعشى[2] عن أبي بكر كذلك إلَّا أنهم كسروا الهاء، لمَّا اضْطُرَّ إلى الحركة حرَّك بالكسر؛ قال أبو حاتم: هي لغةُ سُفْلَى مُضَرَ.

وقرأ أبو بكر في رواية يحيى بن آدم كذلك إلَّا أنه كسر الياء، ونُقل عن سيبويه[3] أنه لا يُجيز «يِهِدِّي»، ويُجيزُ «تِهِدِّي» و«نِهِدِّي» و«إِهِدِّي»، قال: لأن الكسرة في الياء تَثْقُلُ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ ويحيى بنُ وثَّابٍ والأعمشُ: «يَهْدِي» مضارع هَدَى[4].

قال الزمخشري: هذه الهدايةُ أحقُّ بالاتِّباع أم الذي لا يهدي، أي: لا يَهْتَدي بنفسه أو لا يَهْدي غيرَه إلا أنْ يَهْدِيَه الله، وقيل: معناه: أمَّن لا يهتدي من الأوثان إلى مكانٍ فينتقل إليه «إلَّا أن يُهْدَى» إلَّا أن يُنْقَلَ، أو: لا يهتدي ولا يصحُّ منه الاهتداءُ إلا بنقلة[5] الله تعالى من حاله إلى أن يجعله حيوانًا مكلَّفًا فيهديه. انتهى.

وتقدَّم إنكارُ المبرِّدِ ما قاله الكسائيُّ والفرَّاء وتبعهما الزمخشريُّ من أنَّ «هَدَى» بمعنى اهْتَدَى.

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ[6]: وَصَفَ الأصنام بأنها لا تهتدي إلَّا أنْ تُهْدَى،

---

(١) في (د١) والمطبوع: فقلب.

(٢) في النسخ عدا (ز١): والأعمش، وكذا وقع في تفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٠ (والكلام منه)، والمثبت من (ز١)، وهو الصواب، ينظر جامع البيان للداني ٢/ ١٩٤.

(٣) الكتاب ٤/ ١١٠، ونقله المصنف عنه بواسطة القرطبي ١٠/ ٥٠٠.

(٤) تنظر هذه القراءات في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، والسبعة ص٢٩٦، والتيسير ص١٢٢، وجامع البيان ٢/ ١٩٣-١٩٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٠-٥٠١، والنشر ٢/ ٢٨٣-٢٨٤، وجميعها من المتواتر.

(٥) في الكشاف ٢/ ٢٣٧: إلا أن ينقله.

(٦) في الحجة ٤/ ٢٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر ٣/ ١١٩.

ونحن نجدُها لا تهتدي وإن هُدِيَتْ، فوَجْهُ ذلك أنه عامَلَ في العبارة عنها معامَلَتهم في وصفها بأوصافِ مَن يَعْقِلُ، وذلك مَجازٌ وموجودٌ في كثيرٍ من القرآن.

وقال ابن عطية: والذي أقولُ: إنَّ قراءة حمزةَ والكسائيِّ تحتملُ أن يكون المعنى: أمَّن لا يَهْدي أحدًا إلا أن يُهْدَى ذلك الأحدُ بهدايةٍ من عند الله، وأمَّا على غيرها من القراءات التي مقتضاها: أمَّن لا يهتدي إلا أن يُهْدَى، فيَتَّجِهُ المعنى على ما تقدَّم لأبي عليٍّ الفارسي، وفيه تجوُّزٌ كثيرٌ، ويحتمل أن يكون ما ذَكَر اللهُ من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها[1].

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: «أمَّن لا يَهْدِي»، أي: لا يَهْدي غيرَه، ثم قال: «إلا أن يُهْدَى» استثناءٌ منقطع، أي: لكنه يحتاجُ إلى أنْ يُهْدَى، كما تقول: فلان لا يُسمِعُ غيرَه إلا أنْ يُسْمَعَ، أي: لكنه يحتاجُ إلى أن يُسْمَعَ[2].

وقيل: «أمَّن لا يَهْدي» في الرؤساءِ المُضِلِّين. انتهى، ويكونُ استثناءً متصلًا؛ لأنه إذ ذاك يكون فيهم قابليةُ الهداية بخلاف الأصنام.

«فما لكم» استفهامٌ معناه التَّعجيبُ والإنكار، أي: أيُّ شيءٍ لكم في اتِّخاذ هؤلاء الشركاء، إذا كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكنُ أن يَهْدُوا غيرَهم، «كيف تحكمون» استفهامٌ آخَرُ، أي: كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أندادًا وشركاءَ، وهاتان جملتان أنكر في الأولى وتعجَّبَ من اتِّباعهم مَن لا يهدي ولا يهتدي، وأنكر في الثانية حُكْمَهم بالباطل وتسويةَ الأصنام بربِّ العالمين.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الظاهرُ أن «أكثرهم» على بابه لأنَّ منهم مَن تبصَّر في الأصنام ورفضها، كما قال:

أربٌّ يبولُ الثُّعْلُبانُ برأسه لقد هان مَن بالَتْ عليه الثعالبُ[3]

(١) المحرر ٣/ ١١٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٠١.

(٣) البيت لراشد بن عبد ربه السلمي ﷺ، كما في طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٦، وعزاه الزمخشري في المستقصى ١/ ١٣٦ لأبي ذر ﷺ، وقال البكري في فصل المقال ص١٨٤: قيل: إن هذا البيت لعباس بن مرداس السلمي، وهو دون نسبة في كتاب الحيوان للجاحظ ٦/ ٣٠٤، وكتاب الأمثال لأبي عبيد ص١٢٢، وأدب الكاتب ص١٠٣، والزاهر لابنِ

وقيل: المراد بـ«أكثرهم»: جميعُهم.

والمعنى: ما يتَّبع أكثرُهم في اعتقادهم في الله وفي صفاته إلا ظنًّا، ليسوا متبصِّرين ولا مستنذِينَ إلى برهانٍ، إنما ذلك شيء تلقَّفوه من آبائهم، والظنُّ في معرفة الله لا يُغْني من الحقِّ شيئًا، أي: من إدراك الحقِّ ومعرفتِه على ما هو عليه لأنه تجويزٌ لا قطعٌ.

وقيل: وما يتبع أكثرُهم في جَعْلِهم الأصنامَ آلهةً واعتقادِهم أنها تشفعُ عند الله وتقرِّب إليه.

وقرأ عبد الله: «تفعلون» بالتاء على الخطاب التفاتًا[1].

والجملةُ تضمَّنت التهديدَ والوعيدَ على اتِّباع الظنِّ وتقليدِ الآباء، وقيل: نزلت في رؤساء اليهودِ وقريشٍ.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ لـمَّا تقدَّمَ قولُهم: «ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّلْه» وكان من قولهم أنه افتراه، قال تعالى: «وما كان هذا القرآنُ أن يُفْتَرى»، أي: ما صحَّ ولا استقام أن يكون هذا القرآنُ المُعْجِزُ مفترًى، والإشارة بـ«هذا» فيها تفخيمُ المشارِ إليه وتعظيمُه، وكونُه جامعًا للأوصاف التي يستحيلُ لوجودِها فيه أنْ يكون مفترًى.

والظاهرُ أنَّ «أنْ يُفْتَرى» هو خبر «كان»، أي: افتراءً، أي: ذا افتراءٍ، أو مُفْتَرًى، وزَعَم بعضُ النحويين أنَّ «أنْ» هذه هي المُضْمَرةُ بعد لام الجحود في قولك: ما كان زيدٌ لِيَفْعَلَ، وأنه لمَّا حُذِفت اللامُ أُظهرت «أنْ»، وأنَّ اللام و«أنْ» يتعاقبان، فحيث جيء باللام لم تأت بـ«أنْ» بل تقدِّرُها، وحيث حُذفت اللامُ ظهرت «أنْ».

= الأنباري ٢/ ٣٦٨. والثُّعلبان بضم الثاء ذكر الثعالب، وصوَّب صاحب القاموس أنه بفتح الثاء مثنًى، واستدل على ذلك بقصة رويت في سبب إنشاد هذا البيت، وبحث في ذلك صاحب التاج، وذكر الخلاف في المسألة، ثم قال: وبه تَعلم أن قول المصنف (يعني صاحب القاموس): الصواب، غير صواب.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٩.

والصحيحُ أنهما لا يتعاقبان، وأنه لا يجوزُ حذفُ اللام وإظهارُ «أنْ»، إذ لم يَقُمْ دليلٌ على ذلك.

وعلى زَعْم هذا الزاعِمِ لا يكون «أنْ يُفْتَرى» خبرًا لـ«كان»، بل الخبرُ محذوفٌ و«أنْ يُفْتَرَى» معمولٌ لذلك الخبرِ بعد إسقاط اللام.

ووقعت «لكنْ» هنا أحسنَ موقعٍ؛ إذ كانت بين نقيضين وهما: الكذبُ، والتصديقُ المتضمِّن الصِّدْقَ.

و«الذي بين يديه»: الكتبُ الإلهية المتقدِّمة؛ قاله ابنُ عباس[١]، كما جاء: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١].

وعن الزَّجَّاج: «الذي بين يديه» أشراطُ الساعة[٢]. ولا يقومُ البرهانُ على قريشٍ إلَّا بتصديق القرآن ما في التوراة والإنجيل مع أنَّ الآتيَ به يَقْطَعون أنه لم يُطالِعْ تلك الكتبَ ولا غيرَها، ولا هي في بلده ولا قومه، لا بتصديقِ الأشراط؛ لأنهم لم يشاهدوا شيئًا منها.

و«تفصيل الكتاب»: تبيينُ ما فُرِضَ وكُتب فيه من الأحكام والشرائع، وقرأ الجمهور «تصديقَ» و«تفصيلَ» بالنصب، فخرَّجه الكسائيُّ والفرَّاء ومحمد بن سعدان[٣] والزجَّاج[٤] على أنه خبر «كان» مضمرة، أي: ولكن كان تصديقَ، أي: مصدِّقًا ومفصِّلًا.

وقيل: انتصب مفعولًا من أَجْلِه والعاملُ محذوفٌ، والتقدير: ولكنْ أُنزل للتصديق.

وقيل: انتصب على المصدر، والعاملُ فيه فعلٌ محذوف.

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠، ولفظه: البعث والنشور. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٢٠.
(٣) كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٣، وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٦٥. ومحمد بن سعدان هو أبو جعفر الكوفي الضرير النحوي، صنف في العربية والقراءات، توفي سنة (٢٣١هـ). غاية النهاية ٢/ ١٤٣.
(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٠.

وقرأ عيسى بن عمر: «تصديقُ» و«تفصيلُ» بالرفع وفي «يوسف»[1]، خبر مبتدأ محذوفٍ، أي: ولكن هو تصديقٌ، كما قال الشاعر:

ولستُ الشاعرَ السَّفْسافَ فيهم ولكنْ مِدْرَهُ الحربِ العَوَانِ[2]

أي: ولكنْ أنا. وزعم الفرَّاء ومَن تابَعَه أنَّ العرب إذا قالت: ولكن، بالواوِ آثَرتْ تشديدَ النون، وإذا لم تكن الواوُ آثرت التخفيفَ[3]. وقد جاء في السبعة مع الواو التشديدُ والتخفيفُ[4].

و«لا ريبَ فيه» داخلٌ في حيِّز الاستدراك، كأنه قيل: ولكن تصديقًا وتفصيلًا منتفيًا عنه الريبُ كائنًا من ربِّ العالمين، قال الزمخشري[5]: ويجوزُ أن يراد: ولكن كان تصديقًا من ربِّ العالمين وتفصيلًا منه في ذلك، فيكون «من ربِّ العالمين»[6] متعلِّقًا بـ«تصديق وتفصيل»، ويكون «لا ريب فيه» اعتراضًا، كما تقول: زيدٌ لا شكَّ فيه كريمٌ. انتهى.

فقوله: فيكون «من ربِّ العالمين» متعلِّقًا بـ«تصديق وتفصيل»، إنما يعني من جهة المعنى، وأمَّا من جهة الإعراب فلا يكون إلَّا متعلِّقًا بأحدهما، ويكونُ من باب الإعمال.

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٧. وآية «يوسف» المذكورة هي الأخيرة منها.
(٢) البيت لهدبة بن خشرم كما في الحماسة (بشرح المرزوقي) ١/ ٤٧٢، والتبريزي ٢/ ١٢، والرواية فيهما: ولست بشاعر السفساف...، والسفساف: ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال، والمدره: المقدم عند القتال. والعوان من الحرب: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. قاله المرزوقي.
(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٥.
(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: ١٧] قرأ فيها جميعاً ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف النون والباقون بالتشديد، وكذلك قرأ حمزة والكسائي كما سيأتي في هذه السورة «وَلَٰكِنِ النَّاسَ» [الآية: ٤٤] بتخفيف النون.
(٥) في الكشاف ٢/ ٢١٧، وما قبله منه.
(٦) من قوله: ويجوز أن يراد، إلى هنا ساقط من مطبوع الكشاف. وينظر الدر المصون ٦/ ٢٠٣.

وانتفاءُ الريب عنه على ما بُيِّن في «البقرة» في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة الآية: ٢] وجُمع بينه وبين قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ لمَّا نفى تعالى أن يكون القرآن مفترًى بل جاء مصدِّقًا لِمَا بين يديه من الكتب وبيانًا لمَا فيها، ذكر أعظمَ دليلٍ على أنه من عند الله، وهو الإعجاز الذي اشتمل عليه، فأَبْطَلَ بذلك دعواهم افتراءَه، وتقدَّم الكلامُ على ذلك مُشْبَعًا في «البقرة» في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية.

و«أم» متضمِّنةٌ معنى «بل» والهمزةِ على مذهب سيبويه[1]، أي: بل أيقولون اختَلَقه، والهمزةُ تقريرٌ لالتزام[2] الحجةِ عليهم أو إنكارٌ لقولهم واستبعادٌ.

وقال فرقة: «أم» هذه بمنزلةِ همزةِ الاستفهام.

وقال أبو عبيدة: «أم» بمعنى الواوِ، ومجازُه: ويقولون افتراه[3].

وقيل: الميم صلةٌ، والتقدير: أيقولون[4].

وقيل: «أم» هي المعادِلةُ للهمزة، وحُذفت الجملةُ قبلها، والتقدير: أيُقرُّون به أم يقولون افتراه.

وجعل الزمخشري قبل «فأتوا» جملةَ شرطٍ محذوفةً، فقال: «قل» إنْ كان الأمرُ كما تزعمون «فأتوا» أنتم على وجه الافتراء «بسورةٍ مِثْلِه»، فأنتم مِثْلُه في العربية والفصاحة والألْمعية فأتوا بسورة مِثْلِه شبيهةٍ به في البلاغة وحُسْنِ النظم[5]. انتهى.

والضميرُ في «مِثْلِه» عائدٌ على القرآن، أي: بسورةٍ مُماثِلةٍ للقرآن، وتقدَّم الكلامُ

---

(١) ينظر الكتاب ٣/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) في (يه): لإلزامهم. وجاء في الكشاف ٢/ ٢٣٧ (والكلام منه): لإلزام، وهو الأنسب بالسياق.

(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٧٨.

(٤) قال السمين في الدر ٦/ ٢٠٤: وهذا قول ساقط؛ إذ زيادة الميم قليلة جدًّا، لا سيما هنا.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٣٧.

لنا فيما وقع به الإعجاز[١]. وقرأ عمرو بنُ فائدٍ: «بسورةِ مِثْلِه» على الإضافة[٢]، أي: بسورةِ كتابٍ أو كلامٍ مِثْلِه، أي: مِثْلِ القرآن، وقال صاحب «اللَّوامح»: هذا ممَّا حُذِفَ الموصوفُ منه وأُقيمت الصفةُ مقامه، أي: بسورةِ بشرٍ مِثْلِه. فالهاءُ في ذلك راجعةٌ إلى النبيِّ ﷺ وفي العامَّة إلى القرآن.

«وادعوا مَن استطعتُم» أنْ تَدْعُوْه مِن خَلْقِ الله إلى الاستعانة على الإتيان بِمثْله «من دون الله»، أي: مِن غيرِ الله؛ لأنه لا يَقْدِرُ على أنْ يأتيَ بمِثْلِه أحدٌ إلَّا اللهُ، فلا تستعينوه وحده واستعينوا بكلِّ مَن دونه إنْ كنتم صادقين في أنه افتراه.

وقد تمسَّك المعتزلةُ بهذه الآيةِ على خَلْقِ القرآن؛ قالوا: لأنه تحدَّى به وطلب الإتيان بمثله وعجزوا، ولا يمكن هذا إلا إذا كان الإتيانُ بمثله صحيحُ الوجود في الجملة، ولو كان قديمًا لكان الإتيانُ بِمثْلِ القديم مُحالًا في نفس الأمر، فوجب أن لا يصحَّ التحدِّي به[٣].

وقال أبو عبد الله الرازي[٤]: مراتبُ التحدي بالقرآن ستٌّ:

تحدٍّ بكلِّ القرآن في: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ﴾الآية [الإسراء: ٨٨].

وتحدٍّ بعشر سورٍ[٥].

وتحدٍّ بسورةٍ واحدةٍ[٦].

وتحدٍّ بحديثٍ مِثْلِه في قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤].

وفي هذه الأربعِ طُلِبَ أن يعارِضَ رجلٌ يساوي الرسولَ في عدم التتلمُذِ والتعليم.

---

(١) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٦].

(٢) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحتسب ١/ ٣١٣.

(٣) تفسير الرازي ١٧/ ٩٦، وينظر صواب الرازي على هذه الشبهة ثمة.

(٤) في تفسير ١٧/ ٩٧.

(٥) الآية (١٣) من سورة هود، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

(٦) الآية (٢٣) من سورة البقرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ وينظر التعليق الذي بعده.

وتحدٍّ طُلِبَ منهم معارضةُ سورةٍ واحدةٍ من أي إنسانٍ كان، تعلَّم العلومَ أو لم يتعلَّمْها[١]. وفي هذه المراتبِ الخمس تحدِّي كلٍّ واحدٍ من الخَلْقِ.

وتحدٌّ طُلب من المجموع واستعانةِ بعض ببعضٍ[٢]. انتهى ملخَّصًا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ قال الزمخشري[٣]: «بل كذبوا»: بل سارَعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجَؤوه بِبَدِيهِ[٤] السماع قبل أن يفهموه ويعلموا كُنْهَ أَمْرِه، وقبل أن يتدبَّروه ويفقهوا تأويلَه ومعانيَه، وذلك لفَرْطِ نُفورهم عمَّا يخالف دينهم، وشِرادهم عن مُفارَقةِ دينِ آبائهم.

وقال ابنُ عطية: هذا اللفظُ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد بـ«ما» الوعيدَ الذي توعَّدهم اللهُ على الكفر، و«تأويلُه» على هذا يريد به: ما يَؤُول إليه أمرُه، كما هو في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] والآيةُ محملُها على هذا التأويلِ يتضمَّن وعيدًا.

والمعنى الثاني: أنه أراد: بل كذَّبوا بهذا القرآنِ العظيم المُنبِئ بالغيوب، الذي

---

(١) وهو المذكور في هذه السورة كما قال الرازي، وهو قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾وكان الرازي رحمه الله قد ذكر قبلُ الفرق بين آية البقرة وآية يونس، وأن المعنى في آية البقرة: فليأت إنسان يساوي محمداً ﷺ في عدم التتلمذ وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة، فهذا لا يدل على أن السورة في نفسها معجزة، ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من إنسان مثل محمد ﷺ في عدم التتلمذ والتعلُّم معجز، ثم إنه تعالى بيَّن في يونس أن تلك السورة في نفسها معجز، فإن الخلق وإن تلمذوا وتعلموا وطالعوا وتفكَّروا فإنه لا يمكنهم الإتيانُ بمعارضةِ سورةٍ واحدة من هذه السور.

(٢) أي: تحدَّى جميعَهم، وجوَّز استعانة بعضهم ببعضٍ في الإتيان بهذه المعارَضة، حيث قال: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. تفسير الرازي ١٧/ ٩٧.

(٣) في الكشاف ٢/ ٢٣٨.

(٤) في المطبوع ومطبوع الكشاف: وفاجؤوه في بهجة السماع، والمثبت من النسخ الخطية، والمعنى على كليهما: بل. سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه. ينظر تفسير البيضاوي (على هامش حاشية الشهاب) ٥/ ٣٠. وفي الأساس (بده): بَدَهني بكذا: بدأني به.

لم يتقدَّم لهم به معرفةٌ، ولا أحاطوا بمعرفة غيوبه وحُسْنِ نَظْمِه، ولا جاءهم تفسيرُ ذلك وبيانُه[١].

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: يحتمل وجوهًا:

الأول: كلما سمعوا شيئًا من القصص قالوا: أساطير الأولين، ولم يعرفوا أنَّ المقصود منها ليس نفسَ الحكاية، بل قدرته تعالى على التصرُّف في هذا العالم ونَقْلِه أهلَه من عزٍّ إلى ذلٍّ ومِن ذلٍّ إلى عزٍّ، وبفناء الدنيا فيُعْتَبَرُ بذلك[٣]، وأنَّ ذلك القصصَ بوحيٍ من الله، إذ أَعْلَمَ بذلك على لسان رسول الله ﷺ من غيرِ تحريفٍ مع كونه لم يتعلَّم ولم يتتلمذ.

الثاني: كلما سمعوا حروفَ التهجِّي[٤] ولم يفهموا منها شيئًا ساء ظنُّهم، وقد أجاب الله بقوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾[٥] الآية [آل عمران: ٧].

الثالث: ظهورُ القرآن شيئًا فشيئًا، فساء ظنُّهم وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد أجاب تعالى[٦]، وشُرِح في مكانه.

الرابع: القرآنُ مملوءٌ من ذكر[٧] الحشر، وكانوا أَلِفوا المحسوسات فاستَبْعَدُوا حصول الحياة بعد الموت، فبيَّنَ الله صحةَ المَعَاد بالدلائل الكثيرة.

الخامس: أنه مملوءٌ من الأمر بالعبادات، وكانوا يقولون: إلهُ العالَم غنيٌّ عن

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ١٢١.

(٢) في تفسيره ١٧/ ٩٧-٩٨.

(٣) قوله: وبفناء الدنيا. . .، كلام بولغ في اختصاره من كلام الرازي فأدى إلى غموض معناه، إذ معنى ما قاله: أن القصص تدل على العبرة من حيث إن الإنسان يعرف بها أن الدنيا فانية، فيرتفع من قلبه حبها وتقوى رغبته في طلب الآخرة، كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

(٤) يعني في أوائل السور، كما ذكر الرازي.

(٥) في (ح): ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ﴾ وهي الآية (٩٧) من سورة آل عمران، وفي باقي النسخ والمطبوع: منه آيات بينات، وليست من القرآن، والمثبت من تفسير الرازي.

(٦) بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، كما ذكر الرازي.

(٧) كلمة: ذكر، من (ح)، وفي تفسير الرازي: إثبات.

طاعتنا، وهو أجلُّ أنْ يأمرنا بما لا فائدةَ له فيه، وأجاب تعالى بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ﴾ الآية [الإسراء: ٧].

وبالجملة فشُبَهُ الكفار كثيرةٌ فلمَّا رأوا القرآنَ مشتملًا على أمورٍ ما عرفوا حقيقتها، ولا اطَّلعوا على وجه الحكمة فيها، كذَّبوا بالقرآن، فقولُه: «بما لم يحيطوا بعِلْمِه» إشارةٌ إلى عدم علمهم بهذه الأشياء، وقولُه: «ولمَّا يأتهم تأويلُه» إشارةٌ إلى عدم جدِّهم[1] واجتهادهم في طلب أسرارِ ما تَضمَّنه القرآنُ. انتهى ملخَّصًا.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: ما معنى التوقُّعِ في قوله تعالى: «ولمَّا يأتهم تأويلُه»؟ قلت: معناه أنهم كذَّبوا به على البديهة قبل التدبُّر ومعرفةِ التأويل تقليدًا للآباء، وكذَّبوه بعد التدبُّر تمرُّدًا وعنادًا، فذمَّهم بالتسرُّع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقُّع ليُؤْذِنَ أنهم علموا بعد علوِّ شأنه وإعجازِه لمَّا كرَّر عليهم التحدِّي ورازوا قواهم[2] في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مِثْلِه، فكذَّبوا به بغيًا وحسدًا[3]. انتهى، ويحتاجُ كلامُه هذا إلى نظرٍ.

وقال أيضًا: ويجوزُ أن يكون معنى «ولمَّا يأتهم تأويلُه»: ولم يأتهم بعدُ تأويلُ ما فيه من الإخبار بالغيوب ـ أي: عاقبته ـ حتى يتبيَّن لهم أكذِبٌ هو أم صِدْقٌ؟ يعني أنه كتابٌ مُعْجِزٌ من جهتين: من جهة إعجازِ نَظْمِه، ومن جهةِ ما فيه من الإخبار بالغيوب، فتَسَرَّعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نَظْمِه وبلوغِه حدَّ الإعجاز، وقبل أن يَخْبَروا إخبارَه بالمغيَّبات وصِدْقَه وكَذِبَه[4]. انتهى.

وبقيت جملةُ الإحاطة بـ«لم» وجملةُ إتيان التأويل بـ«لمَّا»، ويُحتاج في ذلك إلى فرقٍ[5].

---

(١) في النسخ عدا (ح): جهدهم، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في تفسير الرازي.
(٢) أي: جرَّبوها وقدَّروها. أساس البلاغة (روز).
(٣) الكشاف ٢/ ٢٣٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) بعدها في المطبوع: دقيق، وليس في النسخ. وجاء في هامش (ح) بخط الناسخ ما نصه: الفرق أن «لم» للنفي المطلق على الصحيح، و«لمَّا» لنفي الفعل المتصل بزمن الحال، فالمعنى: أن عدم التأويل متصل بزمن الإخبار، وهذا من الواضحات.

والكافُ في موضع نصبٍ، أي: مِثْلَ ذلك التكذيبِ كذَّبَ الذين من قبلهم، يعني قبلَ النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبُّرها، من غيرِ إنصافٍ من أنفسهم ولكن قلَّدوا الآباءَ وعاندوا.

قال ابن عطية: قال الزجَّاج: «كيف» في موضع نصبٍ على خبرِ «كان»، ولا يجوزُ أن يعمل فيه «انظر»؛ لأنَّ ما قبل الاستفهام لا يعملُ فيه. هذا قانونُ النحويين؛ لأنهم عاملوا «كيف» في كلِّ مكانٍ معاملَة الاستفهام المَحْضِ في قولك: كيف زيدٌ؟ ولـ«كيف» تصرُّفاتٌ غيرُ هذا: تَحُلُّ محلَّ المصدر الذي هو «كيفية» وتَخلعُ معنى الاستفهام، ويحتمل هذا الموضعُ أن يكون منها، ومن تصرُّفاتها قولُهم: كنْ كيف شئتَ، وانظر قولَ البخاريِّ: كيف كان بدءُ الوحي، فإنه لم يستفهم[1]. انتهى.

وقولُ الزجَّاج: لا يجوزُ أن يعمل فيه «انظر»، وتعليلُه: يريد: لا يجوزُ أن يعمل فيه «انظر» لفظًا، لكنَّ الجملة في موضع نصبٍ لـ«انْظُرْ»[2] لأنَّ «انظر» معلَّقةٌ، وهي مِن نَظَرِ القلب.

وقولُ ابنِ عطية: هذا قانونُ النحويين. إلى آخِرِ تعليله، ليس كما ذَكَر بل لـ«كيف» معنيان:

أحدهما: الاستفهامُ المحضُ، وهو سؤالٌ عن الهيئة، إلَّا أنْ يُعلَّقَ عنها العاملُ فمعناها معنى الأسماءِ التي يُسْتَفْهَمُ بها إذا علِّق عنها العاملُ.

والثاني: الشرط؛ كقولِ العرب: كيف تكونُ أكونُ.

وقوله: ولـ«كيف» تصرُّفاتٌ... إلى آخِره، ليس «كيف» تحلُّ محلَّ المصدر، ولا لفظُ «كيفية» هو مصدرٌ، إنما ذلك نسبة إلى «كيف».

وقوله: ويحتمل أن يكون هذا الموضعُ منها، ومن تصرُّفاتها قولُهم: كن كيف شئت. لا يحتملُ أن يكونَ منها؛ لأنه لم يثبت لها المعنى الذي ذَكَر مِن كون «كيف» بمعنى «كيفية»، وادعاءِ مصدرِ كيفية، وأمَّا: كُنْ كيف شئت، فـ«كيف» ليست

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٢١. وكلام الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٢١. وقول البخاري هو في أول صحيحه قبل الحديث رقم (١).
(٢) قوله: لا نظر، ليس في (ح).

بمعنى «كيفية»، وإنما هي شَرْطيةٌ، وهو المعنى الثاني الذي لها، وجوابُها محذوفٌ، التقدير: كيف شئتَ فكن، كما تقول: قم متى شئتَ، فـ«متى» اسمُ شرطٍ ظرفٌ لا يَعْمَلُ فيه «قم»، والجوابُ محذوفٌ تقديره: متى شئتَ فقُمْ، وحُذِفَ الجوابُ لدلالة ما قبله عليه، كقولهم: اضربْ زيدًا إن أساء إليك، التقدير: إنْ أساءَ إليك فاضْرِبْه، وحُذف «فاضربه» لدلالة «اضرب» المتقدِّم عليه.

وأمَّا قولُ البخاري: كيف كان بدءُ الوحي، فهو استفهامٌ محضٌ إمَّا على سبيل الحكاية، كأنَّ سائلًا[1] سأله فقال: كيف كان بدءُ الوحي؟ وإمَّا أن يكون من قوله هو، كأنه سأل نفسه: كيف كان بدءُ الوحي[2]؟ فأجاب بالحديث الذي فيه كيفيةُ ذلك.

و«الظالمين» الظاهرُ أنه أُريدَ به الذين مِن قَبْلِهم، ويحتملُ أن يرادَ به مَن عاد عليه ضميرُ «بل كذَّبوا».

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ الظاهرُ أنه إخبارٌ بأنَّ مِن كفارِ قريشٍ مَن سيؤمنُ به، وهو مَن سَبَقَتْ له السعادةُ، ومنهم مَن لا يؤمنُ به فيوافي على الكفر.

وقيل: هو تقسيمٌ في الكفار الباقين على كفرهم، فمنهم مَن يؤمنُ به باطنًا ويعلم أنه حقٌّ ولكنه كذَّب عنادًا، ومنهم مَن لا يؤمنُ به لا باطنًا ولا ظاهرًا؛ إما لسرعة تكذيبه وكونِه لم يتدبَّرْه، وإمَّا لكونه نَظَرَ فيه فعارَضَتْه الشبهاتُ وليس عنده من الفهم ما يدفعُها. وفيه تفريقُ كلمة الكفَّار، وأنهم ليسوا مستوين في اعتقاداتهم، بل هم مُضْطَرِبون وإن شملهم اسم[3] التكذيب والكفر.

وقيل: الضميرُ في «ومنهم» عائدٌ على أهل الكتاب. والظاهرُ عَوْدُه على مَن عاد عليه ضميرُ «أم يقولون».

وتعلُّقُ العلم بالمفسدين وحدهم تهديدٌ عظيمٌ لهم.

---

(١) في النسخ عدا (يه): قائلاً، والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في الدر المصون ٦/ ٢٠٧ نقلاً عن البحر.

(٢) من قوله: وإما أن يكون، إلى هنا ساقط من (د١) والمطبوع.

(٣) قوله: اسم، من (ز١).

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: وإن تمادَوْا على تكذيبك فتبرَّأْ منهم قد[١] أعْذَرْتَ وبلَّغْتَ، كقوله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، ومعنى «لي عملي»، أي: جزاءُ عملي ولكم جزاءُ عَمَلِكم، ومعنى «عملي»، أي: الصالح المشتمِلُ على الإيمان والطاعة، «ولكم عملكم» المشتملُ على الشرك والعصيان.

والظاهرُ أنها آيةُ منابَذةٍ لهم ومُوادَعةٍ، وضِمْنُها الوعيدُ كقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ السورة.

وقيل: المقصودُ بذلك استمالتُهم وتأليفُ قلوبهم.

وقال قوم منهم ابنُ زيد: هي منسوخةٌ بالقتال لأنها مكيةٌ[٢]. وهو قولُ مجاهدٍ والكلبيِّ ومقاتلٍ[٣].

وقال المحقِّقون[٤]: ليست بمنسوخةٍ، ومدلولُها اختصاصُ كلٍّ واحدٍ بأفعالِه وثمراتِها من الثواب والعقاب، ولم تَرْفَع آيةُ السيف شيئًا من هذا.

وبدأ في المأمورِ بقوله: «لي عملي» لأنه آكَدُ في الانتفاء منهم، وفي البراءة بقوله: «أنتم بريئون ممَّا أعملُ» لأنَّ هذه الجملةَ جاءت كالتوكيد والتتميم لمَا قبلها، فناسَبَ أن تليَ قولَه: «ولكم عملُكم»، ولمراعاةِ الفواصل إذ لو تقدَّم ذكرُ براءَته كما تقدَّم ذكر «لي عملي» لم تقعِ الجملةُ فاصلةً، إذ كان يكون التركيبُ: وأنتم بريئون مما أعمل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال ابن عباس: نزلت الآيتان في النَّضر بنِ الحارث وغيرِه من المستهزئين.

---

(١) في (يه): فقد.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٢، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ١٨٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٦، وذكره عن مقاتل والكلبي أيضاً الثعلبي ٣/ ٢٨٦، والواحدي ٢/ ٥٤٨، والرازي ١٧/ ١٠٠.
(٤) هو قول الرازي في تفسيره ١٧/ ١٠٠.

وقال ابنُ الأنباريِّ: في قوم من اليهود[١]. انتهى.

وهذه الآيةُ فيها تقسيمُ مَن لا يُؤمنُ من الكفار إلى هذين القسمين بعد تقسيم المكذِّبين إلى مَن يؤمنُ ومَن لا يؤمنُ.

والضميرُ في «يستمعون» عائدٌ على معنى «مَن»، والعَوْدُ على المعنى دون العَوْدِ على اللَّفظ في الكثرة، وهو كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] والمعنى: مَن يستمعون إليك إذا قرأتَ القرآنَ وعلَّمتَ الشرائعَ، ثم نَفَى جَدْوَى ذلك الاستماعِ بقوله: «أفأنت تُسمع الصمَّ»، أي: هم وإن اسْتَمعوا إليك صمٌّ عن إدراك ما تُلْقيه إليهم ليس لهم وعيٌ ولا قبولٌ، ولا سيما قد انضاف إلى الصَّمَم انتفاءُ العقلِ، فَحَرٍ بمن عَدِمَ السمعَ والعقلَ أن لا يكون له إدراكٌ لشيءٍ البتةَ، بخلافِ أنْ لو كان الأصمُّ عاقلًا فإنه بعقله يهتدي إلى أشياءَ.

وأعاد في قوله: «ومنهم مَن ينظرُ إليك» الضميرَ مفردًا مذكَّرًا على لفظِ «مَن»، وهو الأكثرُ في لسان العرب، والمعنى: إنهم عُمْيٌ فلا تقدِرُ على هدايتهم؛ لأنَّ السبب الذي يُهْتَدَى به إلى رؤية الدلائل قد فَقَدوه، هذا وَهُمْ مع فَقْدِ البصرِ قد فقدوا البصيرةَ؛ إذ مَن كان أعمى فإنَّه يَهْدِيه نورُ بصيرته إلى أشياءَ بالحَدْسِ، وهذا قد جمع بين فِقْدان البصر والبصيرة، وهذه مبالغةٌ عظيمةٌ في انتفاء قبولِ ما يُلْقَى إلى هؤلاء؛ إذ جمعوا بين الصَّمم وانتفاءِ العقل وبين العمى وفَقْدِ البصيرة.

وفي قوله: «أفأنت» «أفأنت» تسليةٌ للرسول ﷺ، وأنْ لا يكترثَ بعدم قبولهم فإنَّ[٢] الهدايةَ إنما هي لله.

قال ابن عطية: جاء «ينظر» على لفظِ «مَن»، وإذا جاء الفعلُ على لفظها فجائزٌ أن يُعْطَفَ عليه آخَرُ على المعنى، وإذا جاء أولًا على معناها فلا يجوزُ أن يُعطف بآخَرَ على اللفظ؛ لأنَّ الكلام يُلْبِس حينئذ[٣]. انتهى.

(١) ذكر القولين ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٤ وقال: القولان مرويان عن ابن عباس.
(٢) في (ز١): وأن.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٢.

وليس كما قال، بل يجوزُ أن تُراعيَ المعنى أولًا فتعيدَ الضميرَ على حَسَبِ ما تريد من المعنى من تأنيثٍ وتثنيةٍ وجمعٍ، ثم تراعيَ اللفظَ فتعيدَ الضميرَ مفردًا مذكَّرًا، وفي ذلك تفصيلٌ ذُكر في علم النحو.

والمقصودُ من الآيتين إعلامُه عليه السلام بأنَّ هؤلاء الكفارَ قد انتهوا في النُّفرة والعداوة والبغضِ الشديد في رتبةِ مَن لا ينفعُ فيه علاجٌ البتةَ؛ لأنَّ مَن كان أصمَّ أحمقَ وأعمى فاقدَ البصيرة لا يمكنُ ذلك أن يقف على محاسن الكلامِ وما انْطَوَى عليه من الإعجاز، ولا يمكن هذا أن يرى ما أَجْرَى اللهُ على يَدَيْ رسوله من الخوارق، فقد أُيِسَ من هداية هؤلاء، وقال الشاعر:

وإذا خَفِيْتُ على الغبيِّ فعاذرٌ ... أنْ لا تراني مُقْلةٌ عمياءُ[1]

ولمَّا ذَكَر تعالى هؤلاء الأشقياءَ ذَكَر تعالى أنه لا يظلمُهم شيئًا؛ إذ قد أزاح عِلَلَهم ببعثة الرسل وتحذيرِهم من عقابه، ولكن هم ظالمو أنفُسِهم بالكفر والتكذيب. واحْتَمَلَ هذا النفيُ للظلم أن يكون في الدنيا، أي: لا يظلمُهم شيئًا من مصالحهم، واحْتَملَ أن يكون في الآخرة، وأنَّ ما يَلحقُهم من العقاب هو عدلٌ منه لأنهم هم الذين تسبَّبوا فيه باكتسابِ ذنوبهم كما قدَّر تعالى عليهم ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وتقدَّمَ خلافُ القرَّاء في «ولكن الناس» من تشديدِ النون ونَصْبِ «الناس»، وتخفيفِها والرَّفعِ[2].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ قرأ الأعمش وحفصٌ: «يحشرهم» بالياء[3] راجعًا الضميرُ غائبًا عائدًا على «الله»، إذ تقدَّم «إنَّ الله لا يظلمُ الناسَ شيئًا».

---

(١) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ١/ ١٤٤.

(٢) قرأ بتخفيف النون والرفع حمزة والكسائي، كما في السبعة ص١٦٨، والتيسير ص١٢٢، وينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وينظر كذلك ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من هذه السورة.

(٣) السبعة ص٣٢٧، والتيسير ص١٠٧ عن حفص، والمحرر الوجيز ٣/ ١٢٣ عن الأعمش.

ولمَّا ذَكَر أولئك الأشقياءَ أَتْبَعَه بالوعيد وَوَصْفِ حالِهم يومَ القيامة، والمعنى: كائنٌ لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور، يعني تقليلَ[1] لبثهم، وذلك لهول ما يُعاينون من شدائد القيامة، أو لطول يوم القيامة ووقوفِهم للحساب.

قال ابن عباس: رأوا أنَّ طول أعمارِهم في مقابَلَةِ الخلود كساعةٍ[2].

قال ابنُ عطية[3]: «ويومَ» ظرفٌ، ونَصْبُه يصحُّ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُه: واذْكُرْ، ويصحُّ أنْ يَنْتَصِبَ بالفعل الذي يتضمَّنُه قولُه: «كأن لم يلبثوا إلَّا ساعةً من النهار»، ويصحُّ نصبُه بـ«يتعارفون»، والكافُ من قوله: «كأنْ» يصحُّ أن تكون في موضع الصفة لليوم، ويصحُّ أن تكون في موضع نعتٍ للمصدر، كأنه قال: ويومَ نحشرهم حشرًا كأنْ لم يلبثوا، ويصحُّ أن يكون قولُه: «كأن لم يلبثوا» في موضع الحال من الضمير في «نحشرهم». انتهى.

أمَّا قوله: ويصحُّ أن ينتصب بالفعل الذي يتضمَّنه «كأنْ لم يلبثوا»، فإنه كلامٌ مُجْمَلٌ؛ لم يبيِّن الفعلَ الذي يتضمَّنه «كأن لم يلبثوا»، ولعله أراد ما قاله الحَوْفيُّ من أنَّ الكاف في موضع نصبٍ بما تضمَّنت من معنى الكلام وهو السرعة، انتهى، فيكونُ التقدير: ويوم نحشرهم يُسْرِعون كأنْ لم يلبثوا[4].

وأمَّا قوله: والكافُ من قوله: «كأنْ» يصحُّ أن تكونَ في موضع الصفة لليوم، فلا يصحُّ؛ لأنَّ «يوم نحشرهم» معرفةٌ، والجملُ نكراتٌ، ولا تُنْعَتُ المعرفةُ بالنكرة، لا يقال: إنَّ الجمل التي[5] يضاف إليها أسماءُ الزمان نكرةٌ على الإطلاق. لأنها إنْ كانت في التقدير تنحلُّ إلى معرفةٍ فإنَّ ما أضيف إليها يتعرَّفُ، وإنْ كانت تنحلُّ إلى نكرةٍ كان ما أُضيف إليها نكرةً، تقول: مررتُ في يومِ قَدِمَ زيدٌ الماضي، فتصفُ «يوم» بالمعرفة، و: جئتُ ليلةَ قَدِمَ زيدٌ المباركةَ علينا.

---

(١) في (د١) والمطبوع: فقليل.
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٠٩.
(٣) في المحرر الوجيز ٢/ ١٢٢-١٢٣.
(٤) فيكون «يسرعون» حالًا من مفعول «يحشرهم»، ويكون «كأن لم يلبثوا» حالًا من فاعل «يسرعون». قاله السمين في الدر ٦/ ٢١٠.
(٥) في النسخ عدا (يه): الذي، والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في الدر المصون ٦/ ٢٠٨ نقلاً عن البحر.

وأيضًا فـ«كأنْ لم يلبثوا» لا يمكنُ أن يكون صفةً لليوم من جهة المعنى؛ لأنَّ ذلكِ من وَصْفِ المحشورين لا مِن وَصْفِ يومِ حشرهم، وقد تكلَّف بعضُهم[١] تقديرَ محذوفٍ يربطُ، فقدَّره: كأنْ لم يلبثوا قبلَه، فحذف «قبله»، أي: قبل اليوم، وحَذْفُ مِثْلِ هذا الرابطِ لا يجوز.

فالظاهرُ أنها جملةٌ حاليةٌ من مفعول «نَحْشُرهم» كما قاله ابنُ عطية آخِرًا، وكذا أعربه الزمخشريُّ وأبو البقاء[٢]؛ قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: «كأنْ لم يلبثوا» و«يتعارفون» كيف موقعُهما؟ قلت: أمَّا الأولى فحالٌ منهم[٤]، أي ونحشرُهم مشبَّهين بمن لم يَلْبَثْ إلَّا ساعةً، وأمَّا الثانيةُ فإما أنَّ تتعلَّقَ بالظرف ـ يعني فتكون حالًا ـ وإمَّا أن تكون مُبَيِّنةً لقوله: «كأنْ لم يلبثوا إلَّا ساعةً» لأنَّ التعارُفَ لا يبقى مع طول العهد وينقلبُ تناكُرًا. انتهى.

وقال الحوفي: «يتعارفون» فعلٌ مستقبَلٌ في موضع الحال من الضمير في «يلبثوا»، وهو العاملُ، كأنه قال: متعارِفينَ، المعنى: اجتمعوا متعارِفينَ، ويجوزُ أنْ يكونَ حالًا من الهاء والميم في «نحشرهم»، وهو العاملُ. انتهى.

وأمَّا قولُ ابنِ عطيةَ: ويصحُّ أن يكون في موضع نعتٍ للمصدر، كأنه قال: ويوم نحشرُهم حشرًا كأنْ لم يلبثوا. فقد حكاه أبو البقاء فقال: وقيل: هو نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: حشرًا كأنْ لم يلبثوا قبله[٥]. انتهى، وقد ذكرنا أنَّ حذف مِثْلِ هذا الرابطِ لا يجوزُ.

وجوَّزوا في «يتعارفون» أن يكون حالًا، على ما تقدَّم ذكرُه من الخلاف في ذي

---

(١) هو مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٤٧، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ١١/ ٥٥ عن أبي علي، ولعله الفارسي، ونقله أبو البقاء في الإملاء ٢/ ٢٩ دون تسمية القائل.

(٢) في الإملاء ٢/ ٢٩. وسيرد لاحقاً كلام الزمخشري.

(٣) في الكشاف ٢/ ٢٣٩.

(٤) في مطبوع الكشاف: من هم، والمعنى واحد، أي: هي حال من مفعول «يحشرهم».

(٥) الإملاء ٢/ ٢٩. وقاله مكي في المشكل ١/ ٣٤٧، ولعله هو الذي حكى عنه أبو البقاء. وهذا القول والتقدير ذكره أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١١/ ٥٥ عن أبي علي، ولعله الفارسي.

الحال، والعاملِ فيها، وأن يكون جملةً مستأنفةً؛ أخبر تعالى أنه يقع التعارُفُ بينهم.

وقال الكلبي: يعرفُ بعضُهم بعضًا كمعرفتهم في الدنيا، إذا خرجوا من قبورهم، وهو تعارفُ توبيخٍ وافتضاحٍ، يقول بعضهم لبعض: أنت أَضْلَلْتني وأَغْوَيْتني، وليس تعارفَ شفقةٍ وعطفٍ، ثم تنقطعُ المعرفة إذا عاينوا أهوالَ القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠][(١)].

وقيل: يُعرِّفُ بعضُهم بعضًا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر[(٢)].

وقال الضحاك: تعارُفُ تعاطفِ المؤمنين، والكافرون لا أنسابَ بينهم[(٣)].

وقيل: القيامةُ مواطنُ، ففي مواطنَ يتعارفون، وفي مواطنَ لا يتعارفون.

والظاهرُ أنَّ قوله: «قد خسر الذين» إلى آخره، جملةٌ مستأنفةٌ؛ أخبر تعالى بخسران المكذِّبين بلقائه، قال الزمخشري: هو استئنافٌ فيه معنى التعجُّبِ، كأنه قيل: ما أَخْسَرَهم.

وقال أيضًا وابتدأ به: «قد خسر» على إرادةِ القول، أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك[(٤)].

قال ابن عطية: وقيل: إنه إخبارُ المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم[(٥)]. انتهى.

وهذا يَحْتمِلُ أن يكون كقول الزمخشري: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، وأن يكون كقولِ غيرِه: نحشرهم قائلين: قد خسر، فاحتمل هذا المقدَّرُ أن يكون معمولًا لـ«يتعارفون» وأن يكون معمولًا لـ«يحشرهم».

ونبَّه على العلَّة المُوْجِبَةِ للخسران، وهو التكذيبُ بلقاء الله.

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/٥٠٩.
(٢) وعلى هذا يكون «يتعارفون» محمولًا على التعريف كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ١١/١٥٩، ثم تعقبه بقوله: وفيه ما فيه.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/٥٠٩، وذكره بنحوه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٢/١٠٠.
(٤) القولان في الكشاف ٢/٢٣٩.
(٥) المحرر الوجيز ٣/١٢٣.

«وما كانوا مهتدين» الظاهرُ أنه معطوفٌ على قوله: «قد خَسِرَ»، فيكون من كلام المحشورين إذا قلنا: إنَّ قوله: «قد خسر» من كلامهم أخبروا عن أنفسهم بخسرانهم في الآخرة، وبانتفاءِ هدايتهم في الدنيا، ويحتمل أن يكون[١] معطوفًا على صلة «الذين»، أي: كذَّبوا بلقاء الله وانتفت هدايتُهم في الدنيا، وتكون الجملةُ كالتوكيد لجملة الصلة؛ لأنَّ مَن كذَّب بلقاء الله هو غيرُ مُهْتَدٍ.

وقيل: «وما كانوا مهتدين» إلى غايةِ مصالحِ التجارة[٢].

وقيل: للإيمان.

وقيل: في علم الله، بل هم ممن خَتَم ضلالَهم وقَضَى به.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

«إمَّا» هي «إنْ» الشرطية زِيْدَ عليها «ما»، قال ابنُ عطيةَ: ولأَجْلِها جاز دخولُ النون الثقيلة، ولو كانت «إنْ» وحدها لم يَجُزْ[٣]. انتهى.

يعني أنَّ دخول النون للتأكيد إنما يكون مع زيادة «ما» بعد «إنْ»، وهذا الذي ذكره مخالفٌ لظاهر كلام سيبويه؛ قال ابن خروف: أجاز سيبويه الإتيانَ بـ«ما» وأنْ لا يُؤْتَى بها، والإتيانَ بالنون مع «ما» وأن لا يؤتَى بها[٤].

والإراءةُ هنا بَصَريةٌ، ولذلك تعدَّى الفعلُ إلى اثنين، والكافُ خطابٌ للرسول ﷺ، و«بعض الذي نَعِدُهم» يعني: من العذاب في الدنيا، وقد أَراه اللهُ تعالى أنواعًا من عذاب الكفار في الدنيا قتلًا وأسرًا ونهبًا للأموال وسبيًا للذراري،

(١) وقع في المطبوع: ويحتمل أن تكون، بدل: وتكون، وهو خطأ.
(٢) ذكره بنحوه الرازي في تفسيره ١٧/ ١٠٥، وجاء قبله كلام يوضحه، حيث قال الرازي: والمعنى (يعني في قوله تعالى: «قد خسر...»): أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسر؛ لأنه أعطى الكثير الشريف الباقي، وأخذ القليل الخسيس الفاني. ثم قال: وأما قوله: «وما كانوا مهتدين» فالمراد أنهم ما اهتدوا إلى رعاية مصالح هذه التجارة. اهـ. وكلمة «رعاية» هي الأنسب بالسياق هنا.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٣.
(٤) الكتاب ٤/ ٥١٥، وقد سلف الكلام على هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

وضربَ جزيةٍ، وتشتيتَ شملٍ بالجلاء إلى غير بلادهم، وما يَحْصُلُ لهم في الآخرة أعظمُ لأنه العذابُ الدائمُ الذي لا ينقطعُ.

والظاهرُ أنَّ جواب الشرط هو قوله: «فإلينا مَرْجعُهم» وكذا قاله الحَوْفي وابنُ عطية[١].

قال ابن عطية: ومعنى هذه الآيةِ: الوعيدُ بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى، أي: إنْ أريناكَ عقوبتَهم أو لم نُرِكَها فهم على كلِّ حالٍ راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب، ثم مع ذلك اللهُ شهيدٌ من أول تكليفهم على جميع أعمالهم، فـ«ثم» هاهنا لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص في أنفُسها[٢].

وقال الزمخشري: «فإلينا مَرْجِعُهم» جوابُ «نتوفَّينَّك»، وجوابُ «نُرِينَّك» محذوفٌ، كأنه قيل: وإما نرينَّك بعضَ الذي نَعِدُهم في الدنيا فذاك، أو نَتوفَّيَنَّك قبل أن نُرِيَكَهُ فنحن نُرِيكَ في الآخرة[٣]. انتهى.

فجعل الزمخشريُّ الكلامَ شرطين لهما جوابان، ولا حاجةَ إلى تقديرِ جوابٍ محذوفٍ؛ لأنَّ قوله: «فإلينا مرجعُهم» صالحٌ أن يكون جوابًا للشرط والمعطوفِ عليه.

وأيضًا فقولُ الزمخشري: فذاك، هو اسمٌ مفردٌ لا ينعقدُ منه جوابُ شرطٍ، فكان ينبغي أن يأتي بجملةٍ يتضح منها جوابُ الشرط؛ إذ لا يُفْهَمُ من قوله: فذاك، الجزءُ الذي حُذِفَ، المتحصِّلُ به فائدةُ الإسناد[٤].

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «ثَمَّ اللهُ» بفتح الثاء، أي: هنالك[٥].

---

(١) في المحرر ٣/ ١١٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٣٩، وفيه: . . . فنحن نريكه في الآخرة.
(٤) قال السمين في الدر ٧/ ٢١٢ متعقبًا: قد تقرَّر أن اسم الإشارة قد يشار به إلى شيئين فأكثر وهو بلفظ الإفراد، فكأن «ذاك» واقع موقع الجملة الواقعة جوابًا، ويجوز أن يكون قد حذف الخبر لدلالة المعنى عليه؛ إذ التقدير: فذاك المراد أو المتمنَّى، أو نحوه. وقوله (أي: المصنف): إذ لا يفهم الجزء الذي حُذف. . . إلى آخره، ممنوعٌ، بل هو مفهوم كما رأيت، وهو شيء يتبادر إلى الذهن.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٣٩.

ومعنى شهادةِ الله على ما يفعلون: مقتضاها ونتيجتُها وهو العقابُ، كأنه قال: ثم الله مُعاقِبُهم، وإلّا فهو تعالى شهيدٌ على أفعالهم في الدنيا والآخرة.

ويجوزُ أن يكون المعنى: أنه تعالى مؤدٍّ شهادتَه على أفعالهم يومَ القيامة حين يُنْطِقُ[1] جلودَهم وألسنتهم وأيديَهم وأرجلَهم شاهدةً عليهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لمَّا بيَّن حالَ الرسول ﷺ في قومه بيَّن حالَ الأنبياء عليهم السلامُ مع أقوامهم تسليةً له وتطمينًا لقلبه، ودلَّت الآيةُ على أنه تعالى ما أَهْملَ أمَّةً بل بعث إليها رسولًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقولُه: «فإذا جاء رسولُهم» إمَّا أن يكون إخبارًا عن حالةٍ ماضيةٍ، فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث إلى كلِّ أمةٍ رسولًا يدعوهم إلى دين الله وينبِّهُهُم على توحيده، فلمَّا جاءهم بالبينات كذَّبوه، فـ«قضي بينهم»، أي: بين الرسول وأمته، فأُنْجِيَ الرسولُ وعذِّب المكذِّبون.

وإمَّا أن يكون عن حالةٍ مستقبَلةٍ، أي: فإذا جاء رسولُهم يوم القيامة للشهادة عليهم قُضي بينهم، أي: بين الأمة بالعدل فصار قومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار، فهذا هو القضاءُ بينهم؛ قاله مجاهدٌ وغيرُه[2]، ويكون كقوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ الضميرُ في «ويقولون» عائدٌ على مشركي قريشٍ ومَن تابَعَهم من منكري الحشر؛ اسْتَعْجَلوا بما وُعِدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف، ولذلك قالوا: «إن كنتم صادقين» أي: لستُم صادقين فيما وَعَدْتُم به، فلا يقع شيءٌ منه، وقولُهم هذا يشهدُ للقول الأول في الآية قبلها، وأنها حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، وأنَّ معنى ذلك: فإذا جاءهم الرسولُ وكذَّبوه قُضي بينهم في الدنيا، وأنَّ كلَّ رسولٍ وَعَدَ أمَّتَه بالعذاب في الدنيا إنْ هي كذَّبَتْ.

---

(١) في النسخ: حتى تنطق، والمثبت من الكشاف ٢/ ٢٣٩، والكلام منه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٣، وأخرجه الطبري ١٢/ ١٨٩ مختصراً بلفظ: «فإذا جاء رسولهم» قال: يوم القيامة.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ لمَّا الْتَمسوا تعجيلَ العذاب أو تعجيلَ الساعة أَمَرَه عليه السلامُ أنْ يقولَ لهم: ليس ذلك إليَّ بل ذلك إلى الله تعالى، وإذا كنتُ لا أملكُ لنفسي نفعًا ولا ضرًّا فكيف أملكُه لغيري، أو كيف أطَّلعُ على ما لم يُطْلِعْني عليه الله، ولكنْ لكلِّ أمةٍ أجَلٌ انفرد بعلمه تعالى.

وتقدَّم الكلام على نظيرِ قوله: «لكلِّ أمةٍ أجلٌ» إلى آخر الآية في «الأعراف»[1].

وقرأ ابنُ سيرين: «آجالُهم» على الجمع[2].

و«إلّا ما شاء الله» ظاهرُه أنه استثناءٌ متصلٌ أي: إلا ما شاء الله أنْ أمْلِكَه وأقدرَ عليه.

وقال الزمخشريُّ[3] هو استثناءٌ منقطعٌ، أي: ولكنْ ما شاء الله من ذلك كائنٌ، فكيف أملكُ لكم الضررَ وجَلْبَ العذاب ولكلِّ أمَّةٍ أجلٌ، أي: إنَّ عذابكم له أجلٌ مضروبٌ عند الله.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ تقدَّم الكلام في «أرأيتم» في سورة الأنعام[4]، وقرَّرنا هناك أنَّ العرب تضمِّن «أرأيتَ» معنى: أَخْبِرْني، وأنها تتعدَّى إذ ذاك إلى مفعولين، وأنَّ المفعول الثانيَ أكثرُ ما يكون جملةَ استفهام ينعقدُ منها مع ما قبلها مبتدأٌ وخبر، كقول العرب: أرأيتَ زيدًا ما صَنَع؟ المعنى: أخبرني عن زيدٍ ما صنع؟ وقبل دخول «أرأيت» كان الكلامُ: زيدٌ ما صَنَع؟ وإذا تَقرَّرَ هذا فـ«أرأيتُم» هنا المفعولُ الأولُ لها محذوفٌ، والمسألةُ من باب الإعمال؛ تنازَعَ «أرأيتَ» و«إنْ أتاكم» على قوله: «عذابه» فأُعْمِلَ الثاني إذ هو المختارُ على مذهب البَصْريين، وهو

---

(١) الآية: (٣٤) منها.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٤، والكشاف ٢/ ٢٤٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٤٠.
(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٤٠].

الذي ورد به السماعُ أكثرَ من إعمال الأول، فلمَّا أُعمل الثاني حُذف من الأول، ولم يُضْمَرْ لأنَّ إضمارَه مختصٌّ بالشعر أو قليلٌ في الكلام، على اختلافِ النحويين في ذلك[١]، والمعنى: قل لهم يا محمدُ: أخبِروني عن عذاب الله إنْ أتاكم أيَّ شيءٍ تستعجلون منه، وليس شيءٌ من العذاب يستعجلُه عاقلٌ؛ إذ العذابُ كلُّه مرُّ المذاق موجبٌ لنِفَار الطَّبْع منه، فتكونُ جملةُ الاستفهام جاءت على سبيل التلطُّفِ بهم والتنبيهِ لهم أنَّ العذاب لا ينبغي أن يُستعجَلَ.

ويجوزُ أن تكون الجملةُ جاءت على سبيل التعجُّب والتهويلِ للعذاب، أي: أيَّ شيءٍ شديد تَسْتَعْجِلون منه، أي: ما أشدَّ وأهولَ ما تستعجلون من العذاب.

وقال الحَوْفي: الرؤيةُ من رؤية[٢] القلب التي بمعنى العلم؛ لأنها داخلةٌ على الجملة من الاستفهام ومعناها التقريرُ، وجوابُ الشرط محذوفٌ، وتقدير الكلام: أرأيتُم ما يَسْتَعْجِلُ من العذاب المجرمون إن أتاكم عذابُه. انتهى.

فظاهِرُ كلام الحَوْفيِّ أنَّ «أرأيتُم» باقيةٌ على موضوعها الأول لم تُضَمَّنْ معنى: أخبروني، وأنها بمعنى: أَعَلِمْتُم، وأنَّ جملةَ الاستفهام سدَّتْ مسدَّ المفعولين، وأنه استفهامٌ معناه التقريرُ، ولم يبيِّن الحوفيُّ ما تقديرُ جوابِ الشرط المحذوفِ.

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: بِمَ يتعلَّقُ الاستفهام، وأين جوابُ الشرط؟ قلت: تعلَّق بـ«أرأيتم» لأن المعنى: أخبروني ماذا يستعجلُ منه المجرمون، وجوابُ الشرط محذوفٌ وهو: تَنْدَموا على الاستعجال أو تَعْرِفوا الخطأَ فيه[٣]. انتهى.

وما قدَّره الزمخشريُّ غيرُ سائغٍ؛ لأنه لا يقدَّرُ الجوابُ إلَّا ممَّا تقدَّمه لفظًا أو تقديرًا، تقول: أنت ظالمٌ إنْ فعلتَ، فالتقدير: إنْ فعلتَ فأنت ظالمٌ، وكذلك:

---

(١) وتفصيل المسألة: أنه إذا أُعمل الثاني وكان الأولُ طالبَ منصوبٍ ـ كما هنا ـ أو مجرور، فيُضْمَر في الأول ويحذف، نحو: ضربْتُ وضَرَبَني زيدٌ، ومررتُ ومرَّ بي زيدٌ، هذا مذهب الأكثرين، ومن النحويين مَن يُضمر فيقول: ضربْتُه وضَرَبَني زيدٌ، و: مرزتُ به ومرَّ بي زيدٌ، وأكثر النحويين لا يجيزونه؛ لاشتماله على تقدير ضمير هو فضلةٌ على مفسِّرٍ متأخِّرٍ لفظاً ورتبةً. ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١١١، والارتشاف ٤/ ٢١٤٢، والدر المصون ٦/ ٢١٤.

(٢) في (يه): المراد رؤية.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٤٠.

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] التقدير: إنْ شاء الله نهتدِ، فالذي يَسُوغُ أنْ يقدَّر: إنْ أتاكم عذابُه فأخبروني ماذا يستعجِلُ.

وقال الزمخشري: ويجوزُ أن يكون «ماذا يستعجلُ منه المجرمون» جوابًا للشرط كقولك: إنْ أتيتُكَ ماذا تُطْعِمُني؟ ثم تتعلَّق الجملة بـ«أرأيتم»، وأن يكون «أثمَّ إذا ما وقع آمنتم به» جوابَ الشرط، و«ماذا يستعجل منه المجرمون»[1]. اعتراضًا، والمعنى: إن أتاكم عذابُه آمَنْتُم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان[2]. انتهى.

أمَّا تجويزُه أن يكون «ماذا» جوابًا للشرط فلا يصحُّ؛ لأنَّ جواب الشرط إذا كان استفهامًا فلا بدَّ فيه من الفاء، تقول: إن زارنا فلانٌ فأيُّ رجلٍ هو، وإن زارنا فلانٌ فأيُّ يدٍ له بذلك، ولا يجوزُ حَذْفُها إلَّا إن كان في ضرورةٍ، والمثالُ الذي ذكره ـ وهو: إنْ أتيتُك ماذا تُطعمني؟ ـ هو من تمثيله لا من كلام العرب.

وأمَّا قولُه: ثم تتعلَّقُ الجملة بـ«أرأيتم»، إنْ عَنَى بالجملة «ماذا يستعجل» فلا يصحُّ ذلك لأنه قد جعلها جوابًا للشرط، وإنْ عَنَى بالجملة جملةَ الشرط فقد فسَّر هو «أرأيتم» بمعنى: أخبرني، و«أخبرني» تطلبُ متعلَّقا مفعولًا، ولا تقعُ جملةُ الشرط موقعَ مفعولِ «أخبرني».

وأمَّا تجويزُه أن يكون «أثم إذا ما وقع آمنتُم به» جوابَ الشرط و«ماذا يستعجل منه المجرمون» اعتراضًا فلا يصح أيضًا؛ لمَا ذكرناه من أنَّ جملة الاستفهام لا تقعُ جوابًا للشرط إلَّا ومعها فاءُ الجواب.

وأيضًا فـ«ثم» هنا وهي حرفُ عطفٍ تعطفُ الجملةَ التي بعدها على ما قبلها، فالجملةُ الاستفهاميةُ معطوفةٌ، وإذا كانت معطوفةً لم يصحَّ أن تقع جوابَ شرط.

وأيضاً فـ«أرأيتُم» بمعنى: أخبرني تحتاجُ إلى مفعولٍ، ولا تقعُ جملةُ الشرط موقعَه.

وتقدَّم الكلامُ في قوله: «بياتًا» في «الأعراف»[3] مدلولًا وإعرابًا، والمعنى: إن

(١) من قوله: جواباً للشرط كقولك، إلى هنا ساقط من (د١) والمطبوع.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٠.
(٣) عند تفسير الآية (٤) منها.

أتاكم عذابُه وأنتم ساهون غافلون إمَّا بنومٍ وإمَّا باشتغالٍ بالمعاش والكسب، وهو نظيرُ قوله: «بغتةً»؛ لأنَّ العذاب إذا فاجأ من غيرِ شعورٍ به كان أشدَّ وأصعبَ، بخلافِ أنْ يكون قد استُعِدَّ له وتُهُيِّئَ لحلوله، وهذا كقوله تعالى: ﴿بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨].

ويجوز في «ماذا» أن يكون «ما» مبتدأً و«ذا» خبرَه وهو بمعنى الذي، و«يستعجل» صلته، وحُذِفَ الضميرُ العائدُ على الموصول، التقدير: أيُّ شيءٍ الذي يستعجلُه من العذاب المجرمون، ويجوزُ في «ماذا» أن يكون كلُّه مفعولًا، كأنه قيل: أيَّ شيءٍ يستعجلُ[(١)] من العذاب المجرمون.

وقد جوَّز بعضُهم أن يكون «ماذا» كلُّه مبتدأً، وخبره الجملة بعده، وضعَّفه أبو عليٍّ[(٢)] لخلوِّ الجملة من ضميرٍ يعودُ على المبتدأ.

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «منه» على العذاب، وبه يَحْصُلُ الربطُ لجملة الاستفهام بمفعولِ «أرأيتم» المحذوفِ الذي هو مبتدأٌ في الأصل. وقيل: يعود على الله تعالى. و«المجرمون» هم المخاطَبون في قوله: «أرأيتم إن أتاكم»، ونبَّه على الوصف الموجِبِ لترك الاستعجال وهو الإجرامُ؛ لأنَّ مِن حقِّ المجرم أن يخاف التعذيبَ على إجرامه، ويَهْلِكَ فزعًا من مجيئه وإن أبطأ، فكيف يستعجلُه.

و«ثم» حرفُ عطفٍ، وتقدَّمت همزةُ الاستفهام عليها كما تقدَّمت على الواو والفاء في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠] وفي ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، غافر: ٢١] وتقدَّم الكلام على ذلك، وخلافُ الزمخشري للجماعة في دعواه أنَّ بَيْنَ الهمزةِ وحرفِ العطفِ جملةً محذوفةً عُطفت عليها الجملةُ التي بعد حرف العطف[(٣)].

---

(١) في النسخ: يستعجله، والمثبت هو الصواب؛ لأن المفعول مذكور وهو: أيَّ شيءٍ. وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٨، وتفسير القرطبي ١١/ ٦-٧.

(٢) كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٢٤.

(٣) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣]، وغيرها.

وقال الطبري في قوله: «أثم» بضم الثاء: إنَّ معناه: أهنالك، قال: وليست «ثم» هذه التي تأتي بمعنى العطف[١]. انتهى.

وما قاله الطبريُّ من أنَّ «ثم» هنا ليست للعطف دعوى، وأمَّا قوله: إن المعنى: أهنالك. فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسيرَ معنى لا أنَّ «ثم» المضمومةَ الثاءِ معناها معنى هنالك.

وقرأ طلحة بن مصرِّف: «أَثَمَّ» بفتح الثاء[٢]، وهذا يناسبُه تفسيرُ الطبري: أهنالك.

وقرأ الجمهور: «آلآن» على الاستفهام بالمدِّ، وكذا: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [يونس: ٩١]، وقرأ طلحةُ والأعرجُ بهمزة الاستفهام بغير مدٍّ[٣].

وهو على إضمار القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتُم به، فالناصبُ لقوله: «آلآن» هو «آمنتُم به» وهو محذوفٌ.

قيل: تقول لهم ذلك الملائكةُ. وقيل: الله. والاستفهامُ على طريق التوبيخ.

وفي كتاب «اللوامح»: عيسى البصرةِ وطلحة: «آمنتُم به الآن» بوصل الهمزةِ من غير استفهام، بل على الخبر، فيكونُ نصبُه على الظرف من «آمنتم به» المذكورِ، وأمَّا في العامَّة فنَصْبُه بفعلٍ مضمَرٍ يدلُّ عليه «آمنتم به» المذكورُ؛ لأنَّ الاستفهامَ قد أَخَذَ صَدْرَ الكلام فيَمْنَعُ ما قبله أن يَعْمَلَ فيما بعده. انتهى.

«وقد كنتم» جملةٌ حالية، قال الزمخشري: «وقد كنتُم به تستعجلون» يعني: تكذِّبون؛ لأن استعجالكم كان على جهة التكذيب والإنكار[٤].

وقال ابنُ عطية: تستعجلون مكذِّبينَ به[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٢٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٤١، وفيه: لأن استعجالهم كان...، وهو الأنسب بالسياق.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٤.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: تقول لهم خَزَنةُ جهنم هذا الكلامَ، والظلمُ ظلمُ الكفر لا ظلمُ المعصية؛ لأنَّ مَن دخل النار من عصاة المؤمنين لا يَخْلُد فيها، و«ثم قيل» عطفٌ على المضمَر قبل «آلآن»[١]، ومَن قرأ بوصل ألف «الآن» فهو استئنافُ إخبارٍ عمَّا يقال لهم يومَ القيامة. و«هل تجزون» توبيخٌ لهم وتوضيح أنَّ الجزاءَ هو على كسب العبد.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: يستخبرونك، و«أحَقٌّ هو» الضميرُ عائدٌ على العذاب. وقيل: على الشرع والقرآن. وقيل: على الوعيد. وقيل: على أمر الساعة.

والجملةُ في موضع نصبٍ، فقال الزمخشري: فيقولون: «أحقٌّ هو»[٢] فجعل «يستنبئونك» تتعدَّى إلى واحد.

وقال ابن عطية: معناه: يستخبرونك، وهي على هذا تتعدَّى إلى مفعولين: أحدُهما الكافُ، والآخَرُ في الابتداء والخبر[٣]. فعلى ما قال يكون «يستنبئونك» معلَّقةً.

وأصلُ «استنبأ» أنْ يتعدَّى إلى مفعولين أحدُهما بـ«عن»، تقولُ: استنبأتُ زيدًا عن عمرٍو[٤]، أي: طَلَبتُ منه أنْ يُنْبِئَني عن عمرٍو، والظاهرُ أنها معلَّقةٌ عن المفعول الثاني.

قال ابن عطية: وقيل: هي بمعنى: يَسْتَعْلِمونك، قال: فهي على هذا تحتاجُ إلى مفعولِيْنَ ثلاثةٍ:

---

(١) يعني على ذلك الفعل المقدَّر الناصب لـ«آلآن».
(٢) الكشاف ٢/ ٢٤١، وفيه: «ويستنبئونك»: ويستخبرونك فيقولون...
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٥، وقد جعل الزمخشري أيضاً الفعل بمعنى يستخبرونك كما ذكرت في التعليق السابق، ولكنه مع ذلك جعله متعدياً لواحد، وينظر التعليل في التعليق التالي.
(٤) ولعل هذا هو الذي منع الزمخشريَّ من جعل جملة «أحقٌّ هو» في محل المفعول الثاني لـ«يستنبئونك»، وذلك لأنه لا يصح دخول «عن» عليها، هذا من ناحية اللفظ، وكذلك من ناحية المعنى، فإن الاستفهام لا يُسْأل عنه، وإنما يسأل عن جوابه. فلذلك جعل الجملة في محل نصب مفعول القول المقدر. ينظر روح المعاني ١١/ ١٧٤-١٧٥.

أحدُها الكاف، والابتداءُ والخبرُ سدَّ مسدَّ المفعولين[١]. انتهى.

وليس كما ذكر؛ لأنَّ استَعْلَم لا يُحْفَظُ كونُها متعدِّيةً إلى مفاعيلَ ثلاثةٍ، لا يُحفظ: استَعْلَمْتُ زيدًا عمرًا قائمًا، فتكونَ جملةُ الاستفهام سدَّتْ مسدَّ المفعولين، ولا يلزمُ من كونها بمعنى «يستعلمونك» أن تتعدَّى إلى ثلاثةٍ؛ لأنَّ «استعلم» لا يتعدَّى إلى ثلاثةٍ كما ذكرنا.

وارتفع «هو» على أنه مبتدأٌ و«حقٌّ» خبرُه، وأجاز الحَوْفيُّ وأبو البقاء[٢] أن يكون «حقٌّ» مبتدأً، و«هو» فاعلٌ به سدَّ مسدَّ الخبر، و«حقٌّ» ليس اسمَ فاعلٍ ولا مفعولٍ، وإنما هو مصدرٌ في الأصل، ولا يَبْعُدُ أن يَرْفَعَ لأنه بمعنى: ثابت.

وهذا الاستفهامُ منهم على جهةِ الاستهزاء والإنكار.

وقرأ الأعمش: «آلحقُّ»[٣]، قال الزمخشري[٤]: وهو أَدْخَلُ في الاستهزاء؛ لتضمُّنه معنى التعريضِ بأنه باطلٌ، وذلك أنَّ اللامَ للجنس، فكأنه قيل: أهو الحقُّ لا الباطل، أو: أهو الذي سمَّيْتُموه الحقَّ. انتهى.

وأَمَر تعالى نبيَّه أن يقول مجيبًا لهم: «قل إي وربِّي»، أي: نعم وربِّي، و«إي» تُستعمل في القَسَم خاصةً كما تُستعمل «هل» بمعنى «قد» فيه خاصةً، قال معناه الزمخشري، قال: وسمعتُهم يقولون في التصديق: إِيْوَ، فيَصِلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده[٥]. انتهى.

ولا حجَّةَ فيما سمعه الزمخشريُّ من ذلك؛ لعدم الحجِّية في كلامه، لفسادِ كلام العرب إذ ذاك وقبلَه بأزمانٍ كثيرةٍ.

وقال ابن عطية: هي لفظةٌ تتقدَّمُ القَسَمَ، وهي بمعنى: نعم، ويجيءُ بعدها حرفُ القسم وقد لا يجيء، تقول: أي وربِّي، إي ربِّي[٦]. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٥.
(٢) ليس في الإملاء.
(٣) المحتسب ١/ ٣١٢، والكشاف ٢/ ٢٤١، والمحرر ٣/ ١٢٥.
(٤) في الكشاف ٢/ ٢٤١.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٥.

وقد كان يُكْتَفَى في الجواب بقوله: «إي وربِّي» إلَّا أنه أكَّد بإظهارِ الجملة التي كانت تُضْمَرُ بعد قوله: «إي وربِّي» مَسُوقةً مؤكَّدة بـ«إنَّ» واللامِ، مبالَغةً في التوكيد في الجواب.

ولمَّا تضمَّن قولُهم: «أحقٌّ هو» السؤالَ عن العذاب، وكان سؤالًا عن العذاب اللَّاحِقِ بهم لا عن مطلق عذابٍ يقع بمن يقع، قيل: «وما أنتم بمعجزين»، أي: فائتينَ العذابَ المسؤولَ عنه، بل هو لاحقٌ بكم.

واحْتَمَلَتْ هذه الجملةُ أن تكونَ داخلةً في جواب القَسَم، فتكون معطوفةً على الجواب قبلها، واحتمل أن تكون إخبارًا معطوفًا على الجملة المَقُولة لا على جواب القسم.

و«أَعْجَزَ» الهمزةُ فيه للتعدية، كما قال: ﴿وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ [الجن: ١٢] لكنه كَثُر فيه حذفُ المفعول حتى قالت العرب: أَعْجَزَ فلانٌ، إذا ذهب في الأرض فلم يُقْدَرْ عليه.

وقال الزجَّاج: أي: ما أنتم ممن يُعْجِزُ مَن يعذِّبُكم[(١)].

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٥٤﴾ ولـمَّا ذكَر العذابَ وأقسم على حقِّيَّته وأنهم لا يُفْلِتون منه، ذكر بعضَ أحوالِ الظالمين في الآخرة. و«ظَلَمَتْ» صفةٌ لـ«نفس»، والظلمُ هنا: الشركُ والكفرُ. و«افْتَدَى» يأتي مُطاوِعًا لـ«فدى» فلا يتعدَّى؛ تقول: فَدَيْتُه فافْتَدَى، وبمعنى «فَدَى» فيتعدَّى، وهنا يَحتمِلُ الوجهين.

و«ما في الأرض» أي: ما كان لها في الدنيا من الخزائن والأموال والمنافع.

و«أَسَرُّوا» من الأضداد؛ تأتي بمعنى: أَظْهَرَ؛ قال الفرزدق:

ولـمَّا رأى الحجَّاجَ جرَّدَ سيفَه ... أسرَّ الحَرُوريُّ الذي كان أَضْمَرا[(٢)]

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٥، ولفظه: لستم ممن يُعجز أن يُجازى على كفره.

(٢) في النسخ: أظهرا، والمثبت من المصادر. ينظر العين ٧/ ١٨٧، والأضداد للأصمعي ص٢١، ولأبي حاتم السجستاني ص١١٤، ولابن السكيت ص١٧٦ (وثلاثتها مطبوعة في كتاب واحد)، ولابن الأنباري ص٤٦، وتفسير الطبري ١٦/ ٤٠، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٥، =

وقال آخر:

فـأسْـرَرْتُ الـنـدامـةَ يـومَ نـادى بـردٌ جِـمـالِ غـاضِـرةَ الـمُـنـادي[1]

وتأتي بمعنى أخْفَى، وهو المشهورُ فيها كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] ويَحتمِلُ هنا الوجهين:

أمَّا الإظهار فلأنه ليس بيوم تصبُّرٍ ولا تجلُّدٍ، ولا يَقْدِرُ فيه الكافرُ على كتمان ما ناله، ولأنَّ حالةَ رؤية العذاب يتحسَّر الإنسان على اقترافه ما أوْجَبَه، ويُظْهِرُ الندامةَ على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب، وقد قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وأمَّا إخفاءُ الندامةِ فقيل: أخْفَى رؤساؤهم الندامةَ من سَفِلَتهم حياءً منهم وخوفًا من توبيخهم.

وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأنَّ مَن عايَنَ العذابَ هو مشغولٌ بما يقاسيه منه فكيف له فِكْرٌ في الحياء أو التوبيخ الواردِ من السَّفِلة.

وأيضًا «وأسرُّوا» عائدٌ على «كلِّ نفسٍ ظلمتْ» على المعنى، وهو عامٌّ في الرؤساء والسَّفِلة.

وقيل: إخفاءُ الندامة هو من كونهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يَحْسِبوه ولا خَطَر ببالهم، ومعايَنَتِهم ما أوْهَى قُواهم، فلم يُطيقوا عند ذلك بكاءً ولا صُراخًا ولا ما يفعلُه الجازعُ، سوى إسرارِ الندم والحسرة في القلوب، كما يَعْرِضُ لمن يُقدَّمُ للصَّلْب؛ لا يكاد يَنْبِسُ بكلمةٍ ويبقى مبهوتًا جامدًا.

= وزاد المسير ٣٩/٤. قال الأزهري: قال شمر: لم أجد هذا البيت للفرزدق، وما قال غير أبي عبيدة في قوله: «وأسروا الندامة» أي: أظهروها، ولم أسمع ذلك لغيره. اهـ. وقال أبو حاتم: ولا أثق بقوله (يعني أبا عبيدة) في هذا والله أعلم، ولا أثق أيضاً بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعله قال: الذي كان أظهرا، أي: كتم ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره، وليس في قول نظيريه جريرٍ والأخطل شيء من ذلك، فلا أثق به في القرآن.

(١) البيت لكثيِّر عزة، وهو في ديوانه ص١٣٧، وتفسير القرطبي ٩/١١.

وأمَّا مَن قال: إنَّ معنى قوله: «وأسرُّوا الندامة»: أَخْلَصوا لِله في تلك الندامةِ، أو بدت بالندامة أسرَّةُ وجوههم، أي: تكاسيرُ جباههم، ففيه بُعْدٌ عن سياق الآية.

والظاهرُ أنَّ قوله: «وقُضي بينهم بالقسط» جملةُ إخبارٍ مستأنَفةٌ وليست معطوفةً على ما في حيِّز «لمَّا» وأنَّ الضمير في «بينهم» عائدٌ على «كلّ نفسٍ ظلمتْ»، وقال الزمخشريُّ: بين الظالمين والمظلومين، دلَّ على ذلك ذِكْرُ الظلم[1]. انتهى.

وقيل: يعود على المؤمن والكافر.

وقيل: على الرؤساء والأتباع.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ قيل: تعلُّقُ هذه الآيةِ بما قبلها من جهةِ أنه فَرَضَ أنَّ النفس الظالمةَ لو كان لها ما في الأرض لافتدت به، وهي لا شيءَ لها البتةَ؛ لأن جميع الأشياء إنما هي بأسرها مِلكٌ لِله تعالى، وهو المتصرِّفُ فيها؛ إذ له المِلْكُ والمُلْكُ.

ويَظْهَرُ أنَّ مناسَبَتَها لِمَا قبلها أنه لمَّا سألوا عمَّا وُعِدوا به من العذاب: «أحقٌّ هو»؟ وأُجيبوا بأنه حقٌّ لا محالةَ، وكان ذلك جوابًا كافيًا لمن وفَّقه الله تعالى للإيمان، كما كان جوابًا للأعرابيِّ حين سأل الرسول ﷺ: آلله أرسلك؟ قولُه عليه السلام له: «اللهم نعم»[2]، فقنع منه بإخباره ﷺ إذ عَلِمَ أنه لا يقول إلَّا الحقَّ والصدق، كما قال هِرَقْلُ: لم يَكُنْ لِيَدَع الكذبَ [على الناس] ويَكْذِبَ على الله[3]. انْتَقَلَ من هذا الجوابِ إلى ذِكْرِ البرهان القاطِع على صِحَّته وتقريره بأنَّ القولَ بالنبوَّة والمَعَاد يتفرَّعان على إثبات الإله القادِرِ الحكيم، وأنَّ ما سواه فهو مِلْكُه ومُلْكُه، فعبّر عن هذا بهذه الآية، وكان قد اسْتَقْصَى الدلائلَ على ذلك في هذه السورة في قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآية [الآية: ٦] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤١.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس ﷺ، وما بين حاصرتين منهما، وسلف عند تفسير الآية (١٦) من هذه السورة.

ضِيَآءً﴾ [الآية: ٥] فاكْتَفَى هنا عن ذِكْرِها، وإذا كان جميع ما في العالَم مِلْكُه ومُلْكُه كان قادرًا على كلِّ المُمْكِنات، عالِمًا بكلِّ المعلومات، غنيًا عن جميع الحاجات، منزَّهاً عن النقائص والآفات.

وبكونه قادرًا على الممكنات كان قادرًا على إنزال العذاب على الكفار في الدنيا والآخرة، وقادرًا على تأييد رسوله بالدلائل، وإعلاءِ دينه، فبَطَلَ الاستهزاءُ والتعجيزُ.

وبتنزيهه عن النقائص كان منزَّهًا عن الخُلْفِ والكذب، فثبت أنَّ قوله: «ألَا إنَّ لِلّه ما في السماوات والأرض» مقدِّمةٌ توجِبُ الجَزْمَ بصحة قوله: «ألا إنَّ وَعْدَ الله حق»، و«ألا» كلمةُ تنبيهٍ دخلت على الجملتين تنبيهًا للغافل؛ إذ كانوا مشغولينَ بالنظر إلى الأسباب الظاهرة من نِسْبةِ أشياءَ إلى أنها مملوكةٌ لمن جُعِلَ له بعضُ تصرُّفٍ فيها واستخلافٍ، ولذلك قال تعالى: «ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون» يعني لغفلتهم عن هذه الدلائلِ، ثم أَتْبَعَ ذلك بذكر قدرته على الإحياء والإماتة فيجب أن يكون قادرًا على إحيائه مرَّةً ثانيةً، ولذلك قال: «وإليه تُرجعون» فترونَ ما وَعَدَ به.

وقرأ الحسن بخلافٍ عنه وعيسى بن عمر: «يرجعون» بالياء على الغيبة(١)، وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ قيل: نزلت في قريشٍ الذين سألوا الرسولَ ﷺ: «أحقٌّ هو»، فـ«الناسُ» هنا هم كفارُ قريش(٢).

وقال ابن عطية: هو خطابٌ لجميع العالَم(٣).

ومناسَبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها أنه تعالى لمَّا ذكر الأدلة على الأُلوهية والوحدانية والقدرةِ ذَكَر الدلائلَ الدَّالَّةَ على صحة النبوَّة، والطريقَ المؤدِّيَ إليها وهو القرآن، والمتصفُ بهذه الأوصافِ الشريفة هو القرآن.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٥، وهي في القراءات الشاذة ص٥٧ عن الحسن وقتادة.
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٠ عن ابن عباس ﷺ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٦.

قال الزمخشري: أي: قد جاءكم كتابٌ جامعٌ لهذه الفوائدِ من موعظةٍ وتنبيهٍ على التوحيد، هو شفاءٌ، أي: دواءٌ لمَا في صدوركم من العقائد الفاسدة، ودعاءٌ إلى الحقِّ، ورحمةٌ لمن آمَنَ به منكم(١). انتهى.

و«مِن ربّكم» يحتملُ أن يتعلَّق بـ«جاءتكم» فـ«مِن» لابتداء الغاية، ويحتملُ أن يكون في موضع الصفة، أي: من مواعِظِ ربكم، فيتعلَّقُ بمحذوفٍ فـ«مِن» للتبعيض.

وفي قوله: «مِن ربّكم» تنبيهٌ على أنه من عند الله ليس من عند أحد، قال ابن عطية: وجَعَلَه موعظةً بحسب الناس أجمعَ، وجَعَلَه هدًى ورحمةً بحسب المؤمنين، وهذا تقسيمٌ صحيحُ المعنى إذا تُؤُمِّلَ بانَ وجهُه(٢). انتهى.

وذَكَرَ أبو عبد الله الرازي هنا كلامًا كثيرًا ممزوجًا بما يسمُّونه حكمةً، نعلمُ قطعًا أنَّ العرب لا تفهمُ ذلك الذي قرَّره من ألفاظ القرآن، وطوَّل في ذلك، وضرب أمثلةً حسِّيةً يُوقَفُ عليها من تفسيره، ثم قال آخِرَ كلامه: فالحاصلُ أنَّ الموعظةَ إشارةٌ إلى تطهير ظواهِرِ الخَلْقِ عمَّا لا ينبغي وهو الشريعةُ، والشفاءَ إشارةٌ إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاقِ الذميمة وهو الطريقةُ، والهُدَى إشارةٌ إلى ظهور نور الحق في قلوب الصِّدِّيقين وهو الحقيقةُ، والرحمةَ إشارةٌ إلى كونها بالغةً في الكمال والإشراق إلى حيث تصيرُ تكمِّلُ الناقصين وهي النبوَّة، فهذه درجاتٌ عقليةٌ ومراتبُ برهانيةٌ مدلولٌ عليها بهذه الألفاظ القرآنية لا يمكنُ تأخيرُ ما تقدَّم ذِكْرُه ولا تقديمُ ما تأخَّر ذِكْرُه(٣).

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ قال الزمخشريُّ: عن أبيِّ بنِ كعبٍ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ فقال: «بكتاب الله والإسلام»، وقيل: فَضْلُه الإسلامُ، ورحمتُه ما وَعَدَ عليه(٤). انتهى، ولو صحَّ هذا الحديثُ لم يمكن خلافُه(٥).

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٦، وقوله: تؤمِّل، تحرف في (د١) والمطبوع إلى: تؤول.

(٣) تفسير الرازي ١٧/ ١١٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٤٢، وما بين حاصرتين منه، والحديث أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٢ ـ تفسير)، وينظر التعليق الذي بعده.

(٥) ولم يصح ذلك مرفوعًا، وإن كان قد صح موقوفًا على ابن عباس كما سيرد في آخر هذا

قال ابنُ عباسٍ والحسنُ وقتادةُ وهلال بن يِساف: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمتُه: القرآن. وقال الضحَّاكُ وزيد بن أسلم عكسَ هذا. وقال أبو سعيد الخدريُّ: الفضلُ: القرآن، والرحمة: أنْ جَعَلهم من أهله[١].

وقال ابن عباس فيما روى الضحَّاكُ عنه: الفضل: العلم، والرحمةُ: محمدٌ ﷺ.

وقال ابن عمر: الفضلُ: الإسلام، والرحمة: تزيينُه في القلوب.

وقال مجاهد: الفضلُ والرحمة: القرآن. واختاره الزجَّاج.

وقال خالد بن معدان: الفضل: القرآن، والرحمةُ: السنَّة[٢]. وعنه أيضًا: أنَّ الفضل: الإسلام، والرحمة: الستر[٣].

---

= التعليق، فقد أخرجه سعيد بن منصور (١٠٦٢ - تفسير) من حديث أبيٍّ ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أُمِرْت أن أقرأ عليك القرآن» قال: قلت: سمَّاني لك ربي؟ قال: «نعم»، فتلا: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون»، قال: بكتاب الله وبالإسلام خير مما يجمعون. هذا نص الحديث عند سعيد بن منصور، والصحيح أن المرفوع منه ينتهي عند قول النبي ﷺ: «نعم»، فأما الآية فقد جاء في رواياتٍ أخرى كثيرة التصريح بأن الذي قرأها هو أبيٌّ ﷺ وأنه قرأ فيها «فلتفرحوا» بالتاء. ينظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٩٣٧)، ومسند أحمد (٢١١٣٧)، وخلق أفعال العباد للبخاري (٥٣٤)، وسنن أبي داود (٣٩٧٩) وشرح معاني الآثار (٥٥٨٧).

ويؤيد ذلك أيضاً أن الحديث أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩) عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾» قال: وسمَّاني؟ قال: «نعم»، فبكى.

وأما قوله: بكتاب الله وبالإسلام. . .، فقد أخرجه سعيد بن منصور (١٠٦٣ - تفسير) بإسناد صحيح عن ابن عباس ﷺ قوله، وذلك بإثر الحديث المذكور.

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/ ١٩٤-١٩٨، وقول أبي سعيد أخرجه أيضاً سعيد بن منصور (١٠٦٤ ـ تفسير)، ورَوَى عن ابن عباس أيضاً مثل قول الضحاك وزيد بن أسلم كما ذكرت في التعليق السابق.

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٠-٤١. وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٢٥.

(٣) ذكره البغوي ٢/ ٣٥٨، وفيه: السنن، فلعله تصحف على المصنف إلى: الستر، فقد أورده الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٨٨، فجاء فيه: السنة.

وقال عمرو بن عثمان[١]: فضلُ الله: كَشْفُ الغطاء، ورحمتُه الرُّؤية واللقاء.

وقال الحسين بن الفضل: الفضل: الإيمان، والرحمة: الجنة.

وقيل: الفضل: التوفيق، والرحمة: العصمة.

وقيل: الفضل: نعمُه الظاهرةُ، والرحمةُ: نعمُه الباطنةُ.

وقال الصادق: الفضلُ: المغفرةُ، والرحمة: التوفيق.

وقال ذو النون: الفضل: الجِنَان، ورحمتُه: النجاة من النيران[٢].

وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن يُعْتَقَدَ أنها تمثيلاتٌ؛ لا أنَّ الفضل والرحمة أُريدَ بهما تعيينُ ما ذُكر وحَصْرُهما فيه.

وقال ابن عطية[٣]: وإنما الذي يقتضيه اللفظُ ويلزمُ منه أنَّ الفضل هو هدايةُ الله إلى دينه والتوفيقُ إلى اتِّباع الشرع، والرحمةَ هي عَفْوُه وسُكْنَى جَنَّتِه التي جعلها جزاءً على اتِّباع الإسلام والإيمان[٤]، ومعنى الآية: قل يا محمدُ لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته فَلْيَقَعِ الفرحُ منكم لا بأمور الدنيا وما يُجْمَعُ من حُطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فليفرحوا، وهم مُلْتَبِسون بعلَّة الفرح وسببِه، ومخلصون[٥] لفضل الله منتظرون لرحمته، والكافرون يقال لهم: بفضل الله ورحمته فليفرحوا، على معنى: أنْ لو اتَّفق لكم أو لو سُعِدْتُم بالهداية إلى تحصيل ذلك. انتهى.

والظاهرُ أن قوله: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» جملتان، وحُذِفَ ما تتعلَّق به الباءُ، والتقدير: قل بفضل الله وبرحمته ليَفْرَحوا، ثم عُطِفَتِ الجملةُ

---

(١) لعله أبو عبد الله المكي الزاهد شيخ الصوفية، توفي سنة (٢٩٧هـ) وقيل غير ذلك. ينظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، وطبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٤٥٧، وتاريخ الإسلام ٢٢/ ٢١٦.
ووقع اسمه في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٨٩ (وقد ذكر هذا القول عنه): عمر بن عثمان الصدفي، ولم أقف عليه.

(٢) ذكر هذه الأقوال عدا قول الصادق الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) في المحرر ٣/ ١٢٦.

(٤) في مطبوع المحرر: على التشرع بالإسلام والإيمان به.

(٥) في مطبوع المحرر: ومحصِّلون.

الثانيةُ على الأولى على سبيل التوكيد؛ قال الزمخشريُّ: والتكريرُ للتقريرِ والتأكيدِ وإيجابِ اختصاصِ الفضلِ والرحمةِ بالفرحِ دون ما عَدَاهما من فوائد الدنيا، فحُذِفَ أحدُ الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاءُ داخلةٌ لمعنى الشرط، كأنه قيل: إنْ فرحوا بشيءٍ فلْيَخصُّوهما بالفرح فإنه لا مَفْروحَ به أحقُّ منهما، ويجوزُ أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليَعْتَنوا فبذلك فليفرحوا، ويجوزُ أن يراد: قد جاءتكم موعظةٌ بفضل الله وبرحمته فبذلك ـ أي: فبمجيئها ـ فليَفْرحوا[1]. انتهى.

أمَّا إضمارُ: فليعتنوا، فلا دليلَ عليه، وأمَّا تعليقُه بقوله: «قد جاءتكم» فينبغي أن يقدَّر ذلك محذوفًا بعد «قل»، ولا يكونُ متعلِّقًا بـ«جاءتكم» الأولى للفصل بينهما بـ«قل».

وقال الحَوْفي: الباءُ متعلِّقةٌ بما دلَّ على[2] المعنى، أي: قد جاءتكم الموعظةُ بفضل الله.

وقيل: الفاءُ الأولى زائدةٌ، ويكون «بذلك» بدلًا ممَّا قبله، وأُشير به إلى الاثنين: الفضل والرحمة.

وقيل: كُرِّرت الفاءُ الثانيةُ للتوكيد. فعلى هذا لا تكونُ الأولى زائدةً، ويكونُ أصلُ التركيب: فبذلك لِيَفْرحوا، وفي القولِ قبلَه يكونُ أصل التركيب: بذلك فليفرحوا.

ولا تَنَافيَ بين الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] لاختلاف المتعلَّق، فالمأمورُ به هنا: الفرحُ بفضل الله وبرحمته، والمنهيُّ هنا: الفرحُ بجمع الأموال لرئاسة الدنيا وإرادةِ العلوِّ بها[3] والفسادِ والأشَرِ، ولذلك جاء بعده ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وقبله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٢، ووقع في النسخ: فبمجيئهما، والمثبت من الكشاف.
(٢) كذا في النسخ، والذي في الدر المصون ٦/ ٢٤ نقلاً عن الحوفي: عليه، وهو الأنسب بالسياق.
(٣) في (يه): فيها.

عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، وقولُه: ﴿لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] جاء ذلك على سبيل الذمِّ لفَرَحِه بإذاقةِ النَّعْماءِ بعد الضرَّاء، وبأسِهِ وكُفْرانِه للنعماء إذا نزعت منه، وهذه صفةٌ مذمومةٌ وليس ذلك من أفعال الآخرة.

وقولُ مَن قال: إنه إذا أُطْلِقَ الفرحُ كان مذمومًا، وإذا قُيِّد لم يكن مذمومًا، كما قال: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] = ليس بمطَّرِدٍ، إذ جاء مقيَّدًا في الذمِّ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] وإنما يُمدحُ الفرحُ ويُذمُّ بحَسَبِ متعلَّقه، فإذا كان بنَيْلِ ثوابِ الآخرة وأعمالِ البِرِّ كان محمودًا، وإذا كان بنيلِ لذَّاتِ الدنيا وحُطامها كان مذمومًا.

وقرأ عثمان بن عفَّان وأبيٌّ وأنسٌ والحسنُ وأبو رجاءٍ وابنُ هُرْمُز وابنُ سِيرينَ وأبو جعفر المدني والسُّلميُّ وقتادةُ والجحدريُّ وهلال بن يِساف والأعمش وعمرو بن فائد والعباسُ بنُ الفضل الأنصاريُّ: «فلْتَفْرحوا» بالتاء على الخطاب[(١)]، ورُويت عن النبيِّ ﷺ[(٢)]؛ قاله صاحب «اللوامح»، وقال: وقد جاء عن يعقوبَ كذلك[(٣)]. انتهى.

وقال ابنُ عطيةَ: وقرأ أبيٌّ، وابنُ القَعْقَاع، وابنُ عامرٍ، والحسن على ما زعم هارون، ورُويت عن النبيِّ ﷺ: «فلتفرحوا» و«تجمعون» بالتاء فيهما على المخاطبة، وهي قراءةُ جماعةٍ من السَّلَفِ كثيرةٍ، وعن أكثرهم خلافٌ[(٤)]. انتهى.

والجمهورُ بالياء على أمرِ الغائب، وما نقله ابنُ عطية أنَّ ابنَ عامرٍ قرأ: «فلتفرحوا» بالتاء ليس هو المشهورَ عنه، إنما قراءتُه في مشهور السبعة بالياء أمرًا للغائب، لكنه قرأ «تجمعون» بالتاء على الخطاب وباقي السبعة بالياء[(٥)] وفي

---

(١) المحتسب ١/ ٣١٣، وهي خلاف المشهور عن أبي جعفر، لكنها مروية في العشرة عن يعقوب كما سيرد.

(٢) سلف الكلام عليه قريبًا، وأن الصحيح أنها عن أبيٍّ ﷺ، وإن كان لها حكم المرفوع.

(٣) هي رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٢٨٥.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٦. وابن القعقاع هو يزيد أبو جعفر أحد القراء العشرة، وهارون هو ابن موسى، أبو عبد الله الأعور العتكي.

(٥) السبعة ص٣٢٧-٣٢٨، والتيسير ص١٢٢.

مصحف أبيّ: «فبذلك فافْرَحوا»[١]، وهذه هي اللغةُ الكثيرةُ الشهيرةُ في أمر المخاطَب، وأمّا «فلتفرحوا» بالتاء[٢] فهي لغةٌ قليلةٌ، وفي الحديث: «لتأخُذوا مَصَافَّكم»[٣].

وقرأ أبو التّيّاح والحسن: «فلِيَفْرحوا» بكسر اللام[٤].

ويدلُّ على أنَّ «ذلك» أُشيرَ به إلى واحدٍ عَوْدُ الضميرِ عليه موحَّدًا في قوله: «هو خيرٌ ممَّا يجمعون»، فالذي ينبغي أنَّ قوله تعالى: «بفضل الله وبرحمته» على أنهما شيءٌ واحدٌ عُبِّر عنه باسْمَيْنِ على سبيل التأكيد، ولذلك أُشيرَ إليه بـ«ذلك» وعاد الضميرُ عليه مفردًا.

وقوله: «ممَّا يجمعون» يعني: من حطام الدنيا ومتاعِها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ مناسَبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها هي أنه لمَّا ذكر تعالى: «قل يا أيها الناسُ قد جاءتكم موعظة»، وكان المرادُ بذلك كتابَ الله المشتمِلَ على التحليل والتحريم، بيَّن فسادَ شرائعهم وأحكامِهم من الحلال والحرام من غير مستنَدٍ في ذلك إلى وحي.

و«أرأيتم» هنا بمعنى: أَخْبِروني، وجوَّزوا في «ما أَنْزَلَ» أن تكون «ما» موصولةً مفعولًا أولَ لـ«أرأيتم» والعائدُ عليها محذوفٌ، والمفعولُ الثاني قولُه: «آلله أذن لكم» والعائدُ على المبتدأ من الخبر محذوفٌ تقديره: آللهُ أذِنَ لكم فيه، وكرَّر «قل» قبل

---

(١) المحتسب ١/ ٣١٣.

(٢) في المطبوع: فليفرحوا بالياء، وهو خطأ. ينظر الحجة للفارسي ٤/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ١٢٦.

(٣) أورده بهذا اللفظ الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٤٧٠، والثعلبي في التفسير ٣/ ٢٨٩، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٤٢ (وتحرفت فيه «مصافكم» إلى: مضاجعكم)، والقرطبي ١١/ ١١. وهو قطعة من حديث معاذ ﷺ عند أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥) لكن بلفظ: «على مصافكم كما أنتم» فلا شاهد فيه، ويغني عنه حديث جابر ﷺ عند مسلم (١٢٩٧)، ولفظه: «لتأخذوا عني مناسككم...».

(٤) القراءات الشاذة ص٥٧ عن الحسن وابن أبي إسحاق.

الخبر على سبيل التوكيد. وأن تكون «ما» استفهاميةً منصوبةً بـ«أنزل»؛ قاله الحوفيُّ والزمخشري[١].

وقيل: «ما» استفهاميةٌ مبتدَأة، والضميرُ من الخبر محذوفٌ تقديره: آللهُ أذِنَ لكم فيه أو به، وهذا ضعيفٌ؛ لحذف هذا العائد.

وجَعْلُ «ما» موصولةً هو الوجهُ؛ لأنَّ فيه إبقاءَ «أرأيت» على بابها من كونها تتعدَّى إلى الأول فتؤثِّرُ فيه، بخلافِ جَعْلها استفهاميةً فإنَّ «أرأيت» إذ ذاك تكون معلَّقةً، وتكونُ «ما» قد سدَّت مسدَّ المفعولين.

والظاهِرُ أنَّ «أم» متصلةٌ، والمعنى: أخبروني آللهُ أذِنَ لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تَكْذِبون على الله في نسبة ذلك إليه، فنبَّه بتوقيفهم على أحد القسمين، وهم لا يمكنُهم ادِّعاءُ إذْنِ الله في ذلك، فثَبَتَ افتراؤهم.

وقال الزمخشري: ويجوزُ أن تكونَ الهمزةُ للإنكار و«أم» منقطعةً بمعنى: بل أتفترون على الله، تقريرًا للافتراء[٢]. انتهى.

و«أَنْزَلَ» هنا قيل: معناه: خَلَقَ، كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقيل: «أَنْزَلَ» على بابها، وهو على حذف مضافٍ، أي: من سبب رزق وهو المطر.

وقال ابن عطية: «أَنْزَل» لفظةٌ فيها تجوُّزٌ، وإنزالُ الرزق إمَّا أن يكون في ضمن إنزال المطر بالمآل، أو نزول الأمر به الذي هو ظهورُ الأثر في المخلوق منه المخترع[٣].

والمجعولُ حرامًا وحلالًا؛ قال مجاهد: هو ما حكموا به من تحريم البَحِيرة والسائبةِ والوصيلةِ والحام. وقال الضَّحَّاك: هو إشارةٌ إلى قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦][٤].

(١) في الكشاف ٢/ ٢٤٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٧.
(٤) أخرجهما الطبري ١٢/ ٢٠٢ و٢٠٣.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ «ما» استفهاميةٌ مبتدأةٌ خبرها «ظنُّ»، والمعنى: أيُّ شيءٍ ظنُّ المفترينَ يومَ القيامة، أبْهَمَ الأمرَ على سبيل التهديد والإيعاد، يومَ يكونُ الجزاءُ بالإحسان والإساءة، و«يومَ» منصوبٌ بـ«ظنُّ» ومعمولُ الظنِّ قيل: تقديره: ما ظنُّهم أنَّ الله فاعلٌ بهم أيُنْجيهم أم يعذِّبُهم.

وقرأ عيسى بن عُمر: «وما ظنَّ» جَعَلَه فعلًا ماضيًا[1]، أي: أيَّ ظنٍّ ظنَّ الذين يفترون، فـ«ما» في موضع نصبٍ على المصدر، و«ما» الاستفهاميةُ قد تنوبُ عن المصدر، تقول: ما تَضْرِبُ زيدًا؟ تريد: أيَّ ضَرْبٍ تضربُ زيدًا. وقال الشاعر:

ماذا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهما لا تَرْقُدان ولا بُؤسَى لمن رَقَدَا[2]

وجيءَ بلفظ «ظنَّ» ماضيًا لأنه كائنٌ لا محالةَ فكأنْ قد كان، والأَوْلَى أن يكون «ظنَّ» في معنى: يظنُّ؛ لكونه عاملًا في «يوم القيامة»، وهو ظرفٌ مستقبَلٌ.

وفضلُه تعالى على الناس حيث أَنْعَمَ عليهم ورَحِمَهم، فأَرْسَلَ إليهم الرسلَ وفصَّل لهم الحلالَ والحرامَ، وأكثرُهم لا يشكر هذه النعمة.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ مناسَبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها: أنه تعالى لمَّا ذَكَر جملةً من أحوال الكفار ومذاهبهم والردِّ عليهم ومحاورةِ الرسول ﷺ لهم، وذكر فَضْلَه تعالى على الناس وأنَّ أكثرهم لا يشكرُه على فضله، ذكر تعالى اطِّلاعَه على أحوالهم وحالِ الرسول معهم في مجاهَدَته لهم وتلاوةِ القرآن عليهم، وأنه تعالى عالمٌ بجميع أعمالهم، واستَطْردَ من ذلك إلى ذكر أولياء الله تعالى ليَظْهَرَ التفاوتُ بين الفريقين: فريقِ الشيطان وفريقِ الرحمن.

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٧، والكشاف ٢/ ٢٤٢.

(٢) البيت لعبد مناف بن رِبْعٍ الجُرَبي من شعراء هذيل في الجاهلية، وهو في ديوان الهذليين ٢/ ٣٨، وسلف عند تفسير الآية (١٠٩) من سورة المائدة.

والخطابُ في قوله تعالى: «وما تكونُ في شأنٍ وما تتلو» للرسول ﷺ، وهو عامٌّ لجميع شؤونه عليه السلام، و«ما تتلو» مندرجٌ تحت عموم «شأنٍ»، وانْدَرَجَ من حيث المعنى في الخطاب كلُّ ذي شأنٍ، و«ما» في الجملتين نافيةٌ، والضميرُ في «منه» عائدٌ على «شأنٍ»، و«من قرآنٍ» تفسيرٌ للضمير، وخُصَّ من العموم لأنَّ القرآن هو أعظمُ شؤونه عليه السلام.

وقيل: يعود على التنزيل، وفسّر بالقرآن لأنَّ كلَّ جزءٍ منه قرآنٌ، وأُضمر قبل الذِّكر على سبيل التفخيم له.

وقيل: يعود على الله تعالى، أي: وما تتلو من عند الله من قرآن.

والخطابُ في قوله: «ولا تعملون» عامٌّ، وكذا «إلَّا كنَّا عليكم شهودًا»، ووَلِيَ «إلَّا» هنا الفعلُ غيرَ مصحوبٍ بـ«قد» لأنه قد تقدَّم «إلَّا» فعلٌ، والجملةُ بعد «إلَّا» حالٌ، و«شهودًا»: رُقَباء نُحصي عليكم، «وإذ» معمولةٌ لقوله: «شهودًا»، ولمَّا كانت الأفعالُ السابقةُ المرادُ بها الحالةُ الدائمةُ وتنسحبُ على الأفعال الماضية، كان الظرفُ ماضيًا، وكان المعنى: وما كنتَ في شأنٍ وما تَلَوْتَ من قرآنٍ ولا عملتُم من عملٍ إلَّا كنَّا عليكم شهودًا إذ أفضتُم فيه، و«إذ» تخلِّصُ المضارعَ لمعنى الماضي.

ولمَّا كان قولُه: «إلَّا كنا عليكم شهودًا» فيه تحذيرٌ وتنبيهٌ عُدِلَ عن خطابه ﷺ إلى خطاب أمَّتِه بقوله: «ولا تعملون من عملٍ» وإنْ كان الله شهيدًا على أعمال الخلق كلِّهم.

و«تُفيضون»: تخوضون، أو تَنْشُرون، أو تدفعون، أو تَنْهَضون، أو تأخذون، أو تنقلون، أو تتكلَّمون، أو تَسعَوْن، أقوالٌ متقارِبةٌ.

ثم واجَهَه تعالى بالخطاب وحده في قوله: «وما يَعْزُبُ عن ربِّك» تشريفًا له وتعظيمًا.

ولمَّا ذكر شهادتَه تعالى على أعمال الخلق ناسَبَ تقديمُ الأرض التي هي محلُّ المخاطَبين على السماء، بخلافِ ما في سورة سبأ[١]، وإن كان الأكثرُ تقديمَها على الأرض.

---

(١) الآية (٣) منها.

وقرأ ابن وثَّاب والأعمشُ وابنُ مصرِّفٍ والكسائيُّ «يَعْزِب» بكسر الزاي، وكذا في «سبأ»[١].

والمثقالُ اسمٌ لا صفةٌ، ومعناه هنا: وزنُ ذرةٍ، والذَّرُّ: صغارُ النمل، ولمَّا كانت الذرةُ أصغرَ الحيوان المتناسِلِ المشهورِ النوعِ عندنا جَعَلها الله مثالًا لأقلِّ الأشياء وأحقرِها؛ إذ هي أحقرُ ما نشاهِدُ، ثم قال: «ولا أصغرَ من ذلك»، أي: من مثقالِ ذرَّةٍ، ولمَّا ذَكَر تعالى أنه لا يَغيبُ عن عِلْمِه أدقُّ الأشياء التي نشاهِدُها ناسَبَ تقديمُ «ولا أصغَرَ من ذلك»، ثم أتى بقوله: «ولا أكْبَرَ» على سبيل إحاطة علمه بجميع الأشياء، ومعلومٌ أنَّ مَن عَلِمَ أدقَّ الأشياء وأخفاها كان عِلْمُه متعلِّقًا بأكبر الأشياء وأظهرِها.

وقرأ الجمهور: «ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ» بفتح الراء فيهما، ووجِّه على أنه عطفٌ على «ذرة»، أو على «مثقال» على اللفظ، وقرأ حمزةُ وحده برفع الراء فيهما[٢]، ووجِّه على أنه عطفٌ على موضع «مثقال»؛ لأنَّ «مِن» زائدةٌ فهو مرفوعٌ بـ«يَعْزُب»، هكذا وجَّهه الحَوْفيُّ وابنُ عطيةَ وأبو البقاء[٣].

وقال الزمخشري[٤] تابعًا لاختيار الزجَّاج: والوجهُ النصبُ على نفي الجنس، والرفعُ على الابتداء يكون كلامًا مبتدأ[٥]، وفي العطف على محلِّ «مثقال ذرةٍ»، أو لَفْظِه فتحًا في موضع الجرِّ، إشكالٌ؛ لأنَّ قولك: لا يَعزُبُ عنه شيءٌ إلا في كتابٍ، مُشْكِلٌ. انتهى.

---

(١) السبعة ص٣٢٨، والتيسير ص١٢٢ عن الكسائي.
(٢) المصدران السابقان.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٨، والإملاء ٢/ ٣٠.
(٤) في الكشاف ٢/ ٢٤٣.
(٥) كذا في النسخ، والذي في الكشاف: والرفع على الابتداء ليكون كلامًا برأسه، وهو الأنسب للسياق. وهذا الوجه قد ذكره الزجاج مجيزًا له بعد أن ابتدأ بوجه العطف على لفظ «مثقال» في قراءة النصب، وعلى محله في قراءة الرفع، ولم يذكر اختيارًا في ذلك. ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٣٣٤، وزاد المسير ٤/ ٤٣، وتفسير القرطبي ١١/ ١٥. ووقع في مطبوع معاني القرآن سقط ظاهر يستدرك مما ذكر من المصادر.

وإنما أَشْكَلَ عنده لأن التقدير يصير: إلا في كتابٍ فَيَعْزُبُ، وهذا كلامٌ لا يصحُّ، وخرَّجه أبو البقاء على أنه استثناءٌ منقطعٌ، تقديره: لكنْ هو في كتاب مُبين[١]، ويزولُ بهذا التقديرِ الإشكالُ.

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: أجاب بعضُ المحقِّقين من وجهين:

أحدهما: أنَّ الاستثناء منقطعٌ.

والآخر: أنَّ العزوبَ عبارةٌ عن مُطْلَق البُعْد، والمخلوقاتُ قِسْمٌ أَوْجَدَه الله ابتداءً من غير واسطةٍ كالملائكة والسماوات والأرض، وقسمٌ أوجده بواسطةِ القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالَم الكون والفساد[٣]، وهذا قد يتباعَدُ في سلسلة العلِّية والمعلوليَّة[٤] عن مرتبة وجود واجبِ الوجود، فالمعنى: لا يَبْعُدُ عن مرتبة وجوده مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتابٍ مبينٍ كَتَبَه الله وأثبت صورَ تلك المعلومات فيه[٥]. انتهى، وفيه بعضُ تلخيصٍ.

وقال الجُرجاني صاحبُ «النظم»[٦]: «إلَّا» بمعنى الواو، أي: وهو في كتابٍ مبينٍ[٧]، والعربُ تضع «إلَّا» موضع واو النسق، كقوله: «إلَّا من ظلم» [النمل: ١١] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]. انتهى وهذا قولٌ ضعيفٌ؛ لم يَثْبُتْ من لسان العرب وضعُ «إلَّا» موضعَ الواو، وتقدَّم الكلامُ على قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وسيأتي على قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) الإملاء ٢/ ٣٠.

(٢) في تفسيره ١٧/ ١٢٤.

(٣) الكون: الخروج من العدم إلى الوجود، والفساد عكسه. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٤/ ١٥٤.

(٤) في النسخ والمطبوع: والمملوكية، والمثبت من تفسير الرازي، ومثله في حاشية الشهاب على البيضاوي ٥/ ٤٤، وروح المعاني ١١/ ١٩٧، نقلاً عن الرازي.

(٥) في النسخ: فيها، والمثبت من المصادر السابقة. وقال الشهاب: وهذا وجهٌ دقيق إلا أنه أشبه بتدقيقات الحكماء؛ لبُعْده عن أسلوب العربية.

(٦) هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني الجماجمي، وكلامه في تفسير الرازي ١٧/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١١/ ١٥.

(٧) أي: أن الكلام قد تم وانقطع عند قوله: «ولا أكبر» ثم وقع الابتداء بكلام آخر، وهو قوله: «إلا في كتاب مبين»، أي: وهو أيضاً في كتاب مبين. تفسير الرازي ١٧/ ١٢٤.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ «أولياء الله»: هم الذين يتولَّونه بالطاعة ويتولَّاهم بالكرامة، وقد فسَّر ذلك في قوله: «الذين آمنوا وكانوا يتقون»[١].

وعن سعيد بن جبير: أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن «أولياء الله» فقال: «هم الذين يذكِّرون الله برؤيتهم»[٢] يعني السَّمْتَ والهيئةَ.

وعن ابن عباس: الإخباتُ والسكينة[٣].

وقيل: هم المتحابُّون في الله.

قال ابن عطية: وهذه الآيةُ يعطي ظاهرُها أنَّ مَن آمَنَ واتَّقَى فهو داخلٌ في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعةُ في الوليِّ، وإنما نبَّهنا هذا التنبيهَ حَذَرًا من مذهب الصوفية وبعضِ الملحِدِينَ في الوليِّ[٤]. انتهى.

وإنما قال: حَذَرًا من مذهب الصوفية، لأنَّ بعضهم نُقِلَ عنه أنَّ الوليَّ أفضلُ من النبيِّ، وهذا لا يكادُ يَخْطُر في قلب مسلمٍ، ولابْنِ العربي الطائي كلامٌ في الوليِّ[٥] وفي غيره نعوذُ بالله منه.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من عباد الله عبادًا

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٧)، والطبري ١٢/ ٢٠٩ بلفظ: «الذين يُذكر الله لرؤيتهم» وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد (٢١٧)، والطبري ١٢/ ٢١٠ بلفظ: «الذين إذا رُؤوا ذكر الله». وروي مرفوعًا باللفظين من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ، أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧١)، والبزار (٣٦٢٦ ـ كشف)، والطبري ١٢/ ٢٠٩، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٥)، وابن صاعد في زياداته على الزهد لابن المبارك (٢١٨)، وإسناد المرسل أصح، لكن هذا الوصف لأولياء الله ثابت بأحاديث أخرى. ينظر مسند أحمد (١٧٩٩٨)، ومجمع الزوائد ٨/ ٩٣ و١٠/ ٧٨.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٤٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٨.

(٥) كقوله في لطائف الأسرار ص٤٩:

سماءُ النبوة في برزخٍ دُوَيْنَ الوليِّ وفوق الرسول

ما هم بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغْبطُهم الأنبياءُ والشهداء بمكانهم من الله» قالوا: يا رسول الله، ومَن هم؟ قال: «قومٌ تحابُّوا بروح الله على غيرِ أرحامٍ ولا أموالٍ يتعاطَوْنها، فوالله إنَّ وجوههم لنورٌ، وإنَّهم لعَلَى منابرَ من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِنَ الناس» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآية[١].

وتقدَّم تفسير «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٢].

و«الذين» يحتمل أن يكون منصوبًا على الصفة؛ قاله الزمخشريُّ[٣]، أو على البدل؛ قاله ابنُ عطية[٤]، أو بإضمارِ: أمدحُ. ومرفوعًا على إضمار: هم، أو على الابتداء، والخبرُ: «لهم البشرى»، وأجاز الكوفيون رفعَه على موضع «أولياء» نعتًا أو بدلًا، وأُجيزَ فيه الجرُّ بدلًا من ضمير «عليهم».

وفي قوله: «وكانوا يتقون» إشعارٌ بمصاحَبَتهم للتقوى مدةَ حياتهم، فحالُهم في المستقبل كحالهم في الماضي.

وبُشراهم في الحياة الدنيا تظاهَرَتِ الرواياتُ عن رسول الله ﷺ أنها الرؤيا الصالحةُ يراها المؤمنُ أو تُرَى له، فسَّرها بذلك وقد سُئل[٥]. وعنه ﷺ في «صحيح» مسلم: «لم يَبْقَ من المبشِّرات إلَّا الرؤيا الصالحة»[٦].

وقال قتادة والضحاك: هي ما يُبَشَّرُ به المؤمنُ عند موته وهو حيٌّ عند المعايَنَة[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، والطبري ١٢/ ٢١١-٢١٢، وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ، أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧٢)، والطبري ١٢/ ٢١١، وصححه ابن حبان (٥٧٣).
(٢) عند تفسير الآية (٣٨) من سورة البقرة.
(٣) في الكشاف ٢/ ٢٤٣.
(٤) في المحرر ٣/ ١٢٨.
(٥) أخرجه أحمد (٢٢٦٨٧)، والدارمي (٢١٣٦)، والترمذي (٢٢٧٥)، وابن ماجه (٣٨٩٨) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وأخرجه الترمذي (٣١٠٦) من حديث أبي الدرداء ﷺ.
(٦) صحيح مسلم (٤٧٩)، من حديث ابن عباس ﷺ، ولفظه: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة...»، ونحوه في البخاري (٦٩٩٠) من حديث أبي هريرة.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٩، وأخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٢/ ٢٢٤-٢٢٥.

وقيل: هي محبةُ الناسِ له والذِّكْرُ الحَسَن.

وسُئل رسولُ الله ﷺ عن الرجل يعملُ العملَ لله ويُحبُّه الناسُ، فقال: «تلك عاجِلُ بُشْرَى المؤمن»[1].

وعن عطاءٍ: «لهم البشرى» عند الموت تأتيهم الملائكةُ بالرحمة، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية [فصلت: ٣٠][2].

قال ابن عطية: ويصحُّ أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشِّرات، ويقوِّي ذلك قولُه في هذه الآية: «لا تبديل لكلمات الله»، وإن كان ذلك كلُّه يعارِضُه قولُ النبيِّ ﷺ: «هي الرؤيا»، إلَّا إنْ قلنا: إنَّ النبيَّ ﷺ أعطى مثالًا من البشرى، وهي تعمُّ جميع البشر[3].

وبُشْراهم في الآخرة تلقِّي الملائكةِ إياهم مُسلِّمين مبشِّرين بالفوز والكرامة، وما يَرَوْنَ من بياض وجوههم، وإعطاء الصحف بأيمانهم، وما يقرؤون منها، وغيرُ ذلك من البشارات «لا تبديلَ لكلمات الله»، أي: لا تغيير لأقواله، ولا خُلْفَ في مواعيده، كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩][4].

والظاهرُ أنَّ «ذلك» إشارةٌ إلى التبشير، و«البشرى» في معناه. قال الزمخشري: «وذلك» إشارةٌ إلى كونهم مبشَّرين في الدارين[5].

وقال ابن عطية: إشارةٌ إلى النعيم الذي به وقعت البشرى[6].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ إمَّا أن يكونَ «قولُهم» أُرِيدَ به بعضُ أفراده، وهو التكذيبُ والتهديدُ وما يتشاوَرون به في أمر

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٣، وأخرجه مسلم (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٤٢٢٥) واللفظ له، ولفظ مسلم: . . . يعمل العمل من الخير ويحمد الناس عليه. . .
(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٤٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٩.

الرسول ﷺ، فيكون من إطلاق العامِّ وأُريدَ به الخاصُّ، وإمَّا أن يكون ممَّا حُذفت منه الصفةُ المخصِّصة، أي: قولُهم الدالُّ على تكذيبك ومُعانَدَتك، ثم استأنف بقوله: «إنَّ العزَّة لله جميعًا»، أي: لا عزَّةَ لهم ولا منعةَ، فهم لا يقدرون لك على شيءٍ ولا يُؤذونك، إنَّ الغلبة والقَهْرَ لله، وهو القادرُ على الانتقام منهم، فلا يعازُّه شيءٌ ولا يغالبُه، وكأنَّ قائلًا قال: لِمَ لا يَحْزُنه قولُهم وهو ممَّا يُحْزِنُ؟ فقيل: إنَّ العزَّةَ لله جميعًا ليس لهم منها شيءٌ.

وقرأ أبو حَيْوةَ: «أنَّ العزَّةَ» بفتح الهمزة[1]، وليس معمولًا لـ«قولهم»؛ لأنَّ ذلك لا يُحْزِنُ الرسولَ ﷺ؛ إذ هو قولٌ حقٌّ، وخُرِّجت هذه القراءةُ على التعليل، أي: لا يَقَعْ منك حُزْنٌ لمَا يقولون؛ لأَجْلِ أنَّ العزة لله جميعًا.

ووجِّهت أيضًا على أنْ يكونَ «أنَّ العزة» بدلٌ من «قولهم»، ولا يظهرُ هذا التوجيهُ، قال الزمخشري: ومَن جَعَله بدلًا من «قولهم» ثم أنكره فالمنكَرُ هو تخريجُه لا ما أنكره من القراءة[2].

وقال القاضي: فَتْحُها شاذٌّ يقارِبُ الكفر، وإذا كُسِرَتْ كان استئنافًا، وهذا يدلُّ على فضيلة علم الإعراب[3].

وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يجوزُ فتح «إنَّ» في هذا الموضع، وهو كفرٌ وغلوٌّ[4] وإنما قال القاضي وابنُ قُتيبةَ ذلك بناءً منهما على أنَّ «أنَّ» معمولةٌ لـ«قولهم»[5]، وقد

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٧، والكشاف ٢/ ٢٤٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٤.
(٣) تفسير الرازي ١٧/ ١٣٠، وفيه: فتحها فساد...، والقاضي هو عبد الجبار المعتزلي.
(٤) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٢٩، وقول ابن قتيبة فيهما ينتهي عند كلمة: كفر، ثم تعقبه ابن عطية بقوله: وقوله: هو كفر، غلوٌّ.
(٥) كذا قال المصنف رحمه الله، وفي هذا الكلام نظر، فأيُّ فرق على هذا بين القراءتين؟ بل إنكار قراءة الكسر عليه أولى من إنكار قراءة الفتح؛ لأن الأصل لتكون «إنَّ» معمولة للقول هو كسر الهمزة وليس فتحها، فإذا كان لا يُتوهم كون «إنَّ» معمولة لـ«قولهم» على قراءة الكسر، فكيف يُتوهم مع الفتح، فالأولى من هذا القولُ بأن المنِكر إنما حَمَل القراءة بالفتح على البدل من «قولهم»، كما ذكر الزمخشري ونقله عنه المصنف، وعزاه الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٢١٤ لابن قتيبة ثم قال: ثم أنكر (يعني ابن قتيبة) القراءةَ لذلك؛ لأنه يؤدي إلى أن يقال: فلا يحزنك أن العزة لله جميعاً. وينظر الدر المصون ٦/ ٢٣٤.

ذكرنا توجيهَ ذلك على التعليل، وهو توجيهٌ صحيحٌ.

«هو السميعُ» لمَا يقولون «العليم» بما[١] يدبِّرون.

وفي هذه الآية: تأمينٌ للرسول ﷺ من إضرار الكفار، وأنَّ الله تعالى يُدِيلُه عليهم وينصرُه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١].

وقال الأصم: كانوا يتعزَّزون بكثرة خَدَمهم وأموالهم، فأَخبر أنه قادرٌ على أن يَسْلبَ منهم تلكَ[٢] الأشياء، وأن ينصرَك وينقلَ إليك أموالَهم وديارَهم. انتهى.

ولا تضادَّ بين قوله: «إنَّ العزَّة لله جميعاً» وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] لأنَّ عزَّتهم إنما هي بالله، فهي كلُّها لِله.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ المناسبةُ ظاهرةٌ في هذه الآية، لمَّا ذَكَر أنَّ العزَّة له تعالى وهي القهرُ والغلبةُ، ذكر ما يناسِبُ القهرَ، وهو كونُ المخلوقات ملكًا له تعالى، و«مَن» الأصلُ فيها أن تكون للعقلاء، وهنا هي شاملةٌ لهم ولغيرهم على حكم التغليب، وحيث جيء بـ«ما» كان تغليبًا للكثرة؛ إذ أكثرُ المخلوقات لا تعقل.

وقال الزمخشري: يعني العقلاءَ المميِّزين وهم الملائكةُ والثَّقَلان، وإنما خصَّهم ليُؤْذِنَ أنَّ هؤلاء إذا كانوا له في ملكه فهم عبيدٌ كلُّهم، وهو سبحانه وتعالى ربُّهم، ولا يصلُحُ أحدٌ منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكًا له فيها، فما دونهم ممَّا لا يعقلُ أحقُّ أنْ لا يكون ندًّا وشريكًا، وليَدُلَّ على أنَّ مَن اتَّخذ غيرَه ربًّا مِن مَلَكٍ أو إنسيٍّ فضلًا عن صنمٍ أو غيرِ ذلك، فهو مُبْطِلٌ تابعٌ لمَا أدَّى إليه التقليدُ وتركُ النظر[٣].

والظاهرُ أن «ما» نافيةٌ، و«شركاء» مفعولُ «يتَّبع»، ومفعولُ «يَدْعون» محذوفٌ

(١) في النسخ عدا (يه): لما، والمثبت من (يه).
(٢) في النسخ عدا (يه): ملك، والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ١٧/ ١٣٠، والكلام منه، وجاء فيه: كل تلك.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٤٤.

لفهم المعنى، تقديره: آلهةً أو شركاء، أي: إنَّ الذين جعلوهم آلهةً وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاءَ حقيقةً إذ الشركةُ في الألوهية مستحيلةٌ وإنْ كانوا قد أطلقوا عليهم اسمَ الشركاء.

وجوَّزوا أن تكون «ما» استفهاميةً في موضع نصبٍ بـ«يتَّبع» و«شركاء» منصوبٌ بـ«يَدْعون» أي: وأيَّ شيءٍ يتَّبعُ على تحقير المتَّبَع، كأنه قيل: مَن يدعو شريكًا لله لا يتَّبع شيئًا.

وأجاز الزمخشريُّ أن تكون «ما» موصولةً عطفًا على «مَن»، والعائدُ محذوفٌ، أي: والذي يتَّبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم[(١)].

وأجاز غيرُه أن تكون «ما» موصولةً في موضع رفعٍ على الابتداء، والخبرُ محذوفٌ تقديره: والذي يتَّبعه المشركون باطلٌ.

وقرأ السُّلَمي: «تَدْعون» بالتاء على الخطاب؛ قال ابنُ عطيةَ: وهي قراءةٌ غيرُ متَّجهةٍ[(٢)].

وقال الزمخشري: وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ: «تدعون»: بالتاء، ووَجْهُه أن يُحْمَلَ «وما يتَّبع» على الاستفهام، أي: وأيَّ شيءٍ يتبعُ الذين تدعونهم شركاءَ من الملائكة والنبيين، يعني: إنهم يتَّبعون الله تعالى ويُطيعونه فما لكم لا تفعلون مِثْلَ فِعْلِهم، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧][(٣)]. انتهى.

«وإنْ» نافية، أي: ما يتَّبعون إلَّا ظنَّهم أنهم شركاءُ، و«يَخْرُصون»: يُقدِّرون، ومَن قرأ «تدعون» بالتاء كان قولُه: «إنْ يتبعون» التفاتًا إذ هو خروجٌ من خطابٍ إلى غيبة.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧﴾ هذا تنبيهٌ منه تعالى على عظيم قدرته وشمولِ نعمته لعباده، فهو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٤٤، وذكر القراءة عن علي أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٧.

المستحِقُّ لأَنْ يُفْرَدَ بالعبادة، «لتسكنوا فيه» أي: ممَّا تُقاسُون من الحركة والتردُّدِ في طلب المعاش وغيرِه بالنهار، وأضاف الإبصار إلى النهار مجازًا؛ لأن الإبصارَ يَقعُ فيه كما قال:

ونـمـتِ ومـا لـيـلُ الـمَـطِـيِّ بـنـائـمِ[(١)]

أي: يُبْصِرون فيه مطالبَ معايشهم.

وقال قُطْرُب: يقال: أظلم الليلُ: صار ذا ظلمةٍ، وأضاء النهارُ وأبصر، أي: صار ذا ضياءٍ وبصرٍ[(٢)]. انتهى.

وذكر علَّة خلقِ الليل وهي قوله: «لتسكنوا فيه» وحذفها من النهار، وذكر وصف النهار وحَذَفه من الليل، وكلٌّ من المحذوف يدلُّ على مُقابِلِه، والتقدير: جعل الليل مظلمًا لتسكنوا فيه والنهارَ مبصرًا لتتحرَّكوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون إليه بالحركة[(٣)]. ومعنى «تسمعون» سماعَ معتبِرٍ.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الضميرُ في «قالوا» عائدٌ على مَن نَسَبَ إلى الله الولدَ ممن قال: الملائكةُ بناتُ الله، أو: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] أو: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، و«سبحانه» تنزيهٌ من اتِّخاذ الولد، وتعجُّبٌ ممن يقول ذلك، «هو الغني» علةٌ لنفي الولد؛ لأنَّ اتِّخاذ الولد إنما يكونُ للحاجة

---

(١) وصدره: لقد لُمْتِنا يا أمَّ غيلان في السُّرَى، والبيت لجرير، وهو في ديوانه ٢/ ٩٩٣، والكتاب ١/ ١٦٠، والخزانة ١/ ٤٦٥، وفيه: أراد: وما ليلُ أصحاب المطي وأراد بهم مَن يركب ويسافر، فلا ينبغي أن ينام من أول الليل إلى آخره. و«أم غيلان» قيل: هي بنته.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٢، وتفسير البغوي ٢/ ٣٦١، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٠، والكلام منه.

(٣) وهذا ما يسمى في البديع بصنعة الاحتباك، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، ومن لطيفه قوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت. ينظر الإتقان ٢/ ٨٣١، وروح المعاني ١١/ ٢١٨.

إليه، واللهُ تعالى غيرُ محتاجٍ إلى شيءٍ، فالولدُ منتفٍ عنه، وكلُّ ما في السماوات والأرض ملكُه، فهو غنيٌّ عن اتِّخاذ الولد. و«إنْ» نافية، والسلطان: الحجة، أي: ما عندكم من حجةٍ بهذا القول.

قال الحَوْفيُّ: و«بهذا» متعلِّقٌ بمعنى الاستقرار. يعني: الذي تَعَلَّقَ به الظرفُ.

وتبعه الزمخشريُّ فقال: الباءُ حقُّها أن تتعلَّق بقوله: «إنْ عندكم» على أن يُجعل القولُ مكانًا للسلطان، كقولك: ما عندكم بأرضكم نَوْرٌ، كأنه قيل: إنْ عندكم فيما تقولون سلطانٌ[١].

وقال أبو البقاء: و«بهذا» متعلِّقٌ بـ«سلطان» أو نعتٌ له[٢].

و«أتقولون» استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ لمن اتَّبع ما لا يَعْلَم، ويُحْتَجُّ بذلك في إبطال التقليد في أصول الدين، واسْتَدَلَّ بها نُفاةُ القياس وأخبارِ الآحاد[٣].

ولمَّا نَفَى البرهانَ عنهم جعلهم غيرَ عالِمينَ، فدلَّ على أنَّ كلَّ قولٍ لا برهان عليه لقائله فذلك جهلٌ وليس بعلمٍ، و«الذين يفترون على الله الكذب» عامٌّ يشتملُ مَن نَسَبَ إلى الله الولدَ ومَن قال في الله وفي صفاته قولًا بغير علمٍ، وهو داخلٌ في الوعيد بانتفاء الإفلاح.

ولمَّا نفى عنهم الفلاحَ، وكان لهم حظٌّ من إفلاحهم في الدنيا لحظوظٍ[٤] فيها من مالٍ وجاهٍ وغيرِ ذلك، قيل: «متاعٌ قليلٌ»، جوابٌ على تقديرِ سؤالٍ، كأنَّ قائلًا قال: كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع ممَّا يتلذَّذون به؟ فقيل: ذلك متاعٌ في الدنيا، أو لهم متاعٌ في الدنيا زائلٌ لا بقاءَ له ثم يَلْقَوْن الشقاءَ المؤبَّدَ في الآخرة.

❊ ❊ ❊

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٥، وجاء في مطبوعه: موز، بدل: نور.
(٢) الإملاء ٢/ ٣١.
(٣) ولا دليل فيها على ذلك كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٢٢٠، قال: ولا تصلح متمسَّكًا لنفي القياسِ والعملِ بخبر الآحاد؛ لأن ذلك في الفروع وهي مخصوصة بالأصول.
(٤) في (ز١): بحظوظ.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا
تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا
مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ
أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا
جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ
ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن
يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم
بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ
رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ
أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا
ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ
فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ

ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ
ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ
مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ
أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ
أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن
دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

المفردات لَفَتَ عُنُقَه: لَوَاها وصَرَفها. وقال الأزهري: لَفَتَ الشيءَ وفَتَلَه: لواه، وهذا من المقلوب(١). انتهى. ومطاوع لفت: التفت، وقيل: انْفَتَلَ.

* * *

التفسير ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ لمَّا ذَكَر تعالى الدلائلَ على وحدانيته، وذَكَرَ ما جرى بين الرسول وبين الكفار، ذَكَر قصصًا من قصص الأنبياء وما جَرَى لهم مع قومهم من الخلاف، وذلك تسليةٌ للرسول ﷺ، وليتأسَّى بمَن قَبْلَه من الأنبياء فيَخِفَّ عليه ما يَلْقَى منهم

(١) تفسير الرازي ١٧/ ١٤٢، والعبارة في تهذيب اللغة ١٤/ ٢٨٩: لَفَتَ فلاناً عن رأيه وفَتَله: إذا صرفه ولواه. اهـ.

من التكذيب وقلَّةِ الاتِّباع، وليَعْلَمَ المتلوُّ عليهم هذا القصصُ عاقبةَ مَن كذَّب الأنبياءَ وما مَنَحَ اللهُ نبيَّه من العلم بهذا القصصِ، وهو لم يُطالِعْ كتابًا ولا صَحِبَ عالِماً، وأنها طِبْقُ ما أخبر به، فدلَّ ذلك على أنَّ الله أوحاه إليه وأَعْلَمه به، وأنه نبيٌّ لا شك فيه، والضميرُ في «عليهم» عائدٌ على أهلِ مكةَ الذين تقدَّم ذِكْرُهم.

و«كَبُرَ» معناه: عَظُمَ، «مقامي» أي: طولُ مَقامي فيكم، أو: قيامي للوعظ، كما يُحكى عن عيسى عليه السلامُ أنه كان يَعِظُ الحواريِّين قائماً ليَرَوْه وهم قعودٌ، وكقيام الخطيب ليسمع الناسُ وليَرَوْه. أو نَسَبَ ذلك إلى مقامه والمراد نفسَه، كما تقول: فعلتُ كذا لمكانِ فلانٍ، و: فلانٌ ثقيلُ الظلِّ[1]، تريد: لأجْلِ فلانٍ، و: فلانٌ ثقيلٌ.

قال ابنُ عطية: ولم يُقرأ هنا بضم الميم[2]. انتهى.

وليس كما ذَكَر، بل قرأ «مُقامي» بضم الميم أبو مِجْلَزٍ وأبو رجاءٍ وأبو الجَوْزاءِ[3]. والمُقامُ: الإقامة بالمكان، والمَقامُ: مكانُ القيام.

والتذكيرُ: وَعْظُه إياهم وزَجْرُهم عن المعاصي.

وجوابُ الشرط محذوفٌ تقديره: فافعلوا ما شئتم. وقيل: الجوابُ: «فعلى الله توكلتُ» و«فأَجْمِعوا» معطوفٌ على الجواب، وهو لا يَظْهَرُ؛ لأنه متوكِّلٌ على الله دائمًا.

وقال الأكثرون: الجواب: «فأَجْمِعوا» و«فعلى الله توكلتُ» جملةُ اعتراضٍ بين الشرط وجزائه، كقوله:

إمَّا تَرَيْني قد نَحَلْتُ ومَن يَكُنْ غَرَضًا لأطراف الأسِنَّة يَنْحَلِ
فلَرُبَّ أَبْلَجَ مِثْلِ بَعْلِكِ بادنٍ ضخمٍ على ظهر الجواد مُهَبَّلِ[4]

---

(١) ذكر هذه الوجوه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٤٥.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٣١.
(٣) زاد المسير ٤/ ٤٧.
(٤) البيتان لعنترة، وهما في ديوانه ص٦٠. وقوله: بعلك، تحرف في (د١) والمطبوع إلى: ثقلك. والمهبَّل: اللَّحيم المورَّم الوجه، ووقع في مطبوع الديوان: مهيَّل. وشرحه المحقق بأنه الثقيل أو الملول.

وقرأ الجمهور: «فأَجْمِعوا» من أَجْمَعَ الرجلُ الشيءَ: عَزَمَ عليه ونَوَاه، قال الشاعر:

أَجْمَعوا أمرَهم بليلٍ فلمَّا أصبحوا أصبحتْ لهم ضوضاءُ[1]

وقال آخر:

يا ليت شِعْري والمُنَى لا تَنْفَعُ هل أَغْدُوَنْ يومًا وأمري مُجْمَعُ[2]

وقال أبو فَيْدٍ السَّدُوسيُّ[3]: أَجْمَعْتُ الأمرَ، أفصحُ من: أجمعتُ عليه.

وقال أبو الهيثم[4]: أَجْمَعَ أَمْرَه: جَعَلَه مجموعًا بعد ما كان متفرِّقًا، قال: وتَفْرِقَتُه أنه يقول مرةً: أفعلُ كذا، ومرةً: أفعلُ كذا، فإذا عزم على أمرٍ واحدٍ فقد جَمَعَه[5]، أي: جَعَلَه جميعًا. فهذا هو الأصلُ في الإجماع، ثم صار بمعنى العزمِ حتى وُصِلَ بـ«على»، فقيل: أجمعتُ على الأمرِ، أي: عزمتُ عليه، والأصل: أجمعتُ الأمرَ[6]. انتهى.

وعلى هذه القراءةِ يكون «وشركاءَكم» عطفًا على «أمرَكم» على حذفِ مضافٍ، أي: وأمرَ شركائكم، أو على «أمرَكم» من غيرِ مراعاةِ محذوفٍ؛ لأنه يقال أيضًا: أجمعتُ شركائي، أو منصوبًا بإضمار فِعْلٍ، أي: وادعوا شركاءَكم، وذلك بناءً على أنه لا يقال: أجمعتُ شركائي - يعني في الأكثر - فيكون نظيرَ قوله:

عَلَفْتُها تِبْنًا وماءً باردًا حتى شَتَتْ همَّالةً عيناها[7]

(١) البيت من معلقة الحارث بن حلزة، وهو في شرح المعلقات للنحاس ٢/ ٦٢، ولابن الأنباري ص٤٥٢، وللتبريزي ص٢٩٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣١، والإملاء ٢/ ٣١.

(٢) الرجز في معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٣، ونوادر أبي زيد ص١٣٣، وإصلاح المنطق ص٢٩٣، وتفسير الطبري ١٢/ ٢٣١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٤، وزاد المسير ٤/ ٤٨. وقوله: أغدون، تحرف في (د١) والمطبوع إلى: أعذرت.

(٣) هو مؤرج بن عمرو، وكلامه في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٤، وزاد المسير ٤/ ٤٧.

(٤) كما في تهذيب اللغة ١/ ٣٩٧، وتفسير الرازي ١٧/ ١٣٧، وعنه نقل المصنف.

(٥) العبارة في تهذيب اللغة: فلما عزم على أمر محكم أجمعه.

(٦) من قوله: فهذا هو الأصل...، لم يرد في تهذيب اللغة، ولعله من كلام الرازي.

(٧) سلف عنه تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، ووقع في النسخ هنا: فعلفتها، والمثبت من المصادر.

في أحد المذهبين، أي: وسقيتُها ماءً باردًا[(١)]، وكذا هي في مصحف أبيٍّ: «وادْعُوا شركاءَكم»[(٢)].

وقال أبو عليٍّ: وقد يُنْصَبُ الشركاءُ بواوِ «مع»، كما قالوا: جاء البردُ والطيالسةَ[(٣)]. ولم يذكر الزمخشريُّ في نصب «وشركاءَكم» غيرَ قولِ أبي عليٍّ أنه منصوبٌ بواوِ «مع»[(٤)]. وينبغي أن يكون هذا التخريجُ على أنه مفعولٌ معه من الفاعل، وهو الضمير في «فأجْمِعوا»، لا من المفعول الذي هو «أَمْرَكم»، وذلك على أَشْهَرِ الاستعمالين؛ لأنه يقال: أَجْمَعَ الشركاءُ، ولا يقال: جَمَعَ الشركاءُ أمرَهم، إلَّا قليلًا، ولا: أجمعتُ الشركاءَ، إلَّا قليلًا. وفي اشتراط صحة جواز العطف فيما يكون مفعولًا معه خلافٌ، فإذا جعلناه من الفاعل كان أَوْلَى[(٥)].

وقرأ الزهريُّ والأعمش والجَحْدَريُّ وأبو رجاءٍ والأعرجُ، والأصمعيُّ عن نافع، ويعقوبُ بخلافٍ عنه: «فاجْمَعوا» بوصل الألف وفتحِ الميم مِن جَمَع[(٦)]، و«شركاءَكم» عطفٌ على «أمرَكم» لأنه يقال: جمعتُ شركائي، أو على أنه مفعولٌ

(١) والمذهب الثاني: أن يُضمَّن «علفتُها» معنًى يتسلط على المتعاطفَيْنِ، نحو: أَنَلْتُها وأعطيتها. ينظر الارتشاف ٣/١٤٨٩-١٤٩٢، ومغني اللبيب ص٨٢٨.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٥، وهي في المحتسب ١/ ٣١٤ بلفظ: «وادعوا شركاءكم ثم أجمعوا أمركم».

(٣) أي: مع الطيالسة، والمعنى: أن البرد سبب لاستعمال الطيالسة، والطيالسة: جمع الطيلسان، وهو ضرب من الأكسية. ينظر الكتاب ١/ ٢٩٨، وجمع الهوامع ٢/ ٢٣٨، والتاج (طلس)، وكلام أبي علي الفارسي في الحجة ٤/ ٢٨٩.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٤٥.

(٥) يعني أنه إذا جعلناه مفعولاً معه من الفاعل كان جائزاً بلا خلافٍ، وذلك لأن من النحويين مَن اشترط في صحة نصب المفعول معه أن يصلح عطفُه على ما قَبْله، فإن لم يصلح عطفُه لم يصحَّ نصبُه مفعولاً معه، فلو جعلناه هنا من المفعول لم يجز على المشهور، إذ لا يصلح عطفُه على ما قبله، إذ لا يقال: أجمعت شركائي، بل: جمعتُ، وكذا لا يقال: جَمَعَ الشركاءُ أمرهم، بل: أَجْمَعَ. ينظر الدر المصون ٦/ ٢٤٢.

(٦) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحتسب ١/ ٣١٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣١، وهي روايةُ رويس عن يعقوب كما في النشر ٢/ ٢٨٥، وخلافُ المشهور عن نافع.

معه، أو على حذفِ مضافٍ، أي: ذوي الأمرِ منكم، فجرى على المضاف إليه ما جرى على المضاف لو ثبت؛ قاله أبو عليٍّ[١].

وفي كتاب «اللوامح»: أَجْمَعْتُ الأمرَ، أي: جَعَلْتُه جميعًا، وجمعتُ الأموالَ جَمْعًا، فكان الإجماعُ في الأحداث والجمعُ في الأعيان، وقد يُستعمل كلٌّ واحدٍ مكانَ الآخَرِ، وفي التنزيل: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]. انتهى.

وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وابنُ أبي إسحاق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب فيما رُوي عنه: «وشركاؤكم» بالرفع[٢]، ووُجِّه بأنه عطفٌ على الضمير في «فأَجْمِعوا»، وقد وقع الفصلُ بالمفعول فحَسُنَ، وعلى أنه مبتدأٌ محذوفُ الخبر لدلالة ما قبله عليه، أي: وشركاؤكم فليُجْمِعوا أمرَهم.

وقرأت فرقةٌ: «وشركائكم» بالخفض عطفًا على الضمير في «أمركم»، أي: وأمرَ شركائِكم، فحذف، كقول الآخر:

أكلَّ امرئٍ تحسبين امْرَأً ونارٍ توقَّدُ بالليل نارا[٣]

أي: وكلَّ نارٍ، فحُذِفَ «كلّ» لدلالة ما قبله عليه.

والمرادُ بالشركاء: الأندادُ من دون الله، أضافهم إليه إذ هم يجعلونهم شركاءَ بزعمهم، وأَسْنَدَ الإجماع إلى الشركاء على وجه التهكُّم، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥] أو يراد بالشركاء مَن كان على دينهم وطريقتهم.

قال ابنُ الأنباريِّ: المرادُ من الأمر هنا وجودُ كيدهم ومكرِهم؛ فالتقدير: لا تتركوا من أمركم شيئًا إلَّا أحضرتُموه[٤]. انتهى.

---

(١) في الحجة ٤/ ٢٨٧-٢٨٨.
(٢) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحتسب ١/ ٣١٤. وهي قراءة أبي جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٢٨٦.
(٣) البيت لأبي دؤاد الإيادي كما في الكتاب ١/ ٦٦، والأصمعيات ص١٩١، ونسبه المبرد في الكامل ١/ ٣٧٦ و٢/ ١٠٠٢ لعدي بن زيد، وهو دون نسبة في الأصول في النحو ٢/ ٧٠، والإنصاف ٢/ ٤٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣٢.
(٤) تفسير الرازي ١٧/ ١٣٧.

وأَمْرُه إياهم بإجماعِ أمرِهم دليلٌ على عدم مبالاته بهم ثقةً بما وَعَدَه ربُّه من كلاءَته وعصمته.

«ثم لا يَكُنْ أمرُكم عليكم غُمَّةً»، أي: حالُكم معي وصحبتُكم لي غمًّا وهمًّا، أي: ثم أهلكوني لئلَّا يكونَ عيشُكم بسببي غصةً، وحالُكم عليكم غمةً. والغَمُّ والغُمَّةُ كالكَرْب والكُرْبة، قال أبو الهيثم: هو من قولهم: غُمَّ علينا الهلالُ فهو مغمومٌ: إذا الْتُمِسَ فلم يُرَ، وقال طَرَفة:

لَعَمْرُكَ ما أمري عليَّ بغُمَّةٍ نهاري ولا ليلي عليَّ بسَرْمَدِ[1]

وقال الليث: يقال: إنه لفي غمةٍ من أمره: إذا لم يتبيَّنْ له[2].

وقال الزجَّاج: [أي: ليكن] أمْرُكم ظاهرًا مكشوفًا[3]. وحسَّنه الزمخشريُّ فقال - وقد ذَكَر القولَ الأولَ الذي يُراد بالأمر فقال -: والثاني: أنْ يُرادَ به ما أُريدَ بالأمر الأول، والغُمَّة: السُّتْرة، مِن غَمَّه: إذا سَتَره، ومنه قولُه ﷺ: «ولا غُمَّةَ في فرائض الله تعالى»، أي: لا تُسْتَر، ولكنْ يُجاهَرُ بها، يعني: ولا يكن قَصْدُكم إلى إهلاكي مستورًا عليكم بل مكشوفًا مشهورًا تُجاهِرون به[4]. انتهى.

ومعنى «اقضوا إلي»: أنْفِذوا قضاءَكم نحوي، ومفعولُ «اقضوا» محذوفٌ، أي: اقْضوا إليَّ ذلك الأمرَ، وأَمْضوا ما في أنفسكم، واقْطَعوا ما بيني وبينكم.

وقرأ السَّرِيُّ بنُ يَنْعُمَ[5]: «ثم أَفْضوا» بالفاء وقَطْعِ الألف، أي: انتهوا إليَّ

---

(١) تهذيب اللغة ١٦/ ١١٥، وتفسير الرازي ١٧/ ١٣٨، وفيهما: إذا الْتَبَس، مكان: إذا التُمِسَ فلم يُر. والبيت في ديوان طرفة ص٤٠.

(٢) المصدران السابقان، وفيهما: يهتد، مكان: يتبين.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨، وتفسير الرازي ١٧/ ١٣٨، وما بين حاصرتين منهما.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٤٥، والحديث المذكور هو طرف من كتاب النبي ﷺ لوائل بن حجر، أخرجه الخطابي في غريب الحديث ١/ ٢٨٠-٢٨١، وذكره القاضي عياض كما في شرح الشفا للشهاب الخفاجي ١/ ٤٠٤، وقال: وروي: «ولا عَمَهَ» أي: لا حيرة ولا تردُّدَ فيها، وروي: «لا غِمْد» ومعناها: لا ستر ولا خفاء، ك: تغمَّدنا الله برحمته، أي: سَتَرنا بها.

(٥) القراءات الشاذة ص٥٧، والمحتسب ١/ ٣١٥. والسري بن يَنْعُم الجُبْلاني من رجال التهذيب، قال عنه الحافظ: شامي صدوق عابد.

بشرِّكم، من أفضَى إلى كذا: انتهى إليه، وقيل: معناه: أسرِعوا. وقيل: مِن أَفْضَى: إذا خرج إلى الفضاء، أي: فأصْحِروا به إليَّ وأَبْرِزوه، ومنه قولُ الشاعر:

أَبَى الضيمَ والنعمانُ يُحْرِقُ نابَه  عليه فأفضى والسيوفُ معاقِلُه[1]

«ولا تُنْظِرون» أي: لا تؤخِّرون، والنَّظِرةُ: التأخير.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: فإنْ دامَ تولِّيكم عمَّا جئتُ به إليكم من توحيد الله ورفضِ آلهتكم فلستُ أبالي بكم لأنَّ توليكم لا يَضُرُّني في خاصَّتي، ولا قَطَعَ عنِّي صِلَةً منكم؛ إذ ما دعَوْتُكم إليه وذكَّرتُكم به ووعظتُكم لم أسألكم عليه أجرًا، إنَّما يُثِيبُني عليه الله تعالى، أي: ما نصحتُكم إلَّا لوجه الله تعالى لا لغرضٍ من أغراض الدنيا.

ثم أَخْبَر أنه أُمِرَ أن يكون «من المسلمين» من المنقادِينَ لأمر الله الطائعين له، «فكذَّبوه» فتمُّوا على تكذيبه، وذلك عند مُشارَفةِ الهلاك بالطُّوفان. و«في الفلك» متعلِّقٌ بالاستقرار الذي تعلَّق به «معه»، أو بـ: فنجيَّناه، و«جعلناهم» جُمِعَ ضميرُ المفعول على معنى «مَن»، و«خلائف»: يَخْلُفون الغارقين المُهْلَكين.

ثم أُمِرَ بالنظر في عاقبة المنذَرين بالعذاب وإلى ما صار إليه حالُهم، وفي هذا الإخبار توعُّدٌ للكفار بمحمدٍ ﷺ، وضربُ مثالٍ لهم في أنهم بحالِ هؤلاء من التكذيب، فسيكون حالُهم كحالهم في التعذيب، والخطاب في «فانظر» للسامع لهذه القصة، وفي ذلك تعظيمٌ لمَا جرى عليهم وتحذيرٌ لمن أنذرهم الرسولُ، وتسليةٌ له صلى الله عليه وسلم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ «من بعده»، أي: من بعد نوح، «رسلًا إلى قومهم» يعني هودًا وصالحًا ولوطًا وإبراهيم وشعيبًا، و«البينات»: المعجزاتُ والبراهينُ الواضحةُ المُثْبِتةُ لمَا جاؤوا به، وجاء النفيُ مصحوبًا بلام الجحود ليَدُلَّ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص١٤٣.

على أنَّ إيمانهم في حيِّز الاستحالة والامتناعِ، والضميرُ في «كذَّبوا» عائدٌ على مَن عاد عليه ضميرُ «كانوا» وهم قومُ الرسل، والمعنى: إنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهلَ جاهليةٍ وتكذيبٍ للحقِّ، فتساوَتْ حالتُهم قبل البعثة وبعدها كأنْ لم يُبْعَثْ إليهم أحدٌ، و«من قبلُ» متعلِّق بـ«كذَّبوا» أي: من قبلِ بعثةِ الرسل.

وقيل: المعنى: إنهم بادَروا رسلَهم بالتكذيب كلَّما جاء رسولٌ، ثم لجُّوا في الكفر وتمادَوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبُهم من قبل لَجِّهم في الكفر وتماديهم.

وقال يحيى بنُ سَلَام: «من قبلُ» معناه: من قبل العذاب[1]. وهذا القولُ فيه بُعْدٌ.

وقيل: الضميرُ في «كذبوا» عائدٌ على قوم نوح، أي: فما كان قومُ الرسل ليؤمنوا بما كذَّب به قومُ نوحٍ، يعني: إنَّ شِنْشِنَتَهم[2] واحدةٌ في التكذيب.

قال ابن عطية: ويحتمِلُ اللفظُ عندي معنًى آخَرَ، وهو أنْ تكون «ما» مصدريةً، والمعنى: فكذَّبوا رسلَهم فكان عقابُهم من الله أنْ لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبلُ، أي: من سببه ومن جرَّائه، ويؤيِّدُ هذا التأويلَ «كذلك نطبع»[3]. انتهى.

والظاهرُ أنَّ «ما» موصولةٌ، ولذلك عاد الضميرُ عليها في قوله: «بما كذَّبوا به»، ولو كانت مصدريةً بقي الضميرُ غيرَ عائدٍ على مذكورٍ، فتحتاجُ أن يُتَكلَّف ما يعودُ عليه الضمير.

وقرأ الجمهور: «نطبَعُ» بالنون، والعباس بنُ الفضل بالياء[4].

والكافُ للتشبيه، أي: مِثْلَ ذلك الطَّبْع المُحْكَم الذي يمتنعُ زوالُه نطبعُ على قلوب المعتدين المجاوِزينَ طورَهم والمبالِغينَ في الكفر.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٣.
(٢) أي: عادتهم وطبيعتهم. ينظر القاموس (شنن).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٣.
(٤) القراءات الشاذة ص٥٧.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ أي: مِن بعدِ أولئك الرسل، «بآياتنا» وهي المعجزاتُ التي ظهرت على يديه، ولا يُخَصُّ قولُه: «ومَلَئه» بالأشراف، بل هي عامَّةٌ لقوم فرعون شريفِهم ومشروفِهم، «فاستكبروا» تعاظَموا عن قبولها، وأعظمُ الكِبْرِ أن يَتعاظَمَ العبيدُ عن قبول رسالةِ ربِّهم بعد تبيُّنها واستيضاحها، وباجترامهم الآثامَ العظيمةَ استكبروا واجترؤوا على ردِّها، و«الحق» هو العصا واليد، قالوا لحبهم الشهوات: «إنَّ هذا لسحرٌ مُبين»، وهم يعلمون أنَّ الحقَّ أبعدُ شيءٍ من السحر الذي ليس إلَّا تمويهًا وباطلًا، ولم يقولوا: «إنَّ هذا لسحرٌ مبينٌ» إلَّا عند مُعايَنةِ العصا وانقلابِها، واليدِ وخروجِها بيضاءَ، ولم يتعاطَوا إلَّا مقاومةَ العصا، وهي معجزةُ موسى التي وقع فيها عجزُ المُعارِض.

وقرأ مجاهد وابنُ جُبَيرٍ والأعمشُ: «لساحِرٌ مُبين»(١) جُعِل خبر «إنَّ» اسمَ فاعلٍ لا مصدرًا كقراءة الجماعة.

ولمَّا كابَروا موسى فيما جاء به من الحقِّ أخبروا على جهة الجزم بأنَّ ما جاء به سحرٌ مبين، فقال لهم موسى: «أتقولون» مستفهِمًا على جهةِ الإنكارِ والتوبيخ حيث جَعَلوا الحقَّ سحرًا، «أسحرٌ هذا» أي: مِثْلُ هذا الحقِّ لا يُدَّعَى أنه سحرٌ، وأَخبر أنه لا يُفْلِحُ مَن كان ساحرًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، والظاهرُ أنَّ معمول «أتقولون» محذوفٌ، تقديره ما تقدَّم ذكرُه وهو «إن هذا لسحرٌ»، ويجوز أن يُحذف معمولُ القول للدلالة عليه، نحو قول الشاعر:

لنحن الأُلَى قُلْتُم فأنَّى مُلِئْتُمُ ... برؤيتنا قبلَ اهتمامٍ بكم رعبًا(٢)

ومسألة الكتاب: متى رأيتَ أو قلتَ زيدًا منطلقًا(٣). وقيل: معمول «أتقولون» هو «أسحر هذا» إلى آخره، كأنهم قالوا: أَجِئْتُما بالسحر تطلبان به الفلاحَ ولا يُفلحُ الساحرون، كما قال موسى للسحرة: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١].

(١) المحتسب ١/٣١٦، والمحرر الوجيز ٣/١٣٤.
(٢) شرح التسهيل لابن مالك ٢/٣٢.
(٣) الكتاب ١/٧٩.

والذين قالوا بأنَّ الجملةَ ذاتَ الاستفهام هي محكيَّةٌ بالقول اختلفوا، فقال بعضهم: قالوا ذلك على سبيلِ التعظيم للسحر الذي رأوه بزَعْمِهم، كما تقول لفرسٍ تراه يُجيد الجَرْيَ: أفرسٌ هذا؟ على سبيل التعجيب والاستغراب، وأنت قد علمتَ أنه فرسٌ، فهو استفهامٌ معناه التعجيبُ والتعظيم.

وقال بعضهم: قال ذلك منهم كلُّ جاهلٍ بالأمر، فهو يَسألُ: أهو سحرٌ؟ لقول بعضهم: «إنَّ هذا لسحر».

وأجاز الزمخشريُّ أن يكون معنى قوله: «أتقولون للحق»: أتَعِيبُونه وتَطْعنون فيه وكان عليكم أن تُذْعِنوا له وتعظِّموه، قال: من قولهم: فلانٌ يخاف القالةَ، و: بين الناس تقاوُلٌ، إذا قال بعضُهم لبعضٍ ما يَسُوءُ، ونحوُ القولِ الذِّكْرُ في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠] ثم قال: «أسحرٌ هذا» فأنكر ما قالوه في عيبه والطعنِ عليه[(١)].

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ و«الكبرياء» مصدرٌ، قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ والضحاك وأكثرُ المتأوِّلين: المرادُ به هنا المُلْكُ[(٢)]؛ إذ الملوكُ موصوفون بالكِبْر، ولذلك قيل للملك: الجبَّار، ووُصِفَ بالصَّيَد والشَّوَس[(٣)]، وقال ابنُ الرُّقَيات في مصعب بن الزبير:

مُلْكُه مُلْكُ رأفةٍ ليس فيه ... جبروتٌ منه ولا كبرياءُ[(٤)]

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٥، وزاد المسير ٤/ ٥٠، وأخرجه عن مجاهد الطبري ١٢/ ٢٤٠.

(٣) الصَّيَد مصدر الأصْيَد، وهو الملك لا يلتفت من زَهْوه يمينًا ولا شمالًا، والأصيد أيضًا رافع رأسه كِبْرًا، وإنما قيل للملك: أصيد؛ لكونه يرفع رأسه كبرًا. والشَّوس: النظر بمؤخر العين تكبُّرًا. وجاء في الكشاف ٢/ ٢٤٧ (والكلام منه): والشوص، وهما بمعنى: ينظر القاموس (شوس) و(شوص) والتاج (صيد).

(٤) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص٩١، والكشاف ٢/ ٢٤٧، وعجزه في الديوان: جبروت ولا به كبرياء، وفيه: قوة، بدل: رأفه.

يعني ما عليه الملوكُ من ذلك، وقال ابن الرِّقاع:

سؤدَدٌ غيرَ فاحشٍ لا يُدانيـ ـهِ تِجبَّارةٌ ولا كبرياءُ[1]

وقال الأعمش: «الكبرياء»: العَظَمة. وقال ابن زيد: العلوُّ. وقال الضحَّاك أيضًا: الطاعةُ[2].

و«الأرض» هنا: أرضُ مصر.

وقرأ ابنُ مسعود، وإسماعيلُ، والحسنُ فيما زعم خارجةُ، وأبو عمرٍو وعاصمٌ بخلافٍ عنهما: «ويكونَ» بالياء[3] لمجازِ تأنيثِ الكبرياء، والجمهورُ بالتاء لمراعاة اللفظ.

والمعنى أنهم قالوا: مقصودُك في مجيئك إلينا بما جئتَ هو أن ننتقلَ مِن دِينِ آبائنا إلى ما تأمُرُ به ونطيعُك، ويكونَ لكما العلوُّ والملكُ علينا بطاعتنا لك، فنصيرَ أتباعًا لك تاركينَ دينَ آبائنا، وهذا مقصودٌ لا نراه، فلا نصدِّقُك فيما جئتَ به إذ غرضُك إنما هو مُوافَقتُك على ما أنت عليه، واستعلاؤكَ علينا، فالسببُ الأولُ هو التقليدُ، والثاني الجِدُّ في الرئاسة حتى لا يكونوا تَبَعًا، واقتضى هذان السَّببان اللَّذانِ تَوَهَّموهما مقصودًا التصريحَ بانتفاء الإيمان الذي هو سببٌ لحصول السببين.

ويجوز أن يقصدوا الذمَّ بأنهما إنْ مَلَكَا أرضَ مصر تكبُّرا وتجبُّرا، كما قال القِبْطيُّ: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩].

ولمَّا ادَّعَوْا أنَّ ما جاء به موسى هو سحرٌ أخذوا في معارضته بأنواعٍ من السحر ليَظْهَرَ لسائر الناس أنَّ ما أَتَى به موسى من باب السحر، والمخاطَبُ بقوله: «ائتوني» خَدَمَةُ فرعونَ والمتصرِّفون بين يديه.

---

(١) ديوان عدي بن الرقاع ص١٥٨، وتفسير الطبري ١٢/ ٢٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣٥، والبيت في مدح الوليد بن عبد الملك، وجاء عند الطبري وابن عطية: سؤدداً، والرفع أولى لأن قبله:

سيدٌ إليه المغيث إذا ما قيل يوم الفخار أين الغناء

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٤٥، وقول الضحاك أخرجه الطبري ١٢/ ٢٤٠.

(٣) القراءات الشاذة ص٥٧-٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣٥.

وقرأ ابن مصرِّفٍ وابنُ وثّابٍ وعيسى وحمزةُ والكسائي: «بكلِّ سحّارٍ» على المبالغة[١].

وفي قوله: «أَلْقُوا ما أنتم مُلْقُون» استطالةٌ عليهم، وعَدَمُ مبالاةٍ بهم، وفي إبهام «ما أنتم مُلْقُون» تخسيسٌ له وتقليلٌ، وإعْلامٌ أنه لا شيءَ يُلتفتُ إليه.

قال أبو عبد الله الرازي: كيف أَمَرَهم بالكفر والسحر والأمرُ بالكفرِ كفرٌ؟ قلنا: إنه عليه الصلاةُ والسلامُ أمرهم بإلقاءِ الحبال والعصيّ لِيَظْهَرَ للخَلْقِ أنَّ ما أَلْقَوا عملٌ فاسدٌ وسعيٌ باطلٌ، لا على طريقِ أنه عليه السلام أمرهم بالسحر[٢]. انتهى.

وقرأ أبو عمرو، ومجاهدٌ وأصحابُه، وابنُ القَعْقاع بهمزة الاستفهام في قوله: «آلسِّحْرُ» ممدودةً[٣]، وباقي السبعةِ والجمهورُ بهمزة الوصل فعلى الاستفهام قالوا: يجوز أن تكون «ما» استفهاميةً مبتدأةً و«السحر» بدلٌ منها، وأنْ تكونَ منصوبةً بمضمرٍ يفسِّره «جئتم به»، و«السحر» خبرُ مبتدأ محذوفٍ. ويجوزُ عندي في هذا الوجهِ أن تكون «ما» موصولةً مبتدأةً وجملةُ الاستفهام خبرٌ، إذ التقدير: أهو السحرُ، أو: آلسِّحرُ هو، فـ«هو» الرابطُ، كما تقول: الذي جاءك أزيدٌ هو.

وعلى همزة الوصل جاز أن تكون «ما» موصولةً مبتدأةً والخبرُ «السحر»، ويدلُّ عليه قراءةُ عبد الله والأعمش: «سحر»، وقراءةُ أبيٍّ: «ما أَتَيْتُم به سحرٌ»[٤]. ويجوزُ عندي أن تكونَ في هذا الوجهِ استفهاميةً في موضع رفعٍ بالابتداء، أو في موضع نصبٍ على الاشتغال، وهو استفهامٌ على سبيل التحقيرِ والتقليل لِمَا جاؤوا به، و«السحر» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو السحرُ.

قال ابنُ عطية: والتعريفُ هنا في «السحر» أَرتَبُ؛ لأنه قد تقدَّم منكَّرًا في قوله:

(١) السبعة ص٢٨٩، والتيسير ص١١٢ عن حمزة والكسائي، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣٥ عن طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب.
(٢) تفسير الرازي ١٧/ ١٤٣.
(٣) السبعة ص٣٢٨، والتيسير ص١٢٣ عن أبي عمرو، وابن القعقاع وهو أبو جعفر البصري من القراء العشرة، وقراءته في النشر ١/ ٣٧٨، والكلام من المحرر ٣/ ١٣٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٥، والقراءة الأولى في القراءات الشاذة ص٥٨ عن ابن مسعود.

«إنَّ هذا لسحرٌ» فجاء هنا بلام العهد كما يقال أولَ الرسالة: سلامٌ عليك، وفي آخرها: والسلامُ عليك[١]. انتهى.

وهذا أَخَذَه من الفرَّاء؛ قال الفرَّاء: وإنما قال: «السحر» بالألف واللام لأنَّ النكرة إذا أُعيدت أُعيدت [معرفةً، يقول الرجلُ لغيره: لقيتُ رجلًا، فيقول له: مَن الرجل؟ فيعيده] بالألف واللام، ولو قال له: مَن رجلٌ؟ لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذَكَره له[٢]. انتهى.

وما ذَكَرَاه هنا في «السحر» ليس هو من بابِ تقدُّمِ النكرة ثم أُخبر عنها بعد ذلك، لأنَّ شرطَ هذا أن يكونَ المعرَّفُ بالألف واللام هو النكرةَ المتقدِّمَ ولا يكونَ غيرَه، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ... فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦] وتقول: زارني رجلٌ فأكرمْتُ الرجلَ؛ ولمَّا كان إياه جاز أن تأتيَ بالضمير بَدَله، فتقول: فأكرمتُه. و«السحر» هنا ليس هو السحرَ الذي هو في قولهم: «إنَّ هذا لسحر»؛ لأنَّ الذي أَخبروا عنه بأنه سحرٌ هو ما ظَهَرَ على يَدَيْ موسى عليه السلام من معجزةِ العصا، والسحرُ الذي في قول موسى إنَّما هو سحرُهم الذي جاؤوا به، فقد اختلف المدلولان؛ إذ قالوا هم عن معجزة موسى، وقال موسى عمَّا جاؤوا به، ولذلك لا يَجوزُ أن يُؤتَى هنا بالضمير بَدَلَ «السحر» فيكونَ عائدًا على قولهم «لسِحْرٌ».

والظاهرُ أنَّ الجُملَ بعده من كلام موسى عليه السلام، و«سيُبْطِلُه»: يَمْحَقُه بحيث يذهبُ، أو يظهرُ بطلانُه بإظهار المعجزة على الشَّعْوَذة.

وقيل: هذه الجملُ من كلام الله تعالى.

ومعنى «بكلماته»: بقضاياه السابقةِ في وعده.

وقال ابن سلام: «بكلماته»: بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨][٣].

وقيل: «بكلماته»: بحُجَجِه وبراهينه.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٥ بنحوه، وتفسير الرازي ٧/ ١٤٣، والكلام وما بين حاصرتين منه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٦.

وقُرِئ: «بكلمته» على التوحيد[(١)]، أي: بأمره ومشيئته.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وهذا الإيمانُ من الذرِّية كان أولَ مَبْعَثِه؛ إذ قد آمَنَ به بنو إسرائيل قومُه كلُّهم، كان أولًا دعا الآباءَ فلم يُجيبوه خوفًا من فرعون وأجابته طائفةٌ من أبنائهم مع الخوف.

وقال مجاهدٌ والأعمشُ: معنى الآية أنَّ قومًا أدركهم موسى ولم يؤمنوا، وإنما آمَنَ ذَرارِيهم بعد هلاكهم لطول الزمن[(٢)].

قال ابنُ عطية[(٣)]: وهذا قولٌ غيرُ صحيح[(٤)]؛ إذ آمَنَ قومٌ بعد موتِ آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية، وأيضًا فما رُوي من أخبارِ بني إسرائيل لا يُعْطي هذا، ويَنْفيه قولُه: «فما آمَنَ» لأنه يعطي[(٥)] تقليلَ المؤمنين به؛ لأنه نَفَى الإيمانَ ثم أَوْجَبَه لبعضهم، ولو كان الأكثرُ مؤمنًا لأوجب الإيمانَ أولًا ثم نفاه عن الأقلِّ، وعلى هذا الوجهِ يتخرَّجُ قولُ ابن عباس في الذرية أنه القليلُ[(٦)]، لا أنه أراد أنَّ لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظنَّ مكيٌّ وغيرُه، وقالت فرقةٌ: إنما سمَّاهم ذريةً لأنَّ أمهاتهم كانت من بني إسرائيل وآباؤهم من القِبْط ـ رواه عكرمةُ عن ابن عباس[(٧)] ـ فكان يقال لهم: الذرية، كما قيل لفرس اليمن: الأبناء، وهم الفرسُ المنتقلون مع وَهْرَز بسعاية سيف بن ذي يَزَن.

(١) القراءات الشاذة ص٥٨.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٦، وأخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٢/ ٢٤٥-٢٤٦.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ١٣٦.
(٤) في المحرر: غير واضح.
(٥) قوله: وينفيه...، جاء بدلًا منه في المحرر: وهيئة قوله:... «فما آمن» يعطي، والمعنى واحد.
(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٤٥.
(٧) قوله: رواه عكرمة عن ابن عباس، لم يرد في مطبوع المحرر، وذكره عن ابن عباس الثعلبي ٣/ ٢٩٦.

وممن ذهب إلى أنَّ الضمير في «قومه» يعود على موسى ابنُ عباس[١]، قال: وكانوا ستَّ مئة ألفٍ، وذلك أنَّ يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين نفسًا، فتوالدوا بمصر حتى صاروا ستَّ مئة ألف[٢].

وقيل: الضمير في «قومه» يعود على فرعون، رُوي أنه آمنت زوجةُ فرعون وخازِنُه وامرأةُ خازِنِه وشبابٌ من قومه؛ قاله ابنُ عباس أيضًا[٣]، والسَّحَرةُ أيضًا فإنهم معدودون في قوم فرعون.

وقال السدِّيُّ: كانوا سبعين أهلَ بيتٍ من قوم فرعون[٤].

قال ابن عطية: وممَّا يُضعف عَوْدَ الضمير على موسى عليه السلام أنَّ المعروفَ من أخبار بني إسرائيلَ أنهم كانوا قومًا قد فَشَتْ فيهم السوءات[٥]، وكانوا في مدَّة فرعون قد نالهم ذلٌّ مُفْرِطٌ، وقد رَجَوْا كَشْفَه على يد مولودٍ يخرجُ فيهم يكونُ نبيًّا، فلمَّا جاءهم موسى عليه السلام أصْفَقوا عليه وبايَعوه[٦]، ولم يُحفظ قطُّ أنَّ طائفةً من بني إسرائيل كفرت به، فكيف تُعطي هذه الآيةُ أنَّ الأقلَّ منهم كان الذي آمَنَ، فالذي يترجَّح بحسب هذا أنَّ الضمير عائدٌ على فرعون، ويؤيِّد ذلك أيضًا ما تقدَّم من محاورة موسى وردِّه عليهم وتوبيخِهم على قولهم: هذا سحر، فذَكَر الله ذلك عنهم ثم قال: فما آمَنَ لموسى إلَّا ذريةٌ من قوم فرعونَ الذين هذه أقوالُهم، وتكونُ القصةُ على هذا التأويلِ بعد ظهور الآية والتعجيزِ بالعصا، وتكونُ الفاءُ مُرتِّبةً للمعاني التي عُطفت. انتهى.

ويمكنُ أن يكونَ معنى «فما آمَن»، أي: ما أَظْهَر إيمانَه وأَعْلَنَ به إلا ذرِّيةٌ من قوم موسى، فلا يدلُّ ذلك على أنَّ طائفةً من بني إسرائيل كفرت به.

---

(١) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٤٧.
(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٦.
(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٤٦ بإسناد ضعيف جدًّا.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٧.
(٥) في المحرر: قد تقدمت فيهم النبوات، وهو الصواب المناسب لسياق الكلام.
(٦) في المحرر: واتبعوه.

والظاهرُ عودُ الضمير في قوله: «وملئهم» على الذرية، وقاله الأخفش[١]، واختاره الطبريُّ[٢]، أي: وخوفٍ من ملأ الذرية، وهم أشرافُ بني إسرائيل إن كان الضميرُ في «قومه» عائدًا على موسى؛ لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفًا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: «أنْ يفتنهم»، أي: يعذِّبهم، وقال ابن عباس: أنْ يقتُلَهم[٣].

وقيل: يعودُ على «قومه»، أي: وملأ قوم موسى أو قومِ فرعون.

وقيل: يعود على المضاف المحذوف، تقديره: على خوفٍ من آل فرعون؛ قاله الفرَّاء كما حُذف في ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢][٤].

ورُدَّ عليه[٥] بأنَّ الخوف يُمْكِنُ من فرعون، ولا يُمكِنُ سؤالُ القرية، فلا يُحذف إلَّا ما دلَّ عليه الدليلُ[٦]، وقد يقال: ويدلُّ على هذا المحذوفِ جمعُ الضمير في «وملئهم».

وقيل: ثَمَّ معطوفٌ محذوفٌ يدلُّ عليه كونُ المَلِكِ لا يكون وحده، بل له حاشيةٌ وأجنادٌ، وكأنه قيل: على خوفٍ من فرعون وقومه وملئهم، أي: ملأ فرعون وقومه، وقاله الفرَّاء أيضًا[٧].

وقيل: لمَّا كان ملكًا جبارًا أخبر عنه بفعلِ الجميع.

وقيل: سُمِّيت الجماعة بفرعون مثل هود.

---

(١) في معاني القرآن ٢/ ٥٧٣.
(٢) في التفسير ١٢/ ٢٤٩.
(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقاله مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/ ١٠١، والحربي في غريب الحديث ٣/ ٩٤٠.
(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٧.
(٥) رد عليه ابن عطية في المحرر ٣/ ١٣٧، وأبو البقاء في الإملاء ٢/ ٣٢، وما سيذكره المصنف هو ردُّ ابن عطية.
(٦) يعني أنه رُدَّ على الفراء بالفرق بين «واسأل القرية» وبين هذه الآية بأن سؤال القرية غير ممكن فاضطررنا إلى تقدير المضاف، بخلاف الآية فإن الخوف تمكن من فرعون، فلا اضطرار بنا يدلنا على مضاف محذوف.
(٧) بنحوه في معاني القرآن ١/ ٤٧٦.

و«أن يفتنهم» بدلٌ من «فرعون» بدلَ اشتمالٍ، أي: فتنتِه، فيكونُ في موضع جرٍّ، ويجوزُ أن يكون في موضع نصبٍ بـ«خوف»: إمَّا على التعليل، وإمَّا على أنه في موضع المفعول به، أي: على خوفٍ لأَجْلِ فتنته، أو على خوفِ فتنتِه.

وقرأ الحسن والجرَّاحُ ونُبيح: «يُفْتِنَهم» بضم الياء من أَفْتَنَ[(١)].

و«لَعَالٍ»: متجبِّرٌ، أو: باغٍ ظالمٌ، أو: متعالٍ، أو: قاهرٌ، كما قال:

فاعْمِدْ لِمَا تعلو فمالكَ بالذي لا تستطيعُ من الأمور يَدَانِ[(٢)]

أي: لِمَا تَقْهَرُ. أقوالٌ متقارِبةٌ.

وإسرافُه: كونُه كثيرَ القتل والتعذيب.

وقيل: كونُه من أخسِّ العبيد، فادَّعى الإلهية.

وهذا الإخبارُ مُبيِّنٌ سببَ خوفِ أولئك المؤمنين منه.

وفي الآية مَسْلاةٌ للرسول ﷺ بقلَّةِ مَن آمَنَ لموسى ومَن استجاب له مع ظهور ذلك المُعْجِزِ الباهِرِ، ولم يُؤْمِنْ له إلَّا ذريةٌ من قومه.

وخطابُ موسى عليه السلام لمن آمَنَ بقوله: «يا قوم» دليلٌ على أنَّ المؤمنين الذرِّيةَ كانوا من قومه، وخاطبهم بذلك حين اشتدَّ خوفُهم ممَّا توعَّدهم به فرعونُ من قَتْلِ الآباء وذَبْحِ الذُّرِّية.

وقيل: قال لهم ذلك حين قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

وقيل: حين قالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٧، والجراح هو ابن عبد الله، أبو عقبة الحَكَمي. ونُبيح هو ابن عبد الله العنزي، أبو عمرو الكوفي.

(٢) البيت لعلي بن الغدير الغنوي كما في الأضداد للأصمعي ص٧، وغريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢١٣، والأضداد لأبي حاتم السجستاني ص١٠٨، ولابن الأنباري ص٥٣. وعزاه أبو علي القالي في الأمالي ٢/ ٣١٢ لكعب بن سعد الغنوي. وعزاه الزمخشري في الأساس (علو) لسويد بن الصامت، وفي المستقصى ٢/ ٣٣٣ للغدير الغنوي!

قيل: والأولُ هو الصوابُ؛ لأنَّ جوابَ كلٍّ من القولين مذكورٌ بعده، وهو: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وعلَّق توكُّلَهم على شرطين: متقدِّمٍ ومتأخِّرٍ، ومتى كان الشرطان لا يترتَّبان في الوجود فالشرطُ الثاني شرطٌ في الأول، فمِن حيث هو شرطٌ فيه يجب أن يكون متقدِّمًا عليه، فالإسلامُ: هو الانقيادُ للتكاليف الصادرةِ من الله وإظهارُ الخضوع وتركُ التمرُّد، والإيمانُ: عرفانُ القلب بالله تعالى ووحدانيتِه وسائرِ صفاته، وأنَّ ما سواه مُحْدَثٌ تحت قهره وتدبيره، وإذا حصل هذان الشرطان فوَّض العبدُ جميعَ أمورِه إلى الله تعالى، واعْتَمَدَ عليه في كلِّ الأحوال.

وأدخل «إنْ» على فِعْلَي الشرط ـ وإن كانت في الأغلب إنما تدخلُ على غيرِ المحقَّق ـ مع عِلْمِه بإيمانهم، على وجهِ إقامة الحجة وتنبيهِ الأنفُسِ وإثارةِ الأَنَفةِ، كما تقول: إن كنتَ رجلًا فقاتِلْ، تخاطِبُ بذلك رجلًا تريدُ إقامةَ البيِّنة.

وطوَّل ابنُ عطيةَ هنا في مسألة التوكُّل بما يُوْقَفُ عليه في كتابه[(١)].

وأجابوا موسى عليه السلام بما أمرهم به من التوكُّل على الله؛ لأنهم كانوا مُخْلِصين في إيمانهم وإسلامهم، ثم سألوا اللهَ تعالى شيئين:

أحدهما: أنْ لا يَجْعلَهم فتنةً للقوم الظالمين؛ قال الزمخشري: أي: موضعَ فتنةٍ لهم، أي: عذابٍ يُعذِّبوننا ويَفْتِنونَنا عن ديننا، أو: فتنةً لهم يُفْتَنون بها، ويقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أُصيبوا[(٢)].

وقال مجاهدٌ وأبو مِجْلَزٍ وأبو الضُّحَى وغيرُهم معنى القولِ الأخير، قال: المعنى: لا تُنْزِلْ بنا بلاءً[(٣)] بأيديهم أو بغير ذلك مدَّةَ محارَبَتِنا لهم، فيُفْتَنون ويعتقدون أنَّ هلاكنا إنَّما هو بقَصْدٍ منك لسوءِ ديننا وصلاحِ دينهم، وأنَّهم أهلُ الحق[(٤)].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٩.
(٣) في النسخ: بلاءنا، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ١٣٨، والكلام منه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٨ عن مجاهد، واللفظ منقول منه، وأخرجه عنهم بنحوه الطبري ١٢/ ٢٥١-٢٥٢.

وقالت فرقةٌ: المعنى: لا تَفْتِنهم وتبتليهم بقتلنا وإذايتنا فتعذِّبَهم على ذلك في الآخرة.

قال ابنُ عطية[(١)]: وفي هذا التأويل قَلَقٌ.

وقال الكلبي: لا تَجْعَلْنا فتنةً بتقتير الرزق علينا وبَسْطِه لهم[(٢)].

والآخَر: تنجيتَهم من الكافرين، أي: من تسخيرهم واستعبادهم.

والذي يظهر أنهم سألوا الله تعالى أنْ لا يُفتنوا عن دينهم، وأن يَخلُصوا من الكفار، فقدَّموا ما كان عندهم أهمَّ وهو سلامةُ دينهم لهم، وأخَّروا سلامة أنفسهم، إذ الاهتمامُ بمصالح الدِّين آكَدُ من الاهتمام بمصالح الأبدان.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٧﴾ لم يصرِّح باسم أخيه لأنه قد تقدَّم أولًا في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الآية: ٧٥] و«تبوَّأا»: اتَّخِذا مَباءةً، أي: مرجعًا للعبادة والصلاة، كما تقول: توطَّن: اتَّخذ موطِنًا.

والظاهرُ اتِّخاذُ البيوت بمصر، قال الضحاك: وهي مصرُ المعروفة[(٣)]. ومصرُ من البحر إلى أسوان، والإسكندريةُ من أرض مصر[(٤)].

وقال مجاهد: هي الإسكندرية[(٥)].

وكان فرعونُ قد استولى على بني إسرائيلَ؛ خرَّب مساجدهم ومواضعَ عبادتهم، ومنعهم من الصلوات، وكلَّفهم الأعمالَ الشاقَّة، وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلُّوا في بيوتهم في خُفْيةٍ من الكَفَرة لئلا يَظْهَروا عليهم فيُرْدوهم ويَفْتِنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام.

---

(١) في المحرر ٣/ ١٣٨٩، وما قبله منه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٤٦، وزاد المسير ٤/ ٥٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٤. ووقع في (أ) و(ح) و(د١) و(ع): المحروسة، مكان: المعروفة.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٥٩.

وقرأ حفصٌ في رواية هُبيرة: «تبويا» بالياء، وهذا تسهيلٌ غيرُ قياسيٍّ، ولو جرى على القياس لكان بين الهمزةِ والألفِ[١].

والظاهرُ أنَّ المأمورَ بأنْ يُجعلَ قِبلةً هي المأمورُ بتبوُّئها، ومعنى «قبلة»: مساجدَ، أُمروا بأنْ يتَّخذوا بيوتَهم مساجد؛ قاله النخعيُّ وابنُ زيد، ورُوي عن ابن عباس[٢].

وعن ابن عباس أيضًا: واجعلوا بيوتَكم قِبَلَ القبلة[٣].

وعنه أيضًا: قِبَلَ مكةَ[٤].

وقال مجاهدٌ وقتادةُ ومقاتلٌ والفرَّاء: أُمروا بأنْ يجعلوها مستقبلةً الكعبةَ[٥].

وعن ابن عباس أيضًا وابنِ جُبير: «قبلةً»: يقابِلُ بعضُها بعضًا[٦].

«وأقيموا الصلاة» وهذا قبل نزول التوراة؛ لأنها لم تَنْزِل إلَّا بعد إجازة البحر، «وبشّر المؤمنين» يعني بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة، وهو أمرٌ لموسى عليه السلام ـ وقيل: لمحمد ﷺ[٧] ـ خوطب موسى وهارونُ أن يتبَّوأا لقومهما بيوتًا، ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفوَّضُ إلى الأنبياء، ثم نَسَقَ[٨] الخطابَ عامًّا

---

(١) المحرر الوجيز ٣/١٣٨، وهي رواية ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٣٢٩، والداني في التيسير ص١٢٣ عن حفص في الوقف، وروى الداني عن الأشناني أنه أنكر ذلك وقال: الوقف مثل الوصل، قال الداني: وبذلك قرأت، وبه آخذ.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ١٢/ ٢٥٥-٢٥٧، وعن إبراهيم النخعي أخرجه أيضاً سعيد بن منصور في سننه (١٠٧٣ ـ تفسير).

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٢٥٧.

(٤) زاد المسير ٤/ ٥٤.

(٥) زاد المسير ٤/ ٥٤، وأخرجه عن مجاهدٍ الطبريُّ ١٢/٢٥٨، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس ١٢/٢٥٧. وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٧٧، وأخرج قول قتادة عبد الرزاق ١/ ٢٩٧، والطبري ١٢/ ٢٥٩ بلفظ: نحو القبلة، والمعنى واحد، وكذا القولان الأخيران لابن عباس.

(٦) زاد المسير ٤/ ٥٤، وأخرجه عن سعيد بن جبير الطبري ١٢/ ٢٦٠، وعن ابن عباس من طريق ابن جبير أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧.

(٧) قاله الطبري في التفسير ١٢/ ٢٦٠، ومكي بن أبي طالب كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩، وقال ابن عطية: وهذا غير متمكن.

(٨) في الكشاف ٢/ ٢٤٩ (والكلام منه): ثم سيق، والمعنى واحد.

لهما ولقومهما باتِّخاذ المساجد والصلاةِ فيها؛ لأن ذلك واجبٌ على الجمهور، ثم خصَّ موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرضُ تعظيمًا له وللمبشِّر به.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ لمَّا بالغ موسى عليه السلام في إظهار المعجزات وهم مصرُّون على العناد، واشتدَّ أذاهم عليه وعلى مَن آمَنَ معه، وهم لا يزيدون على عَرْضِ الآيات إلَّا كفرًا، وعلى الإنذار إلَّا استكبارًا، وعَلِمَ بالتجربة وطولِ الصُّحبة أنَّهم لا يَجيءُ منهم إلَّا الغيُّ والضلال، أو عَلِمَ ذلك بوحيٍ من الله تعالى، دعا اللهَ تعالى عليهم بما عَلِمَ أنه لا يكونُ غيرُه، كما تقول: لعنَ الله إبليسَ وأَخزَى الكفرة، كما دعا نوح على قومه حين أُوحي إليه أنه لن يؤمنَ من قومك إلَّا مَن قد آمَنَ، وقدَّم بين يدي الدعاءِ ما آتاهم الله من النعمة في الدنيا، وكان ذلك سببًا للإيمان به ولشكر نعمه، فجعلوا ذلك سببًا لجحوده ولكفر نعمه.

والزينةُ عبارةٌ عمَّا يُتَزَيَّنُ به ويُتَحسَّنُ من الملبوس والمركوب والأثاث، والمالُ ما يزيدُ على ذلك من الصامت والناطق[١].

قال المؤرِّخون والمفسِّرون: كان لهم من فسطاطِ مصر إلى أرض الحبشة جبالٌ فيها معادنُ الذهب والفضة والزَّبَرْجَد والياقوت[٢].

وفي تكرار «ربَّنا» توكيدٌ للدعاء والاستغاثة، واللامُ في «ليضلُّوا» الظاهرُ أنها لامُ «كي» على معنى: آتيتَهم ما آتيتَهم على سبيل الاستدراج فكان الإتيانُ لكي يَضِلُّوا، ويحتمل أن تكونَ لامَ الصيرورة والعاقبة، كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وكما قال الشاعر:

وللمنايا تربِّي كلُّ مُرضعةٍ وللخَرابِ يُجِدُّ الناسُ عُمرانا[٣]

(١) الصامت: الذهب والفضة والجوهر، والناطق: البعير والبقرة والشاة. ينظر اللسان (صمت)، وفتح الباري ٧/ ٤٨٩.
(٢) الوسيط للواحدي ٣/ ٥٥٧، والكشاف ٢/ ٢٤٩-٢٥٠، وزاد المسير ٤/ ٥٥ عن ابن عباس.
(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣/ ٣٣٣، وزاد المسير ٤/ ٥٦.

وقال الحسن: هو دعاءٌ عليهم[١]. وبهذا بدأ الزمخشريُّ، قال: كأنه قال: ليَثْبُتوا على ما هم عليه من الضلال، ولْيكونوا ضُلّالًا، ولْيَطْبَعِ الله على قلوبهم فلا يؤمنوا[٢]. ويُبْعِدُ أن يكونَ دعاءً قراءةُ مَن قرأ: «لِيُضِلُّوا» بضمِّ الياء؛ إذ يَبْعُدُ أن يَدْعوَ بأنْ يكونوا مضلِّين غيرَهم، وهي قراءةُ الكوفيِّين وقتادةَ والأعمش وعيسى، والحسن والأعرج بخلافٍ عنهما، وقرأ الحرميان والعربيان ومجاهدٌ وأبو رجاءٍ والأعرج وشيبةُ وأبو جعفر وأهلُ مكة بفتحها، وقرأ الشعبي بكسرها[٣]، والَى بين الكسرات الثلاث.

وقيل: «لا» محذوفة، التقدير: لئلَّا يَضِلُّوا عن سبيلك، قاله أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ[٤].

وقرأ الفضلُ الرقاشي: «أئنك آتيتَ» على الاستفهام[٥].

ولمَّا تقدَّم ذكرُ الأموال وهي أعزُّ ما اذُّخِر، دعا بالطُّموس عليها وهي التَّعْفِيةُ والتغيير، أو الإهلاك.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب: صارت دراهمهم حجارةً منقوشةً صِحاحًا وأثلاثًا وأنصافًا، ولم يبق لهم معدنٌ إلا طَمَسَ الله عليه فلم يَنتفِعْ بِها أحدٌ بعدُ.

وقال قتادة: بَلَغنا أنَّ أموالهم وزُروعَهم صارت حجارةً.

وقال مجاهدٌ وعطيةُ: أَهْلِكْها حتى لا تُرى.

وقال ابن زيد: صارت دنانيرُهم ودراهمُهم وفُرُشُهم وكلُّ شيءٍ لهم حجارةً.

قال محمد بن كعب: سألني عمر بن عبد العزيز فذكرتُ ذلك له، فدعا بخريطةٍ أُصيبت بمصر فأخرج منها الفواكهَ والدراهمَ والدنانيرَ وإنها لحجارةٌ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩، وقراءة الفتح والضم في السبعة ص٢٦٧، والتيسير ص١٠٦، والنشر ٢/ ٢٦٢، والكوفيون هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف، والحرميان: نافع وابن كثير، والعربيان: أبو عمرو وابن عامر.
(٤) تفسير الرازي ١٧/ ١٥٠-١٥١.
(٥) القراءات الشاذة ص٥٨.

وقال قتادةُ والضحَّاك وأبو صالح والقُرَظيُّ: جُعل سُكَّرُهم حجارةً.

وقال السُّدي: مَسَخَ الله الثمارَ والنخلَ والأطعمة حجارةً[١].

وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسيُّ، عُرف بابن النقيب، وهو جامع كتاب «التحرير والتحبير» في هذا الكتاب: أخبرني جماعةٌ من الصالحين كان شغلُهم السياحةَ أنهم عايَنوا بجبالِ مصر وبراريها حجارةً على هيئة الدنانير والدراهم، وفيها آثارُ النقش، وعلى هيئة الفلوس، وعلى هيئة البِطِّيخ العبدلاويِّ، وعلى هيئةِ البِطِّيخ الأخضر، وعلى هيئة الخِيار، وعلى هيئة القِثَّاء، وحجارةً مطوَّلةً رقيقةً معوجَّةً على هيئة النقوش، وربما رأوا على صورة الشجر.

«واشدد على قلوبهم» قال ابن عباس ومقاتل والفرَّاء والزجَّاج: اطْبَعْ عليها وامنعها من الإيمان.

وقال ابن عباس أيضًا والضحاك: أَهْلِكْهم كفارًا.

وقال مجاهد: اشدُد عليها بالضلالة.

وقال ابن قتيبة: قَسِّ قلوبهم[٢].

وقال ابن بحر: اشدُد عليها بالموت[٣].

وقال الكرماني: أي: لا يجدوا سُلُوًّا عن أموالهم، ولا صبرًا على ذهابها.

وقرأ الشعبيُّ وفرقةٌ: «اطمُس» بضمِّ الميم[٤]، وهي لغةٌ مشهورةٌ.

«فلا يؤمنوا» مجزومٌ على أنه دعاءٌ عند الكسائيِّ والفرَّاء، كما قال الأعشى:

---

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/ ٢٦٤-٢٦٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٨، وزاد المسير ٤/ ٥٦.

(٢) زاد المسير ٤/ ٥٧، وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٧٧، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣١، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص١٩٨. وأخرج أقوال ابن عباس والضحاك ومجاهد الطبريُّ ١٢/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٤٨.

(٤) القراءات الشاذة ص٥٨.

فلا يَنْبَسِطْ من بين عينيك ما انْزَوَى ولا تَـلْـقَـنـي إلَّا وأنـفُـك راغِـمُ[١]

ومنصوبٌ على أنه جوابُ «اشْدُدْ» بدأ به الزمخشريُّ[٢].

ومعطوفٌ على «لِيُضِلُّوا» على أنه منصوبٌ؛ قاله الأخفشُ وغيرُه[٣]، وما بينهما اعتراضٌ، أو على أنه مجزومٌ على قولِ مَن قال: إنَّ لامَ «لِيُضِلوا» لامُ الدعاء.

وكان رؤيةُ العذاب غايةً ونهايةً لأنَّ الإيمان إذ ذاك لا ينفعُ، ولا يُخْرِج من الكفر.

وكان «العذاب الأليم» غرقَهم؛ قاله ابن عباس[٤].

قال محمد بنُ كعبٍ: كان موسى يدعو وهارونُ يؤمِّنُ، فنُسبت الدعوةُ إليهما[٥]. ويمكنُ أن يكونا دَعَوَا.

ويَبْعُدُ قولُ مَن قال: كَنَى عن الواحد بلفظ التثنية. لأنَّ الآية تضمَّنت بعدُ مخاطبتَهما في غيرِ شيءٍ.

ورُوي عن ابن جُريجٍ ومحمد بنِ عليٍّ والضحاكِ أنَّ الدعوة لم تظهر إجابتُها إلَّا بعد أربعين سنةً[٦]. وأُعْلِما أنَّ دعاءهما صادفَ مقدورًا، وهذا معنى إجابةِ الدعاء، وقيل لهما: «لا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون»، أي: في أنْ تستعجِلَا قضائي، فإنَّ وعدي لا خُلْفَ له.

وقرأ السُّلميُّ والضحاك: «دَعَواتُكما» على الجمع[٧]، وقرأ ابن السَّمَيْفَع: «قد

(١) ديوان الأعشى ص١٢٩، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩، وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٧٧.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٥٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩ وقول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٥٧٣.
(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٦٧ و٢٧٠.
(٥) أخرجه عنه وعن جمع منهم ابن عباس الطبريُّ ١٢/ ٢٧٠-٢٧٢.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٣٩، وأخرجه عن ابن جريج الطبريُّ ١٢/ ٢٧٣.
(٧) القراءات الشاذة ص٥٨، والمحتسب ١/ ٣١٦.

أَجَبْتُ دعوتَكما» خبرًا عن الله تعالى ونَصب «دعوة»[١]، والربيع: «دَعْوَتَيْكما»، وهذا يؤكِّدُ قولَ مَن قال: إنَّ هارون دعا مع موسى، وقراءةُ «دعوتيكما» تدلُّ على أنه قرأ: «قد أجبتُ» على أنه فعلٌ وفاعِلٌ.

ثم أُمِرا بالاستقامة، والمعنى: الديمومةُ عليها وعلى ما أُمِرْتُما به من الدعوة إلى الله تعالى وإلزامِ حُجةِ الله.

وقرأ الجمهور: «تتَّبعانِّ» بتشديد التاء والنون، وابنُ عباس وابنُ ذكوان بتخفيف التاء وشدِّ النون، وابنُ ذكوان أيضًا بتشديد التاء وتخفيفِ النون[٢]، وفرقةٌ بتخفيفِ التاء وسكونِ النون، ورَوَى ذلك الأخفشُ الدمشقيُّ[٣] عن أصحابه عن ابن عامر[٤].

فأمَّا شدُّ النون فعلى أنها نونُ التوكيد الشديدة لَحِقتْ فعلَ النهي المتّصلِ به ضميرُ الاثنين، وأمَّا تخفيفُها مكسورةً؛ فقيل: هي نونُ التوكيد الخفيفةِ وكُسِرت كما كُسرت الشديدةُ، وقد حَكَى النحويون كَسْرَ النون الخفيفة في مثل هذا عن العرب، ومذهبُ سيبويه والكسائيِّ أنه لا تدخلُ هنا الخفيفةُ[٥]، ويونسُ والفرَّاءُ يَرَيان ذلك.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/٢٩٨.

(٢) ذكرهما عن ابن ذكوان ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٠، وذكر الثانية عنه ـ أعني تشديد التاء وتخفيف النون ـ الداني في التيسير ص١٢٣، والأولى ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٣٢٩، ورواها سلامة بن هارون عن الأخفش عن ابن ذكوان، وغلَّطهما الداني في جامع البيان ٢/١٩٨، ، قال: لأن جميع الشاميين رووا ذلك عن ابن ذكوان وعن الأخفش سماعًا وأداءً بتشديد التاء وتخفيف النون، وكذلك نص عليه الأخفش في كتابه. اهـ. وتعقبه صاحب النشر ٢/ ٢٨٧، بقوله: قد صحت عندنا هذه القراءة، أعني تخفيف التاء مع تشديد النون، من غير طريق ابن مجاهد وسلامة.

(٣) هو هارون بن موسى، أبو عبد الله التغلبي، مقرئٌ نحوي، أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن ابن ذكوان، وكان ثقة معمَّراً، توفي سنة (٢٩٢هـ). غاية النهاية ٢/ ٣٤٧.

(٤) كذا ذكر ابن عطية، وما أوردناه قريبًا من كلام الداني عن رواية الأخفش يخالفه، وكذا ما قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٢٩٣ من أن رواية الأخفش الدمشقي عن أصحابه عن ابن عامر: «تَتْبعانِ» خفيفة التاء والنون. وينظر النشر ٢/ ٢٨٧.

(٥) الكتاب ٣/ ١٥٩، وفيه: ولم تكن الخفيفة هاهنا (يعني مع ألف الاثنين) لأنها ساكنةٌ ليست مدغمةً فلا تثبت مع الألف، ولا يجوز حذف الألف فيلتبسَ بالواحد.

وقيل: النون المكسورةُ الخفيفةُ هي علامةُ الرفع، والفعلُ منفيٌّ والمرادُ منه النهيُ، أو هو خبرٌ في موضع الحال، أي: غيرَ متبعَيْنِ؛ قاله الفارسي[١].

و«الذين لا يعلمون» فرعونُ وقومُه؛ قاله ابن عباس، أو الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه؛ ذكره أبو سليمان[٢].

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ قرأ الحسن: «وجوَّزنا» بتشديد الواو[٣]، وتقدَّم الكلامُ في الباء في «ببني إسرائيل» وكم كان الذين جازُوا مع موسى عليه السلام في سورة الأعراف[٤].

وقرأ الحسنُ وقتادةُ: «فاتَّبعهم» بتشديد التاء[٥].

وقرأ الجمهور: «وجاوزنا»، «فأَتْبَعَهم» رباعيًا.

قال الزمخشريُّ[٦]: وليس مِن «جوَّز» الذي في بيت الأعشى:

وإذا تُجوِّزُها حِبالُ قبيلةٍ[٧]

لأنه لو كان منه لكان حقُّه أنْ يقال: وجوَّزْنا بني إسرائيلَ في البحر، كما قال:

---

(١) في الحجة ٤/ ٢٩٤.

(٢) ذكر القولين ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٥٩.

(٣) القراءات الشاذة ص٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٠، والكشاف ٢/ ٢٥١.

(٤) عند تفسير الآية (١٣٨) منها.

(٥) القراءات الشاذة ص٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٠.

(٦) في الكشاف ٢/ ٢٥١، وكلامه على قراءة الحسن: «وجوَّزنا».

(٧) وعجزه: أَخَذَتْ من الأخرى إليك حبالَها، وهو في ديوان الأعشى ص٧٩، والكلام عن ناقته، والمعنى كما قال شارح الديوان: كلما جوَّزتها عهود قبيلة أخذت من الأخرى عهودها إلى الممدوح، وهو قيس بن معد يكرب.

كما جوَّز السَّكِّيَّ في الباب فَيْتَقُ[(١)]

انتهى.

وقال الحَوْفي: تَبِعَ وأَتْبَعَ بمعنًى واحدٍ.

وقال الزمخشري: «فأتبَعهم»: لحقهم، يقال: تَبِعَه حتى أَتْبَعَه[(٢)].

وفي «اللوامح»: تَبعَه: إذا مشى خلفه، واتَّبعَه كذلك، إلا أنه حاذاه في المشي، وأَتْبعه لَحِقَه، ومنه العامةُ. يعني: ومنه قراءةُ العامة: «فأتبعهم».

وجنودُ فرعونَ قيل: ألفُ ألفٍ وستُّ مئة ألفٍ. وقيل غيرُ ذلك.

وقرأ الحسن: «وعدوًّا» على وزن عُلُوٍّ[(٣)]، وتقدَّمت في «الأنعام»، و«عَدْوًا» و«عُدُوًّا» من العُدوان.

وإتْباعُ فرعون هو في مجاوَزَةِ البحر، روي أن فرعون لمَّا انتهى إلى البحر فوجده قد انْفَرقَ ومضى فيه بنو إسرائيل، قال لقومه: إنما انْفَلَق بأمري. وكان على فرسٍ ذَكَرٍ، فبعث الله إليه جبريلَ عليه السلام على فرسٍ أنثى ودَنَوَا[(٤)] فدَخَلَ بها البحرَ، ولجَّ فرسُ فرعون وراءه وجَنَب الجيوشَ خلفه، فلمَّا رأى أنَّ الانفراق ثبت

---

(١) وصدره: ولا بد من جارٍ يجيز سبيلها، والبيت للأعشى أيضاً، وهو في ديوانه ص٢٧٣.
السكي: المسمار، والفيتق: النجار. والمعنى كما قال الشارح: لا بد لسالك هذه الصحراء أن يتودَّد إلى الذين يمر بهم من القبائل، وينال جوارهم ليُجيزوه ويُنفِذوه، كما يُنفذ النجارُ المسمارَ في الباب. اهـ.
ومعنى كلام الزمخشري أن «جوَّز» على قراءة الحسن هو بمعنى «جاوَزَ» الذي في قراءة الجمهور، وهو من جاوَزَ المكان: إذا قطعه وتخطاه، وهو متعدٍّ إلى المفعول الأول الذي كان فاعلاً في الأصل بالباء، وإلى الثاني بنفسه، وليس من «جوَّز» بمعنى: أَنْفَذَ وأَدْخَلَ؛ لأنه لا يتعدى بالباء إلى المفعول الأول، بل بـ«في» إلى المفعول الثاني، فتقول: جوَّزته فيه. ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٥/ ٥٧، وروح المعاني ١١/ ٢٧٤-٢٧٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥١.
(٣) القراءات الشاذة ص٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٠.
(٤) كذا في النسخ، والذي في المصادر: وديق. ينظر تفسير الطبري ١/ ٦٥٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤١، وتفسير البغوي ١/ ٧١، والنهاية (ودق)، وفيه: وديق: هي التي تشتهي الفحل.

له استمرَّ، وبعث الله ميكائيل عليه السلام يسوقُ الناسَ حتى حصل جميعُهم في البحر، فانْطَبَقَ عليهم.

وقرأ الجمهور: «أنه» بفتح الهمزة على حذف الباء. وقرأ الكسائيُّ وحمزةُ بكسرها[1] على الاستئناف ابتداءَ كلامٍ، أو بدلًا من «آمنتُ»، أو على إضمارِ القول، أي: قائلًا: إنه.

ولـمَّا لَحِقَه من الدَّهَش ما لَحِقَه كرَّر المعنى بثلاثِ عباراتٍ: إمَّا على سبيل التلعثُم إذ ذلك مقامٌ تَحارُ فيه القلوب، أو حرصًا على القبول ولم يَقبل الله منه إذ فاته وقتُ القبول وهو حالة الاختيارِ وبقاءِ التكليف، والتوبةُ بعد المعاينة لا تنفعُ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر ٨٥] وتقدم الخلاف في قراءة: «آلآن» في قوله: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم﴾ [يونس: ٥١] والمعنى: أتُؤْمِنُ الساعةَ في حالِ الاضطرارِ حين أدركك الغرقُ وأيِسْتَ من نَفْسِكَ.

قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق.

وقيل: بعد أن غرق في نفسه.

قال الزمخشريُّ: والذي يُحْكى أنه حين قال: «آمنتُ» أخذ جبريلُ من حال البحر[2] فدسَّه في فيه؛ فللغضب لله تعالى على حال الكافر في وقتٍ قد عَلِمَ أنَّ إيمانه لا ينفعُه، وأمَّا ما يُضمُّ إليه من قولهم: خشيتُ أن تدركَه رحمةُ الله تعالى، فمِن زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته، وفيه جَهالتان: إحداهما: أنَّ الإيمان يصحُّ بالقلب كإيمان الأخرس، فحالُ البحر لا يمنعه.

والآخر: أن مَن كره إيمانَ الكافر وأحبَّ بقاءه على الكفر فهو كافرٌ؛ لأنَّ الرضا بالكفر كفرٌ[3].

---

(١) السبعة ص٣٣٠، والتيسير ص١٢٣.

(٢) حال البحر: هو الطين الأسود الذي يكون في أرضه. تهذيب اللغة ٥/ ٢٤٥.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٥١، وخبر جبريل عليه السلام أخرجه مرفوعاً وموقوفاً أحمد (٢١٤٤)، والترمذي (٣١٠٨)، وابن حبان (٦٢١٥) من حديث ابن عباس ﷺ. قال الترمذي: حديث =

والظاهر أنَّ قوله: «آلآن» إلى آخره من كلام الله له على لسان مَلَكٍ، فقيل: هو جبريل. وقيل: ميكائيل.

وقيل: غيرُهما. لخطابه: «فاليومَ نُنجّيك»[1].

وقيل: من قولِ فرعون في نفسِه.

وإفسادُه: إضلالُه الناسَ ودَعْواه الربوبيةَ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

«فاليوم ننجِّيك» الظاهرُ أنه خبرٌ، وقيل: هو استفهامٌ فيه تهديدٌ، أي: أفاليومَ ننجِّيك، فهلَّا كان الإيمانُ قبل الإشراف على الهلاك. وهذا بعيدٌ؛ لحذف همزةِ الاستفهام، ولقوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾؛ لأنَّ التعليل لا يناسبُ هنا الاستفهام.

قال ابن عباس: «ننجّيك» نُلقِيكَ بنَجْوةٍ من الأرض. وهي المكانُ المرتفع[2].

و«ببدنك»: بدرعك، وكان من لؤلؤٍ منظومٍ لا مِثَالَ له[3].

---

= حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال محققو المسند: صحيح موقوفًا على ابن عباس. اهـ. وأخرجه مرفوعاً الطيالسي (٢٦١٨)، والحاكم ٢/ ٣٤٠، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس. وأما ما نسبه الزمخشري للباهتين لله وملائكته فهو قطعة من الخبر في بعضِ الروايات، وقد تُعقب الزمخشري في كلامه، وتأوَّلوا خبر ابن عباس، وينظر بحث ذلك في روح المعاني ١١/ ٢٧٨. إلا أن ابن المنير ارتضى كلامه، فقال في الانتصاف على هامش الكشاف: ولقد أنكر منكراً، وغضب لله وملائكته كما يجب لهم. اهـ. وردَّ القصة أيضاً الرازي في تفسيره ١٧/ ١٥٦، وينظر كلامه ثمة.

(١) قوله: لخطابه. . . ، ظاهر أنه لا ارتباط له في المعنى بما قبله، ولعل في الكلام سقطاً، التقدير: وقيل: إن قائل هذا هو الله تعالى؛ لخطابه. . . ، نقله الرازي في تفسيره ١٧/ ١٥٦، وقال: لأن هذا الكلام ـ يعني قوله: «فاليوم ننجيك» إلى قوله: «وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون». ليس إلا من كلام الله تعالى.

(٢) هذا الكلام لفظه للطبري في تفسيره ١٢/ ٢٧٩، ثم أخرج عن ابن عباس وغيره ما يوافقه، لكن بألفاظ أُخر.

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٤٨ عن ابن عباس ومحمد بن كعب.

وقيل: من ذهبٍ[١].

وقيل: من حديدٍ وفيها سلاسلُ من ذهبٍ.

والبدن: بدنُ الإنسان، والبدنُ: الدرع القصيرةُ، قال:

ترى الأبدانَ فيها مُسْبَغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحصينا[٢]

يعني: الدروع، وقال عمرو بن معدي كرب:

أعاذِلُ شِكَّتي بَدَني وسيفي ... وكلُّ مقلِّصٍ سَلِسِ القِيَادِ[٣]

وكانت له دروعٌ من ذهبٍ يُعرف بها.

وقيل: نُلقيك ببدنك عريانًا ليس عليك ثيابٌ ولا سلاحٌ، وذلك أبلغُ في إهانته.

وقيل: نُخْرِجُك صحيحًا لم يأكلك[٤] شيء من الدواب.

وقيل: بدنًا بلا روحٍ؛ قاله مجاهدٌ[٥].

وقيل: نخرجُك من ملكك وحيدًا فريدًا.

وقيل: نلقيك في البحر. من النَّجا: وهو ما سلَخْتَه عن الشاة، أو ألقيتَه عن نفسك من ثيابٍ أو سلاحٍ[٦].

وقيل: نتركك حتى تغرق، والنجاء: الترك.

وقيل: نجعلُك علامةً والنجاء: العَلَامة.

وقيل: نُغرقك. من قولهم: نجَّى البحرُ أقوامًا: إذا أغرقهم.

---

(١) عزاه الرازي في تفسيره ١٧/ ١٥٧ لابن عباس أيضاً.
(٢) عزاه ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٥٤ لضرار بن الخطاب، والقرطبي في تفسيره ١١/ ٤٩ لكعب بن مالك. قال القرطبي اليَلَب الدروع اليمانية، وكانت تتخذ من الجلود.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٥٢، والأغاني ١٥/ ٢٢٦. المقلِّص: الفرس الطويل القوائم المنضم البطن. اللسان (قلص).
(٤) في (ح) و(ز١) و(يه): يأكله.
(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٤٩، وأخرجه الطبري ١٢/ ٢٨١ بلفظ: بجسدك.
(٦) العين ٦/ ١٨٧، واللسان (نجا).

وقال الكرماني: يحتمل أن يكون من النجاء، وهو الإسراعُ، أي: نُسْرِعُ بهلاكك.

وقيل: معنى «ببدنك»: بصورتك التي تُعرف بها، وكان قصيرًا أشقر أزرقَ قريبَ اللحية من القامة، ولم يكن في بني إسرائيل شبيهٌ له فعرفوه بصورته.

و«ببدنك» إذا عُني به الجثةُ تأكيدٌ، كما تقول: قال فلانٌ بلسانه، وجاء بنَفْسه.

وقرأ يعقوب: «نُنْجِيك» مخفَّفًا مضارع أَنْجى[1]. وقرأ أبيٌّ وابنُ السَّمَيْفَع ويزيدُ البربريُّ: «ننحِّيك» بالحاء المهملة من التنحية[2]، ورُوِيت عن ابن مسعود[3]، أي: نُلقيك بناحيةٍ ممَّا يلي البحر، قال كعبٌ: رماه البحر إلى الساحل كأنه ثورٌ[4]. وقرأ أبو حنيفة: «بأبدانك»[5]، أي: بدُروعك، أو جُعِلَ كلُّ جزءٍ من البدن بدنًا، كقولهم: شابَتْ مفارِقُه.

وقرأ ابن مسعود وابنُ السَّمَيْفَع: «بندِائك[6]» مكان «ببدنك»، أي: بدُعائك، أي: بقولك: «آمنت» إلى آخره؛ لنجعلك آيةً مع ندائك الذي لا ينفعُ، أو بما ناديتَ به في قومك، ونادى فرعون في قومه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤] و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

ولمَّا كذَّبت بنو إسرائيل بغرقِ فرعونَ رَمَى به البحرُ على ساحله حتى رأوه قصيرًا أحمرَ كأنه ثورٌ[7]، «لمن خلفك آيةً»: لمن وراءك علامةً، وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أنَّ فرعون أعظمُ شأنًا من أن يغرق، وكان مَطْرحُه على ممرِّ بني إسرائيل حتى قيل: «لمن خَلْفَك».

---

(١) النشر ٢/ ٢٥٩.
(٢) المحتسب ١/ ٣١٦.
(٣) القراءات الشاذة ص٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٤٤٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٥٢.
(٥) المصدر السابق.
(٦) أخرجها عن ابن مسعود ابن الأنباري كما في تفسير القرطبي ٤٨، والدر المنثور ٧/ ٧٠٢، وينظر القراءات الشاذة ص٥٨.
(٧) روي في هذا أخبار عن قيس بن عُباد وابن عباس وقتادة وغيرهم، أخرجها الطبري ١٢/ ٢٨٠-٢٨٣.

وقيل: لمن يأتي بعدك من القرون.

وقيل: لمن بقي من قِبْطِ مصر وغيرِهم.

وقرئ: «لمن خَلَفَك» بفتح اللام[١]، أي: من الجبابرة والفراعنة؛ ليتَّعِظوا بذلك، ويَحْذَروا أن يُصيبهم ما أصابك إذا فعلوا فِعْلَكَ. ومعنى كونِه آيةً: أن يَظْهَرَ للناس عبوديتُه ومهانتُه، أو ليكون عبرةً يَعتبرُ بها الأمم.

وقرأت فرقة: «لمن خَلَقَكَ»، من الخَلْق، وهو اللهُ تعالى، أي: ليجعلك اللهُ آيةً له في عباده[٢]. وقيل: المعنى: ليكون طرحُك على الساحل وحدَك، وتمييزُك من بين المُغْرَقين؛ لئلَّا يَشْتَبِهَ على الناسِ أمرُك، ولئلا يقولوا لادِّعائك العظمة: إنَّ مِثْلَه لا يغرقُ ولا يموت، آيةً من آيات الله التي لا يقدرُ عليها غيرُه[٣].

«وإن كثيرًا من الناس» ظاهرُه الناسُ كافةً؛ قاله الحسن، وقال مقاتل: من أهل مكة[٤]. «عن آياتنا»، أي: العلامات الدالَّة على الوحدانية وغيرِها من صفاته العُلَى، «لغافلون» لا يتدبَّرون، وهذا خبرٌ في ضمنه توعُّدٌ.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لمَّا ذكر تعالى ما جَرى لفرعون وأتباعِه من الهلاك، ذَكر ما أَحْسَنَ به لبني إسرائيلَ وما امتنَّ به عليهم، إذ كان بنو إسرائيلَ قد أُخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون، فذكر تعالى أنه اختارَ لهم من الأماكن أحسنَها.

والظاهرُ أن «بني إسرائيل» هم الذين كانوا آمَنوا بموسى ونجوا من الغرق، وسياقُ الآيات يشهدُ لهم.

وقيل: هم الذين كانوا بحضرة النبيِّ ﷺ من بني إسرائيل: قُريظة والنضير وبني قينقاع.

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٢، والكشاف ٢/ ٢٥٢. والقراءة عزاها الثعلبي في التفسير ٣/ ٣٠١ لعلي ﷺ وابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٢ لابن السميفع وأبي المتوكل وأبي الجوزاء.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٥٢.

(٤) ذكرهما الثعلبي ٣/ ٣٠١.

وانتصب «مبوأ صِدْقٍ» على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ«بوّأنا»، كقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨]، وقيل: يجوز أن يكون مصدرًا، ومعنى «صِدْقٍ»، أي: فضلٍ وكرامةٍ، ومنه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥].

وقيل: مكانَ صدقِ الوعد، وكان وَعَدَهم فصَدَقَهم وَعْدَه.

وقيل: صِدْق تصدَّق به عليهم؛ لأن الصدقة والبِرَّ من الصدق.

وقيل: صَدَقَ فيه ظنُّ قاصِدِه وساكنه.

وقيل: منزلًا صالحًا مَرْضيًّا.

وعن ابن عباس: هو الأردنُّ وفلسطين. وقال الضحاك وابن زيد وقتادة: الشام وبيتُ المقدس. وقال مقاتل: بيت المقدس. وعن الضحاك أيضًا: مصر. وعنه أيضًا: مصر والشام[١].

قال ابن عطية: والأصحُّ أنه الشامُ وبيتُ المقدس بحسب ما حُفظ من أنهم لم يعودوا إلى مصر، على أنه في القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني: ما ترك القِبْطُ من جناتٍ وعيونٍ وغيرِ ذلك، وقد يحتمل أن يكون ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ معناها: الحالةَ من النعمة وإن لم تكن في قُطْرٍ واحد[٢]. انتهى.

وقيل: ما بين المدينة والشام من أرض يثربَ. ذكره عليُّ بنُ أحمد النيسابوريُّ[٣]. وهذا على قولِ مَن قال: إنَّ بني إسرائيل هم الذين بحضرة النبيِّ ﷺ.

ولمَّا ذكر أنه بوَّأهم مبوَّأ صدقٍ ذكر امتنانَه عليهم بما رزقهم من الطيبات، وهي المآكلُ المستلَذَّاتُ، أو الحلالُ، «فما اختلفوا»، أي: كانوا على ملَّةٍ واحدةٍ وطريقةٍ واحدةٍ مع موسى عليه السلام في أولِ حاله، «حتى جاءهم العلم»، أي: عِلْم التوراة فاختلفوا، وهذا ذمٌّ لهم، أي: إنَّ سبب الاتِّفاق هو العلمُ، فصار عندهم سببَ الاختلاف، فتشعَّبوا شعبًا بعد ما قرؤوا التوراة.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٤، وزاد المسير ٤/ ٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٢.

(٣) هو الواحدي، والكلام في تفسيره الوسيط ٢/ ٥٥٩، ونقله المصنف عن زاد المسير ٤/ ٦٢.

وقيل: «العلم» بمعنى المعلوم، وهو محمدٌ ﷺ؛ لأنَّ رسالته كانت معلومةً عندهم مكتوبةً في التوراة، وكانوا يستفتحون به، أي: يستَنْصِرون، وكانوا قبل مجيئه إلى المدينة مُجْمِعينَ على نبوَّته يَسْتنصِرون به في الحروب، يقولون: اللهمَّ بحُرمة النبيِّ المبعوثِ في آخر الزمان انْصُرْنا، فيُنْصَرون، فلمَّا جاء قالوا: النبيُّ الموعودُ به من ولد يعقوب وهذا من ولدِ إسماعيل، فليس هو ذاك، فآمَنَ به بعضُهم كعبد الله بن سلام وأصحابِه.

وقيل: «العلم»: القرآن، واختلافُهم فيه قولُ بعضِهم: هو من كلام محمدٍ، وقولُ بعضهم: من كلام الله، وليس لنا إنما هو للعرب، وصدَّق به قومٌ فآمنوا، وهذا الاختلافُ لا يمكنُ زوالُه في الدنيا، وأنه تعالى يقضي فيه في الآخرة فيميِّز المُحِقَّ من المُبْطِل.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الظاهرُ أنَّ «إنْ» شرطيةٌ، ورُوي عن الحسن والحسين بن الفضل أنَّ «إنْ» نافية[1]؛ قال الزمخشريُّ: أي فما كنتَ في شكٍّ فاسأل، يعني: لا نأمرُك بالسؤال لأنك شاكٌّ، ولكنْ لتزداد يقينًا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى[2]. انتهى.

وإذا كانت «إنْ» شرطيةً فذكروا أنها تدخلُ على الممكن وجودُه، أو المحقَّقِ وجودُه المنبهِمِ زمانُ وقوعه، كقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والذي أقولُه: إنَّ «إنْ» الشرطيةَ تقتضي تعليقَ شيءٍ على شيءٍ ولا تستلزمُ تحتُّمَ وقوعه ولا إمكانَه، بل قد يكون ذلك في المستحيلِ عقلًا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] ومستحيلٌ أن يكون له ولدٌ، فكذلك هذا مستحيلٌ أن يكون في شكٍّ، وفي المستحيل عادةً كقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن

(١) أخرجه عن الحسن الطبري ١٣/ ٧٢٥-٧٢٦. ولم أقف عليه عن الحسين بن الفضل، وقاله أيضاً الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٣.

تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٥] أي: فافعل، لكنَّ وقوع «إنْ» للتعليق على المستحيلِ قليلٌ، وهذه الآيةُ من ذلك.

ولمَّا خَفِيَ هذا الوجهُ على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية.

فقال ابن عطية: الصوابُ أنها مخاطبةٌ للنبيِّ ﷺ والمرادُ بها سواه مِن كلِّ مَن يمكنُ أن يشكَّ أو يعارِضَ(١). انتهى، ولذلك جاء: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤].

وقال قوم: الكلامُ بمنزلة قولك: إن كنتَ ابني فَبِرَّني، وليس هذا المثالُ بجيدٍ، وإنما مثالُ هذه قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦](٢). انتهى، وهذا القولُ مرويٌّ عن الفرَّاء(٣)؛ قال الكرماني: واختاره جماعةٌ، وضعِّف بأنه يصير تقدير الآية: أأنت في شكٍّ؛ إذ ليس في الآية ما يدلُّ على نفي الشك.

وقيل: كُنِيَ هنا بالشك عن الضِّيق، أي: فإنْ كنتَ في ضيقٍ من اختلافهم فيما أُنزل إليك وتعنُّتهم عليك.

وقيل: كُنِيَ بالشك عن العَجَب، أي: فإن كنتَ في تعجُّبٍ من عناد فرعون، ومناسبةُ المَجاز أنَّ التعجُّبَ فيه تردُّدٌ كما أنَّ الشك تردُّدٌ بين أمرين.

وقال الكسائي: معناه: إنْ كنتَ في شكٍّ أنَّ هذا عادتُهم مع الأنبياء فسَلْهم: كيف كان صبرُ موسى عليه السلام حين اختلفوا عليه؟

وقال الزمخشري: «فإن كنتَ في شك» بمعنى الفَرْض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شكٌّ مثلًا، وخَيَّل لك الشيطان خيالًا منه تقديرًا، فاسأل الذين يقرؤن الكتاب، والمعنى: إنَّ الله تعالى قدَّم ذكر بني إسرائيل وهم قرأةُ الكتاب، ووَصَفهم بأنَّ العلم قد جاءهم؛ لأنَّ أمر رسول الله ﷺ مكتوبٌ عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكِّد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوَّة

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في معاني القرآن له ١/ ٤٧٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٠٢.

محمدٍ ﷺ، ويبالغَ في ذلك، فقال تعالى: فإن وقع لك شكٌّ فَرْضًا وتقديرًا، وسبيلُ مَن خالجتْه شبهةٌ في الدِّين أن يسارع إلى حلِّها وإماطتها: إمَّا بالرجوع إلى قوانين الدِّين وأدلَّتِه، وإمَّا بمقادَحة[1] العلماء المنبِّهين على الحق. انتهى.

وقيل أقوالٌ غيرُ هذه.

وقرأ يحيى وإبراهيم: «يقرؤون الكُتب» على الجمع[2].

و«الحقُّ» هنا: الإسلام، أو القرآن، أو النبوَّة، أو الآياتُ والبراهينُ القاطعةُ. أقوالٌ. [«فلا تكوننَّ من الممترين، ولا تكوننَّ من الذين كذبوا بآيات الله»، أي:][3] فاثْبُتْ ودُمْ على ما أنت فيه من انتفاء المِرْية والتكذيب، والخطابُ للسامع غيرِ الرسول، وكثيراً ما يأتي الخطابُ في ظاهره لشخصٍ والمرادُ غيرُه.

وروي أنه عليه السلام قال: «لا أشكُّ ولا أسأل، بل أشهدُ أنه الحقُّ»[4].

وعن ابن عباس: واللهِ ما شكَّ طرفةَ عينٍ ولا سأل أحدًا منهم[5].

والامتراءُ: التوقُّفُ في الشيءِ والشكُّ فيه، وأمرُه أسهلُ من أمر المكذِّب[6]، فبُدِئَ به أولًا فنُهي عنه وأُتْبِعَ بذكر المكذِّب ونُهي أن يكون منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ ذَكَر تعالى عبادًا قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير، والكلمةُ التي حقَّت عليهم قال قتادة: هي اللَّعنةُ والغضب[7].

---

(١) في النسخ الخطية: بمقارنته، والمثبت من المطبوع، وهو الموافق لما في الكشاف ٢/ ٢٥٣، وشرح الزمخشري المقادحة في الأساس في مجاز باب (قدح) بأنها المناظرة.

(٢) القراءات الشاذة ص٥٨.

(٣) ما بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٢٥٣، والكلام منه.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٥٣، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩٨، والطبري ١٢/ ٢٨٨ من طريق قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا دون قوله: بل أشهد أنه الحق.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٥٣، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٧٦ و١٠٧٧ ـ تفسير) والطبري ١٢/ ٢٨٨-٢٨٩ عن الحسن وسعيد بن جبير، ولفظه: ما شك ولا سأل.

(٦) في (يه): الكذب.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢٩٨، والطبري ١٢/ ٢٩٠ بلفظ: حقَّ عليهم سخط الله بما عصوه.

وقيل: وعيدُه أنهم يَصيرون إلى العذاب.

وقال الزمخشري: [ثبت عليهم] قولُ الله تعالى الذي كُتب في اللوح وأُخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارًا، فلا يكونُ غيرَه، وتلك كتابةُ معلومٍ لا كتابةُ مقدَّرٍ ومرادٍ لله، تعالى الله عن ذلك(١). انتهى، وكلامُه أخيرًا على طريقة الاعتزال.

وقال أبو عبد الله الرازي: المراد من هذه الكلمة حُكْمُ الله بذلك وإخبارُه عنه، وخَلْقُه في العبد مجموعَ القدرة والداعية، وهو مُوْجِبٌ لحصول ذلك الأثر(٢).

وقال ابن عطية: المعنى: أنَّ الله أَوْجَبَ لهم سَخَطَه من الأَزَل، وخَلَقهم لعذابه، فلا يؤمنون ولو جاءهم كلُّ بيانٍ وكلُّ وضوحٍ إلا في الوقت الذي لا ينفعُهم فيه الإيمانُ، كما صَنَعَ فرعونُ وأشباهُه، وذلك وقتُ المعاينة، وفي ضِمْنِ الألفاظ التحذيرُ من هذه الحالِ، وبعثُ كلٍّ على المبادرة إلى الإيمان والفِرارِ من سَخَط الله(٣).

ويجوز أن يكون العذابُ الأليمُ عند تقطُّع أسبابِهم يومَ القيامة، وتقدَّم الخلافُ في قراءة «كلمة» بالإفراد وبالجمع(٤).

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ «لولا» هنا هي التحضيضيةُ التي صَحِبَها التوبيخُ، وكثيرًا ما جاءت في القرآن للتحضيض، فهي بمعنى (هلَّا)، وقرأ أُبيٌّ وعبدُ الله: «فهلا»، وكذا هو في مصحفيهما(٥).

والتحضيضُ: أنْ يريدَ الإنسانُ فعلَ الشيء الذي يَحُضُّ عليه، وإذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلِّمُ الحضَّ على ذلك الشيء، كقول الشاعر:

تَعُدُّون عقرَ النِّيبِ أفضلَ مَجْدِكم ... بني ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المُقنَّعا(٦)

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٣، وما بين حاصرتين منه.
(٢) تفسير الرازي ١٧/ ١٦٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٣.
(٤) عند تفسير الآية (٣٣) من هذه السورة.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٣، وذكرها عن أبيٍّ أيضاً الطبري ١٢/ ٢٩١.
(٦) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٢/ ٩٠٧، والنقائض ٢/ ٨٣٣، ونسب للأشهب بن رميلة في

لم يَقْصِدْ حضَّهم على عَقْرِ الكَمِيِّ المقنَّع. وهنا وبَّخهم على ترك الإيمان النافع، والمعنى: فهلَّا آمَنَ أهلُ قرية وهم على مَهَلٍ لم يَلْتَبِسِ العذابُ بهم فيكونَ الإيمانُ نافعًا لهم في هذه الحال.

و«قوم» منصوبٌ على الاستثناء المنقطع، وهو قولُ سيبويه والكسائيِّ والفرَّاء والأخفش[١]، إذ ليسوا مندرِجينَ تحت لفظ «قرية».

وقال الزمخشري: ويجوزُ أن يكون متَّصلًا والجملةُ في معنى النفي، كأنه قيل: ما آمَنَتْ قريةٌ من القرى الهالكةِ إلا قومَ يونس[٢].

وقال ابن عطيةَ: هو بحَسَبِ اللَّفظ استثناءٌ منقطِعٌ، وكذلك رَسَمَه النَّحويون، وهو بحسب المعنى متَّصلٌ؛ لأن تقديره: ما آمَنَ أهلُ قرية إلا قوم يونس، والنصبُ هو الوجهُ، ولذلك أدخله سيبويه في: باب ما لا يكون فيه إلَّا النصب[٣]، وذلك مع انقطاع الاستثناء، وقالت فرقة: يجوزُ فيه الرفعُ، وهذا مع اتِّصال الاستثناء، وقال المَهْدَويُّ: والرفعُ على البدل من «قرية»[٤].

وقال الزمخشري: وقُرئ بالرفع على البدل عن الجَرْميِّ والكسائي[٥].

وتقدَّم الخلافُ في قراءة «يونس» بضم النون وكسرِها، وذُكر جواز فتحها[٦].

= مجاز القرآن ١/ ٥٢، وتفسير الطبري ٢/٤٧٦، والنكت والعيون ١/ ١٨٠، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٤٦ و٢/ ٨٤. قال البغدادي: الصحيح أنه من قصيدة لجرير، لا خلاف بين الرواة أنها له. اهـ. ورواية الديوان والنقائض: هلا. قوله: النيب، جمع ناب: وهي الناقة المُسنَّة. وضوطرى: الرجل الضخم الذي لا غَناء عنده. والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه. والمعنى: تجعلون عقر الإبل المسنة التي لا ينتفع بها أفضل مجدكم، هلا تعدُّون قتل الشجعان الكماة أفضل مجدكم.

(١) الكتاب ٢/ ٣٢٥، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠، وللأخفش ١/ ٢٩٤-٢٩٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٨ عن الكسائي.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٤.

(٣) لفظه في الكتاب ٢/ ٣٢٥: باب ما لا يكون إلا على معنى «ولكن».

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٥٤، وهي في القراءات الشاذة ص٥٨.

(٦) عند تفسير الآية (١٦٣) من سورة النساء، والآية (٨٦) من سورة الأنعام.

و«قوم يونس» هم أهل نِيْنَوَى من بلاد الموصل، كانوا يعبدون الأصنامَ فبعث الله إليهم يونس، فأقاموا على تكذيبه سبعَ سنين، وتوعَّدهم العذابَ بعد ثلاثة أيام، وقيل: بعد أربعين يومًا.

وذكر المفسرون قصةَ قوم يونسَ وتفاصيلَ فيها وفي كيفية عذابهم الله أعلم بصحة ذلك، ويُوْقَفُ على ذلك في كتبهم.

وقال الطبريُّ وذَكَره عن جماعةٍ: إنَّ قومَ يونس خُصُّوا من بين الأمم بأنْ تِيْبَ عليهم بعد معاينة العذاب[١].

وقال الزجَّاج: هؤلاء دنا منهم العذابُ ولم يباشرهم كما باشَرَ فرعونَ، فكانوا كالمريض الذي يَخافُ الموتَ ويرجوا العافيةَ، فأمَّا الذي يباشره العذاب فلا توبةَ له.

وقال ابن الأنباري: عَلِم منهم صدقَ النيَّات بخلافِ مَن تقدَّمهم من الهالكين[٢].

قال السُّدِّي: «إلى حين»: إلى وقتِ انقضاء آجالهم[٣].

وقيل: إلى يوم القيامة. وروي عن ابن عباس[٤]، ولعله لا يصحُّ، فعلى هذا يكونون باقين أحياءً وسَترهم الله عن الناس[٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ قيل: نزلت في أبي طالب؛ لأنه ﷺ أَسِفَ لِمَوته على ملَّة عبد المطلب، وكان حريصًا على إيمانه، ولمَّا كان أحرصَ الناس على هدايتهم وأَسْعَى في وصول الخير إليهم والفوزِ بالإيمان منهم، وأكثرَ اجتهادًا في نجاة

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٢٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٤، والكلام منه.
(٢) القولان في زاد المسير ٤/ ٦٧، وعنه نقل المصنف، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٠.
(٤) لم أقف عليه، وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٩، وتفسير القرطبي ١١/ ٥٦.
(٥) في (ح) و(يه): عن أعين الناس.

العالَمين من العذاب، أَخبره تعالى أنه خَلَقَ أهلًا للسعادة وأهلًا للشقاوة، وأنه لو أراد إيمانهم كلِّهم لفعل، وأنه لا قُدرةَ لأحدٍ على التصرُّف في أحدٍ، والمقصودُ بيانُ أنَّ القدرة القاهرةَ والمشيئةَ النافذةَ ليست إلَّا له تعالى.

وتقديمُ الاسم في الاستفهام على الفعل يدلُّ على إمكان حصولِ الفعلِ، لكنْ من غير ذلك الاسم، فلِلّهِ تعالى أن يُكْرِهَ الناس على الإيمان لو شاء، وليس ذلك لغيره.

وقال الزمخشريُّ: «ولو شاء ربُّك» مشيئةَ القَسْر والإلجاء، «لآمَنَ مَن في الأرض كلُّهم» على وجه الإحاطة والشُّمول، «جميعًا» مجتمِعِينَ على الإيمان، مُطْبِقِين عليه، لا يختلفون فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: «أفأنت تُكْرِهُ الناسَ» يعني إنَّما يقدرُ على إكراههم واضطرارِهم على الإيمان هو لا أنت، وإيلاءُ الاسم حرفَ الاستفهام للإعلام بأنَّ الإكراه ممكنٌ مقدورٌ عليه، وإنَّما الشأنُ في المُكْرِه مَن هو؟ وما هو إلا هو وحدَه لا يشارَك فيه؛ لأنه تعالى هو القادرُ على أن يفعل في قلوبهم ما يُضْطَرُّون عنده إلى الإيمان، وذلك غيرُ مستطاعٍ للبشر[1]. انتهى.

وقوله: مشيئة القسر والإلجاء، هو مذهبُ المعتزلة.

وقال ابن عطية: المعنى: إنَّ هذا الذي تقدَّم ذكرُه إنما كان جميعُه بقضاء الله عليهم ومشيئتِه فيهم، ولو شاء الله لكان الجميعُ مؤمنًا، فلا تتأسَّفْ أنت يا محمدُ على كفرِ مَن لم يؤمن بك، وادْعُ ولا عليك فالأمرُ محتومٌ، أتريد أنت أن تُكْرِهَ الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتَضْطَرَّهم إلى ذلك والله عز وجل قد شاء غيرَه، فهذا التأويلُ الآيةُ عليه مُحْكَمةٌ، أي: ادعُ وقاتِلْ مَن خالَفَك، وإيمانُ مَن آمَنَ مصروفٌ إلى المشيئة، وقالت فرقة: المعنى: أفأنت تُكْرِهُ الناسَ بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان، وزعمتْ أن هذه الآيةَ في صدر الإسلام، وأنها منسوخةٌ بآية السيف. والآيةُ على كِلَا التأويلين رادَّةٌ على المعتزلة[2]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٥.

ولذلك ذهب الزمخشريُّ إلى تفسير المشيئة بمشيئة القَسْرِ والإلجاء، وهو تفسيرُ الجبَّائي والقاضي[(١)].

ومعنى «إلا بإذْنِ الله»، أي: بإرادته وتقديرِه لذلك والتمكين منه، وقال الزمخشري: بتسهيله، وهو منحُ الألطاف، «ويَجْعلُ الرِّجْسَ» وهو الخذلانُ، «على الذين لا يعقلون» وهم المُصِرُّون على الكفر، وسمِّي الخذلان رجسًا وهو العذابُ لأنه سَبَبُه[(٢)]. انتهى، وهو على طريق الاعتزال.

وقال ابن عباس: «الرجس»: السَّخَط[(٣)]. وعنه: الإثم والعدوان.

وقال مجاهد: ما لا خير فيه.

وقال الحسن وأبو عبيدة والزجَّاج: العذاب.

وقال الفرَّاء: العذاب والغضب[(٤)]. وقال الحسن أيضًا: الكفر.

وقال قتادة: الشيطان[(٥)].

وقد تقدَّم تفسيرُه، ولكنْ نقلنا ما قاله العلماءُ هنا.

وقرأ أبو بكر وزيد بن علي: «ونجعل» بالنون[(٦)]. وقرأ الأعمش: «ويجعل الله الرجز» بالزاي[(٧)].

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

---

(١) كما في تفسير الرازي ١٧/ ١٦٦، والقاضي هو عبد الجبار بن أحمد المعتزلي.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٥.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٣٠٠.

(٤) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٨، وعنه نقل المصنف. وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٨٠، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٦، وقول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٠.

(٦) السبعة ص٣٣٠، والتيسير ص١٢٣.

(٧) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٠٦، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٥، ووقع في مطبوعه: الرجس، بدل: الرجز.

أمر تعالى بالفكرِ فيما أَوْدَعَه تعالى في السماوات والأرض؛ إذ السبيلُ إلى معرفته تعالى هو بالتفكُّر في مصنوعاته، ففي العالَم العلويِّ: في حركات الأفلاك ومقاديرِها وأوضاعِها والكواكبِ وما يختصُّ بذلك من المنافع والفوائد، وفي العالم السفليِّ: في أحوال العناصر والمعادن والنباتِ والحيوان وخصوصًا حال الإنسان، وكثيرًا ما ذكر اللهُ تعالى في كتابه الحضَّ على الفكر في مخلوقاته تعالى. وقال: «ماذا في السماوات والأرض»، تنبيهًا على القاعدة الكليَّة، والعاقلُ يتنبَّهُ لتفاصيلها وأقسامِها.

ثم لمَّا أمر بالنظر أَخبر أنه مَن لا يُؤمِنُ لا تُغنيه الآياتُ والنذُر، [والنذر][1] جمعُ نذيرٍ: إمَّا مصدرٌ فمعناه: الإنذارات، وإما بمعنى منذِرٍ فمعناه: المنذرون والرسل.

و«ما» الظاهرُ أنها للنفي، ويجوز أن تكون استفهامًا، أي: وأيُّ شيءٍ تُغني الآياتُ؟ وهي الدلائلُ، وهو استفهامٌ على جهة التقرير، وفي الآية توبيخٌ لحاضري رسولِ الله ﷺ من المشركين.

وقرأ الحرميَّان والعربيَّان والكسائي: «قلُ انظروا» بضم اللام[2]، وقُرئ: «وما تُغني» بالتاء، وهي قراءةُ الجمهور، وبالياء[3].

و«ماذا» يحتمل أن يكون استفهامًا في موضع رفعٍ بالابتداء، والخبرُ: «في السماوات»، ويحتمل أن يكون الخبرُ «ذا» بمعنى الذي، وصلتُه «في السماوات». و«انظروا» معلَّقةٌ، فالجملةُ الابتدائيةُ في موضع نصبٍ، ويَبْعُدُ أن يكونَ «ماذا» كلُّه موصولًا بمعنى الذي، ويكون مفعولًا لقوله: «انظروا»؛ لأنه إن كانت بصريةً تعدَّت بـ«إلى»، وإن كانت قلبيةً تعدَّتْ بـ«في».

وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «ما» في قوله: «وما تغني» مفعولةً لقوله: «انظروا»، معطوفةً على قوله: «ماذا»، أي: تأمَّلوا قَدْرَ غَناء الآياتِ والنذرِ عن

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) التيسير ص٧٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٥٥.

الكفار إذا قبلوا ذلك كفِعْلِ قوم يونسَ، فإنه يرفعُ العذابَ في الدنيا والآخرة، ويُنْجي من الهَلَكات، والآيةُ على هذا تحريضٌ على الإيمان، وتَجوُّزُ اللفظ على هذا التأويل إنما هو في قوله: «لا يؤمنون»[١]. انتهى، وهذا احتمالٌ فيه ضعفٌ.

وفي قوله: مفعولةٌ معطوفةٌ على قوله: «ماذا»، تجوُّزٌ، يعني أنَّ الجملة الاستفهامية التي هي «ماذا في السماوات والأرض» في موضع المفعول، لا أنَّ «ماذا» منصوبٌ وحده بـ«انظروا»، فتكونَ «ماذا» موصولةً و«انظروا» بَصَريةً؛ لمَا تقدَّم[٢].

والأيام هنا: وقائعُ الله فيهم، كما يقال: أيام العرب، لوقائعها. وفي الاستفهام تقريرٌ وتوعُّدٌ، وحضٌّ على الإيمان، والمعنى: إذا لجُّوا في الكفر حلَّ بهم العذابُ، وإذا آمنوا نَجَوا، هذه سنَّةُ الله في الأمم الخالية.

«قل فانتظروا» أمرُ تهديدٍ، أي: انتظروا ما يَحِلُّ بكم كما حلَّ بمن قبلكم من مكذِّبي الرسل.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ لمَّا تقدَّم قولُه: «فهل ينتظرون إلا مثلَ أيام الذين خلوا من قبلهم»، وكان ذلك مُشْعِرًا بما حلَّ بالأمم الماضية المكذِّبةِ، ومصرِّحًا بهلاكهم في غيرِ ما آيةٍ، أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضيةِ فقال: «ثم ننجِّي رسلنا»، والمعنى: إن الذين خَلَوا أهلكناهم لمَّا كذَّبوا الرسل ثم نجَّينا الرسلَ والمؤمنين، ولذلك قال الزمخشري: «ثم ننجِّي» معطوفٌ على كلام محذوفٍ يدلُّ عليه: «إلَّا مِثْلَ أيامِ الَّذين خَلَوْا مِن قَبْلِهم»، كأنه قيل: نُهلك الأمم ثم نُنجِّي رسلَنا على مِثْلِ الحكايات الماضية[٣].

والظاهرُ أن «كذلك» في موضع نصبٍ تقديرُه: مثلَ ذلك الإنجاء الذي نجَّينا الرسلَ ومؤمنيهم نُنجي مَن آمَنَ بك يا محمدُ، ويكون «حقًّا» على تقديرِ: حقَّ ذلك حقًّا.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٥.

(٢) يعني: لما تقدم من أنها لو كانت بصرية لتعدَّت بـ«إلى».

(٣) الكشاف ٢/ ٢٥٥، والعبارة الأخيرة فيه بلفظ: ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية.

وقال أبو البقاء: يجوزُ أن يكون «حقًّا» بدلًا من المحذوفِ النائبِ عنه الكافُ، تقديره: إنجاءً مِثْلَ ذلك حقًّا، وأجاز أن يكون «كذلك» و«حقًّا» منصوبين بـ«نُنْجي» التي بعدهما، وأن يكون «كذلك» منصوبًا بـ«نُنَجِّي» الأولى، و«حقًّا» بـ«نُنْجي» الثانية، وأجاز هو تابعًا لابن عطية أن تكون الكافُ في موضع رفعٍ، وقدَّره: الأمرُ كذلك، و«حقًّا» منصوبٌ بما بعدها[(١)].

وقال الزمخشري: مثلَ ذلك الإنجاء نُنْجي المؤمنين منكم ونُهلك المشركين، و«حقًّا علينا» اعتراضٌ، يعني: حقَّ ذلك علينا حقًّا[(٢)].

قال القاضي[(٣)]: «حقًّا علينا» المرادُ به الوجوبُ؛ لأنَّ تخليصَ الرسولِ ﷺ والمؤمنين من العذاب إلى الثواب واجبٌ، ولولاه ما حَسُنَ من الله أن يُلْزِمَهم الأفعالَ الشاقَّةَ، وإذا ثَبَتَ [وجوبُه] لهذا السبب جرى مجرى قضاءِ الدَّين للسَّبب المتقدِّم.

وأجيب بأنه حقّ بحسب الوعد والحُكْم لا بحسب[(٤)] الاستحقاق، لمَا ثبت أنَّ العبد لا يستحقُّ على خالقِه شيئًا.

وقرأ الكسائيُّ وحفصٌ: «نُنْجي المؤمنين» بالتخفيف مضارع أَنْجى[(٥)]، وخطُّ المصحف: «ننج» بغير ياء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ خطابٌ لأهل مكةَ، يقول: إنْ كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبيِّنُه لكم، فبدأ أولًا بالانتفاء من عبادة

(١) الإملاء ٢/ ٣٣-٣٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٥.
(٣) هو عبد الجبار المعتزلي، وكلامه في تفسير الرازي ١٧/ ١٧١، وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٤) في تفسير الرازي: بسبب، في الموضعين.
(٥) السبعة ص٣٣٠، والتيسير ص١٢٣.

ما يعبدون من الأصنام تسفيهًا لآرائهم، وأثْبتَ ثانيًا مَن الذي يعبدُه وهو: «الله الذي يتوفَّاكم»، وفي ذِكْرِ هذا الوصفِ الوسَطِ الدالِّ على التوفِّي دلالةٌ على البدء ـ وهو الخَلْقُ ـ وعلى الإعادة، فكأنه أشار إلى أنه يعبُدُ الله الذي خَلَقَكم ويتوفَّاكم ويُعيدكم، وكثيرًا ما صرِّح في القرآن بهذه الأطوارِ الثلاثة، وكان التصريحُ بهذا الوصفِ لمَا فيه من التذكير بالموت وإرهابِ النفوس به، وصيرورتِهم إلى الله بعده، فهو الجديرُ بأنْ يُخافَ ويُتَّقى ويُعبَدَ، لا الحجارةُ التي تعبدونها.

«وأُمِرْتُ أن أكون من المؤمنين» لمَّا ذكر أنه يَعبُدُ اللهَ، وكانت العبادةُ أغلبُ ما عليها عملُ الجوارح، أخبر أنه أُمر بأنْ يكونَ من المصدِّقين بالله الموحِّدين له المُفْرِديهِ بالعبادة، وانتقل من عمل الجوارح إلى نورِ المعرفة، وطابَقَ الباطنُ الظاهرَ.

قال الزمخشريُّ: يعني: إنَّ الله تعالى أمرني [بذلك] بما ركَّب فيَّ من العقل، وبما أَوْحَى إليَّ في كتابه.

وقيل: معناه: إنْ كنتم في شكٍّ من دِيني وممَّا أنا عليه: أَأَثْبُتُ، أم أتركُه وأوافقُكم؟ فلا تحدِّثوا أنفسَكم بالمُحَال، ولا تَشُكُّوا في أمري، واقْطَعوا عنِّي أطماعَكم، واعْلَموا أنِّي لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولا أختارُ الضلالةَ على الهدى، كقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

«وأُمِرْتُ أنْ أكونَ» أصلُه: بأنْ أكونَ، فحذف الجارُّ، وهذا الحذفُ يحتمل أن يكون من الحذف المطَّرد الذي هو حذفُ الحروف الجارَّةِ مع «أنَّ» و«أنْ»، وأن يكون من الحذف غيرِ المطَّرد، وهو قولُه: أَمَرْتُكَ الخيرَ فاصْدَعْ بما تُؤمر[1]. انتهى.

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٥، وما سلف بين حاصرتين منه. وقوله: أمرتك الخير، يشير به إلى قول الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْتَ به فقد تركتك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

وهو في الكتاب ١/ ٣٧، والخزانة ١/ ٣٣٩، واختلف في نسبته، قال البغدادي: نسب لعمرو بن معدي كرب، وللعباس بن مرداس، ولزرعة بن السائب، ولخفاف بن ندبة، وسلف عند تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

يعني بالحذف غيرِ المطرد ـ وهو قوله: أمرتُك الخير ـ أنه لا يُحذف حرفُ الجرِّ من المفعول الثاني إلا في أفعالٍ محصورةٍ سماعًا لا قياسًا، وهي: اختار، واستَغْفَر، وأمر، وسمَّى، وكَنَى، ودعا بمعنى: سمَّى، وزوَّجَ وصَدَقَ، خلافًا لمن قاس الحذفَ بحرف الجر من المفعول الثاني حيث تَعَيَّنَ الحرفُ وموضعُ الحذف، نحو: بريتُ القلم بالسكِّين، فيجيز: السكِّينَ بالنصب[1].

وجوابُ «إنْ كنتُم في شك» قولُه: «فلا أعبد»، والتقدير: فأنا لا أعبد؛ لأنَّ الفعلَ المنفيَّ بـ«لا» إذا وقع جوابًا انجزم، فإذا دخلت عليه الفاءُ عُلم أنه على إضمارِ المبتدأ، وكذلك لو ارتفع دون «لا»، كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: ٩٥] أي: فهو ينتقم الله منه.

وتضمَّنَ قولُه: «فلا أعبد» معنى: فأنا مُخالِفُكم.

و«أنْ أقِمْ» يحتملُ أن تكون معمولةً لقوله: «وأُمرتُ» مراعًى فيها المعنى؛ لأن معنى قوله: «أنْ أكون»: كُنْ من المؤمنين، فتكون «أنْ» مصدريةً صلتُها الأمر، وقد أجاز ذلك النحويون، فلم يلتزموا في صلتها ما التُزم في صلات الأسماء الموصولة من كونها لا تكونُ إلا خبريةً بشروطها المذكورة في النحو، ويحتمل أن تكون على إضمارِ فعلٍ، أي: وأُوْحِيَ إليَّ أنْ أَقِمْ، فاحتمل أن تكون مصدريةً، واحتمل أن تكون حرفَ تفسيرٍ؛ لأنَّ الجملة المقدَّرة فيها معنى القول. وإضمارُ الفعل أولى ليزول قلقُ العطف لوجود الكاف؛ إذ لو كان «وأن أقم» عطفًا على «أن أكون» لكان التركيبُ: وجهي، بياء المتكلِّم، ومراعاةُ المعنى فيه ضعفٌ، وإضمارُ الفعل أكثرُ من مراعاة العطف على المعنى.

والوَجْهُ هنا: المَنْحَى والمَقْصِدُ، أي: استَقِمْ للدِّين ولا تَحِدْ عنه، وكُني بذلك عن صرف العقل بالكلِّية إلى طلب الدِّين، و«حنيفًا» حالٌ من الضمير في «أقم»، أو من المفعول، وأجاز الزمخشري أن تكون حالًا من «الدِّين»[2].

---

(١) وهو قول الأخفش الصغير علي بن سليمان وبعض النحويين، أجازوا حذف حرف الجر بالشرطين المذكورين، وهما: تعيُّنُ الحرف، وتعيُّن مكانه، فإن فُقد الشرطان أو أحدهما لم يجز.

(٢) الكشاف ٢/٢٥٦.

«ولا تَدْعُ» يحتملُ أن يكون استئنافَ نهيٍ، ويحتملُ أن يكون معطوفًا على «أَقِمْ» فيكون في حيِّز «أنْ» على قِسْمَيْها من كونها مصدريةً وكونها حرفَ تفسيرٍ.

وإذا كان دعاءُ الأصنام منهيًّا عنه فأحرى أن يُنهى عن عبادتها، «فإنْ فعلتَ» كُني بالفعل عن الدعاء إيجازًا، أي: فإنْ دَعَوْتَ ما لا ينفعُك ولا يضرُّك، وجوابُ الشرط: «فإنك» وخبرُها، وتوسَّطت «إذًا» بين اسم «إنَّ» والخبر ورتبتُها بعد الخبر، لكنْ رُوعي في ذلك الفاصلةُ.

قال الحوفي: الفاءُ جوابُ الشرط، و«إذًا» متوسِّطةٌ لا عملَ لها، يرادُ بها في هذا: إذا كان ذلك، هذا تفسيرُ المعنى، لا تجيءُ على معنى الجواب. انتهى.

وقال الزمخشري: «إذًا» جوابُ الشرط، وجوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّ سائلًا سأل عن تَبِعَةِ عبادة الأوثان، وجُعل من الظالمين لأنه لا ظلمَ أعظمُ من الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣][١]. انتهى.

وكلامه في «إذًا» يحتاج إلى تأمُّلٍ[٢]، وقد تقدَّم لنا الكلامُ فيها مُشْبَعًا في سورة البقرة[٣].

ولـمَّا وقع النهيُ عن دعاء الأصنام وهي لا تضرُّ ولا تنفع، ذَكَر أنَّ الحَوْلَ والقوَّةَ والنفعَ والضرَّ ليس ذلك إلا لله، وأنه تعالى هو المنفردُ بذلك، وأَتَى في «الضرّ» بلفظ المسِّ وفي الخير بلفظ الإرادة، وطابَقَ[٤] بين الضرِّ والخير مطابقةً معنويةً لا لفظيةً؛ لأنَّ مقابِلَ الضرِّ النفعُ، ومقابلَ الخير الشرُّ، فجاءت لفظةُ الضرِّ ألطفَ وأخصَّ من لفظة الشر، وجاءت لفظةُ الخير أتمَّ من لفظة النفع، ولفظةُ المسِّ أوجزُ من لفظ الإرادة وأنصُّ على الإصابة وأنسبُ لقوله: «فلا كاشفَ له إلا هو»، ولفظُ الإرادة أدلُّ على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره، وأنسبُ للَفْظِ الخير، وإن كان المسُّ والإرادةُ معناهما الإصابة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) قال السمين في الدر ٦/ ٢٧٥: وفي جعله «إذاً» جواباً للشرط نظر، إذ جواب الشرط محصور في أشياء ليس هذا منها.
(٣) عند تفسير الآية (١٤٥) منها.
(٤) في (يه): فطابق.

وجاء جوابُ «وإنْ يمسسك» بنفي عامٍّ وإيجابٍ، وجاء جوابُ «وإنْ يُرِدْكَ» بنفي عامٍّ؛ لأنَّ ما أراده لا يردُّه رادٌّ لا هو ولا غيره؛ لأنَّ إرادته قديمةٌ لا تتغير، فلذلك لم يَجِئ التركيبُ: فلا رادَّ له إلا هو، والمسُّ من حيث هو فعلٌ هو صفةُ فعلٍ يُوقعه ويرفعه، بخلافِ الإرادة فإنها صفةُ ذاتٍ.

وجاء «فلا رادَّ لفضله» سمَّى الخير فضلًا إشعارًا بأنَّ الخُيُورَ من الله تعالى هي صادرةٌ على سبيل الفضل والإحسان والتفضُّل، ثم اتَّسع في الإخبار عن الفضل والخير فقال: «يصيبُ به مَن يشاء من عباده»، ثم أخبر بالصفتين الدالَّتين على عدم المؤاخَذة، وهما: الغفورُ الذي يَستُرُ ويَصْفَحُ عن الذنوب، والرحيمُ الذي رحمتُه سَبَقَتْ غضبَه.

ولمَّا تقدَّم قولُه: «ولا تَدْعُ من دون الله ما لا ينفعُك ولا يضرُّك» فأخَّر الضرَّ، ناسَبَ أن تكون البَداءةُ بجملة الشرط المتعلِّقةِ بالضرِّ، وأيضًا فإنه لمَّا كان الكفارُ يُتوقَّعُ منهم الضرُّ للمؤمنين، والنفعُ لا يُرجى منهم، كان تقديمُ جملة الضرِّ آكَدَ في الإخبار فبُدِئ بها.

وقال الزمخشري[1]: فإنْ قلت: لمَ ذكر المسَّ في أحدهما والإرادةَ في الثاني؟ قلتُ: كأنه أراد أنْ يذكُر الأمرين جميعاً ـ الإرادةَ والإصابةَ ـ في كلٍّ واحدٍ من الضرِّ والخير، وأنه لا رادَّ لمَا يريده منهما، ولا مُزيلَ لمَا يُصيبُ به منهما، فأَوْجَز الكلامَ بأنْ ذَكَر المسَّ وهو الإصابةُ في أحدهما، والإرادةَ في الآخرَ[2] ليَدلَّ بما ذكر على ما ترك، على أنه قد كرَّر الإصابة في الخير في قوله: «يصيب به مَن يشاء من عباده» والمرادُ بالمشيئة مشيئة[3] المصلحة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ «الحق»: القرآنُ، أو الرسولُ، أو دينُ الإسلام. ثلاثةُ أقوالٍ.

---

(١) في الكشاف ٢/٢٥٦.
(٢) في النسخ عدا (ح): الإيجاز، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في الكشاف.
(٣) قوله: مشيئة، من (ح) والكشاف، وسقطت من باقي النسخ.

والمعنى: فإنما ثوابُ هدايته حاصلٌ له، ووبالُ ضلاله عليه. والهدايةُ والضلالُ واقعان بإرادة الله تعالى من العبد، هذا مذهبُ أهل السُّنة، وأنَّ مَن حُكِم له في الأزل بالاهتداء فسيقعُ ذلك، وأنَّ مَن حُكم له بالضلال فكذلك، ولا حيلةَ في ذلك.

وقال القاضي: إنه تعالى بيَّن أنه أكْملَ الشريعةَ، وأزاحَ العلَّة، وقطع المَعْذِرة، «فمَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومَن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها وما أنا عليكم بوكيل» فلا يجبُ عليَّ من السعي في إيصالكم إلى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الأليم أزْيَدَ مما فعلتُ[١].

وقال الزمخشري: لم يبق لكم عذرٌ ولا على الله تعالى حجةٌ، فمن اختار الهدى واتِّباعَ الحقِّ فما نَفَعَ باختياره إلَّا نفسَه، ومَن آثَرَ الضلالَ فما ضَرَّ إلَّا نفسَه، واللام و«على» دلَّا على معنى النفعِ والضرِّ، وَكَلَ إليهم الأمرَ بعد إزاحة العلل وإبانةِ الحقِّ، وفيه حثٌّ على إتيان الهدى واطِّراح الضلال مع ذلك، «وما أنا عليكم بوكيلٍ» بحفيظٍ موكولٍ إليَّ أمرُكم وحملُكم على ما أريد، إنما أنا بشيرٌ ونذير[٢]. انتهى.

وكلامُه تذييلُ كلام القاضي، وهو جارٍ على مذهب المعتزلة.

وأَمْرُه تعالى نبيَّه باتِّباع ما يُوْحَى إليه أمرٌ بالديمومة وبالصبر على ما يناله في الله من أذى الكفارِ وإعراضِهم، وغيَّا الأمرَ بالصبر بقوله: «حتى يحكُم الله» وهو وعدٌ منه تعالى بإعلاء كلمته ونَصْرِه على أعدائه كما وقع.

وذهب ابنُ عباسٍ وجماعةٌ إلى أنَّ قوله: «وما أنا عليكم بوكيلٍ» «واصبر» منسوخٌ بآية السيف[٣]، وذهب جماعةٌ إلى أنه مُحْكَمٌ، وحملوا «وما أنا عليكم بوكيل» على أنه ليس بحفيظٍ على أعمالهم ليجازيَهم عليها، بل ذلك لِلّه، وقولَه: «واصْبِر» على الصبر على طاعة الله وحَمْلِ أثقال النبوة وأداءِ الرسالة، وعلى هذا لا تعارُضَ بين هاتين الآيتين وبين آية السيف، وإلى هذا مال المحقِّقون.

---

(١) تفسير الرازي ١٧/ ١٧٥-١٧٦، والقاضي هو عبد الجبار بن أحمد المعتزلي.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٦، وما بين حاصرتين منه.
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٠٧، وزاد المسير ٤/ ٧١، وتفسير الرازي ١٧/ ١٧٦.

ورُوي أنه لمَّا نزلت «واصْبِرْ» جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: «إنكم ستجدون بعدي أثرةً فاصْبروا حتى تَلْقَوْني»[١].

قال الزمخشريُّ: يعني إنِّي أُمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامني الكفرةُ فصَبَرْتُ، فاصْبِروا أنتم على ما يَسُومُكم الأمراءُ الجَوَرة، قال أنس: فلم نصبر، ثم ذكر حكايةً جرت بين أبي قتادة ومعاوية رضي الله عنهما يوقَفُ عليها من كتابه[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/٣٠٨، والكشاف ٢/٢٥٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٦١. وعزاه الثعلبي لأنس رضي الله عنه، والقرطبي لابن عباس وأنس. وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص٨٦: ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند، والقصة المذكورة متفق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث، ومن حديث أسيد بن حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك. اهـ. قلت: حديث عبد الله بن زيد عند البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وحديث أسيد بن حضير أخرجه عن طريق أنس عنه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥). وأخرجه من حديث أنس البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).

(٢) الكشاف ٢/٢٥٦-٢٥٧. وقول أنس: فلم نصبر، هو قطعة من حديثه في الصحيحين الذي سلف تخريجه في التعليق السابق. وقصة أبي قتادة ومعاوية أخرجها عبد الرزاق (١٩٩٠٩)، وأحمد (٢٢٥٩١)، وإسنادها ضعيف كما ذكر محققو المسند.

# سورة هود

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي
لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ (٢) وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ (٣) إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٤) أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ
يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥) ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا
عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (٦) وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ
إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ (٧) وَلَئِنۡ
أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٨) وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ
إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ (٩) وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ
عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ
كَبِيرٞ (١١) فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ
عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ (١٢) أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ (١٣) فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم

مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ
فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟
عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا
نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ
كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ
عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن
يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ
وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ
أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا
يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ
إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ
ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ
وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

المفردات ثَنَى الشيءَ ثَنْيًا: طواهُ، يقال: ثَنَى عِطْفَه، و: ثَنَى صَدْرَه، و: طَوَى كَشْحَه.

الحِزْب: جماعةٌ من الناس يجتمعون على أمرٍ يتعصَّبون فيه.

رَذُلَ الرجلُ رَذَالةً فهو رَذْلٌ: إذا كان سَفِلةً لا خلاقَ له، ولا يبالي بما يقول وما يفعل.

الإخبات: التواضعُ والتذلُّلُ، مأخوذٌ من الخَبْت: وهو المطمئنُّ من الأرض، وقيل: البَرَاحُ[١] القَفْرُ المستوي، ويقال: أَخْبتَ: دخل في الخَبْت، كأَنْجَدَ: دخل نَجْدًا، وأَتْهَمَ: دخل تِهامةَ، ثم تُوسِّع فيه فقيل: خَبَتَ ذِكْرُه: خَمدَ، ويتعدَّى أَخْبتَ إلى وباللام، ويقال للشيء الدنيء: الخبيت، قال الشاعر:

ينفع الطيِّبُ الخبيتُ من الرز ق ولا ينفعُ الكثيرُ الخبيثُ[٢]

لزم الشيءَ: واظب عليه لا يفارقُه، ومنه: اللِّزام.

زَرَى يَزْرِي: حَقَر، وأَزْرَى عليه: عابه، وازْدَرَى: افْتَعَلَ من زَرَى، أي: احْتَقر.

التنور: مستوقَدُ النار، ووزنُه فَعُّول عند أبي عليّ، وهو أعجميٌّ وليس بمشتقٍّ. وقال ثعلب: وزنه تَفْعُول من النُّور، وأصله: تَنْوُور، فهُمِزت الواو ثم خفِّفت وشدِّد الحرفُ الذي قبله، كما قال:

رأيتُ عَرَابةَ اللَّوسي يَسْمو إلى الغايات منقطع القَرِينِ[٣]

(١) البراح كسَحَاب: المتَّسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٢) البيت للسموأل كما في نوادر أبي زيد ص١٠٤، والأصمعيات ص٨٦، والفائق ١/ ٣٥١، وهو دون نسبة في العين ٤/ ٢٤١، والكشاف ٢٦٤. وروايته في المصادر:
ينفع الطيب القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخبيث
وهو الصواب لأن القصيدة تائية.

(٣) البيت للشماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص٣٣٥، ورسالة الملائكة للمعري ص١٥٨، ورواية الديوان: عرابة الأوسي...

يريد: عَرَابةَ الأَوْسي. وللمفسِّرين أقوالٌ في «التنور» ستأتي إن شاء الله تعالى.

* * *

التفسير ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾ قال ابن عباس والحسنُ وعكرمةُ ومجاهدٌ وقتادةُ وجابر بن زيد: هذه السورةُ مكيةٌ كلُّها[١].

وعن ابن عباس: مكيةٌ كلُّها إلا قولَه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ الآية [١٢][٢].

وقال مقاتل: مكيةٌ إلا قولَه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ﴾ الآية، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ [١٧] نزلت في ابن سَلَام وأصحابه، وقولَه: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [١١٤] نزلت في نبهان التمَّار[٣].

و«كتابٌ» خبرُ مبتدأ محذوفٍ يدلُّ عليه ظهورُه بعد هذه الحروف المقطَّعة، كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، و«أُحْكِمَتْ» صفةٌ له، ومعنى الإحكام: نَظْمُه نَظْمًا رَصينًا لا نَقْصَ فيه ولا خَلَل، كالبناء المُحْكَم، وهو الموثَّقُ في الترصيف، وعلى هذا فالهمزةُ في «أحكمت» ليست للنقل.

ويجوز أن تكون للنقل من «حَكُم» بضم الكاف: إذا صار حكيمًا، فالمعنى: جُعِلَتْ حَكيمةً، كقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، ولقمان: ٢] على أحد التأويلين في قوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

وقيل: من أَحْكَمْتُ الدابَّةَ: إذا مَنعْتَها من الجِمَاح بوضع الحَكَمةِ عليها،

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٥٥، وزاد المسير ٤/ ٧٢. وأخرجه عن ابن عباس ﵄ النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٤٧٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٨، وروي استثناء الأخيرة عن ابن عباس، كما في النكت والعيون ٢/ ٤٥٥، وزاد المسير ٤/ ٧٢.

فالمعنى: مُنِعَتْ من الفساد، كما قال جرير:

أبني حنيفةَ أَحْكِموا سفهاءَكم إنّي أخاف عليكُمُ أن أغضبا[١]

وعن قتادة: أُحْكِمَتْ من الباطل[٢].

قال ابن عطية[٣]: «أُحْكِمَتْ»: أُتْقِنَتْ، شبه ما يُحْكَم من الأمور المتقَنةِ الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآنُ في الأول[٤]، ثم فصّل بتقطيعه وتبيينِ أحكامه وأوامرِه على محمدٍ ﷺ فـ«ثم» على بابها، وهذه طريقةُ الإحكام والتفصيل؛ إذ الإحكامُ صفةٌ ذاتيةٌ، والتفصيلُ إنما هو بحسَبِ مَن يُفَصَّلُ له، والكتابُ أجمعُه محكَمٌ مفصَّلٌ، والإحكامُ الذي هو ضدُّ النسخ، والتفصيلُ الذي هو خلافُ الإجمال، إنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراكٍ، وحكى الطبري عن بعض المتأوِّلين: «أُحْكِمَتْ» بالأمر والنهي، و«فُصِّلت» بالثواب والعقاب، وعن بعضهم: «أُحْكِمَتْ» من الباطل، و«فصلت» بالحلال والحرام، ونحو هذا من التخصيص الذي هو صحيح المعنى ولكنْ لا يقتضيه اللفظ، وقيل: «فصِّلت» معناه: فسِّرت[٥].

وقال الزمخشري[٦]: ثم فصِّلت كما تفصَّلُ القلائد بالفرائد[٧] من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جُعلت فصولًا سورةً سورةً وآيةً آيةً، أو فرِّقت في التنزيل ولم تنزل جملةً واحدةً، أو فصِّل فيها ما يحتاج إليه العباد، أي: بُيِّن ولُخِّص.

وقرأ عكرمةُ والضحَّاك والجَحْدريُّ وزيد بن عليٍّ وابنُ كثير في روايةٍ: «ثم

(١) ديوان جرير ١/ ٤٦٦، والكشاف ٢/ ٢٥٧. والحَكَمةُ: حديدة توضع على فم الدابة تمنعها من الجماح. حاشية الشهاب على البيضاوي ٥/ ٦٧.
(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٣١٠.
(٣) في المحرر ٣/ ١٤٨. وكلمة: عطية، تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: قتيبة.
(٤) كذا في النسخ، والذي في المحرر: الأزل.
(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٣٠٨-٣١٠، والمحرر ٣/ ١٤٨. وقد أخرج الطبري أول هذه الأقوال عن الحسن، والثاني عن قتادة ـ وقد سلفت قطعة منه ـ والثالث عن مجاهد.
(٦) في الكشاف ٢/ ٢٥٧.
(٧) في النسخ: بالدلائل، والمثبت من الكشاف، ومثله في روح المعاني ١١/ ٣٢٥ نقلاً عنه.

فَصَلَت» بفتحتين[١] خفيفةً على لزوم الفعل للآيات، قال صاحب «اللوامح»: يعني: انْفَصَلتْ وصَدَرَتْ.

وقال ابن عطية: فَصَلَت بين المحقِّ والمُبْطِلِ من الناس، أو نزلت إلى الناس كما تقول: فَصَلَ فلان بسفره[٢].

قال الزمخشري: وقُرئ: «أحكَمْتُ آياته ثم فصَّلْتُ» أي: أحكمتُها أنا ثم فصَّلْتُها. فإن قلتَ: ما معنى «ثم»؟ قلتُ: ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال، كما تقول: هي محكَمةٌ أحسنَ الإحكام ثم مفصَّلةٌ أحسنَ التفصيل، وفلانٌ كريم الأصل ثم كريمُ الفعل[٣]. انتهى، يعني أن «ثم» جاءت لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان.

واحتمل «من لَدُنْ» أن يكون في موضع الصفة، ومَن أجاز تَعدادَ الأخبار إذا لم تكن في معنًى خبرٍ واحدٍ أجاز أن يكون خبرًا بعد خبر، قال الزمخشري: وأن يكون صلةَ «أُحْكِمَتْ» و«فصِّلت»، أي: من عنده إحكامُها وتفصيلُها، وفيه طباقٌ حسنٌ؛ لأن المعنى: أحكمها حكيمٌ وفصَّلها، أي: بيَّنها وشَرَحها خبيرٌ بكيفيات الأمور[٤]. انتهى.

ولا يريدُ أنَّ «من لدُنْ» متعلِّقٌ بالفعلين معًا من حيث صناعةُ الإعراب، بل يريد أنَّ ذلك من باب الإعمال، فهي متعلقةٌ بهما من حيث المعنى.

«وأنْ لا تعبدوا» يحتمل أن يكون «أنْ» حرفَ تفسيرٍ؛ لأنَّ في تفصيل الآيات معنى القول، وهذا أظهرُ لأنه لا يحتاج إلى إضمارٍ.

وقيل: التقدير: لِأَنْ لا تعبدوا، أو: بأنْ لا تعبدوا، فيكون مفعولًا من أَجْله.

ووُصلت «أنْ» بالنهي، وقيل: «أنْ» نصبَتْ «لا تعبدوا» فالفعلُ خبرٌ منفيٌّ.

وقيل: «أنْ» هي المخففةُ من الثقيلة، وجملةُ النهي في موضع الخبر.

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٩، والمحتسب ١/ ٣٣٢، والمحرر ٣/ ١٤٩.
(٢) المحرر ٣/ ١٤٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٥٨.
(٤) المصدر السابق.

وفي هذه الأقوالِ العاملُ «فصلت»، وأمَّا مَن أعربه أنه بدلٌ من لفظ «آيات»، أو من موضعها[١]، أو التقدير: من النظر أن لا تعبدوا إلا الله، أو: في الكتاب أن لا تعبدوا، أو: هي أنْ لا تعبدوا، أو ضُمِّن أنْ لا تعبدوا، أو: تفصيلُه أنْ لا تعبدوا، فهو بمعزلٍ عن علم الإعراب.

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «منه» إلى الله، أي: إنِّي لكم نذيرٌ من جهته وبشيرٌ، فيكون في موضع الصفة فيُعَلَّق بمحذوفٍ، أي: كائنٌ من جهته[٢]، أو يُعَلَّق بـ«نذير»، أي: أُنذركم من عذابه إن كفرتُم، وأُبشِّرُكم بثوابه إن آمنتم.

وقيل: يعود على الكتاب، أي: نذيرٌ لكم من مخالفته وبشيرٌ منه لمن آمَنَ وعمل به. وقدِّم النذير لأن التخويف هو الأهم.

و«أن استغفروا» معطوفٌ على «أنْ لا تعبدوا» نهيٌ أو نفيٌ[٣]، أي: لا تعبدوا إلَّا الله [واستغفروا][٤]، وأَمَرَ بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة، وهما مَعْنَيَان متباينان؛ لأنَّ الاستغفار: طلبُ المغفرة وهي الستر، والمعنى أنه لا يبقى لها تَبِعةٌ، والتوبة: الانسلاخُ من المعاصي والندمُ على ما سَلَفَ منها والعزمُ على عدم العَوْد إليها.

ومَن قال: الاستغفارُ توبةٌ، جَعَلَ قولَه: «ثم توبوا» بمعنى: أَخْلِصوا التوبةَ واستقيموا عليها.

---

(١) يعني أنها في الأصل مفعول بها، فموضعُها نصبٌ. وهي مسألةُ خلافٍ: هل يجوز مراعاة أصل المفعول القائم مقام الفاعل، فيُتْبَعَ لفظه تارة وموضعه أخرى، أم لا؟ والمشهور مراعاة اللفظ فقط. الدر المصون ٦/ ٢٨١.

(٢) قوله: فيكون في موضع الصفة...، ليس بجيد؛ لأن الصفة إذا تقدَّمت على الموصوف ـ كما هنا ـ تعرب حالاً، فكان صوابه أن يقول: فيكون في موضع الحال، والتقدير: كائناً من جهته. وكأن المصنف رحمه الله يريد أنه صفة في الأصل لو تأخر، ولكن لمَّا تقدم صار حالاً. ينظر الدر المصون ٦/ ٢٨١.

(٣) وقال في النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ١٩٩: هذا أمر بالاستغفار يرجِّح أن يكون «أن لا تعبدوا» نهياً؛ نهى ثم أمر كقوله:

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيَّهم ... يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتَجمَّلِ

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وينظر التعليق السابق.

قال ابن عطية: و«ثم» مرتِّبةٌ؛ لأنَّ الكافر أولَ ما يُنيب فإنه في طلب مغفرةِ ربِّه، فإذا تاب وتجرَّد من الكفر تمَّ إيمانُه[١].

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى «ثم» في قوله: «ثم توبوا إليه»؟ قلت: معناه: استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة[٢].

وقرأ الحسن وابنُ هُرْمُز وزيد بن علي وابن مُحَيْصِنٍ: «يُمْتِعْكم» بالتخفيف من أَمْتَعَ[٣]، وانتصب «متاعًا» على أنه مصدرٌ جارٍ على غير الفعل، أو على أنه مفعولٌ به؛ لأنك تقول: متعتُ زيدًا ثوبًا.

والمتاعُ الحسنُ: الرِّضَى بالميسور والصبرُ على المقدور، أو: حُسْنُ العمل وقطعُ الأمل، أو: النعمةُ الكافيةُ مع الصحةِ والعافيةِ، أو: الحلالُ الذي لا طلب فيه ولا تعب، أو: لزومُ القناعة وتوفيقُ الطاعة. أقوال.

وقال الزمخشري: يطوِّل نفعَكم في الدنيا بمنافعَ حسنةٍ مَرْضيَّةٍ من عيشةٍ واسعةٍ، ونعمةٍ متتابعةٍ[٤].

قال ابن عطية: وقيل: هو فوائدُ الدنيا وزينتُها، وهذا ضعيفٌ لأنَّ الكفار يشاركون في ذلك أعظمَ مشاركةٍ، وربما زادوا على المسلمين في ذلك، قال: ووَصْفُ المتاع بالحسن إنما هو لطِيْبِ عيشِ المؤمن برجائه في الله عز وجل وفي ثوابه، وفرحِه بالتقرُّب إليه بمفترضاته، والسرورِ بمواعيده، والكافرُ ليس في شيءٍ من هذا[٥].

والأجلُ المسمَّى هو أجلُ الموت؛ قاله ابن عباس والحسن.

وقال ابن جُبَيرٍ: يومُ القيامة[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٤٩ عن ابن محيصن، وذكرها في القراءات الشاذة ص٥٩ عن مجاهد.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٥٨.
(٥) المحرر ٣/ ١٤٩.
(٦) القولان في زاد المسير ٤/ ٧٥، والأول أخرجه الطبري ١٢/ ٣١٣-٣١٤ عن مجاهد وقتادة.

والضمير في «فضله» يحتملُ أن يعود على الله تعالى، أي: يعطي في الآخرة كلَّ مَن كان له فضلٌ في عملِ الخير وزيادةٌ ما تفضَّل به تعالى عليه وزاده[1]، ويحتمل أن يعود على «كلّ»، أي: جزاءَ ذلك الفضل الذي عَمِله في الدنيا لا يُبْخَسُ منه شيءٌ، كما قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود: ١٥]، أي: جزاءَها، والدرجاتُ تتفاضلُ في الجنة بتفاضُلِ الطاعات.

وتقدَّم أمران بينهما تراخٍ، وترتَّبَ عليهما جوابان بينهما تراخٍ؛ ترتَّبَ على الاستغفار التمتيعُ المتاعَ الحسنَ في الدنيا، كما قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ الآية [نوح: ١٠-١١]، وترتَّب على التوبة إيتاءُ الفضل في الآخرة، وناسَبَ كلُّ جوابٍ لمَا وقع جواباً له؛ لأنَّ الاستغفار من الذنب أولُ حالِ الراجع إلى الله فناسَبَ أن يُرتَّب عليه حالُ الدنيا، والتوبةَ هي المُنْجيةُ من النار والتي تُدخل الجنة فناسَبَ أن يرتَّب عليها حالُ الآخرة.

والظاهر أن «تولَّوا» مضارعٌ حذف منه التاء، أي: وإن تتولوا، وقيل: هو ماضٍ للغائبينَ، والتقدير: فقل لهم: إني أخاف عليكم.

وقرأ اليماني وعيسى بن عمر: «وإنْ تُوَلُّوا» بضم التاء واللام وفتحِ الواو مضارع ولَّى[2]، والأُولى مضارعُ تَوَلَّى. وفي كتاب «اللوامح»: اليماني وعيسى البصرة: «وإن تُوُلُّوا» بثلاثِ ضمَّاتٍ مرتبًا للمفعول به[3]، وهو ضدُّ التبرُّؤ.

وقرأ الأعرج: «تُوْلُوا» بضم التاء واللام وسكون الواو[4] مضارع أَوْلَى.

ووُصف «يوم» بـ«كبير» وهو يومُ القيامة لمَا يقع فيه من الأهوال.

وقيل: هو يومُ بدرٍ وغيرُه من الأيام التي رُمُوا فيها بالخذلان والقتل والسبي والنهب. وأَبْعَدَ مَن ذهب إلى أن «كبير» صفةٌ لـ«عذاب»، وخُفض على الجوار.

---

(١) في النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ١٩٩: وزيادة.
(٢) القراءات الشاذة ص٥٩.
(٣) يعني مبنيًّا للمفعول من تولَّى بمعنى: نصر، وأصله: تُوُلِّيوا، على وزن: تُفُعِّلوا، ثم حذفت الياء وضمت اللام على حسب قواعد الإبدال، فصار: تُوُلُّوا. ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون ٦/ ٢٨٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٠ عن اليماني وعيسى بن عمر.

وباقي الآية تضمَّنت تهديدًا عظيمًا وصرَّحت بالبعث وذِكْرِ أنَّ قدرته عامةٌ لجميع ما يشاء، ومن ذلك البعثُ، فهو لا يُعْجِزُه ما شاء من عذابهم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ نزلت في الأَخْنَس بنِ شَرِيقٍ؛ كان يجالسُ رسولَ الله ﷺ ويحلفُ إنه ليُحِبُّه، ويُضْمِرُ خِلافَ ما يُظهِر؛ قاله ابنُ عباس[١].

وعنه أيضًا: في ناسٍ كانوا يَسْتَحْيون أن يُفْضوا إلى السماء في الخلاء ومُجامعةِ النساء[٢].

وقيل: في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ بالرسول ﷺ ثَنَى صدرَه وظهرَه، وطأطأ رأسَه، وغطَّى وجهَه كي لا يرى الرسولَ، قاله عبد الله بن شدَّاد[٣].

وقيل: في طائفةٍ قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأَرْخَيْنا سُتُورنا واستَغْشَينا ثيابَنا وثنَّينا صدورَنا على عداوته، كيف يعلم بنا؟ ذكَره الزجَّاج[٤].

وقيل: فعلوا ذلك ليَبْعُدَ عليهم صوتُ الرسول ﷺ ولا يدخلَ أسماعَهم القرآنُ؛ ذكره ابن الأنباريّ[٥].

و«يَثْنون» مضارعُ «ثَنَى» قراءةُ الجمهور، وقرأ سعيد بن جبير: «يُثْنُون» بضمِّ الياء مضارعُ أثنى «صدورَهم» بالنصب[٦]؛ قال صاحب «اللوامح»: ولا يُعْرَف الإثناء في هذا الباب إلَّا أن يراد به: وجدتُها مَثْنِيةً، مثل: أَحْمَدْتُه وأَمْجَدْتُه، ولعله فَتَح النون[٧]، وهذا ممَّا فُعِلَ بهم، فيكون نصب «صدورَهم» بنزع الجارِّ، ويجوزُ على

---

(١) زاد المسير ٤/ ٧٩ من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص٢٦٨ عن الكلبي.
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨١).
(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٧٨ - تفسير)، والطبري ١٢/ ٣١٧.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨.
(٥) زاد المسير ٤/ ٧٧، وعنه نقل المصنف ما سلف من أقوال، وأصحُّها ما ورد في الصحيح عن ابن عباس.
(٦) المحتسب ١/ ٣١٩، وقال ابن جني: وأحسبها وهماً.
(٧) يعني نون الفعل وليس النون التي هي علامة الرفع لأنها مفتوحة أصلاً، أي: «يُثْنَوْن».

ذلك أن يكون «صدورُهم» رفعًا على البدل بَدَلَ البعض من الكلّ.

وقال أبو البقاء[١]: ماضيه: أَثْنَى، ولا يُعرف في اللغة إلا أن يقال: معناه: عَرَّضوها للإثناء[٢]، كما يقال: أَبَعْتُ الفرسَ: إذا عَرَّضْتَه للبيع.

وقرأ ابنُ عباس، وعليُّ بنُ الحسين، وابناه زيدٌ ومحمدٌ، وابنُه جعفرٌ، ومجاهدٌ وابنُ يَعْمَرَ ونصر بنُ عاصم وعبد الرحمن بن أَبْزَى والجحدري وابنُ أبي إسحاق وأبو الأسود الدؤلي وأبو رَزِينٍ والضحَّاك: «تَثْنَوْني» بالتاء مضارع اثْنَوْنَى، على وزن: افْعَوْعَلَ، نحو: اعْشَوْشَبَ المكانُ، «صدورُهم» بالرفع بمعنى: تَنْطَوي صدورُهم.

وقرأ أيضًا ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ وابنُ يَعْمَرَ وابنُ أبي إسحاق «يَثْنَوْني» بالياء «صدورُهم» بالرفع، ذكّر على معنى الجمع دون الجماعة.

وقرأ ابن عباس أيضًا «لَيَثْنَوْنِ» بلام التأكيد في خبر «إنَّ» وحذفِ الياء تخفيفًا و«صدورُهم» رفعٌ.

وقرأ ابن عباس أيضًا وعروةُ وابنُ أبْزَى[٣] والأعشى: «تَثْنَونُّ» ووزنُه تَفْعَوْعِلُ من الثِّنِّ بُني منه «افْعَوْعَلَ»، وهو ما هشَّ وضَعُفَ من الكلأ، وأصله: تَثْنَوْنِنُ، يريد مطاوعةَ نفوسهم للشيء كما ينثني الهشُّ من النبات، أو أراد ضعفَ إيمانهم ومرضَ قلوبهم، و«صدورُهم» بالرفع.

وقرأ عروةُ ومجاهدٌ أيضًا كذلك إلا أنه همز فقرأ: «تَثْنَئِنُّ» مثل: تطمئنُّ، و«صدورُهم» رفعٌ، وهذه ممّا استُثْقِلَ فيه الكسر على الواو كما قيل: إشاحٌ. وقد قيل: إنَّ «تثنَئِنُّ» تَفْعَئِلُّ من الثِّنِّ المتقدِّم، مثل: تَحْمارُّ وتَصْفَارُّ، فحُرِّكت الألفُ لالتقائهما بالكسر فانقلبت همزة.

وقرأ الأعشى: «يَثْنَؤون» مثل: يَفْعَلون مهموز اللام «صدورَهم» بالنصب؛ قال

---

(١) في الإملاء ٢/ ٣٤-٣٥.

(٢) في (ح) و(ز١): للانثناء. ولم تجود في (يه)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في مطبوع الإملاء.

(٣) في النسخ: وابن أبي أبزى، والصواب المثبت.

صاحب «اللوامح»: ولا أعرف وجهَه؛ لأنه يقال: ثَنَيْتُ، ولم أسمع: ثَنَأْتُ، ويجوز أنه قلب الياء ألفًا على لغةِ مَن يقول: أَعْطَأْتُ، في: أعطيتُ، ثم همز على لغة من يقول: ولا الضأَلِّين.

وقرأ ابن عباس أيضًا: «تثنوي» بتقديم الثاء على النون وبغير نونٍ بعد الواو، على وزن: تَرْعَوي، قال أبو حاتم: وهذه القراءة غلطٌ لا تتَّجه. انتهى، وإنما قال ذلك لأنه لاحَظَ الواو في هذا الفعل، لا يقال: ثَنَوْتُه فانْثَوى، كما يقال: رَعَوْته ـ أي: كَفَفْتُه ـ فارْعَوى: فانْكَفَّ، ووزنه افْعَلَّ.

وقرأ نصر بنُ عاصم وابنُ يَعْمَرَ وابنُ أبي إسحاق: «تَثْنَونُّ» بتقديم النون على الثاء.

فهذه عشرُ قراءاتٍ في هذه الكلمة(١).

والضمير في «إنهم» عائدٌ على بعضِ مَن بحضرة الرسول ﷺ من الكفار، أي: يَطْوون صدورَهم على عداوته، قال الزمخشري: «يثنون صدورهم» يَزْوَرُّون عن الحقِّ وينحرفون عنه؛ لأن مَن أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومَن ازْوَرَّ عنه وانحرف ثَنَى عنه صدرَه وطَوَى عنه كَشْحَه، «ليستخفوا منه» يعني: ويريدون ليَسْتَخْفوا من الله فلا يُطْلِعُ رسولَه والمؤمنين على ازْوِرارهم، ونظيرُ إضمارِ «يريدون» لقَوْد المعنى إلى إضماره: الإضمارُ في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] معناه: فضَرَبَ فانْفَلَق، ومعنى «ألا حين يستغشون ثيابهم»: ويريدون الاستخفاءَ حين يستغشون ثيابَهم أيضًا كراهةً لاستماع كلام الله، كقول نوح عليه السلام: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧](٢). انتهى.

فالضميرُ في «منه» على قوله عائدٌ على الله، قال ابنُ عطية: وهذا هو الأفصحُ الأجزلُ في المعنى(٣). انتهى.

---

(١) ينظر أكثرها في القراءات الشاذة ص٥٩، والمحتسب ١/٣١٨-٣١٩، والمحرر الوجيز ٣/١٥٠-١٥١، والكشاف ٢/٢٥٩. وليس في المتواتر منها سوى قراءة: «يثنون»، وضبط ما لم يقيده المصنف من (ز١)، وهي نسخة مقروءة على المصنف.
(٢) الكشاف ٢/٢٥٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/١٥١.

ويظهرُ من بعض أسباب النزول أنه عائدٌ على الرسول ﷺ كما قال ابن عطية؛ قال: قيل: إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسولُ الله ﷺ تطامَنوا وثَنَوا صدورَهم كالمتستِّر، وردُّوا إليه ظهورهم، وغَشَّوا وجوهَهم بثيابهم، تباعُدًا منهم وكراهيةً للقائه، وهم يظنُّون أن ذلك يَخْفَى عليه أو عن الله تعالى، فنزلت الآية[١]. انتهى.

فعلى هذا يكونُ «ليستخفوا» متعلِّقًا بقوله: «يثنون»، وكذا قال الحَوْفي.

وقيل: هي استعارةٌ للغِلِّ والحقد الذي كانوا ينطوون عليه، كما تقول: فلان يَطْوي كَشْحَه على عداوته، ويَثْني صدرَه عليها، فمعنى الآية: ألا إنهم يُسِرُّون العداوةَ ويتكتَّمون لها لتَخْفَى في ظنهم عن الله عز وجل، وهو تعالى حين تَغَشِّيهِم بثيابهم وإبلاغهم في التستُّر يعلم ما يسرُّون. انتهى.

فعلى هذا يكونُ «حين» معمولًا لقوله «يعلم» ـ وكذا قاله الحوفي ـ لا للمضمَرِ الذي قدَّره الزمخشريُّ، وهو قوله: ويريدون الاستخفاءَ حين يستغشون ثيابهم.

وقال أبو البقاء: «ألا حين» العاملُ في الظرف محذوفٌ، أي: أَلَا حين يستغشون ثيابهم يستَخْفون، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ«يَعْلَم»[٢].

وقيل: كان بعضُهم يَنْحَني على بعضٍ ليُسارَّه في الطعن على المسلمين، وبلغ من جهلهم أنَّ ذلك يَخْفَى على الله تعالى[٣]. قال قتادة: أَخْفَى ما يكونُ إذا حَنَى ظهره واستَغْشَى ثوبه وأضمر في نفسه همَّه[٤].

وقال مجاهد: يطوونها على الكفر[٥].

وقال ابن عباس يُخْفون ما في صدورهم من الشحناء[٦].

---

(١) المحرر ٣/ ١٥٠.
(٢) الإملاء ٢/ ٣٥.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٢، وتفسير القرطبي ١١/ ٧١، والكلام منه.
(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٣١٩، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٨، والقرطبي ١١/ ٧١، ووقع في النسخ: همته، والمثبت من المصادر.
(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٥٧، وزاد المسير ٤/ ٧٧.
(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٣١٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٦٩.

وقال قتادة: يخفون ليسمعوا[(١)] كلام الله.

وقال ابن زيد: يكتمونها إذا ناجَى بعضُهم بعضًا في أمرِ الرسول ﷺ[(٢)].

وقيل: يثنونها حياءً من الله تعالى.

ومعنى «يستغشون» يجعلونها أَغْشِيَةً، ومنه قول الخنساء:

أَرْعَى النجومَ وما كُلِّفتُ رِعْيتَها وتارةً أتغشَّى فضلَ أطماري[(٣)]

وقيل: المراد بالثياب الليل، واستُعيرت له لمَا بينهما من العلاقة بالستر؛ لأن الليل يَستر كما تَسْتُر الثياب، ومنه قولهم: الليلُ أَخْفَى للويل.

وقرأ ابن عباس: «على حين يستغشون» قال ابن عطية: ومن هذا الاستعمال قول النابغة:

على حينَ عاتبْتُ المَشيبَ على الصِّبا وقلتُ ألمَّا أَصْحُ والشيبُ وازعُ[(٤)]

انتهى.

وقال ابن عباس: ما يسرُّون بقلوبهم، وما يعلنون بأفواههم[(٥)].

وقيل: ما يسرُّون بالليل وما يعلنون بالنهار[(٦)].

وقال: ابن الأنباري: معناه: أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مُظهَراتهم[(٧)].

وقال الزمخشري: يعني أنه لا تفاوتَ في عِلْمِه بين إسرارهم وإعلانهم،

---

(١) كذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا...، كما في تفسير الطبري ١٢/ ٣١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣١٠، وتفسير البغوي ٢/ ٣٧٣، وزاد المسير ٤/ ٧٧.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٣٢٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣١٠، وزاد المسير ٤/ ٧٧.

(٣) ديوان الخنساء ص٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٥١، والبيت في ديوان النابغة ص٧٩.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٥٨ دون نسبة.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٢٥٨ عن ابن عباس بلفظ: ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار.

(٧) زاد المسير ٤/ ٧٨.

فلا وجهَ لتوصُّلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء واللهُ مطَّلعٌ على ثَنْيِهم صدورَهم واستغشائهم ثيابَهم، ونفاقُهم غيرُ نافِقٍ عنده[1].

وقال صاحب «التحرير»: الذي يقتضيه سياقُ الآية أنه أراد بـ«ما يسرُّون»: ما انطَوَتْ عليه صدورُهم من الشِّرك والنفاق والغِلِّ والحسد والبغض للنبي ﷺ وأصحابِه؛ لأن ذلك كلَّه من أعمال القلوب، وأعمالُ القلوب خفيةٌ جدًّا، وأراد: بـ«ما يعلنون»: ما يُظهرونه من استدبارهم النبيَّ ﷺ، وتغشية ثيابهم، وسدِّ آذانهم، وهذه كلُّها أعمالٌ ظاهرةٌ لا تَخْفَى.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ الدابةُ هنا عامٌّ في كلِّ حيوانٍ يحتاج إلى رزقٍ، و«على الله» ظاهرٌ في الوجوب، وإنما هو تفضُّلٌ ولكنه لمَّا ضَمِنَ تعالى أن يتفضَّل به عليهم أبرزه في حيِّز الوجوب.

قال ابن عباس: مستقرُّها: حَيث تأوي إليه من الأرض، و«مستودَعُها»: الموضعُ الذي تموتُ فيه فتُدفَنُ.

وعنه أيضًا: مستقرُّها في الرَّحِمِ، ومستودعُها في الصُّلب.

وقال الربيع بن أنس: مستقرُّها في أيام حياتها، ومستودعُها حين تموتُ وحين تُبعثُ[2].

وقيل: مستقرُّها في الجنة أو في النار، ومستودعها في القبر. ويدلُّ عليه ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ و﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾. وقيل: [مستقرُّها][3] ما يستقِرُّ عليه عملُها، ومستودَعُها ما تصير إليه.

وقيل: المستقَرُّ ما حصل موجودًا من الحيوان، والمستودَعُ ما سيُوجَدُ بعد المستقر.

---

(١) الكشاف ٢/٢٥٩.
(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/٣٢٥-٣٢٧، والقول الأول أخرجه أيضاً عبد الرزاق ١/٣٠١-٣٠٢.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وقال الزمخشري: المستقرُّ: مكانُه من الأرضَ ومسكنه، والمستودَعُ حيث كان مودَعًا قبل الاستقرار من صُلبٍ أو رَحِمٍ أو بيضةٍ[(١)]. انتهى.

و«مستقَرّ» و«مستودَع» يحتمل أن يكونا مصدرين ويحتمل أن يكونا اسمَيْ مكانٍ، ويحتملُ «مستودع» أن يكون اسمَ مفعول لتعدِّي الفعل منه، ولا يحتمله «مستقر» لِلُزوم فِعْلِه.

«كل» أي: كلٌّ من الرزق والمستقرِّ والمستودَعِ في اللَّوح، يعني: وذِكْرُها مكتوبٌ فيه مبيَّنٌ.

وقيل: الكتابُ هنا مجازٌ، وهو إشارةٌ إلى علم الله. وحَمْلُه على الظاهر أَوْلَى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ لـمَّـا ذكر تعالى ما يدلُّ على كونه تعالى عالِمًا ذَكَر ما يدلُّ على كونه قادرًا، وتقدَّم تفسيرُ الجملة الأولى في سورة يونس[(٢)].

والظاهِرُ أنَّ قوله: «وكان عرشُه على الماء» تقديرُه: قبل خَلْقِ السماوات والأرض، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الماء والعرش كانا مخلوقين قبلُ، قال كعب: خلق الله ياقوتةً خضراءَ، فنظر إليها بالهيبة فصارت ماءً، ثم خلق الريحَ فجعل الماءَ على متنها، ثم وضع العرشَ على الماء[(٣)].

وروي عن ابن عباس أنه ـ وقد قيل له: على أيِّ شيءٍ كان الماء؟ ـ قال: كان على متن الريح[(٤)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٩.
(٢) الآية (٣) منها.
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٣١٢، وتفسير البغوي ٢/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٧٥. وهو من الإسرائيليات.
(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٣٣٣، والحاكم ٢/ ٣٤١، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٠٢).

والظاهرُ تعلُّق «ليبلوكم» بـ«خلق»؛ قال: الزمخشري: أي: خَلَقهنَّ لحكمةٍ بالغةٍ، وهي أنْ يَجْعَلها مساكنَ لعباده، ويُنعمَ عليهم فيها بفنون النعم، ويكلِّفَهم فِعْلَ الطاعاتِ واجتنابَ المعاصي، فمن شكر وأطاع أثابه، ومَن كفر وعَصَى عاقبه، ولمَّا أَشْبَهَ ذلك اختبارَ المختبِرِ قال: «ليبلوكم» يريد: لِيَفْعَلَ بكم ما يَفْعَلُ المُبْتَلِي لأحوالكم كيف تعملون.

فإن قلتَ: كيف جاز تعليقُ فعلِ البَلْوَى؟

قلتُ: لمَا في الاختبار من معنى العلم؛ لأنه طريقٌ إليه فهو ملابِسٌ له، كما تقول: انظر أيُّهم أحسنُ وجهًا، و: استمع أيُّهم أحسنُ صوتًا؛ لأنَّ النظرَ والاستماعَ من طُرق العلم[1]. انتهى.

وفي قوله: ومَن كفر وعَصَى عاقبه، دسيسةُ الاعتزال، وأمَّا قولُه: واستمع أيهم أحسنُ صوتًا، فلا أعلمُ أحدًا ذكر أن «استمع» تُعلَّق، وإنما ذكروا من غير أفعال القلوب «سَلْ» و«انظر»، وفي جواز تعليق «رأى» البَصَريةِ خلافٌ.

وقيل: «ليبلوكم» متعلقٌ بفعلٍ محذوف تقديره: أَعْلَمَ بذلك ليبلوكم. ومَقْصِدُ هذا التأويلِ: أن هذه المخلوقات لم تكن بسبب البشر.

وقيل: تقدير الفعل: وخلقكم لِيَبْلُوَكم.

وقيل: في الكلام جملٌ محذوفةٌ، التقدير: وكان خَلْقُه لهما لمنافعَ يعودُ عليكم نَفْعُها في الدنيا دون الأخرى وفَعَلَ ذلك ليبلوكم.

ومعنى «أيُّكم أحسنُ عملًا»: أهذا أحسنُ أم هذا؟ قال ابن بحر: رُوي عن النبيِّ ﷺ: «أيُّكم أحسنُ عقلًا، وأورعُ عن محارِمِ الله، وأسرعُ في طاعة الله». ولو صحَّ هذا التفسير عن الرسول ﷺ لم يُعْدَلْ عنه[2].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٩.

(٢) ولم يصح، فقد أخرجه داود بن المحبر في كتاب «العقل» ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ص٨٦ ـ ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٨٣١)، والطبري ١٢/ ٣٣٥، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٦، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: وداود ساقط. وأخرجه ابن مردويه من طريق آخر عن كليب به، وإسناده أسقط من الأول كما قال الحافظ.

وقال الحسن: أَزْهَدُ في الله.

وقال مقاتل: أَتْقَى لِلَّه.

وقال الضحاك: أكثرُكم شكرًا[١].

قال الزمخشري[٢]: فإن قلتَ: فكيف قيل: «أيُّكم أحسنُ عملًا» وأعمالُ المؤمنين هي التي تتفاوتُ إلى حسنٍ وأحسنَ، فأمَّا أعمالُ المؤمنين والكافرين فتفاوُتُهما إلى حسنٍ وقبيحٍ؟

قلتُ: الذين هم أحسنُ عملًا هم المتَّقون، وهم الذين اسْتَبَقوا إلى تحصيلِ ما هو غرضُ الله من عباده، فخصَّهم بالذِّكر واطَّرحَ ذكر مَن وراءهم، تشريفًا لهم وتنبيهًا على مكانهم منه؛ وليكون ذلك لطفًا[٣] للسامعين، وترغيبًا في حيازة فضلهم. انتهى.

«ولئن قلتَ» خطابٌ للرسول ﷺ، وقرأ عيسى الثقفي: «ولئن قلتُ» بضم التاء إخبارًا عنه تعالى[٤].

والمعنى: ولئن قلتَ مستدلًّا على البعث من بعد الموت؛ إذ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ دلالةً على القُدرة العظيمة، فمتى أَخْبرَ بوقوعِ ممكنٍ وَقَعَ لا محالةَ، وقد أخبر بالبعث فوَجَبَ قبولُه وتيقُّن وقوعه.

وقرئ: «أنكم» بفتح الهمزة؛ قال الزمخشري: ووَجْهُه أن يكون من قولهم: ائت السوقَ أنك تشتري لحمًا، بمعنى: علَّك، أي: ولئن قلتَ لهم: لعلكم مبعوثون، بمعنى: تَوقَّعوا بَعْثَكم وظُنُّوه لا تَبُتُّوا القول بإنكاره لقالوا، ويجوز أن يضمَّن «قلتَ» معنى: ذكرتَ[٥]. انتهى، يعني فتُفْتَح الهمزةُ لأنها في موضع مفعولٍ: ذكرتَ.

والظاهر الإشارة بـ«هذا» إلى القول، أي: إنْ قولُك: إنكم مبعوثون، إلا سحرٌ،

(١) تنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٤/ ٤٥٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣١٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٠.
(٣) في النسخ عدا (يه): تيقظاً، والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في الكشاف.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٢.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٦٠، والقراءة ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٩.

أي: بُطلانُ هذا القولِ كبُطلان السِّحر، ويحتمل أن يكون إشارةً إلى ما دلَّت عليه الجملةُ من البعث، أي: إن البعثُ.

وقيل: أشاروا بـ«هذا» إلى القرآن، وهو الناطقُ بالبعث، فإذا جعلوا سِحْرًا فقد اندرج تحته إنكارُ ما فيه من البعث وغيرِه.

قال ابن عطية: كَذَّبوا وقالوا: هذا سحرٌ، فهذا تناقضٌ منهم إذ كان كلٌّ[(١)] مفطورٍ يُقِرُّ بأنَّ الله فاطرُ السماوات والأرض، فهو[(٢)] من جملة المقرِّين بهذا، وهم مع ذلك ينكرون ما هو أيسرُ منه بكثيرٍ، وهو البعثُ من القبور؛ إذ البَداءةُ أعسرُ من الإعادة، وإذ خَلْقُ السماوات والأرض أكبرُ من خَلْقِ الناس. انتهى.

وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة وفرقةٌ من السبعة: «سِحْرٌ»، وقرأت فرقة: «ساحِرٌ»[(٣)]، يريدون: والساحرُ كاذبٌ مُبْطِلٌ.

«ولئن أخَّرنا» حَكَى تعالى نوعًا آخَرَ من أباطيلهم واستهزائهم، والعذابُ هنا عذابُ القيامة، وقيل: عذابُ يوم بدرٍ. وعن ابن عباس: قَتْلُ جبريلَ المستهزئين[(٤)]. والظاهرُ: العذابُ الموعودُ به.

والأمَّةُ هنا: المدةُ من الزمان؛ قاله ابن عباس وقتادةُ ومجاهدٌ والجمهورُ[(٥)]، ومعناه: إلى حينٍ ووقتٍ معلومٍ. «ما يحبِسُه» استفهامٌ قالوه وهو على سبيل التكذيب والاستهزاء.

قال الطبريُّ[(٦)]: سُمِّيت المدةُ أمَّةً لأنها تَمْضي[(٧)] فيها أمَّةٌ من الناس وتحدثُ

---

(١) كلمة: كل، من (ح)، ووقع في باقي النسخ: إن كان، وسقطت منها كلمة: كل، وجاء في المحرر ٣/ ١٥٢: إذ كل، ليس فيه كلمة: كان.

(٢) في المحرر: فهم.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٣. وقراءة «ساحر» في السبعة ص٢٤٩، والتيسير ص١٠١ عن حمزة والكسائي.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ١١/ ٧٨، و١٢/ ٢٦٢.

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٣٣٧-٣٣٨، وتفسير القرطبي ١١/ ٧٧.

(٦) في تفسيره ١٢/ ٣٣٦ بنحوه، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر ٣/ ١٥٣.

(٧) في (ز١): تقضى، وفي باقي النسخ: يقضى، والمثبت في المحرر، ولم ترد الكلمة في تفسير الطبري.

أخرى، فهي على هذا: المدةُ الطويلة. ثم استَفْتَح الإخبار بأنه يومٌ لا يردُّه شيءٌ ولا يَصْرِفُه.

والظاهر أنَّ «يوم» منصوبٌ بقوله: «مصروفًا» فهو معمولٌ لخبرِ «ليس»، وقد استُدلَّ به على جواز تقديم خبر «ليس» عليها، قالوا: لأنَّ تقدُّم المعمول يُؤْذِنُ بتقدُّم العامل. ونُسب هذا المذهب لسيبويه[1]، وعليه أكثرُ البَصْريِّين، وذهب الكوفيون والمبرِّد إلى أنه لا يجوزُ ذلك[2]، وقالوا: لا يدلُّ جوازُ تقدُّم المعمول على جوازِ تقدُّم العامل، وأيضًا فإنَّ الظرفَ والمجرورَ يُتَّسَعُ فيهما ما لا يُتَّسع في غيرهما، ويقعان حيث لا يقعُ العاملُ فيهما، نحو: إن اليومَ زيدًا مسافرٌ.

وقد تتبَّعتُ جملةً من دواوين العرب فلم أَظْفَرْ بتقدم خبر «ليس» عليها ولا بمعموله، إلا ما دلَّ عليه ظاهرُ هذه الآية، وقولُ الشاعر:

فيَأْبَى فما يزدادُ إلا لَجاجةً ... وكنتُ أَبيًّا في الخَنا لستُ أُقْدِمُ[3]

وتقدَّم تفسيرُ جملة «وحاق بهم»[4].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(١) نسبه إليه جمع؛ منهم ابن جني في الخصائص ١/ ١٨٨، والشلوبين في شرح الجزولية ص٧٧٣، وابن يعيش في شرح المفصل ٧/ ١١٤، وابن مالك في شرح التسهيل ١/ ٣٦٨، وابن عصفور كما في التذييل ٤/ ١٧٩، قال (يعني ابن عصفور): لأنه (يعني سيبويه في الكتاب ١/ ١٠٢) أجاز في الاشتغال: أزيداً لستَ مثله؟ بنصب «زيد» بفعلٍ يفسِّره «ليس»، ولا يفسِّر في الاشتغال إلا ما يصح له العمل. اهـ. قال أبو حيان: اختلف في ذلك على سيبويه، فنسب بعضهم إليه الجواز، وبعضهم قال: ليس في كلامه ما يدل على ذلك. اهـ. ولعله يشير إلى ما قاله ابن الأنباري في الإنصاف ١/ ١٦٠، قال: الصحيح أنه ليس له في ذلك نص.

(٢) وعزاه إلى المبرد أيضاً ابن جني في الخصائص ١/ ١٨٨، وابن الأنباري في الإنصاف ١/ ١٦٠، وابن يعيش في شرح المفصل ٧/ ١١٤، وابن مالك في شرح التسهيل ١/ ٣٦٨، وينظر تفصيل المسألة في التذييل ٤/ ١٧٨، وغيره من المصادر المذكورة.

(٣) ذكره المصنف في التذييل ٤/ ١٨٠، ولم أقف عليه عند غيره.

(٤) عند تفسير الآية (١٠) من سورة الأنعام.

صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ لـمَّا ذكر تعالى عذابَ الكفار وإنْ تأخَّر لا بدَّ أن يَحيق بهم ذَكَر ما يدلُّ على كفرهم وكونهم مستحقِّين العذاب لِمَا جُبِلوا عليه من كفرِ نعماءِ الله وما يترتَّبُ على إحسانه تعالى إليهم ممَّا لا يليقُ بهم من فخرهم على عباد الله.

والظاهرُ أنَّ «الإنسان» هنا هو جنسٌ والمعنى: إن هذا الخُلُق في سجايا الناس، ثم استثنى منهم الذين ردَّتهم الشرائعُ والإيمان إلى الصبر والعملِ الصالح، ولذلك جاء الاستثناءُ منه في قوله: «إلا الذين صبروا» متصلًا.

وقيل: المرادُ بـ«الإنسان» هنا: الكافرُ.

وقيل: المرادُ به إنسانٌ معيَّن؛ فقال ابن عباس: هو الوليد بن المغيرة، وفيه نزلت. وقيل: عبدُ الله بن [أبي] أمية المخزومي. وذكره الواحديُّ[(١)].

وعلى هذين القولين يكون استثناءً منقطعًا. ومعنى «رحمةً»: نعمة من صحةٍ وأمْنٍ وجِدَةٍ «ثم نزعناها»، أي: سلَبناها منه. و«يؤوسٌ كفور» صفتا مبالَغةٍ، والمعنى: إنه شديدُ اليأس كثيرُه، ييأس أن يعود إليه مِثْلُ تلك النعمةِ المسلوبةِ، ويَقطعُ رجاءه من فضل الله من غير صبرٍ ولا تسليمٍ لقضائه، كفورٌ كثيرُ الكفران لمَا سلف لله عليه من نعمِه.

ذكر حالة الإنسان إذ بُدئ بالنعمة ولم يَسْبِقه الضر، ثم ذكر حالَه إذا جاءته النعمةُ بعد الضرِّ.

ومعنى «ذهب السيئات»، أي: المصائب التي تَسُوءُني، وقوله هذا يقتضي بطرًا وجهلًا؛ لأنَّ ذلك بإنعامٍ من الله، وهو يعتقدُ أنَّ ذلك اتِّفاقٌ أو بسَعْدٍ، وهو اعتقادٌ فاسدٌ.

«إنه لفَرِحٌ» أشِرٌ بَطِرٌ، وهذا الفرحُ مطلقٌ، فلذلك ذُم المتَّصفُ به، ولم يأتِ في القرآن للمدح إلا مقيَّدًا بما فيه خيرٌ، كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

---

(١) في الوسيط ٢/ ٥٦٦، والكلام من زاد المسير ٤/ ٩٠، وعبد الله بن أبي أمية هو أخو أم المؤمنين أمِّ سلمة، كان شديدًا على المسلمين قبل إسلامه، ثم أسلم فكانت له صحبة. الإصابة ٥/ ١١. وما سلف بين حاصرتين من المصادر.

وقرأ الجمهور: «الفَرِحٌ» بكسر الراء، وهي قياسُ اسم الفاعل من «فَعِلَ» اللازمِ. وقرأت فرقةٌ: «الفَرُح» بضم الراء[١]، وهي كما تقول: نَدُسٌ ونَطُسٌ.

وفخرُه هو تَعاظُمُه على الناس بما أصابه من النَّعماء، واستَثْنَى تعالى الصابرين، يعني: على الضرَّاء وعاملي الصالحات، ومنها الشكرُ على النَّعماء، «أولئك لهم مغفرة» لذنوبهم، يقتضي زوالَ العقاب والخلاصَ منه، «وأجرٌ كبير» هو الجنةُ، فيقتضي الفوزَ بالثواب.

ووصف الأجر بقوله: «كبير» لـمَا احْتَوى عليه من النعيم السَّرْمَديِّ، ورَفْعِ التكاليف، والأمْن من العذاب، ورضا الله عنهم، والنظرِ إلى وجهه الكريم.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ قال الزمخشري: كانوا يقترحون عليه آياتٍ تعنُّتًا لا استرشاداً؛ لأنهم لو كانوا مُسْتَرْشِدين لكانت آيةٌ واحدةٌ ممَّا جاء به كافيةً في رشادهم، ومن اقتراحاتهم: «لولا أُنزِلَ عليه كنزٌ أو جاء معه مَلَكٌ»، وكانوا لا يعتدُّون بالقرآن، ويتهاونون به وبغيره ممَّا جاء به من البيِّنات، فكان يضيقُ صدرُ رسول الله ﷺ أنْ يُلْقيَ إليهم ما لا يَقْبلونه ويضحكون منه، فحرَّك الله منه وهيَّجه لأداء الرسالة وطَرْحِ المبالاةِ بردِّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: «فلعلك تاركٌ بعضَ ما يُوحَى إليك»، أي: لعلك تتركُ أن تُلْقِيَه إليهم وتبلِّغَه إياهم مخافةَ ردِّهم وتَهاوُنهم به، «وضائقٌ به صدرُك» بأنْ تتلُوَه عليهم، «أن يقولوا»: مخافةَ أن يقولوا: «لولا أُنزل عليه كنزٌ» هلَّا أُنزل عليه ما اقتَرَحْنا نحن من الكَنْز والملائكةِ ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحُه، ثم قال: «إنما أنت نذيرٌ»، أي: ليس عليك إلا أن تُنْذِرَهم بما أُوحي إليك، وتبلِّغهم ما أُمِرْتَ بتبليغه، ولا عليك رَدُّوا، أو تَهاوَنوا، أو اقترحوا، «والله على كلِّ شيءٍ وكيل» يحفظُ ما يقولون، وهو فاعلٌ بهم ما يجبُ أن يفعل، فتوكَّلْ عليه وكِلْ أمرَك إليه[٢].

(١) القراءات الشاذة ص٥٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٠-٢٦١.

وقال ابن عطية[١]: سببُ نزولِ هذه الآية: أنَّ كفار قريشٍ قالوا: يا محمدُ، لو تركتَ سبَّ آلهتِنا وتسفيهَ آبائنا لجالسناك واتَّبعناك. وقالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس: ١٥] ونحوَ هذا من الأقوال، فخاطبَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ على هذه الصورة من المخاطَبة، وَقَفَه[٢] بها توقيفًا رادّاً على أقوالهم ومُبْطِلًا لها، وليس المعنى أنه عليه السلام همَّ بشيءٍ من ذلك ثم خرج[٣] عنه، فإنه لم يَرِدْ قطُّ تركُ شيءٍ ممَّا أُوحي إليه، ولا ضاق صدرُه به، وإنما كان يضيقُ صدرُه بأقوالهم وأفعالهم وبُعدِهم عن الإيمان، و«لعلك» هاهنا بمعنى التوقيفِ والتقريرِ، وما يُوحَى إليه هو القرآنُ والشريعةُ والدعاءُ إلى الله، كان في ذلك سبُّ آلهتهم وتسفيهُ آبائهم أو غيرُه، ويحتملُ أن يكون النبيُّ ﷺ قد عَظُمَ عليه ما يَلْقَى من الشدَّة فمال إلى أن يكون من الله إذنٌ في مُساهلة الكفار بعضَ المُساهَلة، ونحو هذا من الاعتقادات التي تليقُ به ﷺ كما جاءت آياتُ المُوادَعة، وعبَّر بـ«ضائق» دون: ضَيِّق؛ للمناسبة في اللفظ مع «تارك»، وإن كان «ضيِّق» أكثرَ استعمالًا؛ لأنه وصفٌ لازِمٌ و«ضائق» وصفٌ عارض.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: لمَ عَدَلَ عن «ضيِّقٌ» إلى «ضائق»؟

قلتُ: ليَدُلَّ على أنه ضِيْقٌ عارِضٌ غيرَ ثابتٍ؛ لأنَّ رسول الله ﷺ كان أَفْسَحَ الناس صَدْرًا، ومِثْلُه قولُك: سيدٌ، وجوادٌ، تريدُ السيادةَ والجُودَ الثابتَيْنِ المستقرَّينِ، فإذا أردتَ الحدوثَ قلت: سائدٌ وجائد[٤]. انتهى.

وليس هذا الحُكْم مختصّاً بهذه الألفاظ، بل كلُّ ما يُبْنَى من الثلاثيِّ للثبوت والاستقرار على غيرِ وزنِ فاعلٍ رُدَّ إليه إذا أُريد معنى الحدوث، فنقول: حاسِنٌ من حَسُنَ، وثاقلٌ من ثَقُلَ، وفارحٌ من فَرِحَ، وسامِنٌ من سَمِنَ. وقال بعض اللصوص يصفُ السِّجن ومَن سُجِنَ فيه:

بمنزلةٍ أمَّا اللئيمُ فسامِنٌ     بها وكرامُ الناس بادٍ شُحوبُها[٥]

---

(١) في المحرر ٣/ ١٥٤.
(٢) في مطبوع المحرر: ووقفه.
(٣) في مطبوع المحرر: فزجر، بدل: ثم خرج.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦١.
(٥) المصدر السابق.

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «به» على «بعض»، وقيل: على «ما». وقيل: على التبليغ. وقيل: على التكذيب.

قيل: و«لعل» هنا للاستفهام بمنزلة[١] «هل»، والمعنى: هل أنت تاركٌ ما فيه تسفيهُ أحلامهم وسبُّ آلهتهم كما سألوك.

وقدَّروا: كراهةَ أن يقولوا، و: لئلَّا يقولوا، و: بأنْ يقولوا، ثلاثةُ أقوالٍ.

والكنز: المالُ الكثير، وقالوا: «أُنزل»، ولم يقولوا: أُعْطيَ؛ لأنَّ مرادهم التعجيزُ، وأنهم التمسوا أن يُنْزَلَ عليه من السماء كنزٌ على خلافِ العادة، فإنَّ الكنوز إنما تكون في الأرض، وطلبُهم آيةً تَضْطَرُّ إلى الإيمان، واللهُ عز وجل لم يبعث الأنبياء بآياتِ اضطرارٍ، إنما بَعَثَهم بآياتِ النظر والاستدلال، ولم يَجْعَلْ آيةَ الاضطرار إلا للأمة التي أراد تعذيبها لكفرها بعد آيةِ الاستدلال، كالناقة لثمود.

وآنَسَهُ تعالى بقوله: «إنما أنت نذير»، أي: الذي فُوِّض إليك هو النِّذارةُ لا تحصيلُ هدايتهم، فإنَّ ذلك إنما هو لله تعالى.

وقال مقاتل: «وكيل»: كافلٌ بالمصالح قادرٌ عليها. وقال ابن عطية: المُحْصي لإيمان مَن شاء وكُفْرِ مَن شاء[٢].

قيل: وهذه الآيةُ منسوخةٌ.

وقيل: مُحْكَمة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ الظاهر أنَّ «أم» منقطعةٌ تتقدَّرُ بـ«بل» والهمزة، أي: أيقولون افتراه، وقال ابن القشيري[٣]: «أم» استفهامٌ توسَّطَ الكلامَ، على معنى: أيكتفون بما أوحيتُ إليك من القرآن أم يقولون: إنه ليس من عند الله، فإن قالوا:

---

(١) في (د١) والمطبوع: بمعنى، بدل: بمنزلة.
(٢) المحرر ٣/ ١٥٥، وجاء في مطبوعه: الممضي، بدل: المحصي، والمعنى واحد.
(٣) هو العلامةُ المفسرُ النحويُّ أبو نصر عبدُ الرحيم ابنُ الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخِ الصوفية صاحبِ «الرسالة القشيرية». السير ١٩/ ٤٢٤.

إنه ليس من عند الله، فليأتوا بمثله. انتهى، فجعل «أم» متصلةً، والظاهرُ الانقطاع كما قلنا.

والضمير في «افتراه» عائدٌ على قوله: «ما يُوْحَى إليك»، وهو القرآن.

ومناسبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها: أنه لا تتعلَّقُ أطماعُهم بأن يتركَ بعضَ ما يُوْحَى إليه إلَّا لدعواهم أنه ليس من عند الله، وأنه هو الذي افتراه، وإنما تحدَّاهم أولًا بعشر سورٍ مفترياتٍ قبل تحدِّيهم بسورةٍ؛ إذ كانت هذه السورةُ مكيةً، والبقرةُ مدنيةٌ[1]، وسورةُ يونس أيضاً مكيةٌ، ويقتضي التحدِّي بعشرٍ أن يكون قبلَ طلب المعارَضة بسورةٍ، فلما نَسَبوه إلى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشرِ سورٍ مثله مفترياتٍ إرخاءً لعِنانهم، وكأنه يقول: هَبُوا أنِّي اختَلَقْتُه ولم يُوْحَ إليَّ فأتوا أنتم بكلام مِثْلِه مختلَقٍ من عند أنفسكم فأنتم عربٌ فصحاءُ مِثْلي لا تَعْجِزون عن مثلِ ما أَقْدِرُ عليه من الكلام، وإنما عَنَى بقوله: «مثله»: في حُسْنِ النَّظْم والبيان وإن كان مفترًى[2].

وشأنُ مَن يريدُ تعجيزَ شخصٍ أن يطالبه أولًا بأنْ يفعلَ أمثالًا ممَّا يفعلُ هو، ثم إذا تَبَيَّنَ عجزُه قال له: افعل مِثْلًا واحدًا.

و«مِثْل» يوصَفُ به المفرد والمثنَّى والمجموع، كما قال تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وتجوزُ المطابقةُ في التثنية والجمع، كقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]. وإذا أُفردَ وهو تابعٌ لمثنًى أو مجموعٍ فهو بتقدير المثنَّى والمجموع، أي: مِثْلَيْنِ وأَمْثال، والمعنى هنا: بعشر سورٍ أمثالِه، ذهاباً إلى مماثلة كلِّ سورةٍ منها له.

وقال ابنُ عطية: وقع التحدِّي في هذه الآية بعشرٍ لأنه قيَّدها بالافتراء، فوسَّع عليهم في القَدْر لتقومَ الحجةُ غايةَ القيام، إذ قد عجَّزَهم في غير هذه الآية بسورةٍ مِثْلِه دون تقييدٍ، فهي مماثَلةٌ تامَّةٌ في غيوب القرآن ونَظْمِه ووَعْده وَوَعِيده، وعُجِّزوا

(١) يريد قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

(٢) قوله: وإنما عنى... إلخ، هو جواب لسؤال سائل: كيف يكون ما يأتون به مِثْلَه، وما يأتون به مفترًى وهذا غير مفترًى؟ ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٦١، وأجاب بقوله: معناه: مثله في حسن البيان والنظم وإن كان مفترًى.

في هذه الآية بأنْ قيل لهم: عارِضوا القَدْرَ منه بعشرِ أمثاله في التقدير والغَرَضُ واحدٌ، واجْعَلوا مفترًى لا يبقَى لكم إلَّا نظمُه، فهذه غايةُ التَّوْسِعة، وليس المعنى: عارِضوا عشرَ سورٍ بعشرٍ؛ لأنَّ هذه إنما كانت تجيءُ معارَضةَ سورةٍ بسورةٍ مفتراةٍ، ولا يُبالَى عن تقديم نزولِ هذه على هذه، ويؤيِّد هذا النظرَ أنَّ التكليف في آية «البقرة» إنما هو بسبب الرَّيْب، ولا يزيلُ الرَّيْبَ إلا العلمُ بأنَّهم لا يقدرون على المماثَلةِ التامة، وفي هذه الآية إنما التكليفُ بسبب قولهم: «افتراه»، فكُلِّفوا نحوَ ما قالوا، ولا يطَّردُ هذا في آية «يونس»، وقال بعض الناس: هذه مقدَّمةٌ في النزول على تلك، ولا يصحُّ أن [يعجزوا في واحدةٍ فيُكَلَّفوا عشرًا والتكليفان سواءٌ، ولا يصح أن] تكون السورةُ الواحدةُ إلا مفتراةً، وآيةُ سورة يونسَ في تكليفِ سورةٍ مرتَّبةٌ على قولهم: «افتراه»، وكذلك آيةُ «البقرة» إنما رَيْبُهم بأنَّ القرآنَ مفترًى. وقائلُ هذا القولِ لم يَلْحَظِ الفرقَ بين التكليفين في كمال المماثَلة مرةً ووقوفِها على النظم مرةً[(١)]. انتهى.

والظاهرُ أن قوله: «مِثْله» لا يرادُ به المِثْليةُ في كون المعارِضِ عشرَ سورٍ، بل «مثله» يدلُّ على مماثلةٍ في مقدارٍ مّا من القرآن.

ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنَّ السور التي وقع بها طلبُ المعارَضةِ لها هي معيَّنةٌ: «البقرةُ» و«آل عمران» و«النساء» و«المائدة» و«الأنعام» و«الأعراف» و«الأنفال» و«التوبة» و«يونس» و«هود»[(٢)]. فقوله: «مثله»، أي: مثل هذه عَشْرِ السُّور. وهذه السورُ أكثرُها مدنيٌّ، فكيف تصحُّ الحوالةُ بمكة على ما ينزل بعدُ؟ ولعل هذا لا يصحُّ عن ابن عباس.

والضميرُ في «فإنْ لم يستجيبوا» عائدٌ على مَن طُلب منهم المعارضةُ، و«لكم» الضميرُ خطابُ جمعٍ يشملُ الرسولَ والمؤمنين، وجوّز أن يكون خطابًا للرسول ﷺ على سبيل التعظيم، كما جاء: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [القصص: ٥٠] قاله مجاهدٌ[(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٥، وما بين حاصرتين منه.

(٢) تفسير الرازي ١٧/ ١٩٤-١٩٥.

(٣) لم أقف عليه عن مجاهد، وهو وجه جوَّزه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٦١، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٨٣ للمفسرين.

وقيل: ضمير «يستجيبوا» عائدٌ على المدعوِّين، و«لكم» خطابٌ للمأمورين بدعاء مَن استطاعوا؛ قاله الضحاك[١]، أي: فإن لم يستجِبْ مَن تدعونه إلى المعارَضة فأَذْعِنوا حينئذٍ واعْلَموا أنه من عند الله[٢]، وأنه أُنزل مُلْتَبِسًا بما لا يَعْلَمُه إلَّا الله: من نَظْمٍ مُعْجِزٍ للخَلْق، وإخبارٍ بغيوبٍ لا سبيلَ لهم إليه، واعلموا عند ذلك أنه لا إلهَ إلَّا هو، وأنَّ توحيده واجبٌ «فهل أنتم مسلمون» أي: تابعون للإسلام[٣] بعد ظهورِ هذه الحجَّة القاطعة.

وعلى أنَّ الخطابَ للمؤمنين معنى «فاعلموا»، أي: دُوموا على العلم، وازدادوا يقينًا وثباتَ قدمٍ أنه من عند الله، ومعنى «فهل أنتم مسلمون»، أي: مُخْلِصُو الإسلام.

وقال مقاتل: «بعلم الله»: بإذن الله. وقال الكلبي: بأمره. وقال القُتَبيُّ: من عند الله[٤].

والذي يظهرُ أنَّ الضمير في «فإنْ لم يستجيبوا» عائدٌ على «مَن استطعتُم»، وفي «لكم» عائدٌ على الكفار؛ لعَوْد الضمير على أقرب مذكورٍ، ولكون الخطاب يكونُ لواحدٍ، ولترتُّبِ الجواب على الشرط ترتُّبًا حقيقيًّا من الأمر بالعلم ولا يُتَجوَّزُ بأنه أراد به: فدُوموا على العلم[٥] بأنه لا إله إلا هو، ولأنْ يكون قولُه: «فهل أنتم مسلمون» تحريضًا على تحصيل الإسلام، لا أنه يُراد به الإخلاصُ، ولمَّا طُولبوا بالمعارضة، وأُمروا بأنْ يدعوا مَن يساعدُهم على تمكُّن المعارضة، ولا استجابَ

---

(١) لم أقف عليه عن الضحاك، وأجازه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٦٢، وابن عطية في المحرر ٣/ ١٥٥، وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) قوله: فإن لم يستجب من تدعونه... إلخ، هذه عبارة المحرر، وعبارة الكشاف أوضح، وهي: فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله. اهـ. وما سيرد لاحقاً عند المصنف هو تتمة لكلام الزمخشري الذي أوردناه.

(٣) في الكشاف: مبايعون بالإسلام.

(٤) في تأويل مشكل القرآن ص٤٣١: من علم الله. ذكره دليلاً على مجيء الباء بمعنى «من».

(٥) في النسخ: فدوموا على العلم ودوموا على العلم، والمثبت من النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ٢٠٧.

أصنامُهم ولا آلهتُهم لهم، أُمروا بأنْ يعلموا أنه من عند الله، وليس مفترًى فتُمْكِنَ معارضتُه، وأنه تعالى هو المختصُّ بالألوهية لا يَشْرَكُه في شيءٍ منها آلهتُهم وأصنامُهم، فلا يمكن أن يُجيبوا لظهور عجزهم، وأنها لا تنفعُ ولا تضرُّ في شيءٍ من المطالب.

وقرأ زيد بن علي: «أنما نَزَّلَ» بفتح النون والزاي وتشديدِها، واحْتَملَ أن تكون «ما» مصدريةً، أي: أن التنزيلَ، واحْتَملَ أن تكون بمعنى الذي، أي: أنَّ الذي نزَّله، وحُذف الضمير المنصوبُ لوجود جواز الحذف.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ مناسبةُ هذه الآيةِ لمَا قبلها: أنه تعالى لمَّا ذكر شيئًا من أحوال الكفار المناقِضين في القرآن، ذكر شيئًا من أحوالهم الدنيويةِ وما يَؤُولون إليه في الآخرة، وظاهرُ «مَن» العمومُ في كلِّ مَن يريد زينةَ الحياة الدنيا، والجزاءُ مقرونٌ بمشيئته تعالى كما بيَّن ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ الآية [الإسراء: ١٨].

وقال مجاهد: هي في الكَفَرة وفي أهل الرياء من المؤمنين(١). وإلى هذا ذهب معاويةُ حين حُدِّث بقول رسول الله ﷺ في المُرائين، فتلا هذه الآية(٢).

وقال أنس: هي في اليهود والنصارى(٣).

قال ابن عطية: ومعنى هذا أنهم يدخلون في هذه الآية، لا أنها ليست في غيرهم(٤).

وقيل: في المنافقين الذين جاهدوا مع الرسول فأَسْهَمَ لهم.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٦، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٣٤٨ و٣٥٠ دون ذكر الكفرة.
(٢) أخرجه مطولاً الترمذي (٢٣٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، وقوله: بقول رسول الله ﷺ في المرائين، يريد به الحديث المشهور في المرائي المتصدِّق والمجاهد والقائم بالقرآن أنهم أول مَن تسعَّر بهم النار يوم القيامة، وهو من حديث أبي هريرة ﷺ، وقد ورد ضمن الخبر المذكور، وأصله عند مسلم (١٩٠٥) دون قصة معاوية.
(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٣٥٠.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٦.

ومعنى «يريد الحياة الدنيا»، أي: يقصدُ بأعماله التي يُظْهِرُ أنها صالحةٌ الدنيا فقط، ولا يَعْتَقِدُ آخرةً، فإن الله يُجازيه على حُسن أعماله، كما جاء: «وأمَّا الكافرُ فيُطْعِمُه في الدنيا بحسناته»[١] وإن اندرج في العموم المراؤون من أهل القبلة، كما ترى أحدهم إذا صلَّى إمامًا يَتَنغَّم بألفاظِ القرآن، ويرتِّله أحسنَ ترتيلٍ، ويُطيلُ ركوعَه وسجودَه، ويتباكى في قراءته، وإذا صلَّى وحده يختلسُها اختلاسًا، وإذا تصدَّق أظهَرَ صَدَقَتَه أمامَ مَن يُثْني عليه، ودفعها لمن لا يستحقُّها حتى يُثنيَ عليه الناسُ وأهلُ الرِّباط المتصدّقُ عليهم، وأين هذا من رجلٍ يتصدَّقُ خُفْيةً وعلى مَن لا يعرفه، كما جاء في السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: «ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما أنفقت يمينُه»[٢]، وهذه مبالغةٌ في إخفاء الصدقة جدًّا؛ وإذا تعلَّم علمًا راءى به وتبجَّح، وطلب بمعظمه يسيرَ حطامٍ من عَرَض الدنيا، وقد فشا الرياءُ في هذه الأمةِ فُشُوًّا كثيرًا، حتى لا تكاد ترى مُخْلِصًا لله لا في قولٍ ولا في فعلٍ، فهؤلاء من أولِ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ يوم القيامة.

وقرأ الجمهور: «نوفِّ» بنونِ العَظَمة، وطلحة وميمون[٣]: «يوفِّ» بالياء على الغيبة، وقرأ زيد بن علي: «يُوْفِ» بالياء مخفَّفًا مضارع أوْفَى، وقرئ: «تُوَفَّ» بالتاء مبنيًّا للمفعول و«أعمالُهم» بالرفع[٤].

وهو على هذه القراءات مجزومٌ جوابُ الشرط كما انجزم في قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠].

وحُكي عن الفرَّاء[٥] أن «كان» زائدة ولهذا جُزم الجواب، ولعله لا يصحُّ؛ إذ لو كانت زائدةً لكان فعلُ الشرط «يريد»، وكان يكون مجزومًا[٦]، وهذا التركيبُ من

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) في النسخ: وطلحة بن ميمون، وهو خطأ، وطلحة هو ابن مصرف، وميمون هو ابن مهران، وذكرها عنهما ابن عطية في المحرر ٣/ ١٥٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦٢.
(٥) في معاني القرآن ٢/ ٥.
(٦) وأجيب عن هذا بأنه يحتمل أن يكون الفراء أراد بكونها زائدة أنها غير لازمة في المعنى. روح المعاني ١١/ ٣٨٧.

مجيء فعل الشرط ماضيًا والجوابِ مضارعًا ليس مخصوصًا بـ«كان»، بل هو جائزٌ في غيرها، كما رُوي في بيت زهير:

ومَن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَه ولو رام أن يَرْقَى السماء بسلَّمِ[1]

وقرأ الحسن: «نُوْفي» بالتخفيف وإثبات الياء[2]، فاحتمل أن يكون مجزومًا بحذف الحركة المقدَّرة، على لغةِ مَن قال:

ألم يأتيك.................[3]

وهي لغةٌ لبعض العرب، واحتمل أن يكون مرفوعًا كما ارتفع في قول الشاعر:

وإن شُلَّ ريعانُ الجميع مخافةً نقولُ جِهَارًا ويلكم لا تُنفِّروا[4]

والحصرُ في كينونة النارِ لهم ظاهرٌ في أنَّ الآية في الكفار، فإن انْدَرَجَ أهلُ الرياءِ فيها فيكونُ المعنى في حقهم: ليس يجبُ لهم - أو: لا يحقُّ لهم - إلا النار، كقوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] وجائز أن يتغمَّدهم الله برحمته، وهو ظاهرُ قولِ ابن عباس وابنِ جبيرٍ[5].

والضميرُ في قوله: «ما صنعوا فيها» الظاهرُ أنه عائدٌ على الآخرة، والمجرورُ متعلِّقٌ بـ«حَبِطَ»، والمعنى: وظهر حُبوطُ ما صنعوا في الآخرة، ويجوز أن يتعلَّق بقوله: «صَنَعوا» فيكونُ عائدًا على «الحياة الدنيا» كما عاد عليها في «فيها» قبلُ.

---

(١) ديوان زهير ص٣٠. وهذا الذي ذكره المصنف من جواز مجيء فعل الشرط ماضياً والجواب مضارعاً قد أجازه أيضاً الفراء في الموضع السابق، وذكر في إجازته بيت زهير هذا.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٢.

(٣) قطعة من بيت لقيس بن زهير، وهو في الكتاب ٣/٣١٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٢٤، والخزانة ٨/ ٣٦١، وتمامه:

ألم يأتيك والأنباءُ تَنمي بما لاقت لبون بني زيادِ

(٤) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص٢١٦. شُلَّ: طُرد. ريعان: أوائل. الجميع: الحي، يقول: إن أحسَّ القوم بالعدو فطردوا أوائل إبلهم وصرفوها عن المرعى أمرناهم بأن لا يفعلوا، وقلنا لهم مجاهرة: ويلكم لا تنفِّروا ولا تطردوها فنحن نمنعها من العدو ونقاتل دونها. وروي: وإن شدَّ رُعيان الجميع...، الخزانة ٢/ ٣٣١-٣٣٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٦، وينظر ما أخرجه الطبري ١٢/ ٣٤٧ عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

و«ما» في «ما صنعوا» بمعنى الذي أو مصدريةٌ، و«باطلٌ» وما بعده توكيدٌ لقوله: «وحَبِطَ ما صنعوا»، و«باطلٌ» خبرٌ مقدَّمٌ إن كان من عَطْفِ الجمل، و«ما كانوا» هو المبتدأ، وإن كان خبرًا بعد خبرٍ ارتفع «ما» بـ«باطل» على الفاعلية.

وقرأ زيد بن علي: «وبَطَل»[1] جَعَلَه فعلًا ماضيًا.

وقرأ أُبيٌّ وابنُ مسعود: «وباطلًا» بالنصب[2]، وخرَّجه صاحب «اللوامح» على أنه مفعولٌ لـ«يعلمون»، فهو معمولُ خبرِ «كان» متقدِّمًا و«ما» زائدةٌ، أي: وكانوا يعملون باطلًا[3]، وفي جواز هذا التركيبِ خلافٌ بين النحويين، وهو أن يتقدَّم معمولُ الخبر على الجملة بأسرها من «كان» واسمِها وخبرِها، ويشهدُ للجواز قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] ومَن مَنَعَ تأوَّل.

وأجاز الزمخشري أن ينتصبَ «باطلًا» على معنى المصدر، على: بَطَلَ بطلانًا ما كانوا يعملون[4]. فتكونُ «ما» فاعلةً، وتكون من إعمالِ المصدر الذي هو بدلٌ من الفعل في غير الاستفهام والأمر.

وحقٌّ أن تَبْطُلَ أعمالُهم لأنها لم تُعمل لوجهٍ صحيحٍ، والعملُ الباطلُ لا ثوابَ له.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٧﴾ لـمَّـا ذكـر حـالَ مَـن يـريـد الحياةَ الدنيا، ذكر حالَ مَن يريد وجهَ الله تعالى بأعماله الصالحةِ، وحُذِفَ المعادِلُ الذي دخلت عليه الهمزةُ والتقدير: كمن يريدُ الحياةَ الدنيا، وكثيرًا ما حُذف في القرآن، كقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فاطر: ٨] وقوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا استفهامٌ معناه التقرير.

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٩ عن يحيى بن يعمر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٧، وهي في القراءات الشاذة ص٥٩ عن أبيّ وحده.
(٣) ويجوز أيضاً أن تكون «ما» إبهامية ـ أي: صفة للنكرة قبلها ـ والمعنى: باطلاً أيَّ باطل كانوا يعملون، كما في الكشاف ٢/ ٢٦٢، ويكون كقوله: لأمرٍ مَّا جدع قصيرٌ أنفه. الدر المصون ٦/ ٢٩٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦٢.

قال الزمخشري[1]: أي: لا يُعْقبونهم في المنزلة ولا يُقارِبونهم، يريد أنَّ بين الفريقين تفاوتًا بعيدًا وتباينًا بيِّنًا، وأراد بهم مَن آمَن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، «كان على بيِّنةٍ من ربِّه»، أي: على برهانٍ من الله تعالى وبيانٍ أنَّ دينَ الإسلام حقٌّ وهو دليلُ العقل، «ويتلوه» ويَتْبَعُ ذلك البرهانَ «شاهدٌ منه»، أي: شاهدٌ يشهدُ بصحته وهو القرآن، «منه»: من الله، أو: شاهد من القرآن، «ومن قبله»: ومن قبل القرآن «كتابُ موسى» وهو التوراةُ، أي: ويتلو ذلك أيضًا من قبل القرآن كتابُ موسى.

وقُرئ: «كتابَ موسى» بالنصب، ومعناه: «كان على بيِّنةٍ من ربِّه» وهو الدليلُ على أنَّ القرآن حقٌّ، «ويتلوه»: ويقرأُ القرآن، «شاهدٌ منه»: شاهدٌ ممن كان على بيِّنةٍ، كقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠]، ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، «ومن قبله كتابَ موسى»: ويَتْلُو من[2] قبل القرآن التوراة، «إمامًا»: كتابًا مؤتمًّا به في الدِّين قدوةً فيه. انتهى. وقيل في «أفمن كان»: المؤمنون بالرسول. وقيل: محمدٌ ﷺ خاصةً.

وقال علي بنُ أبي طالب، وابنُ عباسٍ وقتادةُ ومجاهدٌ والضحاكُ: محمدٌ والمؤمنون جميعًا[3].

والبيِّنةُ: القرآنُ، أو الرسولُ، والهاء للمبالغة.

والشاهد؛ قال ابن عباس والنخعيُّ ومجاهدٌ والضحاكُ وأبو صالح وعكرمةُ: هو جبريل

وقال الحسن بن علي: هو الرسولُ

وقال أيضاً مجاهدٌ: هو مَلَكٌ وكَّله الله بحفظ القرآن[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في النسخ: ويتلوه ومن، والمثبت من الكشاف.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٥٧.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/ ٣٥٥-٣٦٠، والكلام من المحرر ٣/ ١٥٧. وفيهما: الحسين بن علي.

قال ابن عطية: ويحتملُ أن يريدَ بهذه الألفاظ جبريلَ[١].

وقيل: هو علي بن أبي طالب[٢]. ورَوَى المنهالُ عن عبَّاد بن عبد الله: قال عليٌّ كرم الله وجهه: ما في قريشٍ أحدٌ إلا وقد نزلت فيه آيةٌ، قيل: فما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٣]. وبه قال محمد بن عليٍّ وزيد بن عليٍّ[٤].

وقيل: هو الإنجيل؛ قاله الفرَّاء[٥].

وقيل: هو القرآن.

وقيل: هو إعجاز القرآن؛ قاله الحسين بن الفضل.

وقيل: صورةُ الرسول ﷺ ووجهُه ومَخَايِلُه؛ لأنَّ كلَّ عاقلٍ نظر إليه عَلِمَ أنه رسولُ الله ﷺ.

وقيل: هو أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله تعالى عنه[٦].

والضمير في «منه» يعود إلى الربِّ[٧]، أو إلى الرسول، أو إلى القرآن. و«يتلوه»

---

(١) المحرر ٣/ ١٥٧.

(٢) وهو ضعيف لا يثبت له قائل، كما قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية، وينظر التعليق الذي بعده.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤-٢٠١٥ من طريق الأعمش عن المنهال به. وعباد بن عبد الله هو الأسدي الكوفي، وهو ضعيف كما في التقريب. وقال ابن تيمية في الفتاوى ١٥/ ٨٥: وهذا كذب على عليٍّ قطعًا. اهـ. ويكذبه ـ كما قال الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٣٩٦ ـ ما روي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: قلت لأبي: إنهم يزعمون في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أنك أنت التالي؟ قال: لا والله يا بني، وددْتُ أني كنت هو، ولكنه لسانه. أخرجه الطبري ١٢/ ٣٥٣-٣٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، وفي رواية الطبراني في الأوسط (٦٨٢٨): ولكنه لسان محمد. وقد تقدم عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن الشاهد هو محمد ﷺ، قال في الفتاوى: وإنما تكلم أهل البيت في أنه محمد ردًّا على من قال من الجهلة: إنه علي، وينظر تتمة كلامه ثمة فإنه مفيد.

(٤) ولا أراه يصح عنهما بعدما روي عن جديهما الحسين وأبيه عليٍّ وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٦.

(٦) نقله الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٣٩٧ وتعقبه بقوله: وفيه ما فيه.

(٧) تحرفت في (أ) و(ح) و(د١) و(ع): إلى: الدين، والمثبت من (ز١) و(يه).

بمعنى: يتبعه، أو: يقرؤه، والضميرُ المرفوعُ في «يتلوه» والمنصوبُ، والمجرورُ في «منه»، يترتَّبُ على ما يناسِبُه كلُّ قولٍ من هذه.

وقرأ محمد بن السائب الكلبيُّ وغيرُه: «كتابَ موسى» بالنصب[1] عطفًا على مفعول «يتلوه»، أو بإضمارِ فعلٍ.

وإذا لم يُعْنَ بالشاهد الإنجيلُ، فإنَّما خُصَّ التوراةُ بالذِّكر لأن الملَّتين مجتمعتان على أنها من عند الله، والإنجيلُ تُخالفُ فيه اليهودُ، فكان الاستشهادُ بما تقومُ به الحجةُ على الفريقين أَوْلَى، وهذا يجري مع قول الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ومع قول النجاشيِّ: إن هذا والذي جاء به موسى ليَخْرُجُ من مشكاةٍ واحدة[2].

وانتَصَبَ «إمامًا» على الحال.

والذي يظهرُ في تفسير هذه الآيةِ أنه تعالى لمَّا ذكَر الكفارَ وأنهم ليس لهم إلا النارُ، أَعْقَبَ بضدِّهم وهم المؤمنون، وهم الذين على بيِّنةٍ من ربِّهم، والشاهدُ: القرآنُ، و«منه» عائدٌ على «ربِّه»، ويدلُّ على أنَّ الشاهد القرآنُ ذِكْرُ قوله: «ومِن قبله»، أي: ومن قبل القرآن كتابُ موسى، فمعناه أنه تَظَافَرَ على هدايته شيئان: كونُه على أمرٍ واضحٍ من برهان العقل، وكونُه يوافقُ ذلك البرهانُ هذين الكتابين الإلهيَّين: القرآن والتوراة، فاجتمع له العقلُ والنقلُ.

والإشارةُ بـ«أولئك» إلى مَن كان على بينةٍ، راعَى معنى «مَن» فجمع، والضميرُ في «به» يعود إلى التوراة، أو إلى القرآن، أو إلى الرسول. ثلاثةُ أقوالٍ.

والأحزاب: جميعُ المِلَل؛ قاله ابنُ جُبير. أو اليهود والنصارى؛ قاله قتادة. أو قريشٌ، قاله السُّدِّي. أو بنو أمية بنو المغيرة بنِ عبد الله المخزوميِّ وآلُ أبي طلحة بن عبد العُزَّى؛ قاله مقاتل[3].

---

(١) القراءات الشاذة ص٥٩، والمحرر ٣/ ١٥٨.

(٢) قطعة من خبر طويل أخرجه أحمد (١٧٤٠) من حديث أم سلمة ﵂.

(٣) زاد المسير ٤/ ٨٨، وقول ابن جبير وقول قتادة أخرجهما الطبري ١٢/ ٣٦٤-٣٦٥، وقول مقاتل في تفسيره ٢/ ١١٣، ووقع في النسخ: وآل أبي طلحة بن عبيد الله، وهو خطأ.

وقال الزمخشريُّ: يعني أهلَ مكة ومَن ضامَّهم من المتحزِّبين على رسول الله ﷺ[١]. انتهى.

«فالنارُ موعدُه»، أي: مكانُ وعدِه الذي يَصيرون إليه، وقال حسّان:

أوردتُموها حياضَ الموت ضاحيةً فالنارُ موعدُها والموتُ لاقِيها[٢]

والضمير في «منه» عائدٌ على القرآن، وقيل: على الخبر بأنَّ الكفار موعدُهم النار.

وقرأ الجمهور: «في مِرْيَةٍ» بكسر الميم وهي لغةُ الحجاز، وقرأ السُّلَميُّ وأبو رجاء وأبو الخطاب السَّدُوسيُّ والحسنُ بضمِّها[٣]، وهي لغةُ أسدٍ وتميم.

و«الناس» أهلُ مكة؛ قال ابن عباس[٤]. أو: جميعُ الكفار من شاكٍّ وجاهلٍ ومعاندٍ؛ قاله صاحب «الغُنيان»[٥].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ لمّا سبق قولهم «أم يقولون افتراه» ذكر أنه لا أحدَ أظلمُ ممن افترى على الله كذبًا، وهم المفترون الذين نَسَبوا إلى الله الولد، واتَّخذوا معه آلهةً، وحرَّموا وحَلَّلوا من غيرِ شرع الله، وعَرْضُهم على الله بمعنى التشهيرِ بخزيهم والإشادةِ بكذبهم، وإلا فالطائعُ والعاصي يُعرضون على الله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

(١) الكشاف ٢/ ٢٦٣.

(٢) ديوان حسان ص٤٨٥، وفيه: والقتل، بدل: والموت.

(٣) القراءات الشاذة ص٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١٥٩.

(٤) زاد المسير ٤/ ٨٩.

(٥) الغنيان في تفسير القرآن، لبشير بن حامد الزينبي الشافعي شيخ الحرم، المتوفى سنة (٦٤٦هـ). العقد الثمين ٣/ ٣٧١.

والأشهاد: جمعُ شاهدٍ، كصاحبٍ وأصحاب، أو جمعُ شهيدٍ كشريفٍ وأشراف. والأشهاد: الملائكةُ الذين يحفظون عليهم أعمالَهم في الدنيا، أو الأنبياء، أو هما، أو هما والمؤمنون، أو ما يشهدُ عليهم من أعضائهم. أقوالٌ.

وفي قوله: «هؤلاء» إشارةٌ إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوءِ مرتكَبِهم، وفي قوله: «على ربهم»، أي: على مَن يُحْسِنُ إليهم ويملكُ نواصِيَهم، وكانوا جَديرين أن لا يَكْذِبوا عليه، وهذا كما تقولُ إذا رأيتَ مجرمًا: هذا الذي فَعَلَ كذا وكذا.

وتقدم تفسيرُ الجملة بعد هذا[1]، و«هم» تأكيدٌ لقوله: «وهم».

وقولُه: «معجِزين»، أي: كانوا لا يُعْجِزون[2] الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم، وما كان لهم مَن ينصرُهم ويمنعُهم من العقاب، ولكنه أراد إنظارَهم وتأخيرَ عقابهم إلى هذا اليوم، قال الزمخشري: وهو كلامُ الأشهاد[3]. يعني أنَّ كلامَهم من قولهم: «هؤلاء» إلى آخِرِ هذه الجملة التي هي «وما كان لهم من دون الله من أولياء».

وقد يَظهرُ أنَّ قوله تعالى: «ألا لعنةُ الله على الظالمين» من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية.

ويدلُّ لقول الزمخشري قولُه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية [الأعراف: ٤٤] فكما أنه من كلام المخلوقين في تلك الآية، فكذلك هنا.

«يضاعَفُ لهم العذاب»: يشدَّدُ ويكثَّر، وهذا استئنافُ إخبارٍ عن حالهم في الآخرة؛ لأنهم جمعوا إلى الكفر بالبعث الكذبَ على الله، وصدَّ عبادِه عن سبيل الله، وبَغْيَ العِوَج لها، وهي الطريقةُ المستقيمةُ.

«ما كانوا يستطيعون السمع» إخبارٌ عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة، يعني: السَّمْعَ للقرآن، ولِمَا جاء به الرسولُ ﷺ، «وما كانوا يُبْصِرون»، أي:

(١) عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الأعراف.
(٢) كذا وقعت العبارة في النسخ، وجاء في الكشاف ٢/ ٢٦٣ (والكلام منه): أي: ما كانوا يُعجزون، وهي أنسب من عبارة المصنف.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٦٣، وفيه: وهو من كلام...

ينظرون إليه لبُغْضهم فيه، ألا ترى إلى حَشْوِ الطفيل بن عمرو أذنيه من الكُرْسُف، وإبايةِ قريشٍ [وقت الحديبية] أن يسمعوا ما نُقل إليهم من كلام الرسول حتى ردَّهم[١] عن ذلك مشيختُهم، أو إخبارٌ عن حالهم إذا ضُعِّف لهم العذابُ، أي: أنه تعالى خَتَمَ عليهم بذلك فهم لا يسمعون لذلك سماعًا ينتفعون به، ولا يبصرون لذلك.

وقيل: الضمير في «كانوا» عائدٌ على «أولياء» وهم آلهتُهم، أي: فما كان لهم في الحقيقة من أولياءَ وإن كانوا يعتقدون أنهم أولياءُ، ويعني أنه مَن لا يستطيعُ أن يسمع ولا يُبْصِرَ فكيف يصلُحُ للولاية؟ ويكون «يضاعف لهم العذاب» اعتراضًا.

و«ما» على هذه الأقوالِ نفيٌ، وقيل: «ما» مصدرية، أي: يضاعَفُ لهم العذابُ مدةَ استطاعتهم السمعَ وأبصارِهم، والمعنى: أن العذاب وتضعيفَه دائم لهم متمادٍ.

وأجاز الفرَّاء[٢] أن تكون «ما» مصدريةً وحُذف حرفُ الجرِّ منها كما يُحذف مع «أنْ» و«أنَّ» أختيها. وهذا فيه بعدٌ في اللفظ وفي المعنى.

وقال الزمخشريُّ[٣]: أراد أنهم لفَرْطِ تصامِّهم عن استماع الحقِّ وكراهَتِهم له كأنهم لا يستطيعون السَّمْع، ولعل بعض المُجْبِرة يتوثَّب إذا عثر عليه فيُوَعْوِعُ به على أهل العَدْل[٤] كأنه لم يسمع الناسَ يقولون في كلِّ لسانٍ: هذا الكلامُ لا أستطيعُ [أن] أسمعه، وهذا ممَّا يَمجُّه سَمْعي. انتهى.

يعني أنه يمكنُ أن يُستدلَّ به على أن العبد لا قدرة له؛ لأن الله تعالى قد نفى عنه استطاعة السمع، وإذا انتفت الاستطاعةُ منه انتفت قدرتُه، والزمخشريُّ على عادته في السَّفه على أهل السنة.

---

(١) في النسخ: تردهم، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ١٦٠، والكلام وما بين حاصرتين منه، والطفيل بن عمرو قد أسلم بعد ذلك، وهو من خيار الصحابة ﷺ جميعاً.
(٢) في معاني القرآن ٢/ ٨.
(٣) في الكشاف ٢/ ٦٣-٦٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٤) يعني بهم قومه من المعتزلة، ويقال لهم أيضاً: العدلية، وكذا سماهم فيما سلف من كتابه ونقله عنه المصنف عند تفسير الآية (١٤٣) من سورة الأعراف.

وخسرانُهم أنفسَهم كونُهم اشتروا عبادةَ الآلهة بعبادة الله تعالى، فخسروا في تجارتهم خسرانًا لا خسرانَ أعظم منه، وهو على حذف مضافٍ، أي: راحةَ أو سعادةَ أنفسِهم، وإلا فأنفسُهم باقيةٌ معذَّبةٌ. وبَطَلَ عنهم ما افتَرَوْه من عبادة الآلهة وكونِهم يعتقدون شفاعتَها إذ رأوا أنها لا تشفعُ ولا تنفعُ.

«لا جَرَمَ» مذهبُ الخليل وسيبويه أنهما ركِّبا من «لا» و«جرم»، وبُنِيَا، والمعنى: حقَّ، وما بعده رفعٌ به على الفاعلية[(١)].

وقال الحوفي: «جَرَمَ» منفيٌّ بـ«لا» بمعنى: حقٌّ، وهو مبنيٌّ مع «لا» في موضع رفعٍ بالابتداء، و«أنهم» في موضع رفعٍ على خبر «جرم».

وقال قومٌ: إنَّ «جرم» مبنيةٌ مع «لا» على الفتح، نحو قولك: لا رجلَ، ومعناها: لا بدَّ ولا محالةَ.

وقال الكسائي: معناها: لا صَدَّ ولا منعَ، فتكون اسمَ «لا»، وهي مبنيةٌ على الفتح كالقول الذي قبله[(٢)]، وتكون «جرم» هنا من معنى القطع، تقول: جرمتُ، أي: قطعتُ.

وقال الزجَّاج[(٣)]: لا تركيبَ بينهما، و«لا» ردٌّ عليهم، ولِمَا تَقَدَّمَ مِن كلِّ ما قبلها ممَّا قالوا: إنَّ الأصنام تنفعُهم، و«جرم» فعلٌ ماضٍ معناه: كسب، والفاعل مضمرٌ، أي: كسب هو، أي: فعلُهم، و«أنَّ» وما بعدها في موضع نصبٍ على المفعول به[(٤)]، وجَريمُ القوم: كاسِبُهم، وقال الشاعر:

---

(١) الكتاب ٣/ ١٣٨.

(٢) والظاهر على هذه من القولين أن خبر «لا» محذوف، وما بعد «جرم» في محل نصب أو جرٍّ بعد حذف الجارِّ على الخلاف المشهور، ويقدَّر الجارُّ حسبما يقتضيه المعنى، والتقدير مثلاً: لا منع من خسرانهم، أو: لا محالة في خسرانهم. ينظر النهر هامش مطبوع البحر ٥/ ٢١٢، والدر المصون ٦/ ٣٠٤، وروح المعاني ١١/ ٤٠٧. وقول الكسائي ذكره النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٧٨.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٤٦.

(٤) والتقدير مثلاً: لا ينفعهم فعلهم، كَسَبهم ذلك ـ أي: فعلُهم أو قولُهم ـ خسرانَهم، وعلى هذا فالوقف على «لا» ثم يبتدأ بـ«جرم»، بخلاف ما تقدم. ينظر الدر المصون ٦/ ٣٠٤، وروح المعاني ١١/ ٤٠٦.

نَصَبْنا رأسه في جِذْعِ نخلٍ بما جَرَمَتْ يداه وما اعْتَدَيْنا[١]

وقال آخر:

جريمةَ ناهضٍ في رأسِ نِيْقٍ ترى لعظامِ ما جمعتْ صَلِيبَا[٢]

ويقال: لا جِرَمَ[٣]، بالكسر، و: لا جَرَ، بحذف الميم.

قال النحاس[٤]: وزعم الكسائيُّ أن فيها أربعَ لغات: لا جَرَم، ولا عن ذا جَرَم، ولا أنْ ذا جَرَمَ، قال: وناسٌ من فَزارةَ يقولون: لا جَرَ[٥]، وحكى الفرَّاء فيه لغتين أُخْريين؛ قال: بنو عامر يقولون: لا ذا جَرَم، وناسٌ من العرب يقولون: لا جُرْمَ بضم الجيم[٦].

وقال اللحياني في «نوادره»: حُكي عن فزارةَ: لا جَرَ والله لا أفعل ذاك، قال: ويقال: لا ذا جَرَمَ، و: لا ذو جَرَمَ، و: لا عن ذا جَرَمَ، و: لا أنْ ذا جَرَمَ، و: لا أن جرم، و: لا عن جرم، و: لا ذا جَرَ والله - بغير ميم - لا أفعل ذاك. وحَكَى بعضهم: بغيرِ لا جَرَمَ أنك أنت فعلت ذاك، وعن أبي عمرو: «لا جَرُمَ أنَّ لهم النار»، على وزن لا كَرُمَ، و: لا جَرَ، حذفوه لكثرة الاستعمال، كما قالوا: سو ترى، يريدون سوف ترى.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٦٤، والزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٧٢، وأمالي المرتضى ١/ ١١٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٩٤، والخزانة ١٠/ ٢٨٦. وجاء في المصادر عدا النكت والعيون: نصبنا رأسه في رأس جذع.

(٢) البيت لأبي خراش الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٢/ ١٣٣، واللسان (جرم). يصف عُقابًا تكسب لفراخها، والناهض هو فرخها، والنيق: أعلى موضع في الجبل، وثَمَّ وكرُ العُقاب، ترى لعظام ما جمعت من صيدها عند وكرها صليباً، وهو الودك. ينظر شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص١٢٣.

(٣) كذا قيدها في الدر المصون ٦/ ٣٠٤ بكسر الجيم، وضبطت في (ز١) هكذا. جَرَم.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ٢٧٨، ونقله المصنف عنه بواسطة القرطبي في تفسيره ١١/ ٩٥.

(٥) في النسخ: لا جرم، والمثبت من المصدرين السابقين، وفيهما: ... ولا جر أنهم، بغير ميم.

(٦) لم يرد في معاني القرآن للفراء ٢/ ٨-٩ سوى القول الأول، والكلام من إعراب القرآن للنحاس.

ولمَّا كان خسرانُ النفس أعظمَ الخسران حُكِمَ عليهم بأنهم هم الزائدون في الخسران على كلِّ خاسرٍ من سواهم؛ إذ كان خسرانُ مَن سواهم مِن العصاة مآلُه إلى الراحة وإلى انقطاع خسرانه، بخلافِ هؤلاء فإنَّ خسرانهم لا انقطاعَ له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لمَّا ذكر ما يَؤُولُ إليه الكفارُ من النار ذَكَر ما يَؤُولُ إليه المؤمنون من الجنة، والفريقان هنا: الكافرُ والمؤمن. ولمَّا كان تقدَّم ذكرُ الكفار وأُعقب بذكر المؤمنين، جاء التمثيلُ هنا مبتدأً بالكافر فقال: «كالأعمى والأصم»، ويمكنُ أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين؛ فقُوبل الأعمى بالبصير وهو طباقٌ، وقُوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضًا، والعَمَى والصَّممُ آفَتان تمنعان من الإبصار والسمع، وليستا بضدَّين لأنه لا تَعاقُبَ بينهما، ويحتمل أن يكون من تشبيه واحدٍ بوصفيه بواحدٍ بوصفيه، فيكون مِن عطف الصفات، كما قال الشاعر:

إلى الملك القَرْم وابنِ الهمام ... وليثِ الكريهة في المُزْدَحَمْ(١)

ولم يَجِئ التركيبُ: كالأعمى والبصير والأصمِّ والسميع، فيكونَ مقابَلةً في لفظ الأعمى وضدِّه، وفي لفظة الأصم وضدِّه؛ لأنه تعالى لمَّا ذكر انسداد العين أتْبعَه بانسداد السمع، ولمَّا ذكر انفتاحَ البصر أتبعه بانفتاح السمع، وذلك هو الأسلوبُ في المقابَلة والأتمُّ في الإعجاز، ويأتي إن شاء الله تعالى نظيرُ هذه المقابَلةِ في قوله في «طه»: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [الآيتان: ١١٨-١١٩].

واحتمل أن تكون الكافُ نفسُها هي خبرَ المبتدأ، فيكون معناها معنى المَثَلِ، فكأنه قيل: مَثَلُ الفريقين مَثَلُ الأعمى.

واحتمل أن يراد بالمَثَل الصفةُ، وبالكاف: مِثْل، فيكون على حذف مضافٍ، أي: كَمَثَلِ الأعمى.

وهذا التشبيهُ تشبيهُ معقولٍ بمحسوسٍ، فأعمى البصيرةِ أصمُّها شبِّه بأعمى البصر

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٥، وسلف عند تفسير الآية (٥٣) من سورة البقرة.

أصمّ السمع، ذلك في ظلمات الضلالات متردّدٌ تائهٌ، وهذا في الطرقات محيَّرٌ لا يهتدي إليها.

وجاء «أفلا تذكَّرون» لينبِّه على أنه يمكن زوالُ هذا العمى وهذا الصمَمُ المعقول، فيجبُ على العاقل أن يتذكَّر ما هو فيه ويسعَى في هداية نفسه.

وانتصب «مثلًا» على التمييز، قال ابن عطية: ويجوز أن يكون حالًا[1]. انتهى، وفيه بعدٌ، والظاهرُ التمييز وأنه منقولٌ من الفاعل، أصله: هل يستوي مَثَلاهما.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ هذه السورةُ في قصصها شبيهةٌ بسورة الأعراف؛ بُدِئ فيها بنوحٍ، ثم بهودٍ، ثم بصالحٍ، ثم بلوطٍ مقدَّمًا عليه إبراهيمُ بسبب قوم لوط، ثم بشعيبٍ، ثم بموسى وهارون، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين.

وذَكَروا وجوهَ حِكَمٍ وفوائدَ لتكرارِ هذه القصص في القرآن.

وقرأ النحويان وابنُ كثير: «أنّي» بفتح الهمزة، أي: بأنّي، وباقي السبعةِ بكسرها على إضمار القول[2].

وقال أبو عليٍّ: في قراءة الفتح خروجٌ من الغيبة إلى المخاطَبة[3]. قال ابنُ عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكايةُ مخاطَبته لقومه، وليس هذا حقيقةَ الخروج من غيبة إلى مخاطبةٍ، ولو كان الكلامُ: أن أنذرهم، أو نحوَه، لصحَّ ذلك[4]. انتهى.

و«أن لا تعبدوا إلا الله» ظاهرٌ في أنهم كانوا يعبدون الأوثان كما جاء مصرَّحًا في غير هذه السورة، و«أنْ» بدلٌ من «أنّي لكم» في قراءةِ مَن فَتَح، ويحتمل أن

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٢.
(٢) السبعة ص٣٣٢، والتيسير ص١٢٤. والنحويان: أبو عمرو والكسائي.
(٣) الحجة ٤/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٣/ ١٦٢، والكلام منه.
(٤) المحرر ٣/ ١٦٢.

تكون «أنْ» المفسِّرة. وأمَّا في قراءةِ مَن كَسَرَ فيحتملُ أن تكون المفسِّرةَ والمراعَى قبلها إما «أرسلنا» وإما «نذير مبين»، ويحتمل أن تكون معمولةً لـ«أرسلنا»، أي: بأنْ لا تعبدوا إلا الله، وإسنادُ الألم إلى اليوم مَجازٌ لوقوع الألم فيه لا به.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: فإذا وُصف به العذاب؟ قلتُ: مَجازيٌّ مثلُه؛ لأنَّ الأليم في الحقيقة هو المعذَّب، ونظيرُهما قولك: نهارُه صائمٌ[1]. انتهى. وهذا على أن يكون «أليم» صفةَ مبالغةٍ من آلِم، وهو مَن كَثُرَ ألمُه، فإنْ كان «أليم» بمعنى مُؤلِم فنسبتُه لليوم مجازٌ وللعذاب حقيقةٌ.

لـمَّا أنـذرهـم من عـذاب الله، وأمرهـم بإفراده بالـعبادة، وأخبر أنه رسـولٌ من عند الله، ذكروا أنه مُماثِلُهم في البشرية، واستبعدوا أن يَبْعَث الله رسولًا من البشر، فكأنهم ذهبوا إلى مذهب البراهمة الذين يُنكرون نبوَّة البشر على الإطلاق، ثم عيَّروه بأنه لم يَتَّبِعْه إلا الأراذلُ، أي: فنحن لا نساويهم، ثم نفوا أن يكون له عليهم فضلٌ، أي: أنت مُساوِينا في البشرية ولا فضل لك علينا، فكيف امْتَزْتَ بأنك رسولُ الله.

وفي قوله: «إلَّا الذين هم أراذلُنا» مبالغةٌ في الإخبار، وكأنه مؤذِنٌ بتأكيد حَصْرِ مَن اتَّبعه، وأنهم هم الأراذلُ لم يَشْرَكْهم شريفٌ في ذلك، وفي الحديث أنهم كانوا حاكةً وحجَّامين[2].

وقال النحاس: هم الفقراء والذين لا حَسَبَ لهم، والخسيسو الصناعاتِ[3].

وفي حديث هرقل: أشرافُ الناس اتَّبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباعُ الرسل[4].

قيل: وإنما كان كذلك لاستيلاء الرئاسة على الأشراف، وصعوبةِ الانفكاك عنها، والأَنَفةِ من الانقياد لغيرهم، والفقيرُ خَليٌّ عن تلك الموانع، فهو سريعٌ إلى الإجابة والانقياد.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٦٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ١١/ ٩٩، ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) أخرجه مطولاً البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس ﵄.

و«نراك» يحتمل أن تكون بَصَريةً، وأن تكون عِلْميةً، قالوا: «وأراذل» جَمعُ الجمع، فقيل: جمع أَرْذُلٍ ك: كَلْب وأَكْلُب وأكالِب. وقيل: جمع أرذال، وقياسُه: أراذيل.

والظاهرُ أنه جمع أَرْذَلَ التي هي أفعلُ التفضيل، وجاء جمعًا كما جاء: ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] و«أحاسنكم أخلاقًا»[١].

وقال الزمخشري: «ما نراك إلا بشرًا مثلنا» تعريضٌ بأنهم أحقُّ منه بالنبوَّة، وأنَّ الله لو أراد أن يجعلها في أحدٍ من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هَبْ أنك واحدٌ من الملأ ومُوازِيهم في المنزلة، فما جَعَلك أحقَّ منهم؟ ألا ترى إلى قولهم: «وما نرى لكم علينا من فضل». وأرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكًا لا بشرًا[٢].

ولا يظهر ما قاله الزمخشريُّ من الآية.

وقرأ أبو عمرو وعيسى الثقفي: «بادئ الرأي»[٣] من بدأ يبدأ، ومعناه: أولَ الرأي[٤]، وقرأ باقي السبعة: «بادي» بالياء من بدا يبدو، ومعناه ظاهرَ الرأي[٥].

وقيل: «بادي» بالياء معناه «بادئ» بالهمز، فسُهِّلت الهمزةُ بإبدالها ياءً لكسرِ ما قبلها.

وذكروا أنه منصوبٌ على الظرف، والعامل فيه: «نراك»، أو «اتَّبعك»، أو «أراذلنا»، أي: وما نراك فيما يظهرُ لنا من الرأي، أو: في أولِ رأينا[٦]، أو: وما نراك اتَّبعك أولَ رأيهم، أو: ظاهِرَ رأيهم[٧]، واحتمل هذا الوجهُ معنيين:

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١) عن عبد الله بن عمرو، ولفظه: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا».
(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٣، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٣٣٢، والتيسير ص١٢٤.
(٤) بمعنى أنه غير صادر عن رويَّةٍ وتأمُّل، بل من أول وهلة.
(٥) أي: ظاهره دون باطنه، أي: لو تُؤُمِّل لعُرف باطنه. وهو في المعنى كالأول. الدر المصون ٦/ ٣١٠.
(٦) قوله: وما نراك فيما يظهر لنا، هذا على قراءة الجمهور. وقوله: في أول رأينا، هذا على قراءة أبي عمرو. وكلا التقديرين على أن العامل فيه: «نراك».
(٧) وهذا على أن العامل فيه: «اتَّبعك».

أحدُهما أن يريد: اتَّبعك في ظاهر أمرهم وعسى أن تكون بواطنُهم ليست معك، والمعنى الثاني: أن يريد: اتَّبعوك بأول نظرٍ وبالرأي البادئ دون تعقُّبٍ، ولو تثبَّتوا لم يتَّبعوك. وفي هذا الوجه ذمُّ الرأي غيرِ المُرَوَّى.

وقال الزمخشري: اتَّبعوك أولَ الرأي أو ظاهرَ الرأي، وانتصابُه على الظرف، أصله: وقتَ حدوثِ أولِ أمرهم[1]، أو: وقتَ حدوثِ ظاهرِ رأيهم، فحذف ذلك وأقيم المضافُ إليه مقامه، أرادوا أن اتِّباعهم لك إنما هو شيءٌ عنَّ لهم بديهةً من غير رويَّة ونظرٍ[2]. انتهى.

وكونُه منصوبًا على الظرف هو قولُ أبي عليٍّ في «الحجة»[3]، وإنما حَمَلَه على الظرف وليس بزمانٍ ولا مكانٍ؛ لأنَّ «في» مقدَّرةٌ فيه، أي: في ظاهر الأمر، أو: في أول الأمر، وعلى هذين التقديرين ـ أعني أن يكون العامل فيه «نراك» أو «اتبعك» ـ يقتضي أن لا يجوزَ ذلك؛ لأن ما بعد «إلا» لا يكون معمولًا لما قبلها إلا إنْ كان مستثنًى منه، نحو: قام إلا زيدًا القومُ، أو مستثنًى نحو: جاء القومُ إلا زيدًا، أو تابعًا للمستثنى منه نحو ما جاءني أحدٌ إلا زيدًا خيرٌ من عمرو، و«بادي الرأي» ليس واحدًا من هذه الثلاثة.

وأجيب: بأنه ظرفٌ أو كالظرف، مثل: جَهْدَ رأيٍ أنك ذاهبٌ، أي: أنك ذاهبٌ في جهدِ رأيٍ، والظروفُ يُتَّسَعُ فيها.

وإذا كان العاملُ: «أراذلنا» فمعناه: الذين هم أراذلُنا بأوَّلِ نظرٍ فيهم، وببادئ الرأي نَعْلَم ذلك منهم.

وقيل: «بادي الرأي» نعتٌ لقوله: «بشرًا».

وقيل: انتصب حالًا من ضمير «نوح» في «اتَّبعك»، أي: وأنت مكشوفُ الرأي لا حصافةَ لك.

وقيل: انتصب على النداء لنوح، أي: يا بادي الرأي، أي: ما في نفسك من الرأي ظاهرٌ لكلِّ أحد، قالوا ذلك تعجيزًا له.

---

(١) في الكشاف: رأيهم.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٥.
(٣) ٤/ ٣١٨.

وقيل: انتصب على المصدر[١]، وجاء الظرفُ والمصدرُ على فاعلٍ، وليس بالقياس.

والرأيُ هنا إما من رؤية العين وإما من الفكر.

قال الزمخشري: وإنما استَرْذَلوا المؤمنين لفقرهم وتأخُّرهم في الأسباب الدُّنيوية؛ لأنهم كانوا جُهَّالًا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا، فكان الأشرفُ عندهم مَن له جاهٌ ومالٌ[٢]. انتهى.

وظاهرُ الخطاب في «لكم» شاملٌ لنوحٍ ومَن اتَّبعه، والمعنى: ليس لكم علينا زيادةٌ في مالٍ ولا نسبٍ ولا دِينٍ، وقال ابنُ عباس: في الخَلْقِ والخُلْق[٣].

وقيل: بكثرة المِلْك والمُلْك. وقيل: بمتابعتكم نوحًا ومخالفتِكم لنا. وقيل: من شرفٍ يؤهِّلكم للنبوَّة.

وقال الكلبي: «نظنُّكم»: نَتيَقَّنُكم. وقال مقاتل: نحسبُكم[٤] [«كاذبين»]، أي: في دَعْوَى نوحٍ وتصديقِكم.

وقال صاحب «الغُنْيان»: «بل نظنُّكم كاذبين» توسُّلًا إلى الرئاسة والشهرة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لمَّا حَكَى شُبْهَتَهم في إنكار نبوَّة نوحٍ عليه السلام، وهي قولُهم: «ما نراك إلا بشرًا مثلَنا»، ذَكَر أنَّ المساواة في البشرية لا تمنعُ من حصول المُفارقةِ في صفة النبوَّة والرسالة، ثم ذكر الطريقَ الدالَّ على إمكانه على جهة التعليق والإمكان. وهو متيقِّنٌ أنه على بيِّنةٍ من معرفة الله وتوحيده، وما يَجِبُ له وما يَمتنع، لكنه أبرزه في طريق الشرط والجزاء على سبيل الفَرْضِ لهم والاستدراجِ؛ للإقرار بالحقِّ وقيامِ الحجة على الخصم، ولو قال: إنِّي على حقٍّ من

---

(١) والتقدير: وما نراك رؤيةَ بَدْءٍ أو ظهور، أو: وما نراك اتَّبعك اتِّباعَ بدءٍ أو ظهور، أو: وما نراك اتَّبعك إلا الذين هم أراذلنا رذالةَ بدءٍ أو ظهور. ينظر الدر المصون ٦/ ٣١٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٦٥.

(٣) زاد المسير ٤/ ٩٦، دون قوله: والخُلُق.

(٤) القولان في زاد المسير ٤/ ٩٦.

ربِّي، لقالوا له: كذَبْتَ، كقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ الآية [غافر: ٢٨] فقال فيها: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ [غافر: ٢٨].

والبينة: البرهانُ والشاهدُ بصحة دعواه.

قال ابن عباس: الرحمة: النبوَّة. مقاتل: الهداية[١]. غيرُهما: التوفيق والنبوَّة والحكمة.

والظاهرُ أنَّ البينةَ غيرُ الرحمة، فيجوزُ أن يراد بالبينة المعجزةُ وبالرحمة النبوَّةُ، ويجوز أن تكون البينةُ هي الرحمةَ.

و«مِن عنده» تأكيدٌ، وفائدتُه رفعُ الاشتراك ولو بالاستعارة.

«فعميتْ عليكم» الظاهرُ أنَّ الضمير عائدٌ على البينة، وبذلك يَحْصُلُ الذمُّ لهم من أنه أتى بالمعجزة الجليَّة الواضحة، وأنها على وضوحها واستنارتها خَفِيَتْ عليهم، وذلك بأنه تعالى سلبهم عِلْمَها ومَنَعَهم معرفتَها، فإن كانت الرحمةُ هي البينةَ فعَوْدُ الضمير مفردًا ظاهرٌ، وإن كانت غيرَها كما اخترناه، فقوله: «وآتاني رحمةً مِن عنده» اعتراضٌ بين المتعاطِفَيْنِ.

قال الزمخشريُّ: حقُّه أن يقال: فعميَتَا[٢]. . قلتُ: الوجهُ أن يقدَّر فعمِّيت بعد البينة، وأن يكون حذفُه للاقتصار على ذكره[٣].

فتلخَّصَ: أنَّ الضمير يعود إمَّا على البينة، وإما على الرحمة، وإما عليهما باعتبار أنهما واحدٌ.

ويقال للسحاب: العَمَاء؛ لأنه يُخْفي ما فيه، كما يقال له: الغَمَام؛ لأنه يَغُمُّه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كذا ابتدأ المصنف كلام الزمخشري بقوله: حقه. . .، ولم ينقل ما قبله لأنه قد تضمنه كلامُه قبلُ، وسأذكره من أوله للتوضيح، قال الزمخشري: «وآتاني رحمة من عنده» بإيتاء البينة على أن البينة هي نفسها الرحمة، ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة، فإن قلت: «فعميت» ظاهر على الوجه الأول، فما وجهه على الوجه الثاني وحقه. . .، قلت. . .

(٣) الكشاف ٢/ ٢٦٥.

وقيل: هذا من المقلوب، أي: فَعَمِيْتُم[١] أنتم عنها، كما تقول العرب: أدخلتُ القَلَنْسُوَةَ في رأسي، ومنه قول الشاعر:

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رأسَه[٢]

قال أبو عليٍّ: وهذا ممَّا يُقْلَبُ إذ ليس فيه إشكالٌ، وفي القرآن: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧][٣]. انتهى.

والقلبُ عند أصحابنا مطلقًا لا يجوزُ إلا في الضرورة، وأمَّا قولُ الشاعر فليس من باب القلب، بل هو من باب الاتِّساع في الظرف، وأمَّا الآيةُ فأَخْلَفَ يتعدَّى إلى مفعولين، ولك أن تُضيفَ إلى أيِّهما شئتَ، فليس من باب القلب، ولو كان «فعَمِيَتْ عليكم» من باب القلب لكان التعدِّي بـ«عن» دون «على»، ألا ترى أنك تقول: عَمِيتُ عن كذا، ولا تقول: عَمِيْتُ على كذا.

وقرأ الأخوان وحفصٌ: «فعُمِّيَتْ» بضم العين وتشديد الميم مبنيًّا للمفعول، أي: أُبْهِمَتْ عليكم وأُخفيت، وباقي السبعة: «فعَمِيَتْ» بفتح العين وتخفيف الميم مبنيًّا للفاعل[٤].

وقرأ أبيٌّ وعليٌّ والسلميُّ والحسن والأعمش: «فعمَّاها عليكم»[٥]. وروى الأعمش عن ابن وثَّاب: «وعَمِيَتْ» بالواو خفيفةً[٦].

قال الزمخشري: فإن قلتَ: فما حقيقتُه؟ قلت: حقيقتُه أنَّ الحجة كما جُعلت بصيرةً ومُبْصِرةً جُعلت عمياء؛ لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيرَه، فمعنى

---

(١) قوله: فعميتم، هو على هذا القول بفتح العين وكسر الميم مخففة كما في الحجة للفارسي ٤/ ٣٢٢، وكذا ضبطت في (ز١)، وهي قراءة في السبعة كما سيرد.

(٢) وعجزه: وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمع، وهو في الكتاب ١/ ١٨١، والأصول في النحو ٣/ ٤٦٤، والحجة للفارسي ٤/ ٣٢٢، والخزانة ٤/ ٢٣٥. وهو من شواهد سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها.

(٣) الحجة ٤/ ٣٢٢.

(٤) السبعة ص٣٣٢، والتيسير ص١٢٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢، والقراءات الشاذة ص٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١٦٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٥.

فعَمِيَتْ عليكم البينةُ: فلم تَهْدِكم؛ كما لو عَمِيَ على القوم دليلُهم في المفازة بَقُوا بغير هادٍ.

فإن قلتَ: فما معنى قراءةِ أبيٍّ؟ قلتُ: المعنى: أنهم صمَّموا على الإعراض عنها فخلَّاهم الله وتصميمَهم، فجعلت تلك التخليةُ تعميةً منه، والدليلُ عليه: «أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» يعني: أنُكْرِهُكم على قبولها ونَقْسِرُكم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين[1]. انتهى، وتوجيهُه قراءةَ أبيٍّ هو على طريقة المعتزلة.

وتقدَّم في سورة الأنعام الكلامُ على «أرأيتم» مشبعًا[2]، وذكرنا أن العرب تعدِّيها إلى مفعولين: أحدُهما منصوبٌ، والثاني أغلبُ ما يكون جملةً استفهاميةً، تقول: أرأيتَكَ زيدًا ما صنع؟ وليس استفهامًا حقيقيًّا عن الجملة، وأنَّ العرب ضمَّنت هذه الجملة معنى: أخبرني، وقرَّرنا هناك أن قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٤٠] أنه من باب الإعمال؛ تنازَعَ على «عذاب الله»: «أرأيتكم» يطلبه منصوبًا، وفعلُ الشرط يطلبه مرفوعًا، فأُعمل الثاني، وهذا البحثُ يتقرَّرُ هنا أيضًا، فمفعولُ «أرأيتكم» محذوفٌ، والتقدير: أرأيتَكُم[3] البينةَ من ربِّي إن كنتُ عليها أنُلْزِمُكموها، فهذه الجملة الاستفهاميةُ في موضع المفعول الثاني لقوله: «أرأيتم»، وجوابُ الشرط محذوفٌ يدلُّ عليه «أرأيتم».

وجيءَ بالضميرين متَّصلين في «أنلزمكموها» التقدُّم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة، ولو انعكس لانْفَصَلَ ضمير الخطاب، خلافًا لمن أجاز الاتِّصال.

قال الزمخشري: ويجوزُ أن يكون الثاني منفصلًا، كقولك: أنُلْزِمُكم إياها، ونحوُه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ويجوز: فسيكفيك إياهم[4].

---

(١) الكشاف ٢/٢٦٦.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٤٠].

(٣) كذا وقع في النسخ: فمفعول أرأيتكم... والتقدير أرأيتكم، والذي في الآية هنا: «أرأيتم»، وكذا جاء في الدر المصون ٦/٣١٥: «أرأيتم» على الصواب.

(٤) الكشاف ٢/٢٦٦.

وهذا الذي قاله الزمخشريُّ من جواز انفصال الضمير في نحو: «أنلزمكموها» هو نحوُ قولِ ابنِ مالك في «التسهيل»، قال: ويُختار اتِّصالُ نحوِ هاءِ: أعطَيْتُكَه[١].

وقال ابن أبي الربيع: إذا قدَّمْتَ ما له الرتبةُ اتَّصل لا غير، تقول: أعطيتُكه، قال تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾.

وفي «كتاب» سيبويه ما يشهدُ له، قال سيبويه: فإذا كان المفعولان اللَّذان تَعَدَّى إليهما فعلُ الفاعل مخاطَبًا وغائبًا، فبدأت بالمخاطَب قبل الغائب، فإنَّ علامةَ الغائب العَلَامةُ التي لا يقع موقعَها «إياه»، وذلك قولك: أعطيتُكَه، و: قد أعطاكَه، قال الله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ فهذا كهذا إذا بدأتَ بالمخاطَب قبل الغائب[٢]. انتهى، فهذا نصٌّ من سيبويه على ما قاله ابنُ أبي الربيع، خلافاً للزمخشري وابنِ مالك ومَن سبقهما إلى القول بذلك.

وقال الزمخشري: وحُكي عن أبي عمرٍو إسكانُ الميم، ووجهُه: أن الحركة لم تكن إلا خلسةً خفيفةً فظنَّها الراوي سكونًا، والإسكانُ الصريحُ لحنٌ عند الخليل وسيبويه وحُذَّاق البصريين؛ لأن الحركة الإعرابيةَ لا يَسُوغُ طرحُها إلا في ضرورة الشعر[٣]. انتهى.

وأخذه الزمخشريُّ من الزجَّاج؛ قال الزجَّاج: أجمع النحويون البصريون على أنه لا يجوزُ إسكانُ حركة الإعراب إلا في ضرورة الشعر، فأمَّا ما رُوي عن أبي عمرٍو فلم يَضْبطه عنه القرَّاءُ، ورَوَى عنه سيبويه أنه كان يُخفِّفُ الحركة ويختلسُها، وهذا هو الحقُّ، وإنما يجوز الإسكانُ في الشعر نحو قول امرئ القيس:

فاليومَ أَشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ[٤]

---

(١) التسهيل ص٢٧، في باب المضمر.

(٢) الكتاب ٢/ ٣٦٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٦٦، والقراءة بإسكان الميم عن أبي عمرو في القراءات الشاذة ص٥٩.

(٤) وعجزه: إثمًا من الله ولا واغِلِ، وهو في ديوانه ص١٢٢، والكتاب ٤/ ٢٠٤، ورواية الديوان: فاليوم أُسْقَى...، فلا شاهد فيه، وكلام الزجاج بنحوه في معاني القرآن ٣/ ٤٨، ونقله المصنف عنه بواسطة الرازي في تفسيره ١٧/ ٢١٤، وليس في معاني القرآن ذكر الإجماع ولا ذكر البيت.

والزمخشريُّ على عادته في تجهيل القرَّاء، وهم أجلُّ من أن يَلْتَبِس عليهم الاختلاسُ بالسكون، وقد حَكَى الكسائيُّ والفرَّاء: «أنلزمْكموها» بإسكان الميم الأولى تخفيفًا(١).

قال النحاس: ويجوزُ على قول يونس [في غير القرآن]: أَنُلْزِمُكُمْها، كما تقول: أنلزمكمْ ذلك(٢).

ويريدُ إلزامَ جبرٍ بالقتل ونحوِه، وأما إلزامُ الإيجاب فهو حاصلٌ، وقال النحاس(٣): أنُوْجِبُها عليكم. وقولُه في ذلك خطأ.

قال ابن عطية: وفي قراءة أبيّ بن كعب: «أنلزمكموها من شطر أنفسنا»، ومعناه: من تلقاء أنفسنا، وروي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: «من شطر قلوبنا»(٤). انتهى.

ومعنى «شطر»: نحو، وهذا على جهة التفسير لا على أنه قرآن؛ لمخالَفتِه سوادَ المصحف.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ تلطَّف نوحٌ عليه السلام بندائه بقوله: «ويا قوم» «ويا قوم» استدراجًا لهم في قبول كلامه، كما تلطَّف

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢، وذكره عنه وعن الكسائي النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٠، والقرطبي ١١/ ١٠٢، وعنه نقل المصنف.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٠، وما بين حاصرتين منه، والكلام من تفسير القرطبي ١١/ ١٠٢.
(٣) في معاني القرآن ٣/ ٣٤٣، والكلام من المحرر الوجيز ٢/ ٢٦٦.
(٤) المحرر ٣/ ١٦٥.

إبراهيمُ عليه السلام بقوله: «يا أبت» «يا أبت»[١]، وكما تلطَّفَ مؤمنُ آلِ فرعون بقوله: «يا قوم» «يا قوم»[٢]، والضميرُ في «عليه» عائدٌ إلى الإنذارِ وإفرادِ الله بالعبادة المفهومِ من قوله لهم: «إنِّي لكم نذيرٌ مبين ألّا تعبدوا إلا الله». وقيل: على الدِّين. وقيل: على الدعاء إلى التوحيد. وقيل: على تبليغ الرسالة. وكلُّها أقوالٌ متقاربةٌ، والمعنى: إنكم وهؤلاء الذين اتَّبعونا سواءٌ في أنْ أدعُوَكم إلى الله، وإنِّي لا أبتغي على ما أُلقيه إليكم من شرائع الله مالًا، فلا يتفاوتُ حالُكم وحالُهم.

وأيضًا: فلعلهم ظنُّوا أنه يريد الاسترفادَ منهم، فنفاه بقوله: «لا أسألكم عليه مالًا إنْ أَجْري إلَّا على الله» فلا تَحْرِموا أنفسَكم السعادةَ الأبدية بتوهُّمٍ فاسدٍ.

ثم ذكر أنه قام بهؤلاء وصفٌ يجب العكوفُ عليهم به والانْضِواءُ معهم، وهو الإيمانُ، فلا يمكِنُ طردُهم، وكانوا سألوا منه طَرْدَ هؤلاء المؤمنين رفعًا لأنفسهم من مساواة أولئك الفقراء، ونظيرُ هذا ما اقترحت قريشٌ على رسول الله ﷺ من طردِ تُبَّاعِه الذين لم يكونوا من قريشٍ.

وقرئ: «بطاردٍ» بالتنوين[٣]؛ قال الزمخشري: على الأصل[٤] يعني: أنَّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال أصلُه أن يعملَ ولا يُضافَ، وهذا ظاهرُ كلام سيبويه[٥].

ويمكن أن يقال: إنَّ الأصل الإضافةُ لا العمل؛ لأنه قد اعْتَوَرَه شَبَهان:

أحدهما شَبَهٌ بالمضارع، وهو شَبَهُه بغيرِ جنسه.

والآخر شَبَهٌ بالأسماء إذا كانت فيها الإضافة. فكان إلحاقُه بجنسه أولى من إلحاقه بغيرِ جنسه.

«إنهم ملاقو ربِّهم» ظاهرُه التعليلُ لانتفاءِ طَرْدِهم، أي: إنهم يلاقون الله ـ أي: جزاءَه ـ فيوصلُهم إلى حقِّهم عندي إن ظلمتُهم بالطرد.

---

(١) سورة مريم، الآيات: (٤٢-٤٥).
(٢) سورة غافر، الآيات: (٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٤١).
(٣) القراءات الشاذة ص٦٠ عن أبي حيوة، والكشاف ٥/ ٢٦٦ دون نسبة.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦٦.
(٥) الكتاب ١/ ١٦٤.

وقال الزمخشري: معناه: إنهم يلاقون الله فيعاقِبُ مَن طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمانٍ صحيحٍ ثابتٍ كما ظهر لي منهم، وما أعرفُ غيرَه منهم أو على خلافِ ذلك ممَّا تَقْرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غيرِ نظرٍ ولا تفكُّرٍ، وما عليَّ أن أشقَّ على قلوبهم وأتعرَّفَ [سرَّ] ذلك منهم حتى أطردهم، ونحوُه ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٢] أو: هم مصدِّقون بلقاء ربِّهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة[١]. انتهى.

ووَصَفهم بالجهل لكونهم بَنَوْا أمرهم على الجهل بالعواقب والاغترارِ بالظواهر، أو لأنهم يتسافلون على المؤمنين ويَدْعونهم أراذلَ، من قوله:

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا[٢]

أو: تجهلون لقاءَ ربِّكم، أو: تجهلون أنهم خيرٌ منكم، أو وصفهم بالجهل في هذا الاقتراح، وهو طردُ المؤمنين ونحوه.

«مَن ينصرني» استفهامٌ معناه: لا ناصر لي من عقاب الله إن طردتُهم عن الخير الذي قد قَبِلوه، أو لأجْلِ إيمانهم؛ قاله الفرَّاء[٣]، وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به؛ أنفةً منهم أن يكونوا معهم على سواءٍ، ثم وَقَفهم بقوله: «أفلا تذكَّرون» على النظر المؤدِّي إلى صحة هذا الاحتجاج.

وتقدم تفسيرُ الجمل الثلاث في «الأنعام»[٤].

وتزدري: تفتعل، والدال بدلٌ من التاء؛ قال:

تَرى الرجلَ النحيفَ فتَزْدَريه وفي أثوابه أسدٌ هَصُورُ[٥]

(١) الكشاف ٢/٢٦٦، وما بين حاصرتين منه.

(٢) وعجزه: فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا، والبيت لعمرو بن كلثوم، وهو في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص٤٢٦، وشرح المعلقات للنحاس ٢/١٢٥، والكشاف ٢/٢٦٦.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١١/١٠٣. والذي في معاني القرآن للفراء ٢/١٣: «من ينصرني من الله» يقول: مَن يمنعني من الله. وكذلك كل ما كان في القرآن منه فالنصر على جهة المنع.

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الآية: ٥٠].

(٥) البيت للعباس بن مرداس السلمي ﷺ، كما في الحماسة (بشرح المرزوقي) ٣/١١٥٣-

وأنشد الفراء:

يُبـاعِـدُه الـصـديـقُ وتَـزْدَريـه حـلـيـلـتُـه ويَـنْـهَـرُه الـصـغـيـرُ[(١)]

والعائدُ على الموصول محذوفٌ، أي: تزدريهم ـ أي: تَسْتَحْقِرُهم ـ أعينُكم، و«لن يؤتيهم» معمولٌ لقوله: «ولا أقول»، و«للذين» معناه: لأَجْل الذين، ولو كانت اللامُ للتبليغ لكان القياس: لن يؤتيَكم، بكاف الخطاب، أي: ليس احتقارُكم إياهم يَنْقُصُ ثوابَهم عند الله، ولا يُبْطِلُ أجورَهم.

«الله أعلم بما في أنفسهم» تسليمٌ لله، أي: لستُ أحكم عليهم بشيءٍ من هذا، وإنما الحكمُ بذلك لله تعالى، الذي يعلم ما في أنفسِهم فيجازيهم عليه.

وقيل: هو ردٌّ على قولهم: «اتَّبعك أراذلنا»، أي: لستُ أحكم عليهم بأنْ لا يكون لهم خيرٌ؛ لظنكم بهم أنَّ بواطنهم ليست كظواهرهم، الله عز وجل أعلمُ بما في نفوسهم، إنِّي لو فعلتُ ذلك لمن الظالمين، وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

«قد جادلتنا» الظاهرُ المبالغةُ في الخصومة والمناظرة، وقال الكلبي: دَعَوْتنا[(٢)]. وقيل: وَعَظْتَنا. وقيل: أتيتَ بأنواع الجدال وفنونِه فما صحَّ دعواك.

وقرأ ابن عباس: «فأكثرتَ جَدَلنا»[(٣)] كقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

= ١١٥٥، وبشرح التبريزي ٣/ ٨٩-٩٠، ونقل التبريزي عن أبي رياش عزوه لمعاوية بن مالك الكلابي. وروى القالي في أماليه ١/ ٤٧ قصة نُسب البيت فيها لكثير عزة. وذكر البكري في اللآلي ١/ ١٩٠ الخلاف في عزو هذا البيت إلى مَن ذكرنا، وزاد نسبته إلى ربيعة الرَّقي، ثم قال: والصحيح من هذه والله أعلم أنه لمعوِّد الحكماء، وهو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب.

(١) تفسير القرطبي ١١/ ١٠٤، والبيت لعروة بن الورد، وهو في ديوانه ص٩١، وعيون الأخبار ١/ ٢٤٢، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٤ برواية: ويقصى في النديِّ وتزدريه، والندي: النادي. وفي العقد الفريد ٣/ ٢٩ برواية: يباعده القريب.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٢٤.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢١.

«فأتنا بما تعدنا» من العذاب المعجَّل، و«ما» بمعنى الذي والعائدُ محذوفٌ، أي: بما تَعِدُناه، أو مصدريةٌ، وإنما كثُرتْ مجادلتُه لهم لأنه أقام فيهم ما أخبر الله به: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] وهو كلَّ وقتٍ يدعوهم إلى الله وهم يُجيبونه بعبادتهم أصنامَهم.

«قال: إنما يأتيكم به الله» أي: ليس ذلك إليَّ إنما هو للإله الذي يعاقبُكم على عصيانكم «إن شاء» أي: إن اقتضت حكمتُه أن يعجِّل عذابَكم، وأنتم في قبضته لا يمكن أن تُفْلِتوا منه ولا أن تمتنعوا.

ولمَّا قالوا: «قد جادلتنا»، وطلبوا تعجيلَ العذاب، وكان مجادلتُه لهم إنما هو على سبيل النصح والإنقاذ من عذاب الله، قال: «ولا ينفعكم نصحي»، وقرأ عيسى بنُ عمر الثقفي: «نَصْحي» بفتح النون[1] وهو مصدرٌ، وقراءة الجماعة بضمِّها؛ فاحتمل أن يكون مصدرًا كالشُّكر، واحتمل أن يكون اسمًا.

وهذان الشرطان اعْتَقَبَ الأولُ منهما قولَه: «ولا ينفعكم نصحي» وهو دليلٌ على جواب الشرط، تقديره: إنْ أردتُ أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، والشرط الثاني اعْتَقَبَ الشرطَ الأول، وجوابُه أيضًا ما دل عليه قوله: «ولا ينفعكم نصحي»، تقديره: إن كان الله يريد أن يُغويكم فلا ينفعكم نُصْحي، وصار الشرط الثاني شرطًا في الأول، وصار المتقدِّمُ متأخِّرًا والمتأخِّرُ متقدِّمًا، وكان التركيبُ: إن أردتُ أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحي، وهو من حيث المعنى كالشرط إذا كان بالفاء، نحو: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردتُ أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، ونظيره: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقال الزمخشري: قوله: «إن كان الله يريد أن يُغْويكم» جزاؤُه ما دلَّ عليه قولُه: «لا ينفعكم نُصحي»، وهذا الدليلُ في حكم ما دلَّ عليه، فوُصِلَ بشرطٍ كما وُصل الجزاء بالشرط في قوله: إن أحسنتَ إليَّ أحسنتُ إليك إنْ أمْكَنتني[2].

---

(١) لم أقف عليها.
(٢) الكشاف ٢/٢٦٧.

وقال ابن عطية: وليس نُصحي لكم بنافعٍ ولا إرادتي الخيرَ لكم مُغنيةً إذا كان الله تعالى قد أراد بكم الإغواءَ والإضلال والإهلاك، والشرطُ الثاني اعتراضٌ بين الكلام، وفيه بلاغةٌ من اقتران الإرادتين، وأن إرادة البشر غيرُ مغنيةٍ، وتعلُّقُ هذا الشرط هو بـ«نُصْحي» وتعلُّق الآخَر هو بـ«لا ينفع»[1]. انتهى.

وكذا قال أبو الفرج بنُ الجوزي، قال: جوابُ الأولِ النصحُ، وجوابُ الثاني النفعُ[2].

والظاهرُ أنَّ معنى «يغويكم»: يُضِلّكم، من قوله: غَوَى الرجلُ يَغْوي، وهو الضلالُ.

وفيه إسنادُ الإغواء إلى الله، فهو حجةٌ على المعتزلة إذ يقولون: إن الضلال هو من العبد، وقال الزمخشري[3]: إذا عَرَفَ اللهُ من الكافر الإصرارَ فخلَّاه وشأنَه ولم يُلْجِئْه سُمِّي ذلك إغواءً وإملاء[4]، كما أنه إذا عَرَفَ منه أنه يتوبُ ويَرْعَوي فلَطَفَ به سمِّي إرشادًا وهدايةً. انتهى.

وهو على طريقة الاعتزال، ونصُّوا على أنه لا يوصفُ الله بأنه عارفٌ، فلا ينبغي أن يقال: إذا عرف الله، كما قال الزمخشري.

وللمعتزليِّ أن يقول: لا يتعيَّن أن تكون «إنْ» شرطيةً، بل هي نافيةٌ، والمعنى: ما كان الله يريد أن يغويكم، ففي ذلك دليلٌ على نفي الإضلال عن الله تعالى، ويكون قوله: «ولا ينفعكم نصحي إنْ أردتُ أن أنصح» إخبارًا منه لهم وتعزيةً لنفسه عنهم لمَا رأى من إصرارهم وتَماديهم على الكفر.

وقيل: معنى «يغويكم»: يهلككم، والغَوَى: المرضُ والهلاك، وفي لغةِ طيِّئ: أصبح فلانٌ غاوياً، أي: مريضًا. والغَوَى: بَشَمُ الفصيل، وقال[5] يعقوب في

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٧.
(٢) زاد المسير ٤/ ٩٩.
(٣) في الكشاف ٢/ ٢٦٧.
(٤) في الكشاف: إغواء وإضلالاً.
(٥) في النسخ: وقاله، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ١٦٧، والكلام منه، وينظر التعليق الذي بعده.

«الإصلاح»: وقيل: فَقْدُه اللَّبنَ حتى يموت جوعاً؛ قاله الفرَّاء[١]، وحكاه الطبري[٢]، يقال منه: غَوِيَ يَغْوَى، وحكى الزهراويُّ أنه الذي قُطِعَ عنه اللَّبَنُ حتى كاد يَهْلِكُ ولمَّا يهلك بعد[٣].

قال ابن الأنباري: وكونُ معنى «يغويكم» يهلككم قولٌ مرغوبٌ عنه، وأنكر مكيٌّ أن يكون الغَوَى بمعنى الهلاك موجودًا في لسان العرب، وهو محجوجٌ بنقل الفرَّاء وغيرِه.

وإذا كان معنى «يغويكم» يهلككم فلا حجةَ فيه لا لمعتزليٍّ ولا لسنِّيٍّ، بل الحجةُ من غير هذا، ومعناه: إنكم إذا كنتُم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعُكم نصائحُ الله ومواعظُه وسائرُ ألطافه، كيف ينفعُكم نصحي[٤]؟ وفي قوله: «هو ربُّكم» تنبيهٌ على المعرفة بالخالق، وأنه هو الناظرُ في مصالحكم؛ إن شاء أن يُغْوِيَكم وإن شاء أن يهديكم، وفي قوله: «وإليه تُرجعون» وعيدٌ وتخويف.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قيل: هذه الآيةُ اعْتَرَضتْ في قصة نوحٍ، والإخبارُ فيها عن قريشٍ يقولون ذلك لرسول الله ﷺ، أي: افترى القرآن وافترى هذا الحديثَ عن نوحٍ وقومه.

ولو صحَّ ذلك بسندٍ صحيح لوُقِفَ عنده، ولكنَّ الظاهر أنَّ الضمير في «يقولون» عائدٌ على قوم نوح، أي: بل أيقولون افترى ما أخبرهم به من دِين الله وعقابِ مَن أَعْرضَ عنه، فقال عليه السلام: «قل إن افتريتُه فعليَّ إثْمُ إجرامي» والإجرامُ مصدرُ أَجْرَمَ، ويقال: أجرم ـ وهو الكثير ـ وجَرَمَ بمعنًى، ومنه قولُ الشاعر:

طريدُ عشيرةٍ ورهينُ ذنبٍ ... بما جَرَمَتْ يدي وجَنَى لساني[٥]

---

(١) في إصلاح المنطق ص٢١٣ و٢٢٧: ويقال: قد غَوِيَ الفصيل يَغْوَى غوًى، وهو أن لا يروى من لبأ أمه ولا لبنها حتى يموت هزالًا، وأنشد الفراء... إلخ.

(٢) في تفسيره ١٢/٣٨٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/١٦٧، وعنه نقل المصنف ما سلف من أقوال.

(٤) الكشاف ٢/٢٦٧.

(٥) قائله الهَيْرُدان السعدي كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٨٨، وعزاه صاحب الأغاني ٢/١٩١، وياقوت في معجم البلدان ٢/٦٦ لدثار بن شيبان النَّمِري، والرواية فيهما:

طريد عشيرة وطريد حرب ... بما اجترمت يدي وجنى لساني

وقرئ: «أجرامي» بفتح الهمزة جمع جُرْمٍ، ذكره النحاس[١]، وفسّر بـ: آثامي.

ومعنى «مما تُجرمون»: من إجرامكم في إسناد الافتراء إليَّ، وقيل: مما تُجْرِمون من الكفر والتكذيب.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ قرأ الجمهور: «وأُوْحِي» مبنيًّا للمفعول «أنه» بفتح الهمزة، وقرأ أبو البَرَهْسَم: «وأَوْحَى» مبنيًّا للفاعل «إنه» بكسر الهمزة[٢] على إضمارِ القول على مذهب البصريين، وعلى إجراء «أَوْحى» مُجرى «قال» على مذهب الكوفيين.

أيأسَه الله من إيمانهم، وأنه صار كالمستحيلِ عقلًا، بإخباره تعالى عنهم، ومعنى «إلا مَن قد آمَنَ»، أي: مَن وُجد منه ما كان يُتوقَّع من إيمانه، ونهاه تعالى عن ابتئاسه بما كانوا يفعلون، وهو حزنُه عليهم في استكانةٍ، وابْتأسَ: افْتَعَلَ من البؤس، ويقال: ابتأس الرجلُ: إذا بَلَغَه شيءٌ يكرهُه، وقال الشاعر:

وكم من خليلٍ أو حميمٍ رُزِئْتُه ... فلم نَبْتَئِسْ والرُّزْءُ فيه جليلُ[٣]

وقال آخر:

ما يَقْسِمِ اللهُ أَقْبَلْ غيرَ مبتئسٍ ... منه وأَقْعُدْ كريمًا ناعِمَ البالِ[٤]

وقال آخر:

فارسُ الخيلِ إذا ما وَلْوَلَتْ ... ربَّةُ الخِدْرِ بصوتٍ مُبْتَئِسْ[٥]

وقال آخر:

(١) في معاني القرآن ٣/ ٣٤٦، وذكرها قبله الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٣، والزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٨.
(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٦٩، وتفسير القرطبي ١١/ ١٠٨، وفيهما: فلم أبتئس.
(٤) البيت لحسان، وهو في ديوانه ص٣٨٢.
(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٦٩.

فـي مـأتَـمٍ كـنـعـاج صـا رةَ يَـبْـتَـئِـسْـنَ بـمـا لَـقِـيـنـا[١]

صارةُ: موضعٌ.

«بما كانوا يفعلون» من تكذيبك وإيذائك ومُعاداتك، فقد حان وقتُ الانتقام منهم.

«واصْنَع» عطفٌ على «فلا تبتئس»، «بأعيننا» بمرأى منَّا وكَلَاءةٍ وحفظٍ، فلا تزيغُ صنعتُه عن الصواب فيها، ولا يَحُولُ بين العمل وبينه أحدٌ، والجمعُ هنا كالمفرد في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] وجُمعت هنا لتكثير الكَلَاءة والحفظِ وديمومتها.

وقرأ طلحةُ بن مصرِّفٍ: «بأعْيُنَّا» مدغمةً[٢].

«ووحينا» نُوحي إليك ونُلْهِمُك كيف تصنع، وعن ابن عباس: لم يَعْلَم كيف صنعةُ الفلك، فأوحى الله أن يصنعها مثلَ جُؤجؤ الطائر[٣].

وقيل: ويحتمل قولُه: «بأعيننا»، أي: بملائكتنا الذين جعلناهم عيونًا على مواضعِ حِفْظِكَ ومعونتكَ. فيكونُ اللفظُ هنا للجمع حقيقةً.

وقولُ مَن قال: معنى «ووحينا»: بأمرنا لك، أو: بعِلْمِنا، ضعيفٌ؛ لأن قوله: «واصنع الفلك» مُغْنٍ عن ذلك.

وفي الحديث: كان رازُ سفينة نوحٍ جبريلُ. والراز[٤]: القيِّم بعمل السفينة.

---

(١) البيت للبيد، وهو في ديوانه ص٣٢٦، وتفسير الطبري ١٢/ ٣٩٠، والمحرر الوجيز ٣/١٦٨، وتحرفت فيه «صارة» إلى «حارة». ورواية الديوان: في ربربٍ، وأشار الشارح إلى رواية: مأتم، والربرب: القطيع من بقر الوحش، وهو يشبَّه به النساء اللواتي يَنُحْنَ عليه. قاله الشارح. وقد قيل: إن لبيداً أنشد القصيدة التي منها هذا البيت لما حضرته الوفاة. ينظر الأغاني ١٥/ ٣٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٦٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٣٩٢. وجؤجؤ الطائر والسفينة: صدرهما. مختار الصحاح (جأجا).

(٤) تحرفت في النسخ عدا (يه) إلى: والزان، وكذا قبلها: كان زان...، وفي (يه): كان ربان... والربان، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ١٦٩، وأساس البلاغة والنهاية واللسان (روز).

و«الذين ظلموا»: قومُ نوحٍ، تقدَّم إلى نوحٍ أنْ لا يَشْفَعَ فيهم فيطلبَ إمهالَهم، وعلّل منع مخاطَبَتِه بأنه حَكَم عليهم بالغَرَق، ونهاه عن سؤالِ أمرٍ لا يُجاب إليه، كقوله: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود: ٧٦].

وقيل: «الذين ظلموا»: وَاعِلَةُ زوجتُه وكنعانُ ابنُه.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾﴾ «ويصنع الفلك» حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، و«الفلك»: السفينةُ، ولـمَّا أمره تعالى بأن يصنع الفلكَ قال: يا رب، ما أنا بنجَّارٍ. قال: بلى، ذلك بعَيْني. فأَخذَ القَدُوم وجَعَلَتْ يده لا تُخْطِئُ، فكانوا يمرُّون به ويقولون: هذا الذي يزعمُ أنه نبيٌّ صار نجَّارًا![١].

وقيل: كانت الملائكةُ تعلِّمه، واستأْجَر أُجَراءَ كانوا ينحتون معه، وأَوْحَى الله إليه أنْ عجِّلْ عَمَلَ السفينة فقد اشتدَّ غضبي على مَن عصاني. وكان سامٌ وحامٌ ويافثُ ينحتون معه.

والخشبُ من السَّاج؛ قاله قتادةُ وعكرمةُ والكلبيُّ[٢].

قيل: وغرسه عشرين سنة. وقيل: مكث[٣] مئةَ سنة يَغْرِسُ ويَقْطَعُ ويُيَبِّسُ.

وقال عمرو بن الحارث: لم يَغْرِسْها بل قطعها من جبل لبنان[٤].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٧ عن كعب الأحبار.
(٢) لم أقف عليه عنهم، وينظر تفسير القرطبي ١١/ ١١١.
وهذا مع ما قبله مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ ضمن خبرٍ أخرجه عنه ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٦٥٤ بإسناد فيه إسحاق بن بشر، وهو متروك، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٠١-١٠٢. والساج: شجر يعظم جدًا، ويذهب طولاً وعرضاً، يتغطى الرجل بورقة منه فتكنُّه من المطر. اللسان (سوج).
(٣) تحرفت في المطبوع إلى: ثلاث، وفي (د١) و(ب) إلى: ثلث.
(٤) تفسير القرطبي ١١/ ١١٠.

وقال ابن عباس: من خشب الشمشاذ ـ وهو البَقْصُ ـ قطعه من جبل لبنان[1].

واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول، وفي مقدار مدَّةِ عَمَلِها، وفي المكان الذي عُملت فيه، ومقدارِ طولها وعرضها، على أقوالٍ متعارضةٍ لم يصحَّ منها شيءٌ.

وسُخريتُهم منه لكونهم رأوه يبني السفينةَ ولم يشاهدوا قبلها سفينةً بُنيت، قالوا: يا نوح، ما تصنع؟ قال: أبني بيتًا يمشي على الماء. فعَجِبوا من قوله وسخروا منه، قاله مقاتل[2].

وقيل: لكونه يبني في قريةٍ لا قربَ لها من البحر، فكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح، صِرْتَ نجارًا بعدما كنت نبيًّا.

و«كلما» ظرفٌ؛ العاملُ فيه «سخروا منه»، و«قال» مستأنفٌ على تقديرِ سؤالِ سائلٍ، وجوَّزوا أن يكون العاملُ «قال»، و«سخروا» صفةً لـ«ملأ» أو بدلٌ من «مر»، ويَبْعُدُ البدلُ لأن «سخر» ليس في معنى «مرَّ»؛ لا تَرادُفًا ولا نوعًا منه.

قال ابن عطية: و«سخروا منه»: استَجْهَلوه، فإن كان الأمرُ كما رُوي أنهم لم يكونوا رأوا سفينةً قطُّ ولا كانت، فوجهُ الاستجهال واضحٌ، وبذلك تظاهرت التفاسيرُ، وإن كانت السفائنُ حينئذٍ معروفةً، فاستجهلوه في أنْ صَنَعَها في قريةٍ لا قُرْبَ لها من البحر[3]. انتهى.

«فإنَّا نسخرُ منكم» في المستقبل «كما تسخرون منَّا» الآن ـ أي مثلَ سُخريتكم ـ إذا أُغرقتم في الدنيا وأُحرقتم في الآخرة.

أو: إن تستجهلونا فيما نَصْنَعُ فإنَّا نستجهلُكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرُّضِ لسَخَطِ الله وعذابِه، فأنتم أَوْلَى بالاستجهال منَّا، قال قريباً من معناه الزجَّاج[4].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٠. وقوله: البقص، لم أقف على شرحه، وجاء في التاج (شمذ) شمشاذ معرب شمشاد وهو شجر السرو.
(٢) زاد المسير ٤/ ١٠٣.
(٣) المحرر ٣/ ١٧٠.
(٤) في معاني القرآن ٣/ ٥٠.

أو: إن تستجهلونا فإنَّا نستجهلُكم في استجهالكم؛ لأنكم لا تستجهِلون إلَّا عن جهلٍ بحقيقة الأمر وبناءٍ على ظاهرِ الحال، كما هو عادةُ الجهلة في البُعد عن الحقائق.

وقال ابنُ جريجٍ[١]: إن تسخروا منَّا في الدنيا فإنَّا نسخرُ منكم في الآخرة.

والسخريةُ: استجهالٌ مع استهزاءٍ، وفي قوله: «فسوف تعلمون» تهديدٌ بالغٌ، والعذابُ المُخْزي: الغرقُ، والعذابُ المقيم: عذابُ الآخرة؛ لأنه دائمٌ عليهم سرمدٌ.

و«من يأتيه» مفعولٌ بـ«تعلمون»، و«ما» موصولةٌ، وتعدَّى «تعلمون» إلى واحدٍ استعمالًا لها استعمالَ «عَرَفَ» في التعدية إلى واحدٍ.

وقال ابن عطية: وجائز أن تكون التعديةُ إلى مفعولين، واقتصر على الواحد[٢]. انتهى.

ولا يجوز حذفُ الثاني اقتصارًا لأن أصله خبرُ مبتدأ، ولا اختصارًا هنا لأنه لا دليلَ على حذفه. ويَعْنيهم بقوله «مَن يأتيه». وقيل: «مَن» استفهامٌ في موضع رفعٍ على الابتداء، و«يأتيه» الخبرُ، والجملةُ في موضع نصبٍ، و«تعلمون» معلَّقٌ وسدَّت الجملةُ مسدَّ المفعولين.

وحكى الزهراويُّ أنه يُقرأ: «ويَحُلُّ» بضم الحاء «ويَحِل» بكسرها بمعنى: ويَجِبُ[٣].

قال الزمخشري: [ويَحِلُّ عليه] حلولَ الدَّين والحقِّ اللازِمِ الذي لا انفكاكَ له عنه[٤].

ومعنى «يُخزيه»: يفضحُه، أو يهلكُه، أو يذلُّه، وهو الغرقُ. أقوالٌ متقاربةٌ.

---

(١) كذا في النسخ، وهو تحريف، والصواب: ابن جرير، كما في زاد المسير ٤/ ١٠٣، وكلام ابن جرير في تفسيره ١٢/ ٣٩٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٠.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦٩، وما بين حاصرتين منه.

«حتى إذا جاء أمرنا» تقدَّم الكلامُ على دخول «حتى» على «إذا» في أوائل سورة الأنعام[(١)]، وهي هنا غايةٌ لقوله: «ويصنع الفلك»، و«يصنع» كما قلنا حكايةُ حالٍ، أي: وكان يصنعُ الفلك إلى أن جاء وقتُ الوعد الموعود، والجملة من قوله: «وكلما مرَّ عليه» حالٌ، كأنه قيل: ويصنعها والحالُ أنه كلَّما مرَّ.

و«أَمْرُنا» واحدُ الأمور، أو مصدرٌ[(٢)]، أي: أَمْرُنا بالفوران، أو: للسحاب بالإرسال وللملائكة بالتصرُّف في ذلك، ونحو هذا مما يقدَّر في النازلة.

و«فار» معناه: انبعث بقوةٍ، و«التنور» وجهُ الأرض، والعربُ تسمِّيه تَنُّورًا، قاله ابنُ عباس وعكرمةُ والزهريُّ وابنُ عيينة[(٣)].

أو: التنورُ الذي يُخْبَزُ فيه، وكان من حجارةٍ، وكان لحوَّاء حتى صار لنوحٍ، قاله الحسنُ ومجاهدٌ، ورُوي أيضًا عن ابن عباس[(٤)]. وقيل: كان لآدم[(٥)]. وقيل: كان تنورَ نوح.

أو: أعلى الأرضِ، والمواضعُ المرتفعةُ، قاله قتادة.

أو: العين التي بالجزيرة عين الوردة[(٦)]، رواه عكرمةُ.

أو: مِن أقصى دارِ نوحٍ، قاله مقاتل.

أو: موضعُ اجتماع الماء في السفينة، روي عن الحسن.

أو: طلوع الشمس، ورُوي عن عليٍّ.

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

(٢) أي: مصدر: أَمَر، فيكون واحدَ الأوامر. ينظر روح المعاني ١١/٤٤٦.

(٣) تفسير القرطبي ١١/١١٤، وأخرجه عن ابن عباس وعكرمة الطبريُّ ١٢/٤٠١-٤٠٢.

(٤) أخرج أخبارهم الطبري ١٢/٤٠٤-٤٠٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/٣٢٢ عن مقاتل، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٠٥ من طريق أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) عين وردة: هي رأس عين، المدينة المشهورة بالجزيرة، وبقربها يقع جبل طور زيتا عند قنطرة الخابور. ينظر معجم البلدان ٤/٤٧ و١٨٠.

أو: نور الصبح، من قولهم: نوَّر الفجرُ تنويرًا، قاله عليٌّ ومجاهدٌ[(١)].

أو هو مجازٌ، والمراد غلبةُ الماءِ وظهورُ العذاب، كما قال ﷺ لشدة الحرب: «حَمِيَ الوطيس»[(٢)]، و«الوطيسُ» أيضًا مستوقَدُ النار، فلا فرق بين «حَمِيَ» و«فار» إذ يُستعملان في النار، قال الله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧] ولا فرقَ بين «الوطيس» و«التنور».

والظاهرُ من هذه الأقوال حَمْلُه على التنور الذي هو مستوقَدُ النار، ويحتملُ أن تكون «أل» فيه للعهد لتنورٍ مخصوصٍ، ويحتمل أن تكون للجنس، ففار الماءُ من التنانير، وكان ذلك مِن أعجب الأشياء أن يفورَ الماءُ من مستوقَدِ النيران، ولا تَنَافيَ بين هذا وبين قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] إذ يمكن أن يراد بالأرض أماكنُ التنانير، أو التفجيرُ غيرُ الفَوَران، فحصل الفورانُ للتنور والتفجيرُ للأرض.

والضمير في «فيها» عائدٌ على «الفلك»، وهو مذكَّرٌ أُنِّث على معنى السفينة، وكذلك قولُه: «وقال اركبوا فيها».

وقرأ حفصٌ: «من كلٍّ زوجين» بتنوين «كل»[(٣)]، أي: من كلِّ حيوانٍ، و«زوجين» مفعولٌ، و«اثنين» نعتُ توكيدٍ وباقي السبعة بالإضافة، و«اثنين» مفعولُ «احمل»، و«زوجين» بمعنى العموم، أي: من كلِّ ما له ازدواجٌ، هذا معنى «من كلِّ زوجين» قاله أبو عليٍّ وغيرُه[(٤)].

قال ابن عطية: ولو كان المعنى: احمل فيها من كلِّ زوجين حاصلين اثنين، لوَجَبَ أن يَحمل من كلِّ نوعٍ أربعةً، والزوجُ في مشهور كلام العرب للواحد ممَّا له

---

(١) أخرجه عن علي ﷺ الطبري ١٢/ ٤٠٢-٤٠٣، وأخرج أيضاً قول قتادة ١٢/ ٤٠٤، وتنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٢/ ٤٧٢، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧٠-١٧١، وزاد المسير ٤/ ١٠٥.

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد (١٧٧٥)، ومسلم (١٧٧٥) عن العباس ﷺ. وهذا القول قال عنه الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٤٤٧: وهو معنًى حسن، ولكنه بعيد عما جاءت به الأخبار.

(٣) السبعة ص٣٣٣، والتيسير ص١٢٤.

(٤) الحجة ٤/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧١، والكلام منه.

ازدواجٌ، فيقال: هذا زوجُ هذا، وهما زوجان، وهذا هو المَهْيَعُ في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ثم فسرها، وفي قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]. وقال الأخفش: وقد يقال في كلام العرب للاثنين: زوجٌ، وهكذا يأخذه العدديون. والزوجُ أيضًا في كلام العرب: النوع، كقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧] وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦](١). انتهى.

ولمَّا جَعَلَ المطرُ ينزلُ كأفواه القِرَب جَعَلت الوحوشُ تطلبُ وسط الأرض هربًا من الماء، حتى اجتمعت عند السفينة، فأمره الله أن يحمل من الزوجين اثنين ـ يعني ذكرًا وأنثى ـ ليبقى أصلُ النَّسل بعد الطُّوفان، فرُوي أنه كان يأتيه أنواعُ الحيوان، فيضعُ يمينَه على الذَّكَر ويسارَه على الأنثى(٢)، وكانت السفينة ثلاثَ طبقاتٍ: السُّفلى للوحوش، والوُسطى للطعام والشراب، والعُليا له ولمن آمن(٣).

و«أهلك» معطوفٌ على «زوجين» إنْ نوّن «كلّ»، وعلى «اثنين» إنْ أُضيف، واستثنى من أهله مَن سَبَقَ عليه القولُ بالهلاك وأنه من أهل النار.

قال الزمخشري(٤): سبق عليه القولُ بذلك [للعلم] بأنه(٥) يختارُ الكفر، لا لتقديرِه عليه وإرادته، تعالى عن ذلك انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

والذي سبق عليه القولُ امرأتُه واعلةُ ـ بالعين المهملة ـ وابنُه كنعان. و«مَن آمَنَ» عطفٌ على «وأهلك»، قيل: كانوا ثمانين رجلًا وثمانين امرأةً.

وقيل: كانوا ثلاثةً وثمانين.

وقال ابن عباس: آمَنَ معه ثمانون رجلًا.

وعنه: ثمانون إنسانًا، ثلاثةٌ من بنيه: سامٌ وحامٌ ويافثُ، وثلاثُ كَنَائنَ له،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٧١، وكلام الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٥٠٧.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧١.
(٣) ذكره القرطبي ١١/ ١١٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) في الكشاف ٢/ ٢٦٩، وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٥) في النسخ: أنه، والمثبت من الكشاف. وكلمة: بذلك، سقطت من (ح) و(د١) والمطبوع.

ولمَّا خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل[(١)].

وقيل: كانوا ثمانيةً وسبعين نصفُهم رجالٌ ونصفُهم نساء.

وقال ابن إسحاق: كانوا عشرةً سوى نسائهم، نوحٌ وبنوه سامٌ وحامٌ ويافث، وستةُ أُناسٍ ممَّن كان آمَنَ به، وأزواجُهم جميعًا.

وعن ابن إسحاق: كانوا عشرةً: خمسةَ رجالٍ وخمسَ نسوةٍ.

وقيل: كانوا تسعةً، نوحٌ وثمانيةُ أبناءٍ له وزوجتُه[(٢)].

وقيل: كانوا ثمانية، نوحٌ، وزوجتُه غير التي عُوقبت، وبنوه الثلاثة، وزوجاتهم. وهو قولُ قتادةَ والحكم ابن عتيبة وابنُ جُريجٍ ومحمد بنُ كعبٍ.

وقال الأعمش: كانوا سبعةً: نوحٌ وثلاثُ كنائن وثلاثُ بنين[(٣)].

وهذه أقوالٌ متعارِضةٌ، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمَنَ معه إلا قليلٌ، ولا يمكنُ التنصيصُ على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنصٍّ عن رسول الله ﷺ.

* * *

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٖ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدٗا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ

---

(١) بليدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل. معجم البلدان ٢/ ٨٤.

(٢) فصاروا على هذا عشرة، إلا إذا لم يُعَدَّ نوح عليه السلام معهم، وإن كان في غير هذا القول قد عُدَّ معهم كما هو ظاهر من الأقوال المذكورة.

(٣) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/ ٤١٠-٤١٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣١-٢٠٣٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٢٢، والنكت والعيون ٢/ ٤٧٢-٤٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧٢، وزاد المسير ٤/ ١٠٦-١٠٧، وتفسير القرطبي ١١/ ١١٧-١١٨. عدا القول بأنهم تسعة، فلم أقف عليه.

فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ
مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ
سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾
قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ
إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

**المفردات**

رسا الشيءُ يرسو: ثبَتَ واستقرَّ، قال:

**فصَبَرْتُ نفسًا عند ذلك حرةً ... تَرْسُو إذا نفسُ الجبان تَطلَّعُ**(1)

البلعُ معروفٌ، والفعل منه: بَلِعَ بكسر اللام وبفتحها، لغتان حكاهما الكسائيُّ والفرَّاء يَبْلَع بَلْعاً، والبالوعةُ: الموضع الذي يشربُ الماء.

الإقلاع: الإمساك، يقال: أقلع المطرُ، وأقلعت الحمَّى، أي: أمسكت عن المحموم. وقيل: أقلع عن الشيء: تركه، وهو قريبٌ من الإمساك.

---

(1) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٤٩، وتفسير الطبري ١٢/ ٤١٥، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧٣، ورواية الديوان: فصبرتُ عارفةً لذلك. وهكذا سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

غاض الماء: نَقَصَ في نفسه، وغِضْتُه نَقَصْتُه، جاء لازمًا ومتعدِّيًا.

الجوديُّ: عَلَمٌ لجبل بالموصل، ومَن قال بالجزيرة أو بآمِدَ فلأنهما قريبان من الموصل. وقيل: الجوديُّ اسمٌ لكلِّ جبلٍ، ومنه قولُ زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ:

سبحانه ثم سبحانًا يعودُ له وقَبْلَنا سبَّح الجوديُّ والجُمُدُ[1]

اعتراه بكذا: أصابه به، وهو: افْتَعَلَ مِن عَرَاه يَعْروه.

الناصية: مَنْبِتُ الشعر في مقدَّم الرأس، ويسمَّى الشَّعَرُ النابتُ هناك: ناصيةً باسم مَنْبِته[2]، ونَصَوْتُ الرجلَ أَنْصُوْه نَصْوًا: مَدَدْتُ ناصِيتَه.

الجبَّار: المتكبِّر.

العنيد: الطاغي الذي لا يقبلُ الحقَّ، ولا يصغي إليه، من عَنَدَ يَعْنِدُ: حاد عن الحق إلى جانبٍ، قيل: ومنه: عندي كذا، أي: في جانبي. وقال أبو عبيدة: العَنيدُ والعَنودُ والعَانِدُ والمُعانِدُ: المُعارِضُ بالخلاف، ومنه قيل للعِرْق الذي ينفجرُ بالدم: عانِدٌ[3].

* * *

التفسير ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الضميرُ في «وقال» عائدٌ على نوحٍ، أي: وقال نوحٌ حين أُمِرَ بالحمل في السفينة لمن آمَنَ معه ومَن أُمِرَ بحمله: «اركبوا فيها».

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٩٠، وعزاه سيبويه في الكتاب ١/ ٣٢٦ لأمية بن أبي الصلت، وابن الأنباري في الزاهر ١/ ٥١ لزيد بن عمرو بن نفيل أو لورقة بن نوفل، وكذا عزاه في النهاية (جمد)، والخزانة ٣/ ٣٨٩ لورقة. قال البغدادي: وقال بعضهم: هو لزيد بن عمرو بن نفيل، والصواب ما قدمناه. والرواية في الخزانة: ثم سبحانًا نعوذ به. والجُمُد بضم الميم والجيم: جبل معروف، وروي بفتحهما. قاله في النهاية.

(٢) أي: باسم محله. الدر المصون ٦/ ٣٤٤.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٢٩، وتفسير القرطبي ١١/ ١٤٧، والكلام بنحوه في مجاز القرآن ١/ ٢٩٠.

وقيل: الضميرُ عائدٌ على الله، والتقدير: وقال الله لنوحٍ ومَن معه. ويُبْعِدُ ذلك قولُه: «إن ربِّي لغفورٌ رحيم».

قيل: وغلَّب مَن يعقلُ في قوله: «اركبوا»، وإن كانوا قليلاً بالنسبة لمَا لا يعقلُ ممَّن حُمل فيها.

والظاهرُ أنه خطابٌ لمن يعقلُ خاصةً؛ لأنه لا يليقُ بما لا يعقل.

وعُدِّي «اركبوا» بـ«في» لتضمينه[1] معنى: صِيْروا فيها، أو معنى: ادخلوا فيها، وقيل: التقدير: اركبوا الماء فيها.

وقيل: «في» زائدة للتوكيد، أي: اركبوها.

والباء في «بسم الله» في موضع الحال، أي: متبرِّكينَ باسم الله، و«مجراها ومرساها» منصوبان: إمَّا على أنهما ظرفا زمانٍ أو مكانٍ لأنهما يجيئان لذلك، أو ظرفا زمانٍ على جهة الحذف كما حُذف من: جئتُكَ مَقْدَمَ الحاجِّ، أي: وقتَ قدوم الحاجِّ، فيكون «مجراها ومرساها» مصدران في الأصل حُذف منهما المضافُ، وانتصبا بما في «بسم الله» من معنى الفعل[2].

ويجوز أن يكون «باسم الله» حالًا من ضمير «فيها»، و«مجراها ومرساها» مصدران مرفوعان على الفاعلية، أي: اركبوا فيها مُلْتَبِسًا باسم الله إجراؤها وإرساؤها، أي: ببركة اسم الله.

أو يكون «مجراها ومرساها» مرفوعين على الابتداء و«باسم الله» الخبر، والجملةُ حالٌ من الضمير في «فيها».

وعلى هذه التوجيهات الثلاثةِ فالكلامُ جملةٌ واحدة، والحالُ مقدَّرةٌ، ولا يجوز مع رفع «مجراها ومرساها» على الفاعلية أو الابتداء أن يكون حالًا من ضمير «اركبوا» لأنه لا عائد عليه فيما وقع حالًا.

---

(١) في (ح): لتضمنه.

(٢) والتقدير: متبركين باسم الله وقت الإجراء والإرساء، وهذا على تقدير كونهما مصدرين حذف منهما المضاف، فإذا كانا ظرفا مكان أو زمان، فالتقدير: متبركين باسم الله في هذين الوقتين، أو: في هذين المكانين.

ويجوزُ أن يكون «باسم الله مجراها ومرساها» جملةً ثانيةً من مبتدأ وخبر لا تعلُّق لها بالجملة الأولى من حيث الإعراب، أَمَرهم أولًا بالركوب، ثم أَخْبَر أن مجراها ومرساها بذكر الله، أو بأمره وقدرته، فالجملتان كلامان محكيَّان بـ«قال»، كما أن الجملةَ الثانيةَ محكيةٌ أيضاً بـ«قال».

وقال الضحاك: إذا أراد جَرْيَ السفينة قال: بسم الله مجراها، فتجري، وإذا أراد وقوفها قال: بسم الله مُرساها، فتقف[1].

وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء والأعرج وشيبة والجمهور من السبعة الحرميَّان والعَرَبيَّان وأبو بكر: «مُجراها» بضم الميم. وقرأ الأخَوَان وحفصٌ بفتحها، وكلُّهم ضمَّ ميم «مُرساها»[2].

وقرأ ابن مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن عليٍّ والأعمش «مَجراها ومَرساها» بفتح الميمين[3] ظرفي زمانٍ أو مكان أو مصدرين على التقارير السابقة[4].

وقرأ الضحاك والنخعيُّ وابنُ وثَّابٍ وأبو رجاءٍ ومجاهدٌ وابنُ جندبٍ والكلبيُّ والجحدريُّ: «مُجْرِيها ومُرْسِيها»[5] اسْمَيْ فاعِلٍ من أجْرَى وأَرْسَى على البدل من اسم الله، فهما في موضع جرٍّ، ولا يكونان صفتين لكونهما نكرتين، وقال ابن عطية: وهما على هذه القراءة صفتان عائدتان على ذكره في قوله: «بسم الله»[6]. انتهى.

ولا يكونان صفتين إلَّا على تقديرِ أن يكونا معرفتين، وقد ذهب الخليلُ إلى أنَّ ما كانت إضافتُه غيرَ مَحْضةٍ قد يصحُّ أن تُجعل محضةً فيُعرَّف، إلا ما كان من الصفة المشبَّهة فلا تتمحَّضُ إضافتها فلا تُعرَّف.

---

(١) أخرجه الطبري ١٢/ ٤١٦، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٣، وذكره ابن عطية في المحرر ٣/ ١٧٢، وهذا لفظه.
(٢) السبعة ص٣٣٣، والتيسير ص١٢٤، والمحرر ٣/ ١٧٢، والكلام منه.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧٢ عن الأعمش وابن مسعود.
(٤) يعني: هما بفتح الميمين ظرفا زمان أو مكان أو مصدرين من جرت ورست، وبضم الميمين كذلك لكن من أجرى وأرسى.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٢، وهي في القراءات الشاذة ص٦٠ عن مجاهد والجحدري.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٢.

«إن ربي لغفورٌ» سَتُورٌ عليكم ذنوبَكم بتوبتكم وإيمانِكم، «رحيمٌ» لكم إذ أنجاكم من الغرق.

ورُوي في الحديث: أنَّ نوحًا ركب في السفينة أولَ يومٍ من رجب، وصام الشهرَ أَجْمعَ[١].

وعن عكرمةَ: لعشرٍ خَلَوْنَ من رجب[٢].

«وهي تجري بهم» إخبارٌ من الله تعالى بما جرى للسفينة، و«بهم» حالٌ، أي: مُلْتَبِسةً بهم، والمعنى: تجري وهم فيها في موجٍ كالجبال، أي: في موجِ الطوفان، شبَّه كلَّ موجةٍ منه بجبلٍ في تراكُمِها وارتفاعِها، رُوي أنَّ السماء أمطرت جميعُها حتى لم يكن في الهواء جانبٌ إلَّا أَمْطَرَ، وتفجَّرت الأرضُ كلُّها بالنبع، وهذا معنى التقاءِ الماء.

ورُوي أنَّ الماء علا على الجبال وأعالي الأرضِ أربعين ذراعًا، وقيل: خمسةَ عَشَرَ.

وكونُ السفينة تجري في موجٍ دليلٌ على أنه كان في الماء موجٌ، وأنه لم يُطْبَقِ الماءُ ما بين السماء والأرض، وأنَّ السفينة لم تكن تجري في جوف الماء والماءُ أعلاها وأسفلَها، فكانت تسبحُ في الماء كما تسبحُ السمكة كما أشار إليه الزجَّاجُ والزمخشري[٣] وغيرُهما، وقد استبعد ابنُ عطية هذا، قال: وأين كان الموجُ كالجبال على هذا، ثم كيف استقامتْ حياةُ مَن في السفينة[٤].

وأجاب الزمخشريُّ بأنَّ الجريان في الموج كان قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماءُ الجبالَ، ألا ترى إلى قولِ ابنه: «سآوي إلى جبلٍ يعصمُني من الماء»[٥].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الطبري ١٢/ ٤١٩-٤٢٠ من طريق عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الحافظ في الإصابة ٧/ ٣٢٦: هذا مقطوع وفيه انقطاع، والصواب رواية عبد الغفور عن أبيه عبد العزيز عن أبيه سعيد. هذا من حيث السند، وإلا فرجاله ما بين ضعيف ومجهول.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٢، وتفسير القرطبي ١١/ ١١٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٥٣، والكشاف ٢/ ٢٧٠.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٣.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٧٠.

«ونادى نوحٌ ابنَه» الواو لا ترتِّبُ، وهذا النداءُ كان قبل جَرْيِ السفينة في قوله: «وهي تجري بهم في موجٍ». وفي إضافته إليه هنا وفي قوله: «إنَّ ابني من أهلي»، ونِدائه، دليلٌ على أنه ابنُه لِصُلْبِه، وهو قولُ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ وعكرمةَ والضحَّاك وابنِ جُبيرٍ وميمون بنِ مِهْرانَ والجمهورِ[١]، واسمُه كنعان، وقيل: يام[٢].

وقيل: كان ابنَ قريبٍ له، ودعاه بالبُنُوَّة حنانًا منه وتلطُّفًا[٣].

وقرأ الجمهورُ بكسرِ تنوينِ «نوح»، وقرأ وكيعُ بنُ الجرَّاح بضمِّه؛ أَتْبَعَ حركتَه حركةَ الإعراب في الحاء، قال أبو حاتم: هي لغةُ سوءٍ لا تُعرف[٤].

وقرأ الجمهورُ بوصل هاء الكناية بواوٍ، وقرأ ابنُ عباس: «ابنهْ» بسكون الهاء، قال ابن عطية[٥] وأبو الفضل الرازي: وهذا على لغةٍ لأزدِ السَّراة، يسكِّنون هاءَ الكناية من المذكَّر، ومنه قولُ الشاعر:

ونضواي مُشتاقان لَهْ أَرِقانِ[٦]

وذكر غيره أنها لغةٌ لبني كلاب وعُقيلٍ، ومن النحويين مَن يخصُّ هذا السكونَ بالضرورة، وينشدون:

---

(١) أخرجه عنهم ـ عدا ابن مسعود ـ الطبري ١٢/ ٤٢٨-٤٣٣.
(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٧٦، وزاد المسير ٤/ ١٠٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) عجز بيت ليعلى الأحول الأزدي كما في الأغاني ٢٢/ ١٤٨، والخزانة ٥/ ٢٧٥، وصدره: فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخِيلُه، وفي رواية: فَبِتُّ لدى...، وفي رواية: أُرِيغُه، بدل: أُخيله، ينظر المقتضب ١/ ٣٩ و٣٦٧، والأصول في النحو ٣/ ٤٦١، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٢٧، والخصائص ١/ ١٢٨ و٣٧٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٧٣، والروض الأنف ١/ ٢٠٢، واللسان (مطو). والرواية في جميع هذه المصادر عدا الروض الأنف: ومِطْواي، وهو مثنَّى: مِطْوٍ، وهو الصديق والصاحب، ولم أقف على وجه قوله: نضواي، ولعله تحريف. والرواية في الأغاني: ومِطواي من شوق له أرِقان، وعليه لا شاهد فيه كما قال صاحب الخزانة. والبيت في وصف سحاب أو برق كما في اللسان، ومعنى أُريغه: أطلبه، و«لدى» بمعنى: عند، قاله صاحب الخزانة.

**وأشربُ الماءَ ما بي نحوه عطشٌ إلَّا لأنَّ عيونَهْ سَيْلُ واديها**[(١)]

وقرأ السُّدِّيُّ: «ابناهُ» بألفٍ وهاءِ السكت[(٢)]، قال أبو الفتح: ذلك على النداء وذهبت فرقةٌ إلى أنه على النُّدْبةِ والرثاء[(٣)].

وقرأ عليٌّ، وعروةُ، وعليُّ بن الحسين، وابنُه أبو جعفر، وابنه جعفر: «ابْنَهَ» بفتح الهاء من غير ألفٍ، أي: ابنها، مضافًا لضمير امرأته، فاكتفى بالفتحة عن الألف[(٤)]، قال ابن عطية: وهي لغةٌ، ومنه قولُ الشاعر:

**إمَّا تقودُ بها شاةٌ فتأكلها أو أنْ تَبيعهَ في بعض الأراكيبِ**[(٥)]

وأنشد ابن الأعرابي على هذا:

**فلستُ بمدرِكٍ ما فات منِّي بلَهْفَ ولا بِلَيْتَ ولا لَوَانِّي**[(٦)]

انتهى. يريد: تبيعها، و: بلَهْفَا[(٧)]. وخطَّأ النحاسُ أبا حاتم في حذف هذه الألف، قال ابنُ عطية[(٨)]: وليس كما قال. انتهى.

وهذا ـ أعني: مثل بلَهْفَ بحذف الألف ـ عند أصحابنا ضرورةٌ، ولذلك لا يُجيزون: يا غلامَ، بحذف الألف والاجتزاءِ بالفتحة عنها، كما اجتزؤوا بالكسرة في: يا غلامِ، عن الياء، وأجاز ذلك الأخفشُ.

وقرأ أيضًا عليٌّ وعروةُ: «ابنَها» بفتح الهاء وألفٍ، أي: ابنَ امرأته[(٩)]، وكونُه

---

(١) البيت في المحتسب ١/ ٢٤٤، والخصائص ١/ ١٢٨ و٣٧١، وشرح الشافية ٤/ ٢٤٠، والخزانة ٥/ ٢٧٠.

(٢) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢٢، والمحرر ٣/ ١٧٣.

(٣) المحتسب ١/ ٣٢٣، والمحرر ٣/ ١٧٣، والكلام منه.

(٤) المحتسب ١/ ٣٢٢، والمحرر ٣/ ١٧٣، وما بعده منه.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٣، وشرح الشافية ٤/ ٢٤٠، ورصف المباني ص١٥، والخزانة ٥/ ٢٧٢.

(٦) الخصائص ٣/ ١٣٥، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٢١، والمحرر ٣/ ١٧٤، والإنصاف ١/ ٣٩٠ و٢/ ٤٤٩ و٥٤٦، والمحكم لابن سيده ٤/ ٣٢٠، والخزانة ١/ ١٣١.

(٧) أي: بأن أقول: والهفا. المحكم ٤/ ٣٢٠.

(٨) في المحرر ٣/ ١٧٤، وكلام النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٤.

(٩) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢٢.

لَيس ابنَه لصُلْبه وإنما كان ابنَ امرأته قولُ عليٍّ والحسن وابنِ سيرين وعُبيد بن عُمير[(١)]، وكان الحسن يحلفُ أنه ليس ابنَه لصُلبه، قال قتادة: فقلتُ له: إنَّ الله حكى عنه «إنَّ ابني من أهلي» وأنت تقول: لم يكن ابنَه، وأهلُ الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنَه؟ فقال: ومَن يأخذُ دِينَه من أهل الكتاب؟ واستَدَلَّ بقوله: «من أهلي» ولم يقل: منِّي، فعلى هذا يكون ربيبًا[(٢)].

وكان عكرمةُ والضحاك يحلفان على أنه ابنُه[(٣)].

ولا يُتَوَهَّمْ أنه كان لغير رِشْدةٍ؛ لأن ذلك غضاضةٌ عُصِمَتْ منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورُوي ذلك عن الحسن وابن جُريج[(٤)]، ولعله لا يصحُّ عنهما.

وقال ابن عباس: ما بغت امرأةُ نبيٍّ قط[(٥)].

والذي يدلُّ عليه ظاهرُ الآية أنه ابنُه، وأمَّا قراءةُ مَن قرأ: «ابنَهَ» أو «ابنها» فشاذةٌ، ويمكن أنَّه نُسب إلى أمه وأُضيف إليها ولم يُضَفْ إلى أبيه لأنه كان كافرًا مِثْلَها فلُحِظَ فيه هذا المعنى، ولم يُضَفْ إليه استبعادًا له ورَغْيا أنْ لا يضافَ إليه كافرٌ، وإنما ناداه ظنّاً منه أنه مؤمنٌ، ولولا ذلك ما أحبَّ نجاته، أو ظنًّا منه أنه يؤمنُ إن كان كافرًا؛ لمَا شاهَدَ من الأهوال العظيمة، وأنه يَقبل الإيمان، ويكونُ قوله: «اركب معنا» كالدلالة على أنه طلب منه الإيمانَ، وتأكَّد بقوله: «ولا تكن مع الكافرين»، أي: اركب مع المؤمنين إذ لا يركبُ معهم إلا مؤمنٌ؛ لقوله: «ومَن آمَنَ».

و«في معزلٍ»، أي: في مكانٍ عَزَلَ فيه نفسَه عن أبيه وعن مركب المؤمنين.

وقيل: في معزلٍ عن دين أبيه.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/١٧٦، وتفسير الرازي ١٧/ ٢٣١، ولم يذكره ابن عطية عن علي ﷺ، وذكره عنه الرازي، لكن كلامه يدل على أنه استنبطه من قراءة علي ﷺ: «ابنها»، وقد سلفت قريباً.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٧٠، وتفسير الرازي ١٧/ ٢٣١، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٤٢٧، لكن ليس فيه الاستدلال المذكور.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٦، وأخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٤٣١-٤٣٢.

(٤) أخرجه عن الحسن ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠، وعن ابن جريج الطبريُّ ١٢/ ٤٢٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٣٠، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠.

ونداؤه بالتصغير خطابُ تحنُّنٍ ورأفةٍ، والمعنى: اركب معنا في السفينة فتنجوَ، ولا تكن مع الكافرين فتهلكَ.

وقرأ عاصم: «يا بنيَّ» بفتح الياء[1]، ووجِّه على أنه اجْتَزأ بالفتحة عن الألف، وأصله: يا بُنيًّا، كقولك: يا غلامًا، كما اجتزأ باقي السبعة بالكسرة عن الياء في قراءتهم: «يا بنيِّ» بكسر الياء، أو أنَّ الألف انحذفت لالتقائها مع راء «اركب».

وظنَّ ابنُ نوحٍ أنَّ ذلك المطرَ والتفجيرَ على العادة، فلذلك قال: «سآوي إلى جبلٍ يَعْصِمُني من الماء»، أي: من وصول الماء إليَّ فلا أغرق، وهذا يدلُّ على تَمادِيه في الكفر، وعدمِ وثوقه بأبيه فيما أخبر به.

قيل: والجبلُ الذي عناه: طورُ زِيْتَا، فلم يمنعه.

والظاهرُ إبقاء «عاصم» على حقيقته، وأنه نَفَى كلَّ عاصمٍ من أمر الله في ذلك الوقتِ، وأن «مَن رحم» يقع فيه «مَن» على المعصوم، والضميرُ الفاعلُ يعود على الله تعالى، وضمير الموصول محذوفٌ، ويكون الاستثناءُ منقطعًا، أي: لكنْ مَن رحمه الله معصومٌ.

وجوَّزوا أن يكون «مَن» لِلّه تعالى، أي: لا عاصم إلا الراحمُ، وأن يكون «عاصم» بمعنى: ذي عصمةٍ، كما قالوا: لابِنٌ، أي: ذو لَبَنٍ، وذو عصمةٍ يُطلق على «عاصم» وعلى معصوم، والمراد به هنا المعصوم، أو فاعلٌ بمعنى مفعول، فيكون «عاصم» بمعنى معصوم، كـ: ماء دافق، بمعنى: مدفوق، وقال الشاعر:

بطيءُ القيام رخيمُ الكلا ... مِ أمسى فؤادي به فاتنا[2]

أي: مفتونًا، و«مَن» للمعصوم، أي: لا ذا عصمةٍ أو لا معصومَ إلا المرحومُ.

وعلى هذين التجويزين يكون استثناءً متصلًا.

---

(١) السبعة ص٣٣٤، والتيسير ص١٢٤.

(٢) الصحاح (فتن)، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٢٤، وتفسير القرطبي ١١/ ١٢٥. ورواية الصحاح: رخيم الكلام قطيع القيام.

وجَعَله الزمخشريُّ متصلًا بطريقةٍ أخرى، وهو حذفُ مضافٍ، وقدَّره: لا يعصمك اليوم معتصَمٌ قطُّ من جبلٍ ونحوِه سوى معتصَمٍ واحدٍ، وهو مكانُ مَن رحمهم الله ونجَّاهم، يعني: في السفينة[1]. انتهى.

والظاهرُ أنَّ خبر «لا عاصم» محذوفٌ؛ لأنه إذا عُلم كهذا الموضع التَزَمَ حَذْفَه بنو تميم، وكَثُرَ حذفُه عند أهل الحجاز؛ لأنه لمَّا قال: «سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء» قال له نوح: «لا عاصم»، أي: لا عاصم موجودٌ، ويكون «اليوم» منصوبًا على إضمار فعلٍ يدلُّ عليه «عاصم»، أي: لا عاصم يعصمُ اليومَ من أمر الله، و«من أمر» متعلقٌ بذلك الفعلِ المحذوفِ، ولا يجوزُ أن يكون «اليوم» منصوبًا بقوله: «لا عاصم»، ولا أن يكون «من أمرِ الله» متعلِّقًا به؛ لأنَّ اسم «لا» إذ ذاك كان يكونُ مطوَّلًا، وإذا كان مطوَّلًا لزم تنوينُه وإعرابُه ولا يُبْنَى، وهو مبنيٌّ، فبَطَلَ ذلك.

وأجاز الحوفيُّ وابنُ عطيةَ أن يكون «اليوم» خبرًا لقوله: «لا عاصم»؛ قال الحوفي: ويجوز أن يكون «اليوم» خبرًا، ويتعلق بمعنى الاستقرار، وتكون «مِن» متعلقةً بما تعلَّق به «اليوم». وقال ابن عطية: و«اليوم» ظرفٌ، وهو متعلقٌ بقوله: «من أمر الله»، أو بالخبر الذي تقديره: كائنٌ اليوم[2]. انتهى.

وردَّ ذلك أبو البقاء فقال: فأمَّا خبر «لا» فلا يجوز أن يكون «اليوم»؛ لأن ظرف الزمان لا يكون خبرًا عن الجثة، بل الخبرُ «من أمر الله» و«اليوم» معمولُ «من أمر الله»[3].

وقال الحوفي: ويجوزُ أن يكون «اليوم» نعتًا لـ«عاصم» و«مِن» الخبر. انتهى، ويردُّ بما ردَّ به أبو البقاء: من أن ظرف الزمان لا يكونُ نعتًا للجثث كما لا يكون خبرًا.

وقرئ: «إلا مَن رُحِم» بضم الراء مبنيًّا للمفعول[4]، وهذا يدلُّ على أن المراد بـ«مَن» في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء هو المرحومُ لا الراحم.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٥.
(٣) الإملاء ٢/ ٣٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٧١.

و«حال بينهما»، أي: بين نوحٍ وابنِه، قيل: كانا يتراجعان الكلامَ فما استَتَمَّتِ المراجعةُ حتى جاءت موجةٌ عظيمةٌ، وكان راكبًا على فرسٍ قد بَطِرَ وأُعجب بنفسه، فالتقمته وفرسَه وحِيلَ بينه وبين نوحٍ فغرق.

وقال الفرَّاء[(١)]: «بينهما» أي: بين ابنِ نوحٍ والجبل الذي ظنَّ أنه يعصمُه.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ قال الزمخشري: نداءُ الأرضِ والسماءِ بما يُنادَى به الإنسانُ المميِّز على لفظ التخصيصِ والإقبالِ عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قولُه: «يا أرض» و«يا سماء»، ثم أَمْرُهما بما يُؤمَرُ به أهلُ التمييز والعقل من قوله: «ابلعي ماءك» و«أقلعي»، من الدلالة على الاقتدارِ العظيم، وأنَّ السماوات والأرضَ وهذه الأجرامَ العِظامَ منقادةٌ لتكوينه فيها ما يشاءُ، غيرُ ممتنعةٍ عليه، كأنها عقلاءُ مميِّزون قد عرفوا عظمتَه وجلالَه، وثوابه وعقابه، وقدرتَه على كلِّ مقدورٍ، وتبيَّنوا تحتُّم طاعته عليهم وانقيادِهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقُّف دون الامتثال له والنزولِ على مشيئته على الفور من غيرِ ريثٍ، فكما يَرِدُ عليهم أمرُه كان المأمورُ به مفعولًا لا حبسَ ولا بُطْء[(٢)].

ويَسَط الزمخشريُّ وذيَّل في هذا كلامَ الحسنِ[(٣)]؛ قال الحسن[(٤)]: يدلُّ على

(١) في معاني القرآن ٢/ ١٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٧١، وفيه: . . . ولا إبطاء.
(٣) في (ح): وبسط الزمخشري في كلامه هذا كلام الحسن.
(٤) قوله: قال الحسن، فيه تحريف قبيح، يتبين لك ذلك من كلام الرازي في تفسيره ١٧/ ٢٣٤، وعنه نقل المصنف، فقد ذكر الرازي رحمه الله أن هذه الآية مشتملة على ألفاظ كثيرة كلٌّ منها يدل على عظمة الله تعالى، ثم عدَّها فذكر منها قوله تعالى: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي» قال: فإن الحسَّ يدل على عظمة. . . إلخ، فتصحف قوله: فإن الحس، على المصنف فظنه: قال الحسن.

عظمة هذه الأجسام، والحقُّ تعالى مُسْتَوْلٍ عليها متصرِّفٌ فيها كيف شاء وأراد، فصار ذلك سببًا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلوِّ قدرته وهيبته. انتهى.

وذكر بعضُ مَن صنَّف في علم البيان والبديع أن في هذه الآية أحدًا وعشرين نوعًا من البديع(١):

المناسَبةُ في قوله: «أَقْلِعي» و«ابْلَعي».

والمطابقةُ [اللفظية] بذِكْر الأرض والسماء.

والمَجازُ في قوله: «يا سماء»، والمرادُ: مطرُ السماء.

والاستعارةُ في قوله: [«ابلعي» و«أَقْلِعي»].

والإشارة في قوله: «وغيض الماء»، فإنها إشارةٌ إلى معانٍ كثيرةٍ(٢).

والتمثيلُ في قوله: «وقُضي الأمر»، عبَّر عن هلاك الهالكين ونجاةِ الناجين بلفظةٍ فيها بعدٌ عن لفظة المعنى الموضوع له.

والإردافُ في قوله: «واستوت على الجودي»، فقولُه: «واستوت» كلامٌ تامٌّ، و«على الجودي» مردَفٌ قصدًا للمبالغة في التمكُّن بهذا المكان.

والتعليل في قوله: «وغيضَ الماء» فإنَّ ذلك علةُ الاستواء.

وصحةُ التقسيم باستيعاب أقسام الماء في حالة نَقْصِه؛ إذ ليس إلا احتباسَ ماء السماء، واحتقانَ ماء الأرض، وغَيْضَ الماءِ الحاصل على ظهرها.

---

(١) قوله: وذكر بعض مَن صنَّف... إلى آخر كلام المصنف الآتي ص٢٧٠، من (يه) وليس في باقي النسخ، وورد أيضاً في النهر على هامش مطبوع البحر ٥/٢٢٧ مبتدأ من قوله: في هذه الآية أحد وعشرون... إلخ. والمقصود ببعض مَن صنف هو ابن أبي الإصبع والكلام في كتابه بديع القرآن ص٣٤٠-٣٤٣ باختلاف يسير، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) ذكرها ابن أبي الإصبع فقال: لأن الماء لا يغيض حتى يُقلع مطر السماء، وتبلعَ الأرضُ ما يخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء.

والاحتراس في قوله: «وقيل بُعدًا للقوم الظالمين»(١)، وهو أيضًا ذمٌّ لهم ودعاءٌ عليهم.

والإيضاح بقوله: «للقوم الظالمين» بيَّن أنهم هم القومُ الذين سَبَقَ ذكرُهم في قوله: «وكلما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه»، فالألفُ واللام في «القوم» للعهد، لو سقط لفظة «القوم» هنا لحصل لَبْسٌ في المعنى(٢).

والمساواةُ: فلَفْظُها مساوٍ لمعناها.

وحُسْنُ النَّسَق، لعَطْفِ قضايا بعضِها على بعضٍ(٣).

والإيجاز؛ لذِكْرِ القِصَّة باللفظ القصير مستوعِبًا للمعاني الجمَّةِ.

والتسهيم؛ لأن أول الآية: «يا أرض ابلعي» فاقْتَضَى آخِرُها: «ويا سماء أقلعي».

والتهذيب؛ لأن مفردات الألفاظ موصوفةٌ بكمال الحُسْن، كلٌّ لفظةٍ سهلةُ مخارج الحروف، عليها رونقُ الفصاحة وحُسْن البيان(٤).

والتمكين؛ لأن الفاصلة مستقرةٌ في قرارها.

والتجنيس في قوله: «أقلعي» و«ابلعي».

---

(١) أي: الاحتراس من توهُّم مَن يتوهَّم أن الهلاك ربما عمَّ مَن لا يستحق الهلاك، فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليُعلم أنهم مستحقو الهلاك، فإن عدله يمنع أن يدعوَ على غير مستحِقٌ للدعاء عليه. قاله ابن أبي الإصبع.

(٢) سمى ابن أبي الإصبع هذا الوجه: الانفصال، ويعني به: الانفصال عن الإشكال، ومؤدَّاه إلى الإيضاح كما سماه المصنف، وشرح ابن أبي الإصبع له أوفى من شرح المصنف فلينظر ذلك في كتابه.

(٣) يعني: عطف القضايا على بعضها حسبما وقعت أولاً فأولاً؛ فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع، ثم عطف عليه أمر السماء بالإقلاع، ثم عطف عليه غَيْض الماء، ثم قضاء الأمر بهلاك الهالكين ونجاة الناجين، ثم الدعاء على الهالكين، فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب وقوعها في الوجود.

(٤) وحسن البيان فيها من جهةِ أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه.

والمقابلةُ في قوله: «يا أرض ابلعي»، «ويا سماء أقلعي».

والذمُّ في قوله: «بعدًا للقوم الظالمين».

والوصفُ: قصَّ القصةَ ووَصَفَها بأحسن وصفٍ بحيث استعمل نعوتَ ألفاظها وصفاتِ معانيها.

فما أعظم إعجازها من آيةٍ عِدَّةُ ألفاظها تسعَ عَشْرةَ لفظةً فيها أحدٌ وعشرون نوعًا من البديع. انتهى كلامه، وفيه تبديلُ بعض ألفاظٍ[1]، والله أعلم.

وبناء الفعل في «وقيل» وما بعدها للمفعول أبلغُ في التعظيم والجبروت وأَخْصَرُ؛ قال الزمخشري[2] ومجيءُ إخباره على الفعل المبنيِّ للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنَّ تلك الأمورَ العِظَامَ لا تكون إلا بفعلِ فاعلٍ قادرٍ وتكوينِ مكوِّنٍ قاهرٍ، وأنَّ فاعلَ هذه الأفعالِ فاعلٌ واحدٌ لا يشارَكُ في أفعاله، فلا يذهب الوهمُ إلى أن يقول غيرُه: يا أرضُ ابلَعي ماءَك ويا سماءُ أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمرَ الهائلَ غيرُه، ولا أن تستويَ السفينةُ على الجوديِّ وتستقرَّ عليه إلا بتسويته وإقراره، ولمَا ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآيةَ، ورقصوا لها رؤوسَهم، لا لتجانُس الكلمتين وهما قوله: «ابلعي» و«اقلعي»، وذلك وإن كان الكلام لا يخلو من حُسْنٍ[3] فهو كغير الملتفَتِ إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللبُّ وما عداها قشورٌ. انتهى، وأكثرُه خطابةٌ.

وهذا النداءُ والخطابُ بالأمر هو استعارةٌ مَجازيَّةٌ، وعلى هذا جمهورُ الحذَّاق.

وقيل: إنَّ الله تعالى أَحْدَثَ فيهما إدراكًا وفهمًا لمعاني الخطاب.

ورُوي: أنَّ أعرابيًّا سمع هذه الآيةَ فقال: هذا كلامُ القادرين.

وعارَضَ ابنُ المقفَّع القرآنَ، فلمَّا وصل إلى هذه الآية أمسك عن المعارَضة، وقال: هذا كلامٌ لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يأتيَ بمثله.

---

(١) وهو مثل ما أشرنا إليه من تسميته: الإيضاح بالانفصال، كما أن فيه زيادةَ بعض الوجوه ونقصَ بعض، مع اختلاف يسير في الشرح أشرنا إلى بعضه.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٧١-٢٧٢.
(٣) العبارة في الكشاف: وذلك وإن كان لا يُخلي الكلام من حُسنٍ. وهي أوضح.

وقال ابن عباس في قوله: «وقضي الأمر»: غَرِقَ مَن غَرِقَ ونجا مَن نجا.

وقال مجاهد: قُضي الأمرُ بهلاكهم.

وقال ابن قُتيبة: «قُضِيَ الأمرُ»: فُرِغَ منه.

وقال ابن الأنباري: أُحْكِمَتْ هَلَكةُ قومِ نوحٍ[١].

وقال الزمخشري: أُنجِزَ ما وعد الله نوحًا من هلاك قومه[٢].

«واستوت»، أي: استقرَّت السفينة «على الجودي»، واستقرارُها يومَ عاشوراء من المحرَّم، قاله ابنُ عباس والضحاك[٣].

وقيل: يومَ الجمعة.

وقيل: في ذي الحجة، وأقامت على الجوديِّ شهرًا، وهبط بهم يومَ عاشوراء.

وذكروا أن الجبال تطاولت وتخاشَعَ الجوديُّ[٤].

وحديثُ بعثِ نوحٍ عليه السلام الغرابَ والحمامة ليأتياه بخبرِ كمالِ الغرق، الله أعلم بما كان من ذلك[٥].

وقرأ الأعمش وابنُ أبي عبلةَ: «على الجوديْ» بسكون الياء مخففةً[٦]، قال ابنُ عطية: وهما لغتان.

---

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١١١-١١٢، وعنه نقل المصنف، وقول مجاهد أخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٤٢١، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢٠٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٧١.

(٣) أخرجه عن ابن عباسٍ ﵁ ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٦٥٢-٦٥٣ من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه. وأخرجه الطبري ١٢/ ٤٢٠-٤٢١ عن قتادة، وينظر حديث أبي هريرة ﵁ عند أحمد (٨٧١٧).

(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٢٢ عن مجاهد.

(٥) رويت في ذلك أخبار في تفسير الطبري ١٢/ ٤٢٣-٤٢٤، وتاريخ ابن عساكر ١٧/ ٦٦١ وما بعدها، وكلُّها من الإسرائيليات، وقد أحسن المصنف صنعًا إذ نزه كتابه عن أمثال هذه الخرافات.

(٦) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢٣ عن الأعمش، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ١٧٦، وما سيرد من كلام ابن عطية منه.

وقال صاحب «اللوامح» هو تخفيفُ ياءي النَّسب، وهذا التخفيفُ من بابَةِ الشِّعر لشذوذه.

والظاهر أنَّ قوله: «وقيل بعدًا» من قول الله تعالى كالأفعال السابقة، وبُني الجميعُ للمفعول للعلم بالفاعل، وقيل: من قول نوحٍ والمؤمنين. قيل: ويحتمل أن يكون من قول الملائكة. قيل: ويحتمل أن يكون ذلك عبارةً عن بلوغ الأمر ذلك المبلغَ وإن لم يكن ثَمَّ قولٌ محسوسٌ.

ومعنى «بعدًا»: هلاكًا، يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا وبُعْدًا: إذا هلك.

واللام في «للقوم» من صلة المصدر، وقيل: تتعلَّق بقوله: «وقيل»، والتقدير: وقيل لأجْلِ الظالمين، إذ لا يمكن أن يخاطَبَ الهالكُ إلا على سبيل المَجَاز.

ومعنى «ونادى نوحٌ ربَّه»، أي: أراد أن يناديَه، ولذلك أدخل الفاء، إذ لو كان أراد حقيقةَ النداء والإخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في «فقال» ولسقطت، كما لم تدخل في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ﴾ [مريم: ٣] والواو في هذه الجملة لا ترتِّب أيضًا، وذلك أن هذه القصة كانت أولَ ما رَكِبَ نوحٌ السفينةَ، ويظهر من كلام الطبريِّ[(١)] أنَّ ذلك من بعد غرق الابن.

وفي قوله: «إن ابني من أهلي» ظهورُ أنه ولدُه لصُلبه، ومعنى «من أهلي»، أي: الذين أُمِرْتُ أنْ أحملَهم في السفينة؛ لقوله: «احْمِلْ فيها مِن كلٍّ زوجين اثنين وأَهْلَكَ» ولم يظنَّ أنه داخلٌ فيمَن استثناه الله بقوله: «إلَّا مَن سَبَقَ عليه القولُ منهم» لظنِّه أنه مؤمنٌ، وعمومُ قوله: «ومَن آمَنَ» يشملُ مَن آمَن مِن أهله ومن غيرِ أهله.

وحسَّن الخطابَ بقوله: «وإنَّ وعدك الحق»، أي: الوعدُ الثابتُ الذي لا شكَّ في إنجازه والوفاءِ به، وقد وعَدْتني أن تُنْجِيَ أهلي وأنت أعلمُ الحكَّام وأعْدَلُهم.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون من الحكمة [على أن يُبنى من الحكمة]: حاكم بمعنى النسبة، كما يقال: دارِعٌ من الدِّرع، وحائضٌ وطالقٌ على مذهب الخليل[(٢)]. انتهى.

---

(١) في تفسيره ١٢/ ٤٢٥، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر ٣/ ١٧٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٧٢، وما بين حاصرتين منه.

ومعنى: «ليس من أهلك» على قولِ مَن قال: إنه ابنُه لصُلْبه، أي: الناجين، أو: الذين عمَّهم الوعدُ، ومَن زعم أنه ربيبُه فهو ليس من أهله حقيقةً، إذ لا نسبةَ بينه وبينه بولادةٍ، فعلى هذا نُفي ما قُدِّر أنه داخلٌ في قوله: «وأهلك» ثم عُلِّل انتفاءُ كونه ليس من أهله بأنه عملٌ غيرُ صالحٍ.

والظاهِرُ أن الضمير في «إنه»[1] عائدٌ على ابنِ نوحٍ لا على النداءِ المفهوم من قوله: «ونادى» المتضمِّنِ سؤالَ ربِّه، وجَعَله نفسَ العملِ مبالغةً في ذمِّه، كما قال:

فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ[2]

هذا على قراءة جمهور السبعة، وقرأ الكسائي: «عَمِلَ غيرَ صالحٍ»[3] جَعَله فعلًا ناصبًا «غيرَ صالحٍ»، وهي قراءةُ عليٍّ وأنسٍ وابنِ عباسٍ وعائشةَ، وروتها عائشةُ وأمُّ سلمة عن النبيِّ ﷺ[4]، وهذا يرجِّح أنَّ الضمير يعودُ على ابنِ نوحٍ.

قيل: ويرجِّح كونَ الضمير في «إنه» عائدًا على نداء نوحٍ المتضمِّن السؤالَ أنَّ في مصحف ابن مسعود: «إنه عملٌ غيرُ صالح أنْ تسألني ما ليس لك به علم»[5].

وقيل: يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولدِ نوحٍ معهم، الذي تضمَّنه

(١) يعني في قوله: «إنه عمل غير صالح».
(٢) عجز بيت للخنساء، وهو في الديوان ص٤٨، وصدره: ترتعُ ما رتَعَتْ حتى إذا ادَّكرتْ.
(٣) السبعة ص٣٣٣، والتيسير ص١٢٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧. وحديث أم سلمة أخرجه أحمد (٢٦٥١٨)، وأبو داود (٣٩٨٣)، والترمذي (٢٩٣١)، وحفص الدوري في قراءات النبي (٦٣). وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وقد أعلَّ الطبري الخبر به، فقال: ذلك حديث روي عن شهر بن حوشب، فمرةً يقول: عن أم سلمة، ومرةً يقول: عن أسماء بنت يزيد، ولا نعلم أيَّةَ يريد، ولا نعلم لشهر سماعًا يصح عن أم سلمة.
أما حديث عائشة رضي الله عنها فأخرجه الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٧-١٨، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٨٦-٢٨٧، وحفص الدوري في قراءات النبي (٦٢)، والحاكم ٢/ ٢٤١ من طريق محمد بن جحادة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ، وجحادة لم يرو عنه غير ابنه. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٣٠٠) من طريق حميد الأزرق عن مسروق عن عائشة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: حميد الأزرق لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧.

سؤالُ نوحٍ، المعنى: إن كونه مع الكافرين وتَرْكَه الركوبَ مع المؤمنين عملٌ غيرُ صالحٍ.

وكونُ الضمير في «إنه» عائدًا على غير ابن نوحٍ عليه السلام تكلُّفٌ وتعسُّفٌ لا يليق بالقرآن.

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: فهلا قيل: إنه عملٌ فاسد؟ قلت: لمَّا نفاه عن أهله نَفَى عنه صفتَهم بكلمة النفي التي يُسْتَبْقَى معها لفظُ المنفيِّ، وآذَنَ بذلك أنه إنما أَنْجَى مَن أَنْجَى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلُكَ وأقاربُك، وأنَّ هذا لمَّا انْتَفَى عنه الصلاحُ لم تنفعه أبوَّتُكَ[(١)].

وقرأ الصاحبان: «تسألنِّ» بتشديد النون مكسورةً[(٢)]، وقرأ أبو جعفر وشيبةُ وزيد بن عليٍّ كذلك إلا أنهم أثبتوا الياء بعد النون[(٣)]، وابنُ كثير بتشديدِها مفتوحةً[(٤)]، وهي قراءةُ ابن عباس[(٥)].

وقرأ الحسنُ وابنُ أبي مُليكة: «تَسَلْني» من غير همزٍ[(٦)]، من: سال يَسَالُ، وهما يتساوَلان، وهي لغةٌ سائرةٌ.

وقرأ باقي السبعة بالهمزِ وإسكانِ اللام وكسرِ النون وتخفيفِها، وأثبتَ الياءَ في الوصل ورشٌ وأبو عمرو، وحَذَفَها الباقون.

قال الزمخشري: فلا تلتمسْ مُلْتَمَسًا أو التماسًا لا تعلمُ أَصَوابٌ هو أم غيرُ صوابٍ حتى تقف على كُنْهِه، وذِكْرُ المسألة دليلٌ على أنَّ النداءَ كان قبل أن يغرق حين خاف عليه.

فإن قلتَ: لمَ سمَّى نداءَه سؤالًا ولا سؤالَ فيه؟

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٣.
(٢) التيسير ص١٢٥، وينظر السبعة ص٣٣٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧ عن أبي جعفر وشيبة.
(٤) التيسير ص١٢٥، وينظر السبعة ص٣٣٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧.
(٦) مع إثبات الياء. المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧ عن ابن أبي مليكة.

قلتُ: قد تضمَّن دعاؤه معنى السؤالِ وإن لم يصرِّح به؛ لأنه إذا ذكر الموعِدَ بنجاة أهله في وقت مُشارفةِ الغرق فقد استَنْجزَ، وجَعَلَ سؤالَ ما لا يعرف كُنْهَه جهلًا وغباوةً، ووَعَظَه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين.

فإن قلتَ: قد وعده الله أن ينجي أهلَه، وما كان عنده أنَّ ابنَه ليس منهم دينًا، فلمَّا أَشْفَى على الغرق تشابَهَ عليه الأمرُ؛ لأنَّ العِدَةَ قد سبقت له، وقد عَرَفَ الله حكيمًا لا يجوزُ عليه فعلُ القبيح وخُلْفُ الميعاد، فطَلَبَ إماطةَ الشبهة، وطَلَبُ إماطة الشبهة واجبٌ، فلمَ زُجِرَ وجُعل سؤالُه جهلًا؟

قلتُ: إنَّ الله عزَّ وجل قدَّم له الوعدَ بإنجاء أهله مع استثناءِ مَن سبق عليه القولُ منهم، فكان عليه أن يعتقد أنَّ في جملةِ أهله مَن هو مستوجِبٌ للعذابِ لكونه غيرَ صالحٍ، وأنَّ كلَّهم ليسوا بناجين، وأنْ لا تخالجه شبهةٌ حين شارَفَ ولدُه الغرقَ في أنه من المستثنَيْنَ لا من المستثنى منهم، فعُوتِبَ على أن اشْتَبَه عليه ما يَجِبُ بما يَجِبُ أنْ لا يَشْتَبِه[1].

وقال ابن عطية[2]: معنى قوله: «فلا تسألنِ ما ليس لك به علم»، أي: إذ وعدتُك فاعْلَمْ يقينًا أنه لا خُلْفَ في الوعد، فإذا رأيتَ ولدك لم يُحمل فكان الواجبُ عليك أن تقف وتعلم أنَّ ذلك بحقٍّ واجبٍ عند الله، ولكنَّ نوحًا عليه السلام حملتْه شفقةُ البُنوَّة[3] وسجيةُ البشر على التعرُّضِ لنفحات الرحمة والتذكيرِ، وعلى هذا القَدْرِ وقع عتابُه، ولذلك جاء بتلطُّفٍ وترفيعٍ[4] في قوله: «إنِّي أعظُكَ أن تكون من الجاهلين»، ويحتملُ قولُه: «فلا تسألنَ ما ليس لك به علم»، أي:

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٣-٢٧٤. وفيه: فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه. وكذا نقل الآلوسي في روح المعاني ١١/ ٤٨٧. وهي أوضح من عبارة المصنف. وفي قوله الزمخشري: وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلاً وغباوة، في حق نوح عليه السلام، جرأة وتطاول على نبي من أنبياء الله ومن أولي العزم من الرسل.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) في مطبوع المحرر: النبوة، بتقديم النون على الباء، ومثله في النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ٢٢٨.

(٤) قوله: وترفيع، تحرف في (أ) و(ح) و(د١) و(ع) والمطبوع إلى: وترج، والمثبت من (ز١) و(يه)، وهو الموافق لما في المحرر. وجاء في النهر: بترفق وتلطف.

لا تطلبْ مني أمرًا لا تعلم المصلحةَ فيه علمَ يقينٍ، ونحا إلى هذا أبو عليٍّ الفارسيُّ، وقال: إنَّ «به» يجوزُ أن يتعلَّق بلفظ: عِلْم[1]، كما قال الشاعر:

كـان جـزائـي بـالـعـصـا أنْ أُجْـلَـدا[2]

ويجوز أن يكون «به» بمنزلة: فيه، فتتعلَّق الباءُ بالمستقِرِّ[3]. واختلافُ هذين الوجهين إنما هو لفظيٌّ، والمعنى في الآية واحدٌ.

وذكر الطبريُّ[4] عن ابن زيدٍ تأويلًا في قوله: «إني أعظك أن تكون من الجاهلين» لا يناسبُ النبوَّة، تركناه ويُوقَفُ عليه في تفسير ابن عطية[5].

وقيل: سأل نوحٌ ربَّه حين صار عنه ابنُه بمعزلٍ.

وقيل: قَبْلَ أنْ عَرَفَ هلاكَه.

وقيل: بعد أن عرف هلاكَه سأل اللهَ له المغفرةَ.

«أن أسألك»: من أن أطلبَ في المستقبل ما لا علمَ لي بصحته تأدُّبًا بأدبك واتِّعاظًا بموعظتك، وهذه إنابةٌ من نوحٍ عليه السلام وتسليمٌ لأمر الله.

قال ابن عطية: والسؤالُ الذي وقع النهيُ عنه، والاستعاذةُ والاستغفارُ منه، هو سؤالُ العزم الذي معه محاجَّةٌ وطِلْبةٌ مُلِحَّةٌ فيما قد حُجب وجهُ الحكمة فيه، وأمَّا السؤالُ في الأمور على جهةِ التعلُّم والاسترشاد فغيرُ داخلٍ في هذا، وظاهرُ قوله: «فلا تسألن ما ليس لك به علم» يعمُّ النَّحْوَيْنِ من السؤال، ولذلك نَبَّهْتُ على أنَّ المراد أحدُهما دون الآخر، والخاسرون: هم المغبونون حظوظَهم من الخير[6]. انتهى.

---

(١) قوله: علم، تحرف في النسخ إلى: عام، والمثبت من المحرر الوجيز والدر المصون ٦/ ٣٣٨، وعبارة أبي علي في الحجة ٤/ ٣٤٤ توضح المراد حيث قال: يتعلق (يعني «به») بما يدل عليه قوله: «علم» الظاهرُ، وإن لم يجز أن يعمل فيه.

(٢) وقبله: ربَّيته حتى إذا تمعددا، والرجز للعجاج كما في المحتسب ٢/ ٣١٠، والخزانة ٨/ ٤٣٠.

(٣) يعني: بالاستقرار الذي تعلَّق به «لك». الدر المصون ٦/ ٣٣٨.

(٤) في التفسير ١٢/ ٤٣٦.

(٥) المحرر ٣/ ١٧٨.

(٦) المصدر السابق.

ونَسَبَ نوحٌ النقصَ والذَّنْبَ إلى نفسه تأدُّبًا مع ربِّه، فقال: «وإلَّا تغفر لي»، أي: ما فَرَطَ من سؤالي، «وترحمني» بفضلك، وهذا كما قال آدم عليه السلام.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بُني الفعلُ للمفعول، فقيل: القائلُ هو الله تعالى. وقيل: الملائكة تبليغًا عن الله تعالى. والظاهرُ الأول؛ لقوله: «منا» و«سنمتعهم».

أُمِرَ عند نزوله بالهبوط من السفينة أو من الجبل مع أصحابه للانتشار في الأرض، والباءُ للحال، أي: مصحوبًا بسلامةٍ وأمنٍ، وببركاتٍ، وهي الخيراتُ الناميةُ في كلِّ الجهات. ويجوزُ أن يكون السلام بمعنى التسليم، أي: اهبط مسلَّمًا عليك مكرَّمًا.

وقرئ: «اهْبُطْ» بضم الباء. وحكى عبد العزيز بنُ يحيى: «وبركةٍ» على التوحيد عن الكسائي[1].

وبُشِّرَ بالسلامة إيذانًا له بمغفرة ربِّه له ورحمتِه إياه، وبإقامته في الأرض آمنًا من الآفات الدنيوية، إذ كانت الأرضُ قد خلت مما يُنتفع به من النبات والحيوان، فكان ذلك تبشيرًا له بعَوْدِ الأرض إلى أحسن حالها، ولذلك قال: و«بركات عليك»، أي: دائمةٍ باقيةٍ[2] عليك.

والظاهرُ أنَّ «مِن» لابتداء الغاية، أي: ناشئةٍ من الذين معك، وهم الأمم المؤمنون إلى آخر الدهر.

قال الزمخشري: ويحتملُ أن تكون «مِن» للبيان، فتراد الأممُ الذين كانوا معه

---

(١) القراءتان في القراءات الشاذة ص٦٠، وفيه: حكاه عبد العزيز بن يحيى الكناني، وليس فيه قوله: عن الكسائي، وعبد العزيز بن يحيى ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته، وهو من رجال التهذيب، ولم أقف على روايته عن الكسائي، فلعل قوله: الكسائي، مصحف عن: الكناني.

(٢) في (ز١): ثابتة.

في السفينة؛ لأنهم كانوا جماعاتٍ، أو قيل لهم: «أمم» لأن الأمم تشعَّبت منهم[١]. انتهى.

وهذا فيه بعضُ[٢] تكلُّف، إذ يصيرُ التقدير: وعلى أممٍ هم مَن معك، ولو أريد هذا المعنى لأغنى عنه: وعلى أممٍ معك، أو: على مَن معك، فكان يكون أَخْصَرَ وأقربَ إلى الفهم وأبعدَ عن اللبس.

وارتفع «أمم» على الابتداء؛ قال الزمخشري: و«سنمتِّعهم» صفةٌ، والخبرُ محذوفٌ، تقديره: وممَّن معك أممٌ سنمتِّعُهم، وإنما حُذف لأن قوله: «ممن معك» يدلُّ عليه، والمعنى: إنَّ السلام منَّا والبركاتِ عليك وعلى أممٍ مؤمنين ينشؤون ممن معك و[ممَّن معك] أممٌ ممتَّعون بالدنيا منقلبون إلى النار[٣]. انتهى.

ويجوز أن يكون «أمم» مبتدأً محذوفَ الصفة، وهي المسوِّغةُ لجواز الابتداء بالنكرة، والتقدير: وأممٌ منهم، أي: ممن معك، أي: ناشئةٌ ممن معك؛ و«سنمتعهم» هو الخبر، كما قالوا: السمنُ مَنَوانِ بدرهمٍ، أي: مَنَوانِ منه، فحذف «منه» وهو صفةٌ لمنوان، ولذلك جاز الابتداءُ بمنوان وهو نكرةٌ. ويجوزُ أن يكون مبتدأً ولا تُقدَّرُ صفةٌ، والخبر «سنمتعهم»، ومسوِّغُ الابتداء كونُ المكان مكانَ تفصيلٍ، فكانَ مثلَ قولِ الشاعر:

إذا ما بكى مِن خَلْفِها انْحَرفَتْ له ... بشِقٍّ وشِقٌّ عندنا لم يُحوَّلِ[٤]

وقال القرطبي: ارتفعت «وأمم» على معنى: ويكونُ أممٌ[٥]. انتهى.

فإن كان أراد تفسيرَ معنًى فحسنٌ، وإن أراد الإعراب ليس بجيدٍ؛ لأن هذا ليس من مواضع إضمارِ: يكون.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٤.
(٢) في النسخ عدا (ح): بعد، وضبطت في (ز١) هكذا: بُعْدُ، والمثبت من (ح).
(٣) الكشاف ٢/ ٢٧٤، وما بين حاصرتين منه.
(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٢.
(٥) تفسير القرطبي ١١/ ١٣٩.

وقال الأخفش: هذا كما تقول: كلَّمتُ زيدًا وعمرٌو جالس[١]. انتهى.

فاحْتَمَلَ أن يكون من باب عطف الجمل، واحْتَمَلَ أن تكون الواوُ للحال، وتكونُ حالًا مقدَّرةً؛ لأنه وقتَ الأمر بالهبوط لم تكن تلك الأممُ موجودةً.

وقال أبو البقاء: «وأممٌ» معطوفٌ على الضمير في «اهبط»، تقديره: اهبط أنت وأممٌ، وكان الفصلُ بينهما مُغنيًا عن التأكيد، و«سنمتِّعهم» نعتٌ لـ«أمم»[٢]. انتهى.

وهذا التقديرُ والمعنى لا يَصْلُحان؛ لأن الذين كانوا مع نوح في السفينة إنما كانوا مؤمنين؛ لقوله: «ومَن آمَن»، ولم يكونوا قسمين كفارًا ومؤمنين فيكونَ الكفارُ مأمورين بالهبوط مع نوح، إلا إنْ قدِّر أنَّ من أولئك المؤمنين مَن يكفر بعد الهبوط وأخبر عنهم بالحالة التي يَؤُولون إليها، فيمكنُ على بُعدٍ.

والذي ينبغي أن يُفهم من الآية أن مَن معه ينشأ منهم مؤمنون وكافرون، ونبَّه على الإيمان بأنَّ المتَّصفين به من الله عليهم سلامٌ وبركةٌ، وعلى الكفر بأنَّ المتصفين به يمتَّعون في الدنيا ثم يعذَّبون في الآخرة، وذلك من باب الكناية، كقولهم: فلانٌ طويلُ النِّجاد كثيرُ الرماد.

وظاهرُ قوله: «ممن معك» يدلُّ على أنَّ المؤمنين والكافرين نشؤوا ممن معه، والذين كانوا معه في السفينة إن كانوا أولادَه الثلاثةَ فقط أو معهم نساؤهم انْتَظَم قولُ المفسرين أن نوحًا عليه السلام هو أبو الخَلْق كلِّهم، وسُمِّي آدم الأصغرَ لذلك، وإن كانوا أولادَه وغيرَهم على الاختلاف في العدد، فإن كان غيرُ أولاده مات ولم يَنْسِلْ صحَّ أنه أبو البشر بعد آدم، ولم يصحَّ أنه نشأ ممن معه مؤمنٌ وكافرٌ إلا إنْ أُريدَ بالذين معه أولادُه فيكون من إطلاق العامِّ يراد به الخاصُّ، وإن كانوا نَسَلوا كما عليه أكثرُ المفسِّرين فلا ينتظمُ أنه أبو البشر بعد آدمَ، بل الخلقُ بعد الطُّوفان منه وممن كان معه في السفينة.

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٧٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٧، وتفسير القرطبي ١١/ ١٣٩.
ولفظ الأخفش: ضربت زيدًا وعمرٌو لقيته، على الابتداء.

(٢) الإملاء ٢/ ٤٠.

والأممُ الممتَّعةُ ليسوا معيَّنين، بل هم عبارةٌ عن الكفار، وقيل: هم قومُ هودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ عليهم الصلاة والسلام.

«تلك» إشارةٌ إلى قصة نوحٍ، وتقدَّمت أعاريبُ في مثل هذا التركيب في قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ في «آل عمران» [الآية: ٤٤]، «وتلك» إشارةٌ للبعيد؛ لأن بين هذه القصة والرسولِ مُددًا لا تُحصى.

وقيل: الإشارةُ بـ«تلك» إلى آيات القرآن.

و«من أنباء الغيب» وهو الذي تقادَمَ عهدُه ولم يبق عِلْمُه إلا عند الله، و«نوحيها إليك» لتكون لك هدايةً وأسوةً فيما لقيه غيرُك من الأنبياء، ولم يكن عِلْمُها عندك ولا عند قومك، وأعلمناهم بها ليكون مثالًا لهم وتحذيرًا أن يصيبهم إذا كذَّبوك ما أصاب أولئك، ولِلَحْظِ هذا المعنى ظهرت فصاحةُ قوله: «فاصبر»، أي: فاصبر على أذاهم مجتهدًا في التبليغ عن الله فالعاقبةُ لك كما كانت لنوحٍ في هذه القصة.

ومعنى «ما كنتَ تعلمُها»، أي: مفصَّلةً كما سَرَدْناها عليك، وعِلْمُ الطُّوفان كان معلومًا عند العالَم على سبيل الإجمال، والمجوسُ الآن ينكرونه.

والجملةُ من قوله: «ما كنتَ» في موضع الحال من مفعول «نوحيها»، أو من مجرور «إليك»، وقدَّرها الزمخشريُّ تقدير معنًى، فقال: أي: مجهولةً عندك وعند قومك[١]. ويحتمل أن يكون خبرًا بعد خبرٍ.

والإشارةُ بقوله: «من قبل هذا» إلى الوقت، أو إلى الإيحاء، أو إلى العلم الذي اكتسبه بالوحي، احتمالاتٌ وفي مصحف ابن مسعود «مِن قَبْلِ هذا القُرآنِ»[٢].

وقال الزمخشريُّ[٣]: «ولا قومك» معناه: إنَّ قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووُفورِ عددهم إذا لم يكن ذلك شأنَهم ولا سمعوه ولا عَرفوه، فكيف برجلٍ منهم، كما تقولُ: لم يعرف هذا عبدُ الله ولا أهلُ بلده.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٧٥.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝﴾ «وإلى عاد أخاهم» معطوفٌ على قوله: «أرسلنا نوحًا إلى قومه» عطفَ الواوِ المجرورَ على المجرورِ والمنصوبَ على المنصوب، كما تَعْطِفُ المرفوعَ والمنصوبَ على المرفوعِ والمنصوبِ، نحو: ضَرَبَ زيدٌ عمرًا وبكرٌ خالدًا، وليس من باب الفصل بالجارِّ والمجرور بين حرف العطف والمعطوفِ - نحو: ضربتُ زيدًا وفي البيت عَمْرًا - فيجيءَ فيه الخلافُ الذي بين النحويين: هل يجوزُ في الكلام، أو يختصُّ بالشعر؟ وتقدَّمَ الكلامُ في هود وعاد وأُخُوَّته منهم في الأعراف.

وقراءةُ الكسائي: «غيرِه» بالخفض[١].

وقيل: ثَمَّ فعلٌ محذوفٌ، أي: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم، فيكون إذ ذاك من عطف الجمل، والأولُ مِن عَطْفِ المفردات، وهذا أقربُ لطول الفصل بالجمل الكثيرة بين المتعاطِفَيْن.

و«هودًا» بدلٌ أو عطفُ بيانٍ.

وقرأ محيصن: «يا قومُ» بضم الميم[٢]، كقراءة حفص: «قل ربُّ احكم بالحق» بالضم[٣]، وهي لغةٌ في المنادى المضاف حكاها سيبويه[٤] وغيرُه.

وافتراؤهم؛ قال الحسن: في جَعْلهم الأُلوهية لغير الله تعالى[٥].

وقال الزمخشري: باتِّخاذ كم الأوثانَ له شركاءَ[٦].

---

(١) السبعة ص٢٨٤، والتيسير ص١١٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧٩.
(٣) لم أقف عليها عن حفص، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، كما في النشر ٢/ ٣٢٥.
(٤) في الكتاب ٢/ ٢٠٩.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٧٥.

والضمير في «عليه» عائد على الدعاء إلى الله، ونبَّه بقوله: «الذي فطرني» على الردِّ عليهم في عبادتهم الأصنامَ واعتقادِهم أنها تفعلُ، وكونِه تعالى هو الفاطرُ للموجودات يستحقُّ إفرادَه بالعبادة.

و«أفلا تعقلون» توقيفٌ على استحالة الألوهية لغير الفاطر، ويحتمل أن يكون «أفلا تعقلون» راجعًا إلى أنه: إذا لم أطلبْ عَرَضًا منكم، إنما أريدُ نفعَكم فيجبُ انقيادُكم لمَا فيه نجاتُكم، كأنه قيل: أفلا تعقلون نصيحةَ من لا يطلبُ عليها أجرًا إلَّا مِن الله تعالى، وهو ثوابُ الآخرة، ولا شيء أنْفَى للتهمة من ذلك.

وتقدَّم الكلامُ في «استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه» أولَ هذه السورة[1].

قَصَدَ هودٌ استمالتَهم إلى الإيمان وترغيبَهم فيه بكثرة المطرِ وزيادةِ القوة؛ لأنهم كانوا أصحابَ زروعٍ وبساتينَ وعماراتٍ حِراصًا عليها أشدَّ الحرص، فكانوا أحوجَ شيءٍ إلى الماء، وكانوا مُدِلِّين بما أُوتوا من هذه القوة والبطش والبأس، مهيَّئينَ في كل ناحية.

وقيل: أراد القوَّةَ في المال. وقيل: في النكاح.

قيل: وحُبِسَ عنهم المطرُ ثلاثَ سنين، وعُقِمَتْ أرحامُ نسائهم.

وقد انتزعَ الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه من هذا ومن قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢] أنَّ كثرة الاستغفار قد يجعلُه الله سببًا لكثرة الولد، وأجاب مَن سأله وأخبره بأنه ذو مالٍ ولا يُولَد له بالاستغفار، فأكثَرَ من ذلك فوُلِدَ له عشرُ بنين[2].

وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله: «ويَزِدْكم قوةً» أنه الولدُ وولدُ الولد.

وقال مجاهد وابن زيد: في الجسم والبأس[3].

وقال الضحاك: خِصْبًا إلى خِصْبكم.

وقيل: نعمةً إلى نعمته الأولى عليكم.

وقيل: قوةً في إيمانكم إلى قوةٍ في أبدانكم.

---

(١) عند تفسير الآية (٣).

(٢) ذكر القصة بتمامها الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٧٥.

(٣) قول ابن عباس وقول مجاهد وابن زيد في زاد المسير ٤/ ١١٧.

﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ «ببينة»، أي: بحجةٍ واضحةٍ تدلُّ على صدقك، وقد كَذَبوا في ذلك وبَهَتوه كما كَذَبتْ قريشٌ في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس: ٢٠] وقد جاءهم بآياتٍ كثيرةٍ، أو لعمائهم عن الحقِّ وعَدَمِ نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آيةٌ ليس بآيةٍ، فقالوا: ما جئتنا ببينةٍ تُلْجِئُنا إلى الإيمان، وإلا فهودٌ وغيرُه من الأنبياء لهم معجزاتٌ وإن لم يُعيِّنْ لنا بعضُها، ألا ترى إلى قولِ رسول الله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلَّا وقد أُوتي من الآيات ما مِثْلُه آمَنَ عليه البشرُ»(١).

و«عن» في «عن قولك» حالٌ من الضمير في «تاركي آلهتنا» كأنه قيل: صادرين عن قولك؛ قاله الزمخشري(٢). وقيل: «عن» للتعليل، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فتتعلق بـ«تاركي»، كأنه قيل: لقولك، وقد أشار إلى التعليل والسبب فيها ابنُ عطية، فقال: أي: لا يكونُ قولُك سببًا لتركنا؛ إذ هو مجردٌ عن آيةٍ(٣).

والجملةُ بعدها تأكيدٌ وتقنيطٌ له من دخولهم في دينه، ثم نَسَبوا ما صَدَر منه من دعائهم إلى الله وإفرادِه بالألوهية إلى الخَبَل والجنون، وأنَّ ذلك ممَّا اعتراه به بعضُ آلهتهم لكونه سبَّها وحرَّضَ على تركها، ودعا إلى ترك عبادتها، فجعلته يتكلَّم مكافأةً بما يتكلَّم به المجانين(٤)، كما قالت قريش: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٧٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٨١.
(٤) أي: مكافأة منها على سوء فعله من سبِّها والصدِّ عنها بسوء الجزاء، فمن ثَمَّ جعلته يتكلم بكلام المجانين. ينظر الكشاف.

و«اعتراك» جملةٌ محكيةٌ بـ«نقول»، فهي في موضع المفعول، ودلَّت على بَلَهٍ شديدٍ وجهلٍ مُفْرِطٍ حيث اعتقدوا في حجارةٍ أنها تنتصرُ وتنتقمُ، وقول هودٍ لهم في جواب ذلك: «إنِّي أُشْهِدُ الله» إلى آخره، حيث تبرَّأ من آلهتهم وحرَّضهم كلَّهم مع انفراده وحده على كيده بما شاؤوا وعدمِ تأخيره، من أعظم الآيات على صدقه وثقته بموعودِ ربِّه من النصر له والتأييدِ والعِصْمةِ من أن ينالوه بمكروهٍ، هذا وَهُمْ حريصون على قَتْلِهِ يَرْمونه عن قوسٍ واحدة، ومِثْلُه قولُ نوح لقومه: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] وأكَّد براءته من آلهتهم وشركهم ووثَّقها بما جرت عليه عادةُ الناس من توثيقهم الأمرَ بشهادة الله وشهادةِ العباد.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: هلَّا قيل: إنِّي أُشهِدُ الله وأشهِدُكم؟

قلتُ: لأنَّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهادٌ صحيحٌ ثابتٌ في معنى تثبيتِ التوحيد، وأما إشهادُهم فما هو إلا تهاوُنٌ بدينهم ودلالةٌ على قلَّة المبالاة بهم فحسب، فعُدِلَ به عن لفظ الأول لاختلافِ ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة[1]. انتهى.

و«إنِّي بريء» تنازَعَ فيه «أُشْهِد» و«اشهدوا»، وقد يتنازعُ المختلفان في التعدِّي الاسمَ الذي يكون صالحًا لِأنْ يَعْملا فيه، تقول: أعطيتُ زيدًا ووهبتُ لعمرٍو دينارًا، كما يتنازعُ اللازِمُ والمتعدِّي، نحو: قام وضربتُ زيدًا.

و«ما» في «ممَّا تشركون» موصولةٌ: إما مصدريةٌ، وإما بمعنى الذي، أي: بريءٌ من إشراككم آلهةً من دونه، أو: مِن الذي تُشركون.

و«جميعًا» حالٌ من ضمير «كيدوني» الفاعل، والخطابُ إنما هو لقومه، وقال الزمخشريُّ: أنتم وآلهتُكم. انتهى.

قيل: ومجاهَرةُ هودٍ عليه السلام لهم بالبراءة من أوثانهم وحضُّه إياهم على كيده هم وأصنامُهم معجزةٌ لهودٍ عليه السلام؛ إذ حرَّض جماعتَهم عليه مع انفراده وقوَّتِهم وكثرتهم، فلم يقدروا على نيله بسوء.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٦.

ثم ذَكَر توكُّلَه على الله مُعْلِمًا أنه ربُّه وربُّهم، ومنبِّهًا على أنه من حيث هو ربُّكم يجبُ عليكم أن لا تعبدوا إلَّا إياه، ومفوِّضًا أمره إليه تعالى ثقةً بحفظه وإنجازِ موعوده.

ثم وَصَفَ قدرةَ الله تعالى وعظيمَ مُلْكه من كون كلِّ دابةٍ في قبضته ومَلَكَتِه، وتحت قهره وسلطانه، فأنتم من جملة أولئك المقهورين، وقولُه: «آخذٌ بناصيتها» تمثيلٌ؛ إذ كان القادرُ المالكُ يقودُ المقدورَ عليه بناصيته كما يُقاد الأسير والفرسُ بناصيته، حتى صار الأخْذُ بالناصية عُرفًا في القدرة على الحيوان، وكانت العربُ تَجُزُّ ناصيةَ الأسير الممنونِ عليه علامةً أنه قد قُدِرَ عليه وقُبض على ناصيته.

قال ابن جريج[1]: وخَصَّ الناصيةَ لأنَّ العرب إذا وصفت إنسانًا بالذِّلة والخضوع قالت: ما ناصيةُ فلانٍ إلا بيد فلانٍ، أي: أنه مطيعٌ له يُصَرِّفُه كيف يشاء.

ثم أخبر أنَّ أفعاله تعالى في غاية الإحكام، وعلى طريق الحقِّ والعدل في ملكه، لا يفوتُه ظالمٌ ولا يَضيعُ عنده مَن توكَّلَ عليه، قولُه الصِّدْقُ ووَعْدُه الحقُّ.

وقرأ الجمهور: «فإن تَوَلَّوْا»، أي: تَتَولَّوا مضارع تولَّى، وقرأ الأعرج وعيسى الثقفيُّ: «تُوَلُّوا» بضم التاء واللام مضارع ولَّى[2].

وقيل: «تَوَلَّوا» ماضٍ، ويحتاج في الجواب إلى إضمارِ قولٍ، أي: فقل لهم قد أبلغتُكم.

ولا حاجةَ تدعو إلى جَعْلِه ماضيًا وإضمارِ القول.

وقال ابنُ عطية: ويحتمل أن يكون «تَوَلَّوا» فعلًا ماضيًا، ويَجيءُ في الكلام رجوعٌ من غيبةٍ إلى خطابٍ، أي: فقد أبلغْتُكم[3]. انتهى، فلا يحتاج إلى إضمارٍ.

---

(١) كذا نقل المصنف عن القرطبي، وهو تحريف، والصواب: ابن جرير، والكلام في تفسيره ١٢/ ٤٤٩، وقد صُحح التحريف في مطبوع القرطبي ١١/ ١٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٢.

(٣) المصدر السابق، لكن وقع في مطبوعه: أي فقل قد أبلغتكم. اهـ. يعني بإضمار القول، ولعل ما نقله المصنف هو الصواب؛ لأن القول بالالتفات غير القول بإضمار القول. ينظر الدر المصون ٦/ ٣٤٤، وروح المعاني ١١/ ٥١٥.

والظاهرُ أنَّ الضمير في «تولَّوا» عائدٌ على قوم هود، وخطابٌ لهم من تمام الجمل المقولةِ قبلُ، وقال التبريزي: هو عائدٌ على كفار قريش، وهو من تلوين الخطاب، انتقل من خطاب قومِ هودٍ إلى الإخبار عمَّن بِحَضْرةِ الرسول ﷺ، وكأنه قيل: أخبِرْهم عن قصة قوم هود، وادْعُهم إلى الإيمان بالله لئلَّا يصيبهم مثلُ ما أصاب قومَ هود، فإن تولَّوا فقل لهم: قد أبلغتُكم.

وجوابُ الشرط هو قولُه: «فقد أبلغتكم»، وصح أن يكون جوابًا لأنَّ في إبلاغه إليهم رسالتَه تضمُّنَ ما يَحِلُّ بهم من العذاب المستأصِلِ، فكأنه قيل: فإن تتولَّوا استُؤْصِلْتُم بالعذاب، ويدلُّ على ذلك الجملةُ الخبرية، وهي قوله: «ويستخلفُ ربِّي قومًا غيركم».

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: الإبلاغُ كان قبل التولِّي، فكيف وقع جزاءً للشرط؟

قلت: معناه: فإنْ تولَّوا لم أعاقَبْ[١] على تفريطٍ في الإبلاغ، فإنَّ ما أُرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتُم إلا تكذيبَ الرسالة وعداوةَ الرسول[٢].

وقال ابن عطية: المعنى: أنه ما عليَّ كبيرُ همٍّ منكم إنْ تولَّيتم، فقد بَرِئَتْ ساحتي بالتبليغ وأنتم أصحابُ الذنب في الإعراض عن الإيمان[٣].

وقرأ الجمهور: «ويستخلفُ» بضمِّ الفاء على معنى الخبر المستأنَفِ، أي: يُهْلِكُكم ويَجيءُ بقوم آخَرين يَخْلُفونكم في دياركم وأموالكم. وقرأ حفصٌ في رواية هُبَيْرة عنه بجزمها[٤] عطفًا على موضع الجزاء، وقرأ عبد الله كذلك وبجزم «ولا تضرُّوه»[٥]، وقرأ الجمهور: «ولا تضرُّونه»، أي: شيئًا من الضَّرر بتولِّيكم؛ لأنه تعالى لا تجوزُ عليه المضارُّ والمنافعُ.

---

(١) في الكشاف: لم أعاتب.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٧٧. ومعنى كلام الزمخشري أن قوله تعالى: «فقد أبلغتكم» ليس هو الجواب، وإنما هو دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره كما قدَّره، وفيه أقوال أخرى تنظر في روح المعاني ١١/ ٥١٥.

(٣) المحرر ٣/ ١٨٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) القراءات الشاذة ص٦٠، والكشاف ٢/ ٧٧.

قال ابن عطية: يحتمل من المعنى وجهين:

أحدُهما: ولا تَضرُّونه بذهابكم وهلاككم شيئًا، أي: لا يُنْتَقَصُ مُلْكُه ولا يختلُّ أمرُه، وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود: «ولا تَنْقُصونه شيئاً».

والمعنى الآخَرُ: «ولا تضرونه»، أي: ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيءٍ ولا على انتصارٍ منه، ولا تقابِلون فِعْلَه بشيءٍ يَضُرُّه[1]. انتهى.

وهذا فعلٌ منفيٌّ، ومدلولُه نكرةٌ، فينتفي جميعُ وجوه الضَّرر ولا يَتعيَّنُ واحدٌ منها.

ومعنى «حفيظ»: رقيبٌ محيطٌ بالأشياء علمًا لا يَخْفَى عليه أعمالُكم، ولا يغفل عن مُؤاخَذَتِكم، وهو يَحْفَظُني مما تكيدونني به.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ الأمرُ واحدُ الأمور، فيكون كنايةً عن العذاب أو عن القضاء بهلاكهم، أو مصدرُ أَمَرَ، أي: أَمْرُنا للريح أو لخزَنتها.

و«الذين آمنوا معه» قيل: كانوا أربعةَ آلافٍ. وقيل: ثلاثةَ آلاف.

والظاهرُ تَعَلُّقُ «برحمة منَّا» بقوله: «نجينا»، أي: نجَّيناهم بمجرَّدِ رحمةٍ من الله لَحِقَتْهم لا بأعمالهم الصالحة، أو كُنِيَ بالرحمة عن أعمالهم الصالحة، إذ توفيقُهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم. ويحتملُ أن يكون متعلِّقًا بـ«آمنوا»، أي: إنَّ إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمةِ الله تعالى إياهم إذ وفَّقهم لذلك.

وتكرَّرت التنجيةُ على سبيل التوكيد، ولقَلَقِ «مِن» لو لاصَقَتْ «مِنَّا»، فأعيدت التنجيةُ وهي الأوْلَى، أو تكونُ هذه التنجيةُ هي من عذاب الآخرة، ولا عذابَ أغلظُ منه، فأُعيدت لأَجْل اختلاف متعلقَيْها.

وقال الزمخشري[2]: فإنْ قلتَ: فما معنى تكرير التنجية؟

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٢.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٧٧.

قلتُ: ذكر أولًا أنه حين أهلك عدوَّهم نجَّاهم، ثم قال: «ونجَّيناهم من عذابٍ غليظ» على معنى: وكانت التنجيةُ[١] من عذابٍ غليظ، قال: وذلك أنَّ الله عزَّ وعلا بعث عليهم السَّموم، فكانت تدخلُ في أنوفهم وتَخْرجُ من أدبارهم، وتقطِّعُهم عضوًا عضوًا. انتهى، وهذا قاله الزجَّاج[٢].

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يريد: وكانت النجاةُ المتقدِّمةُ من عذابٍ غليظ، يريد الريح، فيكون المقصودُ على هذا تعديدَ النعمة، والمشهورُ في عذابهم بالريح أنها كانت تحملُهم وتهدمُ مساكنهم وتَنْسِفُها، وتحملُ الظعينةَ كما هي، ونحو هذا[٣].

«وتلك عاد» إشارةٌ إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قال: سِيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف الإخبار عنهم فقال: «جَحَدوا بآياتِ ربِّهم»، أي: أنكَروها، وأضاف الآياتِ إلى «ربهم» تنبيهًا على أنه مالكُهم ومُربِّيهم، فأنكروا آياته والواجبُ إقرارُهم بها.

وأصل «جَحَد» أن يتعدَّى بنفسه، لكنه أُجري مجرى «كفر» فعدِّي بالباء، كما عدِّي «كفر» بنفسه في قوله: «ألا إنَّ عادً كفروا ربَّهم» إجراءً له مجرى «جَحَد».

وقيل: «كفر» كـ«شكر» يتعدَّى تارةً بنفسه وتارةً بحرفِ جرٍّ.

«وعَصَوا رسلَه»؛ قيل: عَصَوا هودًا والرسلَ الذين كانوا من قبله.

وقيل: ينزِّلُ[٤] تكذيبُ الرسول الواحد منزلةَ تكذيب الرسل، لأنهم كلَّهم مُجمعون على الإيمان بالله والإقرارِ بربوبيته، كقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

«واتَّبَعوا»، أي: اتَّبع سُقاطُهم أمرَ رؤسائهم وكبرائهم، والمعنى: أنهم أطاعوهم فيما أمروهم به.

---

(١) في الكشاف: وكانت تلك التنجية.
(٢) كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٨٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) في (ز١): تَنزل.

قال الكلبي: الجبَّار هو الذي يَقتُلُ على الغضب، ويعاقِبُ على المعصية.

وقال الزجَّاج هو الذي يُجبر الناس على ما يريد.

وذكر ابنُ الأنباري أنه العظيم في نفسه المتكبِّر على العباد[١].

والظاهر أنَّ قوله: «وأُتبِعوا» عامٌّ في جميع عاد، وقال الزمخشري[٢]: لمَّا كانوا تابعين لهم دون الرسل جُعلت اللعنةُ تابعةً لهم في الدارين تَكُبُّهم على وجوههم في عذاب الله. انتهى.

فظاهِرُ كلامه يدلُّ على أن اللعنة مختصةٌ بالتابعين للرؤساء.

ونبَّه على علَّة إتْباع اللعنة لهم في الدارين بأنهم كفروا ربَّهم، فالكفرُ هو الموجبُ للَّعنة، ثم كرَّر التنبيه بقوله: «ألا» في الدعاء عليهم تهويلًا لأمرهم وتفظيعًا له، وبعثًا على الاعتبار بهم والحذرِ من مِثْلِ حالهم. وفائدةُ قوله: «قوم هود» مزيدُ التأكيد للمبالغة في التنصيص، أو تعيينُ عادٍ هذه من عادِ إرَمَ؛ لأن عادًا اثنان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] فتحقَّق أنَّ الدعاء على عادٍ هذه ولم تَلْتَبِسْ بغيرها.

* * *

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٢١.

(٢) في الكشاف ٢/ ٢٧٧.

ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ
أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن
جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا
تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ
إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ
مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾
وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ
يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ
حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا
ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

المفردات «الصيحة»: فَعْلةٌ للمرة الواحدة من الصياح، يقال: صاح يَصيحُ: إذا صَوَّتَ بقوةٍ[١].

حَنَذْتُ الشاةَ أَحْنِذُها حَنْذًا: شَوَيْتُها، وجعلتُ فوقها حجارةً لتُنْضِجَها، فهي حَنيذٌ، وحَنَذْتُ الفرسَ: أَحْضَرتُه[٢] شوطًا أو شوطين، ثم ظاهرتُ عليه الجِلالَ في الشمس ليَعْرَقَ.

أوجس الرجلُ، قال الأخفش: خامَرَ قلبُه. وقال الفرَّاء: اسْتَشْعَرَ. وقيل: أحسَّ. والوَجيس: ما يعتري النفسَ عند أوائل الفَزَع، ووَجَسَ في نفسه كذا: خَطَر بها، يَجِسُ وَجْسًا ووُجوسًا، وتوجَّس تسمَّع وتحسَّس، قال:

(١) في (يه): صوت بفيه.
(٢) الإحضار: ارتفاع الفرس في عدوه. القاموس (حضر).

وصادِقَتَا سمعِ التوجُّس للسُّرى لِهَجْسٍ خفيٍّ أو لصوتٍ مُنَدَّدِ(١)

الضحك: معروفٌ، وكان ينبغي أن يُذكر في سورة التوبة في قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [الآية: ٨٢] ويقال: ضَحِكَ بفتح الحاء، والضُّحَكة: الكثيرُ الضَّحِك، والضُّحْكة: المضحوكُ منه، ويقال: ضحكتِ الأرنبُ، أي: حاضت، وأنكر أبو عبيدةَ والفرَّاءُ وأبو عبيد «ضحك» بمعنى «حاض»(٢)، وعَرَفَ ذلك غيرُهم، وقال الشاعر أنشده اللغويون:

وضِحْكُ الأرانب فوق الصَّفا كمِثْلِ دم الجوف يوم اللِّقا(٣)

وقال آخر:

وعهدي بسَلْمى ضاحِكًا في لُبانةٍ ولم يَعْدُ حُقًّا ثَدْيِها أنْ تَحَلَّما(٤)

أي: حائضًا في لُبانة، واللُّبانةُ والعلاقةُ والشَّوْذَرُ واحد(٥)، ومنه: ضَحِكَت

---

(١) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ص٢٧. قوله للسرى، أي: في السُّرى، أو: عند السُّرى. والهجس: الصوت الخفي. وقوله: مندَّد، هو صفة للصوت، ويروى: لصوتِ مندِّدِ، بالإضافة، والمندِّد: الذي يرفع صوته، يقول: لها أذنان صادقتا الاستماع في حال سير الليل لا يخفى عليهما صوت خفيٌّ ولا مرفَّعٌ. ينظر شرح المعلقات للنحاس ١/ ٧١، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص٩٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢، وذكره عن أبي عبيدة الرازي في تفسيره ١٨/ ٢٦، وذكره عن ثلاثتهم ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٣٠ نقلاً عن ابن الأنباري.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٤٧٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٨٩، واللسان (ضحك).

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره (على هامش حاشية الشهاب) ٥/ ١١٥. وفيه: لبابة، بدل: لبانة، قال الشهاب: ولبابة بباءين موحدتين في النسخ، ولم يضبطوه، لكن منهم مَن فسَّره بثوب يغطَّى به. وينظر التعليق الذي بعده. وقال الشهاب في شرح البيت: معناه: أنه قريب العهد بها طفلة، يصف صغر سنها،وقوله: لم يَعْدُ، أي: لم يجاوز، و«حُقًّا» تثنية حُقٍّ، وبه يشبَّه الثدي في الصغر. و«تحلّما» أصله: تتحلَّما، أي: تظهر حلمته وتكبر، وفي نسخة: تحلَّبا بالباء، وكأن معناه: خروج لبنهما.

(٥) قوله: واللبانة والعلاقة، كذا في النسخ، ولم أقف عليهما بالمعنى المراد، أي: الموافق للشوذر، وجاء في كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ٢/ ١٥٠: الشَّوْذَر واللبابةُ والعِلْقة: ثوب يجاب - أي: يُقْطَع - ولا يُخاط جانباه فتلبسه الجارية. اهـ. وهذا هو الموافق لما في المعاجم، ينظر مقاييس اللغة ٤/ ١٣٢، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٣٣، واللسان (أتب) و(علق)، والتاج (علق). وهو يدل على أن ما جاء في النسخ: لبانة، محرف عن: لبابة.

الكافورةُ[١]: إذا انْشَقَّتْ، وضَحِكَت الشجرةُ: سال منها صمغُها، وهو شِبْهُ الدم، وضحك الحوضُ: امتلأ وفاض.

الشيخ: معروفٌ، والفعلُ: شاخ يَشيخ، وقد يقال للأنثى: شيخة، قال:

وتضحكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيةٌ[٢]

ويُجمع على: أشياخٍ وشُيوخٍ وشِيخانٍ، ومن أسماء الجموع: مَشِيْخةٌ ومَشْيُوخاءُ.

المجيد؛ قال ابن الأعرابي: الرفيع، يقال: مَجَدَ يَمْجُدُ مَجْدًا ومَجَادةً، ومَجُدَ، لغتان[٣]، أي: كَرُمَ وَشَرُفَ، وأصلُه من قولهم: مَجَدَتِ الإبلُ تَمْجُدُ مَجْدًا: شَبِعَتْ. وقال الأصمعي: أَمْجَدْتُ الدابةَ: أَكْثَرْتُ عَلَفَها. وقال أبو حَيَّةَ النميري:

تَزِيدُ على صَوَاحِبِها وليست بماجدةِ الطعامِ ولا الشرابِ[٤]

أي: ليست بكثيرةِ الطعام ولا الشراب.

وقال الليث: أَمْجدَ فلانٌ عطاءَه ومجَّده: إذا كثَّره[٥].

ومن أمثالهم: في كلِّ شجرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار[٦]، أي: استَكْثَرَ من النار.

وقال ابنُ عطية: مَجُد الشيء: إذا حَسُنَتْ أوصافُه[٧].

الرَّوْع: الفزع، قال الشاعر:

---

(١) الكافورة: قِشْرة الطَّلْعة. الجيم ٣/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ١١/ ١٦٣.

(٢) وعجزه: كأن لم تَرى قبلي أسيرًا يمانيا. والبيت لعبد يغوث الحارثي اليمني كما في الأغاني ١٦/ ٣٣٤، والخزانة ٢/ ٢٠١.

(٣) كنَصَرَ وكَرُمَ. القاموس (مجد).

(٤) تهذيب اللغة ١٠/ ٦٨٣، واللسان (مجد)، وفيهما: وليست بماجدةٍ للطعام...

(٥) تهذيب اللغة ١٠/ ٦٨٣.

(٦) جمهرة الأمثال ٢/ ٩٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٤، والمستقصى ٢/ ١٨٣. قال العسكري: يضرب في تفضيل الرجال بعضهم على بعض، أي: لكل واحد من هؤلاء فضلٌ، إلا أن فلانًا أفضل. والمرخ والعفار نوعان من الشجر.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٢.

إذا أَخَـذَتْـهـا هـزَّةُ الـرَّوْعِ أمسـكـتْ بمَنْكِبِ مقدامٍ على الهول أَرْوَعا(١)

والفعل: راعَ يَرُوعُ، قال:

مـا راعـنـي إلَّا حَـمـولـةُ أهـلـهـا وَسْطَ الديار تَسَفُّ حبَّ الخِمْخِمِ(٢)

وقال النابغة:

فـارْتـاعَ مـن صـوتِ كـلَّابٍ فـبـات لـه طَوْعَ الشَّوامِتِ من خوفٍ ومن صَرَدِ(٣)

والرُّوع بضم الراء: النَّفْس؛ لأنها موضعُ الرَّوْع.

الذَّرْعُ مصدرُ ذَرَعَ البعيرُ بيديه في سيره: إذا سار على قَدْرِ خَطْوِه، مأخوذٌ من الذراع، ثم وُضع موضعَ الطاقة فقيل: ضاق به ذرعًا، وقد يجعلون الذراع موضعَ الذَّرْع، قال:

إلـيـكَ إلـيـكَ ضـاق بـهـا ذراعـا(٤)

وقيل: كُني بذلك عن ضِيْقِ الصَّدْر.

العصيبُ والعَصَبْصَبُ والعَصَوْصَبُ: الشديدُ اللازمُ الشرُّ الملتفُّ بعضُه ببعضٍ، قال:

وكـنـتُ لِـزَازَ خـصـمِـكَ لـم أعـرِّدْ وقـد سَـلَـكـوك فـي يـومٍ عـصـيـبِ(٥)

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٤٢.

(٢) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص١٧: الخِمْخِم: نبتٌ يعلف حبَّه الإبلُ. الصحاح (خمم).

(٣) ديوان النابغة ص٣٢. ارتاع: فزع. الكَلَّاب: الصياد صاحب الكِلَاب. الشوامت: القوائم. الصَّرد: مصدر صَرِدَ: إذا وجد البرد. والهاء في قوله: له، تعود على الكلَّاب، أو على الصوت. وقوله: طوع، يروى بالرفع وبالنصب. والبيت في وصف ثور وحشي، والمعنى: فبات قائمًا بين خوفٍ وصَرَد. ينظر شرح المعلقات للنحاس ٢/ ١٦٣، والخزانة ٣/ ١٨٨.

(٤) عجز بيت للقُطامي، وصدره: إذا التَّيَّازُ ذو العضلات قلنا، وهو في ديوانه ص٤٠. التياز: القصير الغليظ الملزَّزُ الخَلْقِ الشديدُ العضل مع كثرة لحم فيها، والضمير في «بها» عائد على ناقة للشاعر قوية سمينة، و«ضاق» جواب «إذا»، وفاعله ضمير التياز، والمعنى: إذا خوطب التياز وقلنا له: خذها، ضاق ذرع التياز بأخذ هذه الناقة؛ لأنه لا يضبطها لشدتها ونشاطها، فكيف مَن هو دونه؟ وروي: لديك لديك. ينظر اللسان (تيز)، والخزانة ٣/ ٣٣-٣٤.

(٥) البيت لعدي بن زيد، كما في مجاز اللغة ١/ ٢٩٣-٢٩٤، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٩٧، والأغاني ٢/ ١١١، واللسان (سلك).

قال أبو عبيدة: سمِّي عصيبًا لأنه يَعْصِبُ الناسَ بالشرِّ[(١)].

والعُصْبةُ والعصابةُ: الجماعةُ المجتمِعةُ كلمتُهم، أو: المجتمعون في النَّسَب[(٢)]، وتعصَّبْتُ لفلانٍ[(٣)]، وفلانٌ معصوبٌ، أي: مجتمِعُ الخَلْق.

الإهراع، قال شِمْر: مَشْيٌ بين الهرولة والجَمْز[(٤)]. وقال الهروي: هُرِعَ الرجلُ وأُهْرِعَ: استُحِثَّ[(٥)].

الضيف مصدرٌ، وإذا أُخبر به أو وُصف لم يطابق في تثنيةٍ ولا جمعٍ، هذا المشهورُ، وسمع فيه: ضيوفٌ وأضيافٌ وضِيْفانٌ.

الرُّكْن معروفٌ، وهو الناحيةُ من البيت أو الجبل، ويقال: رُكُن بضم الكاف، ويجمع على: أركانٍ وأَرْكُنٍ، ورَكَنتُ إلى فلانٍ: انْضَوَيْتُ إليه.

سَرَى وأَسْرَى بمعنًى واحدٍ، قاله أبو عبيدة والأزهريُّ[(٦)]، وعن الليث: أَسْرَى: سار أوَّلَ الليل، وسرى: سار آخِرَه، ولا يقال في النهار إلا: سار.

السِّجِّيل والسِّجِّين: الشديد من الحجر؛ قاله أبو عبيدة[(٧)].

وقال الفرَّاء: طينٌ طُبخ حتى صار بمنزلة الآجُرِّ[(٨)].

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٩٣.

(٢) الذي في المعاجم أن المجتمعين في النسب هم: العَصَبة. ينظر الصحاح واللسان والتاج (عصب)، وينظر كذلك تفسير القرطبي ١١/ ١٧٤-١٧٥.

(٣) أي: صرتُ كعَصَبَته. تفسير القرطبي ١١/ ١٧٥.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٠١. وشِمْر هو ابن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي، من رجال التهذيب.

(٥) تفسير القرطبي ١١/ ١٧٥. والهروي هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد، الشافعي اللغوي، ولعل الكلام من كتابه: الغريبين. وترجمته في السير ١٧/ ١٤٦.

(٦) مجاز القرآن ١/ ٢٩٥، وتهذيب اللغة ١٣/ ٥٢.

(٧) مجاز القرآن ١/ ٢٩٦.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤، وفيه: الأرحاء، بدل: الآجر. ومثله في زاد المسير ٤/ ١٤٤ نقلاً عن الفراء، وكذا حكاه عن الفراء علي بن الجهم تلميذه كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٧، فلعل قوله: الآجر، تحريف من النساخ. والأرحاء: جمع رحى، وهي الأرض المستديرة المشرفة على ما حولها. المعجم الوسيط (رحي).

وقيل: هو فارسيٌّ، وسَنْك: الحجر، وكَلْ: الطين، فعُرِّب فقيل: سجِّيل[١].

المنضود: المجعولُ بعضُه فوق بعضٍ.

* * *

التفسير ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾

قرأ ابن وثاب والأعمش: «وإلى ثمودٍ» بالصَّرف[٢] على إرادةِ الحيِّ، والجمهورُ على منع الصرف ذهابًا إلى القبيلة.

«أنشأكم»: اخْتَرَعَكم وأوجدكم، وذلك باختراعِ آدمَ أصْلِهم[٣]، فكان إنشاءُ الأصل إنشاءً للفرع.

وقيل: من الأرض باعتبار الأصلِ المتولِّدِ منه النباتُ، المتولِّدُ منه الغذاءُ، المتولِّدُ منه المنيُّ ودمُ الطَّمْثِ، المتولِّدُ منهما الإنسانُ.

وقيل: «من» بمعنى «في».

و«استعمركم»: جعلكم عمَّارًا.

وقيل: «استعمركم» من العُمُر، أي: استبقاكم فيها؛ قاله الضحاك، أي: أطال أعماركم[٤].

وقيل: من العُمْرَى؛ قاله مجاهد[٥]، فيكون «استَعْمَر» في معنى «أَعْمَرَ» كاستهلكه في معنى أَهْلَكه، والمعنى: أَعْمَركم فيها ديارَكم ثم هو وارثُها منكم، أو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٨ عن ابن عباس، والطبري ١٢/ ٥٢٦ عن سعيد بن جبير.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٣.

(٣) في (ح): أصلكم.

(٤) النكت والعيون ٢/ ٤٧٩، وزاد المسير ٤/ ١٢٣.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٥٣. والعمرى في اللغة: هي أن يقول الرجل للرجل: هذه الدار لك عمري، أو: عمرك. ولها في الشرع أحكام، وفيها للعلماء أقوال. ينظر المفهم لأبي العباس القرطبي ٤/ ٥٩٢ وما بعدها، وتفسير القرطبي ١١/ ١٥٠-١٥٢.

بمعنى: جَعَلَكم مُعمِّرين دياركم فيها؛ لأنَّ مَن وَرَّثَ دارَه مَن بعدَه فإنه[1] أعمره إياهَا؛ لأنه يسكنُها عمرَه ثم يتركُها لغيره.

وقال زيد بن أسلم: «استعمركم»: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه: من بناء مساكنَ وغرسِ أشجارٍ[2].

وقيل: أَلْهَمَكم عمارتَها: من الحَرْثِ والغَرْسِ وحَفْرِ الأنهار وغيرِها.

«إن ربِّي قريبٌ»، أي: داني الرحمةِ «مجيبٌ» لمن دعاه.

«قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا» قال كعب: كانوا يَرْجُونه للمملكة بعد مَلِكهم؛ لأنه كان ذا حَسَبٍ وثروةٍ[3].

وعن ابن عباس: فاضلًا خيِّرًا نقدِّمُك على جميعنا[4].

وقال مقاتل: كانوا يرجون رجوعَه إلى دينهم؛ إذ كان يُبْغِضُ أصنامهم ويَعْدِلُ عن دينهم، فلما أظهر إنذارَهم انقطع رجاؤهم منه[5].

وذكر الماورديُّ: يرجون خيرَه، فلمَّا أنذرهم انقطع رجاؤهم خيرَه[6].

وبَسَطَ الزمخشريُّ هذا القولَ فقال: «فينا» فيما بيننا، «مرجوًّا» كانت تلوحُ فيك مخايلُ الخير وأماراتُ الرُّشْد، فكنَّا نرجوك لننتفعَ بك وتكونَ مشاوَرًا في الأمور مسترشَدًا في التدابير، فلمَّا نطقتَ بهذا القولِ انْقَطَعَ رجاؤنا عنك، وعَلِمْنا أنْ لا خير فيك[7]. انتهى.

وقيل: لمَّا كان قويَّ الخاطر، وكان من قبيلتهم، قَوِيَ رجاؤهم في أن يَنْصُرَ دينَهم ويقوِّيَ مذهبهم.

---

(١) في الكشاف ٢/ ٢٧٨ (والكلام منه): فكأنما.
(٢) تفسير القرطبي ١١/ ١٤٩.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٢٣.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٧٨.
(٥) زاد المسير ٤/ ١٢٣.
(٦) زاد المسير ٤/ ١٢٣، ولفظ الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٧٩: أي: مؤمَّلاً برجاء خيرك.
(٧) الكشاف ٢/ ٢٧٨.

وقال ابن عطية[١]: والظاهرُ الذي حكاه الجمهورُ أن قوله: «مرجوًّا»: مسوَّدًا نؤمِّلُ فيك أنْ تكون سيدًا سادًّا مسدَّ الأكابر، ثم قرَّروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم: «أتنهانا». وحَكَى النقَّاشُ عن بعضهم أنه قال: معناه: حقيرًا. فإمَّا أن يكون لفظُ مرجوّ بمعنى: حقيرٍ، فليس ذلك في كلام العرب، وإنما يتَّجه ذلك على جهة التفسير للمعنى، وذلك أنَّ القصد بقولهم: «مرجوًّا» نقول[٢]: لقد كنتَ فينا سهلًا مَرَامُكَ، قريبًا ردُّ أمرِك، ممَّن لا يُظَنُّ أن يُستعجل[٣] من أمره مثلُ هذا، فمعنى «مرجوًّا»، أي: مؤخَّرًا[٤] اطِّراحُه وغلبتُه، ونحوُ هذا، فيكون ذلك على جهة الاحتقار، ولذلك فسِّر بحقيرٍ، ثم يجيءُ قولُهم: «أتنهانا» على جهة التوعُّدِ والاستبشاع لهذه المقالة منه. انتهى.

و«ما يعبد آباؤنا» حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، و«إنَّا» و«إنَّنا» لغتان لقريش، قال الفرَّاء: مَن قال: إنَّنا، أخرج الحرفَ على أصله؛ لأن كنايةَ المتكلِّمين «نا»، فاجتمعت ثلاثُ نوناتٍ، ومَن قال: إنَّا، اسْتَثْقَلَ اجتماعها فأسقط الثالثةَ وأبْقَى الأوْلَيَيْن[٥]. انتهى.

والذي أختارُه أنَّ [نون][٦] «نا» ضميرَ المتكلِّمينَ لا تكونُ المحذوفةَ؛ لأنَّ في حَذْفِها حذفَ بعضِ اسمٍ وبقي منه حرفٌ ساكن، وإنما المحذوفةُ النونُ الثانيةُ من «إنَّ»، فحذفت لاجتماعِ الأمثال وبقي من الحرف الهمزةُ والنونُ الساكنةُ، وهذا أولى من حذف ما بقي منه حرفٌ، وأيضًا فقد عُهِدَ حذفُ هذه النون مع غيرِ ضمير المتكلِّمين ولم يُعهد حذفُ نون «نا»، فكان حذفُها من «إنَّ» أولى.

و«مُريب» اسم فاعلٍ من متعدٍّ؛ أَرَابَه: أَوْقَعه في الرِّيبة، وهي قلقُ النفس وانتفاءُ الطمأنينة، أو من لازمٍ؛ أرابَ الرجلُ: إذا كان ذا رِيبةٍ، وأُسند ذلك إلى الشكِّ إسنادًا مجازيًّا، ووجودُ مثلِ هذا الشكِّ كوجود التصميم على الكفر.

---

(١) في المحرر ٣/ ١٨٣-١٨٤.

(٢) في المحرر: يكون، بدل: نقول.

(٣) كذا في النسخ، والذي في المحرر: يَسْتَفْحِل. وهو الأشبه.

(٤) كذا في النسخ، والذي في المحرر: مرجوا، وهو الأشبه.

(٥) زاد المسير ٤/ ١٢٤.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝٦٣ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥﴾ تقدَّم الكلام في «أرأيتم» في قصة نوح، والمفعولُ الثاني هنا لـ«أرأيتم» محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه «فمَن ينصرني من الله إنْ عَصَيتُه»، والتقدير: أأَعْصِيْهِ في ترك ما أنا عليه من البيِّنة.

وقال ابن عطية: «أرأيتم» هو من رؤية القلب، والشرطُ الذي بعده وجوابُه يسدُّ مسدَّ مفعولين لـ«أرأيتم»[١]. انتهى.

والذي تقرَّر أن «أرأيت» ضمِّن معنى «أخبرني»، وعلى تقديرِ أنْ لا تضمين فجملةُ الشرط والجواب لا تَسُدُّ مَسَدَّ مفعولي «علمتُ» وأخواتِها.

وإدخالُ أداة الشرط التي هي «إنْ» على جملةٍ محقَّقةٍ وهي: كان على بينةٍ من ربِّه[٢]، لكنه خاطب الجاحدين للبينة، فكأنه قال: قدِّروا أنِّي على بينةٍ من ربِّي، وانظروا إنْ تابعتُكم وعصيتُ ربِّي في أوامره، فمن يمنعني من عذابه.

قال ابن عطية: وفي الكلام محذوفٌ تقديره: أَيَضُرُّني شكُّكم، أو: أيمكنني طاعتُكم، ونحو هذا مما يليقُ بمعنى الآية[٣]. انتهى.

وهذا التقديرُ الذي قدَّره استشعارٌ منه بالمفعول الثاني الذي يقتضيه «أرأيتم»، وأن الشرطَ وجوابَه لا يقعان ولا يَسُدَّان مَسَدَّ مفعول «أرأيتم»، والذي قدَّرناه نحن هو الظاهرُ؛ لدلالة قوله: «فمن ينصرني من الله إن عصيتُه».

«فما تزيدونني غير تخسير» قال الزمخشري: غيرَ أن أُخسِّركم، أي: أنسُبَكم إلى الخسران، وأقول: إنَّكم خاسرون[٤]. انتهى، ففَعَّل هنا للنسبة، كفسَّقْتُه وفجَّرْتُه، أي: نسبتُه إلى الفِسْق والفُجور.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٤.
(٢) يعني: أدخل في الكلام حرف الشرط «إنْ» الذي هو للشك، مع أنه كان على يقين أنه على بينة من ربِّه. ينظر الكشاف ٢/ ٢٧٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٤.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٧٩.

قال ابن عباس: معناه: ما تزيدونني بعبادتكم إلا بصارةً في خُسرانكم[١]. انتهى، فهو على حذفِ مضافٍ، أي: غير بَصَارةِ تخسيرِكم.

وقال مجاهد: ما تزدادون أنتم باحتجاجِكم بعبادةِ آبائكم إلا خسارًا[٢]. وأضاف الزيادةَ إلى نفسه لأنهم أعطَوْه ذلك، وكان سألهم الإيمان.

وقال ابنُ عطية[٣]: فما تعطوني فيما أقتضيه منكم من الإيمان غيرَ تخسيرٍ لأنفسكم، وهو من الخسارة، وليس التخسيرُ إلا لهم وفي حَيِّزهم، وأضاف الزيادةَ إليه من حيث هو مقتضٍ لأقوالهم موكَّلٌ بإيمانهم، كما تقول لمن تُوصيه: أنا أريد بك خيرًا وأنت تريد بي شرًّا[٤]، وكان الوجهُ البيِّنُ أن تقول: وأنت تريد[٥] شرًّا، لكنْ من حيث كنتَ مُريدَ خيرٍ ومُقْتضِيَ ذلك حَسُنَ أن تُضيف الزيادة إلى نفسك. انتهى.

وقيل: التقدير: فما تَحْمِلونني عليه غيرَ أنِّي أخسِّركم، أي: أرى منكم الخسران.

وقيل: التقدير: تخسِّروني أعمالي وتُبطلونها؛ قيل: وهذا أقربُ؛ لأن قوله: «فمن ينصرني من الله إن عصيتُه» كالدلالة على أنه أراد: إن اتَّبعتُكم فيما أنتم عليه ودعوتُموني إليه لم أزْدَدْ إلا خسرانًا في الدِّين، فأصير من الهالكين الخاسرين.

وانتصب «آية» على الحال، والخلافُ في الناصب في نحو: هذا زيدٌ منطلقًا، أهو حرفُ التنبيه، أو اسمُ الإشارة، أو فعلٌ محذوفٌ؟ جارٍ في نصب «آية».

و«لكم» في موضع الحال؛ لأنه لو تأخَّر لكان نعتًا لـ«آية»، فلمَّا تقدَّم على النكرة كان حالًا، والعاملُ فيها محذوفٌ.

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٩١، وزاد المسير ٤/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١١/ ١٥٣.
(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٥٥.
(٣) في المحرر ٣/ ١٨٤.
(٤) في (أ) و(ح) و(د١) و(ع): سوءاً، والمثبت من (ز١) و(يه)، وهو الموافق لما في المحرر، وقوله: وأنت تريد بي، كذا وقع في النسخ ومطبوع المحرر، ولعل الصواب: تزيدني.
(٥) كذا في النسخ، والذي في المحرر: تزيد، وهو الصواب.

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: فيمَ يتعلَّق «لكم»؟ قلتُ: بـ«آية» حالًا منها متقدِّمةً؛ لأنها لو تأخَّرت لكانت صفةً لها، فلمَّا تقدَّمت انتصبت على الحال[١]. انتهى.

وهذا متناقضٌ؛ لأنه من حيث تعلُّق «لكم» بـ«آية» كان «لكم» معمولًا لـ«آية»، وإذا كان معمولًا لها امْتَنَعَ أن يكون حالًا منها؛ لأنَّ الحال تتعلَّقُ بمحذوفٍ، فتناقَضَ هذا الكلامُ، لأنه من حيث كونُه معمولًا لها كانت هي العاملةَ، ومن حيث كونُه حالًا منها كان العاملُ غيرَها[٢].

وتقدَّم الكلامُ على الجمل التي بعد «آية»[٣].

وقرأت فرقةٌ: «تأكلُ» بالرفع على الاستئناف أو على الحال[٤].

و«قريب» عاجلٌ لا يستأخِرُ عن مسِّكُمُوها بسوءٍ إلا يسيرًا، وذلك ثلاثةُ أيامٍ ثم يقعُ عليكم، وهذا الإخبارُ بوحيٍ من الله تعالى.

«فعقروها» نُسِبَ العقر إلى جميعهم وإن كان العاقرُ واحدًا؛ لأنه كان برضًى منهم وتمالُؤٍ. ومعنى «تمتعوا»: استمتِعوا بالعيش في داركم في بلدكم، وتسمَّى البلاد الديارَ لأنها يُدار فيها أي يُتصرَّفُ، يقال: ديار بكرٍ، لبلادهم؛ قاله الزمخشري[٥].

وقال ابن عطية[٦]: «في داركم» جمعُ دارَةٍ، كـ: ساحةٍ وساحٍ وسُوحٍ، ومنه قولُ أميةَ بن أبي الصَّلْت:

لـه داعٍ بـمـكـةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ وآخَـرُ فـوقَ دارَتِـه يـنـادي[٧]

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٩.

(٢) قال السمين متعقبًا المصنف: ومِثْلُ هذا كيف يعترض به على مثل الزمخشري بعد إيضاحه المعنى المقصود بأنه التعلق المعنوي. الدر المصون ٦/ ٣٤٨.

(٣) عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٥.

(٥) في الكشاف ٢/ ٢٧٩.

(٦) في المحرر ٣/ ١٨٥.

(٧) ديوان أمية ص٦٣. المشمعلُّ: الجاد في الأمر، الخفيف في جميع ما أخذ فيه من العمل. الخزانة ٤/ ٢٣٦.

ويمكنُ أن يسمَّى جميعُ مسكن الحيِّ دارًا. انتهى.

«ذلك» أي: الوعدُ بالعذاب «غير مكذوب»، أي صدقٌ حقٌّ، والأصل: غير مكذوبٍ فيه، فاتُّسع فحُذِفَ الحرفُ وأُجرِيَ الضميرُ مُجرى المفعول به، أو جُعل غيرَ مكذوبٍ لأنه وُفِّيَ به، فإذا وفِّي به، فقد صَدَق، أو على أن المكذوب هنا مصدرٌ عند مَن يُثبت أنَّ المصدر يجيءُ على زنة: مفعول.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ والكلامُ في «جاء أمرنا» كالكلام السابق في قصة قوم هود.

قيل: الواو زائدة في «ومِن»، أي: من خزي يومئذٍ، فتتعلَّق «من» بـ«نجَّينا»، وهذا لا يجوزُ عند البصريين؛ لأن الواو لا تُزاد عندهم بل تتعلَّق «من» بمحذوفٍ، أي: ونجَّيناهم من خزي، أي: وكانت التنجيةُ من خزي يومئذ.

وقرأ طلحةُ وأبانُ بن تَغلِبَ: «ومن خِزْيٍ» بالتنوين ونصبِ «يومَئذ» على الظرف معمولًا لـ«خزي»[1].

وقرأ الجمهور بالإضافة، وفَتَحَ الميمَ نافعٌ والكسائيُّ[2]، وهي فتحةُ بناءٍ لإضافته إلى «إذ» وهو غيرُ متمكِّنٍ، وقرأ باقي السبعة بكسر الميم وهي حركةُ إعرابٍ.

والتنوينُ في «إذ» تنوينُ عِوَضٍ من الجملة المحذوفة المتقدِّمة الذِّكرِ، أي: ومن فضيحة يومِ إذ جاء الأمرُ وحلَّ بهم. وقال الزمخشري: ويجوز أن يريد بـ«يومئذ» يومَ القيامة، كما فسَّر العذابُ الغليظ بعذاب الآخرة[3]. انتهى.

وهذا ليس بجيدٍ؛ لأنَّ التنوين في «إذٍ» تنوينُ العِوَض، ولم يتقدَّم إلا قولُه: «فلمَّا جاء أمرنا»، ولم تتقدَّم جملةٌ فيها ذكرُ يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكونَ هذا التنوينُ عِوَضًا من الجملة التي تكون في يوم القيامة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٦ دون نسبة.
(٢) السبعة ص٣٣٦، والتيسير ص١٢٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٧٩.

وناسَبَ مجيءُ الأمر وَصْفَه تعالى بالقويِّ العزيز، فإنهما من صفات الغَلَبة والقهر والانتقام.

والجملةُ التي بعد هذا تقدَّم الكلامُ عليها في «الأعراف»(١).

«ألَا إنَّ ثمودَ» مَنَعَ حمزةُ وحفصٌ صَرْفَه، وصَرَفه الباقون، «لثمود» صَرَفه الكسائيُّ ومنعه باقي السبعة(٢).

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ تقدَّم أنَّ ترتيبَ قصصِ هذه السورةِ كترتيب قصص «الأعراف»، وإنما أدرج شيئًا من أخبار إبراهيم عليه السلام بين قصة صالحٍ ولوطٍ؛ لأن له مدخلًا في قصة لوط، وكان إبراهيمُ ابنَ خالة لوطٍ.

والرسلُ هنا: الملائكةُ، بشَّرتْ إبراهيمَ بثلاثِ بشائرَ: بالولد، وبالخُلَّة، وبإنجاء لوطٍ ومَن آمَنَ معه، قيل: كانوا اثني عَشَرَ مَلَكًا، روي ذلك عن ابن عباسٍ. وقال السُّدِّي: أحَدَ عَشَرَ. وحَكَى صاحب «الغُنْيان»: عشرةً منهم جبريلُ. وقال الضحاك: تسعةً. وقال محمد بن كعب: ثمانيةً. وحَكَى الماوردي: أربعةً. وقال ابن عباس وابنُ جُبيرٍ: ثلاثةً: جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ. وقال مقاتلٌ: جبريل وميكائيل ومَلَكُ الموت(٣).

ورُوي أنَّ جبريلَ عليه السلام كان مختصًّا بإهلاك قوم لوطٍ، وميكائيل ببشرى إبراهيم بإسحاق عليهما السلام، وإسرافيل بإنجاء لوطٍ ومَن آمَنَ معه.

---

(١) عند تفسير الآية (٧٨) منها.

(٢) السبعة ص٢٣٧، والتيسير ص١٢٥.

(٣) ذكره هذه الأقوالَ عدا كلام صاحب الغنيان ابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٢٧. وكلام الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٨٢. وكتاب الغنيان في تفسير القرآن لبشير بن حامد الزينبي التبريزي البغدادي الشافعي المتوفى سنة (٦٢٦هـ).

قيل: وكانت الملائكةُ جُرْدًا مُرْدًا على غايةٍ من الحُسن والجمال والبهجة، ولهذا يُضربُ بهم المَثَلُ في الحُسْن، كما قال تعالى حكايةً عمَّا قيل في يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وقال الغَزِّيُّ[١]:

**قومٌ إذا قُوبِلوا كانوا ملائكةً ... حُسْنًا وإن قُوتِلوا كانوا عَفَاريتا**

وانتصب «سلامًا» على إضمار الفعل، أي: سلَّمنا عليك سلامًا، فـ«سلامًا» قطعه معمولًا للفعل المضمر المحكيِّ بـ«قالوا».

قال ابن عطية: ويصحُّ أن يكون «سلامًا» حكايةً لمعنى ما قالوا لا حكايةً لِلَفظِهم ـ قاله مجاهدٌ والسدِّيُّ ـ ولذلك عمل فيه القولُ، كما تقول لرجل قال: «لا إله إلا الله»: قلتَ حقًّا وإخلاصًا، ولو حكيتَ لفظَهم لم يصحَّ أن يعمل فيه القولُ[٢]. انتهى.

ويعني: لم يصحَّ أن يعمل في لفظهم القولُ، يعني في اللَّفظ وإن كان ما لفظوا به في موضع المفعول للقول.

و«سلامٌ» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: أمري ـ أو: أمركم ـ سلام، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أي: عليكم سلامٌ، والجملة مَحْكِيَّةٌ وإن كان حُذِفَ منها أحدُ جزأيها، كما قال:

**إذا ذقتَ فاها قلتَ طعمُ مُدَامةٍ[٣]**

أي: طعمُه طعمُ مُدَامةٍ.

وقرأ الأخَوان: قال: «سِلْمٌ»[٤] والسِّلْم السلامُ كحرم وحرام ومنه قول الشاعر:

**مَرَرْنا فقلنا إيهِ سِلْمٌ فسلَّمتْ ... كما اكتلَّ بالبرق الغمامُ اللوائحُ[٥]**

اكتلَّ: اتَّخذ إكليلًا.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان ـ أو: ابن يحيى بن عثمان ـ بن محمد الكلبي ثم الأشهبي، توفي سنة (٥٢٤هـ). خريدة القصر ١/ ٣، والأعلام ١/ ٥٠. والبيت في الخريدة ص٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٧.

(٣) وعجزه: دنا الزِّقُّ حتى مَجَّها وهو جانحُ، والبيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٤٦.

(٤) السبعة ص٢٣٧-٢٣٨، والتيسير ص١٢٥. والأخوان: حمزة والكسائي.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١، والكشاف ٢/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٨٧، واللسان (طلح) =

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالسِّلْم ضدَّ الحرب، تقول: نحن سِلْمٌ لكم[١]. انتهى.

ونصبُ «سلامًا» يدل على التجدُّد، ورفعُ «سلامٌ» يدلُّ على الثبوت والاستقرار.

والأقربُ في إعراب «فما لبث» أن تكونَ «ما» نافيةً، و«لبث» معناه: تأخَّر وأبطأ، «وأنْ جاء» فاعلٌ بـ«لبث»، التقدير: فما تأخَّر مجيئُه؛ قاله الفرَّاء[٢].

وجوَّزوا أن يكون في «لبث» ضميرُ «إبراهيم» فهو فاعلٌ، و«أنْ جاء» على إسقاط الحرف، فقدِّر: بأنْ، وبـ«عن»، وبـ«في»، وجَعل بعضُهم «أنْ» بمعنى «حتى»، حكاه ابنُ العربي[٣].

وأن تكون «ما» مصدريةً، وذلك المصدرُ في موضع رفعٍ بالابتداء، وأن تكون بمعنى الذي، أي: فلُبْثُه، أو الذي لَبِثَه والخبر «أنْ جاء» على حذفٍ، أي: قَدْرُ مجيئه.

وهذا من أدب الضيافة، وهو تعجيلُ القِرَى، وكان مالُ إبراهيم البقرَ، فقدَّم أحسنَ ما فيه، وهو العجل.

قال مجاهد «حنيذ»: مطبوخ[٤].

وقال الحسن: نَضيجٌ مشويٌّ سمينٌ يقطر وَدَكًا[٥].

---

= و(كلب)، وفيه: اكتل الغمام بالبرق: لمع، يقول: لمَّا سلمنا عليهن بدت ثغورهن كبرقٍ في جانب غمام. وقد ورد البيت في الصحاح واللسان (سلم) باختلاف في عجز البيت، والرواية فيهما: فما كان إلا وَمْؤُها بالحواجب.

(١) المحرر ٣/ ١٨٧.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢١.

(٣) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٥٠.

(٤) لم أقف عليه، وأخرج الطبري ١٢/ ٤٦٨ عن مجاهد: الحنيذ: المشوي النضيج. وفي رواية: نضيج سَخِن أُنضج بالحجارة.

(٥) ذكره بنحوه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٦١، وأبو الليث السمرقندي في تفسيره ٢/ ١٣٤، ولم ينسباه.

وقال السدِّي: سمين[١].

وقيل: سميط[٢].

«لا تصل إليه»، أي: إلى العجل، والمعنى: لا يمدُّون أيديَهم إلى أكله، فلم يَنْفِ الوصولَ الناشئ عن المدِّ، بل جَعَلَ عَدَمَ الوصولِ استعارةً عن امتناعِهم من الأكل.

«نكِرهم»، أي: أنكرهم، قال الشاعر:

**وأنكرتني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادث إلا الشيبَ والصَّلَعا[٣]**

وقيل: نَكِرَ فيما يُرى بالبصر[٤]، و«أنكر» فيما لا يُرى من المعاني، فكأنَّ الشاعر قال: وأنكرتْ مودَّتي ثم جاءت بنُكْرِ الشيبِ والصَّلع ممَّا يُرى بالبصر، ومنه قولُ أبي ذُؤيب:

**فنَكِرْنَه فنَفَرْنَ وامْتَرَسَتْ به ... هوجاءُ هاديةٌ وهادٍ جُرْشُعُ[٥]**

ورويَ أنهم كانوا يَنْكُتون بقداحٍ كانت بأيديهم في اللحم ولا تصلُ أيديهم إليه.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٤.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٦١. والسميط في قول الليث: إذا مُرط عنه صوفه ثم شوي بإهابه، وأصل السمط: أن ينزع صوف الشاة المذبوحة بالماء الحار لتُشوى. اللسان (سمط).

(٣) البيت في ديوان الأعشى ص١٠٥ من قصيدة طويلة في مدح هوذة بن علي الحنفي، غير أن أبا عبيدة ذكر في مجاز القرآن ١/ ٢٩٣ عن أبي عمرو أنه هو الذي زاد هذا البيت في شعر الأعشى، وقال: فأتوب إلى الله منه. وجاء في العقد لابن عبد ربه ٥/ ٣٠٧ أن الذي زاده في شعر الأعشى هو حماد الراوية.

(٤) قوله: بالبصر، من (ز١)، وليس في باقي النسخ.

(٥) ديوان الهذليين ١/ ٨، والصحاح واللسان (مرس) قال الجوهري: امترس به، أي: احتك به، يصف صائدًا، وأن حُمر الوحش قربت منه بمنزلة من يحتك بالشيء. اهـ. والهوجاء: الأتان التي تركب رأسها. والهادية المتقدمة، والهادي كذلك، ويعني: الفحل، وجرشع: منتفخ الجبين، أي: وامترس هذا بالرامي أيضاً. وقيل: امترست الأتان بالفحل، وجعلت تسير معه، قال الأصمعي: كانا سِيَّيْن في العَدْو، فكانت هادية وكان هاديًا، يقول: كانا أوَّلين لمَّا فزعت من الصائد. ينظر شرح ديوان الهذليين ١/ ٢٢.

وينبغي أن يُنْظَرَ من الضيف هل يأكلُ أو لا؟ ويكونُ بتلفُّتٍ ومسارعةٍ لا بتَحْديدِ النظر؛ لأنَّ ذلك ممَّا يجعلُ الضيفَ مقصِّرًا في الأكل.

قيل: كان إبراهيم عليه السلامُ ينزل في طرفٍ من الأرض فخاف[1] أن يريدوا به مكروهًا.

وقيل: كانت عادتُهم إذا مسَّ مَن يطرقُهم طعامَهم أمِنوا، وإلا خافوه.

قال الزمخشري: ويظهرُ أنه أحسَّ بأنهم ملائكةٌ، ونكِرَهم لأنه تخوَّف أن يكون نزولُهم لأمرٍ أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه، ألا ترى إلى قولهم: «لا تَخَفْ إنَّا أُرسلنا إلى قوم لوط»، وإنما يقالُ هذا لمن عَرَفهم ولم يعرف فيم أُرسلوا[2].

قال مقاتل: «فأوْجَس»: وقع في قلبه.

وقال الحسن: حدَّث به نفسَه[3].

قيل: وأصلُ الوُجوس: الدخول، فكأنَّ الخوفَ دخل عليه.

والظاهرُ أنه لم يَعْرِفْ أنهم ملائكةٌ؛ لمجيئهم في صورة البشر، وكان مشغوفًا بإكرام الأضياف فلذلك جاؤوا في صُوَرهم، ولمسارعته إلى إحضار الطعام إليهم، ولأن امتناعَ الملائكة من الأكل لا يدلُّ على حصول الشرِّ، وإنّما عَرَفَ أنهم ملائكةٌ بقولهم: «لا تَخَفْ إنَّا أُرسلنا إلى قوم لوط» فَنَهَوْهُ عن شيءٍ وقع في نفسه، وعَرَفوا خيفتَه بكون الله جَعَل لهم من الاطِّلاع ما لم يجعل لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢] وفي الحديث الصحيح: «قالت الملائكة: رَبِّ عبدُك هذا يريدُ أنْ يَعْمَلَ سيئةً» الحديث[4]، أو بما يلُوح في صفحات وجه الخائف.

«وامرأتُه قائمةٌ» جملةٌ من ابتداءٍ وخبرٍ، قال الحوفيُّ وأبو البقاء: في موضع

---

(١) في (د١) والمطبوع: مخافة، وهو تحريف، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ٢/ ٢٨٠، والكلام منه.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٨٠.
(٣) القولان في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٣١-٣٣٢.
(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٢٩) عن أبي هريرة ﷺ.

الحال، قال أبو البقاء: من ضمير الفاعل في «أُرْسِلنا»[١] يعني: المفعول الذي لم يسمَّ فاعلُه، والزمخشريُّ يسمِّيه فاعلًا؛ لقيامه مقامَ الفاعل[٢]. وقال الحوفي: والتقدير: أُرْسِلْنا إلى قوم لوطٍ في حال قيام امرأته. يعني امرأةَ إبراهيم.

والظاهرُ أنه حالٌ من ضمير «قالوا»، أي: قالوا لإبراهيم: لا تخف، في حال قيام امرأته.

وهي سارةُ بنتُ هاران بن ناحور، وهي ابنةُ عمه: «قائمة»، أي: لخدمة الأضياف ـ وكانت نساؤهم لا تحتجبُ، كعادة الأعراب ونازلةِ البوادي والصحراء، ولم يكن التبرُّجُ مكروهًا، وكانت عجوزًا، وخدمةُ الضِّيفان ممَّا يعدُّ من مكارم الأخلاق ـ قاله مجاهد[٣]، وجاء في شريعتنا مثلُ هذا من حديث أبي أسيدٍ الساعديِّ، وكانت امرأتُه عروسًا فكانت خادمةَ الرسول ﷺ ومَن حضر معه من أصحابه[٤].

وقال وهب: كانت قائمةً وراء الستر تسمعُ محاوَرَتَهم.

وقال ابن إسحاق: قائمةٌ تصلِّي[٥].

وقال المبرِّد: قائمةٌ عن الولد[٦].

قال الزمخشري: وفي مصحف عبد الله: «وامرأتُه قائمةٌ وهو قاعد»[٧]. وقال ابن عطية: وفي قراءة ابن مسعود: «وهي قائمةٌ وهو جالسٌ»[٨]، ولم يتقدَّم ذكرُ امرأةِ إبراهيم فيُضْمَرَ، لكنه يفسِّره سياقُ الكلام.

(١) الإملاء ٢/ ٤٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٥، وسيرد ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ [الحج: ٤].
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٥، ولفظه: «وامرأته قائمة» قال: في خدمة أضياف إبراهيم ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري (٥٥٩١)، ومسلم (٢٠٠٦)، وهو من حديث سهل بن سعد ﷺ، والقصة مع أبي أسيد.
(٥) ذكر هذين القولين الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٨٤، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٢٩.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) الكشاف ٢/ ٢٨١. وذكرها أيضاً بهذا اللفظ الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٢.
(٨) المحرر ٣/ ١٨٨. وفي تفسير الطبري ١٢/ ٤٧٣: «وامرأته قائمة وهو جالس».

قال مجاهد وعكرمةُ: «فضحكت» حاضت[(١)].

قال الجمهور: هو الضحكُ المعروف.

فقيل: هو مجازٌ معبَّرٌ به عن طلاقة الوجه وسرورِه بنجاة أخيها[(٢)] وهلاكِ قومه، يقال: أتيتُ على روضةٍ تضحكُ، أي: مشرقة.

وقيل: هو حقيقةٌ.

فقال مقاتلٌ وروي عن ابن عباس: ضحكت من شدَّة خوف إبراهيم وهو في أهله وغلمانه، والذين جاؤوه ثلاثةٌ وهي تعهدُه يغلبُ الأربعين، وقيل: المئة.

وقال قتادة: ضحكت من غَفْلة قومِ لوطٍ وقُرْبِ العذاب منهم.

وقال السدي: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجبًا لأضيافنا نخدمُهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا.

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ، ورُوي عن ابن عباس: ضحكت من البشارة بإسحاق، وقال[(٣)]: هذا مقدَّمٌ بمعنى التأخير.

وذكر ابن الأنباري: أن ضحكها كان سرورًا بصدق ظنها؛ لأنها كانت تقولُ لإبراهيم: اضْمُمْ إليك ابنَ أخيك لوطًا ـ وكان أخاها[(٤)] ـ فإنه سينزلُ العذابُ بقومه.

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٣٠٦ عن عكرمة، وتفسير الطبري ١٢/٤٧٦ عن مجاهد.

(٢) يعني لوطًا عليه السلام، والقول بأنه أخو سارة ممنوعٌ إذا كان لوطٌ ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وينظر ما سيرد قريباً.

(٣) يعني: مَن أورد هذا القول من الأئمة والمفسرين. ينظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٢، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٥٩، وتفسير الطبري ١٢/٤٧٦، وزاد المسير ٤/١٣٠.

(٤) قوله: وكان أخاها، ليس من كلام ابن الأنباري كما هو في زاد المسير ٤/١٣١، وكذا أورد هذا القول دون هذه العبارة الزمخشري في الكشاف ٢/٢٨١، والرازي في التفسير ١٨/٢٦، والقول بأن سارة هي أخت لوط عليه السلام، وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام ممنوع قد ردَّه العلماء، وذكروا أن المشهور هو أن سارة هي ابنة عم إبراهيم عليه السلام، وهو هاران الأكبر الذي تنسب إليه حرَّان، وأن لوطًا هو ابن أخيه هاران الأصغر. ينظر الروض الأنف ١/١٦، والبداية والنهاية ١/٣٤٧. وهذا المشهور من كون سارة ابنة عم إبراهيم ولوط ابن أخيه هو الذي ذكره المصنف عند تفسير الآية (٧١) من سورة الأنبياء، ولم يذكر غيره.

وقيل: ضحكت لِمَا رأت من المُعْجِز، وهو أنَّ الملائكة مَسَحت العجل الحنيذ فقام حيًّا يَطْفِر[١].

والذي يظهرُ - والله أعلم - أنهم لمَّا لم يأكلوا وأوجسَ في نفسه خيفةً بعد ما نَكِرَ حالَهم، لَحِقَ المرأةَ من ذلك أعظمُ ما لَحِقَ الرجلَ، فلمَّا قالوا: «لا تَخَفْ» وذكروا سببَ مجيئهم زالَ عنه الخوفُ وسُرَّ، فلَحِقَها هي من السرور أنْ ضحكت؛ إذ النساءُ في باب الفرح والسرور أطربُ من الرجال، وغالبٌ عليهن ذلك، وقد أشار الزمخشري إلى طرفٍ من هذا فقال: فضحكت سرورًا بزوال الخِيْفة[٢].

وذكر محمد بن قيس سببًا لضحكها تركنا ذكره لفظاعته يوقف عليه في تفسير ابن عطية[٣].

وقرأ محمد بن زياد الأعرابيُّ رجلٌ من قرَّاء مكة: «فضحَكتْ» بفتح الحاء[٤]. قال المهدويُّ: وفتحُ الحاء غيرُ معروفٍ.

«فبشَّرناها» هذا موافقٌ لقوله تعالى: «ولقد جاءت رسلُنا إبراهيم بالبشرى»، والمعنى: فبشَّرناها على لسان رُسلنا، بشَّرتها الملائكةُ بإسحاقَ، وبأن إسحاق سيلدُ يعقوبَ، قال ابن عطية: أضاف فعلَ الملائكةِ إلى ضمير اسم الله تعالى إذ كان ذلك بأمره ووحيه[٥].

وقال غيره: لمَّا وُلد لإبراهيم إسماعيلُ عليهما السلام مِن هاجر تمنَّت سارةُ أن يكون لها ابنٌ، وأيِسَتْ لكبر سنِّها، فبُشِّرت بولدٍ يكون نبيًّا ويلدُ نبيًّا، فكان هذا

---

(١) طَفَر يَطْفِرُ: وثب في ارتفاع، والطفر: الوثوب. وقد ذكره بهذا اللفظ الرازي في تفسيره ١٨/ ٢٦، وجاء في النكت والعيون ٢/ ٤٨٥: يدرج، وهو قريب منه. ووقع في (ز١): يَصْفِرُ، ولعله من الصفير، وله وجه أيضاً.
وينظر ما سلف من أقوال في تفسير الطبري ١٢/ ٤٧٣-٤٧٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٣٢، والنكت والعيون ٢/ ٤٨٥، وزاد المسير ٤/ ١٣٠-١٣١، وتفسير الرازي ١٨/ ٢٥-٢٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٨١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٩، وأخرجه الطبري ١٢/ ٤٧٥، وقد ردَّه ابن عطية، وتركنا ذكره لإضراب المصنف عن ذكره.
(٤) المحتسب ١/ ٣٢٣، وهي في القراءات الشاذة ص٦٠ دون نسبة.
(٥) المحرر ٣/ ١٨٩.

بشارةً لها بأنْ ترى ولدَ ولدِها(١). وإنما بشَّروها دونه لأنَّ المرأة أعجلُ فَرَحًا بالولد، ولأن إبراهيم قد بشَّروه وأمَّنوه من خوفه، فأَتْبَعوا بشارتَه ببشارتها.

وقيل: خصَّت بالبشارة حيث لم يكن لها ولدٌ وكان لإبراهيم عليه السلام ولدُه إسماعيل.

والظاهر أن «وراء» هنا ظرفٌ استُعمل اسمًا غيرَ ظرفٍ بدخولِ «مِن» عليه، كأنه قيل: ومِن بعدِ إسحاق، أو: من خَلْفِ إسحاق.

وبمعنى «بعد». رُويَ عن ابن عباس، واختاره مقاتلٌ وابنُ قُتيبة(٢).

وعن ابن عباس أيضًا: أن الوراء ولدُ الولد، وبه قال الشعبيُّ واختاره أبو عبيدة(٣). وتسميتُه وراءً هي قريبةٌ من معنى «وراء» الظرف؛ إذ هو ما يكون خَلْفَ الشيء وبعدَه.

فإن قيل: كيف يكون يعقوبُ وراءً لإسحاقَ وهو ولدُه لصلبه، وإنما الوراءُ ولدُ الولد؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنباري(٤) فقال: المعنى: ومن الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوبُ، لأنه قد كان الوراءُ لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الوراء يعقوب، لم يُعلم أهذا الوراءُ منسوبٌ إلى إسحاق أم إلى إسماعيل، فأُضيف إلى إسحاق لينكشفَ المعنى ويزولَ اللَّبْسُ. انتهى.

وبشِّرت من بين أولاد إسحاقَ بيعقوب لأنها رأته ولم تَرَ غيره، وهذه البشارةُ لسارة كانت وهي بنتُ تسعٍ وتسعين سنةً، وإبراهيم ابن مئة سنة. وقيل: كان بينهما غيرُ ذلك. وهي أقوالٌ متناقضةٌ.

وهذه الآيةُ تدلُّ على أن إسماعيل هو الذبيحُ؛ لأنَّ سارة حين أَخْدَمَها

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ١٦٧.
(٢) زاد المسير ٤/ ١٣١، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢٠٦.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٣١، وأخرجه عن ابن عباس والشعبيّ الطبريُّ ١٢/ ٤٧٩-٤٨٠، وقول أبي عبيدة ذكره أيضًا ابن قتيبة في تفسير الغريب ص٢٠٦.
(٤) كما في زاد المسير ٤/ ١٣١-١٣٢.

الملك الجبارُ هاجَرَ أمَّ إسماعيل كانت شابةً جميلةً، فاتَّخذ إبراهيم هاجَرَ سُرِّيَّةً، فغارت منها سارةُ، فخرج بها وبابنها إسماعيل من الشام على البُراق، وجاء من يومه مكةَ، وانصرف إلى الشام من يومه، ثم كانت البشارةُ بإسحاق وسارةُ عجوزٌ مُتجالَّة[1]. وسيأتي الدليلُ على ذلك أيضًا من سورة «والصافات».

ويجوز أن يكون الله سمَّاهما حالةَ البشارة بهذين الاسمين، ويجوزُ أن يكون الاسمان حَدَثا لهما وقتَ الولادة، وتكونُ البشارةُ بولدٍ ذَكَرٍ بعده ولدٌ ذَكَرٌ، وحالةَ الإخبارِ عن البشارة ذُكِرا باسمهما، كما يقول المُخْبِرُ إذا بشِّر في النوم بولدٍ ذكرٍ، فوُلِدَ له ولدٌ ذكرٌ، فسمَّاه ـ مثلًا ـ عبدَ الله: بُشِّرتُ بعبد الله.

وقرأ الحرميان والنحويان وأبو بكر: «يعقوبُ» بالرفع على الابتداء[2]، و«من وراء» الخبر، كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوبُ كائنٌ، وقدَّره الزمخشريُّ: مولودٌ أو موجودٌ[3]. قال النحاس: والجملةُ حالٌ داخلةٌ في البشارة أي: فبشَّرناها بإسحاق متَّصلًا به يعقوبُ[4].

وأجاز أبو عليٍّ[5] أن يرتفع بالجارِّ والمجرور كما أجازه الأخفش[6]، أي: واستقرَّ لها من وراء إسحاق يعقوبُ،

وقالت فرقةٌ: رَفْعُه على القطع[7]. بمعنى: ومن وراء إسحاق يَحْدُثُ يعقوبُ،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٠. قوله: متجالَّة، اسمُ فاعلٍ من تجالَّت، أي: أسنَّت وكبرت. اللسان (جلل). وقد زاد ابن عطية بعد هذا الكلام قوله: وأما وجه دلالة الآية على أن إسحاق ليس بالذبيح، فهو أن سارة وإبراهيم بشِّرا بإسحاق وأنه يولد له يعقوب، ثم أمر بالذبح لما بلغ ابنه معه السعي، فكيف يؤمر بذبح ولد قد بُشر قبلُ أنه سيولَد لابنه ذلك. ثم ذكر أدلة أخرى على ذلك تنظر فيه ثمة.

(٢) السبعة ص٣٣٨، والتيسير ص١٢٥.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٨١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٣.

(٥) في الحجة ٤/ ٢٦٤.

(٦) في معاني القرآن ٢/ ٥٧٩.

(٧) أي: الاستئناف. الدر المصون ٦/ ٣٥٧.

وقال النحاس[1]: ويجوزُ أن يكون فاعلًا بإضمارِ فعلٍ تقديره ويَحْدُثُ من وراء إسحاقَ يعقوبُ، قال ابن عطية: وعلى هذا لا تدخلُ في البشارة. انتهى.

ولا حاجةَ إلى تكلُّف القطع، والعدولِ عن الظاهر المقتضِي للدخول في البشارة.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ وحفصٌ وزيدُ بنُ علي: «يعقوبَ» بالنصب، قال الزمخشري: كأنه قيل: ووهبنا له إسحاقَ ومن وراء إسحاق يعقوبَ، على طريقة قوله:

.......... ليسوا مُصْلِحين عشيرةً ولا ناعبٍ[2] ..............

انتهى، يعني أنه عطفٌ على التوهُّم[3]، والعطفُ على التوهُّم لا ينقاسُ[4].

---

(١) في إعراب القرآن ٢/ ٢٩٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٨١. وهذا قطعة من بيت نسبه سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٩ للفرزدق، وعزاه في الكتاب أيضاً ١/ ٣٠٦ للأخوص الرياحي، واسمه: زيد بن عمرو اليربوعي، ونسب للأخوص أيضاً في البيان والتبيين ٢/ ٢٦١، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١٩٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٥٢، والخزانة ٤/ ١٥٩-١٦٠. وأنشده سيبويه ١/ ١٦٥ برواية: ولا ناعباً، بالنصب عطفاً على: مصلحين، فلا شاهد فيه على هذه الرواية، وتمام البيت:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بِبَيْنٍ غرابُها

(٣) يعني أن العطف على قوله: «بإسحاق» هو على توهُّم نصبه؛ لأنه في معنى: وهبنا له إسحاق. روح المعاني ١٢/ ١٨. وأما البيت فقد عُطف فيه «ناعبٍ» بالجر على «مصلحين» المنصوب على كونه خبر «ليس»؛ لتوهُّم الباء، فإنها يجوز زيادتها في خبر «ليس». ينظر الخزانة ٤/ ١٥٨. وتسمية العطف على التوهم استبشعها الآلوسي في القرآن، وحملها البغدادي على غير القرآن، أما في القرآن فيسمى هذا العطف ـ كما قال ـ العطف على المعنى. وقال الزركشي في البرهان ٤/ ١١١: واعلم أن بعضهم قد شنع القول بهذا في القرآن على النحويين، وقال: كيف يجوز الوهم في القرآن؟ وهذا جهل منه بمرادهم، فإنه ليس المراد بالتوهم الغلط، بل تنزيلُ الموجود منه منزلة المعدوم... إلى آخر ما قال. قال المحقق: وأرى أن العدول عن هذه التسمية في القرآن أسلم وأبعد عن الشبهة. وقد سلف الكلام على هذه المسألة عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأعراف.

(٤) كذا عمم المصنف رحمه الله عدم القياس في عطف التوهم هنا، لكنه خصص ذلك في موضع آخر، حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]: والعطف على

والأظهرُ أن ينتصب «يعقوبَ» بإضمار فعلٍ تقديره: ومن وراء إسحاق وَهَبْنا يعقوبَ، ودلَّ عليه قولُه: «فبشَّرناها» لأن البشارةَ في معنى الهبة، ورجَّح هذا الوجهَ أبو عليٍّ[١].

ومَن ذهب إلى أنه مجرورٌ معطوفٌ على لفظ «بإسحاق» أو على موضعِه، فقولُه ضعيفٌ؛ لأنه لا يجوزُ الفصلُ بالظَّرف أو المجرور بين حرف العطف ومعطوفِه المجرورِ، لا يجوز: مررتُ بزيدٍ اليومَ وأمسِ عمرٍو، فإن جاء ففي شعرٍ، فإن كان المعطوفُ منصوبًا أو مرفوعًا ففي جواز ذلك خلافٌ، نحو: قام زيدٌ واليومَ عمرٌو، و: ضربتُ زيدًا واليومَ عمرًا.

والظاهر أنَّ الألف في «يا ويلتا» بدلٌ من ياء الإضافة، نحو: يا لَهْفَا، و: يا عَجَبَا، وأمال الألفَ من «يا ويلتا» عاصمٌ وأبو عمرٍو والأعمش[٢]، إذ هي بدلٌ من الياء.

وقرأ الحسن: «يا ويلتي» بالياء[٣] على الأصل.

وقيل: الألفُ ألفُ النُّدبة، ويُوقَفُ عليها بالهاء.

وأصلُ الدعاء بالويل ونحوه في التفجُّع لشدَّة مكروهٍ يَدْهَم النفسَ، ثم اسْتُعْمِلَ بعدُ في عَجَبٍ يدهَمُ النفسَ. و«يا ويلتا» كلمةٌ تَخِفُّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهنَّ ما يُعْجَبْنَ منه.

---

= التوهم كثير وإن كان لا ينقاس، لكن إن وقع شيء وأمكن تخريجه عليه خرِّج. اهـ. وقد أعرب رحمه الله قوله تعالى: «فأطلعَ» في قراءة النصب على ذلك، فجعله من العطف على التوهم كما سيرد في مكانه، وقد يحمل عليه ما ذكره الزركشي في البرهان ٤/ ١١١ عن الخليل وسيبويه، حيث قال: وقيل: إنه ـ أي: عطف التوهم ـ لم يجئ إلا في الشعر، ولكن جوَّزه الخليل وسيبويه في القرآن، وعليه خرَّجا قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] كأنه قيل: أصَّدَّقْ وأكنْ. اهـ. وهو في الكتاب ٣/ ١٠٠.

(١) في الحجة ٤/ ٣٦٤.

(٢) في النسخ عدا (يه): والأعشى. والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ١٩٠، والكلام منه. وينظر مذاهب القراء في الإمالة في التيسير ص٤٦-٤٨، والنشر ٢/ ٣٧، والبدور الزاهرة ص١٥٨.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٠.

واستفهمَتْ بقولها: «أألد» استفهامَ إنكارٍ وتعجُّبٍ، و«أنا عجوزٌ» وما بعده جملتا حالٍ. وانْتَصَبَ «شيخًا» على الحال عند البَصْريين، وخبرِ التقريبِ عند الكوفيين[١] ولا يُسْتَغْنَى عن هذه الحال إذا كان الخبرُ معروفًا عند المخاطَب؛ لأن الفائدة إنما تقعُ بهذه الحال[٢]، أمَّا إذا كان مجهولًا عنده فأردتَ أن تُفيد المخاطَبَ ما كان يجهلُه فتجيءُ الحالُ على بابها مستغنًى عنها.

وقرأ ابن مسعود ـ وهو في مصحفه ـ والأعمش: «شيخٌ» بالرفع[٣]، وجوَّزوا فيه وفي «بعلي» أن يكونا خبرين، كقولهم: هذا حلوٌ حامضٌ[٤]، وأن يكون «بعلي» الخبر و«شيخٌ» خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أو بدل من «بعلي»، وأن يكون «بعلي» بدلًا أو عطفَ بيانٍ و«شيخ» الخبر.

والإشارةُ بـ«هذا» إلى الولادة أو البشارة بها، تعجَّبتْ من حدوث ولدٍ بين شيخين هَرِمَيْنِ، واستغربت ذلك من حيث العادةُ، لا إنكارًا لقدرة الله تعالى.

«قالوا»، أي: الملائكة: «أتعجبين» استفهامُ إنكارٍ لعَجَبها، قال الزمخشري[٥]: لأنها كانت في بيتِ الآيات ومَهْبِطِ المعجزات والأمورِ الخارقة للعادة، فكان عليها أن تتوقَّر ولا يَزْدَهيها ما يَزْدَهي سائرَ النساء[٦] في غيرِ بيتِ النبوّة، وأن تسبِّح الله وتمجِّدَه مكانَ التعجُّب، وإلى ذلك أشارت الملائكةُ في قولهم: «رحمة الله وبركاته

---

(١) يعني أن «هذا» يعمل عمل كان، و«شيخًا» خبره. هذا معنى التقريب عند الكوفيين. روح المعاني ١٢/ ٢٢.

(٢) يعني أن البعلية هنا معروفة للمخاطب، والمقصود بيان الشيخوخة، ولو لم يُذكر قوله: «شيخاً» لم يكن الكلام مفيدًا، مثال ذلك: إذا كان عمرو يعرف زيداً، فقولك له: هذا زيدٌ، غير مفيد حتى تأتي معه بحال، فتقول مثلاً: هذا زيد قائماً.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩١.

(٤) أي: أنك تخبر أنه قد جمع الطَّعمين، ولا تريد أن تنقض الحلاوة بالحموضة، فالخبران في معنى خبر واحد، ولا يجوز أن يكون «حلو» الخبر وحده، ولا حامض الخبر وحده حتى تجمعهما. ينظر الكتاب ٢/ ٨٣، والمقتضب ٤/ ٣٠٨، والأصول في النحو ١/ ١٥١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩١، والدر المصون ٦/ ٣٥٧.

(٥) في الكشاف ٢/ ٢٨١.

(٦) في الكشاف: النساء الناشئات.

عليكم أهلَ البيت» أرادوا أن هذه وأمثالَها ممَّا يُكرِمُكم ربُّ العزة ويخصُّكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليست بمكانِ عجَبٍ[١]، وأمرُ الله: قدرتُه وحِكْمَتُه، وقوله: «رحمة الله وبركاته عليكم» كلامٌ مستأنفٌ علِّل به إنكارُ التعجُّب، كأنه قيل: إياكِ والتعجُّبَ، فإن أمثالَ هذه الرحمةِ والبركةِ متكاثِرةٌ من الله عليكم، وقيل: الرحمةُ: النبوةُ، والبركاتُ: الأسباط من بني إسرائيل؛ لأن الأنبياء منهم وكلُّهم من ولد إبراهيم. انتهى.

وقيل: رحمته: تحيَّته، وبركاته: فواضلُ خيره بالخلَّة والإمامة.

وروي أنَّ سارةَ قالت لجبريل عليه السلام: ما آيةُ ذلك؟ فأخذ عودًا يابسًا فلواه بين أصابعه فاهتزَّ أخضرَ، فسَكَنَ رَوْعُها وزال عَجَبُها[٢].

وهذه الجملةُ المستأنفةُ يحتمل أن تكون خبرًا وهو الأظهر؛ لأنه يقتضي حصولَ الرحمة والبركة لهم، ويحتملُ أن تكون دعاءً وهو مرجوحٌ؛ لأن الدعاء إنما يقتضي أنه أمرٌ يُترجَّى ولم يَتَحصَّلْ بعد.

و«أهل» منصوبٌ على النداء أو على الاختصاص، وبين النصب على المدح والنصبِ على الاختصاص فرقٌ، ولذلك جعلهما سيبويه في بابين وهو أنَّ المنصوبَ على المدح لفظٌ يتضمَّن بوضعه المدحَ كما أنَّ المنصوبَ على الذمِّ يتضمَّنُ بوضعه الذمَّ، والمنصوبُ على الاختصاص لا يكون إلا لمدحٍ أو ذمٍّ، لكنَّ لفظه لا يتضمَّنُ بوضعه المدحَ ولا الذمَّ كقوله:

بنا تميمًا يُكشَفُ الضبابُ[٣]

وقوله:

ولا الحجَّاجُ عَيْنَيْ بنتِ ماءٍ[٤]

(١) في النسخ: عجيب، والمثبت من الكشاف.
(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٨٠-٤٨١ عن السدي دون قوله: فسكن...
(٣) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص١٦٩، وبعده: راح وراحت كعصا السِّيساب.
(٤) وعجزه: تقلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصقور، والبيتُ لإمام بن أقرم، كما في البيان والتبيين ١/ ٣٨٦، والحماسة البصرية ٢/ ٢٩٧-٢٩٨، وهو دون نسبة في الكتاب ٢/ ٧٣، وأمالي ابن الشجري =

وخطابُ الملائكة إياها بقولهم: «أهلَ البيت» دليلٌ على اندراج الزوجة في أهل البيت، وقد دلَّ على ذلك أيضًا في سورة الأحزاب[1]، خلافًا للشيعة إذ لا يَعُدُّون الزوجةَ من أهل بيت زوجِها. والبيتُ يرادُ به بيتُ السُّكنى.

«إنه حميدٌ»، قال أبو الهيثم: تُحْمَدُ أفعالُه، وهو بمعنى المحمود.

وقال الزمخشري: فاعلٌ ما يَسْتَوْجِبُ [به الحمدَ] من عباده، «مجيد»: كريمٌ كثيرُ الإحسان إليهم[2].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ «الروعُ»: الخِيفةُ التي كان أَوْجَسَها في نَفْسِه حين نَكِرَ أضيافَه، والمعنى: اطمأنَّ قلبُه بعِلْمِه أنهم ملائكةٌ، و«البشرى»: تبشيرُه بالولد، أو بأنَّ المراد بمجيئهم غيرُه.

وجوابُ «لمَّا» محذوفٌ كما حُذِفَ في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٥] وتقديره: اجْتَرأَ على الخطاب، أو: فَطِنَ للمجادَلة، أو: قال: كيت وكيت، ودلَّ على ذلك الجملةُ المستأنفةُ، وهي «يجادلنا»، قال معناه الزمخشري[3].

وقيل: الجوابُ «يجادلنا»، وُضِع المضارعُ موضعَ الماضي، أي: جادَلَنا، وجاز ذلك لوضوح المعنى، وهذا أقربُ الأقوال.

---

= ٢/ ١٠١. وقوله: عيني بنت ماء، منصوب على الذم بإضمار فعل، ويعني به أن عينيه تموجان كعيني طائر من طير الماء نظر إلى صقر ففزع منه، يصفه بالجبن وانسلاخ الجفنين، قال الجاحظ: لأن طير الماء لا يكون أبداً إلا منسَلِق الأجفان، وكان الحجاج أخيفش منسلق الأجفان، وكان الحجاج قد جعل إمامَ بن أقرم على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه، فلما خرج قال:

طليقُ الله لم يَمْنُنْ عليه أبو داود وابنُ أبي كثير

ولا الحجاجُ...

(١) الآية: (٣٣).

(٢) الكشاف ٢/ ٢٨٢، وما بين حاصرتين منه.

(٣) المصدر السابق.

وقيل: «يجادلُنا» حالٌ من «إبراهيم»، و«جاءته» حالٌ أيضًا، أو من ضمير[1] في «جاءته»، وجوابُ «لمَّا» محذوفٌ، تقديره: قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا، واختار هذا التوجيهَ أبو عليٍّ[2].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ، تقديره: ظلَّ ـ أو: أخذ ـ يجادلنا، فحُذِفَ اختصارًا لدلالة ظاهر الكلام عليه.

والمجادلة؛ قيل: هي سؤالُه: العذابُ واقعٌ بهم لا محالةَ، أم على سبيل الإخافة ليرجعوا إلى الطاعة؟

وقيل: يكلِّمنا على سبيل الشفاعة.

والمعنى: يجادلُ رسلَنا، وعن حذيفة أنهم لمَّا قالوا له: «إنا مهلكو أهلِ هذه القرية» قال: أرأيتُم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونها؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا. قال: فثلاثون؟ قالوا: لا. قال: فعشرون؟ قالوا: لا. قال: فإن كان فيهم عشرةٌ، أو خمسة؟ شك الراوي. قالوا: لا. قال: أرأيتم إن كان فيها رجلٌ واحدٌ من المسلمين أتُهلكونها؟ قالوا: لا. فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ٣٢-٣٣][3].

وكان ذلك من إبراهيم حرصًا على إيمان قوم لوطٍ ونجاتِهم، وكان في القرية أربعةُ آلافِ ألفِ إنسانٍ[4]، وتقدَّم تفسيرُ «حليم» و«أواه» و«منيب»[5].

«يا إبراهيم»، أي: قالت الملائكة، والإشارةُ بـ«هذا» إلى الجدال والمحاوَرة

---

(١) كذا في النسخ: ضمير، فإما أنه: الضمير كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٩٢، أو أن هناك كلمة ساقطة، أي: ضمير المفعول، كما في الدر المصون، والمعنى في الاثنين واحد، والكلام عن قوله: «يجادلنا».

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٤٩٥)، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٧ إلى قوله: شك الراوي. وينظر ما أخرجه الطبري ١٢/ ٤٩١-٤٩٢ عن ابن إسحاق.

(٤) أخرجه الطبري ٢/ ٤٩٢ عن ابن جريج، ولا يخفى ما فيه من المبالغة.

(٥) ينظر في تفسير الحليم الآية (٢٢٥) من سورة البقرة، وفي تفسير الأواه الآية (١١٤) من سورة التوبة، وسيرد تفسير المنيب عند الآية (٩) من سورة سبأ.

في شيءٍ مفروغٍ منه، والأمرُ: ما قضاه وحَكَم به من عذابه الواقع بهم لا محالةَ، ولا مردَّ له بجدالٍ ولا دعاءٍ ولا غيرِ ذلك.

وقرأ عمرو بن هَرِم[١]: «وإنهم أتاهم» بلفظ الماضي، و«عذابٌ» فاعلٌ به، عُبِّر بالماضي عن المضارع لتحقُّق وقوعه، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ خرجت الملائكة من قرية إبراهيم إلى قرية لوطٍ، وبينهما قيل: ثمانيةُ أميال، وقيل: أربعةُ فراسخَ، فأتوها عِشاءً، وقيل: نصفَ النهار، ووجدوا لوطًا في حرثٍ له.

وقيل: وجدوا ابنتَه تستقي ماءً في نهر سَدومَ، وهي أكبر حواضر قومِ لوطٍ، فسألوها الدَّلالةَ على مَن يُضيفهم، ورأت هيئتَهم فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم وذهبت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليهم، فقالوا: إنَّا نريد أن تُضِيفَنا الليلةَ. فقال لهم: أو ما سمعتُم بعمل هؤلاء القوم؟ فقالوا: وما عملُهم؟ فقال: أشهدُ بالله أنهم شرُّ قومٍ في الأرض. وقد كان الله قال للملائكة: لا تعذِّبوهم حتى يشهدَ عليهم لوطٌ أربعَ شهاداتٍ. فلمَّا قال هذه قال جبريل: هذه واحدة. وتردَّد القولُ منهم حتى كرَّر لوطٌ الشهادةَ أربعَ مرَّاتٍ، ثم دخل لوطٌ [بهم] المدينةَ، فحينئذٍ «سيءَ بهم»[٢]، أي: لَحِقَه سوءٌ بسببهم، وضاق ذَرْعُه بهم، وقال: «هذا يومٌ عصيب»، أي: شديدٌ؛ لمَا كان يتخوَّفُه من تعدِّي قومه على أضيافه.

«وجاءه قومُه يُهْرَعون إليه» لمَّا جاء لوطٌ بضيفه لم يعلم بذلك أحدٌ إلا أهلُ بيته، فخرجت امرأتُه حتى أتت مجالسَ قومها، فقالت: إنَّ لوطًا قد أضاف الليلة فتيةً ما رُئي مثلُهم جمالًا وكذا وكذا. فحينئذ جاؤوا يُهْرَعون[٣]، أي: يُسرِعون

(١) الأزدي البصري، روى عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهما، وتوفي قبل قتادة. التهذيب ٣/٣٠٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٩٣، وأخرجه الطبري ١٢/٤٩٦ عن قتادة والسدي.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٥٠٤ بنحوه عن ابن إسحاق، والكلام من المحرر ٣/١٩٤.

كما يُدفعون دفعًا، فِعْلَ الطامع الخائفِ فَوْتَ ما يطلبُه.

وقرأ الجمهور «يُهْرَعون» مبنيًّا للمفعول من أَهْرَعَ، أي: يُهْرِعُهم الطمعُ، وقرأت فرقةٌ «يَهْرَعون» بفتح الياء من هَرَعَ[1]، وقال مُهَلْهِل:

فجاؤوا يُهرَعون وهم أُسارى ... نَقُودُهمُ على رَغْم الأُنوفِ[2]

«ومن قبلُ كانوا يعملون السيئات»، أي: كان ذلك دَيدَنَهم وعادتَهم، أصرُّوا على ذلك ومَرَنوا عليه، فليس ذلك بأول إنشاءِ هذه المعصية، جاؤوا يهرعون لا يكفُّهم حياءٌ لضراوتهم عليها.

والتقدير في «ومن قبلُ»، أي: من قبلِ مجيئهم إلى هؤلاء الأضياف وطلبِهم إياهم.

وقيل: ومِن قبلِ بعثِ لوطٍ رسولًا إليهم.

وجُمعت «السيئات» وإن كان المرادُ بها معصيةَ إتيان الذكور: إمَّا باعتبارِ فاعِليها، أو باعتبارِ تكرُّرِها.

وقيل: كانت سيئاتٍ كثيرةً باختلاف أنواعها، منها إتيانُ الذكور، وإتيانُ النساء في غير المأتَى، وحَذْفُ الحصا، والحَبِقُ[3] في المجالس والأسواق، والمُكاءُ، والصفيرُ، واللعبُ بالحمام، والقمارُ، والاستهزاء بالناس في الطرقات، ووضعُ درهمٍ على الأرض وهم بعيدون منه، فمن أخذه صاحوا عليه وخجَّلوه، وإن أخذه صبيٌّ تابعوه وراوَدوه.

«هؤلاء بناتي» الأحسنُ أن تكون الإضافةُ مَجازيَّةً، أي: بناتُ قومي، أي: البناتُ أطهرُ لكم؛ إذ النبيُّ يتنزَّلُ منزلةَ الأب لقومه، وفي قراءة ابن مسعود: «النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسهم وأزواجُه أمهاتُهم وهو أبٌ لهم»[4]، ويدلُّ عليه أنه ـ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٤.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٥٠٠، وتهذيب اللغة ١/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩٤، واللسان والتاج (هرع)، وفيهما: يقودهم، بالياء.

(٣) الحَبِق: الضراط. اللسان (حبق).

(٤) القراءات الشاذة ص١١٩.

فيما قيل ـ لم يكن له إلّا بنتان، وهذا بلفظ الجمع، وأيضًا فلا يمكنُ أن يزوِّج ابنتيه من جميع قومه.

وقيل: أشار إلى بنات نفسِه، ونَدَبهم إلى النكاح، إذ كان من سُنَّتهم تزويجُ المؤمنة بالكافر، أو على أنَّ في ضِمْن كلامه أنْ يؤمنوا.

وقيل: كان لهم سيدان مُطاعان، فأراد أن يزوِّجهما ابنتيه زعورا وزيتا.

وقيل: كنَّ ثلاثًا.

ومعنى «أطهر»: أنظفُ فعلًا، وقيل: أحلُّ وأطهرُ بيتًا، ليس أفعلَ التفضيل؛ إذ لا طهارةَ في إتيان الذكور.

وقرأ الجمهور: «أطهرُ» بالرفع، والأحسنُ في الإعراب أن يكون جملتان كلٌّ منهما مبتدأٌ وخبر، وجوِّز في «بناتي» أن يكون بدلًا أو عطفَ بيانٍ و«هن» فصلٌ و«أطهر» الخبر.

وقرأ الحسن وزيد بنُ عليٍّ وعيسى بنُ عمر وسعيد بنُ جُبيرٍ ومحمد بن مروان السُّدِّي: «أطهرَ» بالنصب[1]. وقال سيبويه: هو لحنٌ، وقال أبو عمرو بنُ العلاء: احْتَبَى فيه ابنُ مروان في لَحْنه[2]. يعني: تربَّعَ. ورُويت هذه القراءةُ عن مروان بن الحكم، وخرِّجت هذه القراءةُ على أنَّ نصب «أطهرَ» على الحال؛ فقيل: «هؤلاء» مبتدأ، و«بناتي هنَّ» مبتدأ وخبر في موضع خبر «هؤلاء»، ورُوي هذا عن المبرِّد[3].

وقيل: «هؤلاء بناتي» مبتدأ وخبر، و«هن» مبتدأ و«لكم» خبرُه، والعاملُ قيل: المضمر، وقيل: «لكم» بما فيه من معنى الاستقرار[4].

وقيل: «هؤلاء بناتي» مبتدأ وخبر، و«هن» فصلٌ، و«أطهَرَ» حالٌ. ورُدَّ بأن

(١) القراءات الشاذة ص٦٠، والمحتسب ١/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩٤.
(٢) الكتاب ٣/ ٣٩٦-٣٩٧، والكشاف ٢/ ٢٨٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩٤، والكلام منه.
(٣) كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٩٤. والعامل في الحال على هذا الوجه: إما التنبيه، وإما اسم الإشارة. الدر المصون ٦/ ٣٦٢.
(٤) واعتُرض بأن فيه تقديم الحال على عاملها الظرفي، والأكثرون على منعه. روح المعاني ١٢/ ٣٩.

الفصلَ لا يقع إلَّا بين جُزْأي الجملة، ولا يقع بين الحال وذي الحال، وقد أجاز ذلك بعضُهم وادَّعى السماعَ فيه عن العرب لكنه قليلٌ.

ثم أمرهم بتقوى الله في أن يُؤْثِروا البناتِ على الأضياف، «ولا تخزون» يحتملُ أن يكون من الخزي وهو الفضيحةُ، أو من الخِزَاية وهو الاستحياءُ؛ لأنه إذا خُزِيَ ضيفُ الرجل أو جارُه فقد خُزِيَ هو، وذلك من عَرَاقة الكَرَمِ وأصلِ المروءة، «أليس منكم رجلٌ [رشيد» رجلٌ] واحد[1] يهتدي إلى سبيل الحَقِّ وفعلِ الجميل والكفِّ عن السوء، وفي ذلك توبيخٌ عظيمٌ لهم حيث لم يكن منهم رشيدٌ البتة.

قال ابن عباس: «رشيد»: مؤمن. وقال أبو مالك: ناهٍ عن المنكَرِ[2].

و«رشيد»: ذو رَشَدٍ، أو مُرْشد[3]، كالحكيم بمعنى المُحْكم.

والظاهرُ أنَّ معنى «من حقٍّ»: من نصيبٍ ولا من غَرَضٍ ولا شهوةٍ، قالوا له ذلك على وجه الخلاعة.

وقيل: «من حقٍّ» لأنك لا ترى مُناكَحتَنا؛ لأنهم كانوا خطبوا بناتِه فردَّهم، وكانت سنَّتُهم أنَّ مَن رُدَّ في خطبة امرأةٍ لم تَحِلَّ له أبدًا.

وقيل: لمَّا اتَّخذوا إتيانَ الذُّكرانِ مذهبًا كان عندهم أنه هو الحقُّ، وأنَّ نكاح الإناث من الباطل.

وقيل: لأنَّ عادتهم كانت أن لا يتزوَّج الرجلُ منهم إلا واحدةً، وكانوا كلُّهم متزوِّجين.

«وإنك لتعلم ما نريد» يعني: من إتيان الذكور، وما لهم فيه من الشهوة.

(١) قوله: واحد، من (ز١)، وهو الموافق لما في الكشاف ٢/ ٢٨٣، والكلام وما بين حاصرتين منه.

(٢) القولان في النكت والعيون ٢/ ٤٨٩، وزاد المسير ٤/ ١٣٩.

(٣) كذا ذكره المصنف ولم يقيده، وهو يحتمل وجهين: الأول: بكسر الشين، فيكون اسم فاعل بمعنى: يعظكم ويعرِّفكم قبيح ما تأتون، ويقول الحق، ويردُّ هؤلاء الأوباش. والوجه الثاني: بفتح الشين، فيكون اسم مفعول بمعنى: أرشده الله إلى الصلاح وأسعده بالرشاد والسداد حتى يمنع عن هذا العمل القبيح. ينظر زاد المسير ٤/ ١٣٩، وتفسير الرازي ١٨/ ٣٤.

«قال لو أنَّ لي بكم قوةً»، قال ذلك على سبيل التفجُّع، وجوابُ «لو» محذوفٌ كما حُذف في: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] وتقديره: لفعلتُ بكم وصنعتُ، والمعنى في قوله: «إلى ركنٍ شديد»: مَن يَستندُ إليه ويَمتنعُ به من عشيرته، شبَّه الذي يمتنع به بالركن من الجبل في شدته ومَنَعته، و: كأنه امْتَنَعَ عليه أن ينتصِرَ ويَمتنِعَ بنفسه، أو بغيره مما يمكن أن يستند إليه.

وقال الحوفي وأبو البقاء: «أو آوي» عطفٌ على المعنى، تقديره: أو أنّي آوي[(١)]، والظاهرُ أن «أو» عَطْفُ جملةٍ فعليةٍ على جملةٍ فعليةٍ إن قُدِّرَتْ «أنَّ» في موضع رفعٍ على الفاعلية على ما ذهب إليه المبرِّد[(٢)]، أي: لو يَثْبُتُ أنَّ لي بكم قوةً أو آوي، ويكونُ المضارعُ المقدَّرُ و«آوي» هذا وقَعَا موقعَ الماضي، و«لو» التي هي حرفٌ لِمَا كان سيقعُ لوقوع غيرِه نَقلت المضارعَ إلى الماضي، وإن قُدِّرت «أنَّ» وما بعدها جملةً اسميةً على مذهب سيبويه[(٣)]، فهي عطفٌ عليها من حيث إنَّ «لو» يَصْلُح أن تأتي بعدها الجملةُ المقدَّرةُ اسميةً إذا كان الذي يَنْسَبِكُ إليها «أنَّ» ومعمولاها.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون «آوي» مستأنفًا[(٤)]. انتهى.

ويجوز على رأي الكوفيين أن تكون «أو» بمعنى «بل»، ويكون قد أَضْرَبَ عن الجملة السابقة وقال: بل آوي في حالي معكم إلى ركنٍ شديد، وكَنَى به عن جناب الله تعالى[(٥)].

وقرأ شيبةُ وأبو جعفر: «أو آوِيَ» بنصب الياء[(٦)] بإضمارِ «أنْ» بعد «أو»، فتتقدَّرُ

---

(١) الإملاء ٢/ ٤٣.
(٢) المقتضب ٣/ ٧٧-٧٨
(٣) الكتاب ٣/ ١١ و١٣٩، وينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [البقرة: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، وتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٦].
(٤) الإملاء ٢/ ٤٣.
(٥) وقال الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٤٢: ولا يخفى أنه يأبى الحملَ على هذه الكناية تصريح الأخبار الصحيحة بما يخالفها.
(٦) القراءات الشاذة ص٦٠-٦١، والمحتسب ١/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٥.

بالمصدر عطفًا على قوله: «قوة»، ونظيرُه من النصب بإضمارِ «أنْ» بعد «أو» قولُ الشاعر:

ولــولا رجــالٌ مــن رِزَامٍ أعِــزَّةٌ وآلُ سُبيــعٍ أو أسُــوءَكَ عَـلْـقَـمـا[1]

أي: أو ومساءتك علقما.

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ رُوي أنَّ لوطًا عليه السلام غلبوه وهمُّوا بكسر الباب وهو يُمسكه، قال له الرسل: تنحَّ عن الباب. فتنحَّى وانفتح البابُ، فضربهم جبريلُ عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعَمُوا وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النجاةَ النجاةَ، فعند لوطٍ قومٌ سحرة. وتوعَّدوا لوطًا، فحينئذ قالوا له: «إنَّا رسلُ ربِّك»[2].

وروي أن جبريل نقب من خَصَاصِ الباب[3] ورمى في أعينهم فعَمُوا.

وقيل: أخذ قبضةً من ترابٍ وأذراها في وجوههم، فأوصل إلى عينِ مَن بَعُدَ ومَن قَرُبَ من ذلك التراب، فطُمِسَتْ أعينُهم فلم يعرفوا طريقًا ولم يهتدوا إلى بيوتهم[4].

وقيل: كسروا بابه وتهجَّموا عليه ففعل بهم جبريلُ ما فعل.

---

(١) البيت للحصين بن الحمام، كما في الكتاب ٣/ ٤٩-٥٠، والمفضليات ص٦٦، ومنتهى الطلب ٢/ ١٥٣، والخزانة ٣/ ٣٢٤. قوله: أسوءك، منصوب بإضمار «أنْ»، والمعنى: لولا هؤلاء الموصوفون وأن أسوءك لفعلت كذا. ورزام وسبيع قبيلتان. شرح الشواهد للأعلم ص٤٠٢.

(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٥١٩ عن السدي بنحوه، ولفظُه من المحرر ٣/ ١٩٥-١٩٦ نقلًا عن النقاش.

(٣) هي الفُرَج التي في الباب، وفي اللسان (خصص): هي التفاريج الضيقة.

(٤) تفسير القرطبي ١١/ ١٨٢.

والجملةُ من قوله: «لن يَصِلوا إليك» موضحةٌ للَّذي قبلها؛ لأنهم إذا كانوا رسلَ الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره، ثم أمروه بأنْ يسري بأهله.

وقرأ الحرميان: «فاسْرِ» و«أن اسْرِ» بوصل الألف من سَرَى، وباقي السبعة بقطعها[١].

وأهلُه: ابنتاه وطائفةٌ يسيرةٌ من المؤمنين.

«بقِطْعٍ من الليل»؛ قال ابن عباس: بطائفةٍ من الليل[٢].

وقال الضحاك: ببقيةٍ من آخره[٣].

وقال قتادة: بعد مُضيِّ صَدْرٍ منه[٤].

وقال ابن الأعرابي: أي: ساعةٍ من الليل[٥].

وقيل: بظلمةٍ.

وقيل: إنه نصف[٦] الليل، مأخوذٌ من: قَطَعَه نصفين، وقال الشاعر:

ونائحةٍ تنوحُ بقِطْعِ ليلٍ  على رجلٍ بقارعةِ الصَّعيد[٧]

---

(١) السبعة ص٣٣٨، والتيسير ص١٢٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٢٤، وأخرج عنه رواية أخرى بلفظ: جوف الليل. وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٥ بلفظ: سواد من الليل.

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ١٨٣، ولفظه: ببقية من الليل. وهو في تفسير البغوي ٢/ ٣٩٦، والثعلبي ٣/ ٣٣٦ بلفظ: ببقية.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ١١/ ١٨٣.

(٥) تفسير القرطبي ١١/ ١٨٣.

(٦) قوله: وقيل إنه نصف، تكرر في (أ) و(د١) و(ز١) و(ع).

(٧) النكت والعيون ٢/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١١/ ١٨٣، والكلام منه. وهذا البيت روي عن ابن عباس أنه أنشده في جوابه على سؤالات نافع بن الأزرق منسوباً لمالك بن كنانة على أن معنى «بقطع من الليل»: آخِرَه. كما أخرجه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٨٥، والسيوطي في الإتقان ١/ ٤٠٠، وأورده الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٤٣، والرواية عندهم:

ونائحة تقوم بقطع ليل  على رجل أهانته شعوب

شعوب: داهية، كما في الإتقان.

وقال محمد بن زياد[١]: السَّحَر؛ لقوله: ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

قال ابن عطية: ويحتمل أنه أسرى بأهله من أول الليلِ حتى جاوز البلد المُقْتَلَعَ، ووقعت نجاتُه بسحرٍ، فتجتمعُ هذه الآيةُ مع قوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾[٢]. انتهى.

وقال ابن الأنباري: القِطْعُ بمعنى القطعة مختصٌّ بالليل، ولا يقال: عندي قِطْعٌ من الثوب[٣].

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: «إلا امرأتُك» بالرفع، وباقي السبعة بالنصب[٤].

فوَجْهُ النصب على أنه استثناءٌ من قوله: «بأهلك» إذ قبله أمرٌ، والأمرُ عندهم كالواجب، ويتعيَّنُ النصبُ على الاستثناء من «أهلك» في قراءة عبد الله إذ سقط في قراءته وفي مصحفه: «ولا يَلْتَفِتْ منكم أحدٌ»[٥]، وجوَّزوا أن يكون منصوبًا على الاستثناء من «أحد» وإن كان قبله نهيٌ - والنهيُ كالنفي - على أصلِ الاستثناء[٦]، كقراءة ابن عامر: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ﴾ [النساء: ٦٦] بالنصب وإن كان قبله نفيٌ.

ووَجْهُ الرفع على أنه بدلٌ من «أحد»، وهو استثناءٌ متصلٌ، وقال أبو عبيد[٧]: لو كان الكلام: ولا يلتفتُ، برفع الفعل [لصحَّ الرفع في قوله: «إلا امرأتك»] ولكنه نهيٌ، فإذا استثنيتَ المرأة من «أحد» وَجَبَ أن تكون المرأةُ أبيح لها الالتفاتُ، فيَفْسُدُ معنى الآية.

---

(١) هو الفراء، وكلامه في معاني القرآن ٢/ ٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٦.

(٣) زاد المسير ٤/ ١٤٢.

(٤) السبعة ص٣٣٨، والتيسير ص١٢٥.

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٥٢٥، والكشاف ٢/ ٢٨٤.

(٦) يعني أن الأصل في الاستثناء النصب، فجاء النصب هنا على هذا الأصل، وإن كان الأحسن هنا الرفع على البدلية من «أحد» - كما في القراءة الأخرى - لأنه مسبوق بالنهي وهو كالنفي في ترجيح البدلية. ينظر الكشاف ٢/ ٢٨٤، والدر المصون ٦/ ٣٦٨.

(٧) كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩٦، والكلام وما سيرد بين حاصرتين منه.

يعني: أنَّ التقدير يصيرُ: إلا امرأتُك فإنها لم تُنْهَ عن الالتفات.

قال ابن عطية: وهذا الاعتراضُ حسنٌ يَلْزمُ الاستثناءَ[1] من «أحد» رُفعت التاءُ أو نُصبت، والانفصالُ عنه يترتَّبُ بكلامٍ محكيٍّ عن المبرد، وهو أن النهي إنما قُصد به لوطٌ وحده والالتفاتُ منفيٌّ عنهم بالمعنى، أي: لا تَدَعْ أحدًا منهم يلتفتُ، وهذا كما تقولُ لرجل: لا يَقُمْ من هؤلاء أحدٌ، وأولئك لم يسمعوك، فالمعنى: لا تَدَعْ أحدًا من هؤلاء يقومُ، والقيامُ في المعنى منفيٌّ عن المشار إليهم[2].

وقال الزمخشري: وفي إخراجها مع أهله روايتان:

رُوِي أنه أخرجها معهم وأُمر أنْ لا يلتفتَ منهم أحدٌ إلا هي، فلمَّا سمعت هدَّةَ العذاب التفتت وقالت: يا قوماه، فأدركها حجرٌ فقتلها.

ورُوي أنه أُمر بأن يخلِّفها مع قومها فإن هواها إليهم، ولم يَسْرِ بها.

واختلافُ القراءتين لاختلاف الروايتين[3]. انتهى.

وهذا وهمٌ فاحشٌ؛ إذ بَنَى القراءتين على اختلاف الروايتين من أنه سَرَى بها أو أنه لم يَسْرِ بها، وهذا تكاذُبٌ في الأخبار، يستحيلُ أن تكون القراءتان ـ وهُما من كلام الله ـ تترتَّبان على التكاذُب[4].

وقيل: في الاستثناء من الأهل إشكالٌ من جهة المعنى؛ إذ يلزمُ أن لا يكون سَرَى بها، ولمَّا التفتت كانت قد سرت معهم قطعًا.

وزَوالُ هذا الإشكالِ أن يكون لم يَسْرِ بها، ولكنها لمَّا تبعتهم التفتت.

وقيل: الذي يَظْهَرُ أنَّ الاستثناء على كلتا القراءتين منقطعٌ لم يُقْصَدْ به إخراجُها من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استُؤنف الإخبارُ عنها، فالمعنى: لكن امرأتك يجري لها كذا وكذا، ويؤيِّدُ هذا المعنى أن مِثْلَ هذه

(١) في المطبوع: أن الاستثناء، وهو خطأ.
(٢) المحرر الوجيز ٣/١٩٦.
(٣) الكشاف ٢/٢٨٤.
(٤) ينظر رد السمين على المصنف في الدر المصون ٦/٣٦٨، ومناقشة هذه المسألة في روح المعاني ١٢/٤٥.

الآية جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناءُ البتَّةَ، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥] فلم تقع العنايةُ في ذلك إلا بذكر مَن أنجاهم الله تعالى، فجاء شرحُ حالِ امرأته في سورة هود تبعًا لا مقصودًا بالإخراج مما تقدَّم، وإذا اتَّضح هذا المعنى عُلم أنَّ القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربيةُ في الاستثناء المنقطع، ففيه النصبُ والرفع: فالنصبُ لغةُ أهل الحجاز وعليه الأكثر، والرفعُ لبني تميمٍ وعليه اثنان من القرَّاء(١). انتهى.

وهذا الذي طُوّل به لا تحقيقَ فيه، فإنه إذا لم يُقْصَدْ إخراجُها من المأمور بالإسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات، وجُعل استثناءً منقطعًا، كان من الاستثناءِ المنقطِعِ الذي لم يتوجَّهْ عليه العاملُ بحالٍ، وهذا النوعُ من الاستثناء المنقطع يجبُ فيه النصبُ بإجماعٍ من العرب، وليس فيه النصبُ والرفعُ باعتبارِ اللغتين، وإنما هذا في الاستثناء المنقطع وهو الذي يُمكِنُ توجُّهُ العامل عليه(٢)، وفي كِلَا النوعين يكونُ ما بعد «إلا» من غير الجنس المستثنَى منه، فكونُه جاز فيه اللغتان دليلٌ على أنه ممَّا يمكنُ أن يتوجَّه عليه العاملُ، وهو قد فَرَضَ أنه لم يُقصد بالاستثناء إخراجُها من المأمور بالإسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات، فكان يجب فيه إذ ذاك النصبُ قولًا واحدًا(٣).

والظاهرُ أنَّ قوله: «ولا يلتفتْ» من الْتفاتِ البصر، وقالت فرقةٌ: مِن لَفَتَ الشيء يَلْفِتُه: إذا ثَنَاه ولَوَاه، فمعناه: ولا يَتَثَبَّطْ.

---

(١) القائل لهذا هو الشيخ شهاب الدين أبو شامة كما قال السمين في الدر ٦/ ٣٦٧. قلت: وهو في إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ٢/ ٥٢٠، وهو شرح للشاطبية المسماة: حرز الأماني.

(٢) قوله: وإنما يجوز هذا في الاستثناء المنقطع وهو الذي...إلخ، لعل الأنسب بالسياق حذف قوله: وهو، ليتضح المراد، وهو أن الاستثناء المنقطع نوعان: نوع يمكن توجه العامل عليه، ونوع لا يمكن، وعبارة السمين في الدر ٦/ ٣٦٧ نقلاً عن المصنف: وإنما تجوز اللغتان فيما جاز توجُّهُ العامل عليه. وعبارة الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٧، نقلاً عن المصنف أيضاً: وإنما الخلاف في المنقطع الذي يمكن توجُّه العامل إليه.

(٣) ينظر تعقب كل من السمين والآلوسي على كلام المصنف هذا في الدر المصون ٦/ ٣٦٧، وروح المعاني ١٢/ ٤٧.

وفي كتاب الزهراوي[١] أنَّ المعنى: ولا يلتفت أحدٌ إلى ما خلَّف، بل يخرج مسرعًا.

والضميرُ في «إنه» ضميرُ الشأن، و«مُصِيبها» مبتدأ، و«ما أصابهم» الخبر. ويجوز على مذهب الكوفيين أن يكون «مصيبها» خبرَ «إنَّ» و«ما أصابهم» فاعلٌ به؛ لأنهم يُجيزون: إنه قائمٌ أخواك[٢]، ومذهبُ البصريين أن ضمير الشأن لا يكونُ خبرُه إلا جملةً مصرَّحًا بجزأيها، فلا يجوز هذا الإعرابُ عندهم.

وقرأ عيسى بن عمر: «الصُّبُح» بضم الباء[٣]، قيل: وهي لغةٌ، فلا يكون ذلك إتْباعًا.

وهو على حذف مضافٍ، أي: إنَّ موعدَ هلاكهم الصُّبْحُ، ويُرْوَى أن لوطًا عليه السلام قال: أريدُ أسرع من ذلك. فقالت له الملائكة: «أليس الصبحُ بقريبٍ»[٤]؟

وجُعل الصبح ميقاتًا لهلاكهم لأنَّ النفوس فيه أَوْدَعُ، والراحة فيه أجمعُ.

ويُروى أن لوطًا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم عليهما السلام[٥].

والضمير في «عاليها» عائدٌ على مدائن قوم لوط،، جَعَل جبريلُ جناحَه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهلُ السماء نُباح الكلاب وصياحَ الديكة، ثم قَلَبها عليهم وأُتبعوا الحجارةَ من فوقهم[٦].

وهي المؤتفكاتُ: سبعُ مدائنَ، وقيل: خمسٌ. عدَّها المفسرون، وفي ضبطها إشكالٌ فأهْمَلْتُ ذِكْرَها، وسَدُومُ هي القريةُ العظمى.

---

(١) كما في المحرر الوجيز ٣/ ١٩٧.
(٢) يعني أنهم يجيزون أن يفسَّر ضمير الشأن بمفردٍ عاملٍ فيما بعده كما في هذا المثال. الدر المصون ٦/ ٣٦٩.
(٣) القراءات الشاذة ص٦١.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٣٦، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٥١٩ عن السدي.
(٥) تفسير القرطبي ١١/ ١٨٥.
(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ٥١٥-٥١٦ عن سعيد بن جبير، وبنحوه أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٦ عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

و«أمطرنا عليها» أي: على أهلها، ورُوي أن الحجارة أصابت منهم مَن كان خارجَ مدنهم حتى قتلتهم أجمعين، وأنَّ رجلًا كان في الحرم، فبقي الحجر معلَّقًا في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر[1].

قال أبو العالية وابن زيد: السجيل اسمٌ لسماء الدنيا[2].

وهذا ضعيفٌ لوصفه بمنضودٍ، وتقدم شرحُه في المفردات.

وقيل: مِن أَسْجَلَه: إذا أرسله.

وقيل: ممَّا كَتَبَ الله أن يعذِّب به، من السِّجِلِّ، وسُجِّل لفلان[3].

ومعنى هذه اللفظة: ماءٌ وطين، هذا قولُ ابن عباسٍ ومجاهدٍ وابنِ جُبيرٍ وعكرمةَ والسُّدِّي وغيرِهم، وذهبوا إلى أن الحجارة التي رُموا بها كانت كالآجُرِّ المطبوخ[4].

وقيل: حجرٌ مخلوطٌ بطينٍ، أي: حجرٌ وطين، ويمكن أن يعود هذا إلى الآجر[5].

وقال أبو عبيدة: الشديدُ من الحجارة الصُّلْبُ[6]. «مسوَّمة»: عليها سِيْما يُعْلَم بها أنها ليست من حجارة الأرض، قاله ابنُ جُريجٍ.

وقال عكرمةُ وقتادةُ: إنه كان فيها بياضٌ.

وقيل: مكتوبٌ على كلِّ حجرٍ اسمُ مَن رُمي به، قاله الربيع.

وعن ابن عباس والحسن: بياضٌ في حمرةٍ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٧، وتفسير البغوي ٢/ ٣٩٧.

(٢) أخرجه عن ابن زيدٍ الطبريُّ ١٢/ ٥٢٧، وذكره عن أبي العالية القرطبي ١١/ ١٨٧.

(٣) ذكر هذا القول والذي قبله الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٨٤. وقوله: وسُجل لفلان، أي: استُوْثِق، قال في اللسان (سجل): سجَّل القاضي لفلان بماله، أي: استوثق له به.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٨، وينظر تفسير الطبري ١٢/ ٥٢٦-٥٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٨، وزاد: لأن الآجر وما جرى مجراه يمكن أن يقال فيه: حجر وطين؛ لأنه قد أَخَذ من كل واحد منهما بحظه، هي طينٌ من حيث هو أصلُها، وحجرٌ من حيث صَلُبَتْ.

(٦) مجاز القرآن ١/ ٢٩٦.

وعن ابن عباس أيضًا: الحجر أبيضُ فيه نقطةٌ سوداءُ، وأسودُ فيه نقطةٌ بيضاءُ.

وعن عكرمة وقتادة أيضًا: فيها خطوطٌ حمرٌ على هيئة الجَزْع[1].

وقيل: وكانت مِثْلَ رؤوس الإبل، ومِثْلَ مَبَارِك الإبل، ومثلَ قبضة الرجل.

قال ابن عباس ومقاتل: معنى «من عند ربِّك»: جاءت من عند ربِّك.

وقيل: مُعدَّةً عند ربِّك، قاله أبو بكر الهُذلي.

وقال ابن الأنباري: المعنى: لزم هذا التسويمُ الحجارةَ عند الله إيذانًا بنفاذ قدرته وشدةِ عذابه[2].

والظاهرُ أنَّ ضمير «هي» عائدٌ على القرى التي جَعَلَ الله أعاليَها أسافِلَها، والمعنى: أنَّ ذواتِ هذه المدنِ كانت بين المدينة والشام يمرُّ عليها قريشٌ في مسيرهم، فالنظرُ إليها وفيها فيه اعتبارٌ واتِّعاظٌ.

وقيل: «هي» عائدةٌ على الحجارة، وهي أقربُ مذكورٍ.

وقال ابن عباس: وما عقوبتُهم ممَّن يعملُ عملَهم ببعيدٍ[3].

والظاهرُ عموم «الظالمين»، وقيل: عُني به قريشٌ، وفي الحديث: «إنه سيكون في أمتي خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ بالحجارة»[4].

وقيل: مشركو العرب.

وقيل: قوم لوط، أي: لم تكن الحجارة تخطئهم، وفي الحديث: «سيكون في آخِرِ أمَّتي قومٌ يَكتفي رجالُهم بالرجال، والنساءُ بالنساء، فإذا كان ذلك فارتقبوا

---

(١) الجَزْع: خرز فيه سواد وبياض. المصباح المنير (جزع).
(٢) ذكر جميع هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٤٥-١٤٦، وأخرج بعضها الطبري ١٢/ ٥٢٩ و٥٣١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٩.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) أخرجه أحمد (٦٢٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، وإسناده ضعيف كما ذكر محققو المسند. وقد وردت أحاديث بهذا المعنى لا يخلو كل منها من مقال. ينظر مجمع الزوائد ٨/ ١٠-١١.

عذابَ قوم لوطٍ؛ أنْ يرسِلَ الله عليهم حجارةً من سجِّيلٍ» ثم تلا: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(١).

وإذا كان الضمير في قوله: «وما هي» عائدًا على الحجارة فيحتملُ أنْ يراد: بشيءٍ بعيدٍ، ويحتمل أن يراد: بمكان بعيد؛ لأنها وإن كانت في السماء وهي مكانٌ بعيد، إلا أنها إذا هَوَتْ منها فهي أسرعُ شيءٍ لحوقًا بالمرميِّ، فكأنها بمكانٍ قريب منه.

❁ ❁ ❁

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ

(١) ذكره القرطبي في التفسير ١١/ ١٨٩، وعنه نقل المصنف، ولم أقف عليه مسنداً بهذا اللفظ، وأخرج ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٨٥ من حديث واثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ﵄ مرفوعًا بلفظ: «لا تذهب الدنيا حتى يستغني الرجال بالرجال والنساء بالنساء، والسحاق زنى النساء فيما بينهن». وفي إسناده العلاء بن كثير الدمشقي، قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل الاحتجاج بما روى وإن وافق فيها الثقات.

ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

المفردات

الرَّهْطُ؛ قال ابنُ عطية: جماعةُ الرجل[1].

وقيل: الرَّهْطُ والرَّاهِطُ اسمٌ لمَا دون العشرة من الرجال.

ولا يقعُ الرَّهْطُ والعُصْبَةُ والنَّفَرُ إلا على الرجال.

وقال الزمخشري: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى السبعة[2].

ويجمع على: أَرْهُطٍ، ويجمع أَرْهُطٌ على أراهِطَ، فهو جَمْعُ جمعٍ.

قال الرمَّاني: وأصلُ الرهط: الشَّدُّ، ومنه الرَّهيط: شدةُ الأكل. والراهِطَاء: اسمٌ لجُحْرِ اليَرْبوع؛ لأنه يتوثَّق به ويَخْبَأُ فيه ولدَه.

«الوِرْد» قال ابن السِّكِّيت: هو وُرود القوم الماءَ، والوِرْد: الإبلُ الواردة[3]. انتهى، فيكون مصدرًا بمعنى الوُرود، واسمَ مفعولٍ في المعنى كالطِّحْنِ بمعنى المطحون.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٨٩.
(٣) تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٤.

رَفَدَ الرجلَ يَرْفِدُه رِفْدًا ورَفْدًا: أعطاه وأعانه، من رَفَدَ الحائطَ: دَعَمه. وعن الأصمعي: الرَّفد بالفتح: القَدَح، والرِّفْد بالكسر: ما في القَدَح من الشراب[1].

وقال الليث: أصلُ الرِّفد: العطاء والمعونةُ، ومنه: رِفادةُ قريشٍ[2]، يقال: رَفَدَه يَرْفِدُه رِفْدًا ورَفْدًا بكسر الراء وفتحها، ويقال: بالكسر الاسم، وبالفتح المصدر.

التتبيب: التخسير، تَبَّ: خَسِرَ، وتبَّبه: خسَّره. وقال لبيد:

ولقد بَلِيْتُ وكلُّ صاحبِ جِدَّةٍ لِبِلًى يعودُ وذاكُمُ التَّتْبِيبُ[3]

الزفير والشهيق؛ زعم أهلُ اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداءِ صوتِ الحمار، والشهيقَ بمنزلة آخِرِ نَهيقِه، وقال رؤبة:

حَشْرَجَ في الصَّدْرِ صهيلًا أو شَهَقْ حتى يقالَ ناهقٌ وما نَهَقْ[4]

وقال ابن فارس: الشهيقُ ضدُّ الزفير؛ لأنَّ الشهيق ردُّ النَّفَس والزفيرَ إخراجُ النَّفَس من شدة الحزن، مأخوذٌ من الزَّفْر: وهو الحَمْلُ على الظَّهر لشدَّته[5]، وقال الشَّمَّاخ:

بعيدُ مَدَى التطريبِ أولُ صوته زفيرٌ ويتلوه شهيقٌ مُحَشْرِجُ[6]

والشهيقُ: النفسُ الطويل الممتدُّ، مأخوذٌ من قولهم: جبلٌ شاهقٌ، أي: طويلٌ.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٥٠٢.

(٢) هي معاونتهم للحاج بشيء يخرجونه للفقراء، كذا شرحها الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٩٦ في ثنايا نقله لهذا الكلام من البحر.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٥٠٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٠٧، ولم أقف عليه في ديوان لبيد المطبوع، وجاء ضمن قصيدة لنُويفع بن نُفيع الفقعسي في أمالي الزجاجي ص١٢٧ قولُه:

قالت كبِرْتَ وكلُّ صاحب لذةٍ لبِلًى يعود وذلك التَّتبيبُ

(٤) ديوان رؤبة ص١٠٦، والرواية فيه: حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق...، والسحيل: الصوت الذي يدور في جوف الحمار. اللسان (سحل).

(٥) الكلام في مجمل اللغة ١/ ٥١٤ إلى قوله: إخراج النفس، وما بعده من تفسير القرطبي ١١/ ٢١٢، وفيه: وقيل: الزفير ترديد النَّفَس من شدة...

(٦) ديوان الشماخ ص٨٨، والكشاف ٢/ ٢٩٣، ورواية الديوان:

بعيدُ مدى التطريب أولى نهاقِه سَحيلٌ وأُخراه خفيُّ المُحَشْرَجِ

وقال الليث: الزفير: أن يملأ الرجلُ صدرَه حالَ كونه في الغمِّ الشديد من النَّفَس ويُخرجه[١]، والشهيقُ: أن يُخْرِجَ ذلك النَّفَسَ بشدَّةٍ، يقال: إنه عظيمُ الزَّفرة.

الشقاء: نَكَدُ العيش وسُوءُه[٢]، يقال منه: شَقِيَ يَشْقَى شَقاءً وشَقْوةً وشَقَاوةً والسعادةُ ضدُّه، يقال منه: سَعِدَ يَسْعَدُ، ويُعدَّيان بالهمزة فيقال: أشقاه اللهُ وأَسْعَدَه اللهُ، وقد قُرِئ: «شُقوا» و«سُعدوا» بضم الشين والسين[٣]، فدلَّ على أنهما قد يتعدَّيان، ومنه قولُهم: مسعودٌ، وذُكِرَ أنَّ الفرَّاء حَكَى أن هُذَيلاً تقول: سَعَدَه الله بمعنى أَسْعَدَه[٤].

وقال الجوهري: سَعِدَ بالكسر فهو سعيدٌ، مثل: سَلِمَ فهو سَليم، وسُعِدَ فهو مسعود[٥].

وقال أبو نصر عبد الرحيم القُشَيريُّ: وَرَدَ: سَعَدَه الله فهو مسعودٌ، وأسعده اللهُ فهو مُسْعَدٌ[٦]

الجذ: القطع ـ بالمعجمة والمهملة ـ قال ابن قتيبة: جَذَذْتُ وجَدَدْتُ[٧]: وهو بالذال أكثر قال النابغة:

تَجُذُّ السَّلُوقيَّ المضاعَفَ نَسْجُه وتُوقِدُ بالصُّفَّاح نارَ الحُبَاحِبِ[٨]

* * *

(١) كذا في النسخ، والذي في تفسير الرازي ١٨/ ٦٢ نقلاً عن الليث: ولم يخرجه، وهو الأشبه.
(٢) في (يه): وضيقه.
(٣) قراءة «شُقوا» بضم الشين في القراءات الشاذة ص٦١، أما قراءة «سُعِدوا» بضم السين فهي قراءة حمزة والكسائي وحفص، كما في السبعة ص٣٣٩، والتيسير ص١٢٦.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٩.
(٥) الصحاح (سعد).
(٦) تفسير القرطبي ١١/ ٢١٧.
(٧) تفسير غريب القرآن ص٢١٠.
(٨) ديوان النابغة ص١١، وفيه: تقدُّ السلوقي...، والسلوقي نوع من الدروع ينسب إلى سَلُوقَ، وهي قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب. معجم البلدان ٣/ ٢٤٢. والصفَّاح =

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ كان قومُ شعيبٍ عَبَدَةَ أوثانٍ، فدعاهُم إلى عبادة الله وَحْدَه، وبالكفر استوجَبوا العذاب، ولم يعذِّب الله أمةً عذابَ استئصالٍ إلا بالكفر، وإن انضافت إلى ذلك معصيةٌ كانت تابعةً.

قال ابن عباس: «بخير»، أي: في رُخْصِ الأسعار، وعذابُ اليوم المحيطِ هو حلولُ الغلاء المُهْلِكِ. ويَنْظُر هذا التأويلُ إلى قول النبيِّ ﷺ: «ما نَقَصَ قومٌ المكيال والميزان إلَّا ارتفع عنهم الرزقُ»(١). ونبَّه بقوله: «بخير» على العلَّة المقتضِيةِ للوفاء لا للنقص.

وقال غيره: بثروةٍ وسعةٍ تُغْنيكم عن التطفيف، أو: بنعمةٍ من الله حقُّها أن تقابَلَ بغير ما تفعلون، أو: أراكم بخيرٍ فلا تُزيلوه عنكم بما أنتم عليه(٢).

«يوم محيط»، أي: مُهلِك، من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] وأصلُه من إحاطة العدوِّ، وهو العذابُ الذي حلَّ بهم في آخِرِه، ووَصْفُ اليوم بالإحاطة أبلغُ

---

= حجارة عِراض رقاق، يصف السيوف أنها تقدُّ الدروع التي ضوعف نسجُها والفارسَ والفرسَ، حتى تبلغ الأرض، فتنقدح النار بها مع الحجارة. الشعر والشعراء ١/ ١٧٠.
ونار الحباحب: هي النار المنقدحة من سنابك الخيل عند وَطْئها الحجارة. وذكروا أن الحباحب رجل من العرب بخيل كان لا يوقد نارًا خشية الضيفان، وقيل: كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة، وإذا أبصر مستضيئًا بها أطفأها، فشُبِّه بها النار المنقدحة من سنابك الخيل في ضعفها وعدم الانتفاع بها. ينظر الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٨٤، والمستقصى للزمخشري ١/ ١١، والتاج (حبب).

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٩، وقول ابن عباس أخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٥٣٨. والحديث المذكور عن النبي ﷺ أخرجه بهذا اللفظ مالك في الموطأ ٢/ ٤٦٠ عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن ابن عباس أنه قال، ثم ذكره موقوفًا عليه، وأخرج معناه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر ﵄ مرفوعًا، ولفظه: «... ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة...».

(٢) ذكر هذه التأويلات الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٨٥.

من وصفِ العذابِ به؛ لأن اليوم زمانٌ يشتملُ على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذَّب ما اشْتَملَ عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه[١].

ونُهوا أولًا عن القبيح الذي كانوا يتعاطَوْنَه، وهو نقصُ المكيال والميزان، وفي التصريح بالنهي نعيٌ على المنهيِّ وتعييرٌ له، وأُمروا ثانيًا بإيفائهما مصرَّحًا بلفظهما ترغيبًا في الإيفاء وبعثًا عليه، وجيء بالقسط ليكون الإيفاءُ على جهة العدل والتسوية، وهو الواجبُ؛ لأن ما جاوز العدلَ فضلٌ وأمرٌ مندوبٌ إليه، ونُهوا ثالثًا عن نَقْصِ الناسِ أشياءَهم؛ وهو عامٌّ في الناسِ وفيما بأيديهم من الأشياء: كانت ممَّا تكال وتوزن[٢]، أو غيرَ ذلك، ونُهوا رابعًا عن الفساد في الأرض، وهو أعمُّ من أن يكون نقصًا أو غيره.

فبدأهم أولًا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله، ثم ارْتَقَى إلى عامٍّ، ثم إلى أعمَّ منه، وذلك مبالغةٌ في النُّصح لهم ولطفٌ في استدراجهم إلى طاعة الله. وتفسيرُ معاني هذه الجمل سبق في «الأعراف».

«بقية الله» قال ابن عباس: ما أبقى اللهُ لكم من الحلال بعد الإيفاء خيرٌ من البَخْس. وعنه: رزقُ الله. وقال مجاهدٌ والزجَّاج: طاعةُ الله. وقال قتادةُ: حظُّكم من الله. وقال ابن زيد: رحمةُ الله. وقال الربيع: وصيةُ الله. وقال مقاتل: ثوابُ الله في الآخرة. وذكر الفرَّاء: مراقبةُ الله[٣]. وقال قتادةُ: ذخيرةُ الله. وقال الحسن: فرائضُ الله. وقيل: ما أبقاه الله حلالًا لكم ولم يحرِّمه عليكم[٤].

قال ابن عطية[٥]: وهذا كلُّه لا يعطيه لفظُ الآية، وإنما المعنى عندي: إبقاءُ الله عليكم إن أطعتم، وقولُه: «إن كنتم مؤمنين» شرطٌ في أن تكون البقيةُ خيرًا لهم،

(١) المصدر السابق.
(٢) في (ح) و(يه): يكال ويوزن.
(٣) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٤٩، وعنه نقل المصنف، وينظر تخريجها عدا قول ابن عباس الأول في تفسير الطبري ١٢/ ٥٤٢-٥٤٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٢، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٧٢.
(٤) لم أقف على هذه الأقوال الثلاثة.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ١٩٩.

وأمَّا مع الكفر فلا خيرَ لهم في شيءٍ من الأعمال، وجوابُ هذا الشرط متقدِّمٌ، والحفيظُ: المراقبُ الذي يحفظُ أحوالَ مَن يَرْقُبُ، والمعنى: إنما أنا مبلِّغٌ، والحفيظ المحاسبُ هو الذي يجازيكم بالأعمال. انتهى.

وليس جوابُ الشرط متقدِّمًا كما ذَكَر، وإنما الجوابُ محذوفٌ لدلالة ما تقدَّم عليه على مذهب جمهور البصريين.

وقال الزمخشري: وإنما خُوطبوا بترك التطفيف والبَخْسِ والفسادِ في الأرض - وهم كَفَرةٌ - بشرط الإيمان، ويجوز أن يريد: ما يبقى لهم عند الله من الطاعات، كقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] وإضافةُ البقية إلى الله من حيث إنها رِزْقُه الذي يجوزُ أن يضاف إليه، وأما الحرامُ فلا يجوزُ أن يضافَ إلى الله ولا يسمَّى رزقًا[١]. انتهى، وهو[٢] على طريق المعتزلة في الرزق[٣].

وقرأ إسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة: «بَقِيَة» بتخفيف الياء، قال ابن عطية: هي لغةٌ[٤]. انتهى.

وذلك أنَّ قياسَ [وَصْفِ][٥] فَعِلَ اللازِمِ أن يكون على وزن: فَعِلٍ، نحو شَجِيَتِ المرأةُ فهي شَجِيَةٌ، فإذا شُدِّدَت الياء كان على وزن فَعِيلٍ للمبالغة.

وقرأ الحسن: «تَقِيَّة» بالتاء[٦]، وهي تقواه ومراقبتُه الصارفةُ عن المعاصي.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٨٦.
(٢) قوله: وهو، من (ح) وليس في باقي النسخ.
(٣) حيث يقولون: إن الرزق هو الحلال فقط، وإن الحرام ليس برزق، وقد أشار إلى هذه المسألة المصنف عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠] وناقشها الآلوسي في روح المعاني ١/ ٣٦٠-٣٦٢، وذكر أدلة أهل السنة في الرد على المعتزلة ثم ختم ذلك بقوله: والأحسن الاستدلال بالإجماع قبل ظهور المعتزلة على أن من أكل الحرام طول عمره مرزوق طول عمره ذلك الحرام، والظواهر تشهد بانقسام الرزق إلى طيب وخبيث وهي تكفي في مثل هذه المسألة.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٩.
(٥) ما بين حاصرتين من روح المعاني ١٢/ ٥٩ نقلاً عن البحر.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٨٦، دون نسبة.

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ لمَّا أمرهم شعيبٌ بعبادة الله وتَرْكِ عبادة أوثانهم، وبإيفاء المكيال والميزان، ردُّوا عليه على سبيل الاستهزاء والهُزْءِ بقولهم: «أصلاتُك» وكان كثيرَ الصلاة، وكان إذا صلَّى تغامَزوا وتَضاحَكوا، «أنْ نتركَ ما يعبد آباؤنا» مقابِلٌ لقوله: «اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره»، «أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء» مقابِلٌ لقوله: «ولا تنقصوا المكيال والميزان».

وكونُ الصلاةِ آمرةً هو على وجه المجاز، كما كانت ناهيةً في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أو يقال: إنها تأمر بالجميل والمعروف، أي: تدعو إليه وتبعثُ عليه، إلا أنهم ساقوا الكلامَ مساقَ الطَّنْز[١]، وجعلوا الصلاةَ آمرةً على سبيل التهكُّم بصلاته، والمعنى: تأمُرُك بتكليفنا أن نترك، فحُذِفَ المضاف لأن الإنسان لا يؤمَرُ بفِعْلِ غيرِه.

والظاهرُ أنه أريدَ بالصلاة: الصلاةُ المعهودة في تلك الشريعة، وقال الحسن: لم يَبْعَثِ الله نبيًّا إلَّا فرض عليه الصلاةَ والزكاةَ[٢]. وقيل: أريدَ: قراءتك[٣]. وقيل: مساجدك. وقيل: دعواتك.

وقرأ ابنُ وثَّابٍ والأَخَوان وحفصٌ: «أصلاتُك» على التوحيد[٤].

وقرأ الجمهور: «أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء» بالنون فيهما، وقرأ الضحاك بن قيس وابنُ أبي عبلةَ وزيد بنُ عليٍّ بالتاء فيهما على الخطاب، ورويتْ عن أبي عبد الرحمن.

---

(١) الطنز: السخرية. القاموس (طنز).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٠.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٤٦-٥٤٧ عن الأعمش.

(٤) السبعة ص٣١٧، والتيسير ص١١٩ عن الأخوين ـ حمزة والكسائي ـ وحفص، وذكرها عن ابن وثاب ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٠.

وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحةُ: «نفعل» بالنون «ماتشاء» بالتاء على الخطاب، ورُويت عن ابن عباس[1].

فمن قرأ بالنون فيهما فقوله: «أو أن نفعل» معطوفٌ على قوله: «ما يعبد»، أي: أنْ نترك ما يعبد آباؤنا وفِعْلَنا في أموالنا ما نشاء.

ومَن قرأ بالتاء فيهما أو بالنون والتاء فمعطوفٌ على «أن نترك»، أي: تأمرك بترك ما يعبدُ آباؤنا وفِعْلِكَ في أموالنا ما تشاء، أو: وفِعْلِنا في أموالنا ما تشاء.

و«أو» للتنويع، أي: تارك مرةً بهذه ومرةً بهذا، وقيل: بمعنى الواو.

والظاهرُ أنَّ الذي كانوا يفعلونه في أموالهم هو بَخْسُ الكَيْلِ والوَزْنِ المقدَّمِ ذِكْرُه.

وقال محمد بن كعب: قَرْضُهم الدينارَ والدرهم، وإجراءُ ذلك مع الصحيح على جهة التدليس. وعن ابن المسيِّب: قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأرض[2].

وقيل: تبديلُ السِّكك[3] التي يُقصد بها أكلُ أموال الناس.

ومَن قرأ بالتاء فيهما أو في «تشاء» فالظاهرُ أنه إيفاءُ المكيال والميزان، وقال سفيان الثوري[4]: كان يأمرهم بالزكاة.

وقوله: «إنك لأنت الحليم الرشيد» ظاهرُه أنه إخبارٌ منهم عنه بهذين الوصفين الجميلين، فيحتمل أن يريدوا بذلك الحقيقةَ، أي: إنك للمتَّصِفُ بهذين الوصفين فكيف وقعت في هذا الأمر من مخالفتك دينَ آبائنا وما كانوا عليه، ومثلُك مَن يمنعه حِلْمُه ورُشْدُه عن ذلك؟ أو يحتمل أن يريدوا بذلك: إنك لأنت الحليم الرشيدُ بزعمك إذ تأمرنا بما تأمر به.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٦١، والكشاف ٢/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٠، وزاد المسير ٤/ ١٥٠.

(٢) القولان في المحرر الوجيز ٣/ ٢٠١، وقول محمد بن كعب أخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٥٤٥.

(٣) السكك: الدنانير والدراهم المضروبة، يسمى كلُّ واحد منها سكةً؛ لأنه طبع بالحديدة. النهاية (سكك).

(٤) أي: على القراءة بالتاء في «تشاء». زاد المسير ٤/ ١٥٠.

أو يحتمل أنْ قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكُّم؛ قاله قتادة[١]، والمرادُ نسبتُه إلى الطيش والغَيّ، كما تقول للشحيح: لو رآك حاتمٌ لسجد لك، وقالوا للحبشي: أبو البيضاء.

«قال يا قوم أرأيتم» هذه مراجعةٌ لطيفةٌ، واستنزالٌ حسنٌ، واستدعاءٌ رقيقٌ، ولذلك قال فيه رسولُ الله ﷺ: «ذلك خطيبُ الأنبياء»[٢] وهذا النوعُ يسمَّى: استدراجَ المخاطَب، عند أرباب علم البيان، وهو نوعٌ لطيفٌ غريبُ المَغْزَى يُتَوَصَّلُ به إلى بلوغ الغرض، وقد ورد منه في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وفي قصة نوحٍ وهودٍ وصالحٍ، وفي قصة مؤمنِ آلِ فرعونَ مع قومه.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: أين جوابُ «أرأيتم»؟، وما له لم يَثْبُتْ كما ثَبَتَ في قصة نوحٍ وصالحٍ؟

قلت: جوابُه محذوفٌ، وإنما لم يَثْبُتْ لأنَّ إثباته في الصفتين دلَّ على مكانه، ومعنى الكلام ينادي عليه، والمعنى: أخبروني إن كنتُ على حُجَّةٍ واضحةٍ ويقينٍ من ربِّي وكنت نبيًّا على الحقيقة: أيصحُّ لي أن لا آمُرَكم بتركِ عبادة الأوثان والكفِّ عن المعاصي، والأنبياءُ لا يُبعثون إلا لذلك[٣]؟ انتهى، وتسميةُ هذا جوابًا لـ«أرأيتم» ليس بالمُصْطَلَح، بل هذه الجملةُ التي قدَّرها هي في موضع المفعول الثاني لـ«أرأيتم»؛ لأن «أرأيتم» إذا ضُمِّنتْ معنى «أَخْبِرْني» تعدَّتْ إلى مفعولين، والغالبُ في الثاني أن يكون جملةً استفهاميةً تنعقدُ منها ومن المفعول الأول في الأصل جملةٌ ابتدائيةٌ، كقول العرب: أرأيتَكَ زيدًا ما صَنَعَ؟ وقال الحوفي: وجوابُ الشرطِ محذوفٌ لدلالة الكلام عليه، والتقدير: أفأَعْدِلُ[٤] عمَّا أنا عليه من عبادته على هذه الحال.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٩٦.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ١/ ٣٢٧ من طريق ابن إسحاق عن يعقوب بن أبي سلمة عن النبي ﷺ مرسلاً، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٤٢٩ من حديث ابن عباس، وفيه إسحاق بن بشر وهو متروك.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٨٧.

(٤) في النسخ عدا (ز١): فأعدل، والمثبت من (ز١).

وقال ابنُ عطية: وجوابُ الشرط الذي في قوله: «إنْ كنتُ على بينةٍ من ربّي» محذوفٌ تقديرُه: أضِلُّ كما ضَلَلْتُم أو أتركُ تبليغ الرسالة، ونحوُ هذا ممَّا يليقُ بهذه المُحاجَّة[(١)] انتهى، وليس قوله: أضلّ، جوابًا للشرط؛ لأنه إن كان مُثْبَتًا فلا يمكنُ أن يكون جوابًا؛ لأنه لا يترتَّبُ على الشرط، وإن كان استفهامًا حُذِفَ منه الهمزةُ[(٢)] فهو في موضع المفعول الثاني لـ«أرأيتُم» وجوابُ الشرط محذوفٌ تدلُّ عليه الجملةُ السابقةُ مع متعلقها.

والظاهرُ في قوله: «رزقًا حسنًا» أنه الحلالُ الطيبُ من غيرِ بَخْسٍ ولا تطفيفٍ أدْخَلْتُموه أموالَكم، قال ابن عباس: الحلال، وكان شعيبٌ عليه السلام كثيرَ المال[(٣)].

وقيل: النبوَّة. وقيل: العلم.

«وما أريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه» المعنى: لستُ أريدُ أن أفعلَ الشيءَ الذي نهيتُكم عنه من نقصِ الكيل والوزن وأستأثرَ بالمال، قاله ابنُ عطية[(٤)].

وقال قتادةُ: لم أكن لأنهاكم عن أمرٍ ثم أرتكِبَه[(٥)].

وقال صاحب «الغُنْيان»: ما أريدُ أن أخالفكم في السرِّ إلى ما أنهاكم عنه في العلانية.

ويقال: خالَفني فلانٌ إلى كذا: إذا قَصَدَه وأنت مولٍّ عنه، وخالفني عنه: إذا ولَّى عنه وأنت قاصدُه، ويلقاك الرجل صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء: يريد أنه قد ذهب إليه واردًا وأنا ذاهبٌ عنه صادرًا، والمعنى: أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتُكم عنها لأستبدَّ بها دونكم[(٦)]، فعلى هذا:

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠١، وجاء في مطبوعه: أأضل كما ضللتم وأترك...، بهمزة الاستفهام والعطف بالواو.

(٢) وقد جاء مطبوع المحرر بالاستفهام بإثبات الهمزة. ينظر التعليق السابق.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٩٧، وزاد المسير ٤/ ١٥١.

(٤) في المحرر ٣/ ٢٠١.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٤٩.

(٦) هذا الكلام من قوله: ويقال خالفني، إلى هنا منقول من الكشاف ٢/ ٢٨٧.

الظاهرُ أنَّ قوله: «أن أخالفكم» في موضع المفعول لـ«أريد»، أي: وما أريدُ مخالفَتَكم، ويكونُ خالَفَ بمعنى خَلَفَ، نحو: جاوَزَ وجاز، أي: وما أريدُ أن أَخْلُفَكم، أي: أكونَ خَلَفًا منكم، وتتعلق «إلى» بـ«أخالفكم»، أو بمحذوفٍ أي: مائلًا إلى ما أنهاكم عنه، ولذلك قال بعضُهم: فيه حذفٌ تقتضيه «إلى» تقديرُه: وأميلَ إلى، أو يبقى «أن أخالفكم» على ظاهرِ ما يُفْهَم من المخالفة، ويكون في موضع المفعول به بـ«أريد» ويُقدَّر: مائلًا إلى، أو يكون «أن أخالفكم» مفعولًا من أَجْلِه، وتتعلق «إلى» بقوله: «وما أريد» بمعنى: وما أقصد، أي: وما أقصدُ لأَجْلِ مخالفتكم إلى ما أنهاكم عنه، ولذلك قال الزجَّاج: وما أقصدُ بخلافكم إلى ارتكاب ما أنهاكم عنه[١].

والظاهر أن «ما» مصدريةٌ ظرفيةٌ، أي: مدَّةَ استطاعتي للإصلاحِ وما دمتُ متمكِّناً منه لا آلو فيه جهداً.

وأجاز الزمخشري في «ما» وجوهًا؛ أحدها: أن يكون بدلًا من الإصلاح، أي: المقدارَ الذي استطعتُه، أو على حذف مضافٍ تقديره: إلا الإصلاحَ إصلاحَ ما استطعتُ، فهذان وجهان في البدل، والثالث: أن يكون مفعولًا كقوله:

ضعيفُ النكايةِ أعداءَه[٢]

أي: ما أُريد إلا أن أُصْلحَ ما استطعتُ إصلاحَه من فاسدكم[٣]. وهذا الثالثُ ضعيفٌ؛ لأن المصدر المعرَّفَ بأل لا يجوزُ إعمالُه في المفعول به عند الكوفيين، وأما البصريون فإعمالُه عندهم فيه قليلٌ.

«وما توفيقي»، أي: لدعائكم إلى عبادة الله وحده وتركِ ما نهاكم عنه إلَّا بمعونة الله، أو: وما توفيقي لأنْ تكونَ أفعالي مسدَّدةً موافِقةً لرضا الله إلا بمعونته، «عليه توكَّلتُ» أي: لا على غيره، «وإليه أُنيب» أَرْجِعُ في جميع أقوالي وأفعالي. وفي

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٣.

(٢) وعجزه: يخالُ الفرارَ يراخي الأَجَلْ، وهو في الكتاب ٣/ ١٣٨، والخزانة ٨/ ١٢٧، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها، كما ذكر البغدادي.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٨٧.

هذا طلبُ التأييد من الله تعالى، وتهديدٌ للكفار وحَسْمٌ لأطماعهم أن ينالوه بشرٍّ.

ومعنى «لا يجرمَنَّكم» لا يَكْسِبَنَّكم «شقاقي»، أي: خلافي وعداوتي، قال السدِّيُّ: كأنه في شقٍّ وهم في شقٍّ[١]. وقال الحسن: ضِرَاري. جَعَله من المشقَّة. وقيل: فراقي[٢].

وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الياء من «أَجْرَم»[٣]، ونسبها الزمخشريُّ إلى ابن كثيرٍ[٤]. و«جَرَم» في التعدية مثلُ «كَسَبَ» يتعدَّى إلى واحدٍ: جَرَمَ فلانٌ الذنبَ، و: كَسَبَ زيدٌ المالَ، ويتعدَّى إلى اثنين: جَرَمْتُ زيدًا الذنبَ، و: كَسَبْتُ زيدًا المالَ، وبالألف يتعدَّى إلى اثنين أيضًا: أَجْرَمَ زيدٌ عمرًا الذنبَ، و: أَكْسَبْتُ زيدًا المالَ، وتقدَّم الكلام في جرم في العقود[٥].

وقرأ مجاهدٌ والجحدريُّ وابنُ أبي إسحاق، ورُويت عن نافع: «مثلَ» بفتح اللام[٦]، وخرِّج على وجهين:

أحدهما: أن تكون الفتحةُ فتحةَ بناءٍ، وهو فاعلٌ كحاله حين كان مرفوعًا، ولمَّا أُضيف إلى غيرِ متمكِّنٍ جاز فيه البناءُ، كقراءةِ مَن قرأ ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣][٧].

والثاني: أن تكون الفتحةُ فتحةَ إعرابٍ، وانتصب على أنه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: إصابةً مثلَ إصابة قومِ نوحٍ، والفاعلُ مضمرٌ يفسِّره سياقُ الكلام، أي: أن يصيبكم هو، أي: العذاب.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٥ بلفظ: لا تحملنكم عداوتي. وقوله: كأنه في شق وهم في شق، هو تفسير لمعنى العداوة، قال النحاس في معاني القرآن ٣/ ٣٧٥: الشقاق في اللغة: العداوة، كأنه يصير في شق غير شقِّه.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٩٨، ونَسَبَ الماوردي الثاني لقتادة، وأخرجه عنه الطبري ١٢/ ٥٥١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٨٨، والمشهور عن ابن كثير القراءة بفتح الياء.

(٥) هي سورة المائدة، ينظر تفسير الآية الثانية منها.

(٦) القراءات الشاذة ص٦١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢، والكشاف ٢/ ٢٨٨.

(٧) وهي قراءة ابن كثير ونافع وحفص وأبي عمرو، وسترد في مكانها.

«وما قومُ لوطٍ منكم ببعيد» إما في الزمان لقُرْبِ عهدِ هلاكهم من عهدكم، إذ هم أقربُ الهالكين، وإما في الكفر والمعاصي وما يُسْتَحقُّ به الهلاكُ. وأجرى «بعيدًا» على «قوم» إمَّا باعتبارِ الزمان أو المكان، أي: بزمانٍ بعيدٍ، أو: بمكانٍ بعيدٍ، أو باعتبارِ موصوفٍ غيرِهما، أي: بشيء بعيدٍ، أو باعتبارِ مضافٍ إلى «قوم»، أي: وما إهلاكُ قومِ لوطٍ، ويجوزُ أن يُسوَّى في «قريب» و«بعيد» و«كثير» و«قليل» بين المُفرَد والجمع، وبين المذكَّر والمؤنَّث، كما قالوا: هو صديقٌ، و: هم صديقٌ، و: هي صديقٌ، و: هنَّ صديقٌ.

و«ودود» بناءُ مبالغةٍ من ودَّ الشيءَ: أحبَّه وآثره، وهو على: فَعِلَ، وسَمِعَ الكسائيُّ: وَدَدْتُ، بفتح العين. والمصدرُ: وُدٌّ ووِدادٌ ووِدَادةٌ ووَدادةٌ.

وقال بعضُ أهلِ اللغة: يجوز أن يكون «ودود» فعولًا بمعنى مفعولٍ.

وقال المفسرون: «ودود»: متحبِّبٌ إلى عباده بالإحسان إليهم. وقيل: محبوبُ المؤمنين. ورحمتُه لعباده ومحبتُه لهم سببٌ في استغفارهم وتوبتهم، ولولا ذلك ما وفَّقهم إلى استغفاره والرجوعِ إليه، فهو يفعلُ بهم فِعْلَ الوادِّ بمن يَوَدُّه من الإحسان إليه.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ كانوا لا يُلقون إليه أذهانهم، ولا يُصْغون لكلامه رغبةً عنه وكراهةً له، كقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧] أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه، فكأنهم لم يفقهوه.

أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به، كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول.

أو جعلوا كلامه هذيانًا وتخليطًا لا يُتَفَهَّمُ كثيرٌ منه، وكيف لا يُتفهَّمُ كلامُه وهو خطيبُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟! ثم الذي حاوَرَهم به من الكلام وخاطبهم به هو من أفصح الكلام وأجلّه وأدلّه على معانيه، بحيث يفقهُه مَن كان بعيدَ الفهم، فضلاً عن الأذكياء العقلاء، ولكن الله تعالى أراد خِذْلانهم.

ومعنى «ضعيفًا»: لا قوةَ لك ولا عزَّ فيما بيننا، فلا تقدر على الامتناع منَّا إنْ أردناك بمكروهٍ. وعن الحسن: «ضعيفًا»: مَهينًا[١].

وقيل: كان ناحِلَ البدن زَمِنَه، لا يقع في القلب منه هيبةٌ، ولا في العين منه امتلاءٌ، والعربُ تُعَظِّم بكبر الأجسام وتُذمُّ بدَمَامتها[٢].

وقال الباقر: مهجورًا لا تجالَسُ ولا تعاشَرُ.

وقال مقاتل: «ضعيفًا» أي: لم يؤمِنْ بك رهطُكَ.

وقال السدِّي: وحيدًا في مذهبك واعتقادك[٣].

وقال ابن جُبَيْرٍ وشَرِيكٌ القاضي: «ضعيفًا»: ضريرَ البصر أعمى[٤]. وحكى الزهراويُّ والزمخشريُّ أن حِمْيَرَ تسمِّي الأعمى ضعيفًا[٥].

ويَبْعُدُ تفسيرُه هنا بأعمى، أو بناحِلِ البدن، أو بضعيفِ البصر كما قاله الثوريُّ[٦]. وزعم أبو رَوْقٍ أنَّ الله لم يبعث نبيًّا أعمى ولا نبيًّا به زَمانةٌ[٧]. بل الظاهرُ أنه ضعيفُ الانتصار والقدرة.

«ولولا رهطُك» احترموه لرَهْطِه إذ كانوا كفارًا مِثْلَهم، أو كان في عزَّةٍ ومَنَعةٍ منهم.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٩٩.

(٢) وهذا لعمري قول ذميم ضعيف لا تقوم به حجة، وكيف يوصف بهذه الأوصاف نبي من أنبياء الله تعالى؟

(٣) لم أقف على هذه الأقوال الثلاثة عند من سبق المصنف.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٨٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢ عن الزهراوي. وسبقهما إليه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٧٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٥٣.

(٧) زاد المسير ٤/ ١٥٢.

«لرجمناك» ظاهرُه القتلُ بالحجارة ـ وهي من شرِّ القِتْلات ـ وبه قال ابنُ زيد، وقال الطبريُّ: رجمناك بالسبِّ. وهذا أيضًا تستعملُه العرب، ومنه: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦](١).

وقيل: لأبعدناك وأخرجناك من أرضنا.

«وما أنت علينا بعزيز»، أي: لا تَعِزُّ علينا ولا تُكْرَمُ حتى نُكْرِمَك من القتل ونرفعَك عن الرجم، وإنما يَعِزُّ علينا رَهْطُك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا.

وقيل: «بعزيز»: بذي منعةٍ وعزَّةٍ ومنزلةٍ في نفوسنا.

وقيل: بذي غَلَبةٍ.

وقيل: بمَلِكٍ، وكانوا يسمُّون المَلِكَ عزيزًا.

قال الزمخشريُّ: وقد دلَّ إيلاءُ ضميرِه حرفَ النفي على أنَّ الكلام واقعٌ في الفاعل لا في الفعل، كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيزٍ بل رَهْطُك هم الأعِزَّةُ علينا، ولذلك قال في جوابهم: «أَرَهْطي أعزُّ عليكم من الله»، ولو قيل: وما عَزَزْتَ علينا، لم يصحَّ هذا الجواب.

فإن قلتَ: فالكلامُ واقعٌ فيه وفي رَهْطِه، وأنهم الأعِزَّةُ عليهم دونه، فكيف صحَّ قولُه: «أرهطي أعزُّ عليكم من الله»؟

قلت: تهاونُهم به وهو نبيُّ الله تهاونٌ بالله، فحين عزَّ عليهم رَهْطُه دونه كان رَهْطُه أعزَّ عليهم من الله، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠](٢). انتهى.

والظاهرُ في قوله: «واتَّخَذْتُموه» أن الضمير عائدٌ على «الله» تعالى، أي: ونَسِيتُموه وجَعَلْتُموه كالشيءِ المنبوذ وراء الظهر لا يُعْبَأُ به. والظِّهريُّ بكسر الظاء منسوبٌ إلى الظَّهر، من تغييرات النَّسَب، ونظيرُه قولُهم في النَّسب إلى الأمس: إمسيٌّ بكسر الهمزة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٢، وقول ابن زيد وكذا قول الطبري في تفسيره ١٢/ ٥٥٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٨٩.

ولمَّا خاطبوه خطابَ الإهانة والجَفَاء جَرْيًا على عادة الكفار مع أنبيائهم، خاطبهم خطابَ الاستعطافِ والتلطُّفِ جَرْيًا على عادته في إلانةِ القول لهم، والمعنى: أعزُّ عليكم من الله حتى جعلتُم مراعاتي من أجلهم ولم تُسْنِدوها إلى الله، وأنا أَوْلَى وأحقُّ أن أراعَى من أجله، فالمراعاةُ لأجْلِ الخالق أعظمُ من المراعاة لأجل المخلوق. والظِّهريُّ: المنسيُّ المتروكُ الذي جُعل كأنه خلف الظهر.

وقيل: الضمير في «واتَّخذتُموه» عائدٌ على الشرع الذي جاء به شعيبٌ عليه السلام.

وقيل: الظهريُّ: العونُ وما يُتَقوَّى به، قال المبرِّد: فالمعنى: واتَّخذتُم العصيان عنده لدفعي. انتهى، فيكون على حذفِ مضاف، أي: واتخذتُموه، أي: عصيانه.

قال ابن عطية: وقالت فرقة: «واتخذتموه»، أي: وأنتم متَّخِذون اللهَ سندَ ظهوركم وعمادَ آمالكم، فقولُ الجمهور على أنَّ كفر قوم شعيبٍ كان جَحْداً بالله وجهلاً به، وهذا القولُ الثاني على أنهم كانوا يُقرُّون بالخالق الرازق، ويعتقدون الأصنامَ وسائطَ ووسائلَ، ومن اللفظة: الاستظهارُ بالبيِّنة[(١)].

وقال ابن زيد: الظِّهريُّ: الفَضْل، مِثْلَ الجمَّال يَخْرُجُ معه بإبلٍ ظَهَارِيَّة يُعِدُّها إن احتاجَ إليها، وإلا فهي فضلةٌ[(٢)].

«محيط» أحاط بأعمالكم فلا يَخْفَى عليه شيءٌ منها، وفي ضِمْنه توعُّدٌ وتهديدٌ. وتقدَّم تفسير نظيرِ قوله: «ويا قوم اعْمَلوا على مكانتكم» وخلافُ القرَّاء في «مكانتكم»[(٣)].

وجوَّز الفرَّاءُ[(٤)] والزمخشريُّ[(٥)] في «مَن يأتيه» أن تكون موصولةً مفعولةً بقوله: «تعلمون»، أي: تعلمون الشقيَّ الذي يأتيه عذابٌ يُخْزيه والذي هو كاذبٌ،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٣، وأخرجه بنحوه الطبري ١٢/ ٥٥٦-٥٥٧.
(٣) ينظر ما سلف عند تفسير الآية (١٣٥) من سورة الأنعام.
(٤) في معاني القرآن ٢/ ٢٦.
(٥) في الكشاف ٢/ ٨٩، وما سيرد لفظه.

واستفهاميةً في موضع رفعٍ على الابتداء و«تعلمون» معلَّق، كأنه قيل: أيُّنا يأتيه عذابٌ يُخْزيه وأيُّنا هو كاذبٌ؟.

قال ابنُ عطية: والأولُ أحسنُ - يعني كونَها مفعولةً - قال: لأنها موصولةٌ، ولا تُوصل في الاستفهام، ويَقْضي بصِلَتها أنَّ المعطوفة عليها موصولةٌ لا محالةَ[1]. انتهى.

وقوله: ويقضي بصلتها. . إلخ، لا يقضي بصلتها؛ إذ لا يتعيَّنُ أن تكونَ موصولةً لا محالة كما قال، بل تكونُ استفهاميةً إذا قدَّرْتَها معطوفةً على «مَن» الاستفهامية، كما قدَّرناه: وأيُّنا هو كاذبٌ.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: أيُّ فرقٍ بين إدخال الفاء ونزعِها في «سوف تعلمون»؟

قلت: إدخالُ الفاء وصلٌ ظاهرٌ بحرفٍ موضوعٍ للوصل، ونزعُها وصلٌ خفيٌّ تقديريٌّ بالاستئناف الذي هو جوابٌ لسؤال مقدَّرٍ، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملتَ أنت؟ فقال: «سوف تعلمون»، فوصَلَ تارةً بالفاء وتارةً بالاستئناف، كما هو عادةُ البلغاء من العرب، وأقوى الوصلَيْنِ[3] وأبْلغُهما الاستئنافُ، وهو بابٌ من أبواب علم البيان تتكاثَرُ محاسنُه.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: قد ذَكَرَ عملَهم على مكانتهم وعملَه على مكانته، ثم أتبعه ذكرَ عاقبة العاملين منه ومنهم، فكان القياسُ أن يقول: مَن يأتيه عذابٌ يُخزيه ومَن هو صادقٌ، حتى ينصرفَ «مَن يأتيه عذابٌ يُخزيه» إلى الجاحدينَ، ومَن هو صادقٌ إلى النبيِّ المبعوث إليهم.

قلت: القياسُ ما ذكرتَ، ولكنهم لمَّا كانوا يَعُدُّونه كاذباً قال: «ومَن هو كاذبٌ» يعني: في زعمكم ودعواكم، تجهيلاً لهم. انتهى.

وفي ألفاظ هذا الرجلِ سوءُ أدبٍ، والذي قاله ليس بقياسٍ؛ لأنَّ التهديد الذي

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٣.
(٢) في الكشاف ٢/ ٢٨٩.
(٣) في (ز١): الواصلين، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف.

وقع ليس بالنسبة إليه، ولا هو داخلٌ في التهديد المراد بقوله: «سوف تعلمون» إذ لم يأتِ التركيبُ: اعمَلوا على مكانتكم وأعملُ على مكانتي، ولا: سوف تعلمون وأَعْلَمُ، وإنما التهديدُ مختصٌّ بهم، واستَسْلَفَ الزمخشريُّ قوله: قد ذَكَر عملَهم على مكانتهم وعملَه على مكانته، فبنى على ذلك سؤالاً فاسداً؛ لأن المترتِّب على ما ليس مذكوراً لا يصحُّ البتة، وجميعُ الآية والتي قبلها إنما هي بالنسبة إليهم على سبيل التهديد، ونظيره في سورة «تنزيل»: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ... مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: ٣٩-٤٠] فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الزمر: ٣٩] كما جاء هنا.

«وارتقبوا»: انتظِروا العاقبةَ وما أقولُ لكم، والرقيبُ بمعنى الراقبِ: فعيلٌ للمبالغة، أو بمعنى المُراقبِ كالعشير والجليس، أو بمعنى المُرْتَقِبِ كالفقير والرفيع بمعنى: المفتقِر والمرتفِع، ويُحسِّنُ هذا مقابَلةُ «فارتقبوا».

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: ما بالُ ساقتي قصةِ عادٍ وقصةِ مدينَ جاءتا بالواو، والساقتان الوُسْطَيان بالفاء؟

قلتُ: قد وقعت الوُسطيان بعد ذكر الوعد، وذلك قولُه: «إنَّ موعِدَهم الصبحُ» «ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب» فجيء بالفاء التي هي للتسبُّب، كما تقول: وعدتُه فلما جاء الميعادُ كان كيت وكيت، وأمَّا الأُخريان فلم تقعا بتلك المنزلة، وإنما وقعتا مُبْتَدأتين، فكان حقُّهما أن تُعطفا بحرفِ الجمع على ما قبلَهما، كما تُعطفُ قصةٌ على قصةٍ[1]. انتهى.

وتقدَّم تفسيرُ مِثْلِ «ولمَّا جاء أمرُنا» إلى قوله: «كأنْ لم يغنوا فيها».

وقرأ السُّلَميُّ وأبو حَيْوَةَ: «كما بعُدت» بضم العين من البُعْدِ الذي هو ضدُّ القُرْب[2]، والجمهورُ بكسرها، أرادت العربُ التفرقةَ بين البُعْدِ من جهة الهلاك

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٤، وهي في القراءات الشاذة ص٦١، والمحتسب ١/ ٣٢٧ عن أبي عبد الرحمن السلمي وحده.

وبين غيره، فغيَّروا البناء[١]، وقراءةُ السُّلميّ جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيصٍ، كما يقال: ذهب فلانٌ ومضى، في معنى الموت، وقيل: معناه: بُعداً لهم من رحمة الله كما بَعُدت ثمودُ منها.

وقال ابن قتيبة: بَعِدَ يَبْعَدُ: إذا كان بعده هَلَكةٌ، وبَعُدَ يَبْعُدُ: إذا نأى[٢].

وقال النحاس: المعروفُ في اللغة: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَداً وبُعْداً: إذا هلك[٣].

وقال المهدويُّ: بَعُدَ يُستعمل في الخير والشرِّ، وبَعِدَ في الشرِّ خاصةً.

وقال ابنُ الأنباري: مِن العرب مَن يُسوِّي بين الهلاك والبُعْد الذي هو ضدُّ القرب، فيقول فيهما: بَعُدَ يَبْعُدُ وبَعِدَ يَبْعَدُ[٤].

وقال مالك بنُ الرَّيْب في بَعِدَ بمعنى هَلَكَ:

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونني ... وأين مكانُ البُعْدِ إلَّا مَكانيا[٥]

وبُعْداً لفلانٍ، دعاءٌ عليه، ولا يُدْعَى به إلا على مُبْغِضٍ كقولك: سُحقاً للكافرين.

وقال أهلُ علم البيان: لم يَرِدْ في القرآن استطرادٌ إلا هذا الموضع، والاستطراد قالوا: هو أن تمدح شيئاً أو تذمَّه ثم تأتي في آخِرِ الكلام بشيءٍ هو غرضُك في أوله، قال حسان:

إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثْتِني ... فنجَوْتِ مَنْجى الحارث بن هشامِ[٦]

تَرَكَ الأحبةَ أن يُقاتل دونهم ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجامِ

---

(١) فقالوا: «بَعُدَ» بالضم من البُعْد ضد القُرْب، و«بَعِدَ» بالكسر: ضد السلامة، بمعنى هلك؛ ينظر الدر المصون ٦/ ٣٨٠، وروح المعاني ١٢/ ٨٥.

(٢) تفسير الغريب زاد المسير ٤/ ١٥٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٠.

(٤) كما في تفسير القرطبي ١١/ ٢٠٣.

(٥) جمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٦٣، وذيل أمالي القالي ص١٣٧، والخزانة ٢/ ٢٠٥.

(٦) ديوان حسان ص٤١٩. الطِّمرَّة: الفرس الطويل القوائم الخفيف. القاموس (طمر)، والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل، وكان شهد بدراً مع المشركين ثم انهزم فيمن انهزم =

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ الآياتُ المعجزاتُ التسعُ: العصا، واليد، والطُّوفان، والجراد، والقمَّل، والضفادعُ، والدمُ، ونقصٌ من الأموال والأنفس والثمرات. ومنهم مَن أبدل النقصَ بإظلال الجبل.

وقيل: الآيات: التوراة.

وهذا ليس بسديدٍ؛ لأنه قال: «إلى فرعون ومَلَئه» والتوراةُ إنما نزلت بعد هلاك فرعونَ وملئه.

والسلطانُ المبينُ: هو الحججُ الواضحة. ويحتمل أن يريدَ بقوله: «وسلطان مبين»: فيها، أي: في الآيات، وهي دالةٌ على صدق موسى ﷺ، ويحتمل أن يريد بها العصا؛ لأنها أبهرُ تلك الآيات، فنصَّ عليها كما نصَّ على جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة، على سبيل التشريف بالذِّكر.

والظاهرُ أن يراد بقوله: «أَمْرَ فرعون»: أمرُه إياهم بالكفر وجَحْدِ معجزات موسى، ويحتمل أن يريد الطريق والشأن.

«وما أَمْرُ فرعونَ برشيد» نَفَى عنه الرُّشْدَ، وذلك تجهيلٌ لمتَّبعيهِ حيث شايعوه على أمره، وهو ضلالٌ مبينٌ لا يَخْفَى على مَن فيه أدنى مُسكةٍ من العقل، وذلك أنه ادَّعى الإلهية وهو بشرٌ مثلُهم، عاينوا الآياتِ والسلطانَ المبينَ في أمر موسى ﷺ، وعلموا أنَّ معه الرُّشْدَ والحقَّ، ثم عَدَلوا عن اتِّباعه إلى اتِّباع مَن ليس في اتِّباعه رُشْدٌ.

ويحتمل أن يكون «رشيد» بمعنى راشدٍ، ويكونَ «رشيد» بمعنى مرشدٍ، أي: بمرشدٍ إلى خيرٍ، وكان فرعونُ دهريًّا نافياً للصانع والمَعَاد، وكان يقول: لا إله للعالَم وإنما يجبُ على أهل كلِّ بلدٍ أن يَشْتَغِلوا بطاعة سلطانهم، فلذلك كان أمرُه خالياً عن الرشد بالكلِّية، والرشدُ يُستعمل في كلِّ ما يُحمد ويُرْتَضى، والغَيُّ ضدُّه.

= فعيرّه حسان بهذا الشعر؛ ثم أسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه. وينظر تفصيل الكلام على الاستطراد في خزانة الأدب للحموي ١/ ١٠٣.

ويقال: قَدَمَ زيدٌ القومَ يَقْدُمُ قَدْماً وقُدوماً: تقدَّمهم، والمعنى: أنه يَقْدُمُ قومه المُغْرَقين إلى النار، وكما كان قدوةً في الضلال متَّبَعاً كذلك يتقدَّمهم إلى النار وهم يتبعونه. أو كما تقدَّمهم إلى البحر حالةَ الغرق في الدنيا تَقَدَّمَهم إلى النار في الآخرة، ولذلك جاء بلفظ «فأوردهم»، جعل عقوبتهم في الآخرة من جنس عقوبتهم في الدنيا.

ويحتمل أن يكون قوله: «برشيد» بحميد العاقبة، ويكون قولُه: «يقدم قومه» تفسيراً لذلك وإيضاحاً، أي: كيف يَرْشُد أمرُ مَن هذه عاقبتُه.

وعدل عن: فيُوْرِدُهم، إلى «فأَوْرَدهم» لتَحقُّقِ وقوعه لا محالةَ، فكأنه قد وقع، ولمَا في ذلك من الإرهاب والتخويف. أو هو ماضٍ حقيقةً، أي: فأوردهم في الدنيا النارَ، أي: مُوْجِبَه وهو الكفرُ، ويُبْعِدُ هذا التأويلَ الفاءُ.

والورودُ في هذه الآية هو ورودُ الخلود، وليس بورود الإشراف على الشيء والإشفاء، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٢٣].

ويحتمل أن يكون «النار» نَصْبُه على إعمال الثاني؛ لأنه تنازَعَه «يقدُم» -أي: إلى النار- و«فأوردهم»، فأُعمل الثاني وحُذف معمولُ الأول.

والهمزة في «فأوردهم» للتعدية؛ لأن «ورد» يتعدَّى إلى واحدٍ، فلمَّا أدخلت الهمزةُ تعدَّى إلى اثنين، فتضمَّن وارداً وموروداً، ويُطلق الوِرْدُ على الوارد، فالوِرْدُ لا يكون الموروَدَ، فاحتيج إلى حذفٍ ليطابق فاعلُ «بئس» المخصوصَ بالذمِّ، فالتقدير: وبئس مكانُ الوِرْدِ الموروِدُ، ويُعْنَى به النار، فالورودُ فاعلٌ ببئس والمخصوصُ بالذمِّ: «المورود»، وهي النار. ويجوز في إعراب «المورود» ما يجوز في زيد من قولك: بئس الرجلُ زيدٌ.

وجوَّز ابنُ عطية وأبو البقاء أن يكون «المورود» صفةً لـ«الورد»، أي: بئس مكانُ الوردِ الموروُدُ النارُ[1]، ويكون المخصوصُ محذوفاً لفَهْم المعنى، كما حُذف في

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٥، والإملاء ٢/ ٤٥، وفي كليهما اختلاف يسير عن كلام المصنف، فأبو البقاء لم يقدر محذوفاً، وعبارته: وفاعل «بئس»: «الورد»، و«المورود» نعتٌ =

قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [ص: ٥٦] وهذا التخريجُ يَبْتَني على جواز وصف فاعل «نعم» و«بئس»، وفيه خلافٌ؛ ذهب ابن السَّرَّاج والفارسيُّ إلى أن ذلك لا يجوز[١].

وقال الزمخشري: و«الوِرْدُ»: المَوْرِد، و«المورودُ»: الذي وَرَدُوه، شبَّهه بالفارط الذي يتقدَّم الواردةَ إلى الماء، وشبَّه أتباعه بالواردة، ثم قيل: بئس الوِرْدُ الذي يردونه النارُ؛ لأن الوِرْدَ إنما يُوْرَدُ لتسكين العطش وتبريدِ الأكباد، والنارُ ضدُّه[٢]. انتهى.

وقوله: و«الوِرْد»: المورد، إطلاقُ «الورد» على المورد مجازٌ؛ إذ نقلوا أنه يكون مصدراً بمعنى الورود، أو بمعنى الواردةِ من الإبل، وتقديره[٣]: بئس الورد الذي يردونه النارُ، يدلُّ على أن «المورود» صفةٌ لـ«الورد»، وأن المخصوصَ بالذم محذوفٌ، ولذلك قدَّره: النار، وقد ذكرنا أن ذلك يبتني على جوازِ وصف فاعل «بئس» و«نعم».

وقيل: التقدير: بئس القومُ المورودُ بهم هم، فيكون «الورد» عُني به الجمع الواردُ، و«المورود» صفةٌ لهم، والمخصوصُ بالذمِّ الضميرَ المحذوفَ وهو «هم»، فيكون ذلك ذمًّا للواردين لا ذمًّا لموضع الورود.

والإشارة بقوله: «في هذه» إلى الدنيا، وقد جاء مصرَّحاً بها في قصة هود، ودلَّ عليها قولُه: «ويوم القيامة»؛ لأنه الآخرةُ، فـ«يوم» معطوفٌ على موضع «في هذه»، والمعنى: إنهم أُلْحِقوا لعنةً في الدنيا وفي الآخرة.

قال الكلبي: «في هذه» لعنةٌ من المؤمنين أو بالغرق، و«يوم القيامة» من الملائكة أو بالنار.

وقال مجاهد: فلهم لعنتان[٤].

= له. أما ابن عطية فجعل «المورود» صفة للمقدر المحذوف فقال: و«المورود» صفة لمكان الورد، على أن التقدير: وبئس مكان الورد المورود. والنتيجة عند الجميع واحدة، وهي أن «المورود» صفة، والمخصوص محذوف، وهو: النار.

(١) الأصول ١/ ١٢٠-١٢١، مغني اللبيب ص٧٦٥، وروح المعاني ١٢/ ٩٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٩١.
(٣) أي: تقدير الزمخشري.
(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٦٤.

وذهب قومٌ إلى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنةً ويومَ القيامة يُرْفَدون به، فهي لعنةٌ واحدةٌ أولاً وقُبْحُ إرفادٍ آخِراً. انتهى.

وهذا لا يصحُّ؛ لأن هذا التأويلَ يدلُّ على أنَّ «يوم القيامة» معمولٌ لـ«بئس»، وبئس لا تتصرَّف، فلا يتقدَّم معمولُها عليها، فلو تأخَّر «يوم القيامة» صحَّ، كما قال الشاعر:

ولَنِعْمَ حَشْوَ الدِّرْعِ أنت إذا ... دُعِيَتْ نزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ[1]

وقال الزمخشري: بئس الرفدُ المرفودُ رِفْدُهم، أي: بئس العونُ المُعانُ، وذلك أن اللعنة في الدنيا رفدٌ للعذاب ومددٌ له، وقد رُفدت باللعنة في الآخرة، وقيل: بئس العطاءُ المُعْطَى[2]. انتهى.

ويظهرُ من كلامه أن «المرفود» صفةٌ لـ«الرفد» وأنَّ المخصوص بالذم محذوفٌ تقديره: رفدُهم، وما ذَكَر من تفسيره: أي: بئس العونُ المُعانُ، هو قولُ أبي عبيدةَ[3]، وسُمِّي العذابُ رفداً على نحو قولهم:

تحيةُ بَيْنِهم ضربٌ وَجِيعُ[4]

وقال الكلبي: «الرفد»: الرِّفادة، أي: بئس ما يُرْفَدون به بعد الغرق بالنار.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى ما تقدَّم من ذكر الأنبياء وقومهم، وما حلَّ بهم من العقوبات، أي: ذلك النبأُ بعضُ أنباء القرى، ويحتمل أن يُعْنَى بالقرى: قرى أولئك المُهْلَكين المتقدِّمِ ذكرُهم، وأنْ يُعْنَى القرى عموماً، أي: هذا

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه بشرح ثعلب ص٨٩، والكتاب ٣/ ٢٧١.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٩١.
(٣) في مجاز القرآن ١/ ٢٩٨.
(٤) وصدره: وخيلٍ قد دلفت لها بخيل، ونسب لعمرو بن معدي كرب في الكتاب ٣/ ٥٠، ونوادر أبي زيد ص١٥٠، وسلف عند تفسير الآية (٢٠٦) من سورة البقرة، والآية (٢١) من آل عمران، والآية (١٣٨) من سورة النساء، وغيرها.

النبأُ المقصوصُ عليك هو دَيْدَنُ المدن إذ كفرت، فتدخل المدنُ المعاصرةُ. والضمير في «منها» عائدٌ على «القرى». قال ابن عباس: «قائم وحصيد»: عامِرٌ كزُغَرَ ودائِرٌ[1]. وهذا على تأويلِ عمومِ القرى.

وقال قتادةُ وابن جُريجٍ: قائمُ الجدرانِ ومنهدِمٌ[2]. وهذا على تأويل خصوص القرى، وأنها قرى أولئك الأمم المهلكين.

وقال الزمخشريُّ: بعضُها باقٍ وبعضُها عافي الأثرِ، كالزرع القائم على ساقه والذي حُصِدَ[3]. انتهى، وهذا معنى قولِ قتادة؛ قال قتادة قائم الأثر ودارِسُه[4]. جَعَلَ حَصْدَ الزرع كنايةً عن الفناء، قال الشاعر:

والناسُ في قَسْمِ المَنِيَّةِ بينهم ... كالزرع منه قائمٌ وحصيدُ[5]

وقال الضحاك: «قائم»: لم يُخْسَف، و«حصيد» قد خُسف.

وقال ابن إسحاق: «قائم»: لم يَهلك بعدُ، و«حصيد»: قد أُهْلِكَ.

وقيل: قائم، أي: باقٍ نَسْلُه، و«حصيد» أي: منقطعٌ نسلُه. وهذا يتمشَّى على أن يكون التقدير: ذلك من أنباء أهلِ القرى، وقد قيل: هو على حذف مضافٍ، أي: من أنباء أهل القرى، ويؤيِّده قولُه: «وما ظلمناهم»، فعاد الضمير على ذلك المحذوف.

وقال الأخفش: «حصيد» أي: محصود[6]، وجمعه: حَصْدَى وحِصَاد، مثل: مَرْضَى ومِرَاض، وباب فَعْلَى جمعاً لفعيلٍ بمعنى مفعولٍ أن يكون فيمَن يعقل، نحو: قتيل وقَتْلَى.

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٥٦٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٥، ولفظ الطبري: يعني بالقائم قرى عامرة، وبالحصيد قرى خامدة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٥، وأخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٢/ ٥٦٧-٥٦٨.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٩١.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٦٧-٥٦٨ بلفظ: «قائم»: يُرى مكانه، و«حصيد»: لا يُرى له أثر.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٥٠٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٠٦.

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٨٢.

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: ما محلُّ هذه الجملة؟ قلتُ: هي مستأنفةٌ لا محلَّ لها[١]. انتهى.

وقال أبو البقاء «منها قائم» ابتداءٌ وخبرٌ في موضع الحال من الهاء في «نقصُّه»، و«حصيد» مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ، أي: ومنها حصيدٌ[٢]. انتهى، وما ذكره يَجوز، أي: نَقصُّه عليك وحالُ القرى ذلك، والحالُ أبلغُ في التخويف وضربِ المَثَل نقصُّ عليك بعضَ أنباء القرى وهي على هذه الحال تشاهِدون فِعْلَ الله بها.

«وما ظلمناهم»، أي: بإهلاكنا إياهم، بل وَضَعْنا عليهم من العذاب ما يستحقُّونه، «ولكنْ ظلموا أنفسهم» بوضع الكفر موضعَ الإيمان، وارتكابِ ما به أُهلكوا.

والظاهرُ أن قوله: «فما أَغْنَت» نفيٌ، أي: لم تردَّ عنهم من بأس الله شيئاً، ولا أَجْدَتْ، «يدعون» حكايةُ حالٍ، أي: التي كانوا يَدْعون، أي: يعبدون، أو: يدعونها اللاتَ والعزَّى وهُبَلَ.

قال الزمخشري: و«لمَّا» منصوبٌ بـ«ما أغنت»[٣]. انتهى، وهذا بناء على أن «لمَّا» ظرفٌ، وهو خلافُ مذهب سيبويه؛ لأن مذهبه أنها حرفُ وجوبٍ لوجوبٍ[٤].

و«أمر ربِّك» هو عذابُه ونقمتُه، و«ما زادوهم» عُومِلوا[٥] معاملة العقلاء في الإسناد إلى واو الضمير الذي هو لمن يعقل؛ لأنهم نزَّلوهم منزلةَ العقلاء في اعتقادهم أنها تنفعُ وعبادِتهم إياها.

والتتبيب: التخسير. قال ابن زيد: الشر. وقال قتادة: الخسران والهلاك. وقال مجاهد: التخسير[٦]. وقيل: التدمير. وهذه كلُّها أقوالٌ متقاربةٌ.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩١.

(٢) الإملاء ٢/ ٤٥، وقد تعقب بعضهم جعله جملة «منها قائم» حالاً بأنه فاسد لفظاً ومعنى، وفساده لفظاً سببه خلو الجملة من الواو والضمير، ينظر مناقشة ذلك في روح المعاني ١٢/ ٩٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٢.

(٤) ينظر الكتاب ٤/ ٢٣٤.

(٥) في النسخ عدا (يه): عومل، والمثبت من (يه).

(٦) أخرج أقوالهم الطبري ١٢/ ٥٧٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٣.

قال ابن عطية[١]: وصورةُ زيادةِ الأصنامِ التتبيبَ إنما هو يتصوَّر بأنَّ تأميلَها، والثقةَ بها، والتعبَ في عبادتها، شغلت نفوسَهم عن النظر في الشرع وعاقبته، فلحق عن ذلك عنتٌ[٢] وخسرانٌ، وإما بأنَّ عذابهم على الكفر يزاد به[٣] عذابٌ على مجرد عبادة الأوثان.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

أي: ومِثْلُ ذلك الأَخْذِ أَخْذِ اللهِ الأممَ السابقةَ أَخْذُ ربِّك[٤]، و«القرى» عامٌّ في القرى الظالمة، والظلمُ يشملُ ظلمَ الكفر وغيرَه، وقد يُمْهِلُ الله تعالى بعضَ الكفرة، وأما الظَّلمةُ في الغالب فمعاجَلون، وفي الحديث: «إنَّ الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية[٥].

وقرأ أبو رجاء والجحدري: «وكذلك أَخَذَ ربُّكَ إذ أَخَذَ»[٦] على أن «أَخَذَ ربُّك» فعلٌ وفاعلٌ، و«إذا» ظرفٌ لمَا مضى[٧]، وهو إخبارٌ عمَّا جرت به عادة الله في إهلاك من تقدم من الأمم.

وقرأ طلحة بن مصرِّفٍ: «وكذلك أَخَذَ ربُّك إذا أَخَذَ»، قال ابن عطية[٨]: وهي قراءةٌ متمكِّنةُ المعنى، ولكنَّ قراءة الجماعة تعطي [بقاء] الوعيد واستمرارَه في الزمان، وهو البابُ في وضعِ المستقبل موضعَ الماضي.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٦.
(٢) في (د١) والمطبوع: عقاب، وفي باقي النسخ: عتب، والمثبت من المحرر الوجيز.
(٣) في المحرر: إليه.
(٤) فيكون «أخذ ربك» مبتدأً مؤخراً، و«كذلك» خبراً مقدماً. ينظر الدر المصون ٦/ ٣٨٥.
(٥) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.
(٦) تفسير الطبري ١٢/ ٥٧٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠١، كلاهما عن عاصم الجحدري.
(٧) أي: حين أخذ القرى، أما «إذا» فهي للمستقبل، أي: متى أخذ القرى. إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠١.
(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٦، وما سيرد بين حاصرتين منه، لكنه نسب القراءة بهذا اللفظ لأبي رجاء وعاصم الجحدري، ولم أقف عليها عن طلحة بن مصرف، وذكر القرطبي ١١/ ٢٠٧ عنه كالقراءة التي قبل هذه.

و«القرى» مفعولٌ بـ«أَخَذَ» على الإعمال إذ تنازَعَه المصدرُ وهو «أَخْذُ ربِّك» و«أَخَذَ»، فأُعْمِلَ الثاني.

«وهي ظالمةٌ» جملةٌ حاليةٌ «إنَّ أخْذَه أليمٌ» مُوْجِعٌ صعبٌ على المأخوذ، والأخْذُ هنا أخذُ الإهلاك، «إنَّ في ذلك»، أي: فيما قصَّ الله من أخبار الأمم الماضية وإهلاكهم «لآية» لعلامةً أي: إنهم إذا عذِّبوا في الدنيا لأجْل تكذيبهم الأنبياءَ وإشراكِهم بالله وهي دارُ العمل، فلأَنْ يعذَّبوا على ذلك في الآخرة التي هي دارُ الجزاء أوْلَى، وذلك أنَّ الأنبياء أخبروا باستئصالِ مَن كذَّبهم وأشركوا بالله، ووقع ما أَخْبَروا به وَفْقَ إخبارهم، فدلَّ على أن ما أخبروا به من البعث والجزاء صدقٌ لا شكَّ فيه.

قال الزمخشري[1]: «لآية لمن خاف» لعبرةً له؛ لأنه ينظر إلى ما أَحَلَّ اللهُ بالمجرمين في الدنيا، وما هو إلَّا أُنموذجٌ مما أعدَّ لهم في الآخرة، فإذا رأى عظمتَه وشدتَه اعْتَبَر به من عظيم[2] العذاب الموعود، فيكونُ له عِظَةً وعِبْرةً ولُطْفاً في زيادةِ التقوى والخشيةِ من الله، ونحوُه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦].

«ذلك» إشارةٌ إلى يوم القيامة الدالُّ عليه قولُه: «عذابَ الآخرة»، و«الناسُ» مفعولٌ لم يسمَّ فاعلُه، رافعُه «مجموع».

وأجاز ابنُ عطيةَ أن يكون «الناسُ» مبتدأً و«مجموع» خبر مقدَّم[3]. وهو بعيدٌ؛ لإفراد الضمير في «مجموع»، وقياسُه على إعرابه: مجموعون.

و«مجموعٌ له الناسُ» عبارةٌ عن الحشر، و«مشهود» عامٌّ يشهدُه الأوَّلون والآخِرون من الإنس والجنِّ والملائكة والحيوان في قول الجمهور.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: أيُّ فائدة في أنْ أُوْثِرَ اسمُ المفعول على فِعْلِه؟

قلتُ: لِمَا في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه لا بدَّ أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه هو الموصوفُ بذلك صفةً لازمةً،

---

(١) في الكشاف ٢/ ٢٩٢.
(٢) في الكشاف: اعتبر به عظم.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٦.

وهو أثبتُ أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكُّون منه، وفيه من تمكُّن الوصف وثباته ما ليس في الفعل[١].

ومعنى «مشهود»: مشهودٌ فيه، فاتُّسع في الجارِّ والمجرور ووُصِلَ الفعل إلى الضمير إجراءً له مُجرى المفعول به على السعة كقوله:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً[٢]

والمعنى: يشهدُ فيه الخلائقُ الموقفَ لا يغيبُ عنه أحدٌ، ومنه قولهم: لفلانٍ مجلسٌ مشهودٌ، وطعامٌ محضورٌ، وإنما لم يُجعل اليومُ مشهوداً في نفسه كما قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] لأن الغرض وصفُ ذلك اليوم بالهول والعِظَم، وتَميُّزُهُ من بين الأيام. وكونُه مشهوداً في نفسه لا يميِّزه؛ إذ هو موافقٌ لسائر الأيام في كونها مشهودةً.

«وما نؤخِّره»، أي: ذلك اليوم، وقيل: يعود على الجزاء، قاله الحَوْفي.

«إلا لأجلٍ معدود»، أي: لقضاءٍ سابقٍ قد نَفَذَ فيه بأجلٍ محدودٍ لا يتقدَّم عليه ولا يتأخَّر عنه، وقرأ الأعمش: «وما يؤخِّره» بالياء[٣].

وقرأ النحويان ونافع: «يأتي» بإثبات الياء وصلاً وحَذْفِها وقفاً، وابنُ كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً[٤]، وهي ثابتةٌ في مصحف أبيٍّ[٥]، وقرأ باقي السبعة بحذفها

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٢، وما بعده منقول كذلك من الكشاف مع قليل من التصرف.

(٢) وعجزه: قليلٌ سوى طعنِ النِّهال نوافِلُه. والبيت لرجل من بني عامر كما في الكتاب ١/ ٧٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٦، ودون نسبة في المقتضب ٣/ ١٠٥، والكامل للمبرد ١/ ٤٩، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٨، وأمالي ابن الشجري ١/ ٧، والكشاف ٢/ ٢٩٢، وجاء في بعض المصادر: ويوم... قليل...، وقع اليوم مجروراً بعد واو «رب»، وقليل صفة له. وعلى كلا الروايتين الشاهد فيه قوله: شهدناه، والمعنى: شهدنا فيه، و«شهد» هنا بمعنى «حضر»، فهو متعد لواحد وهو «سليماً وعامراً»، والنوافل هنا: الغنائم، والنهال: المرتوية بالدم، يقول: لم نغنم فيه إلا النفوس؛ لما أوليناهم من كثرة الطعن. ينظر شرح شواهد الكتاب للأعلم ص١٤٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٦.

(٤) السبعة ص٣٣٨-٣٣٩، والتيسير ص١٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٦.

وصلاً ووقفاً، وسقطت في مصحف الإمام عثمان[١]، وقرأ الأعمش: «يأتون»، وكذا في مصحف عبد الله[٢].

وإثباتُها وصلاً ووقفاً هو الوجهُ، ووجهُ حذفها في الوقف التشبيهُ بالفواصل، ووَقْفاً ووصلاً التخفيفُ كما قالوا: لا أَدْرِ ولا أُبالِ.

وذكر الزمخشريُّ أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثيرٌ في لغة هُذَيْلٍ[٣]، وأنشد الطبري:

كفَّاك كفٌّ ما تُلِيقُ درهماً جُوداً وأخرى تُعْطِ بالسيفِ الدَّمَا[٤]

والظاهر أن الفاعل بـ«يأتي» ضميرٌ يعودُ على ما عاد عليه الضميرُ في «نؤخِّره»، وهو قولُه: «ذلك يومٌ»، والناصبُ له[٥] «لا تكلَّم»، والمعنى: لا تكلَّم نفسٌ يومَ يأتي ذلك اليومُ إلَّا بإذنِ الله، وذلك من عِظَم المهابة والهَوْلِ في ذلك اليوم، وهو نظيرُ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨] هو ناصبٌ لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

والمراد بإتيان اليوم: إتيانُ أهواله وشدائده، إذ اليومُ لا يكون وقتاً لإتيان اليوم.

وأجاز الزمخشريُّ أن يكون فاعلُ «يأتي» ضميراً عائداً على الله، قال: كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ويعضده قراءة: «وما يؤخِّره» بالياء[٦]، وقوله: «بإذنه». وأجاز

(١) المقنع للداني ص٣١-٣٣، والمحرر الوجيز ٣/٢٠٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٠٦-٢٠٧.
(٣) الكشاف ٢/٢٩٣.
(٤) تفسير الطبري ١٢/٥٧٦، وذكره أيضاً الفراء في معاني القرآن ٢/٢٧، وابن الأنباري في الأضداد ص٢٦٤، وابن جني في الخصائص ٣/٩٠ و١٣٣، والحريري في درة الغواص ص١٦٥، وصاحب اللسان (ليق). ومعنى ما تليق درهماً، أي: ما تحسبه ولا تلصق به، كما في اللسان.
(٥) أي: لليوم في قوله: «يوم يأتي».
(٦) الكشاف ٢/٢٩٣، والمحرر الوجيز ٣/٢٠٦، وتفسير البغوي ٢/٤١٠، وزاد المسير ٤/١٥٧، ونسبت ليعقوب والأعمش.

أيضاً أن ينتصب «يومَ يأتي» بـ: اذكر، أو بالانتهاء المحذوف في قوله: «إلا لأجلٍ معدود»، أي: ينتهي الأجَلُ يومَ يأتي[١].

وأجاز الحَوْفي أن يكون «لا تكلم» حالاً من ضمير اليوم المتقدِّم في «مشهود»، أو نعتاً له لأنه نكرةٌ، والتقدير: لا تكلَّم نفسٌ فيه يومَ يأتي إلَّا بإذنه.

قال ابن عطية: «لا تكلَّم نفسٌ» يَصِحُّ أن يكونَ جملةً في موضع الحال من الضمير الذي في «يأتي»، وهو العائدُ على قوله: «ذلك يوم»، ويكون على هذا عائدٌ محذوفٌ تقديره: لا تكلَّمُ نفسٌ فيه إلَّا بإذنه، ويَصِحُّ أن يكونَ قولُه: «لا تكلَّم نفسٌ» صفةً لقوله: «يومَ يأتي»، و«يوم يأتي» يرادُ به الحينُ والوقتُ لا النهارُ بعينه. وما ورد في القرآن من ذِكْرِ كلامِ أهلِ الموقفِ في التلاوُمِ والتساؤُلِ. والتجادُل: فإمَّا أن يكون بإذن الله، وإمَّا أن تكون هذه مختصَّةً هنا في تكلُّمِ شفاعةٍ أو إقامةِ حجةٍ[٢]. انتهى.

وكلامه في إعراب «لا تكلَّم» كأنه منقولٌ من كلام الحوفيِّ.

وقيل: يومُ القيامة يومٌ طويلٌ له مواقفُ، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يُكفُّون عن الكلام فلا يؤذَنُ لهم، وفي بعضها يؤذَنُ لهم فيتكلَّمون، وفي بعضها يُختم على أفواههم وتُكلِّم أيديهم وتَشْهَدُ أرجلُهم.

والضمير في «منهم» عائدٌ على «الناس» في قوله: «مجموع له الناس»، وقال الزمخشري[٣]: الضميرُ لأهل الموقف، ولم يُذْكَروا إلَّا أنَّ[٤] ذلك معلومٌ، ولأن قوله: «لا تكلَّم نفسٌ» يدلُّ عليه، وقد مرَّ ذكر «الناس» في قوله: «مجموعٌ له الناس».

وقال ابن عطية: «فمنهم» عائدٌ على الجميع الذي تضمَّنه قولُه: «نفس» إذ هو اسمُ جنسٍ يرادُ به الجميع[٥]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٧.

(٣) في الكشاف ٢/ ٢٩٣.

(٤) في الكشاف: لأن، بدل: إلا أن، والمعنى متقارب.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٧، وفيه: . . . يراد به الجمع.

قال ابن عباس: الشقيُّ من كُتبت عليه الشقاوةُ، والسعيدُ الذي كُتبت له السعادةُ[(١)].

وقيل: معذَّبٌ ومنعَّم.

وقيل: محرومٌ ومرزوقٌ.

وقيل: الضمير في «منهم» عائدٌ على أمة محمدٍ ﷺ. ذكرها ابنُ الأنباري.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ قال الضحاك ومقاتلٌ والفرَّاء: الزفيرُ أولُ نهيق الحمار، والشهيقُ آخِرُه[(٢)]. ورُوي عن ابن عباس[(٣)].

وقال أبو العالية والربيعُ بن أنس: الزفيرُ في الحَلق، والشهيقُ في الصدر. ورُوي عن ابن عباسٍ أيضاً[(٤)].

وقال ابن السائب: الزفير زفيرُ الحمار والشهيقُ شهيق البغال[(٥)].

وانتصاب «خالدين» على أنها حالٌ مقدَّرةٌ، و«ما» مصدريةٌ ظرفيةٌ، أي: مدةَ دوام السماوات والأرض، والمرادُ بهذا التوقيتِ التأبيدُ، كقول العرب: ما أقام ثَبيرٌ، و: ما لاح كوكبٌ، وضعت العرب ذلك للتأبيد من غير نظرٍ لفناء ثبيرٍ أو الكوكب أو عدم فنائهما.

وقيل: المراد: سماواتُ الآخرة وأرضُها، وهي دائمةٌ لا بدّ، يدُلُّ على ذلك ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨] وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]، ولأنه لا بد لأهل الآخرة ممَّا يُقِلُّهم ويُظِلُّهم: إما سماء يخلقها الله أو يظلُّهم العرشُ، وكلُّ ما أظلَّكَ فهو سماء.

---

(١) زاد المسير ٤/ ١٥٨.
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨، وتفسير مقاتل ٢/ ١٣٢، وزاد المسير ٤/ ١٥٨-١٥٩.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٥٨.
(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٥٧٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٥، وزاد المسير ٤/ ١٥٩.
(٥) زاد المسير ٤/ ١٥٩.

وعن ابن عباس أن السماوات والأرض في الآخرة يُردَّان إلى النور الذي أُخِذَتا منه، فهما دائمتان أبداً في نور العرش[١].

والظاهرُ أن قوله: «إلا ما شاء ربُّك» استثناءٌ من الزمان الدالِّ عليه قولُه: «خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض» والمعنى: إلا الزمانَ الذي شاءه الله تعالى فلا يخلُدون فيها، أو من قوله: «ففي النار» و«في الجنة»، أي: إلا الزمانَ الذي شاء الله فلا يكون في النار ولا في الجنة.

ويُمكِنُ أن يكون هذا الزمانُ المستثنى هو الزمانَ الذي يفصِلُ الله فيه بين الخلق يومَ القيامة إذا كان الاستثناءُ من الكون في النار أو الجنة؛ لأنه زمانٌ يخلو فيه الشقيُّ والسعيدُ من دخول النار أو الجنة.

وأمَّا إن كان الاستثناءُ من الخلود فيمكن ذلك بالنسبة إلى أهل النار، ويكون الزمانُ المستثنَى هو الزمانَ الذي فات أهلَ النار العصاةَ من المؤمنين الذين يُخْرَجون من النار ويُدْخَلون الجنة، فليسوا خالدين في النار إذ قد أُخرجوا منها وصاروا إلى الجنة. وهذا رُوي معناه عن قتادةَ والضحاكِ وغيرهما[٢]، ويكون «الذين شَقُوا» شاملاً للكفار وعُصاة المؤمنين، وأمَّا بالنسبة إلى أهل الجنة فلا يتأتَّى فيهم ما تأتَّى في أهل النار؛ إذ ليس منهم مَن يدخل الجنة ثم لا يُخلَّدُ فيها، لكنْ يمكنُ ذلك باعتبارِ أن يكون أريدَ الزمانُ الذي فات أهلَ النار العصاةَ من المؤمنين، أو الذي فات أصحابَ الأعراف، فإنه بفوات تلك المدة التي دخل المؤمنون فيها الجنةَ وخلِّدوا فيها صَدَقَ على العصاة المؤمنين وأصحابِ الأعراف أنهم ما خلِّدوا في الجنة تخليدَ مَن دخلها لأولِ وَهْلةٍ.

ويَجوزُ أن يكون استثناءً من الضمير المستكنِّ في الجارِّ والمجرور، أو في «خالدين» وتكون «ما» واقعةً على نوعِ مَن يَعْقِلُ كما وقعت في قوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣]، أو تكون واقعةً على مَن يعقِلُ على مذهبِ مَن يرى وقوعَها على مَن يعقلُ مطلقاً، ويكون المستثنى في قصة النار عصاةَ المؤمنين وفي

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٠٨ بنحوه.
(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٧٩-٥٨١.

قصة الجنة[١] هم أو أصحابَ الأعراف؛ لأنهم لم يدخلوا الجنة لأول وهلة، ولا خلِّدوا فيها خلودَ مَن دخلها أولَ[٢].

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: ما معنى الاستثناء في قوله: «إلَّا ما شاء ربُّك» وقد ثبت خلودُ أهل الجنة والنارِ في الآية من غيرِ استثناءٍ؟

قلت: هو استثناءٌ من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم أهل الجنة، وذلك أنَّ أهل النار لا يخلَّدون في عذاب النار وحدَه بل يعذَّبون بالزمهرير وبأنواعٍ من العذاب يساوي[٣] عذابَ النار، وبما هو أغلظُ منها كلِّها، وهو سَخَطُ الله عليهم وخَسْؤُه لهم وإهانتُه إياهم، وهكذا أهلُ الجنة لهم مع تبوُّء الجنة ما هو أكبرُ منها وأجلُّ موقعاً منهم، وهو رضوانُ الله تعالى، كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥] ولهم ما يتفضَّل الله به عليهم سوى ثوابِ الجنة ما لا يعرفُ كُنْهَه إلا هو، فهو المرادُ بالاستثناء، والدليلُ عليه قولُه: «عطاءً غيرَ مجذوذ»، ومعنى قوله في مقابلته: «إنَّ ربَّك فعَّالٌ لمَا يريد» أنه يفعلُ بأهل النار ما يريدُ من العذاب، كما يعطي أهلَ الجنة عطاءَه الذي لا انقطاعَ له، فتأمَّلْه فإن القرآن يفسِّر بعضُه بعضاً، ولا يخدعنَّكَ عنه قولُ المُجْبِرة: المرادُ بالاستثناء خروجُ أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فإنَّ الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم، ويسجِّل بافترائهم، وما ظنُّك بقومٍ نَبَذُوا كتابَ الله وراء ظهورهم لِمَا روَى لهم بعضُ النوابت[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتينَّ على جهنم يومٌ تصفقُ فيه أبوابها ليس فيها أحدٌ، وذلك عندما يلبثون فيها أحقاباً[٥]. وقد بلغني أنَّ من

(١) في (يه): في قصة أهل النار... وفي قصة أهل الجنة.
(٢) في المطبوع: أول وهلة.
(٣) في (يه): سوى، ومثله في مطبوع الكشاف ٢/ ٢٩٤.
(٤) النوابت: الحَشْوية، كذا شرحها الزمخشري في أساس البلاغة (نبت)، وقال في الكشاف تفسير نوح ٢١-٢٤ قيل للحشوية: النابتة والنوابت؛ لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه. اهـ.
(٥) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٣، والبزار في المسند (٢٤٧٨)، وفي إسناده أبو بَلْج، واسمه: يحيى بن سليم الفزاري الواسطي، ذكر له الذهبي في الميزان ٥/ ١٢٤ هذا الخبر وقال: هذا منكر، قال ثابت البناني: سألت الحسن عن هذا فأنكره. اهـ. وليس في =

الضُّلَّال مَن اغترَّ بهذا[١] الحديث فاعتقد[٢] أنَّ الكفار لا يخلدون في النار، وهذا ونحوُه والعياذُ بالله من الخذلان المُبِينِ، زادنا الله هدايةً إلى الحقِّ ومعرفةً بكتابه وتنبيهاً على أن نعقل[٣] عنه، ولئن صحَّ هذا عن ابن العاصي فمعناه أنهم يخرجون من حرِّ النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلوُّ جهنم وصَفْقُ أبوابها. انتهى.

وهو على طريق الاعتزال في تخليد أهل الكبائر غيرِ التائبين من المؤمنين في النار، وأمَّا ما ذكره من الاستثناء في أهل النار من كونهم لا يخلدون في عذاب النار إذ ينتقلون إلى الزمهرير فلا يَصْدُقُ عليهم أنهم خالدون في عذاب النار، فقد يتمشَّى، وأمَّا ما ذكره من الاستثناء في أهل الجنة من قوله: «خالدين» فلا يتمشَّى؛ لأنهم مع ما أعطاهم الله من رضوانه وما تفضَّل عليهم به من سوى ثواب الجنة لا يُخرجُهم ذلك عن كونهم خالدين في الجنة، فلا يصحُّ الاستثناءُ على هذا، بخلافِ أهل النار فإنه بخروجهم من عذابها إلى الزمهرير يصحُّ الاستثناء.

وقال ابن عطية: وأمَّا قوله: «إلا ما شاء ربُّك» فقيل فيه: إن ذلك على طريق الاستثناء الذي نَدَبَ الشرعُ إلى استعماله في كلِّ كلام، فهو على نحو قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧] استثناءٌ في واجبٍ، وهذا الاستثناءُ هو في حُكْم الشرط، كأنه قال: إنْ شاء الله، فليس يحتاجُ أن يوصَفَ بمتَّصلٍ ولا منقطع.

وقيل: هو استثناءٌ من طول المدة، وذلك على ما رُوِيَ أنَّ جهنم تَخْرَبُ وتَعْدَمُ أَهْلَها وتَخفقُ أبوابُها، فهم على هذا يخلدون حتى يصير أمرُهم إلى هذا، وهذا قولٌ مُحِيلٌ[٤]، والذي رُوي ونُقِلَ عن ابن مسعود وغيرِه أنها تخلو من النار إنَّما هو

= هذا الخبر قوله: وذلك عندما يلبثون فيها أحقاباً، وقد وردت هذه الزيادة ضمن خبر آخر عن ابن مسعود أخرجه الطبري ١٢/ ٥٨٢، وباقي الخبر موافق لخبر عبد الله بن عمرو ﷺ.

(١) في النسخ عدا (يه): من اعتبر هذا، والمثبت من (يه)، وهو الموافق لما في الكشاف.

(٢) في (دا) و(ز١): فاعتد أن، وفي (يه): فاغتر بأن، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما الكشاف.

(٣) في النسخ عدا (ز١): وتنبيهاً عن أن نغفل، والمثبت من (ز١)، وهو الموافق لما في الكشاف.

(٤) في المحرر الوجيز: مختل.

الدَّرْكُ الأعلى المختصُّ بعصاة المؤمنين، وهو الذي يُسمَّى جهنَم، وسمِّي الكلُّ به تجوُّزاً.

وقيل: «إلا» بمعنى الواو، فمعنى الآية: وما شاء الله زائداً على ذلك.

وقيل: «إلا» في هذه الآية بمعنى «سوى»، والاستثناءُ منقطعٌ، كما تقول: لي عندك ألْفَا درهم إلا الألفَ التي كنتُ أسلفتُك، بمعنى: سوى تلك الألفِ، فكأنه قال: خالدين فيها ما دامت السماواتُ والأرضُ سوى ما شاء الله زائداً على ذلك، ويؤيِّد هذا التأويلَ قولهُ تعالى بعد هذا: «عطاءً غيرَ مجذوذٍ»، وهذا قولُ الفرَّاء[١].

وقيل: سوى ما أُعِدَّ لهم من أنواع العذاب ممَّا لا يُعرف؛ كالزمهرير.

وقيل: استثناء من مدة السماوات والأرض التي فَرَطَتْ لهم في الحياة الدنيا.

وقيل: في البرزخ بين الدنيا والآخرة.

وقيل: في المسافات التي بينهم في دخول النار، إذ دخولُهم إنما هو زمراً بعد زمرٍ.

وقيل: الاستثناءُ من قوله: «ففي النار»، كأنه قال: إلا ما شاء ربُّكَ من تأخيرِ قومٍ عن ذلك. وهذا قولٌ رواه أبو نَضْرةَ عن جابرٍ أو عن أبي سعيد الخُدْريِّ[٢]، ثم أخبر منبِّهاً على قدرة الله تعالى فقال: «إن ربَّك فعَّالٌ لمَا يريد»[٣]. انتهى.

وقال أبو مجلز: إلا ما شاء ربُّكَ أن يتجاوز عنه بعد أن يكون جزاؤه الخلودَ في النار فلا يُدْخِلُه النار[٤].

---

(١) في معاني القرآن ٢/٢٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/٣١٣، والطبري ١٢/٥٨١، وأبو نضرة اسمه المنذر بن مالك. وقوله: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك، معناه: إلا مَن شاء ربك أن لا يدخلهم، وإنما لم يقل: مَن شاء، لأن المراد العدد لا الأشخاص. ينظر تفسير القرطبي ١١/٢١٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٠٨-٢٠٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ١/٣١٣، والطبري ٢/٥٨١.

وقيل: معنى «إلا ما شاء ربُّك» كما شاء ربُّك، قيل: كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: كما قد سلف.

وقرأ الحسن: «شُقُوا» بضم الشين والجمهورُ بفتحها[1].

وقرأ ابنُ مسعودٍ وطلحةُ بن مصرِّفٍ وابنُ وثَّابٍ والأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: «سُعدوا» بضم السين، وباقي السبعة والجمهورُ بفتحها[2]، وكان عليُّ بنُ سليمان يتعجَّبُ من قراءة الكسائيِّ «سُعدوا» مع عِلْمِه بالعربية[3]، ولا يُتعجَّب من ذلك، إذ هي قراءةٌ منقولةٌ عن ابن مسعود ومَن ذكرناه معه.

وقد احتجَّ الكسائيُّ بقولهم: مسعود.

قيل: ولا حجَّةَ فيه؛ لأنه يقال: مكانٌ مسعودٌ فيه، ثم حُذف «فيه» وسمِّي به.

وقال المهدويُّ: مَن قرأ: «سُعدوا» فهو محمولٌ على مسعود، وهو شاذٌّ قليلٌ؛ لأنه لا يقال: سَعِدَه الله، إنما يقال: أَسْعَدَه الله[4].

وقال الثعلبي: سَعِدَ وأَسْعَدَ بمعنىً واحدٍ[5].

وانتصب «عطاءً» على المصدر، أي: أُعْطُوا عطاءً، بمعنى: إعطاءً، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أي: إنباتاً.

ومعنى «غير مجذوذ»: غير مقطوعٍ، بل هو ممتدٌّ إلى غيرِ نهايةٍ[6].

---

(١) القراءات الشاذة ص٦١.
(٢) ينظر السبعة ص٣٣٩، والتيسير ص١٢٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٩.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٣، وعلي بن سليمان هو الأخفش الصغير، أبو الحسن المتوفى سنة (٣١٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٠-٤٨١.
(٤) تفسير القرطبي ١١/ ٢١٧.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٤١.
(٦) جاء بعدها في (ز١) ما نصه: كَمَل السفر الخامس من البحر المحيط تصنيف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسيّ، نزيل ديار مصر حرسها الله.
فُرغ من قراءة هذا السفر بحثاً ونظراً وتنقيحاً بالقبة المنصورية، الموضعِ المعهود لتفسير القرآن منها، يوم الاثنين الثالث لشهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة، على مصنفه عفا الله عنه وغفر لوالديه.
=

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ
وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا
لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ
وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ
وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ
وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ
وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا
نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ
وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

المفردات

الزلفة، قال الليث: طائفةٌ من أول الليل، والجمع: الزُّلَف.

وقال ثعلب: الزُّلَفُ أولُ ساعات الليل، واحدُها: زُلْفة.

وقال أبو عبيدة والأخفش وابنُ قتيبة: الزُّلف: ساعاتُ الليل وآناؤه، وكلُّ ساعةٍ زلفةٌ، وقال العجاج:

نـاجٍ طَـوَاهُ الأيْـنُ مـمَّـا وَجَـفَـا

= فُرغ من قراءة هذه السفر بحثاً ونظراً وتنقيحاً بالجامع الطولوني بالموضع المعهود لتفسير القرآن منه على مصنفه يوم الاثنين من شهر جمادى الأولى من سنة خمس وعشرين وسبع مئة.

طَـيَّ الـلـيـالـي زُلَـفـاً فـزُلَـفَـا
سَـمَـاوةَ الـهـلالِ حـتـى احْـقَـوْقَـفَـا(١)

وأصلُ الكلمة من الزُّلْفى وهي القُرْبةُ، ويقال: أَزْلَفَه فازْدَلَفَ، أي: قرَّبَه فاقترب، وأزْلَفني: أدناني.

الترف: النعمةُ، صبيٌّ مترَفٌ: مُنْعَم البدن، ومُتْرَفٌ أبطرته النعمةُ وسعةُ العيش، وقال الفرَّاء(٢): أُترف: عُوِّد التُّرْفةَ وهي النعمةُ.

* * *

التفسير ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ لـمَّا ذكر تعالى قصص عَبَدة الأوثان من الأمم السالفة، وأَتْبَعَ ذلك بذكر أحوال الأشقياء والسُّعداء شرح للرسول ﷺ أحوالَ الكفار من قومه، وأنهم متَّبعو آبائهم كحالِ مَن تقدَّم من الأمم في اتِّباع آبائهم في الضلال، و«هؤلاء» إشارةٌ إلى مشركي العرب باتِّفاقٍ، وأنَّ ديدنهم كديدن الأمم الماضية في التقليد والعَمَى عن النظر في الدلائل والحُجَج، وهذه تسليةٌ للرسول ﷺ، وَعَدَه بالانتقام منهم إذ حالُهم في ذلك حالُ الأمم السالفة، والأممُ السالفة قد قصصنا عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة.

والتشبيهُ في قوله: «كما يَعبدُ» معناه: أنَ حالهم في الشرك مثل حالِ أبنائهم من غير تفاوتٍ، وقد بلغك ما نزل بأسلافهم، فسينزِلُ بهم مثلُه. «وما يعبد» استئنافٌ جرى مجرى التعليل للنهي عن المِرْيةِ، و«ما» في «ممَّا» وفي «كما» يحتملُ أن تكون مصدريةً وبمعنى الذي.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٠٠، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢١٠، والرجز في ديوان العجاج ص٤٢٦، والكتاب ١/ ٣٥٩، وهو في وصف بعير، قال الأصمعي شارح الديوان: الأين: الفترة: وطواه: أضمره، والوجيف: ضرب من السير، وزلفاً فزلفاً، أي: منزلة بعد منزلة، وسماوة الهلال: شخصه، واحقوقف: اعوج. ينظر اللسان (زلف) وشرح شواهد سيبويه.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣١.

وقرأ الجمهور: «لموفُّوهم» مشدَّداً من وفَّى، وابنُ مُحَيْصِنٍ مخفَّفاً من أَوْفَى[(١)].

والنصيبُ هنا؛ قال ابن عباس: ما قدِّر لهم من خيرٍ ومن شرٍّ.

وقال أبو العالية: من الرزق.

وقال ابن زيد: من العذاب[(٢)]. وكذا قال الزمخشريُّ قال: كما وفَّينا آباءهم أنصباءهم[(٣)].

و«غير منقوص» حالٌ من «نصيبهم»، وهو عندي حالٌ مؤكِّدةٌ؛ لأنَّ التَّوْفيةَ تقتضي التكميلَ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف نُصب «غير منقوص» حالاً من النصيب الموفَّى؟

قلتُ: يجوزُ أن يوفَّى وهو ناقصٌ ويوفَّى وهو كاملٌ، ألا تراك تقول: وفَّيتُه شطرَ حقِّه، وحقَّه كاملاً وناقصاً[(٤)]. انتهى.

وهذه مَغْلَطةٌ، إذ قال: وفَّيتُه شطرَ حقِّه، فالتوفيةُ وقعت في الشطر، وكذا: ثلث حقِّه، والمعنى: أعطيتُه الشَّطْرَ أو الثلثَ كاملاً لم أَنْقُصْه منه شيئاً، وأمَّا قوله: وحقَّه كاملاً وناقصاً، أمَّا كاملاً فصحيحٌ، وهي حالٌ مؤكِّدةٌ؛ لأن التوفيةَ تقتضي الإكمال، وأما: وناقصاً، فلا يقال؛ لمنافاته التوفية.

والخطابُ في «فلا تكُ» متوجِّهٌ إلى مَن داخَلَه الشكُّ لا إلى الرسول ﷺ، والمعنى والله أعلم: قل يا محمدُ لكلِّ مَن شكَّ: لا تكُ في مريةٍ ممَّا يعبدُ هؤلاء فإنَّ الله لم يأمرهم بذلك، وإنما اتَّبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم وإعراضاً عن حجج العقول.

---

(١) القراءات الشاذة ص٦١.
(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٩، وتفسير الطبري ١٢/ ٥٩١-٥٩٢، وتفسير القرطبي ١١/ ٢١٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٥.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٩٥.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ لمَّا بيَّن تعالى إصرار كفار مكة على إنكار التوحيد ونبوَّةِ الرسول والقرآنِ الذي أتى به، بيَّن أن الكفار من الأمم السابقة كانوا على هذه السيرة الفاجرة مع أنبيائهم، فليس ذلك بِبِدْعٍ ممَّن عاصَرَ الرسولَ ﷺ، وضَرَبَ لذلك مَثَلاً، وهو إنزالُ التوراة على موسى فاختلفوا فيها، و«الكتابُ» هنا: التوراةُ، فقَبِلَه بعضٌ وأنكره بعضٌ، كما اختلف هؤلاء في القرآن.

والظاهرُ عودُ الضمير في «فيه» على «الكتاب» لقُرْبه، ويَجوزُ أن يعود على «موسى» عليه السلام، ويلزمُ من الاختلاف في أحدهما الاختلافُ في الآخر.

وجُوِّز أن تكون «في» بمعنى «على»، أي: فاختُلِفَ عليه، وكان بنو إسرائيلَ أشدَّ تعنُّتاً على موسى وأكثرَ اختلافاً عليه.

وقد تقدَّم شرحُ «ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك لقضي بينهم»[١]، والظاهر موسى عليه السلام؛ إذ هم المختلفون فيه أو في الكتاب.

وقيل: يعود على المختلِفِينَ في الرسول من مُعاصِرِيه. قال ابن عطيةَ: وأن يعمَّهم اللفظُ أحسنُ عندي[٢].

وهذه الجملةُ من جملة تسليته أيضاً.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ الظاهرُ عمومُ «كلّ» وشمولُه للمؤمن والكافر، وقال الزمخشري: التنوينُ عوضٌ من المضاف إليه، يعني: وإنَّ كلَّهم وإنَّ جميعَ المختلفين فيه[٣].

وقال مقاتل: يعني به كفارَ هذه الأمة[٤].

---

(١) ينظر تفسير الآية (١٩) في سورة يونس.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٥.
(٤) زاد المسير ٤/ ١٦٣.

وقرأ الحرميان وأبو بكرٍ: «وإنْ كلًّا» بتخفيف النون ساكنةً، وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ، وحمزةُ: «لمَّا» بالتشديد هنا وفي «يس» و«الطارق»[١]، وأجمعت السبعةُ على نصب «كلًّا»، فتصوَّرَ في قراءاتهم أربعُ قِراءات:

إحداها: تخفيفُ «إنْ» و«لمَا» وهي قراءةُ الحرميين.

والثانية: تشديدُهما، وهي قراءة ابن عامرٍ وحمزة وحفصٍ.

والثالثة: تخفيف «إنْ» وتشديدُ «لمَّا»، وهي قراءةُ أبي بكرٍ.

والرابعة: تشديدُ «إنَّ» وتخفيفُ «لمَا»، وهي قراءةُ الكسائي وأبي عمرو.

وقرأ أبيٌّ والحسنُ - بخلافٍ عنه - وأبانُ بن تَغْلِب: «وإنْ» بالتخفيف، «كلٌّ» بالرفع، «لمَّا» مشدَّداً[٢].

وقرأ الزهريُّ وسليمان بن أرقم: «وإن كلًّا لمًّا» بتشديد الميم وتنوينها[٣]، ولم يتعرضوا لتخفيف «إن» ولا تشديدها.

وقال أبو حاتم: الذي في مصحف أبيٍّ: «وإنْ مِن كلٍّ إلَّا ليُوفِّيَنَّهم»[٤].

وقرأ الأعمش: «وإنْ كلٌّ إلَّا» وهو حرفُ ابن مسعود[٥].

فهذه أربعةُ وجوهٍ في الشاذِّ، فأمَّا القراءةُ الأولى فإعمالُ «إن» مخفَّفة كإعمالها مشدَّدةً، وهذه المسألةُ فيها خلافٌ: ذهب الكوفيون إلى أنَّ تخفيف «إن» يُبْطِلُ عملها، ولا يجوزُ أن تعمل، وذهب البصريون إلى أنَّ إعمالها جائزٌ لكنه قليلٌ إلا مع المضمَر، فلا يجوزُ إلا إنْ ورد في شعرٍ، وهذا هو الصحيحُ؛ لثبوت ذلك في لسان العرب؛ حكى سيبويه: أنَّ الثقة أخبره: أنه سمع بعض العرب: إنْ عَمْراً لمنطلقٌ[٦]،

---

(١) السبعة ص٣٣٩، والتيسير ص١٢٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٠، والكشاف ٢/ ٢٩٥، لكن ذكر ابن عطية في هذه القراءة عن أبان بن تغلب أنه خفف «لما».
(٣) المحتسب ١/ ٣٢٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٠، والكشاف ٢/ ٢٩٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٠.
(٥) القراءات الشاذة ص٦١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٠، والكشاف ٢/ ٢٩٥.
(٦) الكتاب ٢/ ١٤٠.

ولثبوت هذه القراءة المتواترة، وقد تأوّلها الكوفيون.

وأمَّا «لَمَا»[١] فقال الفرَّاء[٢]: فاللامُ فيها هي اللامُ الداخلةُ على خبر «إنَّ»، و«ما» موصولةٌ بمعنى الذي، كما جاء: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء:٣] والجملةُ من القَسَم المحذوف وجوابِه الذي هو «ليوفِّينَّهم» صلةٌ لـ«ما»، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء:٧٢] وهذا وجهٌ حسنٌ، ومن إيقاع «ما» على مَن يَعْقِلُ قولُهم: لا سيما زيدٌ بالرفع، أي: لا سيَّ الذي هو زيدٌ.

وقيل: «ما» نكرةٌ موصوفةٌ، وهي لمن يَعْقِلُ، والجملةُ القَسَميةُ وجوابُها قامت مقامَ الصفة؛ لأنَّ المعنى: وإنْ كلًّا لخَلْقٌ موفًّى عملُه، ورجَّح الطبريُّ هذا القولَ واختاره[٣].

وقال أبو عليٍّ: العُرْفُ أن تدخل لامُ الابتداء على الخبر، والخبرُ هنا هو القَسَم، وفيه لامٌ تدخل على جوابه، فلمَّا اجتمع اللامان والقسمُ محذوفٌ، واتَّفقا في اللفظ وفي تلقِّي القسم، فُصِلَ بينهما بـ«ما» كما فَصَلوا بين «إنَّ» واللام[٤]. انتهى.

ويَظْهَرُ من كلامه أن اللام في «لَمَا» هي اللامُ التي تدخل في الخبر، ونصَّ الحوفيُّ على أنها لامُ «إن»، إلا أنَّ المنقولَ عن أبي عليٍّ أنَّ الخبر هو «ليوفِّينهم»، وتحريرُه ما ذكرنا، وهو القَسَمُ وجوابُه.

وقيل: اللامُ في «لَمَا» موطِّئةٌ للقسم، و«ما» مَزيدةٌ، والخبرُ الجملةُ القَسَميةُ وجوابُها، وإلى هذا القولِ في التحقيق يَؤُولُ قولُ أبي عليٍّ.

وأما القراءةُ الثانيةُ فتشديدُ «إنَّ» وإعمالُها في «كلّ» واضحٌ، وأما تشديدُ «لمَّا» فقال المبرِّد[٥]: هذا لحنٌ، لا تقول العرب: إنَّ زيداً لمَّا خارجٌ. وهذه جسارةٌ من

(١) يعني: المخففة، ولا يزال الكلام عن القراءة الأولى.
(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢٨.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٥٩٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٠.
(٤) الحجة ٤/ ٣٨٥-٣٨٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٠.
(٥) كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٥.

المبرِّد على عادته، وكيف تكونُ قراءةٌ متواترةٌ لحناً، وليس تركيبُ الآية كتركيب المثال الذي قال، وهو: إنَّ زيداً لمَّا خارجٌ، هذا المثالُ لحنٌ، وأمَّا في الآية فليس لحناً، ولو سكت وقال كما قال الكسائي: ما أدري ما وجهُ هذه القراءة[1]، لكان قد وفِّق.

وأمَّا غيرُ هذين من النحويين فاختلفوا في تخريجها:

فقال أبو عُبيدٍ: أصله: «لمًّا» منوَّناً، وقد قُرئ كذلك[2]، ثم بُني منه فَعْلى فصار كـ: تَتْرى، نُوِّن إذ جُعلت ألفُه للإلحاق كـ: أَرْطَى، ومُنعَ الصرفَ إذ جُعلت ألفَ تأنيثٍ، وهو مأخوذٌ من لَمَمْتُه، أي: جمعتُه، والتقديرُ: وإنَّ كلًّا جميعاً ليوفِّينهم، ويكون «جميعاً» فيه معنى التوكيد كـ«كلّ»، ولا يقال: «لمَّا» هذه هي «لمًّا» المنوَّنةُ وُقفَ عليها بالألف لأنها بدلٌ من التنوين وأُجري الوصلُ مُجْرَى الوقف. لأن ذلك إنما يكون في الشعر.

وما قاله أبو عبيدٍ بعيدٌ؛ إذ لا يُعرف بناءُ فَعْلَى من اللَّمِّ، ولمَا يلزمُ لمن أمالَ فَعْلَى أن يُميلَها، ولم يُمِلْها أحدٌ بالإجماع، ومن كتابتها[3] بالياء ولم تُكتب بها.

وقيل: «لمَّا» المشدَّدةُ هي «لمَا» المخفَّفةُ وشدَّدها في الوقف، كقولك: رأيت فَرَجّا، تريد: فَرَجاً، وأُجْرِيَ الوصلُ مُجرى الوقف.

وهذا بعيدٌ جدًّا، ورُوي عن المازنيّ.

وقال ابنُ جنِّي وغيرُه: تقع «إلَّا» زائدةً، فلا يَبْعُدُ أن تقع «لمَّا» بمعناها زائدةً. انتهى.

وهذا وجهٌ ضعيفٌ مبنيٌّ على وجهٍ ضعيف في «إلا».

وقال المازني: «إنَّ» هي المخفَّفةُ ثقِّلت، وهي نافيةٌ بمعنى «ما» كما خُفِّفت «إنْ» ومعناها المثقَّلةُ، و«لمَّا» بمعنى «إلا».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سلفت قريباً.

(٣) قوله: ومن كتابتها. . .، أي: ولمَا يلزم من كتابتها. . .

وهذا باطلٌ؛ لأنه لم يُعهد تثقيلُ «إنْ» النافية، ولنَصْبِ «كل»، و«إنْ» «لمَّا» بمعنى «إلَّا»، كقولك: نَشَدْتُكَ بالله لمَّا فعلتَ، تريد: إلَّا فعلتَ، وقاله الحَوْفيُّ، وضعَّفه أبو عليٍّ[1]؛ قال: لأنَّ «لمَّا» هذه لا تفارِقُ القَسَم. انتهى.

وليس كما ذَكَر، قد[2] تفارِقُ القَسَمَ، وإنمَّا يَبْطُلُ هذا الوجهُ لأنه ليس موضعَ دخولِ «إلا»، لو قلتَ: إنَّ زيداً إلَّا ضربتُه، لم يكن تركيباً عربيّاً.

وقيل: «لمَّا» أصلُها: لَمَنْ مَّا، و«مَن» هي الموصولةُ، و«ما» بعدها زائدةٌ، واللام في «لمَّا» هي داخلةٌ في خبر «إنَّ»، والصلةُ الجملةُ القَسَمية، فلمَّا أُدغمت ميم «مَن» في «ما» الزائدةِ اجتمعت ثلاثُ ميماتٍ فحذفت الوسطى منهنَّ، وهي المبدلةُ من النون، فاجتمع المِثْلان فأُدغمت ميمُ «مَن» في ميم «ما» فصار «لمَّا»، وقاله المهدوي.

وقال الفرَّاء[3] وتبعه جماعةٌ منهم نصرٌ الشيرازيُّ[4]: أصل «لمَّا»: لَمِن مَّا، دخلت «مِن» الجارَّة على «ما» كما في قول الشاعر:

**وإنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الكبشَ ضربةً ... على رأسِه تُلْقي اللسانَ من الفمِ[5]**

فعُمِلَ بها ما عُمِلَ في الوجه الذي قبله.

وهذان الوجهان ضعيفان جدًّا، لم يُعْهَدْ حذفُ نون «مَن» ولا حذفُ نونِ «مِن» إلَّا في الشعر إذا لَقِيَتْ لامَ التعريفِ أو شِبْهَهَا غيرَ المُدْغَمةِ، نحو قولهم: مِلْمال، يريدون: من المال.

وهذه كلُّها تخريجاتٌ ضعيفةٌ جدًّا يُنَزَّه القرآنُ عنها، وكنتُ قد ظهر لي فيها وجهٌ

---

(١) في الحجة ٤/ ٣٨٧.

(٢) في (ح): فقد.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٢٩.

(٤) نصر بن علي بن محمد، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفَسَوي النحوي، يعرف بابن أبي مريم، صنف: التفسير، وشرح الإيضاح للفارسي، قرئ عليه سنة (٥٦٥هـ). طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٤٤.

(٥) البيت لأبي حَيَّةَ النُّميري، كما في الكتاب ٣/ ١٥٦، والخزانة ١٠/ ٢١٤، وهو دون نسبة في المقتضب ٤/ ١٧٤، ومغني اللبيب ص٤٢٤.

جارٍ على قواعد العربية، وهو أنَّ «لمَّا» هذه هي «لمَّا» الجازمةُ حُذف فعلُها المجزومُ لدلالة المعنى عليه، كما حَذَفوه في قولهم: قاربتُ المدينةَ ولمَّا، يريدون: ولمَّا أدخُلْها، وكذلك هنا التقدير: وإنَّ كلًّا لمَّا يُنْقَصْ من جزاء عمله، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: «ليوفِّينَّهم ربُّك أعمالهم»، لمَّا أَخْبَرَ بانتفاءِ نَقْصِ جزاءِ أعمالِهم أكَّده بالقَسَم فقال: «ليوفِّينَّهم ربُّك أعمالَهم»، وكنتُ اعتقدْتُ أني سَبَقْتُ إلى هذا التخريجِ السائغِ العاري من التكلُّف، وذكرتُ ذلك لبعض مَن يقرأ عليَّ فقال: قد ذَكَر ذلك أبو عمرٍو بنُ الحاجب، ولتَرْكيَ النظرَ في كلام هذا الرجلِ لم أقف عليه، ثم رأيتُ في كتاب «التحرير» نَقْلَ هذا التخريجِ عن ابن الحاجب، قال: «لمَّا» هذه هي الجازمةُ حُذِفَ فعلُها للدلالة عليه؛ لمَا ثَبَتَ من جوازِ حذفِ فعلها في قولهم: خرجتُ ولمَّا، وسافرتُ ولمَّا، ونحوه، وهو سائغٌ فصيحٌ، فيكونُ التقدير: لمَّا يُتْركوا، لمَا تقدَّم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعينَ في قوله: «فمنهم شقيٌّ وسعيد»، ثم ذَكَرَ الأشقياءَ والسُّعداءَ ومجازاتَهم، ثم بيَّنَ ذلك بقوله: «ليوفِّينَّهم ربُّك أعمالَهم» قال: وما أعرفُ وجهاً أشبهَ من هذا، وإن كان النفوسُ تستبعدُه من جهةِ أنَّ مِثْلَه لم يقع في القرآن(١).

وأمَّا القراءةُ الثالثةُ والرابعةُ فتخريجُهما مفهومٌ من تخريج القراءتين قبلَهما.

وأمَّا قراءةُ أُبيٍّ ومَن ذُكِرَ معه: فـ«إنْ» نافية، و«لمَّا» بمعنى «إلَّا»، والتقدير: ما كلٌّ إلَّا واللهِ ليوفِّينَّهم، و«كلٌّ» مبتدأٌ والخبرُ الجملةُ القَسَميةُ وجوابُها التي بعد «لمَّا»، كقراءةِ مَن قرأ: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ﴾ [يس: ٣٢] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

ولا التفاتَ إلى قولِ أبي عبيدٍ والفرَّاءِ من إنكارهما أنَّ «لمَّا» تكون بمعنى «إلا»:

قال أبو عبيد: لم نجد هذا في كلام العرب، ومَن قال هذا لزِمَه أن يقول: رأيتُ القومَ لمَّا أخاك، يريد: إلَّا أخاك، وهذا غيرُ موجودٍ.

وقال الفرَّاء: أمَّا مَن جعل «لمَّا» بمعنى «إلا» فإنه وجهٌ لا نعرفُه، وقد قالت

(١) ينظر التذييل والتكميل للمصنف ٨/ ٣٧٩.

العرب مع اليمين: بالله لمَّا قمتَ عنَّا، و: إلَّا قمتَ عنَّا، فأمَّا في الاستثناء فلم تقُلْه في شعرٍ ولا غيره، ألا ترى أنَّ ذلك لو جاز لسُمع في الكلام: ذهب الناسُ لمَّا زيداً[(١)].

والقراءةُ المتواترةُ في قوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ و﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا﴾ حجةٌ عليهما، وكونُ لمَّا بمعنى: «إلَّا» نقلَه الخليلُ وسيبويه[(٢)] والكسائيُّ، وكونُ العرب خصَّصت مجيئَها ببعضِ التراكيب لا يَقْدَحُ، ولا يلزمُ اطِّرادُها في باب الاستثناء، فكم من شيءٍ خُصَّ بتركيبٍ دون ما أشبهه.

وأمَّا قراءةُ الزهريِّ وابنِ أَرْقَمَ: «لمًّا» بالتنوين والتشديد فـ«ما» مصدرٌ، من قولهم: لَمَمْتُ الشيءَ: جمعْتُه، وخرِّج نصبُه على وجهين:

أحدُهما: أن يكون صفةً لـ«كلًّا»، وُصِفَ بالمصدر وقدِّرَ «كلّ» مضافاً إلى نكرةٍ حتى يصحَّ الوصفُ بالنكرة، كما وُصِفَ به في قوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] وهذا تخريجُ أبي عليٍّ[(٣)].

والوجهُ الثاني: أن يكونَ منصوباً بقوله: «ليوفِّينَّهم» على حدِّ قولهم: قياماً لأقومنَّ، و: قعوداً لأقعدن، فالتقدير: توفيةً جامعةً لأعمالهم ليوفِّينَّهم، وهذا تخريجُ ابنِ جنِّي[(٤)].

وخبر «إن»[(٥)] على هذين الوجهين هو جملةُ القَسَم وجوابِه.

وأمَّا ما في مصحف أبيٍّ فـ«إنْ» نافيةٌ و«مِن» زائدةٌ.

وأمَّا قراءةُ الأعمش فواضحةٌ، والمعنى: جميع ما لهم.

قيل: وهذه الجملةُ تضمَّنت توكيداتٍ بـ«إن» وبـ«كل»، وباللام في الخبر،

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٢، وما بين حاصرتين منه.
(٢) الكتاب ١/ ٤٥٥.
(٣) في الحجة ٤/ ٣٨٨.
(٤) في المحتسب ١/ ٣٢٨.
(٥) لم يتعرض أصحاب هذه القراءة لتخفيف «إن» ولا لتشديدها كما سلف قريباً عند بسط القراءات المتعلقة بهذه الآية.

وبالقسم، وبـ«ما» إذا كانت زائدةً، وبنون التوكيد، وباللام قبلها، وذلك مبالغةٌ في وعد الطائع ووعيدِ العاصي، وأردف ذلك بالجملة المؤكَّدة وهي: «إنه بما يعملون خبير» وهذا الوصفُ يقتضي عِلْمَ ما خَفِيَ.

وقرأ ابن هُرْمُز: «بما تعملون» على الخطاب[(١)].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ قال ابن عيينة وجماعةٌ: معناه: استَقِمْ على القرآن[(٢)].

وقال الضحاك: استَقِمْ بالجهاد[(٣)].

وقال مقاتل: امْضِ على التوحيد.

وقال جماعةٌ: استقم على أمرِ ربِّك بالدعاء إليه.

وقال جعفرٌ الصادقُ: استقم في الإخبار عن الله بصحة العزم[(٤)].

وقال الزمخشري: فاستقم استقامةً مثلَ الاستقامةِ التي أُمِرْتَ بها على جادَّةِ الحقِّ غيرَ عادلٍ عنها[(٥)].

وقال ابن عطية: أُمر بالاستقامة وهو عليها، وهو أمرٌ بالدوام والثبوت، والخطابُ للرسول وأصحابه الذين تابوا من الكفر، ولسائرِ الأمة بالمعنى، و«أُمِرْتَ» مخاطبةُ تعظيم[(٦)]. انتهى.

وقيل: استفعَلَ هنا للطلب، أي: اطْلُبِ الإقامةَ على الدِّين، كما تقول: استغفر، أي: اطْلُبِ الغفران.

و«مَن تاب» معطوفٌ على الضمير المستكنِّ في «فاستقم»، وأَغْنَى الفاصلُ عن التوكيد.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢١١.
(٢) أخرجه الطبري ١٢/ ٥٩٩.
(٣) في (يه): على الجهاد.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٩٥، ولفظه: افتقر إلى الله بصحة العزم.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٩٥.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢١١.

«ولا تطغوا» قال ابن عباس: في القرآن، فتُحِلُّوا وتحرِّموا ما لم آمُرْكم به.

وقال ابن زيد: لا تَعْصُوا ربَّكم.

وقال مقاتل: لا تَخْلِطوا التوحيدَ بالشك[(١)].

وقال الزمخشري: لا تَخْرجوا عن حدود الله[(٢)].

وقرأ الحسن والأعمش: «بما يعملون» بالياء على الغَيبة[(٣)]، ورُويت عن عيسى الثَّقَفيِّ: «بصير» مطَّلعٌ على أعمالهم يراها ويُجازي عليها.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ قال ابن عباس: معنى الركونِ: الميلُ.

وقال السدِّيُّ وابنُ زيدٍ: لا تُداهِنوا الظَّلمةَ.

وقال قتادة: لا تَلْحَقوا بهم.

وقال سفيان: لا تَدْنوا إلى الذين ظلموا.

وقال أبو العالية: لا ترضَوْا أعمالَهم[(٤)].

وقيل: لا تُجالِسوهم.

وقال جعفرٌ الصادقُ: «إلى الذين ظلموا»: إلى أنفسكم فإنها ظالمةٌ. وهذا شبيهٌ بتفسير الباطنية.

وقيل: لا تتشبَّهوا بهم.

وقرأ الجمهور: «تركَنوا» بفتح الكاف، والماضي: رَكِنَ بكسرها، وهي لغةُ قريشٍ، وقال الأزهري: هي اللغةُ الفُصْحى[(٥)]. وعن أبي عمرو بكسر التاء على لغةِ

---

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٦٤، والثاني أخرجه عن ابن زيد الطبريُّ ١٢/ ٥٩٩ بلفظ: الطغيان خلافُ الله وركوب معصيته.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٩٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٠٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٠، وزاد المسير ٤/ ١٦٥.

(٥) تهذيب اللغة ١٠/ ١٨٩.

تميمٍ في مضارعِ عَلِمَ غيرِ الياء[١].

وقرأ قتادةُ وطلحةُ والأشهبُ ورُوِيَتْ عن أبي عمرو: «تركُنوا» بضمِّ الكافِ ماضي رَكَنَ بفتحها[٢]، وهي لغةُ قيسٍ وتميمٍ، وقال الكسائي: وأهل نجدٍ. وشذَّ يركَنُ بفتح الكافِ مضارعُ رَكَنَ بفتحها.

وقرأ ابنُ أبي عبلةَ: «ولا تُرْكَنوا» مبنيًّا للمفعول من أَرْكَنَه: إذا أماله[٣].

والنهيُ متناوِلٌ للانحطاطِ في هواهم، والانقطاع إليهم، ومُصاحَبَتِهم، ومُجالَسَتِهم، وزيارتِهم، ومُداهَنَتِهم، والرِّضا بأعمالهم، والتشبُّهِ بهم، والتَّزَيِّي بزِيِّهم، ومدِّ العينِ إلى زهرتهم، وذِكْرِهم بما فيه تعظيمٌ لهم، وتأمَّلْ قولَه: «ولا تركنوا» فإنَّ الركونَ هو الميلُ اليسير، وقولَه: «إلى الذين ظلموا»، أي الذين وُجِدَ منهم الظلمُ، ولم يقل: إلى الظالمين، قاله الزمخشري[٤].

وقال ابنُ عطيةَ: ومعناه: السكونُ إلى الشيء والرضا به، قال أبو العالية: الركونُ: الرضا، وقال ابن زيد: الركون: الإدْهان، والركونُ يقع في قليلِ هذا وكثيرِه، والنهيُ هنا يترتَّبُ من معنى الركونِ عن الميل إليهم بالشرك معهم إلى أقلِّ الرُّتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة، و«الذين ظلموا» هنا هم الكفرةُ، وهو النصُّ للمتأوِّلين، ويدخلُ بالمعنى أهلُ المعاصي[٥]. انتهى.

وقال سفيانُ الثوريُّ: في جهنم وادٍ لا يسكنُه إلا القرَّاء الزائرون الملوكَ.

وسُئلَ سفيانُ عن ظالمٍ أشرفَ على الهلاك في بريَّةٍ: هل يُسْقَى شربةَ ماءٍ؟ فقال: لا. فقيل له: يموتُ؟ فقال: دَعْه يموتُ.

وفي الحديث: «مَن دعا لظالمٍ بالبقاء فقد أحبَّ أن يُعْصَى اللهُ في أرضه».

---

(١) الكشاف ٢/٢٩٦، ولفظه: وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب: عَلِم يعلَم.

(٢) المحتسب ١/٣٢٩، وهي في القراءات الشاذة ص٦١ عن قتادة وحده.

(٣) الكشاف ٢/٢٩٦.

(٤) الكشاف ٢/٢٩٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢١٢.

وكتب إلى الزهريِّ حين خالطَ السلاطينَ أخٌ له في الدِّين كتاباً طويلاً قرَّعه فيه أشدَّ التقريع، يوقَفُ عليه في «تفسير» الزمخشري[١].

وقرأ ابنُ وثَّابٍ وعلقمةُ والأعمشُ وابنُ مصرِّفٍ وحمزةُ فيما رُوي عنه: «فتِمَسَّكم» بكسر التاءِ[٢] على لغةِ تميم.

والمسُّ كنايةٌ عن الإصابةِ، وانْتَصَبَ الفعلُ في جوابِ النهي، والجملةُ بعدها حالٌ، ومعنى «من أولياء»: من أنصارٍ يَقْدِرون على مَنْعِكم من عذابه.

«ثم لا تُنْصَرون» قال الزمخشريُّ: ثم لا يَنْصُرُكم هو؛ لأنه وَجَبَ في حكمته تعذيبُكم وتَرْكُ الإبقاءِ عليكم. فإنْ قلتَ: ما معنى «ثم»؟ قلتُ: معناها الاستبعادُ؛ لأنَّ النُّصرةَ من الله مستبعَدَةٌ مع استيجابِهم العذابَ وقضاءِ حكمته له[٣]. انتهى، وهي ألفاظُ المعتزلة.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «ثم لا تُنْصَروا» بحذفِ النونِ، والفعلُ منصوبٌ عطفاً على قوله: «فتمسَّكم»، والجملةُ حالٌ أو اعتراضٌ بين المتعاطفَيْن.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ سببُ نزولها ما في «صحيح مسلم» من حديثِ الرجل الذي عالج امرأةً أجنبيةً منه، فأصابَ منها ما سوى إتيانِها، فنزلت[٤].

وقيل: نزلت قبلَ ذلك واستعمَلَها الرسولُ ﷺ في قصة هذا الرجل، فقال

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٦، وعنه نقل المصنف ما سلف من أخبار، والمرفوع منها، وهو قوله: «مَن دعا لظالم...» قال عنه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٢/ ٨٧: لم أجده مرفوعاً وإنما رواه مرفوعاً ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن. اهـ. قلت: هو في كتاب الصمت وآداب اللسان (٢٣٠).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٦، وفيه: ... واقتضاء حكمته له.

(٤) ينظر حديث أنس ﷺ عند البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤). وحديث ابن مسعود ﷺ عند البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣). وحديث أبي أمامة ﷺ عند مسلم (٢٧٦٥). وحديث أبي اليَسَر ﷺ عند الترمذي (٣١١٥).

رجلٌ: أَلَهُ خاصةً؟ قال: «لا بل للناس عامةً»[(١)].

وانظرْ إلى الأمرِ والنهي في هذه الآياتِ، حيث جاء الخِطابُ في الأمر: «فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ» و«أَقِمِ الصلاةَ» موحَّداً في الظاهر، وإنْ كان المأمورُ به من حيث المعنى عامًّا، وجاء الخطابُ في النهي: «ولا تركَنوا» موجَّهاً إلى غيرِ الرسول ﷺ مخاطَباً به أمتُه، فحيث كان بأفعالِ الخيرِ توجَّهَ الخطابُ إليه، وحيث كان النهيُ عن المحظوراتِ عُدِلَ عن الخطابِ عنه إلى غيرِه من أمته، وهذا من جليلِ الفصاحةِ.

ولا خلافَ أنَّ المأمورَ بإقامتها هي الصَّلواتُ المكتوبةُ، وإقامتُها دوامُها، وقيل: أداؤها على تمامها. وقيل: فعلُها في أفضلِ أوقاتها. وهي ثلاثةُ الأقوالِ التي في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].

وانتصَبَ «طَرَفَي النهارِ» على الظَّرْفِ، وطَرَفُ الشيءِ يقتضي أن يكونَ من الشيء، فالذي يظهرُ أنهما الصبحُ والعصرُ لأنهما طَرَفَا النهارِ، ولذلك وقعَ الإجماعُ إلَّا مَن شذَّ على أنَّ مَن أكَلَ أو جامَعَ بعد طلوعِ الفجرِ متعمِّداً أنَّ يومَه يومُ فطرٍ وعليه القضاءُ والكفارةُ، وما بعد طلوع الفجرِ من النهار، وقد ادَّعى الطبريُّ والماورديُّ الإجماعَ على أنَّ أحدَ الطرفين الصُّبْحُ[(٢)]، والخلافُ في ذلك على ما نذكُرُه.

وممن قال: هما الصبحُ والعصرُ، الحسنُ وقتادةُ والضحاكُ[(٣)]، وقالوا: الزُّلَفُ: المغربُ والعشاءُ، وليست الظهرُ في هذه الآيةِ على هذا القولِ، بل هي في غيرِها[(٤)].

وقال مجاهدٌ ومحمد بنُ كعبٍ: الطرفُ الأولُ الصُّبْحُ، والثاني الظهرُ والعصرُ،

---

(١) قصة السؤال والجواب هي قطعة من حديث ابن مسعود ﷺ عند مسلم (٢٧٦٣)، وأخرج الترمذي (٣١١٣) من حديث معاذٍ ﷺ أن السائل هو معاذ نفسه ﷺ، إلا أن إسناده ليس بمتصل كما ذكر الترمذي.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٠١-٦٠٢ و٦٠٥، والنكت والعيون ٢/ ٥٠٨.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢، وأخرجه الطبري ١٢/ ٦٠٤-٦٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢.

والزلفُ المغربُ والعشاءُ[١]، وليست الصُّبْحُ في هذه الآيةِ[٢].

وقال ابنُ عباسٍ والحسنُ أيضاً: هما الصُّبْحُ والمغربُ، والزُّلفُ العشاءُ، وليست الظهرُ والعصرُ في الآية[٣].

وقيل: هما الظهرُ والعصرُ، والزلفُ المغربُ والعشاءُ والصبحُ، وكأنَّ هذا القائلَ راعَى الجهرَ بالقراءةِ والإخفاءَ.

واختارَ ابنُ عطيةَ قولَ مجاهدٍ[٤].

وجَعْلُ الظهرِ من الطَّرَفِ الثاني ليس بواضحٍ، إنما الظهرُ نصفُ النهارِ والنصفُ لا يسمَّى طرفاً إلَّا بمجازٍ بعيدٍ.

ورجَّحَ الطبريُّ قولَ ابنِ عباسٍ، وهو أنَّ الطرفَيْنِ هما الصبحُ والمغربُ[٥]، ولا نجعلُ المغربَ طرفاً للنهارِ إلَّا بمجازٍ، إنما هو طرفُ الليلِ.

وقال الزمخشريُّ: غدوةً وعَشِيَّةً، قال: وصلاةُ الغَدْوةِ الصبحُ وصلاةُ العَشِيَّةِ الظهرُ والعصرُ؛ لأنَّ ما بعدَ الزوالِ عشيٌّ، وصلاةُ الزُّلفِ المغربُ والعشاء[٦]. انتهى.

ولا يلزمُ من إطلاقِ العشيِّ على ما بعد الزوالِ أنْ يكونَ الظهرُ طرفاً للنهار؛ لأنَّ الأمرَ إنَّما جاءَ بالإقامةِ للصلاةِ في طرفي النهارِ لا في الغَدَاةِ والعشيِّ.

وقرأ الجمهورُ: «وزُلَفاً» بفتح اللامِ، وطلحةُ وعيسى البصرةِ وابنُ أبي إسحاقَ وأبو جعفرٍ بضمِّها كأنه اسمٌ مفردٌ، وقرأ ابنُ مُحَيْصِنٍ ومجاهدٌ بإسكانها، ورُوي

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢، وأخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٦٠٢-٦٠٣.
(٢) كذا ذكر المصنف، وهو سهوٌ منه رحمه الله، ولعل السبب فيه أن هذا القول كان في (ز١) كما يلي: هما الظهر والعصر، ثم ضرب على «هما» وكتب بدلها في الهامش: الطرف الأول الصبح والثاني، فصار القول إلى ما هو عليه، وتركت العبارة المذكورة سهواً، ومكانها فيما سيرد من القول بأن طرفي النهار هما الظهر والعصر.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢، وأخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٦٠٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٢.
(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٦٠٥.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٩٦.

عنهما وزُلْفَى على وزنِ فُعْلَى[١] على صفةِ الواحدِ من المؤنثِ، لمَّا كانت بمعنى المنزلةِ، وأمَّا القراءاتُ الأُخَر من الجموع فمنْزِلةٌ بعد مَنْزِلةٍ، فزُلَفٌ جمعٌ كظُلَم، وزُلُفٌ كبُسُرٍ في بُسْرٍ، وزُلْفٌ كبُسْرٍ في بُسْرةٍ، فهما اسما جنسٍ، وزُلْفَى بمنزلة الزُّلفةِ.

والظاهرُ عطفُ «وزُلَفاً من الليلِ» على «طرفي النهار»، عَطَفَ طَرَفاً على طرفٍ، وقال الزمخشريُّ وقد ذَكَرَ هذه القراءاتِ: وهو ما يَقْرُبُ من آخِرِ النهارِ من الليلِ، وقيل: «وزلَفاً من الليل»: وقُرَباً من الليلِ، وحقُّها على هذا التفسيرِ أنْ تُعطَفَ على «الصلاة»، أي: أَقِم الصلاةَ طرفي النهارِ وأقمْ زُلَفاً من الليل، على معنى: صلواتٍ تتقرَّبُ بها إلى الله عز وجل في بعضِ الليل[٢].

والظاهرُ عمومُ «الحسناتِ» من الصَّلواتِ المفروضةِ، وصيامِ رمضانَ، وما أَشْبَهَهما من فرائضِ الإسلام، وخصوصُ «السيئات» وهي الصغائرُ، ويدلُّ عليه الحديثُ الصحيحُ: «ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ»[٣].

وذهب جمهورُ المتأوِّلينَ من الصحابةِ والتابعينَ إلى أنَّ «الحسنات» يرادُ بها الصلواتُ الخمسُ، وإليه ذهب عثمانُ عند وضوئه على المقاعِدِ[٤]، وهو تأويلُ مالكٍ[٥]، وقال مجاهدٌ: الحسنات قولُ الرجلِ: سبحان الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلَّا الله والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم[٦]. وينبغي أن يُحمل هذا كلُّه على جهة المثال في «الحسنات»، ومن أَجْلِ أنَّ الصلواتِ الخمسَ هي أعظمُ الأعمال.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٦١، والمحتسب ١/ ٣٣٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٢. وقراءة أبي جعفر - وهو من القراء العشرة - في النشر ٢/ ٢٩١.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٩٧.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفَّاراتٌ لما بينهمن ما اجتنبت الكبائر»

(٤) أخرجه أحمد (٥١٣).

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٣.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/ ٦١٦.

والصغائرُ التي تَذْهَبُ هي بشرطِ التوبةِ منها وعَدَمِ الإصرارِ عليها، وهذا نصُّ حذَّاقِ الأُصوليينَ، ومعنى إذهابِها: تكفيرُ الصغائرِ، فالصغائرُ قد وُجِدَتْ وأذهبتِ الحسناتُ ما كان يترتَّبُ عليها لا أنها تذهبُ حقائقُها، إذ هي قد وُجِدَت.

وقيل: المعنى: إنَّ فِعْلَ الحسناتِ يكونُ لطفاً في ترك السيئات، لا أنها واقعةٌ، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والظاهرُ أنَّ الإشارةَ بقوله: «ذلك» إلى أقربِ مذكورٍ، وهو قولُه: «أَقِمِ الصلاةَ»، أي: إقامتُها في هذه الأوقاتِ ذكرى، أي: سببُ عِظَةٍ وتَذْكِرةٍ للذاكرين، أي: المتَّعظينَ.

وقيل: إشارةٌ إلى الإخبارِ بأنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ، فيكونُ في هذه الذكرى حضا[١] على فعلِ الحسنات.

وقيل: إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الوصيةِ بالاستقامة، وإقامةِ الصلاةِ، والنهيِ عن الطُّغيانِ والركونِ إلى الظالمين، وهو قولُ الزمخشريِّ[٢].

وقال الطبري: إشارةٌ إلى الأوامِرِ والنواهي في هذه السورة[٣].

وقيل: إشارةٌ إلى القرآن.

وقيل: «ذكرى» معناها: توبة.

ثم أمر تعالى بالصبر على التبليغِ والمكارِهِ في ذاتِ الله بعدَ ما تقدَّم من الأوامرِ والنواهي، ومنبِّهاً على محلِّ الصبرِ، إذ لا يتمُّ شيءٌ ممَّا وقعَ الأمرُ به والنهيُ عنه إلَّا به، وأتى بعامٍّ وهو قوله: «أجرَ المحسنين» ليندرجَ فيه كلُّ مَن أَحْسَنَ بسائرِ خصالِ الإحسان ممَّا يَحتاجُ إلى الصبر فيه وما قد لا يَحتاجُ، كطَبْعِ مَن خُلِقَ كريماً فلا يتكلَّفُ الإحسانَ إذ هو مركوزٌ في طبعه.

وقال ابن عباس: المحسنون هم المصلُّون. كأنه نظر إلى سياقِ الكلام.

(١) كذا في النسخ، والجادة: حضٌّ، بالرفع، وجاء في المحرر الوجيز ٣/ ٢١٣ (والكلام منه): فتكون هذه الذكرى تحض...

(٢) في الكشاف ٢/ ٢٩٧.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٦١٧.

وقال مقاتل: هم المخلِصونَ.

وقال أبو سليمان: المحسِنونَ في أعمالهم[١].

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ «لولا» هنا للتحضيض صَحِبَها معنى التفجُّعِ والتأسُّفِ الذي ينبغي أنْ يقعَ من البشرِ على هذه الأممِ التي لم تهتدِ، وهذا نحوُ قوله: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٦٠] و«القرونُ» قومُ نوحٍ وعادٌ وثمودُ ومَن تقدَّم ذكرُه، والبقيةُ هنا يرادُ بها الخيرُ والنظرُ والحَزْمُ في الدِّين، وسمِّي الفضلُ والجودُ بقيةً لأنَّ الرجلَ يستَبْقي ممَّا يخرجُه أجودَه وأفضلَه، فصار مَثَلاً في الجُودةِ والفَضْلِ، ويقال: فلانٌ من بقيةِ القومِ، أي: من خيارِهم، وبه فسَّر بيتُ الحماسةِ:

إنْ تُذْنِبوا ثم يأتيني بقيتكم[٢]

ومنه قولُهم: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا، وإنما قيل: «بقية»؛ لأنَّ الشرائعَ والدولَ ونحوَها قوتُها في أوَّلِها، ثم لا تزالُ تَضعُفُ، فَمَنْ ثَبَتَ في وقتِ الضعفِ فهو بقيةُ الصَّدْرِ الأول.

و«بقية» فَعِيلَة، اسمُ فاعلٍ للمبالغة.

وقال الزمخشري: ويجوزُ أن تكونَ البقيةُ بمعنى البَقْوَى كالتَّقِيةِ بمعنى التقوى، أي: فهلَّا كان منهم ذَوو إبقاءٍ على أنفسِهم وصيانةٍ لها من سَخَطِ الله وعقابه[٣].

وقرأتْ فرقةٌ: «بَقِيَة» بتخفيفِ الياءِ اسم فاعلٍ من بقي، نحو شَجِيَتْ فهي شَجِيَة، وقرأ أبو جعفر وشيبةُ: «بُقْيَة» بضمِّ الباءِ وسكونِ القافِ وزن فُعْلَة[٤].

---

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٧٠.

(٢) وعجزه: فما عليَّ بذنب عندكم فوت، وهو في الحماسة بشرح المرزوقي ١/ ١٦٨-١٦٩، ونُسب فيه لرويشد بن كثير الطائي.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٧.

(٤) القراءتان في المحرر الوجيز ٣/ ٢١٤، وقد وهَّم صاحب النشر ٢/ ٢١٢ أبا حيان في هذه القراءة - ولعله لم يقف عليها عند ابن عطية - فقال: روى ابن جماز بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء، وهي قراءة شيبة...، وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء فوهم.

وقُرئ: «بَقْيَة» على وزن فَعْلَة للمرة من بَقَاه يَبْقِيه: إذا رَقَبَه وانتظرَه، والمعنى: فلولا كان منهم أُولو مراقبةٍ وخشيةٍ من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعَه بهم لإشفاقهم[1].

والفسادُ هنا الكفرُ وما اقترنَ به من المعاصي، وفي ذلك تنبيهٌ لهذه الأمة وحضٌّ لها على تغييرِ المنكَرِ.

«إلا قليلاً» استثناءٌ منقطعٌ، أي: لكن قليلاً ممن أنجينا منهم نَهَوا عن الفساد، وهم قليلٌ بالإضافة إلى جماعاتهم، ولا يصحُّ أنْ يكونَ استثناءً متصلاً مع بقاءِ التحضيضِ على ظاهرِهِ؛ لفسادِ المعنى وصيرورَتِه إلى أنَّ الناجين لم يحرِّضوا على النهي عن الفساد.

والكلامُ عند سيبويه بالتحضيض واجبٌ، وغيرُه يراه منفيًّا من حيث معناه أنه لم يكنْ فيهم أُولو بقيةٍ[2]، ولهذا قال الزمخشري بعد أنْ مَنَعَ أنْ يكونَ متَّصلاً: فإنْ قلتَ: في تحضيضِهم على النهيِ عن الفسادِ معنَى نفيِه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرونِ أُولو بقيةٍ إلَّا قليلاً، كان استثناءً متصلاً ومعنىً صحيحاً، وكان انتصابُه على أصلِ الاستثناء، وإنْ كان الأفصحُ أنْ يرجعَ على البَدَل[3]. انتهى.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «إلا قليلٌ» بالرفع، لَحِظَ أنَّ التحضيضَ تَضمَّنَ النفيَ فأبدَلَ كما يُبْدَلُ في صريحِ النفي.

وقال الفرَّاء: المعنى: فلم يكن، لأنَّ في الاستفهامِ ضرباً من الجَحْدِ[4]. وأَبَى الأخفشُ كونَ الاستثناءِ منقطعاً.

والظاهرُ أنَّ «الذين ظلموا» هم تارِكُو النهيِ عن الفساد، و«ما أُتْرِفوا فيه»، أي: ما نُعِّموا فيه من حبِّ الرياسةِ والثروةِ وطلبِ أسبابِ العيشِ الهنيِّ، ورفضوا ما فيه

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢١٤، وفيه: و«قليلاً» نصب على الاستثناء، وهو منقطع عند سيبويه، والكلام عنده موجب، وغيره يراه منفياً. . .إلخ، وينظر الكتاب ٢/ ٣٢٥.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٩٨، وفيه: . . . أن يُرفع على البدل. وهو الصواب.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٧ و٢/ ٣٠.

صلاحُ دينهم. و«اتَّبَعَ» استئنافُ إخبارٍ عن حالِ هؤلاء الذين ظلموا، وإخبارٌ عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهيِ عن الفسادِ كانوا مجرمين، أي: ذَوِي جرائمَ غيرِ ذلك.

وقال الزمخشريُّ: إنْ كان معناه: واتَّبعوا الشهواتِ، كان معطوفاً على مضمرٍ؛ لأنَّ المعنى: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نَهَوا عن الفسادِ في الأرض واتَّبع الذين ظلموا شهواتِهم، فهو عطفٌ على «نَهَوا»، وان كان معناه: واتَّبعوا جزاءَ الإترافِ، فالواو للحالِ، كأنه قيل: أنجينا القليلَ وقد اتَّبع الذين ظلموا جزاءَهم، وقال: «وكانوا مجرمين» عَطْفٌ على «أُترفوا»، أي: اتَّبعوا الإترافَ، وكونُهم مجرمين لأنَّ تابعَ الشهواتِ مغمورٌ بالآثام[١]. انتهى.

فجعَلَ «ما» في قوله: «ما أُترفوا فيه» مصدريةً، ولهذا قدَّره: اتَّبعوا الإترافَ، والظاهرُ أنها بمعنى «الذي» لعَوْدِ الضميرِ في «فيه» عليها.

وأجاز أيضاً أن يكون معطوفاً على «اتَّبعوا»، أي: اتَّبعوا شهواتِهم وكانوا مجرمينَ بذلك، قال: ويجوزُ أن يكونَ اعتراضاً وحُكماً عليهم بأنهم قومٌ مجرمون[٢]. انتهى.

ولا يسمَّى هذا اعتراضاً في اصطلاحِ النحوِ لأنه آخِرُ آيةٍ، فليس بين شيئين يحتاجُ أحدُهما إلى الآخَرِ[٣].

وقرأ جعفر بنُ محمدٍ والعلاءُ بن سَيَابةَ - كذا في كتاب «اللوامح» - وأبو عمرٍو في رواية الجُعْفي: «وأُتْبِعَ»[٤] ساكنةَ التاءِ مبنيةً للمفعول على حذفِ مضافٍ لأنه ممَّا يتعدَّى إلى مفعولينِ، أي: جزاءَ ما أُتْرِفوا فيه.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ويجوز عند أهل المعاني أن تكون الجملة الاعتراضية في آخر الكلام، كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ١٥٩.

(٤) في النسخ والمطبوع: وأتبعوا، وهو سبق قلم من المصنف رحمه الله، والمثبت من المصادر، ينظر القراءات الشاذة ص٦٢، والمحتسب ١/ ٣٣١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٤، والكشاف ٢/ ٢٩٨، والجعفي هو الحسين بن علي أبو عبد الله وأبو محمد الجعفي مولاهم الكوفي. سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧. والعلاء بن سيابة لم أقف له على ترجمة.

وقال الزمخشريُّ: ويجوزُ أن يكونَ المعنى في القراءةِ المشهورةِ أنهم اتَّبعوا جَزاءَ إترافهم، وهذا معنىً قويٌّ لتقدُّمِ الإنجاء، كأنه قيل: إلَّا قليلاً ممن أنجينا منهم وهَلَكَ السائرُ[١].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ تقدَّمَ تفسيرُ شبيهِ هذه الآيةِ في «الأنعام»[٢] إلَّا أنَّ هنا «لِيُهْلِكَ» وهي آكَدُ في النفي؛ لأنه على مذهبِ الكوفيين زِيدَتِ اللامُ في خبرِ «كان» على سبيلِ التوكيدِ، وعلى مذهبِ البصريين توجَّه النفيُ إلى الخبرِ المحذوفِ المعلِّ به اللامُ.

وهنا «وأهلها مصلحون»، قال الطبريُّ: بشِرْكٍ منهم وهم مُصْلحون، أي: مصلِحون في أعمالهم وسِيَرِهم وعَدْلِ بعضِهم في بعضٍ، أي: أنهم لا بدَّ من معصيةٍ تقترنُ بكُفْرِهم، قاله الطبريُّ ناقلاً[٣].

قال ابنُ عطية: وهذا ضعيفٌ، وإنما ذهب قائلُه إلى نحوِ ما قيل: إنَّ الله يُمهلُ الدولَ على الكفرِ ولا يُمْهِلُها على الظلم والجَوْرِ، ولو عَكَسَ لكان ذلك متَّجِهاً، أي: ما كان الله ليعذِّبَ أمّةً بظلمهم في معاصيهم وهم مُصلحون في الإيمان. والذي رجَّحَ ابنُ عطيةَ أن يكون التأويل: بظلمٍ منه[٤]، تعالى عن ذلك.

وقال الزمخشري: «وأهلُها مصلحون» تنزيهاً لذاته عن الظلم، وإيذاناً بأنَّ إهلاكَ المُصلِحين من الظلم[٥]. انتهى، وهو مصادِمٌ للحديثِ: أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»[٦]، وللآية: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) الكشاف ٢/٢٩٨.

(٢) الآية: (١٣١).

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٦٣٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٤، وعنه نقل المصنف، وعبارة الطبري: «بظلم»، يعني: بشِرْكٍ، «وأهلها مصلحون»: فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم وإن كانوا مشركين، وإنما يهلكهم إذا تظالموا.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٥.

(٥) الكشاف ٢/٢٩٨.

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش ﵂.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ قال الزمخشري: يعني لاضْطَرَّهم إلى أنْ يكونوا أهلَ ملةٍ واحدةٍ، وهي ملةُ الإسلام، قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء:٩٢] وهذا كلامٌ يتضمَّنُ نفيَ الاضطرارِ، وأنه لم يَقْهَرْهم على الاتِّفاقِ على دينِ الحقِّ، ولكنه مكَّنهم من الاختيارِ الذي هو أساسُ التكليفِ فاختارَ بعضُهم الحقَّ وبعضُهم الباطلَ، فاختلفوا، «ولا يزالون مختلفينَ إلا مَن رَحِمَ ربُّكَ» إلَّا ناساً هداهم الله ولَطَفَ بهم فاتَّفقوا على دينِ الحقِّ غيرَ مختلفينَ فيه[١]. انتهى، وهو على طريقةِ الاعتزالِ.

وقال ابنُ عباسٍ وقتادةُ: أمةً واحدةً مؤمنةً حتى لا يقعَ منهم كفرٌ، لكنه تعالى لم يَشَأْ ذلك[٢].

وقال الضحاك: لو شاء لَجعَلَهم على هدىً أو ضلالةٍ[٣].

والظاهرُ أنَّ قوله: «ولا يزالون مختلفين» هو من الاختلافِ الذي هو ضدُّ الاتِّفاقِ وأنَّ المعنى: في الحقِّ والباطلِ، قاله ابن عباس.

وقال مجاهدٌ: في الأديان.

وقال الحسن: في الأرزاقِ والأحوالِ من تسخيرِ بعضِهِم لبعضٍ.

وقال عكرمة: في الأهواء[٤].

وقال ابنُ بحر: المراد أنَّ بعضَهم يَخْلُفُ بعضاً، فيكون الآتي خَلَفاً للماضي، قال: ومنه قولُهم: ما اخْتَلَفَ الجديدان، أي: خَلَفَ أحدُهما صاحِبَه[٥].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٨.

(٢) ذكره بهذا اللفظ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢١٥ عن قتادة، وأخرجه عنه بنحوه الطبري ١٢/ ٦٣٢، وذكره عن ابن عباس بنحوه: أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٧١.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٥١١، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٤/ ١١٥٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨].

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٣٣-٦٣٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٣-٢٠٩٤، والنكت والعيون.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٥١١. والجديدان: الليل والنهار، ومن أمثالهم: لا أفعل ذلك ما اختلف الجديدان. الصحاح (جدد)، والمستقصى ٢/ ٢٤٥.

«وإلَّا مَن رَحِمَ» استثناءٌ متصلٌ من قوله: «ولا يزالون مختلفين» ولا ضرورةَ تدعو إلى أنه بمعنَى«لكن» فيكونَ استثناءً منقطعاً كما ذهب إليه الحَوْفيُّ. والإشارةُ بقَوله: «ولذلك خَلَقهم» إلى المصدرِ المفهومِ من قوله: «مختلفين» كما قال:

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه[1]

فعاد الضميرُ إلى المصدرِ المفهومِ من اسمِ الفاعلِ، كأنه قيل: وللاختلافِ خَلَقهم، ويكونُ على حذفِ مضافٍ، أي: لثمرةِ الاختلافِ من الشقاوةِ والسعادةِ خَلَقهم، ودلَّ على هذا المحذوفِ أنه قد تقرَّرَ من قاعدةِ الشريعةِ أنَّ الله تعالى خَلَقَ خَلْقاً للسعادةِ وخَلْقا للشقاوةِ ثم يسَّر كلًّا لمَا خُلِقَ له، وهذا نصٌّ في الحديثِ الصحيحِ[2]، وهذه اللامُ في التحقيقِ هي لامُ الصيرورةِ في ذلك المحذوفِ، أو تكونُ لَامَ الصيرورةِ بغيرِ ذلك المحذوفِ، أي: خَلَقهم ليصيرَ أمرُهم إلى الاختلافِ، ولا يتعارضُ هذا مع قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] لأنَّ معنى هذا الأمْرُ بالعبادةِ.

وقال مجاهدٌ وقتادةُ: «ذلك» إشارةٌ إلى الرحمةِ التي تضمَّنَها قولُه: «إلَّا مَن رَحِمَ ربُّك» والضميرُ في «خلقهم» عائدٌ على المحرومين[3].

وقال ابنُ عباسٍ واختاره الطبريُّ: الإشارةُ بـ«ذلك» إلى الاختلافِ والرحمةِ معاً، فيكونُ على هذا أُشيرَ بالمفردِ إلى اثنينِ، كقوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الفارضِ والبِكْرِ، والضمير في «خلقهم» عائدٌ على الصِّنفين: المستثنَى والمستثنَى منه[4].

وليس في هذه الجملةِ ما يمكنُ أن يعودَ عليه الضميرُ إلا الاختلافُ كما قال

(١) وعجزه: وخالف والسفيهُ إلى خلاف، وهو في مجالس ثعلب ص٦٠، والخصائص ٣/ ٤٩، والمحتسب ١/ ١٧٠، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٧٣، والخزانة ٥/ ٢٢٦. وقوله: جرى إليه، أي: إلى السَّفه. وجاء في رواية: إذا زُجِرَ السفيه...

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٦)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي ﷺ، وأخرجه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٥، وأخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٦٣٩-٦٤٠ مختصراً بلفظ: للرحمة.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٣٨-٦٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٥.

الحسنُ وعطاءٌ، أو الرحمةُ كما قال مجاهدٌ وقتادةُ، أو كلاهما كما قال ابنُ عباسٍ[١]، وقد أَبْعَدَ المتأوِّلونَ في تقديرِ غيرِ هذه الثلاثِ، فرُوِيَ أنه إشارةٌ إلى ما بعدَه، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: وتمَّتْ كلمةُ ربِّكَ لأملأنَّ جهنمَ من الجِنَّةِ والناسِ أجمعين ولذلك خلقهم، أي: لمَلْءِ جهنم منهم، وهذا بعيدٌ جدًّا من تراكيبِ كلامِ العرب.

وقيل: إشارةٌ إلى شهودِ ذلك اليومِ المشهود.

وقيل: إلى قوله: «فمنهم شقيٌّ وسعيد».

وقيل: إشارةٌ إلى أنْ يكونَ فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وقيل: إشارةٌ إلى قوله: «يَنْهَوْنَ عن الفسادِ في الأرض».

وقيل: إشارةٌ إلى العباد.

وقيل: إلى الجنةِ والنارِ.

وقيل: للسعادةِ والشقاوَةِ.

وقال الزمخشري: «ولذلك» إشارةٌ إلى ما دلَّ عليه الكلامُ أولاً يعني: ولذلك من التمكينِ والاختيارِ الذي عنه الاختلافُ خَلَقَهم، ليُثيبَ مختارَ الحقِّ بحُسْنِ اختيارِه ويعاقِبَ مختارَ الباطِلِ بسوءِ اختيارِه[٢]. انتهى، وهذا على طريقةِ الاعتزال.

ولولا أنَّ هذه الأقوالَ سُطرت في كتبِ التفسيرِ لضَرَبْتُ عن ذِكْرِها صَفْحاً.

«وتمَّتْ كلمةُ ربِّك»، أي: نَفَذَ قضاؤه وحَقَّ أمرُه. واللامُ في «لأملأنَّ» هي التي يُتلقَّى بها القَسَمُ، إذ الجملةُ قبلَها ضمِّنت معنى القَسَمِ، كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ثم قال: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٨١].

والجِنَّةُ والجِنُّ بمعنىً واحدٍ، قال ابنُ عطيةَ: والهاءُ فيه للمبالغةِ، وإنْ كانَ الجنُّ يقعُ على الواحدِ فالجنَّةُ جمعُه[٣]. انتهى، فيكونُ ممَّا يكونُ فيه الواحدُ بغيرِ

(١) أخرج قول الحسن الطبريُّ ١٢/ ٦٣٧، وسلف تخريج باقي الأقوال قريباً.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٩٨-٢٩٩، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٦.

هاءٍ وجمعُه بالهاء كقولِ بعض العرب: كَمْءٌ، للواحِدِ، و: كماْةٌ، للجمع.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ الظاهرُ أنَّ «كلًّا» مفعولٌ به والعاملُ فيه «نقصُّ»، والتنوينُ عِوَضٌ من المحذوفِ، والتقديرُ: وكلَّ نبأ نقصُّ عليك، و«من أنباءِ الرسلِ» في موضعِ الصفةِ لقوله: «وكلًّا» إذ هي مضافةٌ في التقديرِ إلى نكرةٍ، و«ما» صلةٌ كما هي في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣] قيل: أو بَدَلٌ[١]، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو ما نثبِّتُ، فتكونُ «ما» بمعنى الذي أو مصدريةً.

وأجازوا أن ينتصبَ «كلًّا» على المصدر و«ما نثبِّتُ» مفعولٌ به بقوله: «نقصُّ»، كأنه قيل: ونقصُّ عليك الشيءَ الذي نثبِّتُ به فؤادَكَ كلَّ قصٍّ.

وأجازوا أنْ يكونَ «كلًّا» نكرةً بمعنى: جميعاً، وينتصبُ على الحالِ من المفعولِ الذي هو «ما»، أو من المجرورِ الذي هو الضميرُ في «به» على مذهبِ مَن يجوِّزُ تقديمَ حالِ المجرورِ بالحرفِ عليه[٢]، التقدير: ونقصُّ عليكَ من أنباء الرسلِ الأشياءَ التي نثبِّتُ بها فؤادَك جميعاً، أي: المثبِّتةَ فؤادَكَ جميعاً.

قال ابنُ عباس: نثبِّتُ نسكِّنُ. وقال الضحاك: نشدُّ. وقال ابنُ جُريجٍ: نقوِّي[٣].

وتثبيتُ الفؤادِ هو بما جَرَى للأنبياء عليهم الصلاةُ والسلامُ ولأتباعِهِم المؤمنين، وما لَقُوا من مكذِّبيهم من الأذَى، ففي هذا كلِّه أسوةٌ بهم، إذ المشاركةُ في الأمورِ الصعبةِ تهوِّنُ ما يَلْقَى الإنسانُ من الأذى.

ثم الإعلامُ بما جَرَى على مكذِّبيهم من العقوباتِ المستأصِلةِ بأنواعٍ - من العذابِ من غرقٍ وريحٍ ورَجْفةٍ وخَسْفٍ وغيرِ ذلك - فيه طمأنينةٌ للنفسِ وتأنيسٌ بأنْ يصيبَ اللهُ مَن كذَّبَ الرسولَ ﷺ بالعذابِ كما جَرَى لمكذِّبي الرسلِ، وإنْباءٌ له عليه الصلاةُ والسلامُ بحُسْنِ العاقبةِ له ولأتباعِهِ كما اتَّفَقَ للرسلِ وأتباعِهِم.

---

(١) أي: من «كلًّا».

(٢) وهو مذهب الأخفش كما ذكر السمين في الدر المصون ٦/ ٤٢٨.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٣٤٤، وفيه: قال ابن عباس: نسدِّد، وقال الضحاك: نقوِّي، وقال ابن جريج: نصبِّر حتى لا تجزع.

والإشارةُ بقوله: «في هذه» إلى «أنباء الرسل» التي قصَّها الله تعالى عليه، أي: النبأُ الصدقُ الحقُّ الذي هو مطابقٌ لمَا جَرَى ليس فيه تغييرٌ ولا تحريفٌ كما ينقلُ شيئاً من ذلك المؤرِّخون.

و«موعظةٌ»، أي: اتِّعاظٌ وازْدِجارٌ لسامِعِه «وذكرى» لمَنْ آمَنَ، إذ الموعظةُ والذِّكرى لا ينتفعُ بهما إلَّا المؤمنُ، كقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١٠].

وقال ابنُ عباسٍ: الإشارةُ إلى السورةِ والآياتِ التي فيها تُذْكَرُ قِصصُ الأمم، وهذا قولُ الجمهورِ(١) ووجهُ تخصيصِ هذه السورةِ بوَصْفِها بالحقِّ والقرآنُ كلُّه حقٌّ: أنَّ ذلك يتضمَّنُ معنى الوعيدِ للكفرةِ والتنبيهِ للناظرِ، أي: جاءَكَ في هذه السورةِ الحقُّ الذي أصابَ الأممَ الظالمةَ، وهذا كما يقالُ عند الشدائد: جاء الحقُّ، وإنْ كانَ الحقُّ يأتي في غيرِ شديدةٍ وغيرِ ما وجهٍ ولا يُسْتَعْمَلُ في ذلك: جاء الحق.

وقال الحسنُ وقتادةُ: الإشارةُ إلى دارِ الدنيا(٢). قال قتادةُ: و«الحقّ»: النبوَّة.

وقيل: إشارةٌ إلى السورةِ مع نظائرِها.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ «اعْمَلوا» صيغةُ أمرٍ، ومعناه التهديدُ والوعيدُ، والخطابُ لأهلِ مكةَ وغيرِها، «على مكانتكم»، أي: جهتِكم وحالِكم التي أنتم عليها.

وقيل: اعْمَلوا في هلاكي على إمكانِكم، «وانتظروا» بنا الدوائرَ «إنَّا منتظِرون» أن يَنْزِلَ بكم نحوُ ما اقتَصَّ اللهُ من النِّقمِ النازلةِ بأشباهِكُم. ويُشْبِهُ أنْ تكونَ آيتا موادَعةٍ فلذلك قيل: إنهما منسوختان.

وقيل: مُحْكَمَتان، وهما للتهديدِ والوعيدِ والحربُ قائمة.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ لا يَخْفَى عليه شيءٌ من أعمالكم، ولا حظَّ لمخلوقٍ في علمِ الغيب.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٦. وأخرج قول ابن عباس الطبري ١٢/ ٦٤٤.
(٢) أخرجه عنهما الطبري ١٢/ ٦٤٦-٦٤٧.

وقرأ نافعٌ وحفصٌ: «يُرْجَعُ» مبنيا للمفعول[(١)].

«الأَمْرُ كلُّه» أمرُهم وأمرُك، فينتقمُ لك منهم.

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: «غيب السماوات والأرض»، أي: علمُ ما غابَ في السماواتِ والأرضِ، أضافَ الغيبَ إليهما توسُّعاً[(٢)]. انتهى.

والجملةُ الأُولى دلَّتْ على أنَّ عِلْمَه محيطٌ بجميعِ الكائناتِ: كلِّيِّها وجُزْئِيِّها، حاضِرِها وغائِبِها؛ لأنه إذا أحاطَ عِلْمُه بما غابَ فهو بما حَضَر محيطٌ؛ إذ عِلْمُه تعالى لا يتفاوَتُ، والجملةُ الثانيةُ دلَّتْ على القدرةِ النافذةِ والمشيئةِ، والجملةُ الثالثةُ دلَّتْ على الأمرِ بإفرادِ مَن هذه صفاتُه بالعبادةِ الجسديةِ والقلبيةِ، والعبادةُ أُولَى الرتبِ التي يتحلَّى بها العبدُ، والجملةُ الرابعةُ دلَّتْ على الأمرِ بالتوكُّلِ، وهي أخيرةُ الرُّتبِ؛ لأنه بنورِ العبادةِ أَبْصَرَ أنَّ جميعَ الكائناتِ معذوقةٌ بالله تعالى، وأنه هو المتصرِّفُ وحدَه في جميعها لا يَشْرَكُه في شيءٍ منها أحدٌ من خَلْقِهِ، فوَكَلَ نفسَه إليه تعالى ورَفَضَ سائرَ ما يُتَوَهَّمُ أنه سببٌ في شيءٍ منها، والجملةُ الخامسةُ تضمَّنَتِ التنبيهَ على المُجازاةِ فلا يُضيعُ طاعةَ مطيعٍ، ولا يُهْمِلُ حالَ متمرِّدٍ.

وقرأ الصاحبانِ وحفصٌ وقتادةُ والأعرجُ وشَيبةُ وأبو جعفرٍ والجَحْدرِيُّ: «تعملون» بتاءِ الخطابِ؛ لأنَّ قبله: «اعْمَلوا على مكانتكم»، وقرأ باقي السبعةِ بالياء على الغيبةِ، واختُلِفَ عن الحسنِ وعيسى بنِ عُمرَ[(٣)].

(١) السبعة ص٣٤٠، والتيسير ص١٢٦.
(٢) تفسير القرطبي ١١/ ٢٣٩، وما بين حاصرتين منه.
(٣) ينظر السبعة ص٣٤٠، والتيسير ص١٢٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٧، وعنه نقل المصنف.

# سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ
نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ
ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ
لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى
غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى
لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى
غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً
يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ
أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ
فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ

بِثَمَنٍۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ
لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن
نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا
يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ
ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا
سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ
هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ
وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا
رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

**المفردات**

الطَّرْحُ للشيء: رَمْيُه والإلقاؤه، وطَرَح عليه الثوبَ: ألقاه، وطَرَحْتُ الشيءَ: أبْعَدْتُه، ومنه قولُ عُروةَ بنِ الوَرْد:

**ومَن يَكُ مِثْلي ذا عيالٍ ومُقْتِراً ... من المالِ يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ**(١)

والنَّوى: الطَّرُوحُ البعيدةُ.

الجُبُّ: الرَّكِيَّةُ التي لم تُطْوَ، فإذا طُوِيَتْ فهي بئرٌ، قال الأعشى:

**لئن كنتَ في جبٍّ ثمانينَ قامةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السماءِ بسلَّمِ**(٢)

ويُجمع على: جِبَب وجِبَاب وأَجْبَاب، وسمِّي جُبًّا لأنه قُطِعَ في الأرض، من جَبَبْتُ، أي: قطعتُ.

الالتقاط: تناوُلُ الشيء من الطريقِ، يقال: لَقَطه والْتَقَطه، وقال:

**ومَنْهَلٍ وَرَدْتُه الْتِقاطا**(٣)

---

(١) ديوان عروة ص٤٠.
(٢) ديوان الأعشى ص١٧٣.
(٣) الرجز لنقادة الأسدي، كما في شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص٢٠٠، واللسان

ومنه: اللُّقَطَةُ واللَّقِيطُ.

ارْتَعَى: افْتَعَلَ من الرَّعْي بمعنى المُراعاةِ، وهي الحفظُ للشيء، أو من الرَّعْي وهو أكلُ الحشيشِ والنباتِ، يقال: رَعَتِ الماشيةُ الكَلَأَ ترعاه رَعْياً: أكلتْهُ، والرِّعْيُ بالكسر: الكلأُ، ومثلُه: ارْتَعَى، قال الأعشى:

تَرْتَعي السَّفْحَ فالكَثيبَ فذاقا ... رِ فرَوْضَ القَطا فذاتَ الرِّمالِ[(١)]

رَتَع: أقامَ في خِصْبٍ وتنعَّم، ومنه قولُ الغَضْبانِ بنِ القَبَعْثَرَى[(٢)]: القيدُ والرَّتْعةُ وقِلَّةُ التَّعْتَعة، وقول الشاعر:

أكُفراً بعدَ ردِّ الموتِ عنِّي ... وبعدَ عطائِكَ المئةَ الرِّتاعا[(٣)]

الذِّئب: سَبُعٌ معروفٌ، وليس في صُقْعِنا الأندلسيِّ، ويُجْمَعُ على أَذْؤُبٍ وذئابٍ وذُؤْبانٍ، قال:

وأَزْوَرَ يَمْطو في بلادٍ بعيدةٍ ... تَعَاوَى به ذؤبانُه وثعالبُهْ[(٤)]

وأرضٌ مَذْأَبةٌ: كثيرةُ الذِّئاب، وتذاءَبَتِ الريحُ: جاءتْ من هنا ومن هنا فِعْلَ الذئبِ، ومنه: الذُّؤابةُ من الشَّعَرِ لكونها تَنُوسُ إلى هنا وإلى هنا.

---

= (فرط) و(لقط)، وعزاه البكري في فصل المقال ١/ ٥٠٨ لأبي محمد الفقعسي، وهو دون نسبة في إصلاح المنطق ص٧٩و١٠٩، والأمثال لأبي عبيد ص٣٧٦، والصحاح (لقط)، والمستقصى ٢/ ٢٨٥، وبعده: لم ألقَ إذ وردْتُه فُرَّاطا. قال البكري: أورده اللغويون شاهداً على: لقيتُه التقاطاً، أي: لقيته من غير طلب ولا تعمدٍ ولا قصدٍ إلى لقائه.

(١) ديوان الأعشى، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤، ومعجم ما استعجم ٣/ ١٠٠٥، واللسان والتاج (رأل). وقول المصنف: الرمال، خطأ، والصواب: الرئال، كما في المصادر. وذات الرئال وروض القطا موضع بديار بني قيس بن ثعلبة كما ذكر البكري.

(٢) الغضبان بن القبعثرى الأسعدي ثم الشيباني من الفرسان، قيل: كان من علماء العرب، وروي عنه أنه لما خلع أهل البصرة الحجاج قال لهم: تعشوا الجديَ قبل أن يتغداكم، ثم حبسه الحجاج بعد ذلك، وذُكر له أنه لم يكذب قط، فدعا به يوماً وقال: والله ليكذبن اليوم، فقال له لمَّا أُتي به: سمنت يا غضبان، فقال: القَيْد والرتعة، والخفض والدعة، وقلة التعتعة، ومن يك ضيف الأمير يسمن، وجرى بينهما كلام يدل على ذكائه وسرعة بديهته. ينظر جمهرة الأمثال ٥/ ٣٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٦، وفصل المقال ص٥٣.

(٣) البيت للقُطامي، وهو في ديوانه ص٣٧، وسلف عند تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

(٤) البيت لذي الرُّمة، وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

وقفتُ على رَبْعٍ لميَّةَ ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأُخاطِبُهْ

الكَذِب بالدالِ المُهْمَلَةِ: الكَدِر، وقيل: الطريُّ.

سَوَّلَ من السَّوَلِ[١]، ومعناه: سَهَّلَ، وقيل: زَيَّنَ.

أَدلَى الدَّلْوَ: أرسلَها ليملأَها، ودَلاها يَدْلُوها: جَذَبها وأخرجَها من البئر، قال:

لا تَـقْـلُـواهـا وادْلُـواهـا دَلْـوَا[٢]

والدَّلوُ معروفٌ، وهي مؤنَّثةٌ، فتصغَّر على دُلَيَّةٍ وتُجمع على أَدْلٍ ودِلَاءٍ ودليٍّ[٣].

البضاعة: القطعةُ من المالِ تُجعلُ للتجارةِ، من بَضَعْتُه: إذا قَطَعْته، ومنه المِبْضَع.

المُراوَدَة: الطلبُ برفقٍ ولينِ القولِ، والرَّوْد: التأنِّي، يقال: أَرْوَدني: أَمْهَلَني، والرِّيادةُ: طلبُ النكاح، ومشى رُويداً، أي: برفقٍ.

أغلقَ البابَ وأَصْفَدَه وأَقْفَلَه بمعنىً، وقال الفرزدقُ:

مـا زلـتُ أُغْـلِـقُ أبـوابـاً وأفْـتَـحُـهـا حتـى أتيـتُ أبـا عـمـرِو بـنِ عـمـارِ[٤]

«هَيْتَ» اسمُ فعلٍ بمعنى: أَسْرِعْ.

قدَّ الثوبَ: شقَّه.

السَّيِّد فَيْعِلُ، من سادَ يسودُ، يُطْلَقُ على المالِكِ وعلى رئيسِ القومِ، وفَيْعِل بناءٌ مختصٌّ بالمعتلِّ، وشذَّ بَيْئِس وصَيْقِل اسمُ امرأةٍ.

السِّجْن: الحَبْس.

* * *

(١) بفتحتين، وهو الاسترخاء. ينظر الكشاف ٢/ ٣٠٨، وروح المعاني ١٢/ ٢٤٥.

(٢) وبعده: إنَّ مع اليوم أخاه غَدْوَا، وهذا الرجز ذكره دون نسبة الخطابي في غريب الحديث ٢/ ٢٤٤، وابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٣٨، والعسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٤، والزمخشري في المستقصى ١/ ٤١٤.

(٣) بضم الدال وكسرها. القاموس (دلو).

(٤) الكتاب ٤/ ٦٣ و٥٠٦، والأصول في النحو ٣/ ١١٩، وهو في أدب الكاتب ص٤٦١، والبيان والتبيين ١/ ٣٢١ برواية: ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها. والبيت قاله الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء كما ذكر سيبويه.

التفسير ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ هذه السورةُ مكيةٌ كلُّها، وقال ابنُ عباسٍ وقتادةُ: إلا ثلاثَ آياتٍ من أوَّلها[١].

وسببُ نزولِها: أنَّ كفارَ مكةَ أمرتْهم اليهودُ أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عن السببِ الذي أحلَّ بني إسرائيلَ بمصر، فنزلت.

وقيل: سببُه تسليةُ الرسولِ ﷺ عمَّا يفعلُه به قومُه بما فَعَلَ إخوةُ يوسفَ به.

وقيل: سألتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ أنْ يحدِّثهم أمرَ يعقوبَ وولدِه وشأنَ يوسفَ.

وقال سعد بن أبي وقاصٍ: أُنزلَ القرآنُ فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصتَ علينا فنزلتْ[٢].

ووجهُ مناسَبتها لمَا قبلَها وارتباطِها أنَّ في آخِرِ السورةِ التي قبلَها: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ وكان في تلك الأنباءِ المقصوصةِ فيها ما لاقى الأنبياءُ من قومهم، فأتْبَعَ ذلك بقصةِ يوسفَ وما لاقاه من إخوتِهِ، وما آلَتْ إليه حالُه من حُسْنِ العاقبةِ، ليحصُلَ للرسول ﷺ التسليةُ الجامعةُ لمَا يُلاقيه من أذى البعيدِ والقريبِ، وجاءتْ هذه القصةُ مطوَّلةً مستوفاةً، فلذلك لم تتكرَّرْ في القرآنِ، إلَّا ما أَخْبَرَ به مؤمنُ آلِ فرعونَ في سورةِ غافرٍ[٣].

والإشارةُ بـ«تلك آيات» إلى «الر» وسائرِ حروفِ المعجمِ التي تركَّبَتْ منها آياتُ القرآنِ، أو إلى التوراةِ والإنجيلِ، أو الآياتِ التي ذُكرت في سورةِ هودٍ، أو إلى آياتِ السورةِ و«الكتاب المُبين» السورةُ، أي: تلك الآياتُ التي أُنزلت إليك في هذه السورةِ. أقوال.

والظاهرُ أنَّ المرادَ «بالكتاب»: القرآنُ، و«المبين» إمَّا البيِّنُ في نفسِه الظاهِرُ أمرُه في إعجازِ العربِ وتبكيتهم، وإمَّا المُبِينُ الحلالَ والحرامَ والحدودَ والأحكامَ،

(١) النكت والعيون ٣/ ٥.
(٢) أخرجه البزار (٣٢١٨)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والطبري ١٢/ ٨، وابن حبان (٦٢٠٩)، والحاكم ٢/ ٣٤٥، وصححه.
(٣) الآية (٣٤) منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

وما يُحتاجُ إليه من أمرِ الدِّين، قاله ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ[١]. أو المبينُ الهدى والرشدَ والبركةَ، قاله قتادةُ[٢]. أو المبينُ ما سألَتْ عنه اليهودُ، أو ما أَمَرَتْ أن يُسْأَلَ[٣] من حالِ انتقالِ آلِ يعقوبَ من الشامِ إلى مصرَ وعن قصةِ يوسفَ. أو المبينُ من جهةِ بيانِ اللسانِ العربيِّ وجَوْدتِه، إذ فيه ستةُ أحرفٍ لم تُجمَعْ في لسانٍ، رُوي هذا عن معاذِ بنِ جَبَلٍ[٤]، قال المفسرون: وهي الطاءُ والظاءُ والضادُ والصادُ والغينُ والخاءُ[٥]. انتهى.

والضميرُ في «إنَّا أنزلناه» عائدٌ على «الكتاب» الذي فيه قصةُ يوسفَ. وقيل: على القرآنِ.

وقيل: على نبأ يوسفَ، قاله الزجَّاجُ[٦] وابنُ الأنباريِّ. وقيل: هو ضميرُ الإنزالِ، و«قرآناً» هو المفعولُ به. وهذان ضعيفان.

وانتصَبَ «قرآناً»؛ قيل: على البَدَل من الضمير. وقيل: على الحالِ الموطِّئة. وسمِّيَ بعضُ القرآن قرآناً لأنه اسمُ جنسٍ يقعُ على القليلِ والكثيرِ.

و«عربيًّا» منسوبٌ إلى العربِ، والعربُ جمعُ عربيٍّ كرُومٍ ورُوميٍّ. وعَرَبَةُ: ناحيةُ دارِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما الصلاةُ والسلام، قال الشاعر:

وعَرْبةُ أرضٌ ما يُحِلُّ حرامَها ... من الناسِ إلا اللَّوْذَعيُّ الحُلاحِلُ[٧]

ويعني النبيَّ ﷺ، أُحِلَّتْ له مكةُ[٨]، وسكَّنَ الشاعرُ راءَ عربةَ ضرورةً.

---

(١) زاد المسير ٤/ ١٧٧، وأخرجه عن مجاهدٍ الطبريُّ ١٣/ ٥.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٦.
(٣) في (ح): تَسأل، وفي (ز١): تُسْأل.
(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٦.
(٥) في (ح) و(ز١) و(يه): والغين والخاء، وفي باقي النسخ: والعين والخاء، والمثبت من روح المعاني ١٢/ ١٧٧ حيث قيد الآلوسي فقال: والعين والخاء المهملتان.
(٦) في معاني القرآن ٣/ ٨٧.
(٧) البيت في تهذيب اللغة، والفائق ٣/ ٣١٥، ومعجم البلدان ٤/ ٩٧، واللسان والتاج (عرب)، وعزاه ياقوت لأبي طالب نقلاً عن إسحاق بن الفرج. وينظر التعليق الذي بعده.
(٨) قلت: وكذا شرحوا البيت في باقي المصادر، وهذا الشرح ينافي نسبة البيت لأبي طالب؛ لأن مكة أحلت للنبي ﷺ يوم الفتح، وكان هذا بعد وفاة أبي طالب بستين.

قيل: وإنْ شئتَ نسبتَ القرآن إليها ابتداءً، أي: على لغةِ أهلِ هذه الناحيةِ.

«لعلكم تعقلون» ما تضمَّنَ من المعاني واحْتَوَى عليه من البلاغةِ والإعجازِ فتؤمنونَ، إذ لو كانَ بغيرِ العربيةِ لقلتُم: لولا فصِّلت آياتُه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ القَصَصُ مصدرُ قَصَّ، واسمُ مفعولٍ: إمَّا لتسميتِهِ بالمصدرِ، وإمَّا لكونِ الفَعَلِ يكونُ للمفعولِ كالقَبَضِ والنَّقَض. والقَصَصُ هنا يحتمِلُ الأوجهَ الثلاثةَ، فإنْ كان المصدرَ فالمرادُ بكونه أحسنَ أنه اقتُصَّ على أبدعِ طريقةٍ وأحسنِ أسلوبٍ، ألا تَرَى أنَّ هذا الحديثَ مقتصٌّ في كتب الأوَّلينَ وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصَه في كتابٍ منها مُقارِباً لاقتصاصِهِ في القرآنِ، وإن كان المفعولَ فكانَ أحسنَه لمَا يتضمَّنُ من العِبَرِ والحِكَمِ والنُّكَتِ والعجائبِ التي ليست في غيرِه.

والظاهرُ أنه أحسنُ ما يُقَصُّ في بابه، كما يقال للرجل: هو أعلمُ الناسِ وأفضلُهم، يرادُ: في فنِّه.

وقيل: كانت هذه السورةُ أحسنَ القَصَصِ لانفرادِها عن سائرِها بما فيها من ذِكْرِ الأنبياءِ والصالحينَ، والملائكةِ والشياطينِ، والجِنِّ والإنسِ، والأنعام والطيرِ، وسِيَرِ الملوكِ والممالكِ، والتجارِ والعلماءِ، والرجالِ والنساءِ وكيدِهنَّ ومكرِهن، مع ما فيها من ذِكْرِ التوحيدِ والفقهِ، والسِّيَرِ والسياسةِ، وحُسْنِ الملكة، والعفوِ عند المَقْدِرة، وحُسْنِ المعاشرةِ، والحيلِ، وتدبيرِ المعاشِ والمعادِ، وحسنِ العاقبةِ في العفَّةِ، والجهادِ، والخلاصِ من المرهوبِ إلى المرغوب، وذِكْرِ الحبيبِ والمحبوبِ، ومَرْأى السنينَ، وتعبيرِ الرؤيا، والعجائبِ التي تصلُحُ للدِّين والدنيا.

وقيل: كانت أحسنَ القَصَصِ لأنَّ كلَّ مَن ذُكِرَ فيها كان مآلُه إلى السعادةِ، انظُرْ إلى يوسفَ وأبيه وإخوَتِهِ وامرأةِ العزيزِ، والملكُ أسلمَ بيوسُفَ وحَسُنَ إسلامُه، ومعبِّر الرؤيا الساقي، والشاهِدُ فيما يقالُ.

وقيل: «أحسن» هنا ليست أفعلَ التفضيلِ بل هي بمعنى: حَسَن، كأنه قيل: حَسَنَ القصصِ، من بابِ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوف، أي: القَصَصَ الحَسَنَ.

و«ما» في «بما أوحينا» مصدريةٌ، أي: بإيحائنا، وإذا كانَ «القَصَصُ» مصدراً فمفعولُ «نقصُّ» من حيث المعنَى هو «هذا القرآنَ» إلَّا أنه من بابِ الإعمالِ، إذ تنازَعَه «نقصُّ» و«أوحينا»، فأُعْمِلَ الثاني على الأكثر، والضمير في «مِن قَبْلِه» يعودُ على الإيحاءِ، وتقدّمتْ مذاهبُ النُّحاةِ في «إنْ» المخفَّفةِ، ومجيءِ اللَّامِ في ثاني الجزأينِ[١].

ومعنَى «من الغافلين»: لم يكُنْ لك شعورٌ بهذه القصةِ، ولا سَبَقَ لك عِلْمٌ فيها، ولا طَرَقَ سَمْعَكَ طَرَفٌ منها.

والعاملُ في «إذ»؛ قال الزمخشريُّ وابنُ عطيةَ: اذْكُرْ[٢]، وأجازَ الزمخشريُّ أنْ تكونَ بدلاً من «أحسنَ القصصِ»، قال: وهو بدلُ اشتمالٍ؛ لأنَّ الوقتَ يشتمِلُ على القصصِ وهو المقصوصُ، فإذا قُصَّ وقتُه فقد قُصَّ[٣].

وقال ابنُ عطيةَ: ويجوزُ أنْ يَعْمَلَ فيه «نقصُّ»، كأنَّ المعنى: نقصُّ عليكَ الحالَ إذ[٤].

وهذه التقديراتُ لا تتَّجه حتى تُخْلَعَ «إذ» من دلالتها على الوقتِ الماضي وتُجرَّدَ للوقتِ المُطْلَقِ الصالحِ للأزمانِ كلِّها على جهة البَدَلية.

وحَكَى مكِّي أنَّ العامل في «إذ»: «الغافلين»[٥]، والذي يَظْهَرُ أنَّ العاملَ فيه «قال يا بني»، كما تقولُ: إذ قام زيدٌ قامَ عمرو، وتبقَى «إذ» على وضعِها الأصليِّ من كونها ظرفاً لمَا مضَى.

و«يوسف» اسمٌ عبرانيٌّ، وتقدَّمَتْ ستُّ لغاتٍ فيه، ومَنْعُه الصرفَ دليلٌ على

(١) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [البقرة:١٤٣]
(٢) الكشاف ٢/ ٣٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٠١.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٩.
(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١/ ٣٧٧.

بُطْلانِ قولِ مَن ذَهَبَ إلى أنه عربيٌّ مشتقٌّ من الأسف، وإنْ كان في بعضِ لغاته يكونُ فيه الوزن الغالب؛ لامتناعِ أنْ يكونَ أعجميًّا غيرَ أعجميٍّ.

وقرأ طلحةُ بنُ مصرِّفٍ بالهمز وفتحِ السين[١].

وقرأ ابنُ عامرٍ وأبو جعفرٍ والأعرجُ: «يا أبتَ» بفتح التاء، وباقي السبعةِ والجمهورُ بكسرِها، ووَقَفَ الابنانِ عليها بالهاء[٢]. وهذه التاءُ عِوَضٌ من ياءِ الإضافةِ فلا يجتمعانِ، وتجامعُ الألفَ التي هي بدلٌ من التاءِ، قال:

يـــا أَبَـتَـــا عَـــلَّـــكَ أو عَـــسَـــاكـــا[٣]

ووجهُ الاقتصارِ على التاءِ مفتوحةً: أنه اجتزأ بالفتحةِ عن الألفِ[٤]، أو رخَّمَ بحذفِ التاءِ ثم أُقحِمَت[٥]، قاله أبو عليٍّ[٦]، أو الألفُ في «أبتا» للنُّدبةِ فحذَفَها، قاله الفرَّاءُ وأبو عُبيدة وأبو حاتم وقُطْرُبٌ[٧]، ورُدَّ بأنه ليسَ موضعَ نُدبةٍ، أو الأصلُ: يا أبةً بالتنوينِ، فحذف، والنداءُ بابُ حذفٍ، قاله قطربٌ، وردَّ بأنَّ التنوينَ لا يُحذَفُ من المنادَى المنصوبِ، نحو: يا ضارباً رجلاً.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٩.

(٢) السبعة ص٣٤٤، والتيسير ص٦٠ و١٢٧، والنشر ٢/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٩.

(٣) الرجز في الكتاب ٢/ ٣٧٥، والخزانة ٥/ ٣٦٢، وعزاه سيبويه لرؤبة، وقبله كما ذكر البغدادي: تقول بنتي قد أَنَى إِنَاكا. وقال البغدادي: والأكثرون على أن هذا الرجز لرؤبة بن العجاج لا للعجاج. اهـ. وهو في ملحقات ديوان رؤبة ص١٨١. قوله: أنى، فعل ماضٍ بمعنى قرب، والإنى: الوقت، وأَنَى إناك: حان حينك، أي: حين ارتحالك إلى سفر تطلب رزقاً لعلك إن سافرت أصبت ما نحتاج إليه. الخزانة ٥/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٤) يعني أنهم أرادوا: يا أبتي، بالياء، ثم أبدلت الياء ألفاً فصارت: يا أبتا، فحذفت الألف وبقيت الفتحة على التاء. ونسب هذا للبصريين. ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٩٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٤٥.

(٥) وهذا جارٍ مجرى قولهم: يا طلحةَ أقبل، بفتح التاء في طلحة، حيث رخَّموه بحذف التاء، ثم عادت التاء مفتوحة، ولم يُعتدَّ بحركتها قبل الترخيم وهي الضم، ومثله قولهم اجتمعت اليمامة، ثم قالوا: اجتمعت أهل اليمامة، فردُّوا لفظة أهل ولم يعتدُّوا بها، ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢١٩، والدر المصون ٦/ ٤٣٥.

(٦) الحجة ٣/ ٢٤٤.

(٧) ذكره عنهم النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣١١، وقول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٢.

وفتح أبو جعفرٍ ياء «إني»[١].

وقرأ الحسنُ وأبو جعفرٍ وطلحةُ بنُ سليمان: «أَحَدَ عْشَرَ» بسكونِ العينِ[٢] لتوالي الحركات، وليَظْهَرَ جَعْلُ الاسمينِ اسماً واحداً.

و«رأيتُ» هي حُلُميةٌ لدلالةِ متعلَّقها على أنه منامٌ، والظاهرُ أنه رأى في منامه كواكبَ والشمسَ والقمرَ.

وقيل: رأى إخوتَه وأبويه فعبَّر عنهم بذلك، وعبَّر بالشمسِ عن أمِّه، وقيل: عن خالته راحيلَ لأنَّ أمَّه كانتْ ماتَتْ.

ومن حديثِ جابرِ بنِ عبدِ الله أنَّ يهودياً يسمَّى[٣] جاء إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن أسماءِ الكواكبِ التي رآها يوسفُ، فسكتَ عنه، ونزلَ جبريلُ فأخبره بأسمائها، فدعا رسولُ الله ﷺ اليهوديَّ فقال: «هل أنت مؤمنٌ إنْ أخبرتُك بذلك؟» فقال: نعم، قال: «خرتانُ، والطارقُ، والذيَّالُ، وذو الكتفين، وقابِسٌ، ووثَّابٌ، وعمودان، والفليقُ، والمصبحُ، والطروحُ، وذو الفرعِ، والضياءُ، والنورُ» فقال اليهوديُّ: إي واللهِ إنها لأسماؤها[٤]. وذَكَرَ السهيليُّ مسنداً إلى الحارِث بنِ أبي أسامةَ، فذَكرَ الحديثَ، وفيه بعضُ اختلافٍ، وذكر النطح عِوَضاً عن المصبح[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص٦٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣١٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٩، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٧٩.

(٣) وقع بعدها في (ز١) بياض، وسقطت من (ح) والمطبوع، وقد جاء اسمه في بعض المصادر كما سيرد: بستانة، وفي أكثرها: بستاني. وقال الحافظ بن حجر في الإصابة ١/ ٢٣٤: وبستاني أورده ابن فتحون في الذيل في الباء الموحدة، ورأيته في نسخة من تفسير ابن مردويه بضم الياء التحتانية بعدها سين مهملة ثم مثناة ثم ألف ثم نون مفتوحة بعدها ياء تحتانية، ولعله أصوب.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١١-تفسير)، والبزار (٢٢٢٠-كشف)، وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٥٠-٢٥١، والطبري ١٢/ ١٠، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٢٥٩، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٠). قال ابن حبان: هذا لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ. وقال ابن الجوزي: موضوع. قلت: وقد ذكرتُ تخريجه مفصلاً والكلام عليه وكذا شرح ما ذكر من أسماء الكواكب في حواشي روح المعاني ١٢/ ١٩٥-١٩٦ فلينظر ثمة.

(٥) التعريف والإعلام للسهيلي ص٧٩.

وعن وَهْبٍ: أنَّ يوسفَ رأى وهو ابنُ سبعِ سنينَ أنَّ إحدى عَشْرةَ عصاً طوالاً كانت مركوزةً في الأرضِ كهيئةِ الدارةِ، وإذا عصاً صغيرةٌ تثبُ عليها حتى اقتلعتْها وغلبتْها، فوصَفَ ذلك لأبيه فقال: إياكَ أنْ تذكُرَ هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنةً الشمسَ والقمرَ والكواكبَ سجوداً له، فقصَّها على أبيه فقال له: لا تقصَّها عليهم فيَبْغُوا لك الغوائلَ. وكانَ بينَ رؤيا يوسفَ ومسيرِ إخوتِه إليه أربعونَ سنة، وقيل: ثمانون[١].

ورُوي أنَّ رؤيا يوسفَ كانت ليلةَ القَدْرِ ليلةَ جمعةٍ.

والظاهرُ أنَّ الشمسَ والقمرَ ليسا مندرِجَيْنِ في الأحَدَ عَشَرَ كوكباً، ولذلك حينَ عدَّهما الرسولُ لليهوديِّ ذكر أحدَ عَشَرَ كوكباً غيرَ الشمسِ والقمرِ، ويظهرُ من كلام الزمخشريِّ أنهما مندرجانِ في الأحَدَ عشر:

قال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: لِمَ أخَّرَ الشمسَ والقمرَ؟

قلتُ: أخَّرهما ليَعْطِفَهما على الكواكبِ على طريقِ الاختصاصِ إثباتاً لفَضْلِهما واستبدادِهما بالمزيةِ على غيرِهما من الطوالِعِ، كما أخَّر جبريلَ وميكائيلَ عن الملائكةِ ثم عَطَفَهما عليهما لذلك، ويجوزُ أنْ تكونَ الواوُ بمعنَى «مع»، أي: رأيتُ الكواكبَ مع الشمسِ والقمرِ[٢]. انتهى.

والذي يظهرُ أنَّ التأخيرَ إنما هو من بابِ الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى، ولم يقعِ الترقي في الشمسِ والقمرِ جرياً على ما استقرَّ في القرآنِ من أنه إذا اجتمعَا قدِّمَتْ عليه، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس ٥] وقدِّمت عليه لسطوعِ نورِها، وكِبَرِ جِرْمِها، وغرابةِ سيرِها، واستمدادِه منها، وعلوِّ مكانِها.

والظاهرُ أن «رأيتُهم» كرِّر على سبيلِ التوكيدِ للطُّولِ بالمفاعيلِ كما كرِّر «أنكم» في قوله: ﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] لطولِ الفصلِ بالظرفِ وما تعلَّقَ به. وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: ما معنَى تكرارِ «رأيتهم»؟ قلتُ: ليس بتكرارٍ إنما هو كلامٌ

(١) الكشاف ٢/ ٣٠٢

(٢) المصدر السابق.

مستأنفٌ على تقديرِ سؤالٍ وقعَ جواباً له، كأنَّ يعقوبَ ﷺ قال له عند قوله: «إني رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ»: كيف رأيتَها؟ سائلاً عن حالِ رؤيتها، فقال: «رأيتُهم لي ساجدين»[(١)]. انتهى.

وجَمعَهم جَمْعَ مَن يعقلُ؛ لصدورِ السجودِ له وهو صفةُ مَن يَعْقِلُ، وهذا شائعٌ في كلامِ العربِ، وهو أنْ يُعطَى الشيءُ حكمَ الشيء للاشتراكِ في وصفٍ ما، وإن كانَ ذلك الوصفُ أصلُه أن يَخُصَّ أحدَهما.

والسجودُ سجودُ كرامةٍ، كما سجدَتِ الملائكةُ لآدَمَ، وقيل: كانَ في ذلك الوقتِ السجودُ تحيةً بعضِهم لبعضٍ.

ولمَّا خاطبَ يوسفُ أباه بقوله: «يا أبت»، وفيه إظهارُ الطواعيةِ والبِرِّ والتنبيهُ على محلِّ الشفقةِ بطَبْعِ الأُبوةِ، خاطَبَه أبوه بقولِه: «يا بني» تصغير التحبيبِ والتقريبِ والشفقةِ.

وقرأ حفصٌ هنا وفي «لقمان» و«الصافات»: «يا بنيَّ» بفتح الياء، وابنُ كثيرٍ في «لقمان»: «يا بنيْ لا تُشرِكْ»، وقُنْبُلٌ: «يا بنيْ أقِمْ» بإسكانها، وباقي السبعةِ بالكسرِ[(٢)].

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «لا تقصَّ» مدغماً، وهي لغةُ تميمٍ، والجمهورُ بالفكِّ وهي لغةُ الحجازِ.

والرؤيا مصدرٌ كالبُقيا، وقال الزمخشري: الرؤيا بمعنى الرؤية إلَّا أنها مختصةٌ بما كان في النومِ دونَ اليقظة، فرِّقَ بينهما بحرفي التأنيثِ، كما قيل: القُربَة والقُرْبَى[(٣)]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «رؤياك»، و«الرؤيا» حيثُ وقعتْ بالهمزِ من غيرِ إمالةٍ، وقرأ الكسائيُّ بالإمالة[(٤)]، وبغيرِ الهمزِ[(٥)]، وهي لغةُ أهلِ الحجاز.

(١) الكشاف ٢/ ٣٠٢.
(٢) السبعة ص٣٤٤، والتيسير ص١٢٧ و١٧٦.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٠٣.
(٤) السبعة ص٣٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٠.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٠.

وإخوةُ يوسفَ هم: كاذُ، وبنيامينُ، ويهوذا، ونَفْتالي، وزبولون، وشمعون، ورُوبين، ويقال باللام كجبريل وجبرين، ويساخا، ولاوي، ودانُ، وياشيرُ.

«فيكيدوا لك» منصوبٌ بإضمارِ «أنْ» على جوابِ النهي، وعدِّي «فيكيدوا» باللام، وفي ﴿فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩] بنفسِه، فاحْتَمَلَ أن يكونَ من باب: شكرتُ زيداً وشكرتُ لزيدٍ، واحْتَملَ أن يكونَ من بابِ التضمينِ، ضمِّن «فيكيدوا» معنى ما يتعدَّى باللام، فكأنه قال: فيحتالوا لكَ بالكيدِ، والتضمينُ أبلغُ لدلالتِهِ على معنَى الفعلَيْنِ، وللمبالغةِ أُكِّد بالمصدر.

ونبَّه يعقوبُ على سببِ الكيدِ وهو ما يزيِّنه الشيطانُ للإنسان ويسوِّلُه له، وذلك للعداوةِ التي بينهما، فهو يجتهدُ دائماً أن يُوْقِعَه في المعاصي ويُدْخِلَه فيها ويحضَّه عليها، وكان يعقوبُ دلَّتْهُ رؤيا يوسفَ ﷺ على أنَّ الله تعالى يبلِّغه مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوَّةِ، ويُنْعِمُ عليه بشرفِ الدارينِ كما فعلَ بآبائه، فخاف عليه من حسد إخوته، فنهاه عن أنْ يقصَّ رؤياه لهم، وفي خطابِ يعقوبَ ليوسفَ تنهيةٌ عن أنْ يقصَّ على إخوته مخافةَ كيدِهم دلالةٌ على تحذيرِ المسلم أخاه المسلم مِمن يخافُه عليه، والتنبيهِ على بعضِ ما لا يليقُ، ولا يكونُ ذلك داخلاً في باب الغِيبةِ.

«وكذلك يجتبيكَ ربُّك» أي: مثلَ ذلك الاجتباءِ وهو ما أراه من تلكَ الرؤيا التي دلَّتْ على جليلِ قَدْرِه وشريفِ مَنْصِبه ومآله إلى النبوَّةِ والرسالةِ والمُلْكِ، و«يجتبيكَ»: يختارُكَ ربُّكَ للنبوة والمُلك.

قال الحسن: للنبوة. وقال مقاتلٌ: للسجود لك[(١)].

وقال الزمخشريُّ: لأمورٍ عظامٍ[(٢)].

«ويعلِّمك من تأويلِ الأحاديثِ» كلامٌ مستأنفٌ ليس داخلاً في التشبيهِ، كأنه قال: وهو يعلِّمُكَ.

---

(١) ذكر القولين القرطبي ٢٥٨/١١، وقول الحسن أورده أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٨/٣، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٤ لابن عباس ﷺ، وجاء عندهم جميعاً بلفظ: بالنبوة، بالباء، وكذا وقع قول مقاتل عند القرطبي: بالسجود لك، بالباء أيضاً.

(٢) الكشاف ٣٠٣/٢.

قال مجاهدٌ والسدِّيُّ: «تأويلِ الأحاديثِ»: عبَارةُ الرؤيا.

وقال الحسنُ: عواقبُ الأمور.

وقيل: عامةٌ لذلك ولغيرِه من المغيَّبات[١].

وقال: مقاتل: غرائبُ الرؤيا.

وقال ابنُ زيد: العلمُ والحكمة[٢].

وقال الزمخشري: «الأحاديثُ»: الرُّؤى، لأنَّ الرؤى إمَّا حديثُ نفسٍ أو مَلَكٍ أو شيطانٍ، وتأويلُها: عبارتُها وتفسيرُها، فكانَ يوسفُ ﷺ أعبرَ الناسِ للرؤيا وأصحَّهم عبارةً، ويجوزُ أنْ يرادَ بتأويلِ الأحاديثِ: معاني كتبِ اللهِ، وسيرُ الأنبياءِ، وما غمضَ واشْتَبَه على الناسِ في أغراضها ومقاصِدِها، يفسِّرها لهم ويشرحُها، ويدلُّهم على مُوْدَعاتِ حِكَمِها، وسمِّيتْ أحاديثَ لأنها يُحَدَّثُ بها عن اللهِ ورُسُلِه، فيقال: قال الله، وقال الرسول كذا وكذا، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ [الزمر: ٢٣] وهي اسمُ جمعٍ للحديثِ وليسَ بجمعِ أُحدوثة[٣]. انتهى.

وليس باسمِ جمعٍ كما ذَكَر، بل هو جمعُ تكسيرٍ لحديثٍ على غيرِ قياسٍ، كما قالوا: باطِلٌ[٤] وأَباطيلُ، ولم يأتِ اسمُ جمعٍ على هذا الوزنِ، وإذا كانوا يقولون في عباديد ونباذير[٥]: إنهما جمعا تكسيرٍ، ولم يُلْفَظْ لهما بمفردٍ، فكيف لا يكونُ أحاديث وأباطيل جمعي تكسيرٍ[٦]؟

---

(١) ذكر الأقوال الثلاثة ابن عطية في المحرر ٣/ ٢٢٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٣/ ١٦.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٦.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٠٣.

(٤) في (د١) والمطبوع: أباطل، وهو تحريف.

(٥) في (ح): وبنادير، وفي باقي النسخ عدا (ز١): وبناذير، والمثبت من (ز١)، وذكر ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٤٥، والزمخشري في الفائق ٤/ ١١٨ أن نباذير ونفاطير ونخاريب من الكلمات التي النون فيها زائدة، وأنها من الفَطْر والتبذير والخراب.

(٦) هذا ما تعقب به المصنفُ الزمخشري، لكن ذكر الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٢١١ ما يشير إلى أنه لا مخالفة عند الزمخشري لما قاله المصنف، حيث قال: وممن صرح أنه (أي: =

«ويُتمُّ نعمتَه عليك»، وإتمامُها بأنه تعالى وَصَلَ لهم نعمةَ الدنيا بأنْ جَعَلَهم أنبياءَ وملوكاً بنعمةِ الآخرةِ بأنْ نقلَهم إلى أعلى الدرجاتِ في الجنة.

وقال مقاتل: بإعلاءِ كلمتِكَ وتحقيقِ رؤياكَ.

وقال الحسنُ: هذا شيءٌ أعلمَه الله يعقوبَ من أنه سيُعطي يوسفَ النبوةَ.

وقيل: بأنْ يُخْرِجَ إخْوَتَكَ إليك فتقابِلَ الذنبَ بالغفران والإساءةَ بالإحسان.

وقيل: بإنجائِكَ من كلِّ مكروهٍ.

و«آل يعقوب» الظاهرُ أنهم أولادُه ونسلُهم، أي: نجعلُ النبوَّةَ فيهم.

وقال الزمخشريُّ: هم نسلُه وغيرُهم[(١)].

وقيل: أهلُ دينِه وأتباعُهم، كما جاء في الحديثِ: مَن آلُكَ؟ فقال: «كلُّ تقيٍّ»[(٢)].

وقيل: امرأتُه وأولادُه الأحدَ عَشَرَ.

وقيل: المرادُ يعقوبُ نفسُه خاصةً.

وإتمامُ النعمة على إبراهيم بالخلَّةِ والإنجاءِ من النارِ وإهلاكِ عدوِّه نمروذ، وعلى إسحاق بإخراجِ يعقوبَ والأسباطِ من صُلْبِه، وسمِّي الجَدُّ وأبا الجَدِّ أبوين لأنهما في عمودِ النسبِ، كما قال: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ولهذا يقولون: ابنُ فلانٍ، وإنْ كانَ بينهما عِدَّةٌ في عمودِ النسب.

«إنَّ ربَّك عليم» بمن يستحقُّ الاجتباءَ «حكيم» يضعُ الأشياءَ مواضعَها، وهذان الوصفانِ مناسبانِ لهذا الوعدِ الذي وَعَدَه يعقوبُ يوسفَ عليهما الصلاة والسلام في قوله: «وكذلك يجتبيكَ ربُّك».

---

= أحاديث) جمع الزمخشري في المفصل، وهو مراده من اسم الجمع في الكشاف، فإنه كغيره كثيراً ما يطلق اسم الجمع على الجمع المخالف للقياس، فلا مخالفة بين كلاميه.

(١) الكشاف ٢/٣٠٣.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٣٢)، والصغير (٣١٨)، وإسناده واهٍ كما في الفتح ١١/١٦١.

قيل: وعَلِمَ يعقوبُ عليه السلام ذلك من دعوةِ إسحاقَ عليه السلام حينَ تشبَّه له بعيصو[١].

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ «آيات»، أي: علاماتٌ ودلائلُ على قدرةِ اللهِ تعالى وحِكمتِه في كلِّ شيءٍ، «للسائلين»: لمَنْ سَأَلَ عنهم وعَرَفَ قصتَهم.

وقيل: آياتٌ على نبوةِ النبيِّ ﷺ للَّذين سألوه من اليهودِ عنها، فأخبرهم بالصحة من غيرِ سماعٍ من أحدٍ ولا قراءةِ كتابٍ.

والذي يظهرُ أنَّ الآياتِ: الدلالاتُ على صدقِ الرسولِ وعلى ما أظهرَ الله في قصةِ يوسفَ من عواقبِ البغي عليه، وصِدْقِ رؤياه، وصحةِ تأويله، وضَبْطِ نفسِه وقهرِها حتى قامَ بحقِّ الأمانة، وحدوثِ السرورِ بعد اليأس.

وقيل: المعنى: لمَنْ سألَ ولمَنْ لم يَسْأَلْ، كقوله: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] أي: سواءٌ لمن سَأَلَ ولمن لم يَسأل، وحَسُنَ الحذفُ لدلالةِ قوةِ الكلامِ عليه كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبردَ.

وقال ابنُ عطيةَ: وقولُه: «للسائلين» يقتضي تحضيضاً للناسِ على تعلُّمِ هذهِ الأنباءِ؛ لأنه إنما المرادُ: آياتٌ للناس، فوصَفَهم بالسُّؤال إذ كلُّ أحدٍ ينبغي أنْ يَسْأَلَ عن مثلِ هذه القصصِ؛ إذ هي مَقَرُّ العِبَرِ والاتِّعاظِ[٢].

وتقدَّم لنا ذكرُ أسماءِ إخوةِ يوسفَ منقولةً من خط الحسين بن أحمد بن القاضي الفاضلِ عبد الرحيمِ البيسانيِّ ونقلَها من خطِّ الشريفِ النقيبِ النسَّابةِ أبي البركاتِ محمدِ بنِ أسعدَ الحسينيِّ الجَوَّانيِّ[٣] محرَّرةً بالنقطِ، وتُوجَدُ في كتب التفسير محرَّفةً مختلفةً.

---

(١) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١، وقال: والقصة كاملة في كتاب النقاش، لكني اختصرتها لأنه لم يَنبل ألفاظها، وما أظنه انتزعها إلا من كتب بني اسرائيل، فإنها قصة مشهورة عندهم.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١.

(٣) سلفت الإشارة أكثر من مرة إلى أن أبا البركات هو أسعد بن علي وهو نحوي، وأما النسابة فهو ابنه أبو علي محمد بن أسعد بن علي. ينظر ما سلف عند تفسير الآية: (٥١) من سورة البقرة، والآية (٣٧) و(٩٦) من سورة آل عمران.

وكان رُوبيلُ أكبرَهم، وهو ويهوذا وشمعونُ ولاوي وزبولونُ ويساخا شقائقُ، أمُّهم ليا بنتُ ليانِ بنِ ناهرِ بنِ آزرَ، وهي بنتُ خالِ يعقوبَ، وذانُ ونفتالي وكاذُ وياشير أربعةٌ من سُرِّيتينِ كانتا لِلِيَا وأختها راحيلَ فوَهَبَتاهما ليعقوب، فجمَعَ بينهما ولم يحلَّ الجمعُ بين الأختين لأحدٍ بعدَه، وأسماءُ السرِّيتينِ فيما قيل: ليا وتلتا، وتُوفِّيت أمُّ السبعةِ[١] فتزوَّجَ بعدها يعقوبُ أختَها راحيلُ فوَلَدَتْ له يوسفَ وبنيامينَ وماتت من نفاسِهِ.

وقرأ مجاهدٌ وشبلٌ وأهلُ مكةَ وابنُ كثيرٍ: «آيةٌ» على الإفراد[٢]، والجمهورُ: «آياتٌ». وفي مصحفِ أبيٍّ: «عبرةٌ للسائلين» مكانَ «آيةٌ».

والضمير في «قالوا» عائدٌ على إخوةِ يوسفَ، وأخوهُ هو بنيامينُ، ولمَّا كانا شقيقينِ أضافوه إلى يوسفَ، واللام في «ليوسفُ» لامُ الابتداءِ، وفيها تأكيدٌ وتحقيقٌ لمضمونِ الجملةِ، أي: كثرةُ حبِّه لهما ثابتٌ لا شبهةَ فيه و«أَحَبُّ» أفعلُ تفضيلٍ وهو مبنيٌّ من المفعولِ شذوذاً، ولذلك عدِّيَ بـ«إلى» لأنه إذا كانَ ما تعلَّقَ به فاعلاً من حيثُ المعنى عُدِّيَ إليه بـ«إلى»، وإذا كان مفعولاً عدِّي إليه بـ«في»، تقول: زيدٌ أحبُّ إلى عمرٍو من خالدٍ، فالضميرُ في «أحب» مفعولٌ من حيثُ المعنى، وعمرو هو المُحِبُّ، وإذا قلتَ: زيدٌ أحبٌّ في عمرٍو من خالدٍ، كانَ الضمير فاعلاً وعمرٌو هو المحبوب، و«من خالد» في المثالِ الأولِ محبوبٌ وفي الثاني فاعلٌ ولم يُثنَّ «أحب» لتعدِّيه بـ«من».

وكان بنيامينُ أصغرَ من يوسفَ، فكانَ يعقوبُ يحبُّهما بسببِ صِغَرِهما وموتِ أمِّهما، وحبُّ الصغيرِ والشفقةُ عليه مركوزٌ في فطرةِ البشر.

وقيل لابنة الحسن: أيُّ بنيكِ أحبُّ إليك؟ قالت: الصغيرُ حتى يَكْبُرَ، والغائبُ حتى يَقْدَمَ، والمريضُ حتى يُفيقَ[٣].

---

(١) وهي: ليا، وفي قوله: السبعة، نظر فإن االمذكور من أولاد ليا ستة وليس سبعة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١، وقراءة ابن كثير في السبعة ص٣٤٤، والتيسر ص١٢٧.

(٣) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢١، والذي في العقد لابن عبد ربِّه: وقيل: لِدُغَة. وذكر القصة ابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٣٦٥ عن غيلان بن سلمة، وأن السائل له هو كسرى.

وقد نظَم الشعراءُ في محبَّةِ الولدِ الصغيرِ قديماً وحديثاً، ومن ذلك ما قاله الوزيرُ أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ إدريس الجزيريُّ[1] في قصيدته التي بعثَ بها إلى أولاده وهو في السجن:

وصغيرُكُم عبدُ العزيزِ فإنني ... أطوي لفُرقتِهِ جوًى لم يَصْغُرِ
ذاكَ المقدَّمُ في الفؤادِ وإنْ غدا ... كفؤاً لكم في المنتَمى والعنصُرِ
إنَّ البنانَ الخمسَ أكْفاءٌ معاً ... والحَلْيُ دونَ جميعِها للخنصَرِ
وإذا الفتى فَقَدَ الشبابَ سما له ... حبُّ البنينَ ولا كحبِّ الأصغرِ

«ونحن عصبةٌ» جملةٌ حاليةٌ، أي: يفضِّلُهما علينا في المحبةِ وهما ابنانِ صغيرانِ لا كفايةَ فيهما ولا منفعة[2] ونحنُ جماعةٌ عشرةُ رجالٍ كُفاةٌ نقومُ بمَرافِقِه فنحنُ أحقُّ بزيادةِ المحبةِ منهما.

ورَوَى النزَّالُ بن سَبْرَةَ عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه: «ونحن عصبةً»[3]، وقيل: معناه: ونحنُ نجتمعُ عصبةً، فيكونُ الخبرُ محذوفاً وهو عاملٌ في «عصبةً»، وانتصَبَ «عصبةً» على الحالِ[4]، وهذا كقولِ العربِ: حُكْمُكَ مُسَمَّطاً، بحذف الخبر، قال المبرِّدُ: قال الفرزدق: يا لَهْذَمُ حُكْمَكَ مسمَّطاً، أراد: لك حكمُكَ، واستُعْمِلَ هذا فكَثُرَ حتى حُذِفَ استخفافاً لعلمِ السامعِ ما يريدُ القائلُ، كقولك: الهلالُ واللهِ، أي: هذا الهلالُ. والمسمَّطُ: المرسَلُ غيرُ المردود[5].

(١) الكاتب، أحد وزراء الدولة العامرية بالأندلس وكاتبها، كان عالماً أديباً شاعراً، توفي قبل الأربع مئة. الوافي بالوفيات ١٩/ ١٥٣، وجذوة المقتبس ص٢٨٠.
(٢) في (ح): منعة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ٢/ ٣٠٤، والكلام منه.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٢، والكشاف ٢/ ٣٠٥.
(٤) يعني أن الحال هنا سدَّ مسدَّ الخبر، وهو في مثل هذا قليل جدًا؛ لأن الحال لا تسدُّ مسدَّ الخبر إلا بشروط ذكرها النحاة، نحو: ضربي زيداً قائماً، و: أكثر شربي السَّويق ملتوتاً. ينظر الدر المصون ٦/ ٤٤٢.
(٥) الكامل للمبرد ٢/ ٦١٦-٦١٧، ولقول الفرزدق هذا قصة ذكرها المبرد، وفيها: أن لهذم هذا كان مكُاتَباً لبني منقر، فضعف عن حمل ما كوتب به، فأتى قبر غالب والد الفرزدق فاستجار به، ثم جاء الفرزدق فأخبره خبره وأنشد له شعراً، فقال له الفرزدق تلك الجملة، وتنظر القصة كاملة في الكامل ٢/ ٦١٢.

وقال ابنُ الانباريِّ: هذا كما تقولُ العربُ: إنما العامريُّ عِمَّتَه، أي: يتعمَّمُ عِمَّتَه[١]. انتهى.

وليس مثلَه؛ لأنَّ «عصبة» ليس مصدراً ولا هيئةً، فالأجودُ أنْ يكونَ من بابِ: حُكْمُكَ مسمَّطا، وقدَّره بعضُهم: حكمُكَ ثَبَتَ مسمَّطاً.

وعن ابن عباس: العصبةُ: ما زادَ على العشرةِ. وعنه: ما بينَ العشرةِ إلى الأربعين.

وعن قتادة: ما فوقَ العشرةِ إلى الأربعين.

وعن مجاهدٍ: من عشرةٍ إلى خمسةَ عَشَرَ.

وعن مقاتل: عشرة.

وعن ابنِ جُبير: ستةٌ أو سبعةٌ.

وقيل: ما بينَ الواحدِ إلى العشرة.

وقيل: إلى خمسةَ عَشَرَ.

وعن الفرَّاء: عشرةٌ فما زاد.

وعن ابنِ زيدٍ والزجَّاجِ وابنِ قُتيبةَ: العُصْبةُ: الجماعة[٢]، ولا واحد لها من لفظها كالنفر والرَّهْط.

وفي الزهراوي: ثلاثةٌ نَفَرٌ، فإذا زادوا فهم رَهْطٌ إلى التسعةِ، فإذا زادوا فهم عصبةٌ، ولا يقالُ لأقلَّ من عشرة: عصبةٌ[٣].

والضَّلالُ هنا هو الهوى، قاله ابنُ عباس[٤]. أو الخطأ من الرأي، قاله ابنُ

---

(١) سمعه من ابن الأنباري ابن خالويه كما في القراءات الشاذة ص٦٢، وذكره عنه أيضاً الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٠٥، وفيهما: يتعهد عمته.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٨/ ٣١٤-٣١٧، وزاد المسير ٤/ ١٨٣، وقول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٦، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٩٣، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١.

(٤) لم أقف عليه.

زيد. أو الجَوْرُ في الفعل، قاله ابنُ كامل[١]. أو الغلطُ في أمرِ الدنيا.

رُويَ أنه بعدَ إخبارِه لأبيه بالرؤيا كانَ يضمُّه كلَّ ساعةٍ إلى صدرِه وكأنَّ قلبَه أيقَنَ بالفراقِ فلا يكادُ يصبرُ عنه.

والظاهرُ أنَّ «اقتُلوا يوسفَ» من جملةِ قولهم، وقيل: هو من قولِ قومٍ استشارَهم إخوةُ يوسفَ فيما يُفْعَلُ به، فقالوا ذلكَ.

والظاهرُ أنَّ «أو اطْرَحوه» هو من قولهم أنْ يفعلوا به أحدَ الأمرين، ويجوز أن تكون «أو» للتنويع، أي: قال بعضٌ: اقتلوا يوسفَ، وبعضٌ: اطْرَحُوه.

وانتصَبَ «أرضاً» على إسقاطِ حرفِ الجرِّ، قاله الحَوْفي وابنُ عطيةَ[٢]، أي: في أرضٍ بعيدةٍ من الأرض التي هو فيها قريبٌ من أرضِ يعقوبَ.

وقيل: مفعولٌ ثانٍ على تضمينِ «اطرحوه» معنى: أنزِلُوه، كما تقول: أنزلْتُ زيداً الدارَ.

وقالت فرقةٌ: ظرفٌ، واختارَه الزمخشريُّ وتَبِعَه أبو البقاء[٣]، قال الزمخشري: أرضاً منكورةً مجهولةً بعيدةً من العمرانِ، وهو معنَى تنكيرِها وإخلائها من الناسِ، ولإبهامها من هذا الوجهِ نُصبت نصبَ الظروف المُبهَمةِ[٤].

وقال ابن عطية: وذلك خطأٌ - يعني كونَها منصوبةً على الظرف - قال: لأنَّ الظرفَ ينبغي أنْ يكونَ مبهماً، وهذه ليستْ كذلك، بل هي أرضٌ مقيَّدةٌ بأنها بعيدةٌ أو قاصيةٌ ونحوُ ذلك، فزال بذلك إبهامُها، ومعلومٌ أنَّ يوسفَ لم يَخْلُ من الكونِ في أرضٍ، فتبيَّنَ أنهم أرادوا أرضاً بعيدةً غيرَ التي هو فيها قريبٌ من أبيه[٥]. انتهى.

---

(١) ذكر القولين الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٠. وابن كامل لعله أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة القاضي أحد أصحاب ابن جرير، صنف غريب القرآن وغيره، توفي سنة (٣٥٠هـ). بغية الوعاة ١/ ٣٥٤.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢.

(٣) في الإملاء ٢/ ٤٩، وسيرد كلام الزمخشري.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢.

وهذا الردُّ صحيح؛ لو قلتَ: جلستُ داراً بعيدةً، أو: قعدتُ مكاناً بعيداً، لم يصحَّ إلا بوساطة «في»، ولا يجوز حذفُها إلا في ضرورة شعرٍ أو مع «دخلتُ»، على الخلاف في «دخلت»: أهي لازمة أو متعدِّيةٌ.

والوجه هنا قيل: الذات، أي: يخلُ لكم أبوكم.

وقيل: هو استعارةٌ عن شَغْله بهم وصرفِ مودته إليهم؛ لأنَّ مَن أقبلَ عليك صَرَفَ وجهه إليك، وهذا كقول نعامة حين أحبته أمُّه لمَّا قُتِلَ إخوتُه، وكانت قبلُ لا تحبه، قال: الثُّكْلُ أَرْأَمَها، أي: عطَّفها[1].

والضميرُ في «بعده» عائدٌ على «يوسف»، أو قتلِه، أو طرحِه.

وصلاحُهم: إما صلاحُ حالهم عند أبيهم، وهو قولُ مقاتلٍ، أو صلاحُهم بالتوبة والتنصُّلِ من هذا الفعل، وهذا أظهرُ، وهو قولُ الجمهور منهم الكلبيُّ[2].

واحْتَمَلَ «تكونوا» أن يكون مجزوماً عطفاً على مجزومٍ، أو منصوباً على إضمار «أنْ».

والقائلُ: «لا تقتلوا يوسف» روبيل، قاله قتادة وابن إسحاق. أو شمعون، قاله مجاهد. أو يهوذا، وكان أحلمَهم وأحسنَهم فيه رأياً وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف: ٨٠] قال لهم: القتلُ عظيم، قاله السدي[3]. أو ذان. أربعةُ أقوال.

وهذا عطفٌ منهم على أخيهم لمَا أراد الله من إنفاذِ قضائه، وإبقاءٌ على نفْسِه، وسببٌ لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة، وهو إتلافُ النفسِ بالقتل.

---

(١) ينظر جمهرة الأمثال ١/ ٢٩٠، والمستقصى ١/ ٣٠٨، ومجمع الأمثال ١/ ١٥٢. والقائل هو بيهس الفزاري، ونعامة لقبه، وكان سابع سبعة إخوة، فأغار عليهم ناس من أشجع، فقتلوا منهم ستة وبقي بيهس، فلما عاد إلى أمه وأخبرها الخبر قالت: ما جاءني بك؟ فقال: لو خيِّرتِ لاخترتِ، فذهبت مثلاً، ثم إن أمه عطفت عليه فقال: ثكلٌ أرأمها ولداً، أي: عطفها على ولد، فأرسلها مثلاً، وتنظر القصة كاملة في مجمع الأمثال ١/ ١٥٢.

(٢) زاد المسير ٤/ ١٨٤، ونسب القول الثاني لابن عباس، وعزاه للجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٠-٢١، والكشاف ٢/ ٣٠٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢، وزاد المسير ٤/ ١٨٤-١٨٥.

قال الهرويُّ: الغيابةُ في الجُبِّ: شبهُ لَجَفٍ أو طاقٍ في البئر فُوَيْقَ الماء يغيِّبُ ما فيه عن العيون[(١)].

وقال الكلبي: الغيابة تكون في قَعْرِ الجُبِّ؛ لأنَّ أسفله واسعٌ ورأسَه ضيقٌ، فلا يكادُ الناظرُ يَرَى ما في جوانبه[(٢)].

وقال الزمخشري: غَوْرُه، وهو ما غابَ منه عن عينِ الناظرِ وأظلمَ من أسفله[(٣)]. انتهى.

ومنه قيل للقبر: غيابة، قال المُنَخَّلُ السَّعدي:

**فإنْ أنا يوماً غَيَّبتْني غَيَابتي فسيروا بسَيْري في العشيرة والأهلِ[(٤)]**

وقرأ الجمهورُ: «غيابة» على الإفراد، ونافعٌ: «غيابات» على الجمع[(٥)]، جَعَلَ كلَّ جزءٍ مما يغيبُ فيه غيابةً.

وقرأ ابن هرمز: «غيَّابات» بالتشديد والجمع[(٦)]، والذي يظهر أنه سمِّي باسم الفاعل الذي للمبالغة، فهو وصفٌ في الأصل، وألحقَه أبو عليٍّ بالاسم الجائي على فعَّال، نحو ما ذكر سيبويه من الفيَّاد[(٧)]، قال أبو الفتح: ووجدتُ من ذلك:

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ٢٦٣، واللجف: حفر في جانب البئر. القاموس (لجف).

(٢) النكت والعيون ٣/ ١١ بنحوه.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٠٥.

(٤) كذا عزاه المصنف للمنخل السعدي، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٣٠٢ عن المنخل بن سبيع العنبري، والسعدي والعنبري شاعران ذكرهما الآمدي في المؤتلف والمختلف ص٢٧١-٢٧٢، لكنه ذكر السعدي فيمن اسمه المتنخل، والبيت منسوب للمنخل دون تعيين في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٩٤، والكشاف ٢/ ٣٠٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢، وزاد المسير ٤/ ١٨٥.

(٥) السبعة ص٣٤٥، والتيسير ص١٢٧.

(٦) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحتسب ١/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢.

(٧) لم أقف على الفياد في كتاب سيبويه، وعبارة ابن جني في المحتسب ١/ ٣٣٣: وكان أبو علي يضيف إلى ما حكاه سيبويه من الأسماء التي جاءت على فعَّال وهو الجبار والكلَّاء: الفياد، لذكَر البوم. اهـ. قلت: وهذا هو الصواب، فقد ذكر سيبويه في الكتاب ٤/ ٢٥٧: الكلَّاء والقذَّاف والجبَّان، ولم يذكر الفياد.

التيَّار للموج، والفخَّار للخزف[(١)].

وقال صاحب «اللوامح»: يجوز أن يكون على فعَّالات كحمامات، ويجوز أن يكون على فَيْعالات كشيطانات في جمع شيطانة، وكلٌّ للمبالغة.

وقرأ الحسن: «في غَيَبَة»[(٢)]، فاحْتَملَ أن يكون في الأصل مصدراً كالغَلَبة، واحْتَمَلَ أن يكون جمعَ غائبٍ كصانع وصَنَعة.

وفي حرفِ أبيٍّ: «في غَيْبة» بسكون الياء[(٣)]، وهي ظلمة الرَّكِيَّة.

وقال قتادة في جماعة: الجبُّ بئرُ بيتِ المقدس.

وقال وهب: بأرض الأردنِّ.

وقال مقاتل: على ثلاثة فراسخَ من منزل يعقوب.

وقيل: بين مدينَ ومصرَ[(٤)].

وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وأبو رجاء: «تلتقطه» بتاء التأنيث[(٥)]، أنَّث على المعنى كما قال:

إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقَتْنا كفى الأيتامَ فَقْدَ أبي اليتيمِ[(٦)]

والسَّيَّارة: جمع سيَّار، وهو الكثيرُ السيرِ في الأرض.

---

(١) المحتسب ١/ ٣٣٣.

(٢) القراءات الشاذة ص٦٢.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٢، وهي في المحتسب ١/ ٣٣٣ عن الحسن.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي، وتفسير البغوي ٢/ ٤١٤، وزاد المسير ٤/ ١٨٥. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق ١/ ٣١٨، والطبري ١٣/ ٢١-٢٢.

(٥) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٢.

(٦) البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٢١٩، والكتاب ١/ ٥٢، والخزانة ٤/ ٢٢٠، وفيه: تعرقتنا: أذهبت أموالنا ومواشينا، يقال: تعرقتَ العظم: إذا أكلْتَ ما عليه من اللحم، والسنة هنا: القحط والجدب، وكفى بمعنى أغنى متعد إلى مفعولين: أولهما الأيتام وثانيهما فَقْد، أي: كفى الممدوحُ الأيتام فقد آبائهم لأنه أنفق عليهم وأعطاهم، وكان يريد أن يقول: كفى الأيتام فقد آبائهم، والبيت من قصيدة في مدح هشام بن عبد الملك.

والظاهرُ أنَّ الجبَّ كان فيه ماءٌ، ولذلك قالوا: «يلتقطْه بعضُ السيارة».

وقيل: كان فيه ماءٌ كثير يُغْرِقُ يوسفَ، فنَشَزَ حجرٌ من أسفلِ الجبِّ حتى ثبت يوسفُ عليه.

وقيل: لم يكن فيه ماءٌ، فأخرجه الله فيه حتى قَصَدَه الناسُ.

ورُوي أنهم رَمَوْه بحبلٍ في الجبِّ فتماسَكَ بيديه، حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصَه ورَمَوه حينئذ، وهمُّوا بعدُ برضْخِه بالحجارة، فمنعَهم أخوهم المشيرُ بطَرْحِه من ذلك.

ومفعول «فاعلين» محذوفٌ، أي: فاعلين ما يحصلُ به غرضُكم من التفريق بينه وبين أبيه.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمَّا تقرَّر في أذهانهم التفريقُ بينَ يوسفَ وأبيه أعملوا الحيلةَ على يعقوبَ، وتلطَّفوا في إخراجه معهم، وذَكروا نُصْحَهم له، وما في إرساله معهم من انشراحِ صدرِه بالارتِعاءِ واللعبِ، إذ هو ممَّا يَشْرَحُ الصبيانَ، وذَكروا حفظَهم له ممَّا يسوءُهُ.

وفي قولهم: «ما لك لا تأمنَّا» دليلٌ على أنهم تقدَّم منهم سؤالٌ في أنْ يَخْرُجَ معهم، وذكروا سببَ الأمنِ، وهو النُّصحُ، أي: لمَ لا تأمنَّا عليه وحالتُنا هذه، والنصحُ دليلٌ على الأمانة، ولهذا قُرِنَا في قوله: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] وكان قد أحسَّ منهم قبلُ ما أوجبَ أنْ لا يأمَنَهم عليه.

و«لا تأمنَّا» جملةٌ حاليةٌ، وهذا الاستفهامُ صَحِبَه معنى التعجُّب.

وقرأ زيد بن عليٍّ وأبو جعفرٍ والزهريُّ وعمرو بنُ عُبيد بإدغام نونِ «تأمن» في نون الضمير من غير إشمام[١]؛ ومجيئُه بعد «ما لك» والمعنى يرشدُ إلى أنه نفيٌ لا نهيٌ، وليس كقولهم: ما أحسنَنا! في التعجُّب؛ لأنه لو أُدغم لالْتَبَسَ بالنفي.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٧٢، والنشر ١/ ٣٠٣.

وقرأ الجمهور بالإدغام والإشمام للضم، وعنهم إخفاءُ الحركة فلا يكون إدغاماً محضاً[١].

وقرأ ابن هُرْمُزَ بضم الميم، فتكونُ الضمة منقولةً إلى الميم من النون الأولى بعد سلبِ الميم حركتَها وإدغامِ النونِ في النون.

وقرأ أبيٌّ والحسن وطلحةُ بن مصرِّفٍ والأعمش: «لا تأمنُنا» بالإظهار وضمِّ النونِ على الأصل[٢]. وخطُّ المصحف بنونٍ واحدةٍ.

وقرأ ابنُ وثَّابٍ وأبو رَزينٍ: «لا تِيْمنَّا» على لغة تميمٍ، وسهَّل الهمزةَ بعد الكسرةِ ابنُ وثَّابٍ[٣].

وفي لفظةِ «أرسلْه» دليلٌ على أنه كان يمسكُه ويصحبُه دائماً. وانتصب «غداً» على الظرف، وهو ظرفٌ مستقبلٌ يطلَقُ على اليوم الذي يلي يومَكَ، وعلى الزمنِ المستقبَلِ من غير تقييدٍ باليوم الذي يلي يومَكَ، وأصلُه «غَدَوَ» فحذفت لامه، وقد جاء تامًّا.

وقرأ الجمهور: «يرتعْ ويلعبْ» بالياء والجزم[٤]، والابنان وأبو عمرو بالنون والجزم، وكَسَر العينَ الحرميان، واختلف عن قُنبلٍ في إثبات الياء وحذفِها[٥].

وروي عن ابنِ كثير: «ويلعب» بالياء، وهي قراءة جعفر بن محمد[٦].

وقرأ العلاء بن سَيابةَ: «يرتعِ» بالياء وكسر العين مجزوماً محذوفَ اللام، «ويلعبُ» بالياء وضمِّ الباء خبرَ مبتدأ محذوف، أي: وهو يلعبُ[٧].

---

(١) ينظر السبعة ص٣٤٥، والتيسير ص١٢٧.
(٢) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٣.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٣.
(٤) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي. السبعة ص٣٤٦، والتيسير ص١٢٨.
(٥) ينظر السبعة ص٣٤٥-٣٤٦، والتيسير ص١٢٨، والنشر ٢/ ٢٩٣ و٢٩٧، والابنان هما ابن كثير وابن عامر، والحرميان هما نافع وابن كثير.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤، والمشهور عن ابن كثير القراءة بالنون في الفعلين.
(٧) المحتسب ١/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤.

وقرأ مجاهدٌ وقتادةُ وابنُ مُحَيْصِنٍ: «نُرْتِعْ» بنونٍ مضمومة من أرْتَعْنا، «ونَلْعبْ» بالنون[١]، وكذلك أبو رجاء إلا أنه بالياء فيهما: «يُرْتِعْ ويَلْعَبْ»[٢]، والقراءتان على حذفِ المفعول، أي: نُرْتِعِ المواشيَ أو غيرَها.

وقرأ النخعي: «نَرْتَع» بنون «ويَلْعَبْ» بياءٍ بإسنادِ اللعب إلى يوسفَ وحدَه لصباه، وجاء كذلك عن ابن[٣] أبي إسحاق ويعقوب[٤].

وكل هذه القراءات الفعلان فيها مبنيان للفاعل.

وقرأ زيد بن علي: «يُرتَعْ ويُلْعَبْ» بضم الياءين مبنياً للمفعول، وتخريجُها على أنه أضمر المفعولَ الذي لم يسمَّ فاعلُه، وهو ضمير «غدٍ»، وكان أصله: يَرْتَعْ فيه ويَلْعَبْ فيه، ثم حُذف واتُّسِعَ فعدِّي الفعلُ للضمير، فكان التقدير: يَرْتَعْه ويَلْعَبْه، ثم بناه للمفعول فاستكنَّ الضمير الذي كان منصوباً لكونه نابَ عن الفاعل.

واللعبُ هنا هو الاستباقُ والانتضالُ يتدرَّبون بذلك لقتالِ العدوِّ، سمَّوه لعباً لأنه بصورةِ اللعب، ولم يكن ذلك للَّهوِ بدليلِ قولهم: «إنا ذهبنا نستبِقُ» ولو كان لعبَ لهوٍ ما أقرَّهم عليه يعقوب.

ومَن كَسَر العينَ من «يرتعِ» فهو «يفتعل»، قال مجاهد: هي من المراعاة، أي: يراعي بعضُنا بعضاً ويحرسُه. وقال ابنُ زيد: من رعي الإبل، أي: يتدرَّب في الرعي وحفظِ المال[٥]. أو من رعي النبات والكلأ، أي: يرتع على حذف مضافٍ أي: مواشينا.

ومَن أثبت الياء، فقال ابن عطية: هي قراءةٌ ضعيفةٌ لا تجوزُ إلا في الشعر، كقول الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤.
(٢) المحتسب ١/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤.
(٣) قوله: ابن، من (ز١)، وسقطت من باقي النسخ.
(٤) زاد المسير ٤/ ١٨٧ عن يعقوب، وسلفت عن جعفر بن محمد وابن كثير في غير المشهور عنه.
(٥) أخرج القولين الطبري ١٣/ ٢٨، وذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤. والمعنى المنقول عن مجاهد لا يستقيم إلا على قراءة «نرتعِ» بالنون، وقول ابن زيد على قراءة «يرتعِ» بالياء، كما هو واضح من كلام ابن عطية.

ألـمْ يـأتـيـكَ والأنـبـاءُ تَـنْـمـي بـمـا لاقـتْ لَـبـونُ بـنـي زيـادِ[(١)]

انتهى.

وقيل: تقدير حذفِ الحركة في الياء لغةٌ، فعلى هذا لا يكون ضرورةً.

ومَن قرأ بسكونِ العينِ فالمعنى: نُقم في خِصْبٍ وسَعةٍ ويعنون: من الأكل والشرب.

«وإنَّا له لحافظون» جملةٌ حاليةٌ، والعاملُ فيه الأمرُ أو الجوابُ، ولا يكونُ ذلك من بابِ الإعمال؛ لأنَّ الحال لا تُضمَر، وبابُ الإعمال لا بدَّ فيه من الإضمار إذا أُعمل الأول.

ثم اعتذر لهم يعقوب بشيئين:

أحدهما عاجلٌ في الحالِ، وهو ما يلحقُه من الحزن لمفارقته، وكانَ لا يصبرُ عنه.

والثاني: خوفُه عليه من الذئب إن غفلوا عنه برعْيِهم ولعبهم، أو بقلةِ اهتمامهم بحفظه وعنايتهم، فيأكله، ويحزنُ عليه الحزنَ المؤبدَ.

وخصَّ الذئبَ لأنه كان السَّبُعَ الغالبَ على قطرِه، أو لصغرِ يوسفَ فخاف عليه هذا السَّبُعَ الحقير، وكان تنبيهاً على خوفه عليه ما هو أعظمُ افتراساً.

ولحقارةِ الذئبِ خصَّه الربيعُ بن ضَبُعٍ الفَزاريُّ في كونه يخشاه لمَا بَلَغَ من السنِّ في قوله:

والـذئـبَ أخـشـاه إن مـررتُ بـه وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا[(٢)]

وكأنَّ يعقوبَ بقوله: «وأخافُ أنْ يأكُلَه الذئبُ» لقَّنهم ما يقولون من العذرِ إذا جاؤوا وليس معهم يوسفُ، فلقَّنوا ذلك وجعلوه عُدَّةً للجواب.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٤، والبيت لقيس بن زهير كما في نوادر أبي زيد ص٢٠٣، والأغاني ١٧/ ١٩٨، وهو دون نسبة في الكتاب ٣/ ٣١٦، والمحتسب ١/ ٦٧، ورواية الأغاني: ألم يبلغك. وسلف أوله: ألم يأتيك، في تفسير الآية (١٠٠) من سورة النساء.

(٢) الكتاب ١/ ٩٠، والمحتسب ٢/ ٩٩، والخزانة ٧/ ٣٨٤.

وتقدَّم خلافُ القرَّاء في «يحزن»، وقرأ زيد بن عليٍّ وابنُ هُرْمُزَ وابنُ مُحيصِنٍ: «ليحزنِّي» بتشديد النون، والجمهورُ بالفك[١].

و«ليَحزُنني» مضارعٌ مستقبَلٌ لا حالٌ[٢]؛ لأنَّ المضارع إذا أُسند إلى متوقَّعٍ تخلَّصَ للاستقبال؛ لأن ذلك المتوقَّعَ مستقبَلٌ وهو المسبِّبُ لأثره، فمُحالٌ أن يتقدَّمَ الأثرُ عليه[٣]، فالذهابُ لم يقع، فالحزنُ لم يقع، كما قال:

يَهولُكَ أن تموتَ وأنتَ مُلْغٍ  لِمَا فيه النجاةُ من العذابِ[٤]

وقرأ زيد بن علي: «تُذْهِبوا به» من أَذْهَبَ رباعيًّا، ويخرَّجُ على زيادةِ الباء في «به» كما خرَّجَ بعضُهم: «تُنبِتُ بالدهن» في قراءةِ مَن ضمَّ التاءَ وكَسَرَ الباء[٥]، أي: تُنبِتُ الدُّهْنَ، و: تُذْهِبوه.

وقرأ الجمهور: «الذِّئب» بالهمز وهي لغةُ الحجاز، وقرأ الكسائي وورشٌ وحمزةُ إذا وقف بغيرِ همزٍ[٦]، وقال نصر [عن أبيه]: سمعتُ أبا عمرو لا يهمز[٧].

---

(١) لم يبين المصنف حركة الياء والزاي في هذه القراءة، وروي عن نافع إدغام النونين مع ضم الياء وكسر الزاي.

(٢) ليس المراد هنا الحال الإعرابي، وإنما المقصود هو أحد مدلولي المضارع وهما: الحال والاستقبال.

(٣) أي: أن يتقدم الحزن على الذهاب، والمتوقع هو الذهاب، وهو المسند إليه، أي: المصدر المسبوك منه ومن «أن» هو الفاعل لـ«يحزنني»، والأثر هو الحزن، وهو المسند، أي: قوله: «ليحزنني». وأجاب بعضهم عما ذكره المصنف بأن المصدر الذي هو «أن تذهبوا» مضاف إلى محذوف، وهذا المحذوف هو الفاعل، والتقدير: ليحزنني توقُّعُ ذهابكم، وليس ذلك أمراً مستقبلاً بل حالٌ، وأجاب بعضهم بغير ذلك، ينظر مناقشة المسألة في روح المعاني ١١/ ٢٣٠-٢٣١.

(٤) شرح التسهيل لابن مالك، والشاهد فيه قوله: يهولك أن تموت، حيث أسند الفعل إلى متوقع فيتعين فيه الاستقبال، إذ لو أريد الحال لزم سبق الفعل للفاعل في الوجود، وهو محال. ينظر همع الهوامع ١/ ٣٩.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما سيرد عند تفسير الآية (٢٠) من سورة المؤمنون.

(٦) وهي قراءة أبي عمرو أيضاً. السبعة ص٣٤٦، والتيسير ص١٢٨.

(٧) السبعة ص٣٤٦، وجامع البيان للداني ٢/ ٢١٥، وما بين حاصرتين منهما. ونصر هو ابن علي بن نصر، وأبوه عليٌّ هو أبو الحسن الجهضمي البصري، روى القراءة عن أبي عمرو وغيره، توفي سنة (١٨٩هـ). طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٥٨٢.

وعَدَلَ إخوةُ يوسفَ عن أحد الشيئين وهو حزنُه على ذهابهم به؛ لقِصَرِ مدةِ الحزن، وإيهامِهم أنهم يرجعون به إليه عن قريبٍ، وعَدَلوا إلى قضية[1] الذئبِ وهو السببُ الأقوى في منعه أن يذهبوا به، فحلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفةِ الذئبِ أخاهم من بينهم وحالُهم أنهم عَشَرةُ رجالٍ بمثلِهِم تُعصَبُ الأمورُ وتُكْفَى الخطوبُ إنهم إذاً لقومٌ خاسرون، أي: هالكون ضَعْفاً وخَوَراً وعجزاً، أو: مستحقُّون أنْ يَهْلِكوا لأنهم لا غَناءَ عندهم ولا جَدْوَى في حياتهم، أو: مستحقُّون بأنْ يُدْعَى عليهم بالخسارِ والدمارِ، وأن يقال: خسَّرهم اللهُ ودمَّرهم حين أكلَ الذئبُ بعضَهم وهم حاضرون.

وقيل: إنْ لم نَقدِرْ على حفظ بعضِنا فقد هلكَتْ مواشينا إذاً وخسرنا.

ورُوي أنَّ يعقوبَ رأى في منامه كأنه على ذروةِ جبلٍ وكأنَّ يوسفَ في بطن الوادي، فإذا عشرةٌ من الذئاب قد احْتَوَشَتْهُ يُرِدْنَ أكْلَه، فدَرَأَ عنه واحدٌ ثم انشقتِ الأرضُ فتوارَى يوسفُ فيها ثلاثةَ أيامٍ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ حُكي أنهم قالوا ليوسف: اطلب من أبيكَ أن يبعثك معنا، فأقبل على يوسفَ فقال: أتحبُّ ذلك؟ قال: نعم. قال يعقوب: إذا كان غداً أذِنْتُ لك، فلمَّا أصبح يوسفُ لبس ثيابه وشدَّ عليه مِنطَقَته وخرج مع إخوته، فشيَّعهم يعقوبُ وقال: يا بَنيَّ أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسفَ، ثم أقبل على يوسفَ وضمَّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ثم قال: استودعتُكَ الله ربَّ العالمين، وانصرف، فحملوا يوسف على أكتافهم ما دام يعقوبُ يراهم، ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعدو معهم إضراراً به.

---

(١) في (ح): قصة.

وذكر المفسرون أشياءَ كثيرةً تتضمَّن كيفيةَ إلقائه في غَيَابة الجبِّ ومحاورتِهِ لهم بما يُلين الصخر، وهم لا يزدادون إلا قساوةً، ولم يتعرَّضِ القرآنُ ولا الحديثُ الصحيح لشيءٍ منها، فيوقَفُ عليها في كتب التفسير.

وبين هذه الجملةِ والجملِ التي قبلَها محذوفٌ يدل عليه المعنى، تقديره: فأجابهم إلى ما سألوه، وأرسل معهم يوسفَ، فلمَّا ذهبوا به وأجمعوا، أي: عزموا واتفقوا على إلقائه في الجبِّ. و«أن يجعلوه» مفعولُ «أجمعوا»، يقال: أجْمَعَ الأمر وأَزْمَعَه بمعنى العزم عليه.

واحتمل أن يكون الجعلُ هنا بمعنى الإلقاءِ وبمعنى التصيير.

واختلفوا في جواب «لما» أهو مُثْبَتٌ أم محذوف؟ فمن قال: مثبَتٌ، قال: هو قولُهم: «قالوا يا أبانا إنَّا ذهبنا نستبق»، أي: لمَّا كان كَيْتَ وكيت قالوا، وهو تخريجٌ حسن.

وقيل: هو «أوحينا» والواو زائدة، وهذا على مذهب الكوفيين، تزاد عندهم بعد «لما» و«حتى إذا»، وعلى ذلك خرَّجوا قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] أي: ناديناه، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ [الزمر: ٧٣] أي: فُتحت. وقول امرئ القيس

فلمَّا أَجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانتَحى[١]

أي: انْتَحَى.

ومَن قال: هو محذوفٌ، وهو رأيُ البَصْريين، فقدَّره الزمخشري: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، وحَكَى الحكايةَ الطويلةَ فيما فعلوا به وما حاوَرُوه وحاوَرَهم به[٢].

وقدَّره بعضهم: فلمَّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبِّ عظُمَتْ فتنتُهم.

---

(١) وعجزه: بنا بطنُ حِقفٍ ذي ركام عَقَنْقَلِ، وهو في الديوان ص١٥، والحقف من الرمل: المعوج، والعقنقل: المنعقد المتداخل.
(٢) الكشاف ٢/٣٠٦.

وقدَّره بعضهم: جعلوه فيها. وهذا أولى، إذ يدلُّ عليه قولُه: «وأجمعوا أن يجعلوه».

والظاهرُ أنَّ الضمير في «وأوحينا إليه» عائدٌ على يوسفَ، وهو وحيُ إلهامٍ، قاله مجاهدٌ، ورُويَ عن ابن عباس(١). أو منام.

وقال الضحاك وقتادة: نزل عليه جبريلُ في البئر(٢).

وقال الحسن: أعطاه الله النبوة في الجب(٣)، وكان صغيراً، كما أَوْحَى إلى يحيى وعيسى ﷺ، وهو ظاهرُ «أوحينا».

ويدلُّ على أنَّ الضمير عائدٌ على يوسف قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [الآية: ٨٩].

وقيل: الضمير في «إليه» عائدٌ على يعقوب.

وإنما أوحَى إليه ليأنَسَ في الظُّلمة والوحدة(٤)، وليُبَشَّر بما تَؤولُ إليه أمرُه، ومعناه: لتَتَخلَّصنَّ مما أنت فيه ولَتُحدِّثنَّ إخوتك بما فعلوا بك «وهم لا يشعرون» جملةٌ حاليةٌ من قوله: «لتنبِّئنَّهم»، أي: غيرَ عالِمينَ أنك يوسفَ وقتَ التنبئةِ. قاله ابنُ جُريجٍ(٥)، وذلك لعلوِّ شأنكَ وعظمةِ سلطانك، وبُعْدِ حالك عن أذهانهم، ولطول العمرِ المبدِّل للهيئات والأشكال. وذُكر أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون، دعا بالصُّواع، فوضعه على يده ثم نقره فطنَّ، فقال: إنه لَيُخْبِرُني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له: يوسف، وكان يُدْنيهِ دونكم، وأنكم انطلقتُم به وألقيتُموه في غَيَابة الجبِّ وقلتُم لأبيكم: أكله الذئب، وبيعَ بثمنٍ بخس(٦).

---

(١) القول بأنه وحي إلهام أورده عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٩١، والقول بأن الإيحاء إلى يوسف أخرجه عن مجاهد الطبري ١٣/ ٣١.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٢ عن قتادة بلفظ: أوحى الله إليه وهو في الجب أن ينبئهم - وفي رواية: سينبئهم - بما صنعوا به.

(٣) ذكره الجصاص في أحكام القرآن، والقرطبي ١١/ ٢٧٧، وزاد القرطبي نسبته لمجاهد والضحاك وقتادة.

(٤) في (د١) والمطبوع: ليأنس في الظلمة من الوحدة.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٣.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٣.

ويجوز أن يكون «وهم لا يشعرون» حالاً من قوله: «وأوحينا»، أي: وهم لا يشعرون قاله قتادة[١]، أي: بإيحائنا إليك وما أخبرناك به من نجاتك وطولِ عمرك إلى أن تنبئهم بما فعلوا بك.

وقرأ الجمهور: «لتنبئنهم» بتاء الخطاب، وابنُ عمر بياءِ الغيبةِ، وكذا في بعض مصاحف البصرة[٢]، وقرأ سلام بالنون[٣].

والذي يظهرُ من سياقِ الأخبارِ والقصصِ أنَّ يوسفَ كان صغيراً، فقيل: كان عمره إذ ذاك سبعَ سنين. وقيل: ست، قاله الضحاك. وأَبْعَدَ مَن ذهب إلى أنه اثنتا عشرة سنة وثمان عشرة سنة، وكلاهما عن الحسن، أو سبع عشرة سنة قاله ابن السائب[٤]. ويدل على أنه كان صغيراً بحيث لا يدافع عن[٥] نفسه قولُه: «وأخاف أن يأكله الذئب»، و«يرتع ويلعب وإنا له لحافظون»، وأخذُ السيارة له، وقولُ الوارد: «هذا غلام»، وقولُ العزيز: «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً»، وما حُكِيَ من حملهم إياه واحداً بعد واحدٍ، ومن كلامه لأخيه يهوذا: ارْحَمْ ضعفي وعجزي وحداثةَ سنِّي، وارْحَمْ قلبَ أبيك يعقوب. ومَن هو ابنُ ثمانِ عشرةَ سنةً أو سبع عشرةَ لا يُخافُ عليه من الذئب، ولا سيما إنْ كان في رفقة، ولا يقال فيه: «وإنا له لحافظون»؛ لأنه إذ ذاك قادرٌ على التحيُّلِ في نجاة نفسه، ولا يسمَّى غلاماً إلا بمجازٍ، ولا يقال فيه: «أو نتخذَه ولداً».

و«عشاء» نصبٌ على الظرف، أو من العِشْوة والعُشوة: الظلام، فجمع على فِعَال مثل راعٍ ورِعاء[٦]، ويكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن: «عُشًى» على

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٣١٨، والطبري ١٣/ ٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٥، لكن لم يذكر أنها قراءة ابن عمر، ولعله يريد بابن عمر: عيسى بن عمر، فقد روي عنه أنه قرأ بالنون. انظر التعليق اللاحق.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٢، عن سلام وعيسى بن عمر.

(٤) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٩١، إلا أن فيه عن الحسن: اثنتا عشرة سنة، وسبع عشرة سنة، القول الثاني كقول ابن السائب، وكذا ذكره عن الحسن صاحب الكشاف ٢/ ٣٠٧.

(٥) قوله: عن، من (ز١).

(٦) ومثل: قائم وقيام، و«عشاء» على هذا جمع عاشٍ، والعاشي: مَن ساء بصره ليلاً. ينظر =

وزن: دُجّى، جمع عاشٍ حُذِفَ منه الهاء كما حذفت في مألُكٍ وأصله: مَألُكة[1].

وعن الحسن: «عُشَيًّا» على التصغير[2].

قيل: وإنما جاؤوا عشاء ليكونوا أقدرَ على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلبِ الحاجةَ بالليل فإنَّ الحياء في العينين، ولا تعتذر في النهار من ذنبٍ فتتلَجْلَجَ في الاعتذار.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: وجاؤوا أباهم دون يوسف عشاءً يبكون، فقال: أين يوسفُ؟ قالوا إنَّا ذهبنا.

ورُوي أنَّ يعقوبَ لمَّا سمع بكاءهم قال: ما بالُكم، أَجَرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: إنا ذهبنا نستبقُ فأكله الذئب، فبكى وصاح وخرَّ مغشيًّا عليه، فأفاضوا عليه الماءَ فلم يتحرك، ونادَوْه فلم يُجب، ووضع يهوذا يده على مخارج نَفَسِه فلم يحسَّ بنفَسِه، ولا تحرَّك له عِرْقٌ، فقال: ويلٌ لنا من ديَّانِ يومِ الدِّين الذي ضيَّعْنا أخانا وقتلنا أبانا. فلم يُفِقْ إلا ببَرْدِ السَّحَر.

قال الأعمش: لا يصدَّقُ باكٍ بعد إخوةِ يوسف.

و«نستبِق»، أي: نترامى بالسهام، أو نتجارَى على الأقدام أيُّنا أشدُّ عَدْواً، أو: نستبِقُ في أعمالٍ نتوزَّعُها من سقيٍ ورَعْيٍ واحتطابٍ، أو: نتصيَّد. أربعة أقوال.

«عند متاعنا»، أي: عند ثيابنا وما تجرَّدنا له حالةَ الاستباق، وهذا أيضاً يدل على صغر يوسف، إذ لو كان ابنَ ثمان عشرة سنة أو سبعَ عشرةَ لكان يستبقُ معهم.

---

= الإملاء ٢/ ٥٠، والمعجم الوسيط (عشى)، والمعنى والله أعلم: جاؤوا وقد ضعف بصرهم من كثرة البكاء حتى أصبح أحدهم كالعاشي.

(١) المَألُكَة: الرسالة، ويشير إلى قول الشاعر:

أبلغ النعمان عَنّي مألُكاً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري

أراد: مألُكة، وقد سلف البيت عند تفسير الآية (٢٨٠) من سورة البقرة، وذكره مع القراءة ابن جني في المحتسب ١/ ٣٣٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٠٧. قال الألوسي في روح المعاني ١١/ ٢٣٩: وهو تصغير عشي، وهو (أي: العشي) من زوال الشمس إلى الصباح.

«فأكله الذئب» قد ذكرنا أنهم تلقَّنوا هذا الجوابَ من قول أبيهم: «وأخافُ أن يأكله الذئب» لأن أكل الذئب إياه كان أغلبَ ما كان خاف عليه.

«وما أنت بمؤمنٍ لنا»، أي: بمصدِّقٍ لنا الآنَ «ولو كنَّا صادقين»، أو: لستَ مصدقاً لنا على كلِّ حال حتى في حالة الصدق، لمَا غَلَبَ عليك من تُهمتنا وكراهتنا في يوسف وأنَّا نرتادُ له الغوائلَ ونكيدُ له المكائدَ. وأَوْهَموا بقولهم: «ولو كنا صادقين» أنهم صادقون في أكل الذئبِ يوسفَ، فيكونُ صدقُهم مقيَّداً بهذه النازلة، أو من أهلِ الصدق والثقة عند يعقوب قبل هذه النازلة لشدّة محبتكَ ليوسفَ، فكيف وأنت سيِّئُ الظنِّ بنا في هذه النازلة، غيرُ واثقٍ بقولنا فيه.

روي أنهم أخذوا سَخْلَةً أو جَدْياً فذبحوه ولطَّخوا قميصَ يوسفَ بدمه، وقالوا ليعقوب: هذا قميصُ يوسفَ، فأخذه ولطَّخ به وجهَه وبكَى، ثم تأمَّله فلم ير خرقاً ولا أثر نابٍ[1] فاستَدلَّ بذلك على خلافِ ما زعموا، وقال لهم: متى كان الذئبُ حليماً يأكلُ يوسفَ ولا يخرقُ قميصَه.

قيل: كان في قميصِ يوسفَ ثلاثُ آياتٍ: كانَ دليلاً ليعقوب على أنَّ يوسفَ لم يأكُلْه الذئبُ، وألقاه على وجهه فارتدَّ بصيراً، ودليلاً على براءةِ يوسفَ حين قُدَّ من دُبرٍ.

قال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: «على قميصِه» ما محلُّه؟ قلتُ: محلُّه النصبُ على الظرف، كأنه قيل: وجاؤوا فوقَ قميصه بدمٍ، كما تقول: جاء على جِماله بأحْمالٍ.

فإنْ قلتَ: هل يجوزُ أن يكون حالاً متقدِّمة؟ قلتُ: لا؛ لأنَّ حال المجرور لا يتقدَّم عليه[2]. انتهى.

ولا يساعدُ المعنى على نصب «على» على الظرف بمعنى: فوق؛ لأنَّ العاملَ فيه إذ ذاك جاؤوا، وليس الفوقُ ظرفاً لهم، بل يستحيلُ أن يكون ظرفاً لهم، وقال الحَوفي: «على» متعلِّقٌ بـ«جاؤوا» ولا يصحُّ أيضاً.

وأما المثال الذي ذكره الزمخشريُّ، وهو: جاء على جماله بأحمالٍ، فيمكنُ أن

(١) في النسخ: ولا ارتاب، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧، وهو الصواب.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٠٨.

يكون ظرفاً للجائي لأنه تُمْكِنُ الظرفيةُ فيه باعتبارِ تبدُّله من جملٍ على جملٍ، ويكون «بأحمال» في موضع الحال، أي: مصحوباً[١] بأحمالٍ.

وقال أبو البقاء: «على قميصه» في موضعِ نصبٍ حالاً من الدم؛ لأنَّ التقدير: جاؤوا بدمٍ كذبٍ على قميصه[٢]. انتهى.

وتقديمُ الحالِ على المجرور بالحرف غيرِ الزائدِ في جوازِه خلافٌ، ومَن أجاز استَدلَّ على ذلك بأنه موجودٌ في لسان العرب، وأنشد على ذلك شواهدَ هي مذكورةٌ في علم النحو[٣]. والمعنى يرشدُ إلى ما قاله أبو البقاء.

وقرأ الجمهور: «كَذِبٍ» وصفٌ لـ«دم» على سبيل المبالغة، أو على حذفِ مضافٍ، أي: ذي كذبٍ، لمَّا كان دالًّا على الكذب وُصف به وإن كان الكذبُ صادراً من غيره.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «كذباً» بالنصب[٤]، فاحتَمَلَ أنْ يكونَ مصدراً في موضع الحال، وأن يكون مفعولاً من أجْلِه.

وقرأت عائشةُ والحسنُ: «كَدِبٍ» بالدال غيرَ معجمةٍ[٥]، وفُسِّر بالكَدِر، وقيل: الطريّ. وقيل: اليابس. وقال صاحبُ «اللوامح»: ومعناه: ذي كَدِبٍ، أي: أثرٍ؛ لأنَّ الكَدِبَ هو بياضٌ يخرجُ في أظافيرِ الشبَّان ويؤثِّر فيها، فهو كالنقشِ، ويُسمَّى ذلك البياضُ: الفُوفَ، فيكونُ هذا استعارةً لتأثيره في القميص كتأثيرِ ذلك في الأظافير.

«قال بل سوَّلَتْ» هنا محذوفٌ تقديره: لم يأكُلْه الذئبُ بل سوَّلَتْ. قال ابن عباس: أَمَرتْكم أمراً[٦]. وقال قتادة: زيَّنت[٧]. وقيل: رَضِيَتْ أمراً، أي: صنيعاً قبيحاً. وقيل: سهَّلَتْ.

---

(١) في (به): مضموماً، وكذا وقع في الدر المصون ٦/ ٤٥٦ نقلاً عن البحر.
(٢) الإملاء ٢/ ٥٠.
(٣) ينظر التسهيل ص١١٠، وشرحه لابن مالك.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٠٨ دون نسبة.
(٥) القراءات الشاذة ص٦٢-٦٣، والمحتسب ١/ ٣٣٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١١).
(٧) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٩.

«فصبر جميل»، أي: فأمري صبرٌ جميلٌ، أو: فصبرٌ جميلٌ أَمْثَلُ.

وقرأ أبيٌّ والأشهبُ وعيسى بن عمر: «فصبراً جميلاً» بنصبهما، وكذا هي في مصحف أبيٍّ ومصحفِ أنس بن مالك[١]، ورُوي كذلك عن الكسائيِّ، ونَصْبُه على المصدر الخبري، أي: فأصبرُ صبراً جميلاً.

قيل: وهي قراءةٌ ضعيفةٌ عند سيبويه[٢]، ولا يَصْلُحُ النصبُ في مثل هذا إلا مع الأمرِ، ولذلك يَحْسُنُ النصبُ في قوله:

**شكا إليَّ جَمَلي طولَ السُّرى ... صبراً جميلاً فكلانا مُبْتَلى**

ويروى: صبرٌ جميلٌ، في البيت[٣]، وإنما تصحُّ قراءةُ النصب على أن يقدَّر أنَّ يعقوبَ رجع إلى مخاطبة نفسه فكأنه قال: فاصبري يا نفسُ صبراً جميلاً.

وفي الحديث أنَّ الصبر الجميل أنه «الذي لا شَكْوَى فيه»[٤] أي: إلى الخَلْق، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦].

وقيل: أتجمَّلُ لكم في صبري فلا أعاشرُكم على كآبة الوجه وعبوسِ الجبين، بل على ما كنتُ عليه معكم.

وقال الثوريُّ: من الصبر أنْ لا تحدِّثَ بما يُوْجِعُك ولا بمصيبتك ولا تبكي نفسك[٥].

«والله المستعان»، أي: المطلوبُ منه العونُ «على» احتمالِ «ما تصفون» من هلاكِ يوسفَ والصبرِ على الرَّزِيَّة.

«وجاءت سيارة» قيل: كانوا من مدينَ قاصدين إلى مصر.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧، وهي في القراءات الشاذة ص٦٣ عن عيسى بن عمر وحده.
(٢) ينظر الكتاب ١/ ٣٢٠-٣٢١، والكلام منقول من المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧.
(٣) ورد برواية النصب في جمهرة الأمثال ١/ ١٠٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧، والكلام منه، وبرواية الرفع أورده الخليل في الجمل، وسيبويه في الكتاب ١/ ٣٢١، قال سيبويه: والنصب أكثر وأجود لأنه يأمره.
(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٤١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١١٢ عن حِبَّان بن أبي جبلة عن النبي ﷺ مرسلاً.
(٥) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٣١٩، والطبري ١٣/ ٤١، وفيهما: ... ولا تزكي نفسك.

وقيل: في الكلام حذفٌ تقديره: وأقام يوسفُ في الجبِّ ثلاثةَ أيامٍ، وكان أخوه يهوذا يأتيه بالطعام خُفْيةً من إخوته.

وقيل: جاءت السيارةُ في اليوم الثاني من طَرْحِه في الجبِّ.

وقيل: كان التسبيحُ غذاءَه في الجبِّ.

قيل: وكانت السيارةُ تائهةً تسيرُ من أرضٍ إلى أرضٍ.

وقيل: سيارة في الطريق أخطؤوه فنزلوا قريباً من الجبِّ، وكان في قفرةٍ بعيدةٍ من العمران لم تكن إلَّا للرعاة، وفيهم مالك بنُ دُعْرٍ الخزاعيُّ، فأرسلوه ليطلبَ لهم الماءَ.

والواردُ: الذي يَرِدُ الماءَ ليستقيَ للقوم، وإضافةُ الوارد للضمير كإضافته في قوله:

ألقيتَ كاسِبَهم[1]

ليست إضافةً إلى المفعول، بل المعنى: الذي يَرِدُ لهم والذي يكسبُ لهم.

والظاهر أنَّ الوارد واحدٌ، وقال ابن عطية: والواردُ هنا يمكنُ أن يقعَ على الواحدِ وعلى جماعةٍ[2]. انتهى.

وحُمِلَ على معنى السيارة في قوله: «فأرسلوا»، ولو حُمِلَ على اللفظ لكان التركيبُ: فأرسلَتْ واردها.

«فأدلى دلوه»، أي: أرسلها ليستقيَ الماءَ «قال: يا بشراي»، في الكلام حذفٌ تقديره: فتعلَّق يوسفُ بحبلِ الدلو، فلمَّا بَصُرَ به المُدْلي قال: يا بشراي، وتعلُّقُه بالحبلِ يدلُّ على صغره، إذ لو كان ابنَ ثمانيةَ عَشَرَ أو سبعةَ عَشَرَ لم يحملْه الحبلُ

---

(١) قطعة من بيت للحطيئة سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة ٢٨٦]، وتمامه:

ألقيت كاسبهم في قعر مُظلمةٍ    فاغفر عليك سلام الله يا عمر

(٢) لم أقف عليه في مطبوع المحرر الوجيز، لكن ورد فيه ٣/ ٢٢٩ معناه حيث قال: «وأسرُّوه» ظاهر الآيات أنه لوارد الماء.

غالباً، ولفظَةُ «غلام» ترجِّحُ ذلك، إذ يُطْلَقُ عليه ما بين الحولين إلى البلوغ حقيقةً، وقد يُطلَقُ على الرجل الكاملِ، كقول ليلى الأَخْيَلِيَّةِ في الحجَّاج بن يوسف:

غـلامٌ إذا هـزَّ الـقـنـاةَ سـقـاهـا[١]

وقوله: «يا بشراي» هو على سبيلِ السرورِ والفرحِ بيوسف، إذ رأى أحسنَ ما خُلِقَ. وأبعدَ السدِّي في زَعْمِه أنَّ بشرى اسمُ رجلٍ[٢]. وأضاف البشرى إلى نفسه، فكأنه قال: تعالَيْ فهذا من آوِنَتِكِ[٣].

وقرأ: «يا بُشْرَى» بغير إضافةِ الكوفيون[٤]، وروى ورشٌ عن نافعٍ: «يا بشرايْ» بسكونِ ياءِ الإضافة[٥]، وهو جمعٌ بين ساكنَيْنِ على غير حدِّه، وتقدَّمَ تقريرُ مثلِه في ﴿وَمَحْيَايَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقرأ أبو الطُّفيلِ والحسنُ وابنُ أبي أسحاقَ والجَحْدَريُّ: «يا بُشْرَيَّ» بقَلْبِ الألفِ ياءً وإدغامِها في ياءِ الإضافة[٦]، وهي لغةٌ لهذيلٍ ولناسٍ غيرِهم تقدَّم الكلامُ عليها في «البقرة» في ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [الآية: ٣٨].

قيل: ذهب به الواردُ، فلمَّا دنا من أصحابه صاح بذلك فبشَّرهم به، «وأسرُّوه»: الظاهرُ أن الضمير للسيارة التي الواردُ منهم، أي: أَخْفَوه من الرفقة، أو كتموا أمرَه من وجدانهم له في الجبِّ، وقالوا: دفعه إلينا أهلُ الماء لنبيعَه لهم بمصر.

وقال ابن عباس: الضميرُ في «وأسروه» «وشروه»لإخوة يوسف، وأنهم قالوا للرفقة: هذا غلامٌ قد أَبِقَ لنا فاشتروه منَّا، وسكتَ يوسفُ مخافةَ أن يقتلوه[٧].

---

(١) وصدره: شفاها من الداء العُضال الذي بها. الأغاني ١١/٢٤٨، وأمالي القالي ١/٨٦، وزاد المسير ١/٣٨٥.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/٤٣.
(٣) أي: هذا أوان حضوركِ. ينظر روح المعاني ١١/ ٢٥٠.
(٤) السبعة ص٣٤٧، والتيسير ص١٢٨، والكوفيون من السبعة هم: عاصم وحمزة والكسائي.
(٥) السبعة ص٣٤٧.
(٦) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحتسب ١/٣٣٦، والكشاف ٢/٣٠٨، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٨.
(٧) الكشاف ٢/٣٠٩، وأخرجه بنحوه الطبري ١٣/٤٩.

وذلك أنه رُوِيَ أنَّ بعضَهم رجع إلى الجبِّ ليتحقَّقوا أمرَ يوسفَ ويقفوا على الحقيقة من فَقْدِه، فلمَّا علموا أنَّ الواردَ قد أخذوه جاؤوهم وقالوا تلك المقالةَ.

وانتصب «بضاعةً» على الحال، أي: متَّجَراً لهم ومَكسباً.

«واللهُ عليمٌ بما يعملون»، أي: لم تَخْفَ عليه أسرارُهم، وهو وعيدٌ لهم حيثُ استَبْضَعوا ما ليس لهم. أو: واللهُ عليمٌ بعملِ إخوةِ يوسفَ بأبيهم وأخيهم من سوءِ الصَّنيعِ، وفي ذلك أعظمُ إنكارٍ لِمَا[1] فعلوا بيوسفَ.

قيل: أوحَى اللهُ إليه في الجبِّ أنْ لا يُطْلِعَ أباه ولا غيرَه على حالِه لحكمةٍ أراد إمضاءَها، وظَهَرَ بعد ذلك ما جرى له مِن جَعْلِه على خزائنِ الأرض، وإخْواجِ إخوتِهِ إليه، ورَفْعِ أبويه على العرش، وما جرى مجرى ذلك ممَّا كان مكنوناً في القَدَر.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ شرى: بمعنى: باع، وبمعنى: اشترى، قال يزيدُ بنُ مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيُّ:

وشَرَيتُ بُرْداً ليتَني ... مِن بعدِ بردٍ كنتُ هامَةْ[2]

أي: بعتُ برداً، وبردٌ غلامُه. وقال الآخرُ:

ولو أنَّ هذا الموتَ يَقبلُ فديةً ... شريتُ أبا زيدٍ بما ملكتْ يدِي[3]

أي: اشتريتُ أبا زيدٍ.

(١) في (ز١): تذكار لما، وفي باقي النسخ عدا (ح): تذكار بما، والمثبت من (ح)، وهو الأنسب بالسياق.
(٢) ديوان يزيد بن مفرغ ص١٤٤. والهامة: من طيور الليل، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يُدرَكُ ثأره تصير هامة تقول عند قبره: اسقوني اسقوني، فإن أُدرك ثأره طارت. الصحاح (هيم). وكان قد باع غلامه برداً ثم ندم على بيعه.
(٣) لم أقف عليه.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «وشروه» عائدٌ على السيارةِ، أي: وباعوا يوسفَ، ومَن قال: إن الضمير في «وأسرُّوه» عائدٌ على إخوة يوسفَ جَعَلَه عائداً عليهم، أي: باعوا أخاهم يوسفَ بثمنٍ بَخْسٍ.

و«بخس» مصدرٌ وُصِفَ به بمعنى: مبخوسٍ، وقال مقاتل: زَيْفٍ ناقصِ العيارِ.

وقال عكرمةُ والشعبيُّ: قليلٍ[١]. وهو معنى الزمخشريِّ: ناقصٌ عن القيمة نقصاً ظاهراً[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: البخسُ: الخسيسُ الذي بُخِسَ به البائع[٣].

وقال قتادةُ: «بخس»: ظلمٍ[٤]؛ لأنهم ظلموه في بيعه.

وقال ابنُ عباسٍ وقتادةُ أيضاً في آخرين: «بخسٍ»: حرامٍ[٥].

وقال ابنُ عطاءٍ: إنما جَعَلَه بخساً لأنه عوضُ نفسٍ شريفةٍ لا تقابَلُ بعِوَضٍ وإنْ جَلَّ. انتهى. وذلك أنَّ الذين باعوه إن كانوا الواردةَ فإنهم لم يُعطوا به ثمناً، فما أخذوا فيه ربحٌ كلُّه، وإن كانوا إخوتَه فالمقصودُ خلوُّ وجه أبيهم منه لا ثمنه.

و«دراهمَ» بدلٌ من «ثمن»، فلم يبيعوه بدنانيرَ، و«معدودة» إشارةٌ إلى القلَّةِ، وكانت عادتُهم أنهم لا يَزِنُونَ إلا ما بلغ أُوقيةً، وهي أربعون درهماً؛ لأنَّ الكثيرةَ يعسُرُ فيها العدُّ بخلافِ القليلةِ.

قال عكرمة في روايةٍ عن ابن عباس وابنُ إسحاق: أربعون درهماً[٦].

وقيل: ثلاثون درهماً ونعلان وحُلةٌ.

(١) أخرجه عنهما الطبري ١٣/ ٥٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٠٩.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٩٦.
(٤) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٣٢٠، والطبري ١٣/ ٥٥.
(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ٥٤ عن ابن عباس والضحاك، وعزاه لهما ولقتادة ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٩٦.
(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٦ عن عكرمة قوله، ولم أقف عليه عن ابن عباس، وجاء في زاد المسير ٤/ ١٩٦: قاله عكرمة في رواية وابن أبي إسحاق. ليس فيه: عن ابن عباس.

وقال السدِّي: كانت اثنين وعشرين درهما، كذا نقله الزمخشريُّ عنه[(١)]، ونقله ابنُ عطيةَ عن مجاهدٍ أخذها إخوتُه درهمين درهمين[(٢)]، وصاحبُ «التحرير» عنه وعن ابن عباس.

وقال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ في روايةٍ وعكرمةُ في روايةٍ ونوفٌ الشاميُّ ووهبٌ والشعبيُّ وعطيةُ والسدِّيُّ ومقاتلٌ في آخَرينَ: عشرون درهماً[(٣)].

وعن ابن عباس أيضاً: عشرون وحُلةٌ ونعلان[(٤)].

وقيل: ثمانيةَ عَشَر درهماً اشتروا بها أخفافاً ونعالاً.

وقيل: عشرة دراهم.

والظاهرُ عَوْدُ الضميرِ في «فيه» إلى يوسفَ، أي: لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحَّاكُ وابنُ جُرَيجٍ[(٥)].

وقيل: يعود على الثَّمن، وزهدُهم فيه لرداءةِ الثمن، أو لقصدِ إبعادِ يوسفَ لا الثمن[(٦)]، وهذا إذا كان الضمير في «وشَرَوْه» «وكانوا» عائداً على إخوة يوسفَ، فأمَّا إذا كان عائداً على السيارة فزهدُهم فيه لكونهم ارتابوا فيه، أو لوصفِ إخوته له بالخيانة والإباقِ، أو لعِلْمِهم أنه حرٌّ.

وقال الزمخشريُّ: «من الزاهدين»: ممن يَرْغَبُ عمَّا في يده فيبيعُه بما طفَّ[(٧)] من الثمن؛ لأنهم التقطوه، والملتقِطُ للشيء متهاوِنٌ به لا يبالي بما باعه، ولأنه

(١) الكشاف ٢/ ٣٠٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٠، وأخرجه الطبري ١٣/ ٥٨، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ١٩٧ عن مجاهد وابن عباس.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٩٦، وأخرجه الطبري ١٣/ ٥٦-٥٨ عن ابن مسعود وابن عباس والسدي ونوفٍ وعطية وقتادة.
(٤) زاد المسير ٤/ ١٩٦.
(٥) أخرجه عنهما الطبري ١٣/ ٦٠-٦١، وقوله: مكانه، أي: منزلته ومكانته، كما جاء في روايات الطبري.
(٦) أي: لا لقصد الثمن. ينظر زاد المسير ٤/ ١٩٧.
(٧) أي: قلَّ، والطفيف: القليل. ينظر التاج (طفف).

يخاف أن يَعْرِضَ له مستحِقٌّ يَنتزِعُه من يده، فيبيعُه من أولِ مُساوِمٍ بأَوْكسِ الثَّمن، ويجوزُ أن يكونَ معنى «وشروه»: اشتروه، -يعني الرفقةَ- من إخوته، «وكانوا فيه من الزاهدين» لأنهم اعتقدوا فيه أنه آبِقٌ فخافوا أن يخاطِروا بمالهم فيه، ويُروَى أنَّ إخوته اتَّبعوهم يقولون: استوثِقوا منه لا يأبقَ[١]. انتهى.

و«فيه» تقدَّم نظيرُه في ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] وأنه خرَّج تعلُّقُ الجارِّ إما بأعني مضمرةً، أو بمحذوفٍ يدلُّ عليه «من الزاهدين»، أي: وكانوا زاهدينَ فيه من الزاهدين، أو بـ«الزاهدين» لأنهُ يُتسامح في الجارِّ والظرفِ فجوِّزَ فيهما ما لا يجوَّز في غيرهما.

«وقال الذي اشتراه من مصر» ذَكَروا أقوالاً متعارِضةً فيمَن اشتراه، وفي الثمن الذي اشتراه به، ولا يتوقَّفُ تفسيرُ كتابِ الله على تلك الأقوالِ المتعارِضة:

فقيل: اشتراه رجلٌ من العماليق، وقد آمَنَ بيوسفَ ومات في حياةِ يوسفَ، قيل: وهو إذ ذاك الملكُ بمصر، واسمُه: الريَّانُ بنُ الوليد بن بروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، فمَلَكَ بعده قابوسُ بنُ مصعب بن نُمَيْر بن السلواس بن فاران بن عمرو المذكورِ في نسبِ الريان، فدعاه يوسفُ إلى الإيمانِ فأبى، اشتراه العزيزُ وهو ابنُ سبعَ عَشْرةَ سنةً، وأقام في منزله ثلاثَ عَشْرةَ سنةً، واستَوْزَرَه الريانُ بن الوليد وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً، وآتاه الله الحكمةَ والعلمَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، وتوفِّي وهو ابنُ مئة وعشرين سنةً.

وقيل: كان الملكُ في أيامه فرعونَ موسى عاش أربعَ مئةِ سنةٍ بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

وقيل: فرعون موسى من أولادِ فرعونِ يوسفَ[٢].

وقيل: عُرِضَ في السوق وكان أجملَ الناسِ، فوقَعَتْ فيه مزايدةٌ حتى بلغ ثمناً عظيماً، فقيل: وزنه من ذهبٍ ومن فضةٍ ومن حريرٍ، فاشتراه العزيزُ وهو كان

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٠٩.

(٢) تنظر هذه الأقوال في الكشاف ٢/ ٣٠٩، وفي الأول اختلاف يسير عما ذكره المصنف.

حاجبَ الملكِ وخازِنَه، واسمُ الملك: الريانُ بنُ الوليد، وقيل: مصعب بن الريان، وهو أحدُ الفراعنة[(١)].

واسم العزيز: قطفير، قاله ابن عباس[(٢)]، وقيل: أطفير[(٣)]. وقيل: قنطور.

واسم امرأته: راعيل، وقيل: زليخا.

قال ابنُ عطيةَ: وظاهرُ أمرِ العزيزِ أنه كان كافراً، ويدلُّ على ذلك كونُ الصنم في بيته حَسْبَما يُذْكَرُ[(٤)]، وقال مجاهد: كان مسلماً[(٥)].

واسم امرأة العزيز: راعيل بنتُ رعاييل.

وقال السدِّيُّ: العزيز هو الملك، واسمُ امرأته زليخا بنتُ تمليخا.

و«مثواه»: مكانُ إقامته، وهو كنايةٌ عن الإحسانِ إليه في مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ.

ولامُ «لامرأته» تتعلَّق بـ«قال» فهي للتبليغ، نحو: قلتُ لك، لا بـ«اشتراه».

«عسى أن ينفعنا»: لعله إذا تدرَّبَ وراضَ الأمورَ وعرفَ مجاريَها نستعينُ به على بعض ما نحن بصددِه فينفعَنا بكفايته، أو نتبنَّاه ونُقيمُه مقامَ الولد. وكان قُطفيرُ عقيماً لا يولَدُ له، فتفرَّسَ فيه الرشدَ فقال ذلك.

«وكذلك»، أي: مِثْلَ ذلك التمكينِ من قلب العزيز حتى عَطَفَ عليه وأَمَرَ امرأتَه بإكرام مثواه «مكَّنَّا ليوسف في الأرض»، أي: أرضِ مصرَ يتصرَّفُ فيها بأمره ونهيه، أي: حكَّمناه فيها، ولامُ «ولنعلِّمه» متعلِّقةٌ بمحذوفٍ إمَّا قبلَه، أي: لنملِّكَه ولنعلِّمه،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٠.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٦١.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٦١ عن ابن إسحاق.
(٤) عبارة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١: حسبما نذكره في البرهان الذي رأى يوسفُ، وقد جاء في المحرر الوجيز عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: وقيل: بل كان البرهان الذي اتعظ به أن زليخا قالت له: مكانك حتى أستر هذا الصنم - لصنم كان معها في البيت - فإني أستحي منه أن يراني على هذه الحال... إلخ.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١، وأخرجه الطبري ١٣/ ٦٣ بلفظ: اشتراه الملك، والملك مسلم.

وإمَّا بعدُ، أي: ولنعلِّمه من تأويلِ الأحاديث كان ذلك الإنجاءُ والتمكينُ. أو الواوُ مقحَمةٌ، أي: مكنَّا ليوسفَ في الأرض لنعلِّمه. وكلٌّ مقولٌ.

و«الأحاديث»: الرّؤيا، قاله مجاهدٌ[١]، وقيل: أحاديث الأنبياء والأمم.

والضميرُ في «على أمره» الظاهرُ عَوْدُه على «الله» -قاله ابنُ جبيرٍ[٢]- لا يُمنعُ عمَّا يشاءُ ولا ينازَعُ فيما يريدُ ويَقضي، أو على يوسفَ، قاله الطبري[٣]، أي: يدبِّره ولا يَكِلُه إلى غيرِه؛ قد أراد إخوتُه به ما أرادوا ولم يَكُنْ إلَّا ما أراد الله ودبَّر.

و«أكثر الناسِ» المنفيُّ عنهم العلمُ هم الكفارُ، قاله ابنُ عطية[٤].

وقال الزمخشري: «لا يعلمون» أنَّ الأمر بيد الله[٥].

وقيل: المراد بالأكثر الجميعُ، أي: لا يطَّلعون على غيبِه.

وقيل: المراد بأكثر الناس أهلُ مصر. وقيل: أهلُ مكةَ.

و الأَشُدُّ عند سيبويه جمعٌ واحدُه: شِدَّةٌ[٦]، كـ: نعمة وأنعُم[٧]. وقال الكسائيُّ: شَدٌّ وأشُدٌّ، نحو صَكٌّ وأصُكٌّ[٨]، وقال الشاعر:

عَهْدي به شَدَّ النَّهار كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسُه بالعَظْلَمِ[٩]

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٦٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١، وينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٥-٦٦.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٦٥.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١.

(٥) الكشاف ٢/ ٣١٠.

(٦) بعدها في النسخ عدا (ح): وأشد، والمثبت من (ح) وهو الصواب، وكذا جاءت العبارة في المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١، وروح المعاني ١٢/ ٢٦٢ بحذفها.

(٧) الكتاب ٣/ ٥٨١-٥٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣١.

(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣١، ومثَّل له ابن عطية بـ: قَدٌّ وأقُدٌّ، وكلاهما صواب. وذكر قول الكسائي أيضاً النحاس في معاني القرآن ٥/ ١٦٤.

(٩) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٢٧، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢١، والخصائص لابن جني ٣/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣١. وجاء في الديوان: مدَّ النهار، وهما روايتان كما في الخزانة ٩/ ٤٩٢. والعظلم: صبغ أحمر. اللسان (عظلم).

وزعم أبو عبيدةَ أنه لا واحدَ له من لفظه عند العرب[١].

والأشدُّ: بلوغ الحُلُم؛ قاله الشعبيُّ وربيعة وزيد بن أسلم. أو: سبعةَ عَشَرَ عاماً إلى نحوِ الأربعين؛ قاله الزجاج. أو ثمانيةَ عَشَرَ إلى ستين. أو: ثمانية عَشَرَ؛ قاله عكرمة، ورواه أبو صالح عن ابن عباس. أو: عشرون؛ قاله الضحاك. أو: إحدى وعشرون سنةً. أو: ثلاثون. أو: ثلاثةٌ وثلاثون؛ قاله مجاهدٌ وقتادةُ، ورواه ابنُ جبيرٍ عن ابن عباس. أو: ثمانٍ وثلاثون؛ حكاه ابنُ قتيبةَ. أو: أربعون؛ قاله الحسن[٢].

وسُئل الفاضلُ النَّحْويُّ مهذَّبُ الدِّين محمدُ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ، أبو طالبٍ الخيميُّ[٣] عن الأشُدِّ فقال: هو خمسٌ وثلاثون، وتمامُه أربعون.

وقيل: أقصاه اثنان وستون.

والحُكْم: الحكمة، والعلم: النبوَّة.

وقيل: الحُكْم بين الناس، والعلم: الفقهُ في الدِّين، وهذا أشبهُ؛ لمجيء قصة المراوَدَةِ بعد هذه القصة.

«وكذلك»، أي: مِثْلَ ذلك الجزاءِ لمن صَبَرَ ورضيَ بالمقادير «نجزي المحسنين»، وفيه تنبيهٌ على أنَّ يوسفَ كان مُحْسِناً في عنفوان شبابه فآتاه الله الحُكْمَ والعلمَ جزاءً على إحسانه.

وعن الحسن: مَن أَحْسَنَ عبادةَ اللهِ في شبيبته آتاه اللهُ الحكمةَ في اكتهالِه[٤].

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٥.

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٠٠. وقولا مجاهد والضحاك أخرجهما الطبري ١٣/ ٦٧-٦٨، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٩٩، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢١٥.

(٣) الحلي العراقي الأديب الشاعر المعمَّر، نزيل مصر، له حروف القرآن، وأمثال القرآن، وكتاب إسطرلاب الشعر، وغيرها، توفي سنة (٦٤٢هـ). ووقع في النسخ: بن أبي طالب، مكان: أبو طالب، والمثبت من المصادر. ينظر وفيات الأعيان ١/ ٣٠٩، والوافي بالوفيات ٤/ ١٨١، وتوضيح المشتبه ٣/ ٤٩٤، وطبقات الشافعية ٨/ ٧٩، وهدية العارفين ٢/ ١٢١.

(٤) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣١٥) و(٢٥٩٧)، والخطيب في موضح أوهام =

وقال ابن عباس: المحسنين: المهتدين[١].

وقال الضحاك: الصابرين على النوائب[٢].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾
المُراوَدةُ: المطالَبةُ برفقٍ، من رادَ يَرودُ: إذا ذهب وجاء، وهي مفاعَلةٌ من واحدٍ، نحو: داوَيْتُ المريضَ، وكُني به عن طلبِ النكاحِ والمخادَعةِ لأجْلِه، كأنَّ المعنى: وخادَعَتْه عن نفسِه، ولذلك عدَّاه بـ«عن»، وقال: «التي هو في بيتها» ولم يصرِّح باسمها ولا بـ«امرأة العزيز» ستراً على الحُرَم، والعربُ تضيفُ البيوتَ إلى النساء، فتقول: ربَّةُ البيت، وصاحبةُ البيت، قال الشاعر:

يا ربَّةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ[٣]

«وغلَّقت الأبواب» هو تضعيفُ تكثيرٍ بالنسبة إلى وقوعِ الفعلِ بكلِّ بابٍ بابٍ. قيل: وكانت سبعةَ أبوابٍ.

«هَيْتَ» اسمُ فعلٍ بمعنى: أَسْرِعْ، و«لك» للتبيين، أي: لك أقولُ، أَمَرَتْه بأنْ يُسْرِعَ إليها، وزعم الكسائيُّ والفرَّاء أنها لغةٌ حورانيةٌ وقعت إلى أهلِ الحجاز فتكلَّموا بها، ومعناها: تعالَ[٤]. وقاله عكرمة[٥].

---

= الجمع والتفريق ٢/ ٢٨١، وذكره الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣١٠ وعنه نقل المصنف.

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٦٩.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٤١٧.

(٣) صدر بيت لمرَّة بن محكان السعدي كما في معجم الشعراء للمرزباني ص٢٩٥، والمستقصى للزمخشري ١/ ٢٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٥٦٢، وعجزه:

ضمي إليك رحال القوم والقُرُبا

قال المرزوقي: خاطب امرأته وبعثها على القيام للاحتفاف بالنازلين من الأضياف. والقُرُب: جمع قراب، وهو جراب واسع يصان فيه السلاح والثياب.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠، وتفسير الطبري ١٣/ ٧٤.

(٥) علقه البخاري قبل الحديث (٤٦٩٢)، وأخرجه الطبري ١٣/ ٧٢ من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هي بالحورانية.

وقال أبو زيد: هي عبرانيةٌ: هيتلخ، أي: تعاله، فأعربه القرآن[١]. وقال ابن عباس والحسن: بالسريانية. وقال السُّديُّ: بالقِبْطية هلمَّ لك. وقال مجاهدٌ وغيرُه: عربيةٌ تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمةُ حثٍّ وإقبالٍ[٢]. انتهى.

ولا يَبْعدُ اتِّفاقُ اللغاتِ في لفظٍ، فقد وُجد ذلك في كلام العرب مع لغاتِ غيرِهم، وقال الجوهريُّ: هَوَّتَ وهَيَّتَ به: صاح به فدعاه[٣].

ولا يَبْعُدُ أن يكونَ مشتقًّا من اسم الفعل كما اشتقُّوا من الجُمَل نحوَ سبَّح وحَمْدَلَ، ولمَّا كان اسمَ فعلٍ لم يَبرُزْ فيه الضمير، بل يُدَلُّ على رتبةِ الضمير بما يتَّصلُ باللام من الخطاب، نحو: هَيْتَ لكَ، وهَيْتَ لكِ، وهَيْتَ لكما، وهَيْتَ لكم، وهَيْتَ لَكُنَّ.

وقرأ نافعٌ وابنُ ذكوانَ والأعرجُ وشيبةُ وأبو جعفرٍ: «هِيْتَ» بكسرِ الهاءِ بعدَها ياءٌ ساكنةٌ وفتحِ التاء، والحلوانيُّ عن هشامٍ كذلك إلا أنه هَمَزَ، وعليٌّ وأبو وائلٍ وأبو رجاءٍ ويحيى وعكرمةُ ومجاهدٌ وقتادةُ وطلحةُ والمقرئ، وابنُ عباسٍ وابنُ عامرٍ في روايةٍ عنهما، وأبو عمرٍو في رواية، وهشامٌ في روايةٍ كذلك إلا أنهم ضمُّوا التاءَ، وزيد بن عليٍّ وابنُ أبي إسحاقَ كذلك إلا أنهما سهَّلا الهمزةَ. وذكر النحاسُ أنه قُرِئَ بكسر الهاء بعدها ياءٌ ساكنةٌ وكسرِ التاء.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأهلُ مكةَ بفتحِ الهاءِ وسكونِ الياءِ وضمِّ التاء، وباقي السبعةِ: أبو عمرو والكوفيون وابنُ مسعودٍ والحسنُ والبصريون كذلك إلا أنهم فتحوا التاء، وابنُ عباسٍ وأبو الأسودِ وابنُ أبي إسحاقَ وابنُ محيصنٍ وعيسى البصرةِ كذلك إلا أنهم كسروا التاء.

وعن ابنِ عباسٍ: «هُيِّيتُ» مثلَ: حُيِّيتُ[٤].

---

(١) تهذيب اللغة، واللسان والتاج (هيت)، وفيها جميعاً: هيتالج، مكان: هيتلخ.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ١٣/ ٧٢-٧٣.

(٣) الصحاح (هيت).

(٤) تنظر هذه القراءات في تفسير الطبري ١٣/ ٧٤-٧٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢١-٣٢٢، والقراءات الشاذة ص٦٣، والمحتسب ١/ ٣٣٧-٣٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٢-٢٣٣. وقراءة «هَيْتُ» بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء عن ابن كثير، وقراءة «هِيْتَ» بكسرِ

فهذه تسعُ قراءاتٍ هي فيها اسمُ فعلٍ، إلَّا قراءةَ ابنِ عباسٍ الأخيرةَ فإنها فعلٌ مبنيٌّ للمفعول مسهَّلُ الهمزةِ من هيَّأْتُ الشيءَ، وإلا مَن ضمَّ التاءَ وكسر الهاءَ سواءٌ همزَ أم لم يَهْمِزْ، فإنه يحتمِلُ أن يكون اسمَ فعلٍ كحالها عند فتح التاء أو كسرِها، ويحتمِلُ أن يكونَ فعلاً رافعاً ضميرَ المتكلِّم من هاءَ الرجلُ يَهِيْءُ: إذا أَحْسَنَ هيئتَه، على مثالِ: جاء يَجِيءُ، أو بمعنى: تهيَّأْتُ، يقال: هِئْتُ وتهيَّأْتُ بمعنًى واحدٍ، فإذا كان فعلاً تعلَّقتِ اللامُ به.

وفي هذه الكلمةِ لغاتٌ أُخَرُ.

وانتصب «معاذ الله» على المصدر، أي: عياذاً بالله من فعلِ السُّوء. والضميرُ في «إنه» الأصحُّ أن يعودَ على الله تعالى، أي: إنَّ الله ربِّي أحسنَ مثوايَ إذ نجَّاني من الجبِّ وأقامني في أحسنِ مقامٍ، وأمَّا أن يكونَ ضميرَ الشأن وعَنَى بربِّه سيدَه العزيزَ، أي: فلا يصلُحُ لي أن أخونَه وقد أكرمَ مثوايَ وائتمنني، فقاله[1] مجاهدٌ والسدِّيُّ وابنُ إسحاقَ[2]، ويَبْعُدُ جدًّا؛ إذ لا يُطلِقُ نبيٌّ كريمٌ على مخلوقٍ أنه ربُّه ولا بمعنى السيد؛ لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكاً له.

«إنه لا يُفْلِحُ الظالمون»، أي: المجازُونَ الإحسانَ بالسوء، وقيل: الزناة. وقيل: الخائنون.

وقرأ أبو الطُّفَيْلِ والجَحْدريُّ: «مَثْوَيَّ»[3] كما قرأ: «يا بشريَّ»[4].

وما أَحْسَنَ هذا التنصُّلَ من الوقوع في السوء؛ استعاذ أولاً بالله الذي بيده العصمةُ وملكوتُ[5] كلِّ شيءٍ، ثم نَبَّهَ على أنَّ إحسانَ الله أو إحسانَ العزيز الذي

---

= الهاء وسكون الياء وفتح التاء عن نافع وابن ذكوان، وقراءة «هِئْتُ» و«هِئْتَ» بضم التاء وفتحها مع الهمز فيهما، كلاهما عن هشام، وقراءة «هَيْتَ» بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء عن عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو، في السبعة ص٣٤٧ والتيسير ص١٢٨.

(١) في المطبوع: قاله.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ١٣/ ٧٨-٧٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٣. وتحرفت «مثويَّ» في مطبوعه إلى: «مثواي».

(٤) القراءات الشاذة ص٦٢، والمحتسب ١/ ٣٣٦.

(٥) في (ح): وبيده ملكوت.

سَبَقَ منه لا يناسِبُ أن يُجازَى بالإساءة، ثم نَفَى الفلاح عن الظالمين وهو[١] الظَّفَرُ والفوزُ بالبُغْيةِ، فلا يناسِبُ أن أكونَ ظالماً أضعُ الشيء غيرَ موضعه وأتعدَّى ما حدَّه الله تعالى لي.

«ولقد همَّتْ به وهمَّ بها لولا أنْ رأى برهانَ ربِّه» طوَّل المفسِّرون في تفسيرِ هذينِ الهمَّيْنِ، ونَسَبَ بعضُهم ليوسفَ ما لا يجوزُ لآحادِ الفُسَّاق.

والذي أختارُه: أنَّ يوسفَ ﷺ لم يقع منه همٌّ بها البتةَ، بل هو مَنْفيٌّ لوجودِ رؤيةِ البرهان، كما تقول: لقد قارفتَ لولا أن عَصَمكَ اللهُ. ولا نقول: إنَّ جواب «لولا» متقدِّمٌ عليها، وإنْ كان لا يقومُ دليلٌ على امتناعِ ذلك، بل صريحُ أدواتِ الشرطِ العاملةِ مختلَفٌ في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البَصْريِّينَ أبو زيدِ الأنصاريِّ وأبو العباس المبرِّدُ، بل نقول: إنَّ جوابَ «لولا» محذوفٌ لدلالةِ ما قبلَه عليه، كما يقول جمهورُ البَصْريين في قول العرب: أنتَ ظالمٌ إن فعلْتَ، فيقدِّرونه: إنْ فعلتَ فأنتَ ظالمٌ، ولا يدلُّ قولُه: أنتَ ظالمٌ على ثبوتِ الظلم، بل هو مُثْبَتٌ على تقديرِ وجودِ الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أنْ رأى برهانَ ربِّه لهمَّ بها، فكان يوجَدُ الهمُّ على تقدير انتفاءِ رؤيةِ البرهان، لكنه وُجِدَ رؤيةُ البرهانِ فانتفى الهمُّ.

ولا التفاتَ إلى قولِ الزجَّاج: ولو كان الكلامُ: ولهمَّ بها، كان بعيداً فكيف مع سقوطِ اللام[٢]؟ لأنه تَوَهَّمَ أنَّ قوله: «وهمَّ بها» هو جوابُ «لولا»، ونحن لم نَقُلْ بذلك، وإنَّما هو دليلُ الجواب، وعلى تقديرِ أنْ يكونَ نفسَ الجواب فاللامُ ليست بلازمةٍ؛ يجوزُ أنْ يأتي[٣] جوابُ «لولا» إذا كان بصيغة الماضي باللام وبغيرِ لامٍ، تقول: لولا زيدٌ لأكرمتُك، و: لولا زيدٌ أكرمتُكَ، فَمَنْ ذهبَ إلى أنَّ قوله: «وهمَّ بها» هو نفسُ الجواب لم يُبْعِدْ.

ولا التفاتَ لقولِ ابن عطيَّةَ: إنَّ قولَ مَن قال: إنَّ الكلام قد تمَّ في قوله: «ولقد همَّتْ به»، وإنَّ جواب «لولا» في قوله: «وهمَّ بها»، وإنَّ المعنى: لولا أنْ رأى

(١) في (ح): والفلاح.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٠٢.
(٣) في المطبوع: لجواز أن ما يأتي.

البرهان لهمَّ بها، فلم يهمَّ يوسفُ ﷺ، قال: وهذا قولٌ يردُّه لسانُ العرب وأقوالُ السلف[١]. انتهى.

أمَّا قولُه: يردُّه لسانُ العرب، فليس كما ذَكَر، وقد استدلَّ مَن ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب، قال الله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] فقولُه: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى﴾ إمَّا أنْ يتخرَّجَ على أنه الجوابُ على ما ذهب إليه ذلك القائلُ، وإمَّا أنْ يتخرَّجَ على ما ذهبنا إليهِ من أنه دليلُ الجواب، والتقدير: لولا أنْ رَبَطْنا على قلبها لكادَتْ تُبْدِي به.

وأمَّا أقوالُ السَّلفِ فنعتقدُ أنه لا يصحُّ عن أحدٍ منهم شيءٌ من ذلك؛ لأنها أقوالٌ متكاذِبةٌ يناقِضُ بعضُها بعضاً، مع كونها قادحةً في بعض فُسَّاقِ المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي رَوَوْا عن السَّلف لا يساعِدُ عليه كلامُ العرب؛ لأنهم قدَّروا جوابَ «لولا» محذوفاً، ولا يدلُّ عليه دليلٌ؛ لأنهم لم يقدِّروا: لهمَّ بها، ولا يدلُّ كلامُ العرب إلَّا على أن يكونَ المحذوفُ من معنى ما قبلَ الشرطِ؛ لأنَّ ما قبل الشرطِ دليلٌ عليه، ولا يحذفُ الشيءُ لغيرِ دليلٍ عليه، وقد طهَّرْنا كتابَنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير ممَّا لا يليقُ ذِكْرُه واقتصرنا على ما دلَّ عليه لسانُ العرب، ومَسَاقُ الآيات التي في هذه السورةِ ممَّا يدلُّ على العصمة وبراءةِ يوسفَ ﷺ من كلِّ ما يَشِينُ، ومَن أراد أن يقفَ على ما نُقِلَ عن المفسرين في هذه الآية فليطالِعْ ذلك في تفسير الزمخشري[٢] وابنِ عطيةَ[٣] وغيرِهما.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٥.

(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٣١١-٣١٢. ولابُدَّ من الإشارة هنا إلى أن الزمخشري قد أعرب الآية كما أعربها المصنف، أي: أن الجواب محذوف دلَّ عليه ما قبله، أما في المعنى فقد أجاز أيضاً ما اختاره المصنف، وعبَّر عن ذلك بقوله: ويجوز أن يريد بقوله: «وهم بها»: وشارف أن يهمَّ بها، كما يقول الرجل: قتلتُه لو لم أخف الله، يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه. وأجاز الزمخشري أيضاً - وقدَّمه - أن يكون الهمُّ واقعاً من يوسف لكن ليس كهمِّها، بل المراد: أن نفسه مالت إلى المخالطة، قال: ولو كان همُّه كهمِّها عن عزيمة لَمَا مدحَه الله بأنه من عباده المخلصين. وينظر روح المعاني ١٢/ ٢٧١ وما بعدها، وقد ذكر الآلوسي رحمه الله في ذلك كلاماً حسناً فراجعه.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٤.

والبرهانُ الذي رآه يوسفُ هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدالِّ على تحريم ما حرَّمه الله، وأنه لا يمكنُ الهمُّ به فضلاً عن الوقوع فيه.

«كذلك لنَصْرِفَ عنه السوءَ والفحشاءَ»؛ قال الزمخشريُّ: الكافُ منصوبُ المَحلّ، أي: مِثْلَ ذلك التثبيتِ ثبَّتناه، أو مرفوعةٌ أي: الأمرُ مثلُ ذلك[1].

وقال ابن عطية: والكافُ من قوله: «كذلك» متعلِّقةٌ بمضمَرٍ تقديره: جرتْ أفعالُنا وأقدارُنا كذلك لنصرِفَ، ويَصحُّ أن تكونَ الكافُ في موضع رفعٍ بتقدير: عِصْمَتُه كذلك لنَصْرِفَ[2].

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: هَمَّتْ به وهمَّ بها كذلك، ثم قال: لولا أن رأى برهان رَبِّه لنَصْرِفَ عنه ما همَّ به. انتهى.

وقال الحوفي: «كذلك» الكافُ للتشبيه في موضع نصبٍ، أي: أَرَيْناه البراهينَ كذلك.

وقيل: في موضع رفعٍ، أي: أَمْرُ البراهينِ كذلك. والنصبُ أجودُ؛ لمطالبةِ حروفِ الجرِّ للأفعال أو معانيها.

وقال أبو البقاء: «كذلك» في موضعِ رفعٍ، أي: الأمرُ كذلك. وقيل: في موضع نصبٍ، أي: نُراعيه كذلك[3]. انتهى.

وأقول: إنَّ التقدير: مِثْلَ تلك الرؤيةِ - أو: مِثْلَ ذلك الرأيِ - نُري براهينَنا لنَصْرِفَ عنه، فتُجعَلُ الإشارةُ إلى الرأي أو الرؤيةِ، والناصبُ للكاف ما دلَّ عليه قولُه: «لولا أنْ رأى برهانَ ربِّه»، و«لنصرِفَ» متعلِّقٌ بذلك الفعلِ الناصبِ للكاف، ومصدرُ «رأى»: رؤيةٌ ورأيٌ، قال:

ورأيُ عَيْنَيَّ الفتى أباكا ... يُعْطي الجزيلَ فعليكَ ذاكا[4]

(١) الكشاف ٢/ ٣١٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٥، ولفظه: عصمتنا له كذلك...
(٣) الإملاء ٢/ ٥١-٥٢.
(٤) عزاه سيبويه في كتابه ١/ ١٩١ لرؤبة بن العجاج، وهو في ملحقات ديوانه ص١٨١.

وقرأ الأعمش: «لِيَصْرِفَ» بياءِ الغيبةِ عائداً على «ربِّه»[(١)].

وقرأ العربيان وابنُ كثير: «المخلصين» إذا كان فيه «أل» حيث وقع بكسر اللام، وباقي السبعةِ بفتحها[(٢)].

وفي صَرْفِ السوءِ والفحشاءِ عنه وكونِهِ من المخلَصينَ دليلٌ على عِصْمَتِه.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: واستبقَ يوسفُ وامرأةُ العزيزِ إلى الباب؛ هذا للخروج والهروب منها، وهذه لمنعه ومُراوَدَته.

وأصلُ «استبق» أن يتعدَّى بـ«إلى»، فحُذِفَ اتِّساعاً.

وتقدَّم أن الأبوابَ سبعةٌ، فكان تنفتح له الأبوابُ باباً باباً من غيرِ مفتاحٍ على ما نُقل عن كعبٍ: أن فراش القفل كان يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب[(٣)].

ويحتملُ أن تكونَ الأبوابُ المغلَّقةُ ليست على الترتيب باباً فباباً، بل تكونُ في جهاتٍ مختلفةٍ كلُّها مَنافِذُ للمكان الذي كانا فيه، فاستبقا إلى بابٍ يخرج منه ولا يكون السابعَ على الترتيب، بل أحدَها.

و«قدَّت» يحتملُ أن يكون معطوفاً على «واستبقا»، ويحتملُ أن يكون حالاً، أي: وقد قَدَّتْ، جَذَبتْه مِن خَلْفِه بأعلى القميصِ من طَوْقِهِ فانْخَرقَ إلى أسفله.

والقدُّ: القطعُ والشَّقُّ، وأكثرُ استعمالِهِ فيما كان طُولاً، قال:

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٥.
(٢) السبعة ص٣٤٨، والتيسير ص١٢٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٣١٣.

تَـقُـدُّ الـسَّـلُوقـيَّ الـمضـاعَـفَ نَـسْـجُـه     وتُـوْقِـدُ بـالـصُّـفَّـاحِ نـارَ الـحُـبـاحِـبِ[1]

والقطُّ يُستعمل فيما كان عرضاً. وقال المفضَّل بن حربٍ: رأيتُ في مصحفٍ: «قُطَّ[2] من دبرٍ»، أي: شُقَّ.

قال يعقوب: القَطُّ[3] الشَّقُّ في الجلد الصحيح والثوب الصحيح[4].

وقال ابن عطية: وقرأتْ فرقةٌ: «قط»[5].

«وألفيا سيدها»، أي: وَجَدَا وصادَفَا زوجَها وهو قطفيرُ، والمرأةُ تقول لبعلها: سيدي، ولم يُضَفْ إليهما لأنَّ قطفير ليس سيدَ يوسفَ على الحقيقة.

ويقال: ألفاه ووارَطَه وصادَفَه والَطَه ولاطَه، كلُّه بمعنًى واحدٍ.

قيل: أَلْفيَاهُ مقبِلاً يريدُ أن يدخُلَ. وقيل: مع ابنِ عمِّ المرأة.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فرابَهُ أمرُهما وقال: ما لكما؟ فلمَّا سأل وقد خافَتْ لومَه أو سَبْقَ يوسفَ بالقولِ، بادَرَتْ أنْ جاءت بحيلةٍ جمعت فيها بين تبرئةِ ساحتها من الرِّيبةِ، وغَضَبِها على يوسفَ، وتخويفِهِ طمعاً في موافَقَتها[6] خِيفةً من مَكْرِها

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١، وسلف في الصفحة ٣٣٤ عند التفسير اللغوي لقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] برواية: تجذ السلوقي.

(٢) كذا في النسخ، والذي في المصادر: عُط. ينظر أساس البلاغة والعباب الزاخر والتاج (عطط)، وكذا في تفسير القرطبي ١١/ ٣١٩. ولم أقف على المفضل بن حرب، وجاء في المصادر المذكورة عدا القرطبي: المفضل، دون ذكر أبيه. ووقع في (ز١): الفضل بن حرب، وفي الدر المصون ٦/ ٤٧١: أبو الفضل بن حرب، ولم أقف عليها أيضاً.

(٣) قوله: القط، من (ز١) و(يه)، وكذا في الدر المصون ٦/ ٤٧١. وليس في باقي النسخ.

(٤) تهذيب الألفاظ للتبريزي ١/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٣١٩، وفيهما: العط، مكان: القط. وليس في تهذيب الألفاظ قوله: في الجلد الصحيح والثوب الصحيح.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦، ولفظه: وقرأت فرقة: «فلما رأى قميصه عُط من دبر». ويلاحظ أن المصادر المذكورة جميعاً ليس فيها «قط» بل «عط»، فلعل ما ذكره المصنف من كلمة «قط» وهم منه رحمه الله، وتابعه عليه السمين في الدر المصون ٦/ ٤٧١، والآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٢٨١.

(٦) في (د١) والمطبوع: مواقعتها.

كُرهاً لمَّا أيِسَتْ أن يوافقها[1] طَوْعاً، ألا ترى إلى قولها: «ولئن لم يَفْعَلْ ما آمُرُه لَيُسْجَنَنْ»، ولم تصرِّحْ باسم يوسفَ، بل أتت بلفظٍ عامٍّ وهو قولُها: «ما جزاءُ مَن أراد»، وهو أبلغُ في التخويفِ.

و«ما» الظاهرُ أنها نافيةٌ، ويجوز أن تكون استفهاميةً، أي: أيُّ شيءٍ جزاؤه إلَّا السجنَ، وبدأت بالسِّجْنِ إبقاءً على محبوبها، ثم تَرقَّتْ إلى العذاب الأليم، قيل: وهو الضربُ بالسوط. وقولُها: «ما جزاء»، أي: إنَّ الذنبَ ثابتٌ متقرِّرٌ في حقِّه، وأتت بلفظ «بسوءٍ»، أي: بما يَسُوءُ، وليس نصًّا في معصيةٍ كبرى، إذ يَحْتَمِلُ خطابَه لها بما يَسُوؤُها، أو ضَرْبَه إياها. وقولُها «إلَّا أنْ يُسْجَنَ أو عذابٌ» يدلُّ على عظم موقعِ السجن من ذوي الأقدارِ حيثُ قرنَتْه بالعذابِ الأليم.

وقرأ زيد بن علي: «أو عذاباً أليماً» وقدَّره الكسائيُّ[2]: أو يعذَّبَ عذابًا أليماً.

ولمَّا أغرَتْ بيوسفَ، وأظهَرَتْ تهمتَه، احتاج إلى إزالة التُّهمة عن نفسه، فقال: «هي راودَتْني عن نفسي»، ولم يَسْبِقْ إلى القولِ أولاً ستراً عليها، فلمَّا خاف على نفسِه وعلى عِرْضِه الطاهِرِ قال: «هي»، وأتى بضمير الغيبة إذ كان غَلَبَ عليه الحياءُ أن يُشير إليها ويُعيِّنَها بالإشارة فيقول: هذه راودَتْني، أو: تلك راوَدَتْني؛ لأنَّ في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة.

ولمَّا تعارَضَ قولاهما عند العزيز، وكان رجلاً فيه أناةٌ ونَصَفةٌ، طلب الشاهدَ من كلٍّ منهما، فشهدَ شاهدٌ من أهلها، فقال أبو هريرةَ وابنُ عباس والحسنُ وابنُ جبيرٍ وهلال بنُ يسافٍ والضَّحاك: كان ابنَ خالتها طفلاً في المهد[3]، أنطقَه الله تعالى ليكونَ أدلَّ على الحجة.

ورُوِيَ في الحديث أنه من الصغار الذين تكلَّموا في المهد، وأسنده الطبريُّ[4].

---

(١) في المطبوع: يواقعها.
(٢) كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٤، وقد ذكر النصب احتمالاً وليس قراءة.
(٣) أخرجه عنهم الطبري ١٣/ ١٠٥-١٠٧، وليس فيه: كان ابن خالتها.
(٤) في تفسيره ١٣/ ١٠٦، ورواه أيضاً ١٣/ ١٠٥ موقوفاً. والمرفوع أخرجه أيضاً أحمد (٢٨٢٢)، والبزار (٥٤-كشف)، والحاكم ٢/ ٤٩٦-٤٩٧. والموقوف أخرجه أحمد (٢٨٢١)، وابن حبان (٢٩٠٤).

وفي «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»: «لم يتكلَّم في المهد إلَّا ثلاثةٌ: عيسى بنُ مريم، وصاحبُ جُريجٍ، وابنُ السوداء»[١].

وقيل: كان ابنَ عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب[٢]. ولا ينافي هذا قولَ قتادةَ: كان رجلاً حكيماً من أهلها[٣] ذا رأي يأخُذُ الملك برأيه ويستشيرُه.

وقيل: كان حَكَماً حكَّمه زوجُها فحَكَمَ بينهما.

وكان الشاهدُ من أهلها ليكونَ أَوْجَبَ للحجةِ عليها، وأَوْثَقَ لبراءةِ يوسفَ، وأَنْفَى للتهمة. ويحتمل أن يكون معهما في الدار بحيث لا تشعُرُ به، فبَصُرَ بما جرى بينهما، فأَغْضَبه الله ليوسفَ وشَهِدَ بالحقِّ.

ويَبْعُدُ قولُ مجاهدٍ وابنِ حبيبٍ أنَّ الشاهدَ هو القميصُ المقدودُ[٤]؛ لقوله: «شاهدٌ من أهلها»، ولا يُوصَفُ القميصُ بكونه شاهداً من أهلِ المرأة.

وسمِّي الرجلُ شاهداً من حيث دلَّ على الشاهد وهو تخريقُ القميص، وقال الزمخشريُّ: سمِّي قولُه شهادةً لأنه أدَّى تأديتَها في أن ثَبَتَ [به] قولُ يوسفَ وبَطَلَ قولُها[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقوله: وابن السوداء، كذا نقله المصنف عن المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦، ولم أقف على هذا اللفظ، والذي في الصحيحين بدلاً منه: «وبينما امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم: لا تجعلني مثله...» الحديث، وما جاء في الحديث في وصف المرأة: «من بني إسرائيل» فيه نوع تعارُضٍ مع قوله: وابن السوداء. فليتأمل. قلت: ولم ينحصر الذين تكلموا في المهد بهؤلاء الثلاثة، ففي صحيح مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب ﷺ زيادة الطفل في قصة أصحاب الأخدود، وفي حديث ابن عباس السالف زيادة الشاهد من أهلها. وجاءت روايات أخرى في الزيادة على هؤلاء، الله أعلم بصحتها. ينظر روح المعاني ١٢/ ٨٦-٨٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٠٩ عن السدي.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/ ٣٢٢، والطبري ١٣/ ١٠٩.

(٤) أخرجه عن مجاهدٍ الطبريُّ ١٣/ ١١٠-١١١.

(٥) الكشاف ٢/ ٣١٤، وما بين معكوفتين منه.

و: «إن كان قميصُه» محكيٌّ[1] إمَّا بـ«قال» مضمرةً على مذهب البصريين، وإمَّا بـ«شهد» لأنَّ الشهادة قولٌ من الأقوال على مذهب الكوفيين، و«كان» هنا دخلت عليها أداةُ الشرط، وتقدَّم خلافُ المبرِّد والجمهورِ فيها: هل هي باقيةٌ على مُضِيِّها ولم تَقْلبها أداةُ الشرط، أو المعنى: إنْ يَتَبَيَّنْ كونُه، فأداةُ الشرط في الحقيقة إنما دخلت على هذا المقدَّرِ[2]؟

وجوابُ الشرط «فصَدَقتْ» و«فكَذَبتْ»، وهو على إضمارِ «قد»، أي: فقد صَدَقَتْ و: فقد كذبت، ولو كان فعلاً جامداً أو دعاءً لم يحتجْ إلى تقديرِ «قد».

وقرأ الجمهورُ: «من قُبُلٍ» و«مِن دُبرٍ» بضمِّ الباء فيهما والتنوينِ، وقرأ الحسنُ وأبو عمرٍو في روايةٍ بتسكينها والتنوين[3]، وهي لغةُ الحجاز وأسدٍ.

وقرأ ابنُ يَعْمَرَ وابنُ أبي إسحاق والعُطارديُّ وأبو الزِّناد ونوحٌ القارئُ والجارودُ بنُ أبي سَبْرَةَ بخلافٍ عنه: «من قُبُلُ ومن دُبُرُ» بثلاثِ ضَمَّاتٍ[4]، وقرأ ابنُ يَعْمَرَ وابنُ أبي إسحاق والجارودُ أيضاً في روايةٍ عنهم بإسكانِ الباء مع بنائهما على الضم[5]، جعلوهما غايةً نحوَ: ﴿مِن قَبْلُ﴾[6]، ومعنى الغايةِ أنْ يصيرَ المضافُ غايةَ نفسِه بعدَما كان المضافُ إليه غايتَه. والأصلُ إعرابُهما؛ لأنهما اسمان متمكِّنان وليسا بظرفين، وقال أبو حاتم[7]: وهذا رديءٌ في العربية، وإنما يقعُ هذا البناءُ في الظروف.

قال الزمخشريُّ: والمعنى: من قُبُلِ القميص ومن دُبُرِه، وأما التنكيرُ فمعناه: من جهةٍ يقال لها: قبلٌ، ومن جهةٍ يقالُ لها: دُبُرٌ، وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ:

---

(١) وقع من هنا خرم في (ز١) بمقدار عشرين لوحة.
(٢) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥].
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦، وهي في القراءات الشاذة ص٦٣ عن الحسن وحده.
(٤) المحتسب ١/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦.
(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. ينظر المحتسب ١/ ٣٣٨.
(٧) كما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦.

«من قُبُلَ» و«من دُبُرَ» بالفتح كأنه جعلهما عَلَمَيْنِ للجهتين فمنعَهما الصَّرفَ للعَلَمية والتأنيث.

وقال أيضاً: فإنْ قلتَ: إنْ دلَّ قدُّ قميصِه من دُبرٍ على أنها كاذبةٌ وأنها هي التي تَبِعَتْه واجتذبَتْ ثوبَه إليها فقدَّته، فمِن أين دلَّ قدُّه من قُبُلٍ على أنها صادقةٌ، وأنه كان تابعَها؟

قلت: من وجهين: أحدُهما: أنه إذا كان تابعَها وهي دافعةٌ عن نفسها، فقدَّتْ قميصَه من قدَّامِه بالدفع.

والثاني: أنْ يُسْرِعَ خلفَها ليَلْحقَها فيتعثَّرَ في قدَّام قميصه فيشقَّه[1]. انتهى.

وقوله: «وهو من الكاذبين» «وهو من الصادقين» جملتان مؤكِّدتان؛ لأنَّ مِن قوله: «فصدَقَتْ» يُعْلَمُ كذبُه، ومن قوله: «فكذَبَتْ» يُعْلَم صِدْقُه.

وفي بناء «قُدَّ» للمفعول سَتْرٌ على مَن قَدَّه. ولمَّا كان الشاهدُ من أهلها راعَى جهةَ المرأةِ فبدأ بتعليقِ صِدْقِها على تبيُّنِ كونِ القميص قُدَّ من قُبُلٍ، ولمَّا كانت كلُّ جملةٍ مستقلةً بنفسها أُبْرِزَ اسمُ «كان» بلفظ المُظْهَرِ ولم يُضْمَرْ؛ ليدلَّ على الاستقلالِ، ولكونِ التصريحِ به أوضَحَ، وهو نظيرُ قوله: «مَن يُطِعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد، ومَن يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقد غَوَى»[2].

«فلمَّا رأى» العزيزُ، وقيل: الشاهدُ «قميصَه قدَّ من دُبُرٍ قال: إنه»، أي إنَّ قولكِ: «ما جزاءُ..» إلى آخره، قاله الزجَّاج[3]. أو: إنَّ هذا الأمرَ، وهو طمعُها في يوسف، ذَكَره الماوَرْدِيُّ[4] والزمخشريُّ[5]، أو إلى تمزيقِ القميص، قاله مقاتلٌ[6].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٤.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ١٠٣.

(٤) في النكت والعيون ٣/ ٢٩، ولفظه: أراد السوء الذي دعته إليه.

(٥) في الكشاف ٢/ ٣١٥، واللفظ المذكور أعلاه منه.

(٦) زاد المسير ٤/ ٢١٣.

والخطابُ في «مِن كيدكُنَّ» لها ولجواريها، أو: لها وللنساء. ووصفَ كيدَ النساءِ بالعظم وإن كان قد يوجَدُ في الرجال؛ لأنهنَّ ألطفُ كيداً بما جُبِلْنَ عليه، وبما تفرَّغْنَ له واكْتَسَبَ بعضُهنَّ من بعضٍ، وهنَّ أنفذُ حيلةً، وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ وأمَّا اللواتي في القصور فمعهنَّ من ذلك ما لا يُوجَدُ لغيرهنَّ؛ لكونهنَّ أكثر تفرُّغاً من غيرِهنَّ، وأكثرَ تأنُّساً بأمثالهن.

«يوسفُ أعرِضْ عن هذا»، أي: عن هذا الأمرِ واكتُمْه ولا تتحدَّثْ به، وفي ندائه باسمِه تقريبٌ له وتلطيفٌ، ثم أقبلَ عليها وقال: «واستغفري لذنبكِ»، والظاهرُ أنَّ المتكلِّمَ بهذا هو العزيز، وقال ابنُ عباسٍ: ناداه الشاهدُ، وهو الرجلُ الذي كان مع العزيز، وقال: «استغفري»، أي: لزوجِكِ وسيدكِ[1]. انتهى.

ثم ذكر سببَ الاستغفار، وهو قولُه: «لذنبِكِ» ثم أكَّد ذلك بقوله: «إنكِ كنتِ من الخاطئين» ولم يقل: من الخاطئات؛ لأن الخاطئينَ أعمُّ لأنه ينطلقُ على الذكور والإناث بالتغليب، يقال: خَطِئَ: إذا أذنب متعمِّداً.

قال الزمخشريُّ: وما كان العزيزُ إلَّا حليماً، ورُوِيَ أنه كان قليلَ الغيرة[2]. انتهى.

وتربةُ إقليم قطفير اقتضت هذا، وأين هذا ممَّا جرى لبعض ملوكنا: أنه كان مع نُدَمائه المختصِّين به في مجلسِ أنسٍ وجاريةٌ تغنِّيهم من وراء سترٍ، فاستعاد بعضُ خُلصائه بيتين من الجارية كانت قد غنَّت بهما، فما لبث أنْ جيءَ برأس الجارية مقطوعاً في طستٍ، وقال له الملك: استعِدِ البيتين من هذا الرأسِ، فسُقط في يدِ ذلك المستعيدِ، ومَرِضَ مدةَ حياة ذلك الملك.

❋ ❋ ❋

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٣/٢٣٧، وفيهما: زوجَك، مكان: لزوجك.
(٢) الكشاف ٢/٣١٦.

كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ
فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ
ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا
نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ
بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ
أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟
إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ
أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ
ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن
كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

**المفردات** النِّسْوَة بكسر النون: فِعْلَةٌ، وهو جمعُ تكسيرٍ للقِلَّة لا واحدَ له من لفظه، وزعم ابن السَّرَّاج أنه اسمُ جمعٍ[١].

وقال الزمخشري: النسوةُ اسمٌ مفردٌ لجمع المرأة، وتأنيثُه غيرُ حقيقيٍّ، ولذا لم تَلْحَقْ فِعْلَه تاءُ التأنيث[٢]. انتهى.

وعلى أنه جمعُ تكسيرٍ لا يُلْحَقُ التاءَ؛ لأنه يجوز: قامتِ الهنودُ، وقد تضمُّ نونُه فيكونُ إذ ذاك اسمَ جمعٍ، وتكسيرُه للكثرة على نسوان. والنساءُ جمعُ تكسيرٍ للكثرة أيضاً، ولا واحدَ له من لَفْظِه.

---

(١) ينظر الأصول في النحو لابن السراج ١/ ١٧٤ و٣/ ٧١.
(٢) الكشاف ٢/ ٣١٦.

شَغَفَ: خَرَقَ الشَّغَافَ، وهو حجابُ القلب، وقيل: سُوَيْداؤه. وقيل: داءٌ يصلُ إلى القلب فيَنْفُذُ إلى القلب. وكسرُ الغَيْنِ لغةُ تميم.

وقيل: الشَّغاف جلدةٌ رقيقةٌ يقال لها: لسان القلب. شَغَف: وصلت الحِدَّةُ إلى القلبِ فكاد[1] يَحترقُ، من شَغَفَ البعيرَ: إذا هَنَأه فأَحْرَقَه بالقَطِرانِ، والمشغوفُ: الذي أحرقَ الحبُّ قلبَه، ومنه قول الأعشى:

تعصي الوشاةَ وكان الحبُّ آونةً مِمَّا يُزيِّنُ للمشغوفِ ما صَنَعا[2]

وقد تُكْسَرُ غينُه.

المُتَّكأ: الوسادةُ والنُّمْرُقةُ، المُتْكُ: الأُترُجُّ، والواحد: مُتْكَةٌ، قال الشاعر:

فأَهْدَتْ مُتْكَةً لبني أبيها[3]

أي: أُترجَّةً[4].

وقيل: اسمٌ يعمُّ جميعَ ما يُقطَّعُ بالسكين الأترجَّ وغيرَه من الفواكه؛ قال:

نشربُ الإثمَ بالصُّواعِ جِهَارا وترى المُتْكَ بيننا مستعارا[5]

وهو من مَتَكَ بمعنى: بَتَكَ الشيءَ، أي: قَطَعه.

وقال صاحب «اللوامح»: المُتْكُ بالضمِّ عند الخليل: العَسَلُ، وعند الأصمعيِّ: الأُتْرُجُّ. وقال أبو عمرٍو: هو[6] الشرابُ الخالصُ. وقال أبو عمرٍو: فيه ثلاثُ

(١) في النسخ عدا (ح): فكان، والمثبت من (ح).
(٢) ديوان الأعشى ص١٥١.
(٣) وصدره: تَخُبُّ بها العَثَمْثَمَةُ الوَقاح، وهو في الكشاف ٢/ ٣١٦. العثمثمة من النوق: الشديدة. قال الزمخشري: وكانت أهدت أترجةً على ناقة، وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في «سننه» أنها شُقت بنصفين وحُملا كالعدلين. اهـ. والأترج من فصيلة الحمضيات، يسمَّى بالشام: الكُبَّاد، واحدته أترجة. معجم متن اللغة (ترج).
(٤) قوله: أي أترجة، من (ح).
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٢/ ٢١، وتهذيب اللغة ١٥/ ١٦١، وزاد المسير ٣/ ١٩١، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٣٠. ويُنشد البيت شاهداً على أن الإثم من أسماء الخمر، واعترضه ثعلب كما في زاد المسير بقوله: لا أعرفه، ولا اعرف الإثم الخمر في كلام العرب.
(٦) قوله: هو، ساقط من المطبوع.

لغاتٍ: المتك بالحركات الثلاث. وقيل: بالكسر الحلال[١]. وقيل: بل المسك.

وقال الكسائيُّ أيضاً: فيه اللغاتُ الثلاثُ وقد يكون بالفتح: المِجْمَرَ[٢] عند قضاعةَ.

وقال أيضاً: قد يكونُ في اللغات الثلاث: الفالوذ[٣] المعقَّد.

وقال المُفَضَّلُ: في اللغات الثلاث هو البَزْمَاوَرْدُ[٤]، وكلُّ ملفوفٍ بلحمٍ ورقاقٍ.

وقال أيضاً: المُتْكُ بالضم: المائدة، أو الخمرُ في لغةِ كِنْدةَ.

السكين تذَّكر وتؤنَّثُ، قاله الفرَّاءُ[٥] والكسائيُّ، ولم يَعْرِفِ الأصمعيُّ فيه إلا التذكيرَ[٦].

«حاش»؛ قال الفرَّاء: من العرب مَن يُتِمُّها، وفي لغةِ الحجاز: حاشَ لك، وبعضُ العرب: حَشَى زيدٍ، كأنه أراد: حَشَى لزيدٍ، وهي في أهل الحجاز. انتهى.

وقال الزمخشريُّ[٧]: «حاشى» كلمةٌ تفيدُ معنى التنزيهِ في باب الاستثناء،

---

(١) لم أقف على هذا المعنى لغير المصنف، ووقع في المطبوع: الخلال، ولم أقف عليه أيضاً.

(٢) المِجْمَر، كذا ضبط في (ح)، وهو على هذا: آلة التجمير، والتجمير: التبخير بالطيب. ينظر النهاية (جمر). ولم أقف على هذا المعنى في المتك لغير المصنف أيضاً.

(٣) الفالوذ والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل. وتصنع الآن -كما في المعجم الوسيط (فلذ)- من النشاء والماء والسكر. وقال صاحب التاج (فلذ): يُسوى من لبِّ الحنطة، فارسي معرب، قال شيخنا: الحلواء لا بد أن تختم بالهاء على أصل اللسان الفارسي، وإذا عُربت أبدلت الهاء جيماً فقالوا: فالوذج. قلت (والقائل صاحب التاج): والذي في الصحاح: الفالوذ والفالوذق معربان، قال يعقوب: ولا يقال: الفالوذج.

(٤) البزماورد: الزُّماورد، كما ذكر ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ٢٢، وجَعَل البَزماورد من لغة العوام. وفي المعجم الوسيط: الزماورد: طعام من البيض واللحم، والرقاق الملفوف باللحم، وحلوى يقال لها: لقمة القاضي، و: لقمة الخليفة.

(٥) في المذكر والمؤنث له ص٢٧.

(٦) المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني ص١٤٦، وفيه: سألت أبا زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهما ممن أدركناه، فكلهم يذكِّره وينكر التأنيث فيه.

(٧) في الكشاف ٢/ ٣١٧.

تقول: أساء القومُ حاشى زيدٍ، قال:

حاشى أبي ثوبانَ إنَّ لنا[(١)] ضنًّا عن المَلْحاةِ والشَّتْمِ

وهي حرفٌ من حروف الجرِّ، فوُضِعَتْ موضعَ التنزيهِ والبراءةِ، فمعنى حاش اللهِ: براءةُ اللهِ وتنزيهُ اللهِ. انتهى.

وما ذَكَر أنها تفيدُ معنى التنزيه في باب الاستثناء غيرُ معروفٍ عند النحويين؛ لا فرقَ بين قولك: قامَ القومُ إلَّا زيداً، و: قام القومُ حاشى زيدٍ، ولمَّا مثَّلَ بقوله: أساء القومُ حاشى زيدٍ، وفَهِمَ من هذا التمثيلِ براءةَ زيدٍ من الإساءة، جَعَلَ ذلك مستفاداً منها في كلِّ موضع[(٢)]، وأمَّا ما أنشدَه من قوله: حاشى أبي ثوبانَ، فكذا ينشدُه ابنُ عطيةَ وأكثرُ النُّحَاة[(٣)]، وهو بيتٌ ركَّبوا فيه صدرَ بيتٍ على عجز آخر، وهما من بيتين وهما:

حاشى أبي ثوبانَ إنَّ أبا ثوبانَ ليس بِبُكْمةٍ فَدْمِ
عمرو بن عبد الله إنَّ به ضنًّا عن المَلْحاةِ والشَّتْمِ[(٤)]

عَصَرَ العنبَ وغيرَه: أَخْرجَ ما فيه من المائع بقوةٍ.

الخبز معروفٌ، وجمعُه: أخباز ومُعَانِيْهِ: خبَّاز.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في الكشاف وغيره: إن به. وسيرد تخريجه قريباً.

(٢) وتُعقِّب كلام أبي حيان هذا بأن عدم ذكر النحاة ذلك لا يضر؛ لأنه وظيفة اللغويين لا وظيفتهم. ينظر الدر المصون ٦/ ٤٨٢، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥/ ١٧٤، وروح المعاني ١٢/ ٣٠٩. وأقول: لعل الوجه ما قاله أبو حيان، فإن النحاة لمَّا مثَّلوا لهذه الكلمة لم يلتزموا ما التزمه الزمخشري في مثاله، فابن السراج مثلاً في الأصول في النحو ١/ ٣٠٩ مثَّل لها بقوله: جاء القوم حاشا زيدٍ، فلو فَهِم انحصار معنى التنزيه فيها فما الذي يمنعه من أن يمثِّل بما يفيد ذلك، كما في المثال الذي ذكره الزمخشري؟ أضف إلى ذلك أن أبا حيان لم ينف أنها قد تفيد التنزيه، ولكن ظاهر كلامه هو نفيُ قصر معناها على ذلك، بل هو مستفادٌ من سياق الكلام وليس من أصل الوضع.

(٣) ينظر مجاز القرآن ١/ ٣١٠، والحجة للفارسي ٤/ ٤٢٢، والمحتسب ١/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٤٠.

(٤) المفضليات ص٣٦٧، والأصمعيات ص٢١٨، والبيتان من قصيدة للجميح الأسدي.

البِضْعُ: ما بين الثلاثِ إلى التسعِ، قاله: قتادة. وقال مجاهد: من الثلاثة إلى السبعة[١].

وقال أبو عبيدةَ: البِضْعُ لا يبلغ العَقْدَ ولا نصفَ العقدِ، وإنما هو من الواحد إلى العشرة[٢].

وقال الفرَّاء: ولا يُذْكَرُ البِضْعُ إلَّا مع العشرات، ولا يذكَرُ مع مئةٍ ولا ألفٍ.

السِّمَنُ معروفٌ، وهو مصدرُ سَمِنَ يَسْمَنُ، واسمُ الفاعلِ: سمينٌ، والمصدر واسم الفاعل على غيرِ قياسٍ.

العَجْفاء: المَهْزولة جدًّا، قال:

ورجــالُ مــكــةَ مُــسْــنِــتــونَ عِــجــافُ[٣]

الضِّغْث: أقلُّ من الحُزْمةِ وأكثرُ من القَبْضة من النباتِ والعشبِ من جنسٍ واحدٍ أو من أخلاطِ النبات والعشب، فمِن جنسٍ واحدٍ: ما روي في قوله ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ [ص:٤٤] أنه أخذ عِثْكالاً[٤] من النخل. ورُوي أنَّ الرسول ﷺ فَعَلَ نحوَ هذا في إقامةِ حدٍّ على رجلٍ[٥]، وقال ابنُ مُقْبِلٍ:

خَـوْدٌ كـأنَّ فِـراشَـهـا وُضِـعَـتْ بـه أضـغـاثُ رَيْـحـانٍ غـداةَ شـمـالِ[٦]

(١) تفسير البغوي ٢/٤٢٨، وقد أخرج الطبري قول قتادة ومجاهد بلفظ واحد، وهو: ما بين الثلاث إلى التسع. وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد. ينظر تفسير الطبري ١٣/١٧٦ (ووقع في مطبوعه: أبو قتادة)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٠).

(٢) كذا ذكر المصنف، وتابعه عليه السمين في الدر المصون ٦/ ٥٠٠، والآلوسي في روح المعاني ١٢/٣٤٦، وهو مخالف لما في المصادر، فقد قال الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٤٨٨: قال أبو عبيدة: البضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه. يريد: ما بين الواحد إلى الأربعة. ومثله في المحرر الوجيز ٣/٢٤٧، وزاد المسير ٤/٢٢٨، وتفسير القرطبي ١١/٣٥٧.

(٣) وصدره: عمرو العُلا هشم الثريد لقومه، وينسب لابن الزبعرى، وقد سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

(٤) هو من النخل بمنزلة العنقود من الكَرْم. اللسان (عثكل).

(٥) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥) من حديث سعيد بن سعد بن عبادة ﷺ.

(٦) ديوان تميم بن أُبي بن مقبل ص٢٦٠. قوله: خود، هي الفتاة الحسنة الخَلْق. اللسان (خود).

ومن الأخلاط: قولُ العرب في أمثالها: ضغثٌ على إبَالة[1].

* * *

التفسير ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَنٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ لم تَلْحَقْ تاءُ التأنيثِ لأنه جمعُ تكسيرِ المؤنَّث، ويجوزُ فيه الوجهان.

و«نسوة» كما ذكرنا جمعُ قلَّةٍ، وكنَّ على ما نُقل خمساً: امرأة خبازِه، وامرأةُ ساقِيهِ، وامرأةُ بوَّابه، وامرأةُ سجَّانه، وامرأةُ صاحب دوابِّه، «في المدينة» هي مصرُ، ومعنى «في المدينة»: أنهم أشاعوا هذا الأمرَ من حبِّ امرأةِ العزيز ليوسفَ، وصرَّحوا بإضافتها إلى العزيز مبالَغةً في التشنيع؛ لأن النفوس أَقْبَلُ لسماع أخبار[2] ذوي الأخطار وما يجري لهم، وعبَّرْنَ[3] بـ«تراود» وهو المضارعُ الدالُّ على أنه صار ذلك سَجِيةً لها تخادِعُه دائماً عن نفسه، كما تقول: زيدٌ يعطي ويمنعُ، ولم يَقُلْنَ: راوَدَتْ فتاها. ثم نبَّهْنَ على علة ديمومةِ المُراوَدةِ وهي كونُه قد شَغَفَها حبًّا، أي: بلغَ حبُّه شغافَ قلبها. وانتصبَ «حبًّا» على التمييز المنقولِ من الفاعل، كقولك: ملأتُ الإناءَ ماءً، أصله: ملأ الماءُ الإناءَ، وأصلُ هذا: شَغَفَها حبُّه.

والفتى: الغلامُ، وعُرْفُه في المملوك، وفي الحديث: «لا يَقُلْ أحدُكم: عبدي وأمتي، ولْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتَاتي»[4]، وقد قيل في غير المملوك، وأصلُ الفتى في اللغة: الشابُّ، ولكنه لمَّا كان جلُّ الخَدَمةِ شبَّاناً استُعير لهم اسمُ الفتى.

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: إمالة. والمثل في الأمثال لأبي عبيد ص٢٦٤، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/٦، والمستقصى للزمخشري ٢/١٤٨، ومجمع الأمثال للميداني ١/٤١٩. ونقل أبو عبيد عن الأصمعي قال: الإبالة: الحزمة من الحطب، والضغث: الجرزة التي فوقها. وجاء في الجمهرة والمستقصى: يضرب لمن حمَّلك مكروهاً ثم زادك عليه. وقال صاحب التاج (أبل): إبالة، يروى كإجَّانة، نقله الأزهري والجوهري، ويخفف وهو الأكثر.

(٢) قوله: أخبار، من (ح).

(٣) في (يه): وعيرن، وفي باقي النسخ - عدا (ح) - والمطبوع: وعبرت، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في النهر على هامش مطبوع البحر ٥/ ٣٠٠.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقرأ ثابتٌ البُناني: «شَغِفَها» بكسر الغين المُعْجَمةِ[١] والجمهورُ بالفتح، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وعليُّ بنُ الحسينِ، وابنُه محمدُ بنُ عليٍّ، وابنُه جعفرُ بنُ محمدٍ، والشعبيُّ وعوفٌ الأعرابيُّ بفتح العين المهملة، وكذلك قتادةُ وابنُ هُرْمُزَ ومجاهدٌ وحميدٌ والزهريُّ بخلافٍ عنهم[٢]. ورُوي عن ثابتٍ البُنانيِّ وأبي رجاءٍ كسرُ العينِ المهملةِ[٣].

قال ابن زيد: الشَّغفُ في الحبِّ، والشَّعَفُ في البُغض[٤].

وقال الشعبي: الشَّغَفُ والمشغوفُ بالغين منقوطةً في الحبِّ، والشَّعَف: الجنون، والمشعوفُ: المجنون[٥].

وأدغم النَّحويان وحمزةُ وهشامٌ وابنُ محيصنٍ دالَ «قد» في شين «شغفها»[٦].

ثم نَقِمْن عليها ذلك فقلن: «إنا لنراها في ضلالٍ مُبينٍ»، أي: في تحيُّرٍ واضحٍ للناس.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ روي أنَّ تلك المقالةَ الصادرةَ عن النسوة إنَّما قَصَدْنَ بها المكرَ بامرأةِ العزيزِ ليُغْضِبْنَها حتى تَعرِضَ عليهنَّ يوسفَ ليَبِنَّ[٧] عذرُها أو يَحِقَّ لومُها، و«مكرهنَّ» هو اغتيابُهنَّ إياها وسوءُ مقالتهنَّ فيها أنها عَشِقَتْ يوسفَ، وسَمَّى

(١) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣٢٥ دون نسبة ثم قال: ولا يعرف في كلام العرب إلا شغفها بفتح الغين. وعزاها في التاج (شغف) لأبي الأشهب.
(٢) المحتسب ١/ ٣٣٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٨، وتحرفت «شعفها» في مطبوعه إلى: شعفهما، وتحرفت: أبي رجاء، في نسخ البحر إلى: ابن رجاء.
(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢١ وقال: لا معنى له؛ لأن الشَّعف في كلام العرب بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم.
(٥) أخرجه بنحوه الطبري ١٣/ ١١٦-١١٧.
(٦) السبعة ص١١٩-١٢٤، والتيسير ص٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٨. والنحويان هما أبو عمرو والكسائي.
(٧) في (ح): لتبدي، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٨.

الاغتياب مكراً لأنه في خُفْيةٍ وحالِ غَيْبةٍ كما يُخفي الماكِرُ مَكْرَه.

وقيل: كانت اسْتَكْتَمتْهنَّ سرَّها فأفشَيْنَه عليها.

«أرسَلَتْ إليهنَّ» ليَحْضُرْنَ، قيل: دعت أربعين امرأة منهنَّ الخمسُ المذكوراتُ. والظاهِرُ عودُ الضمير على تلك النسوةِ القائلةِ ما قُلْنَ عنها.

«وأعتَدَتْ لهنَّ متَّكأً»، أي: يسَّرَتْ[١] وهيَّأَتْ لهنَّ ما يتَّكِئْنَ عليه من النَّمارق والمَخَادِّ والوسائدِ وغيرِ ذلك ممَّا يكونُ في مجلسٍ أُعِدَّ للكرامة، ومن المعلوم أنَّ هذا النوعَ من الإكرام لا يخلو من طعامٍ وشرابٍ، وهنا محذوفٌ تقديره: فجِئْنَ واتَّكأْنَ، و«متكَأً» إمَّا أنْ يرادَ به الجنسُ، وإمَّا أن يكونَ المرادُ: وأعتَدَتْ لكلِّ واحدةٍ منهنَّ متكأً، كما جاءت: «وآتَتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكِّيناً».

قال ابنُ عباس: «متَّكأً»: مجلساً. ذكره الزهراويُّ[٢]، ويكونُ «متَّكأً» ظرفَ مكانٍ، أي: مكاناً يتَّكِئْنَ فيه، وعلى ما تقدَّمَ يكونُ الآلاتِ التي يُتَّكأُ عليها.

وقال مجاهد: المتكأ: الطعام يُحَزُّ حزًّا[٣]. قال القتبيُّ: يقال: اتَّكأنا عند فلانٍ، أي: أكلنا[٤]، ويكونُ هذا من المجازِ، عبَّر بالهيئة التي يكونُ عليها الآكِلُ المُتْرَفُ بالمتكأ، وهي عادةُ المترَفين، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «أما أنا فلا آكُلُ متكئاً»[٥] أو كما قال.

وإذا كان المتَّكأُ ليس معبَّرًا به عمَّا يؤكَلُ فمعلومٌ أنَّ مثلَ هذا المجلس لا بدَّ فيه من طعامٍ وشرابٍ، فيكونُ في جملةِ الطعامِ ما يقطَّع بالسَّكاكين؛ فقيل: كان لحماً، وكانوا لا ينهشون اللحم إنما كانوا يأكلونه حزًّا بالسكاكين.

وقيل: كان أُترجًا.

وقيل: كان بَزْماوَرْدَ، وهو شبيهٌ بالأُترجِّ موجودٌ في تلك البلاد.

---

(١) في (ح): نشرت، والمثبت من باقي النسخ والمحرر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٨، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٢٣، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٤.
(٣) الكشاف ٢/ ٣١٦، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٢٧ دون قوله: يحز حزًّا.
(٤) تفسير غريب القرآن ص٢١٦، وتأويل مشكل القرآن ص١٣٨.
(٥) أخرجه البخاري (٥٣٩٨)، والترمذي (١٣٨٠) من حديث أبي جحيفة ﷺ، ولفظ البخاري: «لا آكل متكئًا»، ليس فيه: «أما أنا»

وقيل: هو مصنوعٌ من سكرٍ ولوزٍ وأخلاطٍ، ومضمونُه أنه يحتاجُ إلى أن يقطَّع بالسكِّين، وعادةُ مَن يقطِّعُ شيئاً أن يَعْتَمِدَ عليه فيكون متكأً عليه.

قيل: وكان قَصْدُها في بروزِهِنَّ على هذه الهيئاتِ متكئاتٍ في أيديهنَّ سكاكينُ يُحزِّزْنَ بها شيئين:

أحدهما: دَهَشَهُنَّ عند رؤيتِهِ وشَغْلُهنَّ بأنفسهنَّ فتقعُ أيديْهُنَّ على أيديْهنَّ فيقطِّعْنَها فتُبَكِّتُهنَّ، ويكونُ ذلك مكراً بهنَّ إذ ذهلْنَ عمَّا أصابهنَّ من تقطيع أيديهنَّ وما أَحْسَسْنَ به مع الألم الشديد؛ لفَرطِ ما غَلَبَ عليهنَّ من استحسان يوسفَ وسَلْبِه عقولَهنَّ.

والثاني: التهويلُ على يوسفَ بمكرِها إذا خرج على نساءٍ مجتمعاتٍ في أيديهنَّ الخناجرُ توهِمُه أنَّهنَّ يَثِبْنَ عليه، فيكونُ يَحْذَرُ مكرَها دائماً، ولعله يُجيبها إلى مرادها على زعمها ذلك، ويوسفُ قد عَصَمَه اللهُ من كلِّ ما تريدُه به من السُّوء.

وقرأ الزهريُّ وأبو جعفرٍ وشيبةُ: «متَّكَى»مشدَّدَ التاءِ من غيرِ همزٍ، بوزن متَّقَى[١]، فاحْتَمَلَ ذلك وجهين:

أحدهما: أن يكونَ من الاتِّكاء، وفيه: تخفيفُ الهمز، كما قالوا في توضَّأتُ: توضَّيْتُ.

والثاني: يكونُ مفتعَلاً من أَوْكيتُ السِّقاءَ: إذا شَدَدْتَه، أي: ما يَشْتَدِدْنَ عليه: إمَّا بالاتِّكاء، وإمَّا بالقطع بالسكِّين.

وقرأ الأعرج: «مَتْكَأً»، مَفْعَلاً من تَكِئَ يَتْكَأُ: إذا اتَّكأ[٢].

وقرأ الحسن وابن هُرْمُزَ: «متَّكاءً» بالمدِّ والهمزِ[٣]، وهو مفتَعلٌ من الاتِّكاء، إلَّا أنه أَشْبَعَ الفتحةَ فتولَّدت منها الألفُ، كما قال:

ومــن ذمِّ الــرجــال بـــمُـــنْـــتَـــزاحِ[٤]

---

(١) المحتسب ١/ ٣٣٩، وقراءة أبي جعفر في النشر ١/ ٣٩٩.
(٢) القراءات الشاذة ص٦٣، والكشاف ٢/ ٣١٧.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٣، والمحتسب ١/ ٣٣٩.
(٤) وصدره: وأنت من الغوائل حين ترمى، والبيت لإبراهيم بن هرمة، وهو في ديوانه ص٩٢.

وقالوا:

**أعــوذُ بــالله مــن الــعَــقْــرابِ الــشــائــلاتِ عُــقَــدَ الأذنــابِ**[١]

وقرأ ابنُ عباسٍ وابنُ عُمرَ ومجاهدٌ وقتادةُ والضحَّاكُ والجحدريُّ والكلبيُّ وأبانُ بن تَغْلِبَ «مُتْكاً» بضمِّ الميم وسكونِ التاء وتنوينِ الكاف[٢]، وجاء كذلك عن ابن هُرْمُزَ[٣]. وقرأ عبد الله ومعاذٌ كذلك، إلَّا أنهما فتحا الميم[٤]، وتقدم تفسير مُتْكٍ ومَتْكٍ في المفردات.

«وقالت اخْرُجْ عليهن» هذا الخطابُ ليوسفَ عليه السلام، وخروجُه يدلُّ على طواعيتها فيما لا يُعْصَى اللهُ فيه، وفي الكلام حذفٌ تقديره: فخرج عليهنَّ، ومعنى «أَكْبَرْنَه»: أَعْظَمْنَه ودهشنَ برؤية ذلك الجمالِ الفائقِ الرائعِ، قيل: كان فضلُ يوسفَ على الناسِ في الحسن كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على نجومِ السماء، وفي حديثِ الإسراء: أنَّ الرسولَ ﷺ لمَّا أخبر بلُقْيَا يوسفَ قيل: يا رسول الله، كيف رأيتَه؟ قال: «كالقمر ليلة البدر»[٥].

وقيل: كان إذا سار في أزقَّة مصرَ يُرى تلألؤُ وجهه على الجدران كما يُرى نورُ الشمس.

قيل: كان يُشْبِهُ آدمَ يومَ خَلَقه ربُّه[٦].

وقيل: وَرِثَ الجمالَ عن جدَّته سارةَ.

---

(١) الرجز في الجمل في النحو للخليل ص٢٤٤، وضرائر الشعر لابن عصفور ص٣٣، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦].
(٢) المحتسب ١/ ٣٣٩.
(٣) الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٢.
(٤) القراءات الشاذة ص٦٣ عن الأعرج.
(٥) أخرجه بنحوه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٧١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٩٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومداره على أبي هارون العبدي عمارة بن جوين، وهو متروك. ينظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢/ ١٦٥. وجاء في حديث الإسراء عند مسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه: «... فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن...»
(٦) ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص١١١ عن كعب الأحبار، ولعله من جملة ما رواه كعب من الإسرائيليات.

وقال عبدُ الصَّمَدِ بنُ عليٍّ الهاشميُّ عن أبيه عن جدِّه: معناه: حِضْنَ[١]. وأنشد بعضُ الناس[٢] حجةً لهذا التأويل:

يأتي النساءَ على أطهارهنَّ ولا ... يأتي النساءَ إذا أكبرنَ إكبارا[٣]

قال ابن عطية: وهذا قولٌ ضعيفٌ، والبيتُ مصنوعٌ مختلقٌ، كذلك قال الطبري وغيرُه من المحقِّقين، وليس عبدُ الصمد من رواة العلم رحمه الله[٤].

وقال الزمخشريُّ: وقيل: أكبَرْنَ بمعنى حِضْنَ، والهاءُ للسَّكت، يقال: أكْبرتِ المرأةُ: إذا حاضت، وحقيقتُه من الكِبَرِ؛ لأنها بالحيض تَخْرُجُ عن حدِّ الصِّغَرِ إلى حدِّ الكبر، وكأنَّ أبا الطيبِ أخذَ من هذا التفسير قولَه:

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمالَ ببرقُعٍ ... فإنْ لُحْتَ حاضَتْ في الخدورِ العواتقُ[٥]

انتهى. وإجماعُ القرَّاءِ على ضمِّ الهاءِ في الوصل دليلٌ على أنها ليست هاءَ السَّكْتِ؛ إذ لو كانتْ هاءَ السكتِ وكان مِن إجراءِ الوصلِ مُجْرَى الوقفِ لم تُضَمَّ الهاء.

والظاهرُ أنَّ الضمير يعودُ في «أَكْبَرْنَه» على يوسفَ، وإنْ ثبتَ أنَّ «أَكْبَرَ» بمعنى: حاضَ، فتكونُ الهاءُ عائدةً على المصدر، أي: أكبرنَ الإكبارَ.

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٣١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٥، وعبد الصمد هو ابن علي بن عبد الله بن عباس، فجدُّه الذي يروي عنه هذا الخبر هو ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) تحرفت في (د١): والمطبوع إلى: النساء.

(٣) البيت في تفسير الطبري ١٣/ ١٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٠٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩، وزاد المسير ٤/ ٢١٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩، وكلام الطبري في تفسيره ٣/ ١٣٢.

(٥) الكشاف ٢/ ٣١٧، والبيت في ديوان المتنبي برواية: إذا لحتَ ذابت. . .، وهما روايتان في البيت كما ذكر الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ٥/ ١٧٤ عن الواحدي، وقال في شرحه: العواتق جمع عاتق، وهي المرأة الشابة، و«الجمال» منصوب على أنه نعت لاسم الإشارة «ذا»، وجوِّز أن يكون «ذا» بمعنى صاحب، و«الجمال» مجرور بالإضافة ومعناه: الوجه، والأول أولى رواية ودراية. اهـ. قلت: وقول الزمخشري: وحقيقته من الكبر؛ لأنها بالحيض تخرج عن حد الصغر إلى حد الكبر. لعله أخذه من الأزهري في «تهذيب اللغة».

«وقطّعنَ أيديهنَّ»، أي: جَرَحْنَها، كما تقول: كنتُ أقطّعُ اللحمَ فقَطَعْتُ يدي، والتضعيفُ للتكثير: إمَّا بالنسبة لكثرة القاطعات، وإمَّا بالنسبة لتكثيرِ الحزِّ في يدِ كلِّ واحدةٍ منهنَّ، فالجرحُ كأنه وَقَعَ مراراً في اليد الواحدة، وصاحبتُها لا تشعُرُ، لمَّا ذهلتْ بما راعَها من جمالِ يوسفَ فكأنها غابَتْ عن حسِّها.

والظاهرُ أنَّ الأيديَ هي الجوارحُ المسمَّاةُ بهذا الاسم، وقال عكرمةُ: الأيدي هنا: الأكمام.

ولمَّا فعلنَ هذا الفعلَ الصعبَ مِن جَرْحِ أيديهنَّ وغَلَبَ عليهنَّ ما رأينَ من يوسفَ وحُسْنِه قلنَ: «حاش لله»، وقرأ الجمهور «حاشَ لِلهِ» بغيرِ ألفٍ بعد الشينِ و«لِلهِ» بلامِ الجر، وقرأ أبو عمرو: «حاشا لِلهِ» بألفٍ ولامِ الجر[1].

وقرأت فرقةٌ منهم الأعمشُ: «حَشَى» على وزن رَمَى، «لله» بلام الجرِّ[2].

وقرأ الحسن: «حاشْ» بسكونِ الشين وصلاً ووقفًا، «لِلّهِ» بلام الجر[3].

وقرأ أُبيٌّ وعبدُ الله: «حاشى اللهِ» بالإضافة[4]، وعنهما كقراءةِ أبي عمرٍو، قاله صاحبُ «اللوامح».

وقرأ الحسن: «حاشَ الإلهِ»[5]، قال ابن عطية: محذوفاً من «حاشى»[6]. وقال صاحب «اللوامح»: بحذفِ الألف، وهذه تدلُّ على كونه حرفَ جرٍّ يَجرُّ[7] ما بعدَه، فأمَّا «الإله» فإنه فكَّه عن الإدغام، وهو مصدرٌ أُقيمَ مُقامَ المفعول، ومعناه: المألوه، بمعنى: المعبود. قال: وحُذفتِ الألفُ من «حاش» للتخفيف. انتهى.

---

(١) السبعة ص٣٤٨، والتيسير ص١٢٨. ووقع في المطبوع مكان «بألف»: «بغير ألف»، وهو خطأ.
(٢) الكشاف ٢/ ٣١٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩.
(٣) المحتسب ١/ ٣٤١، وعزاها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٣١٠ لنافع، وهي خلاف المشهور عنه. وكلمة «لله» ساقطة من المطبوع.
(٤) القراءات الشاذة ص٦٣، والمحتسب ١/ ٣٤١.
(٥) المحتسب ١/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩.
(٧) في (يه): يجر به.

وهذا الذي قاله ابنُ عطيةَ وصاحبُ «اللوامح» من أنَّ الألف في «حاشى» في قراءةِ الحسن محذوفةٌ لا يَتعيَّن[١] إلَّا إنْ نُقِلَ عنه أنه يقفُ في هذه القراءة بسكونِ الشين، فإنْ لم يُنْقَلْ عنه في ذلك شيءٌ فاحْتَمَلَ أن تكونَ الألفُ حُذِفَتْ لالتقاءِ الساكنينِ، إذ الأصلُ: حاشى الإله، ثم نَقَلَ فَحَذَفَ الهمزةَ وحرَّكَ اللامَ بحركتها، ولم يَعْتَدَّ بهذا التحريكِ لأنه عارِضٌ، كما تنحذفُ في: يَخْشَى الإله، ولو اعْتَدَّ بالحركة لم تُحْذَفِ الألف[٢].

وقرأ أبو السَّمَّال: «حاشًا لله» بالتنوين[٣]، ك: رَعْيًا لله.

فأمَّا القراءاتُ «لِلّه» بلامِ الجرِّ في غيرِ قراءةِ أبي السَّمَّال فلا يجوزُ أن يكونَ ما قبلها من «حاشَى» أو «حاشَ» أو «حَشَى» أو «حاشْ» حرفَ جرٍّ؛ لأنَّ حرفَ الجرِّ لا يدخُلُ على حرفِ الجرِّ، ولأنه تصرُّفٌ فيها بالحذفِ، وأصلُ التصرُّفِ بالحذفِ أنْ لا يكونَ في الحروف. وزَعَمَ المبرِّد[٤] وغيرُه[٥] كابن عطيةَ أنه يتعيَّنُ فعليَّتُها، ويكونُ الفاعلُ ضميرَ يوسفَ، أي: حاشى يوسفُ أن يقارِفَ ما رَمَتْه به، ومعنى «لله»: لطاعة الله، أو: لمكانِهِ من الله، أو: لترفيعِ الله [له] أن يُرْمَى بما رَمَتْه به، أو يُذْعِنَ إلى مِثْلِه؛ لأنَّ تلك أفعالُ البشر، وهو ليس منهم إنما هو مَلَكٌ[٦]، وعلى هذا تكونُ اللامُ في «لله» للتعليل، أي: جانَبَ يوسفُ المعصيةَ لأَجْلِ طاعةِ الله، أو لِمَا ذُكر[٧] قبلُ.

وذهب غيرُ المبرِّدِ إلى أنها اسمٌ، وانتصابُها انتصابُ المصدرِ الواقعِ بدلاً من اللفظِ بالفعل، كأنه قيل: تنزيهاً لله، ويدلُّ على اسميَّتها قراءةُ أبي السَّمَّال «حاشاً»

(١) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: تتعين.

(٢) قال السمين في الدر المصون ٦/ ٤٨٨ بعد أن نقل كلام أبي حيان: الظاهر أن الحسن يقف في هذه القراءة بسكون الشين، ويُستأنَسُ له بأنه سكن الشين في الرواية الأخرى عنه، فلما جيء بشيء يُحتَمَلُ، ينبغي أن يُحمل عليه ما صُرِّح به.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٣.

(٤) في المقتضب ٤/ ٣٩١.

(٥) كأبي عليٍّ الفارسي في الحجة ٤/ ٤٢٢-٤٢٣، وتلميذه ابن جني في المحتسب ١/ ٣٤٢.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٠، وما بين معكوفتين منه.

(٧) في النسخ عدا (يه): ذهب، والمثبت من (يه)، وهو الصواب.

منوَّنًا، وعلى هذا القولِ يتعلَّق «لله» بمحذوفٍ على البيان كـ«لك» بعد «سَقْياً»[١]، ولم ينوَّنْ في القراءاتِ المشهورةِ مراعاةً لأصْلِهِ الذي نُقِلَ منه وهو الحرفُ، ألا تراهم قالوا: مِنْ عَنْ يمينه، فجعلوا «عن» اسماً ولم يُعْرِبوه، وقالوا مِن عليه، فلم يُثْبِتوا أَلِفَه مع المضمَرِ بل أَبْقَوا «عن» على بنائه، وقلبوا ألفَ «على» مع الضمير مراعاةً لأصلها.

وأمَّا قراءةُ الحسن وقراءةُ أُبيٍّ بالإضافة فهو مصدرٌ مضافٌ إلى «الله»، كما قالوا: سبحان الله، وهذا اختيارُ الزمخشريِّ[٢].

وقال ابن عطية: وأمَّا قراءةُ أُبيِّ بنِ كعبٍ وابنِ مسعود فقال أبو عليٍّ: إنَّ «حاشى» حرفُ استثناءٍ، كما قال الشاعر:

حاشى أبي ثوبانَ[٣]

انتهى.

وأمَّا قراءة الحسن «حاشْ» بالتسكين ففيها جمعٌ بين ساكنينِ، وقد ضعَّفوا ذلك.

قال الزمخشري: والمعنى: تنزيهُ اللهِ من صفات العجز، والتعجُّبُ من قدرته على خَلْقِ جميلٍ مِثْلِهِ، وأمَّا قولُه: «حاشَى للهِ ما عَلِمْنا عليهِ مِن سُوءٍ» فالتعجُّبُ من قدرته على خَلْقِ عفيفٍ مِثْلِهِ[٤].

«ما هذا بشراً» لمَّا كان غريبَ الجمال فائقَ الحُسْنِ عمَّا عليه حُسْنُ صورِ الإنسان نفينَ عنه البشريةَ، وأَثْبَتْنَ له المَلَكيةَ، لمَّا كان مركوزاً في الطباع حُسْنُ المَلَكِ وإنْ كان لا يُرى، وقد نَطَقَ بذلك شعراءُ العربِ والمُحْدَثون، قال بعضُ العرب:

---

(١) يعني: هو كقولهم: سقياً لك، حيث يتعلق «لك» بفعل محذوف تقديره: إرادتي، وقدره بعضهم: أعني. ولا تتعلق بـ«سقياً». ينظر مغني اللبيب ص٢٩٢.

(٢) في الكشاف ٢/ ٣١٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢١٤، وسلف البيت عند شرح المفردات. وجاء في مطبوع المحرر بدل «فقال أبو علي إن»: «فعلى أن». وينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٤٢٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٣١٧.

فَلَسْتَ لإنسيٍّ ولكنْ لمَلْأَكٍ تنزَّلَ من جوِّ السماءِ يَصُوبُ[(١)]

وقال بعضُ المُحْدَثين:

قومٌ إذا قُوبِلوا كانوا ملائكةً حُسْناً وإنْ قُوتِلوا كانوا عفاريتا[(٢)]

وانتصابُ «بشراً» على لغة الحجازِ، وكذا جاء: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢] ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ولغةُ تميمٍ الرفعُ؛ قال ابن عطية: ولم يُقْرأ به[(٣)].

وقال الزمخشري: ومَن قرأ على سَليقتهِ من بني تميمٍ قرأ: «بشرٌ» بالرفع، وهي قراءةُ ابن مسعود[(٤)]. انتهى.

وقرأ الحسنُ وأبو الحُوَيْرِثِ الحنفيُّ: «ما هذا بِشِرَى»[(٥)]، قال صاحب «اللوامح»: فيحتملُ أن يكونَ معناه: بمَبِيعٍ، أو: بمَشْرِيٍّ، أي: ليس هذا ممَّا يُشْتَرى ويُباعُ، ويجوزُ أن يكونَ: ليس بثمن، كأنه قال: هو أرفعُ من أن يجريَ عليه شيءٌ من هذه الأشياء، فالشراءُ هو مصدرٌ أُقيم مقامَ المفعول به، وتابعهما عبدُ الوارثِ عن أبي عمرٍو على ذلك، وزاد عليهما: «إلا مَلِكٌ» بكسرِ اللام واحدُ الملوك، فهم نَفَوا بذلك عنه ذلَّ المماليك، وجعلوه في حيِّز الملوك، والله أعلم. انتهى.

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة كما في المفضليات ص٣٩٤، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٥٥، وهو في زيادات ديوانه ص١١٨، ونسب في مجاز القرآن ١/ ٣٣، والصحاح (ملك) لجاهلي من عبد القيس يمدح بعض الملوك، وهو دون نسبة في الكتاب ٤/ ٣٨٠، وتفسير الطبري ١/ ٣٥٠، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١١٢، وسلف في تفسير الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٢) البيت لأبي إسحاق إبراهيم بن عثمان المعروف بالغزي، المتوفي سنة (٥٢٤هـ)، كما في خريدة القصر للعماد الأصفهاني ١/ ٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٦/ ٩٤، وسلف في تفسير الآية (٦٩) من سورة هود. ووقع في (ح) و(يه) مكان: «قوم»: «تُرْكٌ»، ومثله في روح المعاني ٢/ ٣١٢، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٣) أي: لم يُقرأ برفع اسم «ما» المُشْبِهة لـ«ليس» في القرآن، ولعله يريد: في المتواتر، وإلا فقد قرئ بذلك في الشاذ كما سيرد. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٣١٧.

(٥) المحتسب ١/ ٣٤٢. والباء في هذه القراءة حرف جر، والشين مكسورة.

ونسب ابنُ عطيةَ كسرَ اللام للحسن وأبي الحويرث اللَّذيْنِ قرأا «بِشِرًى»، قال: لمَّا استَعْظَمْنَ حُسْنَ صورته قلنَ: هذا ما يَصْلُحُ أن يكونَ عبداً بِشِرًى، إنْ هذا إلا يَصْلُح أن يكون مَلِكاً كريماً[١].

وقال الزمخشريُّ: وقُرئ: «ما هذا بِشِرًى»، أي: بعبدٍ مملوكٍ لئيم، «إنْ هذا إلا مَلِكٌ كريم» تقول: هذا بِشِرًى، أي: حاصلٌ بشِرًى، بمعنى: هذا مُشْتَرًى، وتقول: هذا لك بشِرًى أم[٢] بِكِرًى.

وقال: وإعمال «ما» عَمَلَ «ليس» هي اللغةُ القُدْمَى الحجازيةُ، وبها ورد القرآنُ[٣]. انتهى.

وإنما قال: القُدْمَى؛ لأنَّ الكثير في لغةِ الحجازِ إنما هو جرُّ الخبرِ بالباءِ، فتقول: ما زيدٌ بقائمٍ، وعليه أكثرُ ما جاء في القرآن، وأمَّا نصبُ الخبرِ فمِنْ لغةِ الحجازِ القديمةِ، حتى إنَّ النحويين لم يجدوا شاهداً على نصبِ الخبرِ في أشعارِ الحجازيين غيرَ قولِ الشاعر:

وأنا النذيرُ بحَرَّةٍ مسودَّةٍ ... تَصِلُ الجيوشُ إليكُمُ أقوادَها
أبناؤُها متكنِّفونَ أباهُمُ ... حَنِقو الصدورِ وما هُمُ أولادَها[٤]

وقال الفرَّاءُ وهو سامعُ لغةٍ حافظٌ ثقةٌ: لا يكادُ أهلُ الحجازِ ينطقون إلَّا بالباء[٥].

فلمَّا غَلَبَ على أهلِ الحجازِ النُّطْقُ بالباء قال الزمخشريُّ: اللغة القُدْمَى الحجازية. فالقرآنُ جاء باللغتين: القُدْمَى وغيرِها.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٠.
(٢) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: أي.
(٣) الكشاف ٢/ ٣١٧-٣١٨.
(٤) البيتان دون نسبة في الحماسة البصرية ١/ ٨٦، وشرح الألفية لابن عقيل ١/ ٣٠٢. الحَرَّة: أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أُحرقت بالنار. ومتكنفون، أي محيطون. اللسان (حرر) و(كنف).
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ «ذا» اسمُ الإشارة، واللامُ لبُعْدِ المشارِ، «وكنَّ» خطابٌ لتلك النسوةِ، واحْتَمَلَ أنْ يكونَ لمَّا رأى دَهَشَهُنَّ، وتقطيعَ أيديهِنَّ بالسكاكين، وقولِهِنَّ: «ما هذا بشراً»، بَعُدَ عنهنَّ إبقاءً عليهنَّ في أنْ لا تزدادَ فتنتُهنَّ، وفي أن يرجِعْنَ إلى حِسِّهِنَّ، «فأشارتْ إليه» باسم الإشارة الذي للبعيد، ويحتمِلُ أن تكونَ أشارتْ إليه وهو قريبٌ[1] بلفظِ البعيدِ رفعاً لمنزلته في الحُسْنِ، واستبعاداً لمحلِّه فيه، وأنه لغرابته بعيدٌ أن يوجَدَ مِثْلُه.

واسمُ الإشارةِ تضمَّن الأوصافَ السابقةَ فيه، كأنه قيل: الذي قَطَّعْتُنَّ أيديَكُنَّ بسببه وأَكْبَرْتُنَّه وقُلْتُنَّ فيه ما قُلْتُنَّ مِن نفي البشريةِ عنه وإثباتِ المَلَكيَّةِ له هو الذي لُمتنَّني فيه، أي: في محبَّتِهِ وشَغَفي به.

قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكونَ إشارةً إلى المعنيِّ بقولهنَّ: عَشِقَتْ عبدَها الكنعانيَّ، تقول: هذا ذلك العَبْدُ الكنعانيُّ الذي صوَّرْتُنَّ في أنفسِكُنَّ ثم لُمتنَّني فيه، يعني: إنَّكُنَّ لم تَصَوَّرْنَه بحقِّ صورتِهِ، ولو صوَّرْتُنَّه بما عايَنْتُنَّ لعَذَرْتُنَّني في الافتتانِ به[2]. انتهى.

والضمير في «فيه» عائدٌ على «يوسف».

وقال ابن عطيةَ: ويجوزُ أن تكونَ الإشارةُ إلى حبِّ يوسفَ، والضميرُ عائدٌ على الحبِّ، فيكونُ «ذلك» إشارةً إلى غائبٍ على بابه[3]. انتهى.

ثم أقرَّتِ امرأةُ العزيزِ للنسوة بالمُراوَدةِ واستنامَتْ إليهنَّ في ذلك إذ عَلِمَتْ أنهنَّ قد عَذَرْنَها[4].

---

(١) في (يه) والمطبوع: وهو للبعد قريب، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب.
(٢) الكشاف ٢/ ٣١٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤١.
(٤) وهذا الكلام نقله المصنف أيضاً من ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤١.

«فاستعصم»، قال ابنُ عطيةَ: معناهُ: طَلَبَ العِصْمةَ وتمسَّك بها وعصاني[1].

وقال الزمخشريُّ: والاستعصامُ بناءُ مبالَغةٍ يدلُّ على الامتناعِ البليغِ والتحفُّظِ الشديدِ، كأنه في عصمةٍ وهو يجتهدُ في الاستزادةِ منها، ونحوُه: استمسَكَ، واستَوْسَعَ [الفتق]، واستَجْمَعَ الرأيُ، واستَفْحَلَ الخطبُ، وهذا بيانٌ لمَا كان من يوسف ﷺ لا مزيدَ عليه، وبرهانٌ لا شيءَ أنورُ منه على أنه بريءٌ ممَّا أضافَ إليه أهلُ الحشوِ ممَّا فسَّروا به الهمَّ والبرهانَ[2]. انتهى.

والذي ذكر التَّصْريفيُّون في «اسْتَعْصَمَ» أنه موافِقٌ لاعْتَصَمَ، فاسْتَفْعَلَ فيه موافقٌ لافْتَعَلَ، وهذا أجودُ مِن جَعْلِ اسْتَفْعَلَ فيه للطلب؛ لأنَّ اعْتَصَمَ يدلُّ على وجودِ اعتصامِهِ، وطلبُ العِصْمةِ لا يدلُّ على حصولها.

وأمَّا أنه بناءُ مبالَغةٍ يدلُّ على الاجتهادِ في الاستزادةِ من العصمةِ، فلم يذكُرِ التصريفيُّون هذا المعنى لاستَفْعَلَ، وأمَّا اسْتَمْسَكَ واسْتَوْسَعَ واسْتَجْمَعَ الرأيُ، فاسْتَفْعَلَ فيه موافِقةٌ لافْتَعَلَ، والمعنى: امْتَسَكَ واتَّسَعَ واجْتَمعَ الرأيُ، وأمَّا اسْتَفْحَلَ الخطبُ فاسْتَفْعَلَ فيه موافِقةٌ لتفعَّلَ، أي: تفحَّلَ الخطبُ، نحو: اسْتَكْبَرَ وتكَبَّرَ.

ثم جَعَلَتْ تتوعَّدُه مُقْسِمةً على ذلك - وهو يسمعُ قولَها- بقولها: «ولئنْ لم يَفْعَلْ ما آمُرُه»، والضميرُ في «آمُرُه» عائدٌ على الموصول، أي: ما آمُرُ به، فحذِفَ الجارُّ كما حُذِفَ في: أمرتُكَ الخيرَ، ومفعولُ «آمُرُ» الأولُ محذوفٌ، وكان التقدير: ما آمُرُه به، وإنْ جُعلت «ما» مصدريةً جاز، فيعودُ الضميرُ على «يوسف»، أي: أمري إياه، ومعناه: موجبُ أمري.

وقرأت فرقةٌ: «وليكوننَّ» بالنونِ المشدَّدةِ[3]، وكَتْبُها في المصحفِ بالألفِ مراعاةٌ لقراءةِ الجمهورِ بالنونِ الخفيفة، ويوقَفُ عليها بالألف كقول الأعشى:

ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعْبُدَا[4]

و«من الصاغرين»: من الأذِلَّاء.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤١.

(٢) الكشاف ٢/ ٣١٨، وما بين معكوفين منه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وصدره: وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه، وهو في ديوان الأعشى ص١٨٧.

ولم تَذْكُرْ هنا العذابَ الأليمَ الذي ذكَرَتْه في «ما جزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ سوءاً» لأنها إذ ذاك كانت في طراوةِ غيظِها ومتنصِّلةً من أنها هي التي راوَدَتْه فناسَبَ هناك التغليظَ بالعقوبة، وأمَّا هنا فإنَّها في طماعِيَةٍ ورجاءٍ، وأقامتْ عُذْرَها عندَ النسوةِ، فرقَّتْ عليه فتوعَّدَتْه بالسجن، وقال له النِّسوةُ: أَطِعْ وافْعَلْ ما أمَرَتْكَ به، فقال: «ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ مما يَدْعونَني إليه»، فأسْنَدَ الفعلَ إليهنَ لمَّا تَنَصَّحْنَ له وزيَّنَّ له مطاوَعَتَها، ونَهَيْنَه عن إلقاءِ نفسِه في السجن والصَّغارِ، فالْتَجأ إلى الله تعالى، والتقدير: دخولُ السِّجْنِ.

وقرأ عثمانُ، ومولاه طارقٌ، وزيد بنُ عليٍّ، والزهريُّ، وابنُ أبي إسحاقَ، وابنُ هُرْمُزَ، ويعقوبُ: «السَّجْنُ» بفتح السين[1]، وهو مصدرُ سَجَنَ، أي: حَبْسُهُم إياي في السِّجن أحبُّ إليَّ.

و«أَحَبُّ» هنا ليستْ على بابها من التفضيلِ؛ لأنه لم يُحِبَّ ما يدعُونَه إليه قطُّ، وإنما هذان شرَّان، فآثَرَ أحدَ الشرَّيْنِ على الآخَرِ وإنْ كان في أحدهما مشقَّةٌ وفي الآخَرِ لذةٌ، لكنْ لمَا يترتَّبُ على تلك اللَّذةِ من معصيةِ اللهِ وسوءِ العاقبة لم تَخْطُرْ له ببالٍ، ولمَا في الآخَرِ من احتمالِ المشقة في ذاتِ الله والصبرِ على النوائبِ وانتظارِ الفَرَجِ والحضورِ مع الله تعالى في كلِّ وقتٍ داعياً له في تخليصه آثَرَه، ثم ناطَ العصمةَ بالله واسْتَسْلَم له كعادةِ الأنبياءِ والصالحين، وأنه تعالى لا يَصْرِفُ السوءَ إلَّا هو، فقال: «وإلَّا تَصْرِفْ عنِّي كيدَهُنَّ أصْبُ إليهنَّ»، أي: أَمِلْ إلى ما يَدْعونني إليه، وجَعَل جوابَ الشرط قولَه: «أَصْبُ»، وهي كلمةٌ مشعرةٌ بالميلِ فقط لا بمباشرةِ المعصية.

وقرئ: «أصَبُّ إليهنَّ»[2] من صَبِبْتُ صبابةً فأنا صبٌّ، والصبابةُ إفراطُ الشوقِ، كأنه ينصبُّ فيما يَهْوَى، وقراءةُ الجمهور: «أصبُ» من صبا إلى اللَّهْوِ يَصْبو صِباً وصُبُوًّا، ويقال: صَبِيَ يَصْبَى صَبَاءً، والصِّبا بالكسر: اللهوُ واللَّعب.

«وأكُنْ من الجاهلين» من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأنَّ مَن لا جَدْوَى

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧١، والقراءة عن يعقوب في النشر ٢/ ٢٩٥.
(٢) القراءات الشاذة ص٦٤.

لعِلْمِه فهو ومَن لا يعلمُ سواءٌ، أو: مِن السفهاءِ؛ لأنَّ الوقوعَ في موافَقةِ النساءِ والميلَ إليهنَّ سفاهةٌ، قال الشاعر:

**إحدى بَليٍّ وما هامَ الفؤادُ بها إلَّا السفاهَ وإلَّا ذكرةً حلما**[١]

وذَكَرَ استجابةَ اللهِ له ولم يتقدَّم لفظُ دعاءٍ لأن قولَه: «وإلَّا تَصْرِفْ عنِّي» فيه معنًى طلبِ الصَّرْفِ والدعاءِ، وكأنه قال: ربِّ اصْرِفْ عنِّي كيدَهُنَّ، «فصَرَفَ عنه كيدهنَّ»، أي: حالَ بينَه وبينَ المعصية «إنه هو السميعُ» لدعاءِ الملتجئينَ إليه «العليم» بأحوالهم وما انْطَوَتْ عليه نيَّاتُهم.

«ثم بدا لهم»، أي: ظَهَرَ لهم، والفاعلُ لـ«بدا» ضميرٌ يفسِّرُه ما يدلُّ عليه المعنى، أي: بدا لهم هو، أي: رأيٌ أو بداءٌ، كما قال:

**بدا لك من تلك القَلُوصِ بَدَاءُ**[٢]

هكذا قاله النحاةُ والمفسِّرون إلَّا مَن أجاز أن تكونَ الجملةُ فاعلةً، فإنه زَعَم أنَّ قولَه: «ليَسْجُننَّه» في موضعِ الفاعلِ لـ«بدا»، أي: سَجْنُه حتى حينٍ، والردُّ على هذا المذهبِ مذكورٌ في علم النحو.

والذي أذهبُ إليه: أنَّ الفاعلَ ضميرٌ يعودُ على السجنِ المفهومِ من قوله: «ليُسْجَنَنَّ» أو من قوله: «السِّجْنُ» على قراءةِ الجمهور، أو على «السَّجْن» على قراءةِ مَن فتحَ السينَ.

والضميرُ في «لهم» للعزيزِ وأهلِه. والآياتُ هي الشواهدُ الدالَّةُ على براءةِ يوسفَ؛ قال مجاهدٌ وغيرُه: قدُّ القميصِ[٣]. فإنْ كان الشاهدُ طفلاً فهي آيةٌ عظيمةٌ، وإن كانَ رجلاً فيكونُ استدلالاً بالعادةِ.

والذي يظهرُ أنَّ الآيةَ إنما يعبَّر بها عن الواضح الجليِّ، وجمعُها يدلُّ على

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد وأمسى حَبْلُها انجذما واحتلت الشرع والأجزاء من إضما

(٢) وصدره: لعلك والموعود حقٌّ لقاؤه، والبيت لمحمد بن بشير الخارجي كما في الأغاني ١٦/ ١٢٣، ونسبه صاحب اللسان (بدا) للشماخ، وهو في ملحقات ديوانه ص٤٢٧، وذكره ابن الشجري في أماليه ٢/ ٢٧ دون نسبة. قوله: والموعود، أي: والأمرُ الموعود.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ١٤٧-١٤٨ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

ظهورِ أمورٍ واضحةٍ دلَّتْ على براءتِهِ، وقد تكونُ الآياتُ التي رأوها لم يُنَصَّ على جميعِها في القرآن، بل رأوا قولَ الشاهدِ وقدَّ القميصِ وغيرَ ذلك ممَّا لم يُذْكَرْ، وأمَّا ما ذكره عكرمةُ: أنَّ من الآياتِ خمشَ وجهها[١]، والسدِّيُّ من حَزِّ أيديهنَّ[٢]، فليس في ذلك دلالةٌ على البراءة، فلا يكونُ آيةً.

و«لَيَسْجُنُنَّه» جوابُ قسمٍ محذوفٍ، والقسمُ وجوابُه معمولٌ لقولٍ محذوفٍ تقديره: قائلين.

وقرأ الحسن: «لَتَسْجُنُنَّه» بالتاء[٣] على خطابِ بعضِهم: العزيزِ ومَن يليه، أو العزيزِ وحدَه على وجه التعظيم.

وقرأ ابن مسعود: «عتَّى» بإبدال حاءِ «حتى» عيناً، وهي لغةُ هُذيلٍ، وأقْرأ بذلك، فكتب إليه عمر[٤] يأمرُه أن يُقْرِئَ بلغة قريش: «حتى»، لا بلغةِ هُذيلٍ[٥].

والمعنى: إلى زمانٍ، والحينُ يدلُّ على مطلقِ الوقتِ، ومَن عيَّنَ له هنا زماناً فإنما كان ذلك باعتبارِ مدَّةِ سَجْنِ يوسفَ، لا أنه موضوعٌ في اللغة كذلك، وكأنها اقترحَتْ زماناً حتى تُبْصِرَ ما يكونُ منه.

وفي سَجْنِهم ليوسفَ دليلٌ على مَكيدةِ النساءِ، واستِنْزالِ المرأةِ لزوجِها ومطاوَعَتِه لها وعِشْقِه لها وجَعْلِهِ زمامَ أمرِه بيدها، هذا مع ظهورِ خَنَاها[٦] وبراءةِ يوسفَ.

رُوي أنه لمَّا امتنعَ يوسفُ من المعصية ويَئِسَتْ منه امرأةُ العزيز، قالت لزوجها: إنَّ هذا الغلامَ العبرانيَّ قد فَضَحني في الناس، وهو يعتذرُ إليهم ويصفُ الأمرَ بحسبِ اختيارِه، وأنا محبوسةٌ محجوبةٌ، فإمَّا أذِنْتَ لي فخرجتُ إلى الناسِ

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٩، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٤٧-١٤٨ من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٩.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٣.
(٤) قوله: عمر، ساقط من المطبوع.
(٥) المحتسب ١/ ٣٤٣، وذكر القراءة أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٦٣.
(٦) في (د١) والمطبوع: خيانتها.

فاعتَذَرْتُ وكذَّبتُه، وإلا حَبَسْتَه كما أنا محبوسةٌ، فحينئذٍ بدا لهم سَجْنُه.

قال ابن عباس: فأُمِرَ به فحُمِلَ على حمارٍ، وضُرِبَ بالطبلِ، ونُوديَ عليه في أسواقِ مِصْرَ: إنَّ يوسفَ العبرانيَّ أرادَ سيدتَه، فهذا جزاؤُه أن يُسْجَنَ. قال أبو صالح: ما ذَكَرَ ابنُ عباس هذا الحديثَ إلَّا بَكى[1].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ في الكلام حذفٌ تقديرُه: فَسَجنوه فَدَخَلَ معه السِّجْنَ غُلامانِ، ورُوي أنهما كانا للملكِ الأعظمِ الوليد بنِ الريانِ أحدُهما خَبَّازُه والآخَرُ ساقِيْه[2].

ورُوي أنَّ الملك اتَّهمَهُما بأنَّ الخابِزَ منهما أراد سمَّه ووافَقَه على ذلك الساقي، فسَجَنهما، قاله السدِّيُّ[3]، و«مع» تدلُّ على الصُّحْبةِ واستحداثِها، فدلَّ على أنهم سَجَنوا الثلاثةَ في ساعةٍ واحدةٍ، ولمَّا دخلَ يوسفُ السِّجْنِ استمالَ الناسَ بحسنِ حديثِهِ وفَضْلِه ونُبْلِهِ، وكان يُسلِّي حزينَهم، ويعودُ مريضَهم، ويَسألُ لفقيرِهم، ويَنْدُبُهم إلى الخيرِ، فأحبَّه الفَتَيانِ ولَزِمَاه، وأحبَّه صاحبُ السِّجن والقيِّمُ عليه، وقال له: كُنْ في أيِّ البيوتِ شئتَ. فقال له يوسفُ: لا تُحبَّني يَرْحَمُكَ الله، فلقد أَدْخَلَتْ عليَّ المحبَّةُ مَضرَّاتٍ، أحبَّتْني عَمَّتي فامتُحِنْتُ بمحبَّتها، وأحبَّني أبي فامتُحِنْتُ بمحبَّته، وأحبَّتْني امرأةُ العزيزِ فامتُحِنْتُ بمحبتها بما ترى.

وكان يوسفُ ﷺ قد قال لأهل السِّجن: إنِّي أَعْبُرُ[4] الرؤيا وأُجيد.

ورُوي أنَّ الفَتَيَيْنِ قالا له: إنَّا لنحبُّكَ مِن حينِ رأيناكَ. فقال: أَنْشُدُكما اللهَ أَنْ لا تحبَّاني، وذَكَر ما تقدَّم[5].

وعن قتادة: كان في السجنِ ناسٌ قد انْقَطَعَ رجاؤهم وطالَ حزنُهم، فَجعَلَ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٢.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٥٢ عن قتادة.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ١٥٢.
(٤) عَبَرَ الرؤيا يَعْبُرها عَبْراً وعبارة، وعبَّرها: فسَّرها. اللسان (عبر).
(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٥٤ عن مجاهد.

يقولُ: اصْبِروا وأبْشِروا: تُؤْجَروا، إنَّ لهذا لأجراً. فقالوا: بارَكَ الله عليكَ ما أحسنَ وجهكَ! وما أحسنَ خُلُقَكَ! لقد بورِكَ لنا في جوارِكَ، فَمَنْ أنتَ يا فتى؟ قال: يوسفُ ابنُ صفيِّ الله يعقوبَ ابنِ ذبيحِ اللهِ إسحاقَ ابنِ خليلِ اللهِ إبراهيمَ. فقال له عاملُ السِّجن: لو استَطَعْتُ خلَّيْتُ سبيلَكَ[1].

وهذه الرؤيا التي للفَتَيَيْنِ؛ قال مجاهدٌ: رَأَيَا ذلك حقيقةً، فأرادا سؤالَه. وقال ابنُ مسعودٍ والشعبيُّ: استَعْمَلاها ليجرِّباه[2].

والذي رأى عَصْرَ الخمرِ اسمُه: نبو، قال: رأيتُ حَبْلَةً من كَرْمٍ لها ثلاثةُ أغصانٍ حِسَانٍ، فيها عناقيدُ عِنَبٍ حِسَانٍ، فكنتُ أَعْصِرُها وأَسْقي الملكَ، والذي رأى الخبزَ اسمُه: ملحب، قال: كنتُ أرى أنِّي أخرجُ من مطبخة الملكِ وعلى رأسي ثلاثُ سلالٍ فيها خبزٌ والطيرُ تأكُلُ من أعلاه[3].

و«رأى» الحُلُمية جَرَتْ مَجْرَى أفعالِ القلوبِ في جوازِ كونِ فاعِلِها ومفعولِها ضميرينِ متحِدَي المعنى، فـ«أراني» فيه ضميرُ الفاعلِ المستكنِّ، وقد تعدَّى الفعلُ إلى الضميرِ المتصلِ وهو رافعٌ للضميرِ المتصلِ، وكلاهما لمدلُولٍ واحدٍ، ولا يجوزُ أن تقول: أَضْرِبُني، ولا: أُكْرِمُني.

وسُمِّيَ العنبُ خمراً باعتبارِ ما يَؤُول إليه، وقيل: الخمرُ بلغةِ غسَّانَ اسمُ العنب. وقيل: في لغة أَزْدِ عُمان.

وقال المعتمر: لقيتُ أعرابيًّا يحملُ عنبًا في وعاءٍ، فقلتُ: ما تَحْمِلُ؟ قال: خمراً. أرادَ العنبَ[4]. وقرأ أُبيٌّ وعبدُ الله: «أَعْصِرُ عنباً»[5]. وينبغي أن يُحْمَلَ ذلك على التفسيرِ؛ لمخالَفتِهِ سوادَ المصحفِ، والثابتُ[6] عنهما بالتواتر وقراءتُهما: «أعصِرُ خمراً».

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/١٥٧-١٥٨.

(٢) أخرج قول مجاهد وقول ابن مسعود ﷺ الطبري ١٣/١٥٣-١٥٤. وقول الشعبي في الكشاف ٢/ ٣٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٤٣، وجاء فيه اسم الثاني. مجلث، مكان: ملحب. ولم أقف في المصادر على مَن سمَّاه ملحب.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٣.

(٥) المحتسب ١/٣٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤.

(٦) في (ح) والمطبوع: وللثابت.

قال ابنُ عطيةَ: ويجوزُ أن يكونَ وصفُ الخمر بأنها معصورةٌ، إذ العصرُ لها ومن أجلها. وفي مصحف عبد الله: «فوق رأسي ثريداً تأكلُ الطيرُ منه»[١]، وهو أيضاً تفسيرٌ لا قراءةٌ.

والضميرُ في «تأويله» عائدٌ إلى ما قصَّا عليه، أُجرِيَ مُجْرَى اسمِ الإشارة، كأنه قيل: بتأويل ذلك.

وقال الجمهور: «من المحسنين»، أي: في العِلْم؛ لأنهما رَأَيَا منه ما عَلِمَا به أنه عالِمٌ. وقال الضحاكُ وقتادةُ: من المحسنين في حديثه مع أهلِ السجن وإجماله معهم. وقال ابن إسحاق: أرادا إخبارَه أنهما يَرَيَانِ له إحساناً عليهما ويداً إذا تأوَّلَ لهما ما رأياه[٢].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ قال الزمخشري[٣]: لمَّا استعْبَراه ووَصَفَاه بالإحسان افْتَرَصَ ذلك، فوصَفَ يوسفُ نفسَه[٤] بما هو فوقَ عِلْمِ العلماءِ، وهو الإخبارُ بالغيب، وأنه ينبِّئهما بما يُحْمَلُ إليهما من الطعام في السجن قبلَ أن يأتيهما، ويصفُه لهما، ويقول: اليومَ يأتيكُما طعامٌ من صفتهِ كيتَ وكيت، فيَجِدانِهِ كما أخبرهما، ويجعلُ[٥] ذلك تخليصاً إلى أنْ يذكُر لهما التوحيدَ ويَعْرِضَ عليهما الإيمانَ ويزيِّنَه لهما، ويقبِّح لهما الشركَ بالله، وهذه طريقةٌ على كلِّ ذي عِلْم أنْ يَسْلُكَها مع الجُهَّالِ والفَسَقةِ إذا استفتاه واحدٌ منهم: أنْ يقدِّمَ الإرشادَ والموعظةَ والنصيحةَ أولاً، ويدعُوَه إلى ما هو أَوْلَى به وأَوْجَبُ[٦] عليه مما اسْتَفْتَى فيه، ثم

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤، وأخرج أقوالهم بنحوها الطبري ١٣/ ١٥٦-١٥٨.
(٣) في الكشاف ٢/ ٣٢٠.
(٤) في الكشاف: فوصل به وصف نفسه، مكان: فوصف يوسف نفسه.
(٥) في الكشاف: وجعل.
(٦) في النسخ والمطبوع: وأوجبه، والمثبت من الكشاف.

يُفْتِيَهُ بعدَ ذلك. وفيه أنَّ العالِمَ إذا جُهِلَتْ منزلتُه في العلم فوَصَفَ نفسَه بما هو بصَدَدِه وغرضُه أنْ يُقْتَبَسَ منه ويُنْتَفَعَ به في الدِّين، لم يكن من بابِ التزكيةِ «بتأويله»: ببيانِ ماهِيَّتِهِ وكيفيته؛ لأنَّ ذلك يُشْبِهُ تفسيرَ المُشْكِلِ والإعرابَ عن معانيه[1]. انتهى.

وهذا الذي قاله الزمخشريُّ يدلُّ على أنَّ إتْيانَ الطعام يكونُ في اليقظة، وهو قولُ ابنِ جُرَيجٍ، قال: أرادَ يوسفُ: لا يأتيكما طعامٌ في اليقظة تُرزقانه إلا نبأتُكما منه بعلم، وبما يَؤُولُ إليه أمرُكما قبلَ أنْ يأتيَكما. فَعَلَى هذا أراد أن يُعْلِمَهم أنه يَعْلَم مغيَّباتٍ لا تتعلَّقُ بالرؤيا، وهذا على ما روي أنه نُبِّئَ في السجن[2].

وقال السدِّيُّ وابنُ إسحاقَ: لمَّا عَلِمَ مِن[3] تعبيرِ منامِهِ رأى الخبزَ أنها تؤذِنُ بقتلِهِ، أَخَذَ في غيرِ ذلك الحديثِ تنسيةً لهما أمرَ المنام، وطماعيةً في إيمانهما؛ ليأخُذَ المقتولُ بحظِّه من الإيمان وتَسْلَمَ له آخِرتُه، فقال لهما مُعْلِناً بعظيمِ عِلْمِه للتعبير: إنَّه لا يَجيئُكما طعامٌ في نومكما[4] تَرَيان أنكما رُزِقْتُماه إلَّا أَعْلَمْتُكما بتأويلِ ذلك الطعامِ، أي: بما يَؤُولُ إليه أَمْرُه في اليقظةِ قبلَ أن يَظْهرَ ذلك التأويلُ الذي أُعلِمُكما به، فرُوِيَ أنهما قالا له: ومِن أينَ لك ما تدَّعيه من العلم وأنتَ لستَ بكاهنٍ ولا منجِّمٍ؟ فقال لهما: «ذلك ممَّا علَّمني ربِّي»[5].

والظاهرُ أنَّ قولَه: «لا يأتيكُما» إلى آخِرِه أنه في اليقظة، وأنَّ قوله: «ممَّا علَّمني ربِّي» دليلٌ على أنه إذ ذاك كان نبيًّا يُوحَى إليه.

والظاهرُ أنَّ قولَه: «إني تركتُ» استئنافُ إخبارٍ بما هو عليه، إذ كانا قد أحبَّاه وكَلِفَا بحبِّه وبحُسْنِ أخلاقه؛ ليُعْلِمهما ما هو عليه من مخالفةِ قومهما فيتَّبعاه، وفي الحديثِ: «لَأَنْ يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم»[6].

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: معاينة، وجاء في الكشاف: معناه.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤، وينظر تفسير الطبري ١٣/ ١٦١-١٦٢.

(٣) كذا في النسخ والمطبوع، والذي في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤: شدة، مكان: من.

(٤) في النسخ - عدا (ح) - والمطبوع: يومكما، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٤، وتفسير الطبري ١٣/ ١٥٩-١٦٠.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

وعبَّر بـ«تركتُ» مع أنه لم يتشبَّثْ بتلك الملَّة قطُّ إجراءً للتَّرْكِ مُجْرَى التجنُّبِ من أولِ حالِهِ، واستجلاباً لهما لِأَنْ يتركَا تلك الملةَ التي كانا فيها. ويجوزُ أن يكونَ «إنِّي تركتُ» تعليلاً لِما قبلَه، أي: علَّمني ذلك وأَوْحَى إليَّ لأنِّي رفضتُ ملَّةَ أولئك واتَّبَعْتُ ملةَ الأنبياء وهي الملةُ الحنيفيةُ، وهؤلاء الذين لا يؤمنون هم أهلُ مصرَ ومَن كان الفَتَيانِ على دينهم، ونبَّه على أصلينِ عظيمين، وهما: الإيمانُ بالله، والإيمانُ بدارِ الجزاءِ، وكرَّر «هم» على سبيلِ التوكيدِ وحسَّنَ ذلك الفصلُ.

وقال الزمخشريُّ: وتكريرُ «هم» للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأنَّ غيرَهم مؤمنون بها، ولتوكيدِ كفرِهم بالجزاءِ تنبيهاً على ما هم عليه من الظُّلم والكبائر التي لا يرتكبُها إلا مَن هو كافرٌ بدار الجزاء[١]. انتهى.

وليست عندنا «هم» تدلُّ على الخصوصِ، وباقي ألفاظِهِ ألفاظُ المعتزلة.

ولما ذَكَرَ أنه رفضَ ملةَ أولئك ذَكَرَ اتِّباعه ملَّةَ آبائه ليُرِيَهما أنه من بيتِ النبوة - بعد أن عرَّفهما أنه نبيٌّ بما ذَكَرَ من إخبارِهِ بالغيوبِ - لتَقْوَى رغبتُهما في الاستماع إليه واتِّباعِ قوله.

وقرأ الأشهبُ العقيليُّ والكوفيون: «آبائيْ» بإسكانِ الياء[٢]، وهي مَرْوِيةٌ عن أبي عمرٍو[٣].

«ما كان لنا»: ما صحَّ ولا استقامَ لنا معشرَ الأنبياء أنْ نُشْرِكَ بالله، «من شيءٍ» عمومٌ في المَلَكِ والجِنِّيِّ والإنسيِّ، فكيف بالصَّنم الذي لا يسمعُ ولا يبصِرُ؟ فـ«شيء» يرادُ به المشرَكُ، ويجوزُ أن يرادَ به المصدرُ، أي: من شيءٍ من الإشراك، فيعمُّ الإشراك ويلزمُ عموم متعلقاته، و«من» زائدةٌ لأنها في حيِّزِ النفي، إذ المعنى: ما نُشْرِكُ بالله شيئاً[٤].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٠.

(٢) السبعة ص٣٥٣، والتيسير ص١٣١ عن الكوفيين، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، وحرك الياء باقي السبعة.

(٣) وهي خلاف المشهور عنه، ينظر التعليق السابق.

(٤) في (ح) و(يه): من شيء.

والإشارةُ بـ«ذلك» إلى شَرْعِهم[١] وملَّتهم، أي: ذلك الدِّينُ والشرعُ الحَنيفيُّ الذي انتفَى فيه[٢] الإشراك بالله «من فضلِ الله علينا»، أي: على الرسلِ؛ إذ خُصُّوا بأنْ كانوا وسائطَ بينَ اللهِ وعبادِه، «وعلى الناس»، أي: على المُرْسَلِ إليهم إذ يُساقون به إلى النجاة حيث أرشَدُوهم إليه. وقوله: «لا يشكرون»، أي: لا يشكرون فضلَ الله فيُشرِكون ولا ينتبهون.

وقيل: «ذلك من فضل الله علينا» لأنه نَصَبَ لنا الأدلةَ التي ننظُر فيها ونستدلُّ بها، وقد نَصَبَ مِثْلَ ذلك لسائرِ الناس من غيرِ تفاوتٍ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا ينظرون ولا يشكرون اتِّباعاً لأهوائهم، فيبقَوْن كافرينَ غيرَ شاكرين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ لـمَّا ذكَرَ ما هو عليه من الدِّين الحنيفيِّ تَلطَّفَ في حُسْنِ الاستدلالِ على فسادِ ما عليه قومُ الفَتَيَيْنِ من عبادةِ الأصنام، فناداهما باسم الصُّحبة في المكان الشاقِّ الذي تُخْلَصُ فيه المودةُ وتتمحَّضُ فيه النصيحةُ، واحْتَمَلَ قولُه: «يا صاحبي السجن» أن يكون من باب الإضافة إلى الظرف، والمعنى: يا صاحبيَّ في السجن، واحْتَمَلَ أنْ يكونَ من إضافته إلى شِبْهِ المفعولِ، كأنه قيل: يا ساكني السجن، كقوله: «أصحاب النار» و«أصحاب الجنة».

ثم أورد الدليلَ على بطلانِ مِلَّةِ قومِهما بقوله: «أأربابٌ» فأبرزَ ذلك في صورةِ الاستفهام حتى لا تنفِرَ طباعُهما من المفاجأةِ بالدليلِ من غيرِ استفهام، وهكذا الوجهُ في مُحاجَّةِ الجَهَلةِ[٣]: أنْ يُؤْخَذَ بدرجةٍ يسيرةٍ من الاحتجاج يقبلُها، فإذا قَبِلَها لزِمَتْه عنها درجةٌ أخرى فوقَها، ثم كذلك حتى[٤] يَصِلَ إلى الإذعان بالحقِّ.

(١) في النسخ - عدا (ح) - والمطبوع: شركهم، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٥.
(٢) في (ح): عنه.
(٣) في المطبوع: الجاهل، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٥، والكلام منه.
(٤) في (د١) والمطبوع: إلى أن، مكان: حتى. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر.

وقابَلَ تفرُّقَ أربابِهم بالواحِدِ، وجاء بصفةِ «القهَّار» تنبيهاً على أنه تعالى له هذا الوصفُ الذي معناه الغلبةُ والقدرةُ التامةُ، وإعلاماً بعروٍّ أصنامهم عن هذا الوصفِ الذي لا ينبغي أنْ يُعْبَدَ إلا المتَّصِفُ به، وهم عالِمونَ بأنَّ تلك الأصنامَ جمادٌ، والمعنى: أعبادةُ أربابٍ متكاثرةٍ في العددِ خيرٌ أم عبادةُ واحدٍ قهَّارٍ وهو اللهُ، فَمِن ضرورةِ العاقلِ يرى خيريةَ عبادتهِ، ثم استطردَ بعد الاستفهام إلى الإخبارِ عن حقيقةِ ما يعبدونَ، والخطابُ بقوله: «ما تعبدون» لهما ولقومهما من أهلِ مصر[١]، ومعنى «إلا أسماءً»، أي: ألفاظاً أَحْدَثْتُموها أنتم وآباؤكم فهي فارغةٌ لا مسمَّياتٍ تحتَها، وتقدَّم تفسيرُ مِثْلِ هذه الجملةِ في «الأعراف»[٢].

«إنِ الحُكْمُ إلَّا لِلّه»، أي: ليس لكم ولا لأصنامِكم حُكْمٌ، ما الحُكْمُ في العبادة والدِّينِ إلَّا لِلّهِ، ثم بيَّن ما حَكَم به فقال: «أَمَرَ أنْ لا تَعبدوا إلَّا إياه»، ومعنى «القيم»: الثابتُ الذي دلَّتْ عليه البراهينُ، «لا يعلمون» بجَهَالاتِهِم وغَلَبةِ الكفرِ عليهم.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ لمَّا أَلْقَى إليهما ما كانَ أهمَّ - وهو أمرُ الدِّين - رجاءً في إيمانهما، ناداهما ثانياً لتَجْتَمِعَ أنفسُهما لسماعِ الجوابِ، فرُوِيَ أنه قالَ لبنو: أمَّا أنتَ فتعودُ إلى مَرْتَبتكَ وسقايةِ ربِّكَ، وما رأيتَ من الكَرْمةِ وحُسْنِها هو المَلِكُ وحُسْنُ حالِكَ عندَهُ، وأمَّا القضبانُ الثلاثةُ فإنَّها ثلاثةُ أيامٍ تمضي في السجن ثم تَخْرُجُ وتعودُ إلى ما كنتَ عليه. وقال لملحب: أمَّا أنتَ فما رأيتَ من السِّلال ثلاثةَ أيام، ثم تُخْرَجُ فتُصْلَبُ. فرُوِيَ أنهما قالا: ما رأينا شيئاً وإنَّما تحالَمْنا لنُجرِّبَكَ. ورُوِيَ أنه لم يَقُلْ ذلك إلا الذي حدَّثَهُ بالصَّلْبِ، ورُوِيَ أنهما رَأَيَا ثم أَنْكَرَا.

وقرأ الجمهورُ: «فيسقي ربَّهُ» مِن سَقَى، وفرقةٌ: «فيُسْقي» مِن أَسْقَى، وهما لغتان

---

(١) كلمة: مصر، ساقطة من المطبوع.
(٢) عند تفسير الآية (٧١) منها.

بمعنىً واحدٍ[1]، وقُرئ في السبعة: «نُسْقِيكُم» و«نَسْقِيكُم»[2]، وقال صاحبُ «اللوامح»: سَقَى وأَسْقَى بمعنىً واحدٍ في اللُّغةِ، والمعروفُ أنَّ سقاهُ: ناوَلَهُ لِيَشْرَبَ، وأَسْقَاهُ: جَعَلَ له سُقْيا، ونُسِبَ ضمُّ الياءِ لعِكْرِمةَ والجَحْدرِيِّ، ومعنى «ربَّه» سيِّدهُ.

وقال ابنُ عطية: وقرأ عكرمةُ والجَحْدرِيُّ: «فيُسْقَى ربُّهُ خمراً» بضمِّ الياءِ وفتح القافِ، أي: ما يَرْوِيهِ[3].

وقال الزمخشريُّ: وقرأ عكرمةُ: «فيُسْقَى رِبَّه» [أي]: فيُسْقَى ما يُرْوَى بهِ، على البناءِ للمفعولِ[4].

ثم أخبرهُما يوسفُ عليهِ السَّلامُ عن غيبٍ عَلِمَه مِنْ قِبَلِ اللهِ أنَّ الأمرَ قد قُضِي ووافَقَ القَدَرَ، وسواءٌ كانَ ذلك منكُما حلمٌ أو تَحَالُمٌ، وأَفْرَدَ الأمرَ وإنْ كانَ أمرُ هذا غيرَ أَمْرِ هذا[5] لأنَّ المقصودَ إنَّما هو عاقبةُ أمرِهِما، الذي أُدْخِلَا به السِّجْنَ، وهو اتِّهامُ المَلِكِ إياهُما بسمِّه، فرَأَيَا ما رَأَيَا أو تَحَالَما بذلكَ، فقُضِيَتْ وأُمْضِيَتْ تلك العاقبةُ من نجاةِ أحدِهما وهلاكِ الآخَرِ.

«وقال» أي: يوسفُ «للَّذي ظنَّ» أي: أَيْقَنَ هو، أي: يوسفُ «أنه ناجٍ» وهو الساقي، ويحْتَملُ أن يكونَ «ظنَّ» على بابهِ والضميرُ عائدٌ على «الذي» وهو الساقي، أي: لمَّا أَخْبَرَهُ يوسفُ بما أَخْبَرَهُ ترجَّحَ عندَهُ أنه ينجو. ويَبْعُدُ أنْ يكونَ الظنُّ على بابهِ ويكونَ مسنداً إلى يوسفَ على ما ذَهَبَ إليه قتادةُ والزمخشريُّ؛ قال قتادة: الظنُّ هنا على بابه؛ لأنَّ عبارةَ الرؤيا ظنٌّ[6].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٦.
(٢) قرأ بفتح النون نافع وابن عامر وعاصم في رواية شعبة، والباقون بالضم، وذلك في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]. السبعة ص٣٧٤ و٤٤٥، والتيسير ص١٣٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٢١، وما سلف بين معكوفتين منه.
(٥) قوله: غير أمر هذا، ساقط من المطبوع.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٦، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٧١، ولفظه: وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيُحقُّ الله ما يشاء ويبطل ما يشاء.

وقال الزمخشري: الظانُّ هو يوسفُ عليه السلام إن كان تأويلُهُ بطريقِ الاجتهاد[1] فيَبْعدُ؛ لأنَّ قوله: «قُضِيَ الأمرُ» فيه تحتُّم ما جرى به القَدَرُ وإمضاؤه، فيَظْهَرُ أنَّ ذلك بطريقِ الوحي، إلَّا إنْ حُمِلَ «قضي الأمْرُ» على: قُضي كلامي وقلتُ ما عندي، فيجوزُ أن يعودَ على يوسفَ، والمعنى: أنَّ يوسفَ عليه السلام قال لساقي الملك حين عَلِمَ أنه سيعودُ إلى حالته الأُولى مع الملك: «اذكرني عند الملك، أي: بعِلْمي[2] ومكانتي وما أنا عليه ممَّا آتاني الله، أو: اذكرني بمظلِمَتي وما امتُحِنْتُ به بغير حقٍّ، وهذا من يوسفَ على سبيلِ الاستعانةِ والتعاوُنِ في تفريج كَرْبِهِ وجعله بإذن الله، وتقديرِهِ سبباً للخلاص، كما جاء عن عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وكما كان الرسولُ يطلبُ مَن يَحْرسُهُ.

والذي أختارُهُ: أنَّ يوسفَ إنما قالَ لساقي المَلِكِ: «اذكُرْني عند ربِّك» ليتوصَّل إلى هدايته وإيمانه بالله كما توصَّل إلى إيضاحِ الحق للساقي ورفيقِه.

والضمير في «فأنساه» عائدٌ على الساقي، ومَعْنى ذِكْرِ ربِّه: ذِكْرُ يوسفَ لربِّه، والإضافةُ تكونُ بأدنى مُلابَسةٍ، وإنساءُ الشيطانِ له بما يوسوسُ إليه من اشتغاله حتى يَذْهَلَ عمَّا قال له يوسفُ؛ لَمَا أراد الله بيوسفَ من إجزال أجره بطولِ مقامه في السجن.

«وبضع سنين» مُجْمَلٌ؛ فقيل: سبع. وقيل: اثنا عَشَر.

والظاهرُ أنَّ قوله: «فلبثَ في السِّجن» إخبارٌ عن مدَّةِ مقامه في السجن منذ سُجِنَ إلى أنْ أُخرِجَ، وقيل: هذا اللبثُ هو ما بعد خروج الفَتَيَيْنِ، وذلك سبعٌ، وقيل: سنتان.

وقيل: الضمير في «أنساه» عائدٌ على يوسف[3]، ورتَّبوا على ذلك أخباراً لا تليقُ نسبتُها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[4].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٢.

(٢) في (ح): اذكرني عند ربك، أي: الملك بعلمي...

(٣) قال الآلوسي في «روح المعاني» ١٢/ ٣٤٨: وأنت تعلم أن الأول (يعني عَوْدَ الضمير على الساقي) هو المناسب؛ لمكان الفاء، ولقوله تعالى الآتي: «وادكر بعد أمة».

(٤) تنظر هذه الأخبار والكلام عليها في روح المعاني ١٢/ ٣٤٧، وليس فيها خبر يعتمد عليه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لمَّا دنا فرجُ يوسفَ عليه السلام رأى مَلِكُ مصر الريَّانُ بنُ الوليد رؤيا عجيبةً هالَتْهُ، فرأى سبعَ بقراتٍ سِمَانٍ خَرَجْنَ من نهرٍ يابسٍ وسَبْعَ بقراتٍ عجافٍ، فابتلَعتِ العجافُ السِّمانَ، ورأى سبعَ سُنْبلاتٍ خضرٍ قد انْعقَدَ حَبُّها وسبعاً أُخرَ يابساتٍ قد اسْتَحصَدَتْ وأَدْرَكَتْ، فالْتَوَتِ اليابساتُ على الخُضْرِ حتى غَلَبْنَ عليها، فلم يجد في قومه مَن يُحْسِنُ عبارتَها.

«أَرَى» يعني: في منامه، ودلَّ على ذلك: «أفتوني في رؤيايَ» و«أَرَى» حكايةُ حالٍ فلذلك جاء بالمضارع دون: رأيتُ، و«سمانٍ» صفةٌ لقوله: «بقراتٍ»، مَيَّزَ العددَ بنوعٍ من البقرات وهي السمانُ منهنَّ لا بجنسِهنَّ، ولو نَصَبَ صفةً لسبعٍ لكان التمييز بالجنس لا بالنوع، ويَلْزمُ مِن وَصْفِ البقراتِ بالسِّمَنِ وصفُ السَّبْعِ به، ولا يلزمُ مِن وَصْفِ السبع به وصفُ الجنس به، لأنه يصير المعنى: سبعاً من البقرات سماناً، وفرقٌ بين قولك: عندي ثلاثةُ رجالٍ كرام، وثلاثةُ رجالٍ كرامٌ؛ لأنَّ المعنى في الأول: ثلاثةٌ من الرجالِ الكرام، فيلزمُ كرمُ الثلاثة؛ لأنهم بعضٌ من الرجال الكرام، والمعنى في الثاني: ثلاثةٌ من الرجالِ كرامٌ، فلا يدلُّ على وصف الرجالِ بالكَرَم.

ولم يُضِفْ «سبعٌ» إلى «عجافٌ» لأنَّ اسم العدد لا يضافُ إلى الصفة إلا في الشعر، إنما تَتْبَعُهُ الصفةُ، وثلاثةُ فرسان، وخمسةُ أصحاب، من الصفاتِ التي أُجريت مُجْرَى الأسماء.

ودلَّ قولُهُ: «سبعَ بقراتٍ» على أنَّ السبعَ العجافَ بقراتٌ، كأنه قيل: سبعُ بقراتٍ عجافٌ، أو: بقراتٌ سبعٌ عجافٌ. وجاء جمعُ عجفاءَ على «عِجَاف» وقياسُهُ: عُجْفٌ، كخضراء وخُضْرٍ، حملاً على «سِمان» لأنه نقيضُه، وقد يُحْمَلُ النقيضُ على النقيضِ كما يُحْمَلُ النظيرُ على النظيرِ.

والتقسيمُ في البقرات يقتضي التقسيمَ في السُّنبلات، فيكون قد حَذَفَ اسمَ العدد من قوله: «وأُخَر يابسات» لدلالةِ قَسِيمِهِ وما قبله عليه، فيكون التقدير: وسبعاً أُخَرَ يابساتٍ، ولا يصحُّ أن يكون «وأُخَرَ» مجروراً عطفاً على «سنبلاتٍ خضرٍ»؛

لأنه من حيث العطفُ عليه كان من جملة مميِّز «سبع» ومن جهةِ كونهِ أُخَرَ كان مُبايناً لـ«سبع» فتدافَعَا، بخلافِ أنْ لو كان التركيبُ: سبع سنبلاتٍ خضرٍ ويابساتٍ، فإنه كان يصحُّ العطفُ، ويكونُ من توزيع السنبلات إلى خضرٍ ويابساتٍ.

و«الملأ» أشرافُ دولته وأعيانُهم الذين يحضرون عند الملك.

وقرأ أبو جعفرٍ بالإدغام في الرؤيا وبابِهِ[1] بعدَ قلبِ الهمزةِ واواً ثم قَلْبِها ياءً؛ لاجتماع الواوِ والياءِ وقد سُبقت إحداهما بالسكون، ونصُّوا على شذوذِهِ؛ لأنَّ الواو هي بدلٌ غيرُ لازِم، واللام في «للرُّؤيا» مقوِّيَةٌ لوصول الفعل إلى مفعوله إذا تقدَّم عليه، فلو تأخَّر لَم يَحْسُنْ ذلك، بخلافِ اسمِ الفاعلِ فإنه لضَعْفِه قد تَقَوَّى بها، فتقول: زيدٌ ضاربٌ لعمرو، فصيحاً.

والظاهرُ أنَّ خبر «كنتم» هو قوله: «تَعْبُرون»، وأجاز الزمخشريُّ فيه وجوهاً متكلِّفةً:

أحدها: أن تكون «للرؤيا» للبيان، قال: كقوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] فتتعلق بمحذوفٍ تقديره: أعني فيه، وكذلك تقدير هذا: إنْ كنتُم أعني للرؤيا تعبرون، ويكون مفعول «تعبرون» محذوفاً تقديره: تَعْبرونَها.

والثاني: أن تكون «للرؤيا» خبرَ «كان» قال: كما تقول: كان فلانٌ لهذا الأمر، إذا كان مستقلًّا به متمكِّناً منه و«تعبرون» خبراً آخَرَ أو حالاً.

والثالث: أنْ يضمَّنَ «تعبرون» معنى فعلٍ يتعدَّى باللام، كأنه قيل: إن كنتم تَنْتَدَبون لعبارةِ الرُّؤيا[2].

وعبارةُ الرُّؤيا مأخوذةٌ من عَبَرَ النهر: إذا جازَهُ من شطٍّ إلى شطٍّ، فكأنَّ عابرَ الرُّؤيا ينتهي إلى آخِرِ تأويلها. وعَبَرَ الرُّؤيا بتخفيفِ الباءِ ثلاثيّاً، وهو المشهورُ، وأنْكَرَ بعضُهم التشديد، وأنشد المبرِّدُ في الكامل قولَ الشاعر:

رأيتُ رؤيا ثم عَبَّرْتُها وكنتُ للأحلام عبَّارا[3]

(١) النشر ١/ ٣٩١.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٢٣.
(٣) الكامل ٢/ ٥٦٣.

و«أضغاث»: جمعُ ضِغْثٍ، أي: تَخاليطُ أحلام، وهي ما يكونُ من حديثِ النفسِ، أو وسوسةِ الشيطان، أو مزاج الإنسان، وأصلُهُ أخلاطُ النبات استُعير للأحلام، وجَمَعوا الأحلامَ وإنْ كانت رؤياهُ واحدةً إمَّا باعتبارِ متعلَّقاتها إذ هي أشياءُ، وإمَّا باعتبارِ جوازِ ذلك، كما تقول: فلانٌ يركبُ الخيلَ، وإن لم يركَبْ إلا فرساً واحداً تعليقاً بالجنس، وإمَّا بكونه قصَّ عليهم مع هذه الرُّؤيا غيرَها.

والأحلامُ: جمعُ حلمٍ، و«أضغاث» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هي أضغاثُ أحلامٍ.

والظاهرُ أنهم نَفَوا عن أنفسهم العلمَ بتأويل الأحلام، أي: لسنا من أهل تعبير الرُّؤيا، ويجوزُ أن تكون الأحلامُ المنفيُّ عِلْمُها أرادوا بها الموصوفةَ بالتخليط والأباطيل، أي: وما نحن بتأويل الأحلام التي هي أضغاثٌ بعالمين، أي: لا يتعلَّقُ علمٌ لنا بتأويلِ تلكَ؛ لأنه لا تأويلَ لها إنما التأويلُ للمنام الصحيح، فلا يكونُ في ذلك نفيٌ للعلم بتأويلِ المنام الصحيح، ولا قصورُ عِلْمِهم. والباءُ في «بتأويل» متعلِّقةٌ بقوله: «بعالمين».

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ
يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ
فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ
ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ
رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ
ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ

لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن
نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ
إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ
لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ
عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي
رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ
عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا
فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ
حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

المفردات

أَمِهَ يأمَهُ أَمَهاً وأَمْهاً: نَسِيَ.

«يُغاث» يَحتمِلُ أن يكونَ من الغَوْث وهو الفَرَجُ، يقال: أغاثهم اللهُ: فرَّجَ عنهم، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ من الغيث، تقول: غِيثَتِ البلادُ: إذا أُمطِرَتْ، ومنه قولُ الأعرابية: غثنا ما شئنا[١].

الخَطْب: الشأن والأمرُ الذي فيه خطرٌ، ويجمعُ على خطوبٍ، قال:

**وما المرءُ ما دامت حشاشةُ نفسِهِ بمدركِ أطرافِ الخطوبِ ولا آلِ**[٢]

---

(١) أي: مُطِرْنا ما أردنا. ينظر الدر المصون ٦/ ٥١٠.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٣٩، ومعناه: أن الإنسان ما دام حيًّا لا يدرك أواخر الأمور ولا ينال غاية الآمال، ولا يتأتى له كل ما يريد، وهو مع ذلك لا يألو، أي: لا يترك جهداً في الطلب.

«حَصْحَصَ»: تبيَّنَ بعد الخفاءِ، قاله الخليل[(١)]، وهو[(٢)] مأخوذٌ من الحِصَّة؛ حَصْحَصَ الحق: بانت حِصَّتُه من حِصَّة الباطل.

وقيل: ثَبَتَ واستقرَّ، ويكون متعدِّياً من حَصْحَصَ البعيرُ: ألقى ثَفِناتِهِ للإناخة، قال:

فحَصْحَصَ في صُمِّ الصَّفا ثَفِناتِهِ[(٣)]

الجَهَاز: ما يحتاجُ إليه المسافرُ من زادٍ ومَتاعٍ، وكلُّ ما يُحْمَلُ، وجَهَازُ العروس: ما يكونُ معها من الأثاث والشَّوْرة[(٤)]، وجَهَازُ الميت: ما يُحتاج إليه في دفنه.

الرَّحْل: ما على ظهر المركوب من متاع الراكب أو غيرِهِ، وجمعُهُ: رِحَالٌ في الكثرة وأَرْحُلٌ في القِلَّة.

مار يَميرُ وأمار يُميرُ: إذا جَلَبَ الخير، وهي المِيْرَةُ قال:

بَعَثْتُكَ مائراً فَمَكَثْتَ حولاً ... متى يأتي غياثُكَ مَن تُغِيثُ[(٥)]

البعير في الأَشْهَرِ: الجملُ مقابل الناقة، وقد يُطْلَقُ على الناقة كما يُطْلَقُ على

(١) ينظر العين ٣/ ١٤.
(٢) في (د١) والمطبوع: وقيل، بدل: وهو.
(٣) صدر بيت لحميد بن ثور، وعجزه: وناءَ بسَلْمى نَوْءةً ثم صَمَّما، وهو في ديوانه ص١٩، والصحاح (صمم)، والمخصص ١٢/ ١٠٩، والكشاف ٢/ ٣٢٦، واللسان (صمم)، وفيه: صمَّم في السير وغيره، أي: مضى، والثفنات: جمع ثفنة، وهي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ. والصفا: الحجارة. والصم: جمع أصم، وهو الصلب من الحجارة. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٥/ ١٨٦.
(٤) الشَّورة بفتح الشين: المتاع وما يحتاج إليه البيت. مواهب الجليل ٤/ ١٨٥.
وقال المقدسي في غلط الفقهاء ص٢٦: يقولون: شَورة العروسة، وصوابه: شوار العروس، والشوار مثلثة: متاع البيت وأثاثه.
(٥) البيت دون نسبة في تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٣، والنكت والعيون ٣/ ٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠، وعزاه العسكري في جمهرة الأمثال ١/ ٢٥٠، والزمخشري في المستقصى ١/ ٢٣ لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص برواية: بعثتك قابساً...، وهو الصواب فيما ذكر صاحب اللسان (غوث).

الجمل، فنقول على هذا: نِعْمَ البعيرُ الجملُ؛ لعمومِهِ، ويمتنعُ على الأشهَرِ لتَرَادُفِه، وفي لغةٍ تُكْسَرُ باؤه، ويُجْمَعُ في القلَّة على أَبْعِرة وفي الكثرة على بُعْران.

* * *

التفسير ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ لمَّا استَفْتَى[1] الملكُ في رؤياه وأَعْضَلَ على الملأ تأويلُها تذكَّر الناجي من القتل - وهو ساقي الملك - يوسفَ وتأويلَ رؤياه ورؤيا صاحِبِهِ، وطلبَهُ إليه ليَذْكُره عند الملك.

«وادَّكر»، أي: تذكَّر ما سَبَقَ له مع يوسف «بعد أمة»، أي: مدَّةٍ طويلةٍ، والجملةُ من قوله: «وادَّكر» حاليةٌ، وأصلُهُ: واذْتَكَر، أُبدلتِ التاءُ دالاً وأُدغمتِ الذالُ فيها فصار: ادَّكر، وهي قراءةُ الجمهور، وقرأ الحسن: «واذَّكَر» بإبدال التاءِ ذالاً وإدغام الذالِ فيها[2].

وقرأ الأشهبُ العقيلي: «بعد إمَّةٍ» بكسرِ الهمزة[3]، أي: بعد نعمةٍ، أُنعِمَ عليه بالنجاة من القتل، وقال ابنِ عطية: بعد نعمةٍ أَنْعَمَ الله بها على يوسفَ في تقريب إطلاقه، والإمةُ: النعمةُ[4]، قال:

ألا لا أرى ذا إمَّـةٍ أصـبَـحَـتْ بـه فـتـتـرُكُـه الأيـامُ وهـي كـمـا هِـيَـا[5]

قال الأعلم: الإمةُ: النعمةُ والحالُ الحسنةُ.

---

(١) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: استثنى.
(٢) القراءات الشاذة ص٦٤.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٤.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٩.
(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه بشرح ثعلب ص٢٨٨، قال ثعلب: يقول: مَن أصبحت به نعمة لم تتركه الأيام حتى تغيرها.

وقرأ ابنُ عباسٍ، وزيد بنُ عليٍّ، والضحَّاكُ، وقتادةُ، وأبو رجاءٍ، وشُبَيْلُ بنُ عَزْرةَ الضُّبَعي، وربيعةُ بن عمروٍ: «بعد أَمَهٍ» بفتح الهمزةِ والميم مخففةً وهاءٍ، وكذلك قرأ ابنُ عُمرَ ومجاهدٌ وعكرمةُ، واختُلِفَ عنهم، وقرأ عكرمةُ وأيضاً مجاهدٌ وشبيلُ بنُ عَزْرَةَ: «بعد أمْهٍ» بسكون الميم[1] مصدرُ أَمِهَ على غيرِ قياسٍ.

وقال الزمخشري: ومَن قرأ بسكون الميم فقد خَطِئَ[2]. انتهى.

وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القرَّاء.

«أنا أنبئكم بتأويله»، أي: أخبركم به عمَّن عنده علمُه لا مِن جهتي، وقرأ الحسن: «أنا آتيكم» مضارع «أتى» من الإتيان[3]، وكذا في الإمام وفي مصحف أُبيٍّ[4].

«فأرسلون» أي: ابعثوني إليه لأسأله، ومُروني باستعباره. استأذَنَ في المضيِّ إلى يوسفَ، فقال ابنُ عباس: كان في السجن في غيرِ مدينة الملك[5].

وقيل: كان فيها. ويرسُمُ الناسُ اليومَ سجنَ يوسفَ في موضعٍ على النيل بينه وبين الفُسطاط ثمانيةُ أميالٍ[6].

وفي الكلام حذفٌ، التقدير: فأرسَلُوه إلى يوسف فأتاه فقال. والصِّدِّيقُ بناءُ مبالغةٍ كالشِّرِّيب والسِّكِّير، وكان قد صَحِبَه زماناً وجرَّب صِدْقَه في غيرِ ما شيءٍ، كتأويلِ رؤياهُ ورؤيا صاحبه.

وقولُهُ: «لعلِّي أرجِعُ إلى الناس»، أي: بتفسير هذه الرؤيا، واحتَرَزَ بلفظة «لعلي» لأنه ليس على يقينٍ من الرجوع إليهم، إذ من الجائز أن يُخْتَرَمَ دونَ بلوغه إليهم.

(١) تنظر هذه القراءات في تفسير الطبري ١٣/ ١٨٤-١٨٦، والمحتسب ١/ ٣٤٤، والمحرر ٣/ ٢٤٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٢٤.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٤، وروى ابن أبي حاتم في ذلك قصة، ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٥٢.
(٤) ذكرها عن أبيٍّ ﷺ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٩.
(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٨٧-١٨٨.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٠.

وقولُهُ: «لعلهم يعلمون» كالتعليلِ لرجوعه إليهم بتأويل الرؤيا.

وقيل: لعلهم يعلمون فضلكَ ومكانكَ من العلم فيطلبونَكَ ويخلِّصونكَ من محنتكَ. فتكون «لعل» كالتعليل لقوله: «أفتنا».

«قال تزرعون» إلى آخره، تضمَّنَ هذا الكلامُ من يوسفَ ثلاثةَ أنواعٍ من القول:

أحدها: تعبيرٌ بالمعنى لا باللفظ.

والثاني: عرضُ رأيٍ وأمرٌ به، وهو قولُهُ: «فذروه في سُنْبُله».

والثالث: الإعلامُ بالغيب في أمرِ العامِ الثامنِ، قاله قتادةُ(١)، قال ابنُ عطيةَ: ويَحْتَمِلُ هذا أنْ لا يكونَ غيباً، بل علمُ العبارةِ أعطَى انقطاعَ الجَدْبِ بعد سبعٍ، ومعلومٌ أنه الأخصبُ(٢). انتهى.

والظاهرُ أنَّ قوله: «تزرعونَ سبعَ سنين دَأباً» خبرٌ، أَخْبَرَ أنهم تتوالَى لهم هذه السِّنونَ السبعُ لا ينقطِعُ فيها زرعُهم للريِّ الذي يوجَدُ، وقال الزمخشريُّ: «تزرعون» خبرٌ في معنى الأمر، كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف: ١١] وإنما يُخْرَجُ الأمرُ في صورةِ الخبر للمبالغة في إيجاب إنجازِ المأمورِ به فيُجْعَلُ كأنه وُجِدَ، فهو يُخْبِرُ عنه، والدليلُ على كونه في معنى الأمْرِ قولُهُ: «فذَرُوه في سُنْبُلِهِ»(٣). انتهى.

ولا يَدُلُّ الأمرُ بتركه في سُنبله على أنَّ «تزرعون» في معنى: ازْرَعوا، بل «تزرعون» إخبارُ غيبٍ بما يكونُ منهم مِن تَوَالي الزَّرْعِ سبعَ سنين، وأمَّا قولُهُ: «فذَرُوه» فهو أمرُ إشارةٍ بما ينبغي أن يفعلوه.

ومعنى «دَأَباً»: مُلازَمةً كعادتكم في المزارَعة، وقرأ حفصٌ: «دَأَباً» بفتح الهمزة، والجمهورُ بإسكانها(٤)، وهما مَصْدَران لدَأَبَ، وانتصابُه بفعلٍ محذوفٍ من

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٠. وكلمة: الجدب، تحرفت في النسخ إلى: الخوف.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٢٥.

(٤) السبعة ص٣٤٩، والتيسير ص١٢٩.

لَفْظِهِ، أي: تَدْأبون دأباً، فهو منصوبٌ على المصدر، وعند المبرِّدِ بـ «تزرعون» بمعنى: تَدْأبون، وهي عنده مثلُ: قَعَدَ القُرْفُصاءَ[1].

وقيل: مصدرٌ في موضع الحال، أي: دائبين، أو: ذوي دَأبٍ، حالاً من ضمير «تزرعون».

و«ما» في قوله: «فما حَصَدْتُم» شرطيةٌ أو موصولةٌ.

«فذروه في سنبله» إشارةٌ برأيٍ نافعٍ بحَسَبِ طعامِ مصرَ وحِنْطَتِها التي لا تَبقَى عامين بوجهٍ إلَّا بحيلةِ إبقائها في السُّنبل، فإذا بقيتْ فيها انحَفظَتْ، والمعنى: اتركوا الزرعَ في السُّنبل إلا ما لا غِنَى عنه للأكل، فيجتمِعُ الطعامُ ويتركَّبُ ويؤكَلُ الأقدَمُ فالأقدَمُ، فإذا جاءتِ السنونَ الجَدْبةُ تقُوِّتَ الأقدمُ فالأقدمُ من ذلك المدَّخَرِ.

وقرأ السُّلميُّ: «ممَّا يأكلون» بالياء على الغيبة[2]، أي: يأكُلُ الناسُ.

وحُذِفَ المميِّز في قوله: «سبعٌ شدادٌ» ـ أي: سبعُ سنينَ شدادُ ـ لدلالةِ قوله: «سبعَ سنين» عليه، وأُسند الأكلُ الذي في قوله: «يأكُلْنَ» على سبيل المَجَازِ من حيثُ إنه يؤكَلُ فيها، كما قال: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [يونس: ٦٧].

ومعنى «تُحْصِنون»: تُحرِزون وتخبِّئون، مأخوذٌ من الحِصْن وهو الحِرْزُ والملجأُ.

وقال ابنُ عباس ومجاهدٌ والجمهور: «يغاث» من الغَيْث[3]. وقيل: مِن الغَوْثِ وهو الفَرَجُ. ففي الأول بُني من ثلاثيٍّ وفي الثاني من رباعيٍّ، تقول: غاثنا اللهُ، من الغيث، و: أغاثنا، من الغَوْث، وقرأ الأخوان: «تَعْصِرون» بالتاء على الخطاب، وباقي السبعة بالياء على الغيبة[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٠. وقال السمين في الدر المصون ٦/ ٥١٠ عن هذا الوجه: وفيه نظر؛ لأنه ليس نوعاً خاصّاً به، بخلاف القرفصاء مع القعود.

(٢) لم أقف عليها.

(٣) رواه عنهم الطبري ١٣/ ١٩٣-١٩٤.

(٤) السبعة ص٣٤٩، والتيسير ص١٢٩.

والجمهورُ على أنه من عَصْرِ النبات كالعِنَبِ والقَصَبِ والزيتونِ والسِّمْسِم والفِجْلِ وجميع ما يُعْصَرُ، ومصرُ بلدُ عصيرٍ لأشياءَ كثيرةٍ، والحلبُ منه لأنه عَصْرٌ للضُّروعِ، ورُوي أنهم لم يَعْصِروا شيئاً مدةَ الجَدْب.

وقال أبو عبيدةَ وغيرُهُ: مأخوذٌ من العُصْرةِ والعَصَرِ وهو المَنْجاة[1]، ومنه قولُ أبي زبيدٍ في عثمان ﷺ[2]:

صادياً يستغيثُ غيرَ مغاثٍ ولقد كان عُصْرةَ المنجود

فالمعنى: ينجونَ بالعُصْرةِ.

وقرأ جعفر بن محمدٍ والأعرجُ وعيسى البَصْرةِ: «يُعْصَرون» بضم الياء وفتح الصادِ مبنيّاً للمفعول[3]، وعن عيسى أيضاً: «تُعْصَرون» بالتاء على الخطاب مبنياً للمفعول[4]، ومعناه: يُنْجَوْن، من عَصَره: إذا أنجاه، وهو مناسبٌ لقوله: «يغاثُ الناس».

وقال ابنُ المُسْتَنِيرِ: معناه: يُمْطَرون[5]، من: أَعْصَرتِ السحابةُ ماءَها عليهم، فَجُعِلوا مُعْصَرين مَجازاً بإسنادِ ذلك إليهم وهو للماءِ الذي يُمْطَرون به.

وحكى النقَّاش أنه قُرئ: «يُعَصِّرون» بضم الياء وكسرِ الصَّاد وشدِّها، مِن عَصَّر مشدَّداً للتكثير[6].

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣١٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥١، والكلام منه. ورد هذا القول الطبري في تفسيره ١٣/ ١٩٧، وقال: يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

(٢) كذا نقل المصنف عن ابن عطية، وتابعه عليه الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٣٦٥، والصواب أنه من قصيدة في رثاء أخته كما ذكر البكري في اللآلي ١/ ١١٩، واليزيدي في أماليه ص٨، وضمائر المذكر في البيت عائدة على ضريحها، وتنظر القصيدة كاملة في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٣١. وأبو زبيد هو حرملة بن منذر الطائي، ويقال: المنذر بن حرملة، كان نصرانيّاً، واختُلف في إسلامه، وهو أحد المعمَّرين. ينظر الإصابة ١١/ ١٥٤.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٤.

(٤) تفسير القرطبي ١١/ ٣٧٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥١، وابن المستنير هو قطرب.

(٦) المصدر السابق.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «وفيهِ تِعِصِّرون» بكسرِ التاء والعين والصاد وشدِّها، وأصلُهُ: تَعْتَصِرون، فأدغم التاءَ في الصاد ونقل حركتها إلى العين وأتْبَعَ حركةَ التاء لحركة العين، واحْتَمَلَ أن يكونَ مِن اعْتَصَرَ العِنَبَ ونحوَه، أو من اعْتَصَرَ بمعنى نجا، قال الشاعر:

لــو بـغـيــرِ الــمـاءِ حَـلْـقـي شَـرِقٌ  كنتُ كالغصَّان بالماء اعتصاري[1]

أي: نجاتي.

تأوَّلَ يوسفُ عليه السلام البقراتِ السِّمانَ والسُّنبلاتِ الخضرَ بسنينَ مُخْصِبةٍ، والعِجافَ واليابساتِ بسنينَ مُجْدِبةٍ، ثم بشَّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بمجيء العامِ الثامنِ مباركاً خصيباً كثيرَ الخير غزيرَ النِّعم، وذلك من جهة الوحي، وعن قتادةَ: زاده الله علمَ سنةٍ[2]، والذي من جهة الوحي هو التفضيلُ بحال العالم بأنه فيه يغاثُ الناس وفيه يعصرون، وإلَّا فمعلومٌ بانتهاء[3] السبع الشدادِ مجيءُ الخِصْب.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ في الكلام حذفٌ تقديرُه: فحفِظَ الرسولُ ما أوَّلَ به يوسفُ الرؤيا، وجاء إلى الملِكِ ومَن أرسَلَهُ وأخْبَرَهم بذلك، وقال الملك.

وقال ابن عطية: في تضاعيفِ هذه الآياتِ محذوفاتٌ يعطيها ظاهرُ الكلام ويَدُلُّ عليها، والمعنى: فرجَعَ الرسولُ إلى الملك ومَنْ مع الملكِ فقصَّ عليهم مقالةَ يوسفَ، فرأى الملكُ وحاضِروهُ نُبْلَ التعبيرِ وحُسْنَ الرأي وتضمُّنَ الغيبِ في أمرِ العامِ الثامِنِ، مع ما وَصَفَه به الرسولُ من الصدق في المنام المتقدِّم، فعَظُم يوسفُ

(١) البيت لعدي بن زيد، وهو في الشعر والشعراء ١/ ٢٩٩، والعقد الفريد ١/ ٣٣، والصحاح (شرق)، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥١.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٣، وقد سلف بنحوه قريباً، والكلام هنا من الكشاف ٢/ ٣٢٥.
(٣) في (ح): أن بانتهاء.

في نفسِ الملك، وقال: «ائتوني به» فلمَّا وَصَلَ الرسولُ في إخراجه إليه، وقال: إنَّ الملك قد أَمَر بأنْ تَخْرُجَ إليه، قال له: «ارجِعْ إلى ربِّك»، أي: إلى الملك، وقل له: «ما بالُ النسوة»، ومَقْصِدُ يوسفَ عليه السلام إنما كان: وقل له يَسْتَقْصي عن ذَنْبي ويَنْظُر في أمري: هل سُجِنْتُ بحقٍّ أو بظلم، وكان هذا الفعلُ من يوسفَ أناةً وصبراً وطلباً لبراءةِ الساحة، وذلك أنه ـ فيما رُوي ـ خَشِيَ أنْ يخرُجَ وينالَ من الملك مرتبةً، ويسكُتَ عن أمرِ ذَنْبه صفحاً، فيراهُ الناسُ بتلك العينِ أبداً، ويقولون: هذا الذي راوَدَ امرأةَ مولاه، فأراد يوسفُ عليه السلام أن تَبينَ براءتُه ويَتحقَّقَ الناسُ مَنْزِلتَه من العفَّةِ والخير، وحينئذٍ يَخْرجُ للإحْظاءِ والمنزلةِ[(١)].

وقال الزمخشري: إنما تأنَّى وتثبَّتَ في إجابة الملك وقدَّم سؤالَ النسوةِ، لتَظْهَرَ براءةُ ساحتِه عما قُرِفَ به وسُجِنَ فيه، لئلا يتسلَّقَ به الحاسدون إلى تقبيحِ أمرِهِ عندَه، ويجعلُوه سلَّماً إلى حطِّ منزلته لَدَيْه، ولئلَّا يقولوا: ما خلَّد في السجن سَبْعَ سنينَ إلا لأمرٍ عظيم وجُرْمٍ كبيرٍ حقَّ به أن يُسْجَنَ ويعذَّبَ ويُكْشَفَ سرُّه[(٢)]، وفيه دليلٌ على أنَّ الاجتهادَ في نَفي التُّهم واجبٌ وجوبَ اتِّقاءِ الوقوفِ في مَوَاقِفِها، قال عليه السلام: «مَن كان يؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يقفنَّ مواقفَ التُّهم»[(٣)]. انتهى.

ولأجْلِ هذا كانَ الزمخشريُّ ـ وكان مقطوعَ الرِّجْلِ ـ قد أثبتَ على القضاةِ أنَّ رِجْلَه لم تُقْطَعْ في خيانةٍ ولا فسادٍ، وكان يُظْهِرُ ذلك المكتوبَ في كلِّ بلدٍ دخله خوفاً من تُهمة السوء.

وإنما قال: سَلِ الملكَ عن شأن النِّسوة ولم يقلْ: سَلْه أنْ يُفَتِّش عنهن لأنَّ السُّؤال ممَّا يُهيِّج الإنسان، ويُحرِّكه للبَحْث عمَّا سُئل عنه، فأراد أنْ يورد عليه السُّؤال ليَجريَ التفتيشُ عن حقيقة القصَّة، وقصَّ الحديث حتى يتبيَّن له براءتُه بياناً مكشوفاً يتميَّز فيه الحقُّ من الباطل.

ومن كَرَم يوسف عليه السلام أنه لم يذكر زَوجَ[(٤)] العزيز مع ما صَنعت به،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥١-٢٥٢.
(٢) الذي في الكشاف: ويستكف شره.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٢٥. ولم نقف على الحديث مسنداً.
(٤) في (ح): امرأة.

وتسبَّبت فيه من السِّجن والعَذاب، واقتصر على ذكرِ المُقَطَّعات الأيدي[(١)].

وقرأ أبو حَيْوَة وأبو بكر عن عاصم في رواية: «النُّسْوَة» بضمّ النون.

وقرأت فرقة: «اللاي» بالياء، وكلاهما جمع التي[(٢)].

«إن ربّي بكيدهنّ عَليم» أي: إن الله بكيدهنّ عَليم، أراد أن كَيدَهنَّ عظيم لا يعلمه إلا الله لبُعْدِ غَوْرِه، واستشهد بعلم الله على أنهنّ كِذْنَه، وأنه بريء مما قُذِف به، أو أراد الوَعيد لهنَّ أو[(٣)] هو عليمٌ بكيدِهنَّ فيُجازيهنّ عليه.

وقال ابن عطية: ويحتمل أنْ يريد بالربّ العزيز مَوْلاه، ففي ذلك استشهادٌ به، وتقريعٌ له[(٤)]. وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يَسوغ.

والضمير في «بكيدهنَّ» عائدٌ على النّسوة المذكورات، لا للجنس؛ لأنها حالةُ توقيفٍ على ذَنْب.

«قال ما خَطْبُكُنَّ» في الكلام حذفٌ تقديرُه: فرجع الرَّسول وأخبره بما قال يوسف، فجمع الملِكُ النِّسوةَ وامرأةَ العزيز، وقال لهنَّ: «ما خَطْبُكُنَّ» وهذا استدعاءٌ منه أن يُعْلِمْنَه بالقصَّة، ونَزَّه جانبَ يوسف بقوله: «إذْ راوَدْتُنَّ يوسفَ عن نفسه» ومُراوَدَتُهنَّ له قولُهنّ ليوسف: أطِعْ مَوْلاتك.

وقال الزمخشري: هل وَجَدْتُنَّ منه مَيْلاً لكُنَّ «قُلْنَ حاشَ لله» تعجُّباً من عِفَّته وذهابه بنفسه عن شيءٍ من الرِّيبة، ومن نَزاهته عنها[(٥)].

وقال ابن عطية: أجاب النِّساء بجوابٍ جيِّد تظهرُ منه براءةُ أنفسهن جُملةً، وأعطَيْنَ يوسفَ بعضَ بَراءة، وذلك أن الملِكَ لما قَرَّرهنَّ أنهن راوَدْنَه قُلْنَ جواباً عن ذلك: حاشَ لله. ويحتمل أنْ يكون قولُهن: «حاشَ لله» في جهة يوسف عليه السَّلام، وقولهن: «ما عَلِمْنا عليه من سُوء» ليس بإبراءٍ تامّ، وإنما كان الإبراءُ التامُّ وصفَ

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٦.
(٢) القراءتان في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢.
(٣) في الكشاف ٢/ ٣٢٦ (وعنه ينقل وإن لم يصرح به): أي، وهي الأشبه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٢٦.

القصَّة على وَجْهها حتى يتقرَّر الخطأ في جِهتهنَّ، فلما سَمعت امرأةُ العزيز مَقالتَهنَّ وحَيْدَتَهُنَّ عن الوقوع في الخِزي قالت: «الآن حَصْحَصَ الحقُّ»- وقُرئ: «حُصْحِصَ» على البناء للمفعول[١] - أقَرَّت على نفسها بالمُراوَدة، والتزمت الذَّنب، وأبرأت يوسفَ البَراءةَ التامَّة[٢].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخلٌ تحت قوله: «قالت»، والمعنى: ذلك الإقرارُ والاعترافُ بالحقِّ ليَعلَمَ يوسف أني لم أخُنْه في غَيْبَته وأكذبْ عليه[٣] وأرْمِيَه بذنبٍ هو منه بريءٌ، ثم اعتذَرتْ عمَّا وقعت فيه مما يقعُ فيه البشَرُ من الشَّهوات بقولها: «وما أُبَرِّئ نفسي» والنفوسُ مائلةٌ إلى الشَّهَوات، أمَّارةٌ بالسُّوء.

وقال الزمخشري: «وما أُبرِّئ نفسي» مع ذلك من الخيانة، فإني قد خُنتُه حين قذَفْتُه وقلتُ: «ما جَزاء مَن أرادَ بأهلك سُوءاً إلا أنْ يُسْجَنَ» وأوْدَعتُه السّجن، تُريد الاعتذار لِما كان منها، إنَّ كلَّ نفسٍ لأمَّارةٌ بالسُّوء إلا نفساً رَحِمَها الله بالعِصْمَة. «إن ربي غفورٌ رحيم» استغفرتْ ربَّها واستَرْحَمَتْه ممَّا ارتكبَتْ[٤].

ومَن ذهب إلى أن قولَه: «ذلك ليَعْلَم...» إلى آخره من كلام يوسف يحتاجُ إلى تَكَلُّف رَبْطٍ بينه وبين ما قبله، ولا دليلَ يدلُّ على أنه من كلام يوسف؛ فقال ابن جُريج: في الكلام تقديمٌ وتأخير، وهذا الكلامُ مُتَّصلٌ بقول يوسف: «إن ربِّي بكيدِهنَّ عَليم»[٥]، وعلى هذا فالإشارةُ بقوله: «ذلك» إلى إلقائه في السّجن، والتماسه البَراءة، أي: هذا ليَعلَم سيِّدي أني لم أخُنْه.

---

(١) هي قراءة محمد بن معدان والحسن كما ذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ص٦٤، وذكرها الزمخشري ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٣.

(٣) في المطبوع: والذب عنه، وهو تحريف، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٤ (والكلام منه).

(٤) الكشاف ٢/ ٣٢٧-٣٢٨.

(٥) ذكره النحاس في معاني القرآن ٣/ ٤٣٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٣، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٢٨.

وقال بعضهم: إنما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامَها إلى قولها: «وإنه لمن الصَّادقين» فالإشارة على هذا إلى قولها وصُنْعِ الله فيه، وهذا يَضْعُف لأنه يقتضي حُضورَه مع النِّسوة عند الملِك، فكيف يقول الملك بعد ذلك: «ائتوني به»[(١)]؟!

وفسَّر الزمخشري الآية أوَّلاً على أنها من كلام يوسف فقال: أي ذلك التثَبُّت والتَّشَمُّر لظُهور البَراءة ليَعلمَ العزيز أنّي لم أخُنْه بظَهْر الغيبِ في حُرْمته، «وأن الله لا يَهدي كَيْدَ الخائنين» لا يُنْفِذُه ولا يُسَدِّدُه، وكأنه تعريضٌ بامرأته في خيانتها في أمانة زوجها، وبه في خيانته أمانةَ الله حين ساعدَها بعد ظُهور الآيات على حَبْسه. ويجوز أنْ يكون توكيداً لأمانته، وأنه لو كان خائناً لما هَدى الله كَيْدَه، ولا سَدَّده.

ثم أراد أنْ يتواضَعَ لله ويَهْضِمَ نفسه؛ لئلا يكون لها مُزَكِّياً، ولحالها في الأمانة مُعَجِّباً؛ كما قال الرسول ﷺ: «أنا سيِّدُ ولد آدمَ ولا فَخْر»[(٢)]، وليُبَيِّن أنَّ ما فيه من الأمانة ليس به وحده، وإنما هو بتوفيق الله ولُطْفه وعِصْمته فقال: «وما أُبَرِّئ نفسي» من الزَّلَل، وما أشهَدُ لها بالبراءة الكُلِّية، ولا أُزَكِّيها «إنَّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء» أراد الجِنس، أي: هذا الجنسُ يأمرُ بالسُّوء ويحملُ على ما فيه من الشَّهَوات[(٣)]. انتهى.

وفيه تكثيرٌ وتحميلٌ للفظ ما ليس فيه، وتزيُّدٌ على عادته في خَطابته.

ولمَّا أحسَّ الزمخشري بإشكال قولِ مَن قال إنه من كلام يوسف قال: فإن قلت: كيف صحَّ أنْ يُجْعَلَ من كلام يوسف ولا دليلَ على ذلك؟ قلت: كفى بالمعنى دليلاً قائداً إلى أنْ يُجْعَل من كلامه، ونحوه قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠]. وهو من كلام فرعون يُخاطبهم ويَسْتشيرُهم[(٤)]. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) قطعة من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ، أخرجه ابن حبان (٦٢٤٢)، وورد ضمن حديث أبي هريرة ﷺ دون قوله: «ولا فخر» أخرجه أحمد (١٠٩٧٢)، والبخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٢٢٧٨).

(٣) الكشاف ٢/ ٣٢٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٢٨.

وهذا ليس كما ذَكَر؛ إذْ لا يتعيَّنُ في هذا التركيب أنْ يكون من كلام فرعون، بل هو من كلام المَلأ تقدَّمَهم فرعون إلى هذه المقالة، فقالوا ذلك بعضٌ[1] لبعض، فيكون في قول فرعون: «يُريد أن يُخْرِجَكم» خِطاباً للملأ من فرعون، ويكون في هذا التركيب خطاباً من بعضهم لبعض، ولا يَتنافى اجتماعُ المقالَتَين.

و«بالغيب» يحتمل أن يكون حالاً من الفاعل، أي: غائباً عنه، أو من المفعول، أي: غائباً عني، أو ظَرْفاً، أي: بمكان الغيب.

والظاهر أن «إلا ما رَحم ربّي» استثناءٌ مُتَّصلٌ من قوله: «لأمَّارةٌ بالسُّوء» لأنه أراد الجنس بقوله: «إن النَّفْسَ» فكأنه قال: إلا النَّفسَ التي رَحِمها ربِّي فلا تأمرُ بالسُّوء، فيكون استثناءً من الضَّمير المُسْتَكِنّ في «أمَّارة».

ويجوز أن يكون مُستثنىً من مفعول «أمَّارة» المحذوف، إذ التَّقدير: لأمَّارةٌ بالسُّوء صاحبَها إلا الذي رَحمه ربِّي فلا تأمره بالسُّوء.

وجوَّزوا أن يكون مُستثنىً من ظرف الزَّمان المفهوم عمومُه مما قبل الاستثناء و«ما» ظرفيَّة؛ إذ التقدير: لأمَّارةٌ بالسُّوء مُدَّةَ بقائها إلا وَقْتَ رحمةِ الله العبدَ، وذهابه بها عن اشتهاءِ المعاصي.

وجوَّزوا أنْ يكون استثناءً مُنْقطعاً، و«ما» مصدريَّة، وذكر ابنُ عطية أنه قول الجمهور، أي: ولكن رحمةُ ربّي هي التي تصرف الإساءة[2].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

رُوي أن الرسول جاءه فقال: أَجِب الملِك، فخرج من السِّجن، ودعا لأهله وقال: اللهم عَطِّف عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار، فهم أعلمُ الناس بالأخبار في الواقعات، وكتب على باب السجن: هذه منازلُ البَلْوى، وقبورُ

---

(١) في (ح): بعضهم.

(٢) انظر هذه الاحتمالات في الكشاف ٢/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥٤.

الأحياء، وشماتةُ الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتنظَّف من دَرَن السِّجن، ولبس ثياباً جُدداً، فلمَّا دخل على الملك قال: اللهم إني أسألُك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزَّتك وقُدْرتك من شرِّه، ثم سلّم عليه، ودعا له بالعبرانيّة، فقال: ما هذا اللسان؟ فقال: لسانُ آبائي، وكان الملك يتكلَّم بسبعين لساناً، فكلَّمه بها فأجابه بجميعها، فتعجَّب منه وقال: أيُّها الصدِّيق، إني أحبُّ أنْ أسمعَ رؤيايَ منك، قال: رأيتَ بقراتٍ سمانٍ، فوصف لونَهنَّ وأحوالَهنَّ، وما كان خروجُهنّ، ووصف السَّنابلَ وما كان منها، على الهيئة التي رآها الملك لا يَخْرِمُ منها حرفاً، وقال له: من حقّك[1] أن تجعلَ الطَّعام في الأهْراء[2]، فيأتيك الخلقُ من النَّواحي يَمْتارون منك، ويجتمع لك من الكنوز[3] ما لم يجتمع لأحدٍ قبلك.

وكان يوسف قصَدَ أوَّلاً بتَثَبُّته في السّجن أنْ يرتقيَ إلى أعلى المنازل، فكان استدعاءُ الملك إياه أوَّلاً بسبب علم الرؤيا؛ فلذلك قال: ائتوني به فقط، فلما فعل يوسف ما فعل وظهرت أمانتُه وصبرُه، وهِمَّتُه وجَودةُ نظرِه، وتأنّيه في عدم التَّسَرُّع إليه بأوَّلِ طَلَبِ عَظُمت منزلتُه عنده، فطلبه ثانياً، ومقصودُه استخلاصُه لنفسه.

ومعنى «أَسْتَخْلِصْه»: أجعلْه خالصاً لنفسي وخاصَّاً بي.

وسمَّى الله فرعونَ مصرَ مَلِكاً إذْ هي حكايةُ اسم مضى حكمُه، وتصرَّمَ زمنُه، فلو كان حيَّاً لكان حُكماً له، وإذا قيل لكافر ملك أو أمير لا يجوز؛ ولهذا كتب النبيّ ﷺ إلى هِرَقْلَ: عظيم الرُّوم[4]، ولم يقل: مَلِكاً ولا أميراً؛ لأن ذلك حُكم، والحقّ أنْ يُسْلم ويُسلموا[5]، وأمَّا كونُه عظيمُهم فتلك صفةٌ لا تُفارقه كيف ما تقلَّب.

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (ح): حفظك، والمثبت منها.

(٢) الأهراء جمع هُرْي، بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. القاموس المحيط (هرو).

(٣) في المطبوع: المكنون (تحريف)، والكلام في الكشاف ٢/ ٣٢٨، وانظر تفسير الثعلبي ٣/ ٣٨٤.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٧٠)، والبخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) في المطبوع: والجواب مسلم وتسلموا (؟!)، وفي (ح): والحق ألا يقال لهم ذلك إلا إذا أسلموا، والمثبت من (زا يه)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٥ (والكلام منه).

وفي الكلام حذفٌ التقدير: فسمع الملكُ كلامَ النِّسوة، وبراءةَ يوسف مما رُمي به؛ فأراد رؤيتَه وقال: ائتوني به فأتاه، فلمَّا كلَّمه.

والظاهر أن الفاعل بـ «كلَّمَه» هو ضمير المَلِك، أي: فلمَّا كلَّمه المَلِك، ورأى حُسنَ جوابه ومحاورتَه.

ويحتمل أن يكون الفاعلُ ضميرَ يوسف، أي: فلمَّا كلَّم يوسفُ المِلك، ورأى الملك حُسْنَ مَنْطِقه بما صَدَّق به الخُبْرُ الخَبَر، والمرءُ مَخْبوءٌ تحت لِسانه: «قال إنك اليوم لدينا مَكينٌ» أي: ذو مَكانة ومَنْزلة «أمين» مؤتَمَنٌ على كلِّ شيء، وقيل: «أمين» آمِن[1].

والوصف بالأمانة هو الأبْلَغُ في الإكرام، وبالأمْن يَحُطُّ من إكرام يوسف.

ولمَّا وَصفه الملك بالتمكُّن عنده والأمانة طلب من الأعمال ما يُناسب هذين الوصفَين فقال: «اجعَلْني على خَزائن الأرض» أي: وَلِّني خزائنَ أرضِك «إني حَفيظٌ» أحْفَظُ ما استُحْفِظْتُه[2] «عَليمٌ» بوجوه التصَرُّف. وصف نفسَه بالأمانة والكفاءة؛ وهما مقصودُ الملوك ممَّن يُوَلُّونه، إذ هما يَعُمَّان وجوهَ التَّثقيفِ والحِياطَة، ولا خَلَل معَهما لعامل[3].

وقيل: حَفيظٌ للحساب، عَليمٌ بالألْسُن، وقيل: حفيظٌ لما استودَعْتَني، عليمٌ بسِني الجوع[4]. وهذا التَّخصيصُ لا وَجْهَ له[5].

ودلَّ ثناءُ يوسفَ على نفسه أنه يجوز للإنسان أن يُثْنِيَ على نفسه بالحقّ إذا جُهِلَ أمرُه، ولا يكون ذلك من التَّزكية المَنْهيِّ عنها، وعلى جَواز عَملِ الرَّجل الصَّالح للرجل الفاجر بما يقتضيه الشَّرعُ والعَدْلُ، لا بما يختارُه ويشتهيه مما لا يُسيغه الشَّرع.

(١) في المطبوع: آمين (تحريف).
(٢) في النسخ والمطبوع خلا (ح): تستحفظه، والمثبت منها.
(٣) في المطبوع: لقائل؟!.
(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٣/ ٢١٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٠.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٦ وما قبله منه.

وإنما طلب يوسف هذه الولاية ليتوصَّل إلى إمْضاء حُكم الله، وإقامةِ الحقِّ، وبَسْطِ العَدْلِ، والتمكُّن مما لأجله تُبعث الأنبياءُ إلى العباد، ولعلمه أنَّ غيرَه لا يقوم مقامَه في ذلك، فإنْ كان الملِكُ قد أسلم كما روى مجاهد فلا كلام، وإن كان كافراً ولا سبيلَ إلى الحكم بأمر الله ودفعِ الظُّلم إلا بتمكينه فللمُتَوَلِّي أنْ يَسْتَظْهِر به.

وقيل: كان الملك يَصْدر عن رأي يوسف، ولا يَعترض عليه في كلٍّ ما رأى، فكان في حُكم التَّابع.

وما زال قُضاةُ الإسلام يتَوَلَّون القضاء من جهة مَن ليس بصالح، ولولا ذلك لبَطَلَت أحكامُ الشَّرع، فهم مُثابُون على ذلك إذا عَدَلوا.

«وكذلك» أي: مثلَ ذلك التَّمكين في نَفْسِ الملِك «مَكَّنَّا ليوسفَ» في أرض مصر «يتَبَوَّأ منها حيث يشاء» أي: يتَّخِذُ منها مَباءةً ومَنْزلاً كلَّ مكان أراد، فاستولى على جَميعها، ودخلت تحت سُلطانه.

رُوي أن الملك توَّجَه بتاجه، وخَتَّمه بخاتِمِه، ورَدَّاه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب مُكَلَّلاً بالدُّرِّ والياقوت، فجلس على السَّرير، ودانت له الملوك، وفَوَّض الملِكُ إليه أمْرَه، وعَزَل قطفير، ثم مات بعد ذلك، فزَوَّجه الملك امرأتَه، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طَلَبْتِ؟ فوجَدها عَذْراء لأن العَزيز كان لا يُجامع ولا يطأ، فوَلَدت له ولدَيْن إفراثيم ومنشا، وأقام العَدْلَ بمصر، وأحبَّه الرجالُ والنساء، وأسلم على يده الملِك وكثيرٌ من الناس، وباع من أهل مصر في سِنِيِّ القَحْط الطَّعامَ بالدَّنانير والدَّراهم في السَّنة الأولى، حتى لم يَبْقَ معهم شيءٌ منها، ثم بالحُليّ والجواهر، ثم بالدَّواب، ثم بالضِّياع والعَقار، ثم برقابهم، ثم استَرقَّهم جميعاً فقالوا: والله ما رأينا كاليوم مَلِكاً أجلَّ ولا أعظمَ منه، فقال للملِك: كيف رأيتَ صُنْعَ الله بي فيما خَوَّلَني، فما ترى؟ قال: الرأيُ رأيُك، قال: فإني أُشهِد الله وأُشهدك أني أعتَقتُ أهلَ مصر عن آخرهم، ورَدَدْتُ عليهم أمْلاكَهم، وكان لا يبيعُ من أحدٍ من المُمْتارين أكثرَ من حِمْلِ بعيرٍ تَقْسيطاً بين الناس.

وأصابَ أرضَ كنعان وبلادَ الشام نحو ما أصاب مصر، فأرسل يعقوبُ بنيه ليَمْتاروا، واحتبس بنيامين[١].

وقرأ الحسن وابن كثير، وبخلافٍ عنهم أبو جعفر وشَيْبَة ونافع: «حيث نشاء» بالنون. والجمهور بالياء[٢].

والظاهر أن قراءة الياء يكون فاعل «نشاء» ضميراً يعود على يوسف، ومَشيئته مَعْذُوقَةٌ بمشيئة الله؛ إذ هو نبيُّه ورسولُه، وإمَّا أنْ يكون الضمير عائداً على الله، أي: حيث يشاء الله، فيكون التفاتاً.

«نُصيبُ برَحْمتنا» أي: بنعمتنا من المُلْك والغنى وغيرهما «ولا نُضيعُ» في الدُّنيا أجْرَ مَنْ أحْسَن.

ثم ذكر أن أجْرَ الآخرة خيرٌ لأنه الدَّائم الذي لا يَفْنى.

وقال سفيان بن عُيينة: المؤمنُ يُثابُ على حَسَناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يُعَجَّل له الخيرُ في الدنيا وما له في الآخرة من خَلاق، وتلا هذه الآية[٣].

وفي الحديث ما يُوافق ما قال سفيان، وفي الآية إشارةٌ إلى أن حالَ يوسف في الآخرة خيرٌ من حالته العظيمة في الدُّنيا.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾.

أي جاؤوا من القُرَيَّات من أرض فلسطين بغَوْر[٤] الشام، وقيل: من الأَوْلاج من ناحية الشُّعب إلى مصر ليَمْتاروا منها، فتوَصَّلوا إلى يوسف للمِيرة، فعرفهم لأنه

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٩ وما قبله منه، وانظر الكشف والبيان ٣/ ٣٨٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٦-٢٥٧، والسبعة ٣٤٩، والتيسير ١٢٩، والنشر ٢/ ٢٩٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٢٩.
(٤) في المطبوع: بأرض.

فارقهم وهم رجال، ورأى زِيَّهم قريباً من زِيِّهم إذْ ذاك، ولأن هِمَّته كانت مَعْمُورةً بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمَّل ويتفطَّن.

ورُوي أنهم انْتَسبَوا في الاستئذان عليه، فعرفهم وأمر بإنْزالهم، ولذلك قال الحسن: ما عَرفهم حتى تَعرَّفوا له.

وإنكارُهم إيَّاه كان؛ قال الزمخشري: لطول العَهْد، ومفارقته إيّاهم في سنّ الحَداثة، ولاعتقادهم أنه قد هَلك، ولذهابه عن أوهامهم لقِلَّة فِكرِهم فيه، ولبُعد حاله التي بلغها من المُلْك والسُّلطان عن حالته التي فارقوه عليها طَريحاً في البئر، مَشْريًّا بدراهمَ معدودة، حتى لو تَخيَّل لهم أنه هو لكذَّبوا أنفسَهم، ولأن المُلْكَ ممَّا يُبَدِّل الزِّيَّ، ويُلْبِسُ صاحبَه من التَّهَيُّب والاستعظام ما يُنْكَر منه المعروف.

وقيل: رأوه على زِيّ فرعون عليه ثيابُ الحرير، جالساً على سرير، في عُنُقه طَوْقٌ من ذهب، وعلى رأسه تاجٌ، فما خَطَر لهم أنه هو.

وقيل: ما رأوه إلا من بعيد، بينهم وبينه مسافةٌ وحِجابٌ، وما وقفوا إلا حيث يقفُ طُلَّاب الحَوائج[(١)].

«ولمَّا جَهَّزهم بجَهازهم»، وكان الجَهاز الذي لهم هو الطَّعام الذي امتاروه.

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: وقد كان استَوْضَح منهم أنه[(٢)] لهم أخٌ قَعَدَ عند أبيهم.

رُوي أنه لـمَّا عَرفهم أراد أن يُخبروه بجميع أمرهم، فباحَثَهم بأنْ قال لهم تَرْجُمانه: أظنُّكم جَواسيس، فاحتاجوا إلى التَّعريف بأنفسهم، فقالوا: نحن أبناءُ رجلٍ صِدِّيق، وكنّا اثني عشر، ذهب منَّا واحدٌ في البَرِّية، وبقي أصغرُنا عند أبينا، وجئنا نحن للميرة، وسُقْنا بعيرَ الباقي منَّا، وكانوا عشَرة ولهم أحد عشر بعيراً، فقال لهم يوسف: ولمَ تَخلَّف أحدُكم[(٣)]؟ قالوا: لمحبَّة أبينا فيه، قال: فأتوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقةَ قولكم، وأرى لمَ أحبَّه أبوكم أكثرَ منكم إنْ كنتم صادقين[(٤)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٩.

(٢) في المطبوع: أنهم.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٧: أخوكم، وهو الأشبه (والمصنف ينقل عنه).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٣-٢٢٤، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٢-٢١٦٤.

وأورد الزمخشري هذا القَصَص بألفاظٍ أُخَر تُقارب هذه في المعنى، وفي آخره قال: فمَن يَشْهَد لكم أنكم لستم بعيون، وأنَّ الذي تقولون حقٌّ؟! قالوا: إنّا ببلادٍ لا يعرفنا فيها أحدٌ يَشْهدُ لنا، قال: فدَعُوا بعضَكم عندي رَهينة، وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أُصَدِّقَكم، فاقترعوا فأصابت القُرْعَةُ شَمعون ـ وكان أحسَنَهم رأياً في يوسف ـ فخلَّفوه عنده، وكان قد أحسنَ إنْزالَهم وضيافتَهم[1].

وقيل: لم يَرْتَهِن أحداً. ورُوي غير هذا في طَلَب الأخ من أبيهم؛ قيل: كان يوسف ملثَّماً أبداً سَتْراً لجَماله، وكان يَنْقُر في الصُّواع فيُفْهَمُ من طَنينه صِدْقُ ما يُحَدَّث[2] أو كَذِبُه، فسئلوا عن أخبارهم، فكلَّما صَدَقوا قال لهم: صدَقتُم، فلما قالوا: وكان لنا أخٌ أكلَه الذئب، أطنَّ يوسف الصُّواع وقال: كذَبْتُم، ثم تغيَّر لهم وقال: أُراكم جَواسيس، وكلَّفَهم سَوْقَ الأخِ الباقي ليَظْهَر صِدْقُهم[3].

وقُرئ: «بجِهازِهم» بكسر الجيم[4].

وتنكيرُ «أخٍ» ولم يقل بأخيكم وإنْ كان قد عَرفه وعرفهم مبالغةً في كونه لا يُريد أن يتعرَّف لهم، ولا أنه يدري مَن هو، ألا ترى فَرْقاً بين: مَررتُ بغلامك ومررتُ بغلامٍ لك؛ أنك في التعريف تكون عارفاً بالغلام، وفي التنكير أنت جاهلٌ به، فالتَّعريفُ يُفيد نوعَ عَهْدٍ في الغلام بينك وبين المخاطَب، والتَّنكير لا عَهْدَ فيه البتَّة، وجائزٌ أنْ تُخبر عمَّن تعرفه إخبارَ النَّكرة فتقول: قال رجلٌ كذا[5] وأنت تعرفه، لصِدْقِ إطلاقِ النَّكرة على المعرفة[6].

ثم ذَكَر ما يُحَرِّضُهم به على الإتْيان بأخيهم بقوله: «ألا ترونَ أنّي أُوْفِ الكَيلَ

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٠.
(٢) في المطبوع: صدق الحديث.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٨.
(٤) نسبها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ص٦٤ إلى يحيى بن يعمر، وذكرها الزمخشري ٢/ ٣٣٠ دون نسبة.
(٥) في المطبوع: لنا.
(٦) ذكر هذا السمين في الدر المصون ٦/ ٥١٦-٥١٧، والآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٣٩١.

وأنا خيرُ المُنْزِلين» أي: المُضِيفين، يعني في قُطره وفي زَمانه، يُؤنِسهم بذلك ويَسْتميلُهم.

ثم توَعَّدهم إنْ لم يأتوا به إليه بحِرمانهم من المِيْرَة في المستقبل.

واحتمل قوله: «ولا تَقْرَبون» أنْ يكون نهياً، وأنْ يكون نفياً مُستقلًّا ومعناه النَّهي، وحُذفت النون وهو مرفوع كما حُذفت في ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، وأنْ يكون نفياً داخلاً في الجَزاء معطوفاً على محلِّ: «فلا كَيْلَ لكم عندي» فيكون مَجزوماً، والمعنى أنهم لا يقرَبون له بَلَداً[1] ولا طاعة.

وظاهرُ كلِّ ما فعله يوسف عليه السلام معهم أنه بوحي وإلا فإنه كان يقتضي[2] البِرُّ أنْ يُبادر إلى أبيه ويَسْتدعيه، لكنَّ الله تعالى أراد تكميلَ أجْرِ يعقوب ومحنتهِ، ولتتفَسَّر الرُّؤيا الأولى.

«قالوا سنُراوِدُ عنه أباه» أي: سنُخادِعُه ونَسْتميلُه في رِفْقٍ إلى أنْ يترُكَه يأتي معنا إليك.

ثم أكَّدوا ذلك الوَعْد بأنهم فاعلو ذلك لا مَحالة، لا نُفَرِّط فيه ولا نتوانى.

وقرأ الأخوان وحفص: «لِفِتْيانه» وباقي السَّبعة: «لِفِتْيته»[3] فالكثرةُ على مُراعاة المأمورين، والقلَّة على مُراعاة المُتناوِلين، فهم الخَدَمَة الكائلون، أمَرَهم بجَعْلِ المال الذي اشترَوْا به الطَّعامَ في رحالهم مُبالَغةً في استمالتهم.

«لعلَّهم يَعْرِفونها» أي: يَعرفون حقَّ رَدِّها، وحقَّ التَّكَرُّم بإعطاء البَدَلَين، فيَرْغَبون فينا إذا انقلبوا إلى أهلهم، وفَرَّغوا ظُروفَهم.

و«لعلَّهم يَعْرِفونها» تعليقٌ بالجَعْل، و«لعلهم يَرْجِعون» تعليقٌ بترجِّي مَعرفةِ البِضاعة للرُّجوع إلى يوسف.

(١) في المطبوع: بكذا (تحريف)، وانظر الكشاف ٢/ ٣٣٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥٨.
(٢) في المطبوع: مقتضى، وهما بمعنى، وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٨.
(٣) السبعة ٣٤٩، والتيسير ١٢٩، والنشر ٢/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥٩، والأخوان: حمزة والكسائي.

قيل: وكانت بضاعتُهم النِّعالَ والأدَم[١].

وقيل: «يرجعون» مُتَعَدٍّ، والمعنى: لعلَّهم يَرُدُّون البضاعة، وقيل: تَخَوَّف أنْ لا يكون عند أبيه من المَتاع ما يَرْجِعون به.

وقيل: علم أن دَيانتهم تحملُهم على ردِّ البِضاعة، لا يَستحلُّون إمْساكَها فيَرْجعون لأجلها.

وقيل: جعلَها توطئةً لجَعْلِ السِّقاية في رَحْل أخيه بعد ذلك؛ ليتبين أنه لم يَسْرق لمَن يتأمَّل القصَّة[٢].

قال ابن عطية: ويَظْهر أن ما فعلَه يوسف من صِلَتهم وجَبْرِهم في تلك الشدَّة كان واجباً عليه، إذْ هو مَلِكٌ عادل، وهم أهلُ إيمانٍ ونُبُوَّة[٣].

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

أي: لمَّا رَجعوا من مصرَ مُمْتارين بادَروا بما كان أهمَّ الأشياء عندهم من التَّوطئة لإرسالِ أخيهم معهم، وذلك قبلَ فتْحِ مَتاعِهم، وعِلْمِهم بإحسان العزيز إليهم من رَدِّ بضاعتهم، وأخبروا بما جَرى لهم مع العزيز الذي على أهْراء مصر، وأنهم استَدْعى منهم العزيز أنْ يأتوا بأخيهم حتى يَتبيَّن صِدقُهم أنَّهم ليسوا جَواسيس.

وقولُهم: «مُنِع منَّا الكيلُ» إشارةٌ إلى قول يوسف: «فإنْ لم تأتوني به فلا كيلَ لكم عندي»، ويكون منعٌ يُراد به في المُسْتأنَف؛ وإلا فقد كِيلَ لهم وجاؤوا أباهم بالميرة، لكنْ لمَّا أُنذِروا بمَنْعِ الكَيْلِ قالوا: «مُنِع».

وقيل: أشاروا إلى بَعيرِ بنيامين الذي مُنع من الميرة، وهذا أولى لحَمْل «مُنِع» على الماضي حقيقةً، ولقولهم: «فأرْسِلْ معنا أخانا نَكْتَل».

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٣٨٩-٣٩٠، والقرطبي ١١/ ٣٩٥.
(٢) انظر الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠، والنكت والعيون ٣/ ٥٦، والكشاف ٢/ ٣٣٠، وزاد المسير ٤/ ٢٤٩-٢٥٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٩٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٩.

ويُقوِّيه قراءةُ: «يَكْتَل» بالياء ـ أي: يَكْتَل أخونا فإنما مُنِع كيلُ بعيره لغَيْبته، أو يكن سبباً للاكتيال؛ فإن امتناعَه في المستقبل بسببه[١] ـ وهي قراءة الأخَوَين، وقرأ باقي السبعة بالنون[٢]، أي: نَرفع المانعَ من الكَيْل، أو نَكتَلْ من الطَّعام ما نَحتاج إليه، وضَمِنوا له حِفْظَه وحياطَتَه.

«قال هل آمَنُكم» هذا توقيفٌ وتقريرٌ وتألُّمٌ من فِراقِه بنيامين، ولم يُصرِّح بمَنْعِه من حمله لِما رأى في ذلك من المصلحة، وشَبَّه هذا الائتمانَ في ابنه هذا بائتمانه إيَّاهم في حقِّ يوسف؛ قلتم فيه: «وإنّا له لحافظون» كما قلتم في هذا، فأخاف أنْ تَكيدوا له كما كِدْتُم لذلك، لكنَّ يعقوب لم يَخَف عليه كما خاف على يوسف، واستسلم لله وقال: «فالله خيرٌ حِفْظاً».

وقرأ الأخوان وحفص: «حافظاً» اسم فاعل[٣].

وانتصب «حِفْظاً وحافظاً» على التَّمييز، والمنسوب له الخير هو حفظُ الله، والحافظ الذي من جهة الله.

وأجاز الزمخشري أن يكون «حافظاً» حالاً[٤]، وليس بجيّد لأن فيه تقييدَ «خَيرٌ» بهذه الحال.

وقرأ الأعمش: «خيرُ حافِظٍ» على الإضافة، فالله تعالى مُتَّصفٌ بالحِفظ وزيادته على كلِّ حافظ. وقرأ أبو هريرة: «خيرُ الحافظين» كذا نقل الزمخشري[٥].

وقال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود: «فالله خيرٌ حافظاً، وهو خير الحافظين[٦]» وينبغي أن تُجعل هذه الجملة تفسيراً لقوله: «فالله خيرٌ حافظاً» لا أنها قرآن.

---

(١) في المطبوع: تشبيه (تحريف).
(٢) السبعة ٣٥٠، والتيسير ١٢٩، والنشر ٢/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠، والسبعة ٣٥٠، والتيسير ١٢٩، والنشر ٢/ ٢٩٥-٢٦٠.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٣١.
(٥) في الكشاف ٢/ ٣٣١، وذكر قراءة الأعمش: ابن خالويه في مختصره في الشواذ ص٦٤.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠: «فالله خير حافظ وهو خير الحافظين»، وفي معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٩، ومختصر في الشواذ ص٦٤ أن قراءة عبد الله: «والله خير الحافظين».

«وهو أرحم الرّاحمين» اعترافٌ بأن الله هو ذو الرَّحمة الواسعة، فأرجو منه حِفظَه، وأنْ لا يجمع عليَّ مُصيبتَه ومصيبةَ أخيه.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

قرأ علقمة ويحيى بن وَثَّاب والأعمش: «رِدَّت» بكسر الراء[1]، نقَلَ حركة الدَّال المُدْغَمة إلى الراء بعد تَوهُّم خُلُوّها من الضمَّة، وهي لغةٌ لبني ضَبَّة كما نقلت العرب في قِيلَ وبِيعَ.

وحكى قُطرب النَّقْلَ في الحرفِ الصَّحيح غير المُدْغَم، نحو: ضِرْبَ زيد[2].

سَمَّوا المَشْدودَ المَرْبوط بجُملته مَتاعاً، فلذلك حَسُن الفتحُ فيه.

و«ما نَبْغي» ما فيه استفهامية، أي: أيُّ شيءٍ نَبْغي ونَطْلُب من الكرامة؟ هذه أموالُنا رُدَّت إلينا. قاله قتادة[3].

وكانوا قالوا لأبيهم: قَدِمْنا على خيرِ رجل؛ أنزلَنا وأكرَمَنا كَرامةً لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكْرَمَنا كرامتَه[4].

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٥، ومختصر في الشواذ ص٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٩٧.
(٢) نقله عن قطرب: الزجاج في معاني القرآن ٣/ ١١٨، والنحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٥، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٣١.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٣، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٣١.

وقال الزَّجاج: يحتمل أنْ تكون «ما» نافية، أي: ما بقي لنا ما نَطلُب[١]. ويحتمل أيضاً أنْ تكون نافية من البَغْي، أي: ما افتَرَينا فكذَبْنا على هذا المِلِك، ولا في وَصْف إجماله وإكرامه هذه البضاعة مَرْدودة.

وهذا معنى قول الزمخشري: ما نَبغي في القول، ما نَتزيَّد فيما وَصَفْنا لك من إحسان المَلِك والكرامة[٢].

وقيل: معناه: ما نُريد منك بضاعةً أخرى.

وقرأ عبد الله وأبو حَيْوَة: «ما تَبغي» بالتاء على خِطاب يعقوب، ورَوَتْها عائشة عن النبي ﷺ[٣].

وتحتمل «ما» في هذه القراءة الاستفهام والنّفي كقراءة النون.

وقرأت عائشة وأبو عبد الرحمن السُّلَمي: «ونُمير» بضمّ النون[٤].

والجملة من قولهم: «هذه بضاعتُنا رُدَّت إلينا» مُوَضِّحةٌ لقولهم: ما «نَبغي» والجمل بعدها معطوفةٌ عليها على تقدير: فنَسْتَظهِر بها، ونَستعينُ بها، ونَمير أهلَنا في رجوعنا إلى المِلِك، ونَحفظُ أخانا فلا يُصيبه شيء ممّا تخافُه.

وإذا كان «ما نَبغي» بمعنى: ما نتزَيَّد وما نكذب جاز أن يكون «ونَميرُ» معطوفاً على «ما نبغي» أي: لا نَبغي فيما نقول، ونَمير أهلَنا، ونفعل كيتَ وكيت، وجاز أنْ يكون كلاماً مبتدأً، وكَرَّروا حفظَ الأخ مبالغةً في الحضّ على إرساله، ونَزدادُ باستِصْحاب أخينا وَسْقَ بعيرٍ على أوساق أباعِرِنا، لأنه إنما كان حَمل لهم وَسْقَ عشرةِ أبْعِرة، ولم يحمل الحادي عشر لغَيْبَةِ صاحبه.

والظاهر أن البَعير هو من الإبل، وقال مجاهد: كيلَ حمار، قال: وبعض العرب تقول للحمار بعير، وهذا شاذّ[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠ وعنه نقل كلام الزجاج، وانظر معاني القرآن ٣/ ١١٨.
(٢) في الكشاف ٢/ ٣٣١: وإكرامه، وهي الأشبه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠، ومختصر في الشواذ ص٦٤، والكشاف ٢/ ٣٣١، وزاد المسير ٤/ ٢٥٢ ونسبها إلى ابن يعمر والجحدري.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٩٧.
(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٤، وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٦١.

والظاهر أن قولَه: «ذلك كَيْلٌ يَسير» من كلامهم لا من كلام يعقوب، والإشارة بـ «ذلك» الظَّاهر أنها إلى «كيل بعير» أي: يَسيرٌ بمعنى قليل، يُجيبُنا إليه المَلِك ولا يُضايقُنا فيه. أو يَسيرٌ بمعنى سَهْلٌ عليه مُتَيَسِّرٌ لا يَتعاظَمُه. وقيل: يسيرٌ عليه أن يُعطيَه.

وقال الحسن: وقد كان يوسف عليه السَّلام وَعَدهم أنْ يَزيدَهم حِمْلَ بعيرٍ بغير ثَمَن[١].

قال الزمخشري: أي: ذلك مَكيلٌ قليلٌ لا يَكفينا، يعني: ما يُكال لهم، فازْدادوا إليه ما يُكال لأخيهم، ويجوز أنْ يكون من كلام يعقوب، أي: حِمْلُ بعيرٍ واحدٍ شيءٌ يَسير لا يُخاطَر لمثله بالولد؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢]. انتهى[٢].

ويعني أن ظاهرَ الكلام أنه من كلامهم، وهو من كلام يعقوب، كما أن قوله: «ذلك ليَعْلَم» ظاهرُه أنه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف. وهذا كلّه تحميلٌ للفظِ القرآن ما يَبْعَد تحميلُه، وفيه مخالفةُ الظاهر لغير دليل.

ولمَّا كان يعقوب غيرَ مُختارٍ لإرسال ابنه، وألَحُّوا عليه في ذلك علَّق إرْسالَه بأخْذِ المَوْثقِ عليهم وهو الحَلِفُ بالله، إذْ به تؤكَّد العهود وتُشَدَّد.

«ولَتأتُنَّني به» جوابٌ للحَلِف لأن معنى «حتى تُؤتونِ مَوْثقاً»: حتى تَحْلِفوا لي لَتأتُنَّني به.

وقوله: «إلا أنْ يُحاطَ بكم» لفظٌ عامٌّ لجميع وُجوهِ الغَلَبة، والمعنى: تَعُمُّكم الغَلَبة من جميع الجهات، حتى لا يكون لكم حيلةٌ ولا وَجْهُ تَخَلُّص.

وقال مجاهد: إلا أنْ تَهْلِكوا، وعنه أيضاً: إلا أنْ لا تُطيقوا ذلك[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦١.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣١.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٧، والثعلبي ٣/ ٣٩١، والماوردي ٣/ ٥٩، والقرطبي ١١/ ٣٩٨، وزاد المسير ٤/ ٢٥٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦١، ونسب القول الثاني إلى قتادة عندهم.

وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مُراعًى في قوله: «لَتأتُنَّني» وإنْ كان مُثْبتاً معنى النَّفي؛ لأن المعنى: لا تمتنعون من الإتيان به لشيءٍ من الأشياء إلا لأنْ يُحاط بكم، ومثالُه من المُثْبَت في اللَّفظ ومعناه النَّفي قولُهم: أَنْشُدُك الله إلا فعلتَ، أي: ما أَنْشُدُك إلا الفعل.

ولا يجوز أنْ يكون مُستثنًى من الأحوال مُقدَّراً بالمصدر الواقع حالاً؛ وإنْ كان صَريحُ المصدر قد يقع حالاً، فيكون التقدير: لَتأتُنَّني به على كلِّ حال إلا إحاطةً بكم، أي: مُحاطاً بكم، لأنهم نَصُّوا على أنَّ أنْ النّاصبة للفعل لا تقع حالاً وإنْ كانت مُقدَّرةً بالمصدر الذي قد يقع بنفسه حالاً[(١)].

فإن جعلت أنْ والفعل واقعةً مَوقعَ المصدر الواقع ظرفَ زمان، ويكون التقدير: لَتأتُنَّني به في كلِّ وقت إلا إحاطةً بكم، أي: إلا وقتَ إحاطةٍ بكم[(٢)].

قلت: مَنعَ ذلك ابنُ الأنباري فقال ما معناه: يجوز: خروجُنا صِياحَ الدِّيك، أي: وقتَ صياحِ الديك، ولا يجوز: خروجُنا أنْ يصيحَ الدِّيك، ولا ما يصيح الديك؛ وإنْ كانت أنْ وما مصدريَّتين، وإنما يقع ظرفاً المصدرُ المُصَرَّحُ بلفظِه.

وأجاز ابن جني أنْ تقع أنْ ظرفاً كما يقع صريح المصدر، فأجاز في قول تأبَّط شَرًّا:

**وقالوا لها لا تَنْكِحيه فإنه ... لأوَّلِ نَصْلٍ أنْ يُلاقي مَجْمَعا**[(٣)]

وقول أبي ذؤيب الهُذَليّ[(٤)]:

**وتالله ما إنْ شَهْلَةٌ أمُّ واحدٍ ... بأوْجَدَ منّي أنْ يُهانَ صَغيرُها**

أنْ يكون: أنْ يُلاقي تقديرُه: وقتَ لقائه الجَمْع، وأنْ يكون: أنْ يُهان تقديرُه: وقتَ إهانةِ صغيرِها، فعلى ما أجازه ابن جنّي يجوز أنْ تُخَرَّج الآية، ويبقى «لَتأتُنَّني به» على ظاهره من الإثبات، ولا يُقَدَّر فيه معنى النَّفي.

---

(١) انظر ارتشاف الضرب ١٥٧١.
(٢) انظر الدر المصون ٦/ ٥٢٢، وروح المعاني ١٢/ ٤٠٣.
(٣) ديوان تأبط شراً ص١١٢.
(٤) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١١٧٧ للسكري.

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فأجابوه إلى ما طلب «فلمَّا آتَوه مَوْثِقَهم قال» يعقوب: «اللهُ على ما نقول» من طَلَب المَوْثِق وإعطائه «وَكيل» رَقيبٌ مُطَّلِع.

ونهيُه إيّاهم أنْ يَدْخلوا من بابٍ واحد هو خَشْيةُ العَين؛ وكانوا أحدَ عشَر لرجلٍ واحد، أهلَ جَمالٍ وبَسْطة. قاله ابن عباس والضحّاك وقتادة وغيرهم[١].

والعين حقٌّ، وفي الحديث: «إن العينَ لَتُدْخِلُ الرجلَ القَبْرَ، والجملَ القِدْرَ»[٢] وفي التَّعَوُّذ: «ومن كلِّ عَينٍ لامَّة»[٣].

وخَطبَ الزّمخشري فقال: لأنهم كانوا ذَوي بَهاءٍ وشارَةٍ حَسَنة، وقد أشهَرَهم أهلُ مصر بالقُربَةِ عند الملِك، والكرامة الخاصَّة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مَظِنَّةً لطموح الأبصارِ إليهم من الوُفود، وأنْ يُشارَ إليهم بالأصابع ويُقال: هؤلاء أضْيافُ الملك، انظروا إليهم ما أحسنَهم من فِتيان، وما أحَقَّهم بالإكرام، لأمرٍ ما أكرمَهم الملك وقرَّبَهم، وفضَّلَهم على الوافِدين عليه، فخاف لذلك أنْ يَدخلوا كوكَبةً واحدة، فيُعانَوا لجَمالهم وجَلالة أمرهم في الصُّدور ويُصيبَهم ما يَسوءُهم، ولذلك لم يُوصِهم بالتَّفرُّق في المرَّة الأولى؛ لأنهم كانوا مَجهولين مَغْمورين بين الناس[٤]. انتهى.

ويظهر أن خَوفَه عليهم من العين في هذه الكَرَّة بحَسَب أن مَحْبوبه فيهم، وهو بنيامين الذي كان يَتسَلّى به عن شقيقه يوسف، ولم يكن فيهم في الكَرَّة الأولى، فأَهْملَ أمرَهم، ولم يَحْتَفِل بهم لسُوء صَنيعهم في يوسف.

وقيل: نَهاهم خَشْيةَ أنْ يُسْترابَ بهم؛ لقول يوسف: أنتم جَواسيس. وقيل: طَمِع بافتراقهم أنْ يتسَمَّعوا خبرَ يوسف.

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٧-٢٣٨ عنهم.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٩٠، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٤ من حديث جابر ﷺ.
(٣) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس ﷺ ولفظه: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».
(٤) الكشاف ٢/ ٣٣٢-٣٣٣.

ثم نَفى عن نفسه أنْ يُغنيَ عنهم شيئاً، يعني بوَصاته.

«إنِ الحُكم إلا لله» أي: هو الذي يَحكُم وحده، ويُنفذ ما يريد، فعليه وحده توكَّلتُ.

و«من حيث أمرَهم أبوهم» أي: من أبوابٍ مُتَفَرِّقة. رُوي أنهم لمَّا وَدَّعوا أباهم قال لهم: بَلِّغوا ملِكَ مصرَ سَلامي وقولوا له: إن أبانا يُصلِّي عليك، ويدعو لك، ويَشكرُ صَنيعَك معنا. وفي كتاب أبي منصور المهراني أنه خاطبَه بكتاب قُرئ على يوسف فبكى[(١)].

وجواب «لمَّا» قولُه: «ما كان يُغني عنهم من الله من شيء» وفيه حجَّةٌ لمَن زعم أن لمَّا حرفُ وجوب لوجوب، لا ظرفُ زمان بمعنى حين[(٢)]، إذْ لو كانت ظرفَ زمان ما جاز أنْ تكون مَعمولاً لما بعد ما النافية، لا يجوز: حين قام زيد ما قام عمرو، ويجوز: لمَّا قام زيد ما قام عمرو، فدلَّ ذلك على أنَّ لمّا حرفٌ يترتَّب جوابُه على ما بعده.

وقال ابن عطية: ويجوز أنْ يكون جواب «لمَّا» محذوفاً مُقدَّراً، ثم يُخبر عن دخولهم أنه «ما كان يُغني»[(٣)].

ومعنى الجملة: لم يكن في دخولهم مُتفرِّقين دَفعُ قدَرِ الله الذي قضاه عليهم من تَشريقهم وافتضاحهم بذلك، وأخْذِ أخيهم بوجْدان الصَّاع في رَحْله، وتزايد مُصيبته على أبيهم، بل كان أرَباً ليعقوب قَضاه وتطييباً لنفسه.

وقيل: معنى «ما كان يُغني عنهم من الله من شيء» ما يردُّ عنهم قَدراً، لأنه لو قُضِيَ أنْ تُصيبهم عينٌ لأصابتهم مُفْتَرِقين أو مُجتمعين، وإنما طَمع يعقوب أنْ تُصادفَ وصيَّتُه قَدَرَ السَّلامة، فوَصَّى وقضى بذلك حاجَةَ نفسه في أنْ بقي يتنعَّمُ برَجائه أن تُصادفَ وصيَّتُه القَدَرَ في سَلامتهم[(٤)].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦١-٢٦٢ وما قبله منه.
(٢) انظر ارتشاف الضرب ١٨٩٦-١٨٩٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٢.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٢.

«وإنه لذو عِلم» يعني لقوله: «إن الحُكم إلا لله» وما بعده، وعلمُه بأنَّ القَدَر لا يَدْفَعُه الحَذَر، وهذا ثناءٌ من الله على يعقوب عليه السلام.

وقال قتادة: لعاملٌ بما عَلَّمناه. وقال سفيان: مَن لا يَعْمل لا يكون عالماً[1].

ولفظة «ذو عِلم» لا تُساعد على هذا التفسير وإنْ كان صحيحاً في نفسه. وقرأ الأعمش: «ممَّا عَلَّمْناه»[2].

❁ ❁ ❁

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ
ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا
لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟
جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ
أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن
يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ
شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ
أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا
عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ
حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ
إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ
ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ

---

(١) أخرجهما الطبري ١٣/ ٢٤٠-٢٤١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٢ وفي مطبوعه تحريف يصحح من هنا.

وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

المفردات

العِيْر: الإبل التي عليها الأحمال، سُمِّيت بذلك لأنها تَعِير، أي: تَذْهَب وتجيء، وقيل: هي قافلةُ الحمير، ثم كَثُر حتى قيل لكلِّ قافلةٍ: عِيْر، كأنها جمع عَيْر، وأصلها فُعُل كسَقْف وسُقُف، فُعل به ما فُعل ببِيض وغِيد، والعِير مؤنَّث، وقالوا في الجمع عِيَرات، فشذُّوا في جَمْعه بالألف والتاء وفي فتح يائه، وقال الشاعر:

غَشِيتُ ديارَ الحيِّ بالبَكَرات ... فعارِمَةٍ فبُرْقَةِ العِيَراتِ[1]

قال الأعلم: العِيَرات هنا مَواضع الأغيار وهي الحَمير.

الصُّواع: الصَّاع، وفيه لُغاتٌ تأتي في القراءات، ويؤنَّث ويُذَكَّر[2].

الوِعاء: الظَّرْف الذي يُحفَظ فيه الشيء، وتُضَمُّ واوه، ويجوز أنْ تُبدلَ واوُه همزة.

فَتِئ: من أخَوات كان الناقصة، قال أوس بن حَجَر:

فما فَتِئت حتّى كأن غُبارَها ... سُرادِقُ يومٍ ذي رياحٍ تَرَفَّعُ[3]

وقال أيضاً[4]:

فما فَتِئت خيلٌ تَثوبُ وتَدَّعي ... ويَلْحَقُ منها لاحِقٌ وتَقَطَّعُ

ويُقال فيها: فَتَأ على وزن ضَرَب، وأفتأ على وزن أكْرَمَ، وزعم ابن مالك أنها تكون بمعنى سَكَّن وأطفأ فتكون تامَّة، ورَدَدْنا عليه ذلك في «شرح التسهيل» وبيَّنا أن

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ٧٨ مطلع قصيدة، وهذه أسماء مواضع.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٥١، وللزجاج ٣/ ١٢٠، وإعراب القرآن ٢/ ٣٣٧، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٣٨.
(٣) ديوان أوس ٥٩.
(٤) في (يه): وقال أوس بن حجر هذا البيت الثاني أيضاً، والبيت في ديوانه ٥٨.

ذلك تصحيفٌ منه؛ صَحَّف الثاء بثلاث بالتاء بثنتين من فوق، وشرحها بسَكَّن وأطفأ[١].

الحَرَضُ: المُشْفي على الهَلاك، يُقال: حَرَض فهو حَرِض بكسر الراء حَرَضاً بفتحها، وهو المصدر، ولذلك يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث والمُفرد والجمع، وأحْرَضَه المرض فهو مُحْرَض، قال الشاعر:

أرى المرءَ ذا الأذْوادِ يُصبح مُحْرَضاً    كإحْراض بَكْرٍ في الدِّيار مَريضِ[٢]

وقال آخر:

إني امرؤٌ لجَّ بي حُبٌّ فأحْرَضَني    حتى بَليتُ وحتّى شَفَّني السَّقَمُ[٣]

وقالوا: رجلٌ حُرُضٌ بضمَّتين كجُنُب وشُلُل.

* * *

التفسير ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

رُوي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناكَ به، فقال: أحسنتُم وأصبتُم، وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم، ثم أضافهم، وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لأجْلَسني

(١) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ٤/ ١٤٣، وانظر ارتشاف الضرب ١١٥٩.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ٧٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٣٥.

(٣) البيت في مجاز القرآن ١/ ٣١٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٠١، والأغاني ١/ ٣٨٩، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٣٤، والصحاح واللسان والتاج (حرض) للعرجي، ودون نسبة في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٣، وزاد المسير ٤/ ٢٧٣.

معه، فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً، فأجلسه معه على مائدته، وجعل يؤاكلهم وقال: أنتم عشرة فلْينزل كلٌّ اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثانيَ له فيكون معي، فبات يوسف يضمُّه إليه ويَشَمُّ رائحته حتى أصبح، وسأله عن ولده فقال: لي عشرة بنين، اشتَقَقْتُ أسماءهم من اسم أخٍ لي هَلَك، فقال له: أتحبُّ أنْ أكون أخاك بدلَ أخيك الهالك؟ قال: مَن يجد أخاً مثلَك؟ ولكنْ لم يَلِدْك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه وعانقه وقال له: «أنا أخوك» يوسف «فلا تَبْتَئس» فلا تحزَنْ «بما كانوا يعملون» بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا وجَمَعَنا على خير، ولا تُعلمهم بما أعْلَمتُك.

وعن ابن عباس: تعرَّف إليه أنه أخوه، وهو الظاهر، وهو قولُ ابن إسحاق وغيره، أعْلَمه أنه أخوه حقيقةً، واستَكْتَمه وقال له: لا تُبالي بكلِّ ما تراه من المَكْروه في تَحَيُّلي في أخْذِك منهم[١].

قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل يحتمل أنْ يُشير بقوله: «بما كانوا يعملون» إلى ما يَعملُه فِتيانُ يوسف من أمرِ السِّقاية ونحو ذلك[٢]. انتهى.

ولا يحتمل ذلك؛ لأنه لو كان التَّركيب «بما يَعملون» بغير «كانوا» لأمْكَنَ على بُعده، لأن الكلام إنما هو مع إخوة يوسف، وأمَّا ذِكْرُ فِتيانه فبعيدٌ جدّاً؛ لأنه لم يَتقدَّم لهم ذِكرٌ إلا في قوله: «وقال لفِتيانه» وقد حالَ بينهما قَصَصٌ، واتَّسق الكلامُ مع الإخوة اتِّساقاً لا ينبغي أن يُعْدَل عن أن الضمير عائدٌ إليهم، وأن ذلك إشارةٌ إلى ما كان يَلْقى منهم قديماً من الأذى، إذْ قد أمِن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف.

وقال وهب: إنما أخبر أنه أخوه في الودّ مَقامَ أخيه الذَّاهب، ولم يَكشف إليه الأمر، بل تركه تجوزُ عليه الحيلة كسائر إخوته[٣].

والظاهر أن الذي: «جَعلَ السِّقاية في رَحْل أخيه» هو يوسف، ويَظهر من حيث كونه مَلِكاً أنه لم يُباشِر ذلك بنفسه، بل جعل غيرَه من فتيانه أو غيرهم أنْ يجعلَها.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٣، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٤١-٢٤٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٣، وأخرجه الطبري ١٣/ ٢٤٣.

وتقدَّم قولُ وَهْب إنه لـم يكشـف له أنه أخوه، وأنه تَرَكَه تجوز عليه الحيلة، ورُوي أنه قال ليوسف: أنا لا أُفارقك، قال: قد علمتَ اغتمامَ والدي، فإذا حَبَسْتُك ازْدادَ غمُّه، ولا سبيلَ إلى ذلك إلا أن أَنْسُبَك إلى ما لا يَجْمُل، قال: لا أُبالي فافعل ما بدا لك، قال: فإني أَدُسُّ صاعي في رَحْلك، ثم أُنادي عليك بأنَّك سَرَقْتَه ليَتَهَيَّأ لي رَدُّك بعد تسْريحك معهم، قال: افعل.

وقرأ عبد الله فيما نقل الزمخشري: «وجعل السِّقايةَ في رَحْل أخيه أمْهَلَهم حتى انطلقوا، ثم أذَّن»[(١)].

وفي نقل ابن عطية: «وجَعل السِّقاية» بزيادة واو في جعل[(٢)]، دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله: «في رَحْل أخيه»[(٣)].

فاحتمل أن تكون الواو زائدة على مذهب الكوفيين، واحتمل أنْ يكون جواب «لمَّا» محذوفاً تقديرُه: فقَدَها حافظُها، كما قيل: إنما أُوحي إلى يوسف أنْ يَجعل السِّقاية فقط، ثم إن حافظَها فقَدها، فنادى برأيه على ما ظَهر له، ورَجَّحه الطبري، وتفتيشُ الأوعية يردُّ هذا القول[(٤)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٤ وما قبله منه.
وجاءت العبارة في (ز١): وجعل السقاية في رحل أخيه قال: على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن.
قلت: وما سيأتي من كلام المصنف على ما في الكشاف يردّ إثبات ما في (ز١)، فلذلك جعلتها في الحاشية، وانظر التعليق التالي.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٣، وذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/ ٥٠.

(٣) قال السمين في الدر المصون ٦/ ٥٢٤: لم ينقل الزمخشري هذه الزيادة كلها قراءة عن عبد الله، إنما جعل الزيادة المذكورة بعد قوله: «رحل أخيه» تقدير جواب من عنده، وهذا نصُّه: قال الزمخشري: وقرأ ابن مسعود. . . . وذكر الزيادة التي جاءت في (ز١) التي ذُكرت قبل تعليقين، ثم قال: فهذا من الزمخشري إنما هو تقدير لا تلاوة منقولة عن عبد الله، ولعله وقع للشيخ ـ يعني أبا حيان ـ نسخة سقيمة. اهـ.
قلت: وما جاء في نسخة (ز١) ـ وهي نسخة جيدة مقروءة على المصنف ـ يخرجنا من هذا الإشكال لولا أن كلام المصنف بعدها يردّها، والله أعلم.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٣، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٧.

والذي يظهر أن تأذين المؤذِّن كان عن أمر يوسف. وقال السُّدي: كان هذا الجَعْلُ بغير علمٍ من بنيامين[١]. وما تقدَّم يدلُّ على أنه كان بعلمٍ منه.

وقال الجمهور: ابن عمر وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد: «السِّقاية»: إناءٌ يشرب به الملِك، وبه كان يُكال الطَّعامُ للناس.

وقيل: كان يُسقى بها الملك، ثم جُعلت صاعاً يُكال به. وقيل: كانت الدَّوابّ تُسقى بها ويُكال بها.

وقال ابن جُبَير: الصُّواع: هو مثلُ المَكُّوك الفارسيّ، وكان إناءَ يوسف الذي يَشرب فيه، وكان إلى الطُّول ما هو، قال: وحدَّثني ابن عباس أنه كان للعباس مثلُه يَشرب به في الجاهلية.

وقال ابنُ جبير أيضاً: الصُّواع: المَكُّوك الفارسيّ الذي يَلتقي طرفاه، كانت تشرب فيه الأعاجم.

والسِّقاية من فضَّة، أو ذهب، أو فضَّة مُمَوَّهة بالذهب، أو نُحاس، أو مِسْك، أو كانت مُرَصَّعة بالجواهر. أقوال أوَّلُها للجمهور. ولعِزَّة الطَّعام في تلك الأعوام قَصَر كَيْلَه على ذلك الإناء[٢].

«ثم أذَّن مؤذِّنٌ» أي: نادى مُنادٍ، أذَّن: أعْلَم، وآذَنَ: أكثر الإعلام، ومنه المؤذِّن لكَثْرة ذلك منه.

و«ثمَّ» تقتضي مُهْلَةً بين جَعْلِ السِّقاية والتَّأذين، فرُوي أنه لما فَصَلت العيرُ بأوقارها وخرجوا من مصر أُدْرِكوا وقيل لهم ذلك. وقيل: قبل الخروج من مصر أُمِر بهم فحُبِسوا، وأذَّن مؤذِّن[٣].

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ١٣/ ٢٤٧، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٢، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤.

(٢) انظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٥-٢٤٦ و٢٤٩-٢٥٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧١ و٢١٧٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٠، وللنحاس ٣/ ٤٤٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٩٣، والماوردي ٣/ ٦١، والقرطبي ١١/ ٤٠٤-٤٠٥، والكشاف ٢/ ٣٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، وزاد المسير ٤/ ٢٥٨-٢٥٩، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٤٠-٤٤١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٧، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٢.

والظاهر ـ وقول الجمهور ـ أن العِير: الإبل، وقال مجاهد: كانت دَوابُّهم حَميراً[١].

ومُناداةُ العِير والمُرادُ أصحابُها، كقوله: «يا خيلَ الله اركبي»[٢] ولذلك جاء الخِطابُ «إنكم لَسَارقون» فرُوعي المحذوف ولم يُراعَ العِيرُ كما رُوعي في «اركبي» وفي قوله: «والعِيرَ التي أقْبَلْنا فيها». ويجوز أن تُطلَقَ العِيرُ على القافلة أو الرُّفقة، فلا يكون من مَجاز الحذف.

والذي يظهر أن هذا التَّحَيُّلَ، ورَمْيَ أبرياءَ بالسَّرِقة، وإدخالَ الهمِّ على يعقوب بوَحْي من الله، لِما علم تعالى في ذلك من الصَّلاح، ولِما أراد من مِحْنتهم بذلك، ويُقَوِّيه قولُه: «كذلك كِدْنا ليوسف».

وقيل: لما كانوا باعوا يوسف استُجيزَ أنْ يُقالَ لهم هذا، ونسبةُ السَّرِقة إليهم جميعاً؛ وإنْ كان الصُّواع إنما وُجِد في رَحْلِ واحدٍ منهم، كما تقول: بنو فلان قتلوا فلاناً، والقاتل واحدٌ منهم.

«قالوا» أي: إخوةُ يوسف «وأقبلوا» جملة حالية، أي: وقد أقبلوا «عليهم» أي: على طالِبي السِّقاية، أو على المؤذِّن إنْ كان أُريد به جَمْع، كأنه جَعل مؤذِّنين يُنادون، وساءهم أن يُرْمَوْا بهذه المَثْلَبة وقالوا «ماذا تَفْقِدون» لِيَقَعَ التفتيشُ فتَظْهَرَ براءتُهم، ولم يَلوذوا بالإنكار من أوّل، بل سألوا كمالَ الدَّعوى رجاءَ أنْ يكون فيها ما تَبْطُل به فلا يحتاج إلى خِصام[٣].

واحتمل أن تكون «ماذا» استفهاماً في موضع نَصْبٍ بـ «تَفْقِدون»، واحتمل أنْ تكون ما وحدها استفهَاماً مبتدأ، وذا موصولة بمعنى الذي خبر عن ما، وتفقدون صلةً لذا، والعائد محذوف أي: تَفْقِدونه.

وقرأ السُّلَمي: «تُفْقِدون» بضمّ التاء[٤]، من أفْقَدْتُه، إذا وَجَدْتَه فَقيداً، نحو:

(١) أخرجه عنه الطبري ١٣/٢٤٨.
(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٣٦٣ من حديث سعيد بن جبير مرفوعاً، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٥١٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤.
(٤) مختصر في الشواذ ص٦٥، والكشاف ٢/ ٣٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤.

أحْمَدْتُه إذا أصَبْتَه[١] مَحْموداً، وضَعَّف هذه القراءة أبو حاتم، وَجْهُها ما ذكرناه.

و«صُواعَ المَلِك» هو المِكيال وهو السِّقاية، سَمَّاه أوَّلاً بإحدى جِهتَيه وآخِراً بالثانية[٢].

وقرأ الجمهور: «صُواع» بضم الصَّاد بعدها واو مفتوحة بعدها ألف بعدها عين مُهْمَلة.

وقرأ أبو حَيْوة والحسن وابن جُبير فيما نقل ابن عطية كذلك إلا أنه كسر الصَّاد[٣].

وقرأ أبو هريرة ومجاهد: «صاع» بغير واو على وزن فَعَل، فالألفُ فيها بدلٌ من الواو المفتوحة[٤].

وقرأ أبو رَجاء: «صَوْع» على وزن قَوْس[٥].

وقرأ عبد الله بن عَوْن بن أبي أرْطَبان: «صُوعَ» بضمّ الصاد[٦]، وكلُّها لُغات في الصّاع.

---

(١) في (ح): وجدته، وهما سواء.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤.
(٣) ذكر ابن عطية أنها قراءة أبي حيوة، وأما قراءة الحسن وسعيد بن جبير فذكر أنها بضم الصاد وألف وغين معجمة (صُواغ)، المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، وسينقلها المصنف قريباً عن صاحب اللوامح.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٠ (وفيه تصحيف)، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٧، ومختصر في الشواذ ٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٩٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، وزاد المسير ٤/ ٢٥٨، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٠٥، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٤١.
(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٩، والثعلبي ٣/ ٣٩٤، والقرطبي ١١/ ٤٠٥، ومختصر في الشواذ ص٦٤، والمحتسب ١/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٤٢.
(٦) مختصر في الشواذ ص٦٤ (وفيه تصحيف)، والمحتسب ١/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤ وتحرف فيه (بن عون) إلى (بن عوف). وعبد الله بن عون هو ابن أرطبان المزني، من رجال التهذيب، روى له الجماعة، فزيادة «أبي عون» في نسبه تحريف نقله المصنف عن المحتسب، انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤ وفروعه.

وقرأ الحسن وابن جُبَير فيما نقل عنهما صاحب «اللَّوامح»: «صُواغ» بالغين المعجمة على وزن غُراب[1].

وقرأ يحيى بن يَعْمر كذلك إلا أنه يَحْذف الألف ويُسَكّن الواو[2].

وقرأ زيد بن عليّ: «صَوْغ» مَصْدر صاغ[3]، وصُواغ وصُوْغ مُشتقّان من الصَّوغ مَصْدر صاغ يَصوغ أُقيما مقام المفعول بمعنى مَصُوغ الملك.

«ولمَن جاء به» أي: ولمَن دلَّ على سارقه وفضَحه، وهذا جُعْل «وأنابه زَعيم» من كلام المؤذِّن، أي: وأنا بحِمْل البعير كفيلٌ أؤدِّيه إلى مَن جاء به، وأراد به وَسْقَ بعيرٍ من طعام جُعْلاً لمَن حَصَّله.

«قالوا تالله» أقسموا بالتاء من حروف القسَم؛ لأنها يكون فيها التعجُّب غالباً؛ كأنهم عَجِبوا من رَمْيهم بهذا الأمر.

ورُوي أنهم رَدُّوا البضاعةَ التي وَجدوها في الرِّحال[4]، وتحرَّجوا من أخْذِ[5] الطَّعام بلا ثَمَن، وكانوا قد اشتَهَروا بمصر بصَلاحٍ وعِفَّة، وكانوا يجعلون الأكِمَّة في أفواه إبِلهم لئلا تنالَ زُروعَ الناس، فأقسموا على إثْباتِ شيء قد علموه منهم، وهو أنكم قد عَلِمتُم أن مَجيئنا لم يكن لفَساد، ثم استأنفوا الإخبارَ عن نَفْي صِفةِ السَّرقة عنهم، وأن ذلك لم يوجد منهم قطّ.

ويحتمل أن يكون في حَيِّز جواب القسَم، فيكون معطوفاً على قوله: «لقد علمتم»، قال ابن عطية: والتاء في «تالله» بدلٌ من واو، كما أُبدِلت في تُراث وفي التَّوراة والتُّخَمة، ولا تدخل التاء في القسم إلا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى وغير ذلك، لا تقول: تالرَّحمن ولا تالرَّحيم[6]. انتهى.

---

(١) ذكرها ابن خالويه ٦٤، وابن عطية ٣/ ٢٦٤، وانظر التعليق السابق قبل أربع تعاليق.
(٢) المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٤٣، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٤٩، والثعلبي ٣/ ٣٩٤، والماوردي ٣/ ٦٢، والقرطبي ١١/ ٤٠٥، وإعراب القرآن ٢/ ٣٣٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٤، ولم يقيدوها بالضم بل ذكروا أنها على المصدر.
(٣) نسبها ابن خالويه ٦٤، وابن جني ١/ ٣٤٦ إلى ابن يعمر.
(٤) في (ح د١) والمطبوع: الطعام (؟!).
(٥) في المطبوع: أكل.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥.

أما قوله: والتاء في تالله بدل من واو، فهو قول أكثر النحويّين، وخالفهم السُّهَيلي فزعم أنها أصلٌ بنفسها، وليست بدلاً من واو، وهو الصَّحيح على ما قرَّرناه في النحو.

وأمَّا قولُه: وفي التوراة، فعلى مذهب البصريين إذْ زعموا أن الأصلَ: وَوْراه؛ من وَرِي الزّند، ومن النحويين مَن زعم أن التاء زائدة، وذلك مذكورٌ في النحو.

وأمَّا قوله: ولا تدخل... إلى آخره؛ فقد حُكي عن العرب دخولُها على الرَّب وعلى الرَّحمن وعلى حياتك، قالوا: تَرَبِّ الكعبة وتالرّحمن وتحياتك[١].

والخطابُ في «لقد علمتُم» لطالِبي الصُّواع، والضمير في «جَزاؤه» عائد على السَّارق، أي: فما جَزاءُ السَّارق إنْ كنتُم كاذِبين في قولكم: وما كنَّا سارقين له؟ قاله ابن عطية[٢].

وقال الزمخشري: «فما جزاؤه» الضمير للصُّواع، أي: فما جَزاءُ سَرِقته «إن كنتم كاذِبين» في جُحودِكم وادِّعائكم البَراءةَ منه[٣]. انتهى.

وقوله هو الظّاهر لاتّحاد الضّمائر في قوله: «قالوا جَزاؤه مَن وُجِد في رَحْلِه» إذ التقديرُ إذْ ذاك: قالوا: جَزاءُ الصَّاع، أي: سَرِقَتِه «مَن وُجِد» الصَّاعُ «في رَحْلِه».

وقولُهم: جزاؤه مَن وُجد في رَحْله كلامُ مَن لم يَشُكَّ أنهم بُرَءاء مما رُمُوا به، ولاعتقادهم البَراءة عَلَّقوا الحُكْمَ على وِجْدانِ الصَّاع لا على سَرِقته، فكأنهم يقولون: لا يمكن أن نَسْرق، ولا يمكن أنْ يوجد الصَّاعُ في رحالنا.

وكان في دين يعقوب استعبادُ السَّارق، قال الزمخشري: سَنَة، وكان في دين مصر أنْ يُضْرَب ويُضَعَّفَ عليه الغُرْم، ولذلك أجابوا على شريعتهم[٤].

وجوَّزوا في إعراب هذا الكلام وجوهاً: أحدها أن يكون «جزاؤه» مبتدأ،

---

(١) انظر شرح التسهيل ٣/ ١٢-١٣، وارتشاف الضرب ١٧١٧، ومغني اللبيب ١٥٧.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٣٤.
(٤) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٥٨، والثعلبي ٣/ ٣٩٥، والماوردي ٣/ ٦٣، والقرطبي ١١/ ٤١٢، وإعراب القرآن ٢/ ٣٣٨، والكشاف ٢/ ٣٣٤، وزاد المسير ٤/ ٢٦٠.

و«مَن» شرطية أو موصولة مبتدأٌ ثانٍ، و«فهو جزاؤه» جواب الشرط أو خبر ما الموصولة، والجملة من قوله: «مَن وُجِد» إلى آخره خبر المبتدأ الأول، والضمير في «قالوا جزاؤه» للسَّارق. قاله ابن عطية[١].

وهذا لا يَصحُّ لخلوِّ الجملة الواقعة خبرَ «جزاؤه» من رابط.

الثاني: أن المعنى: قالوا: جزاءُ سَرِقته، ويكون «جزاؤه» مبتدأ، والجملة الشَّرطية كما هي خبرُه على إقامة الظَّاهر فيها مقامَ المُضْمَر، والأصل: جَزاؤه مَن وُجِد في رَحْله فهو هو، فوَضَع الجزاء موضعَ هو، كما تقول لصاحبك: مَن أخو زيد؟ فيقول: أخوه مَن يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأوَّل إلى «مَن» والثاني إلى الأخ، ثم تقول: فهو أخوه، مُقيماً للمُظْهَر مقامَ المُضْمَر. قاله الزمخشري[٢].

ووَضْعُ الظَّاهر مَوضعَ المُضْمَر للرَّبط إنما هو فصيحٌ في مواضعِ التَّفخيم والتَّهويل، وغيرُ فصيحٍ فيما سوى ذلك نحو: زيدٌ قام زيد، ويُنَزَّه القرآن عنه، قال سيبويه: لو قلت: كانَ زيدٌ مُنطلقاً زيد، لم يكن حدَّ[٣] الكلام، وكان ههنا ضعيفاً، ولم يكن كقولك: ما زيدٌ مُنطلقاً هو؛ لأنك قد استغنيتَ عن إظهاره، وإنما ينبغي لك أن تُضمرَه[٤].

الثالث: أنْ يكون «جَزاؤه» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: المَسْؤول عنه جزاؤه، ثم أفتَوْا بقولهم: مَن وُجِد في رَحْلِه فهو جزاؤه، كما يقول مَن يُسْتَفتى في جزاء صَيْدِ المُحْرِم: جَزاءُ صَيدِ المُحْرِم، ثم يقول: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]. قاله الزمخشري[٥].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٤، وقال السمين في الدر المصون ٦/ ٢٥٩ عقبه: والشيخ - يعني أبا حيان - جعل هذا وجهاً ثانياً بعد الأول، ولم يعتقد أنه هو بعينه، ولا أنه جواب عما ردّ به على ابن عطية.

(٣) في المطبوع: ضد (؟!). وانظر الكتاب ١/ ٦٢.

(٤) قال السمين ٦/ ٥٣٠: ومذهب الأخفش أنه جائز مطلقاً، وعليه بنى الزمخشري.

(٥) في الكشاف ٢/ ٣٣٤.

وهو مُتَكَلَّف إذْ تصير الجملةُ من قوله: المسؤول عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كبيرُ فائدة؛ إذْ قد عُلم من قوله: «فما جَزاؤه» أن الشيء المسؤولَ عنه جَزاءُ سَرِقته، فأيُّ فائدةٍ في نُطقِهم بذلك؟ وكذلك القول في المثال الذي مَثَّل به من قول المُسْتفتي[1].

الرابع: أنْ يكون «جزاؤه» مبتدأ، أي: جَزاءُ سَرِقة الصَّاع، والخبر «مَن وُجِد في رَحْلِه» أي: أخْذُ مَن وُجِد في رَحْله، وقولهم: «فهو جزاؤه» تقريرٌ لحُكم، أي: فأخْذُ السَّارقِ نفسِه هو جَزاؤه لا غير، كقولك: حقُّ زيدٍ أنْ يُكسى ويُطْعَم ويُنْعَم عليه، فذلك جَزاؤه، أو فهو حَقُّه لتُقَرِّر ما ذكرتَه من استحقاقه. قاله الزمخشري[2]، وقال معناه ابن عطيَّة إلا أنه جعل القول الواحد قولين قال: ويصحُّ أنْ يكون «مَن» خبراً ـ على أن المعنى: جزاءُ السَّارق مَن وُجِد في رَحْله ـ عائدٌ على «مَن» ويكون قولُه: «فهو جَزاؤه» زيادةَ بيانٍ وتأكيد، ثم قال: ويحتمل أنْ يكون التقدير: جزاؤه استرقاقُ مَن وُجِد في رَحْله، ثم يؤكّد بقوله: «فهو جزاؤه»[3].

وهذا القولُ هو الذي قبله، غير أنه أبرزَ المضافَ المحذوفَ في قوله: استرقاقُ مَن وُجِد في رَحْله، وفيما قبله لا بدَّ من تقديره؛ لأن الذات لا تكون خبراً عن المصدر، فالتَّقدير في القول قبله: جزاؤه أخْذُ مَن وُجِد في رَحْله أو استرقاق، هذا لا بدَّ منه على هذا الإعراب، وهذا الوجه هو أحسنُ الوجوه وأبعدُها من التكلُّف.

«كذلك» أي: مثلَ ذلك الجزاء وهو الاسترقاق «نَجزي الظَّالمين» أي: بالسَّرِقة، وهو دينُنا وسُنَّتنا في أهل السَّرِقَة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

قيل: قال لهم مَن وُكِّل بهم: لا بُدَّ من تفتيش أوْعِيتكم، فانصرف بهم إلى

---

(١) قال السمين ٦/ ٥٣١ عقبه: قوله: ليس فيه كبير فائدة؛ ممنوع، بل فيه فائدة الإضمار المذكور في علم البيان، وفي القرآن أمثال ذلك.

(٢) في الكشاف ٢/ ٣٣٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥.

يوسف، فبدأ بتفتيش أوْعِيتهم قبل وعاء بنيامين؛ لنَفْي التُّهمة، وتمكينِ[1] الحِيلة واتِّقاءِ ظُهورها، حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظنُّ هذا أخذ شيئاً فقالوا: والله لا نَتْرُكَنَّه[2] حتى تَنْظُرَ في رَحْلِهِ فإنه أطْيَبُ لنفسِك وأنفُسِنا، فاستخرجوه منه.

وقرأ الحسن: «من وُعاء» بضمِّ الواو، وجاء كذلك عن نافع[3]، وقرأ ابن جُبَير: «من إعاء» بإبدال الواو المكسورة همزة، كما قالوا: إشاح وإسادة في وِشاح ووِسادة، وذلك مُطَّرِدٌ في لغة هُذَيْل يُبدِلون من الواو المكسورة الواقعةِ أوَّلاً همزة.

وأنَّث في قوله «ثمَّ استَخْرَجها» على معنى السِّقاية، أو لكَوْنِ الصُّواع يُذَكَّر ويؤنَّث. وقال أبو عُبيد: يؤنَّث الصُّواع من حيث سُمِّي سِقاية، ويُذَكَّر من حيث هو صواع[4]. وكأنَّ أبا عبيد لم يَحفظ تأنيثَ الصُّواع.

وقيل: الضَّمير في قوله: «ثمّ اسْتَخْرَجها» عائدٌ على السَّرِقة[5].

«كذلك» أي: مثلَ ذلك الكَيْدِ العظيم كِدْنا ليوسف، يعني[6]: عَلَّمناه إيَّاه وأوحَيْنا به إليه.

وقال الضحّاك والسّدي: «كِدْنا» صَنَعْنا[7].

قال ابن عطية: وأضاف الله تعالى الكَيْدَ إلى ضميره لمَّا أُخرج القَدْرُ الذي أباح

---

(١) في (يه): ولتمكين.

(٢) في النسخ والمطبوع غير (ز١): ما تتركه، والمثبت منها، وانظر الكشاف ٢/ ٣٣٥.

(٣) إعراب القرآن ٢/ ٣٣٩، ومختصر في الشواذ ص٦٥، والمحتسب ١/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥، والكشاف ٢/ ٣٣٥.

(٤) في النسخ والمطبوع خلا (ح يه): صاع، والمثبت منهما، وانظر الدر المصون ٦/ ٥٣٣، وذكر ابن الأنباري في المذكر والمؤنث ١/ ٤٤٠ هذا القول عن أبي عبيدة، ولعله الأشبه، فقد نقل أبو عبيد في الغريب المصنف ٢/ ٤١١ عن الكسائي التذكير والتأنيث في الصواع، ولم يعقب عليه بشيء.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٢، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٦١، وإعراب النحاس ٢/ ٣٣٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦، وزاد المسير ٤/ ٢٦١. قال السمين في الدر ٦/ ٥٣٣: وفيه نظر؛ لأن السرقة لا تستخرج إلا بمجاز.

(٦) في (ح): أي، بدل يعني، وهما سواء.

(٧) أخرجهما الطبري ١٣/ ٢٦٣-٢٦٤، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٦.

ليوسفَ أخْذَ أخيه مخرجَ ما هو في اعتيادِ الناس كَيْدٌ. وفسَّر ابنُ عباس «في دين الملِك» بسُلْطانه، وفسَّره قتادة بالقَضاء والحُكْم. انتهى[١].

وقال الزمخشري: «ما كان ليَأخُذَ أخاه في دين الملك» تفسيرٌ للكَيْدِ وبَيانٌ له؛ لأنه كان في دِينِ مَلِك مصرَ وما كان يَحكُم به في السَّارق أن يُغَرَّم مِثلَي ما أخَذ لا أنْ يُلْزَم ويُسْتَعْبَد[٢].

«إلا أن يشاء الله» إلا بمشيئته وإذنه. وقال ابن عطية: والاستثناء حكايةُ حالٍ، التقدير: إلا أنْ يشاء الله ما وَقعَ من هذه الحيلة[٣]. انتهى.

والذي يَظْهر أنه استثناءٌ مُنْقَطِع، أي: لكنْ بمشيئة الله أخَذَه في دين غيْرِ الملِك، وهو دينُ آلِ يعقوب، أن الاسترقاقَ جَزاءُ السَّارق.

وقرأ الكوفيون وابن مُحَيصن: «نَرْفَعُ» بنون «دَرجاتٍ» مُنوَّناً «مَن نَشاء» بالنون، وباقي السبعة كذلك إلا أنهم أضافوا «دَرجاتِ».

وقرأ يعقوب بالياء في «يَرْفَع، ويَشاء» أي: يَرْفَع الله درجاتِ مَن يشاء رَفْعَ دَرجاته[٤].

وقرأ عيسى البصرة: «نَرْفَعُ» بالنّون «درجاتٍ» مُنوَّناً «مَن يشاء» بالياء. قال صاحب «اللَّوامح» وهذه قراءةٌ مَرْغوبٌ عنها تلاوةً وجملةً وإنْ لم يمكن إنكارُها[٥].

وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور: «نَرفع» على ضمير المُعَظَّم، وكذلك «نشاء»، وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء، أي: الله تعالى[٦]. انتهى. ومعناه: في العِلْم؛ كما رفَعْنا درجةَ يوسف فيه.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٥-٢٦٦، وأخرج القولين الطبري ١٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦.

(٤) السبعة ٢٦١، والتيسير ١٠٤، والنشر ٢/ ٢٦٠، ٢٩٦.

(٥) انظر الدر المصون ٦/ ٥٣٤، وروح المعاني ١٢/ ٤٣٩.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦.

«وعَليم» صفة مبالَغة، وقوله: «ذي عِلْم» أي: عالم، فالمعنى أن فوقَه أرفعَ منه درجة في عِلمه، وهذا معنى قول الحسن وقتادة وابن عباس.

وعنه أن العَليم هو الله عز وجل. قيل: رُوي عنه أنه حدَّث بحديثٍ عجيب، فتعجَّب منه رجلٌ ممَّن حَضر فقال: الحمد لله «وفوقَ كلِّ ذي عِلْم عَليم» فقال له ابن عباس: بئسَ ما قلتَ! إنما العَليمُ الله، وهو فوق كلِّ ذي عِلْم[1].

وقرأ عبد الله: «وفوق كلِّ ذي عالِم»[2] فخُرِّجَت على زيادة ذي، أو على أن قولَه: «عالم» مصدرٌ بمعنى عِلْم كالباطل، أو على أنَّ التقدير: وفوق كلِّ ذي شَخْصٍ عالمٌ.

رُوي أن إخوةَ يوسف عليه السَّلام لما رأوا إخراجَ الصُّواع من رَحْل أخيهم بنيامين قالوا: يا بنيامين ابنَ راحيل، قَبَّحك الله، وَلَدت أُمُّك أخوين لِصَّين، كيف سَرقتَ هذه السِّقاية؟ فرفع يديه إلى السَّماء فقال: والله ما فعلتُ! فقالوا: فمَن وَضَعها في رَحْلِك؟! قال: الذي وَضعَ البضاعةَ في رِحالكم[3].

وقال الزمخشري ما معناه: رُموا بالسَّرقةِ تَوْريةً عمَّا جَرى مَجرى السَّرِقة من فعلهم بيوسف، و«إنْ كنتم كاذِبين» فرضٌ لانتفاء براءتهم، وفَرْضُ التَّكذيب لا يكون تكذيباً، على أنه لو صَرَّح به كما صَرَّح بالتَّسْريق لكان له وَجهٌ؛ لأنهم قالوا: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]. والكَيْدُ: حُكمُ الحِيَلِ[4] الشَّرعيَّة التي يُتَوَصَّل بها إلى مصالح ومنافعَ دينية؛ كقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] ليَتَخلَّص من جَلْدِها ولا يَحْنَث، وقولِ إبراهيم عليه السلام: «هي أختي» ليَسْلَم من يد الكافر[5]، وعَلم الله في هذه الحيلة التي لَقَّنها ليوسف مَصالحَ عظيمة،

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٢٦٨-٢٧١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٩٦، والقرطبي ١١/ ٤١٨.
(٢) مختصر في الشواذ ص٦٥، والمحتسب ١/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦.
(٤) في الكشاف ٢/ ٣٣٥: وحكم هذا الكيد حكم الحيل.
(٥) وذلك حين هاجر بسارة، فدخل قرية فيها جبار من الجبابرة، وكانت سارة أحسن الناس، فقال لها إبراهيم عليه السلام: إن هذا الجبار إنْ يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فأرسل =

فجعلَها سُلَّماً وذَريعةً إليها، فكانت حسنةً جميلةً. انتهى.

وقولهم: «إنْ يَسْرِق فقد سَرق أخٌ له من قَبْل» لا يَدلُّ على الجزم بأنه سَرق؛ بل أخرجوا ذلك مخرجَ الشَّرط، أي: إنْ كان[1] وقعت منه سَرِقة فهو يتأسَّى بمَن[2] سرقَ قبلَه، فقد سَرَق أخٌ له من قبل. والتَّعليقُ على الشَّرْط على أن السَّرِقة في حقِّ بنيامين وأخيه ليس[3] مَجزوماً بها؛ كأنهم قالوا: إنْ كان هذا الذي رُمي به بنيامين حقًّاً فالذي رُمي به يوسف من قبلُ حَقٌّ، لكنه قَوي الظنُّ عندهم في حقِّ يوسف بما ظَهر لهم أنه جَرى من بنيامين، ولذلك قالوا: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١].

وقيل: حَقَّقوا السَّرقةَ في جانب بنيامين وأخيه بحسَبِ ظاهر الأمر، فكأنهم قالوا: إنْ كان قد سَرق فغيرُ بِدْعٍ من ابنَي راحيل؛ لأن أخاه يوسف قد كان سَرق. فعلى هذا القول يكون قولُهم إنحاءً على يوسف وبنيامين.

وقيل: التقدير: فقد قيل عن يوسف إنه سَرق. وقولُهم هذا هو بحسب الظاهر والإخبار بأمرٍ جَرى، لتزولَ المَعَرَّةُ عنهم، وتختصَّ بالشقيقَين.

وتنكيرُ أخٍ في قوله: «فقد سَرق أخٌ له من قبلُ» لأن الحاضِرين لا علمَ لهم به، وقالوا له لأنه كان شَقيقَه[4].

والجمهور على أن السَّرقة التي نُسبت ليوسف عليه السلام هي أن عمَّته رَبَّتْه، وشَبَّ، وأراد يعقوب أخذَه، فأشْفَقت من فِراقه، فأخذتْ مِنْطَقَةَ[5] إسحاق ـ وكانت مُتوارَثةً عندهم ـ فنَطَّقَتْه بها من تحت ثيابه، ثم صاحت وقالت: فقَدتُ المِنْطَقة، ففتَّشت فوُجدت عند يوسف، فاسْتَرَقَّتْه حسبما كان في شَرْعهم، وبقي عندها حتى ماتت، فصار عند أبيه.

= الجبار إليه أنْ يا إبراهيم، مَن هذه التي معك؟ قال: أختي... أخرجه مطولاً البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) في (به): كانت.
(٢) في المطبوع: ممن.
(٣) في (ح به): ليست.
(٤) انظر ما سلف في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٦-٢٦٧.
(٥) ما يشدُّ به الوسط.

وقال قتادة وابن جُبَير: أمرته أُمُّه أنْ يسرقَ صَنماً ـ وفي كتاب الزَّجاج: من ذَهَب ـ لأبيها، فسَرَقه وكَسَره، وكان ذلك منها تغييراً للمُنْكَر.

وقال ابن إدريس عن أبيه: إنما أكل بنو يعقوب طعاماً، فأخذ يوسفُ عَرْقاً فنَحَّاه.

وقيل: كان في البيت عَناقٌ أو دَجاجة فأعطاها السَّائلَ[1].

وقرأ أحمد بن جُبير الأنطاكي وابن أبي سُرَيج عن الكسائي والوليد بن حَسَّان عن يعقوب وغيرُهم: «فقد سُرِّق» بالتشديد مبنيًّا للمفعول[2]، بمعنى: نُسب إلى السَّرِقة؛ بمعنى جُعل سارقاً ولم يكن كذلك حقيقةً.

والضَّمير في قوله: «فأسَرَّها» يُفَسِّره سياقُ الكلام، أي: الحَزازَة التي حَدَثت في نفسه من قولهم، كما فَسَّره في قول حاتم:

**لَعَمْرُكَ ما يُغْني الثَّراءُ عن الفتى[3] إذا حَشْرَجَت يوماً[4] وضاقَ بها الصَّدْرُ**

وقيل: أسَرَّ المُجازاة، وقيل: الحُجَّة.

وقال الزمخشري: إضمارٌ[5] على شَريطة التَّفسير، تفسيرُه: «أنتم شرٌّ مكاناً»

---

(١) العَرْق: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. والعناق: الأنثى من أولاد المَعْز ما لم يتم لها سنة. النهاية (عرق، عنق).
وانظر الأقوال السالفة في: تفسير الطبري ١٣/ ٢٧٣-٢٧٤، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٧-٢١٧٩، والثعلبي ٣/ ٣٩٧-٣٩٨، والماوردي ٣/ ٦٤-٦٥، والقرطبي ١١/ ٤١٨-٤١٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٠، والكشاف ٢/ ٣٣٥-٣٣٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٧، وزاد المسير ٤/ ٢٦٣.

(٢) مختصر في الشواذ ٦٥ عن الكسائي، ونسبها أيضاً إلى أبي ذر وابن عباس، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٦٤ إلى أبي رزين وابن أبي عبلة.
وذكرها كما عند المصنف: السمين في الدر ٦/ ٥٣٥، والآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٤٤٢.

(٣) في (زا، يه): الثرى.

(٤) في المطبوع: نفس، ولا شاهد فيه حينئذ، والشعر في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٧ (وعنه نقل)، وديوانه ١٩٩ (بتحقيق عادل جمال)، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٧٥ وفيهما: أماوي، بدل: لعمرك.

(٥) في المطبوع: اختار، وهو تحريف.

وإنما أنَّث لأن قوله: «أنتم شَرٌّ مكاناً» جملةٌ أو كلمة على تسميتهم الطَّائفة من الكلام كلِمة، كأنه قيل: فأسَرَّ الجملةَ أو الكلمة التي هي قولُه.

وقرأ عبد الله وابن أبي عَبْلَة: «فأسَرَّه» بضمير تذكير. قال الزمخشري: يريد القولَ أو الكلام[(١)]. انتهى.

والظاهر من قوله: «أنتم شَرٌّ مكاناً» خطابُهم بهذا القول في الوجه، فكأنه أسَرَّ كراهيةَ مَقالتهم، ثمَّ وَبَّخهم بقوله: «أنتم شَرٌّ مكاناً» وفيه إشارةٌ إلى تكذيبهم، ويُقوِّيه أنهم تركوا أن يَشْفَعوا بأنفسهم، وعدلوا إلى الشَّفاعة بأبيه الشيخ يعقوب عليه السلام.

وقال قوم: لم يقل يوسف هذا الكلامَ لهم مواجهةً، إنما قاله في نفسه، وهو تفسيرُ قولِه الذي أسَرَّ في نفسه[(٢)]. وهو قول الزمخشري المتقدِّم.

ومعنى «شرٌّ مكاناً» أي: منزلةً في السَّرَق؛ لأنكم سارقون بالصِّحة لسَرِقَتِكم أخاكم من أبيكم.

ومعنى «أعلمُ بما تَصِفون» يعني: هو أعلمُ بما تصفون منكم، لأنه عالم بحقائق الأمور، وكيف كانت سَرِقةُ أخيه التي أحَلْتُم سَرِقَتَه عليه.

ورُوي أن روبيل غضبَ، ووقف شعَرُه حتى خرج من ثيابه، فأمر يوسف بُنَيّاً له يَمَسُّه[(٣)]، فسَكنَ غضَبُه، فقال روبيل: لقد مَسَّني أحدٌ من ولَد يعقوب. ثم إنهم تشاوروا في مُحارَبة يوسف ـ وكانوا أهلَ قُوَّةٍ لا يُدانَون في ذلك ـ فلمَّا أحسَّ يوسفُ بذلك قام إلى روبيل، فلبَّبَه وصَرَعه، فرأوا من قوَّته ما اسْتَعظموه فعند ذلك[(٤)] ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

استَعْطفوا يوسفَ إذ كان يعقوب قد أخذَ عليهم الميثاق. ومعنى «كبيراً» في

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٦ وما قبله كله منه غير قراءة ابن أبي عبلة، فقد ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٧.

(٢) ذكرهما ابن عطية ٣/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) في (ح): بعض بنياته يمسه، وفي المطبوع: ابناً له يمسه.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٨، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٧٧-٢٧٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٧٩.

السِّنِّ أو القَدْر، وكانوا قد أعلموا يوسف بأنه كان له ابنٌ قد هلَك، وهذا شقيقُهُ يستأنِسُ به.

وخاطبوه بـ «العزيز» إذْ كان في تلك الخُطَّة[١] بعَزْلِ قِطفير أو موتِه على ما سَبق.

ومعنى «مكانَه» أي: بَدَله على جهة الاستِرْهان أو الاستعباد. قاله الزمخشري[٢].

وقال ابن عطية: يحتمل قولُهم أنْ يكون مجازاً، وهم يعلمون أنه لا يَصِحُّ أخذُ حُرٍّ بسارقٍ[٣] بدل مَن قد أحْكَمت السُّنَّة رِقَّه، وإنما هذا كما تقول لمَن تكره[٤] فعلَه: اقتُلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تُريد أنْ يقتلَك، ولكنك تُبالغ في استنزاله، وعلى هذا يتَّجه قولُ يوسف: «مَعاذَ الله» لأنه تعوُّذٌ من غير جائز.

ويحتمل أن يكون قولُهم حقيقةً، وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يُريدوا استرقاقَ حُرٍّ، فلم يبقَ إلا أن يُريدوا بذلك طريقَ الحَمالَة، أي: خُذْ أحدَنا حتى يَنصرف إليك صاحبُك، ومَقصدُهم بذلك أنْ يصلَ بنيامين إلى أبيه، ويعرفَ يعقوب جَليَّةَ الأمرِ.

وقوله: «من المُحْسِنين» وَصَفوه بما شاهدوه من إحسانه لهم ولغيرهم. أو من المحسنين إلينا في هذه اليَدِ إنْ أسْدَيْتَها إلينا. وهذا تأويلُ ابنِ إسحاق[٥].

و«مَعاذَ الله» تقدَّم الكلام عليه[٦] في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٢٣] والمعنى: وَجَب على قضيَّةِ فَتْواكم أخذُ مَن وُجِدَ الصُّواعُ في رَحْلِه واستعبادُه، فلو أخَذْنا غيرَه كان ذلك ظُلماً في مَذْهَبكم، فلمَ تطلبون ما عَرفتم أنه ظُلم، وباطنه

(١) كذا في النسخ والمطبوع والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٨ (والكلام منه)، وفي تفسير القرطبي ١١/ ٤٢٠: خاطبوه باسم العزيز إذ كان في تلك اللحظة، وهو الأشبه، والله أعلم.

(٢) في الكشاف ٢/ ٣٣٦.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٨: ليُسْتَرَقّ، وهو الأشبه.

(٤) في المطبوع: كمن يقول لمن يكره.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩، وأخرج قول ابن إسحاق: الطبري ١٣/ ٢٧٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٠.

(٦) في النسخ والمطبوع خلا (ح): فيه، والمثبت منها.

إن الله أمَرَني وأوحى إليَّ بأخْذِ بنيامين، واحتباسِه لمَصْلَحةٍ أو لمصالح جَمَّةٍ عَلمها في ذلك، فلو أخذتُ غيرَ مَن أمرَني بأخْذِه كنتُ ظالماً، وعاملاً على خِلافِ الوَحْي[1].

و«أنْ نأخُذَ» تقديره: من أنْ نأخُذَ. و«إذَنْ» جوابٌ وجَزاء، أي: إنْ أخَذْنا بدَلَه ظَلَمْنا.

ورُوي أنه قال لـمّا أيأسَهم من حَمْلِه معهم: إذا أتيتُم أباكم فاقرؤوا عليه السَّلام، وقولوا له: إن مَلِك مصرَ يدعو لك أنْ لا تموتَ حتى ترى ولدَك يوسف، ليَعلم أنَّ في أرض مصرَ صِدِّيقين مثلَه[2].

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

استَفْعَل هنا بمعنى المُجَرَّد، يَئِس واستَيْأس بمعنى واحد، نحو: سَخِر واسْتَسْخَر، وعَجِب واسْتَعْجَب، وزَعَم الزمخشري أن زيادةَ السّين والتاء في المُبالغة، قال: نحو ما مرَّ في «اسْتَعْصَم» [يوسف: ٣٢][3]. انتهى.

وقرأ ابن كثير: «اسْتَأيَسوا» استفعلوا[4]، من أَيِس مقلوباً من يئس، ودليلُ القَلْب كونُ ياء «أَيِس» لم تنقلب ألفاً لتحرُّكها وانفتاحِ ما قبلها.

ومعنى «خَلَصوا نَجِيّاً»: انفَردوا من غيرهم يُناجي بعضُهم بعضاً.

والنَّجِيُّ: فَعيل بمعنى مُفاعِل، كالخَليط والعَشير، وبمعنى المَصدر الذي هو

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٦.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨١ من قول السدي.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٣٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩، وانظر النشر ١/ ٤٠٥-٤٠٦، وجامع البيان ٢/ ٢٢٠.

التَّناجي؛ كما قيل: النَّجْوى بمعنى التَّناجي، وهو لفظٌ يُوصف به مَن له نَجْوى، واحداً كان أو جماعةً، مؤنثاً أو مذكَّراً، فهو كعَدْل[1]، ويُجمع على أَنْجِيَة؛ قال لبيد:

وشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأُفاقَةِ[2] عالياً كَعْبي وأَرْدافُ الملوكِ شُهودُ[3]

والأُفاقَة: مَبْدَى[4] آلِ النُّعمان.

وقال آخر:

إنِّي إذا ما القومُ كانوا أَنْجِيَه[5]

وتقول: قومٌ نَجِيٌّ، وهم نَجْوى تنزيلاً للمصدر مَنزلةَ الأوصاف، ويجوز أنْ يكون هم نَجِيّ من باب: هم صَديق؛ لأنه بزِنَةِ المصادر.

تَمَحَّضُوا[6] للتَّناجي ينظرون ماذا يقولون لأبيهم في شأنِ أخيهم، لهذا الذي دَهَمهم من الخَطْبِ فيه فاحتاجوا إلى التَّشاوُر.

---

(١) في (ح): كعدي، وقيدها المفسرون: كرجل عَدْل وامرأة عدل وقوم عدل، انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٨١، والكامل للمبرد ٣٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩، والدر المصون ٦/ ٥٣٨.

(٢) في (ح) وروح المعاني ١٢/ ٤٤٨: الخلافة.

(٣) شرح ديوان لبيد ٣٥، ومجاز القرآن ١/ ٣١٥، وشرح النقائض ٧٤٢، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٨١، والثعلبي ٣/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩. الأفاقة: موضع، وأرداف الملوك: الذين هم دونهم.

(٤) في (يه): مبتدأ، والمثبت من (ز١)، وهذه الجملة منهما فحسب.

(٥) نسبه ابن منظور في اللسان (نجا) إلى سُحيم بن وثيل اليربوعي، وهو بلا نسبة في نوادر أبي زيد ١٥٩، وتفسير غريب القرآن ٢٢٠، والصحاح (نجا)، وجمهرة اللغة ٢٣٥، ٨٠٩، وتهذيب اللغة ١١/ ١٩٩، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٩٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٩٩، والقرطبي ١١/ ٤٢١، والكشاف ٢/ ٣٣٦، وزاد المسير ٤/ ٢٦٦، وشرح الحماسة للمرزوقي ٦٥٦، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢١١، وشرح أبيات المغني ٧/ ٢٣١، وقال البغدادي: وهذا الرجز في غالب كتب اللغة وكتب الأدب، ولم يذكر أحد قائله. والله أعلم.

(٦) في النسخ والمطبوع خلا (ح ز١): محصوا، والمثبت منهما، وهو موافق لما في الكشاف ٢/ ٣٣٦.

و«كبيرُهم» أي: رأياً وتَدْبيراً وعلماً، وهو شمعون. قاله مجاهد. أو كبيرُهم في السّنّ، وهو روبيل. قاله قتادة. وقيل: في العقل والرَّأي، وهو يهوذا، ذَكَّرَهم الميثاقَ في قول يعقوب: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ﴾ [يوسف: ٦٦][(١)].

و«ما» زائدة، أي: ومن قبلِ هذا فَرَّطْتُم في يوسف، و«من قبلُ» متعلّقٌ بـ «فَرَّطْتُم».

وقد جَوَّزوا في إعرابه وجوهاً: أحدها أنْ تكون «ما» مصدرية، أي: ومن قبل تَفْريطكم.

قال الزمخشري: على أن محلَّ المصدر الرَّفعُ على الابتداءِ، وخبرُه الظَّرف وهو «ومن قبل» ومعناه: ووقع من قبل تَفْريطُكم في يوسف[(٢)].

وقال ابن عطية: ولا يجوز أن يكون قوله: «من قبل» مُتعلّقاً بـ «ما فَرَّطْتُم»، وإنما تكون على هذا مصدريَّة، التقدير: من قبلُ تفريطُكم في يوسف واقعٌ ومستقر[(٣)]، وبهذا التقدير[(٤)] يتعلّق قولُه: «من قبلُ». انتهى.

وهذا وقولُ الزمخشري راجعٌ إلى معنًى واحدٍ؛ وهو أنَّ «ما فَرَّطْتُم» يُقدَّر بمصدرٍ مرفوعٍ بالابتداء، و«من قبل» في موضع الخبر، وذَهَلا عن قاعدةٍ عربيّة - وحُقَّ لهما أنْ يَذْهَلا - وهي[(٥)] أن هذه الظُّروفَ التي هي غاياتٌ إذا بُنِيَتْ لا تقع أخباراً للمبتدأ جَرَّت أو لم تَجُرَّ، تقول: يومُ السَّبت مُباركٌ، والسَّفَرُ بعده، ولا يجوز: والسَّفر بعدُ، وعَمْرو وزيدٌ خلفَه، ولا يقال عمرو وزيد خلف، وعلى ما ذَكَراه يكون تَفْريطُكم مبتدأ، و«من قبل» خبر وهو مَبنيّ، وذلك لا يجوز، وهذا مُقرَّرٌ في علم العربية[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩، والكشاف ٢/ ٣٣٦-٣٣٧، وأخرج قول قتادة ومجاهد: الطبري ١٣/ ٢٨٣-٢٨٤، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨١.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٧.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩، والدر المصون ٦/ ٥٣٩: أو مستقر، وهو الأشبه.

(٤) في (ح دا زا) والمطبوع: القدر، وفي المحرر الوجيز: المقدر، والمثبت من (يه).

(٥) في النسخ والمطبوع خلا (ح): وهو، والمثبت منها.

(٦) قال السمين الحلبي في الدر ٦/ ٥٤٠: قوله: وحق لهما أن يذهلا؛ تحامل على هذين =

ولهذا ذهب أبو علي إلى أنَّ المصدرَ مرفوعٌ بالابتداء، و«في يوسف» هو الخبر، أي: كائنٌ أو مستقرٌ في يوسف[(١)].

والظاهر أن «في يوسف» معمولٌ لقوله: «فَرَّطْتُم» لا أنه في موضع خَبرٍ[(٢)].

وأجاز الزمخشري وابن عطية أن تكون «ما» مصدرية، والمصدرُ المَسْبوك في موضع نَصْب، والتقدير: ألم تعلموا أخْذَ أبيكم عليكم مَوْثقاً ومن قبلُ تَفْريطَكم في يوسف، وقَدَّره الزمخشري: وتَفْريطَكم من قبلُ في يوسف[(٣)].

وهذا الذي ذَهبا إليه ليس بجيِّد؛ لأن فيه الفصلَ بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرفٍ واحد وبين المعطوف، فصار نظيرَ: ضربتُ زيداً وبسيفٍ عَمْراً. وقد زعم أبو علي الفارسيّ أنه لا يجوز ذلك إلا في ضرورةِ الشِّعر[(٤)].

وأما تقديرُ الزمخشري: وتَفْريطَكم من قبلُ في يوسف، فلا يجوز؛ لأن فيه تقديمَ مَعْمول المَصْدر المُنْحَلِّ لحرفٍ مصدريٍّ والفعل عليه، وهو لا يجوز.

وأجاز أيضاً أن تكون موصولةً بمعنى الذي، قال الزمخشري: ومحلُّه الرَّفعُ أو النَّصبُ على الوجهَين[(٥)]. انتهى.

يعني بالرَّفعِ: أنْ يرتفعَ على الابتداء و«من قبل» الخبر، وقد ذكرنا أن ذلك لا يجوز.

ويعني بالنَّصبِ: أنْ يكون عطفاً على المصدر المُنْسَبِك من قوله: «أنَّ أباكم قد أخَذ» وفيه الفصلُ بين حرف العطف الذي هو الواو وبين المعطوف.

---

= الرجلين المعروف موضعهما من العلم، وأما قوله: إن الظرف... وانظر تتمته إن شئت، ونقله كذلك الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٤٥٠.

(١) نقله عن أبي علي: ابنُ عطية في المحرر ٣/ ٢٦٩.

(٢) قال السمين الحلبي ٦/ ٥٤١: لأن السياق والمعنى يجريان إلى تعلُّق «في يوسف» بـ «فرطتم»، فالقول بما قاله الفارسي يؤدي إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٣٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٦٩.

(٤) انظر ضرائر الشعر لابن عصفور ٢٠٦، وقال السمين ٦/ ٥٤١ بعد نقل كلام أبي حيان: هذا الرد أيضاً سبقه إليه أبو البقاء ولم يرتضه...

(٥) الكشاف ٢/ ٣٣٧.

وأحسنُ هذه الأوجه ما بَدَأنا به من كون «ما» زائدة.

وبَرِحَ التامَّة تكون بمعنى ذَهَب وبمعنى ظَهَر، ومنه: بَرِحَ الخَفاءُ، أي: ظَهر وذَهب[1]، لا ينتصبُ الظَّرفُ المكاني المختصُّ بها، إنما تصل إليه بواسطة في، فاحتيج إلى اعتقاد تضمينِ: بَرِح معنى فارق، فانتصب «الأرضَ» على أنه مفعولٌ به. ولا يجوز أن تكون ناقصة؛ لأنه لا يَنْعقدُ من اسمها و«الأرضَ» المنصوبَ على الظرف مبتدأٌ وخبر، لأنه لا يَصلُ إلا بحَرف «في»، لو قلت: زيدٌ الأرضَ؛ لم يَجُز.

وعَنى بالأرض أرضَ مصر التي فيها الواقعة، ثمَّ غيَّا ذلك بغايتَين: إحداهما خاصَّة وهي قولُه: «حتى يأذَنَ لي أبي» يعني في الانصراف إليه، والثانية عامَّة وهي قولُه: «أو يَحْكُمَ الله لي» لأنَّ إذْنَ أبيه[2] له من حُكمِ الله له في مُفارقةِ أرضِ مصر.

وكأنَّه لما علق الأمر بالغاية الخاصَّة رجع إلى نفسه فأتى بغايةٍ عامة تَفْويضاً لحُكم الله تعالى، ورُجوعاً إلى مَن له الحُكْمُ حقيقةً.

ومقصودُه: التَّضييقُ على نفسه؛ كأنه سَجَنها في القُطْر الذي أدَّاه إلى سَخَط أبيه إبلاءً لعُذْرِه، وحكم الله تعالى له بجميع أنواع العُذْر؛ كالموت، وخَلاصِ أخيه، أو انتِصافِه من أخْذِ أخيه.

وقال أبو صالح: «أو يَحْكُمَ الله لي» بالسَّيف[3] أو غيرِ ذلك.

والظاهر أن «أو يَحْكُمَ» معطوف على «يأذَنَ»، وجُوِّز أن يكون منصوباً بإضمار أنْ بعد «أو» في جواب النَّفي وهو «فلن أبْرَحَ» أي: إلا أنْ يَحْكُمَ الله لي، كقولك: لألْزَمَنَّك أو تقضِيَني حَقِّي، أي: إلا أنْ تَقْضِيَني، ومعناها ومعنى الغاية مُتقاربان.

رُوي أنهم لمَّا وَصلوا إلى يعقوب أخبروه بالقصَّة، فبكى وقال: يا بَنيَّ، ما تذهبون عنّي مرَّةً إلا نَقَصْتُم، ذهبتم فنقصتم شمعون حيث ارْتُهِن، ثم ذهبتُم فنَقَصتُم بنيامين وروبيل.

---

(١) انظر الصحاح (برح)، وغيره من كتب اللغة والأدب.
(٢) في النسخ والمطبوع غير (ز١ به): الله، والمثبت منهما.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٨٧، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٢.

والظاهر أن الأمرَ بالرُّجوع هو من قول كبيرهم، وقيل: من قولِ يوسف لهم[١].

وقرأ الجمهور: «سَرَق» ثُلاثيّاً مبنيّاً للفاعل إخباراً بظاهر الحال.

وقرأ ابن عباس وأبو رَزين والكسائي في رواية: «سُرِّق» بتشديد الراء مبنيّاً للمفعول[٢].

لم يَقْطعوا عليه بالسَّرِقة؛ بل ذكروا أنه نُسِب إلى السَّرِقة. ويكون معنى «وما شَهِدْنا إلا بما عَلِمْنا» من التَّسْرِيق «وما كنَّا للغَيْب» أي: للأمر الخفيِّ «حافِظِين» أسَرَق بالصِّحَّة أم دُسَّ الصَّاعُ في رَحْله ولم يَشْعُر؟!

وقرأ الضحَّاك: «سارِقٌ» اسم فاعل[٣].

وعلى قراءة: «سُرِّق، وسارِق» اختلف التأويل في قوله: «إلا بما عَلِمْنا»؛ قال الزمخشري: بما عَلِمْنا من سَرِقته وتَيَقَّنَّا؛ لأن الصُّواع أُخرِجَ من وِعائه، ولا شيءَ أبْيَنُ من هذا[٤].

وقال ابن عطية: أي: وقولُنا لك: «إن ابنَك سَرَق» إنما هي شهادةٌ عندك بما عَلِمْناه من ظاهر ما جَرى، والعلمُ في الغيب إلى الله تعالى، ليس ذلك في حِفْظنا. هذا قولُ ابنِ إسحاق.

وقال ابن زيد: أرادوا: وما شَهِدْنا به عند يوسف أن السَّارق يُسْتَرَقُّ في شَرْعِك إلا بما عَلِمْنا من ذلك «وما كنَّا للغَيْب حافِظِين» أن السَّرِقةَ تَخْرُج من رَحْلِ أحَدِنا، بل حَسِبنا أن ذلك لا يكون البَتَّةَ، فشَهِدنا عنده حين سألَنا بعِلْمنا.

ويحتمل قوله: «وما كنَّا للغَيْب حافِظِين» أي: حينَ واثَقْناك، إنما قَصَدْنا أنْ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٠.
(٢) مختصر في الشواذ ص٦٥، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٨٧-٢٨٨، ومعاني القرآن ٣/ ٤٥٢، وإعراب القرآن ٢/ ٣٤١ كلاهما للنحاس، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٠٠، والماوردي ٣/ ٦٧-٦٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٠، وزاد المسير ٤/ ٢٦٧، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٢٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٠.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٣٧.

لا يَقَعَ منَّا نحن في جهته شيءٌ تكرَهُه، ولم نَعلم الغيبَ في أنه سيأتي هو بما يوجبُ رِقَّه[١].

وقال الزمخشري: «وما كنَّا للغَيْب حافِظِين» وما عَلِمنا أنه يُسْتَرَقُّ[٢] حين أعْطَيناك المَوْثقَ، أو وما عَلِمنا أنَّك تُصاب كما أُصِبتَ بيوسف.

ومن غريب التفسير أن معنى قولهم: «للغَيْب» للَّيل، والغيب: الليل بلغة حِمْيرَ، وكأنهم قالوا: وما شَهِدنا إلا بما عَلِمْنا من ظاهرِ حاله، وما كنا بالليل حافِظِين لما يَقَعُ من سَرِقته هو أو التَّدليس عليه[٣].

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه بالقصَّة، وقولِ مَن قال: «ارجعوا».

ثم استشهدوا بأهلِ القرية التي كانوا فيها وهي مصر، قاله ابن عباس[٤]. أي: أرْسِل إلى القرية وسَلْ[٥] عن كُنْهِ القِصَّة.

و«العِيرَ» كانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء[٦].

والظَّاهر أن ذلك على إضْمار أهل، كأنه قيل: وسَلْ أهلَ القرية وأهلَ العِير؛ إلا إنْ أُريد بالعِير القافلَةَ فلا إضْمارَ في قوله: «والعِيرَ».

وأحالوا في توضيح القصَّة على ناسٍ حاضرين الحالَ، فيَشْهَدون بما سَمِعوا، وعلى ناس غُيَّب يُرسل إليهم فيُسْألون.

وقالت فرقة: بل أحالوه على سؤال الجَمادات والبهائم حقيقةً، ومن حيث هو نبيٌّ فلا يَبْعُد أن تُخْبِرَه بالحقيقة[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٠، وأخرج قول ابن إسحاق وابن زيد: الطبري ١٣/ ٢٨٨، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٣.
(٢) كذا في النسخ والمطبوع، وفي الكشاف ٢/ ٣٣٧: سيسرق، ولعله الأشبه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٠-٢٧١.
(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٩١، وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٧١.
(٥) في النسخ والمطبوع غير (ح ز١): واسأل، والمثبت منهما، وهما سواء.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٣٧.
(٧) ذكره ابن عطية ٣/ ٢٧١ وقال: وهذا وإن جوّز فبعيد، والأول أقوى.

وحَذْفُ المضاف هو قولُ الجمهور، قال ابن عطية: وهذا مَجاز، وحكى أبو المَعالي[١] عن بعض المُتَكلّمين أنه قال: هذا من الحَذْف وليس من المَجاز، قال: وإنما المَجاز لفظةٌ استُعيرت لغير ما هي له. قال[٢]: وحذفُ المضاف هو عَينُ المَجاز وعُظْمُه. هذا مذهب سيبويه[٣] وغيرُه، وحكى[٤] أنه قول الجمهور أو نحو هذا. انتهى.

وفي «المحصول» لأبي عبد الله محمد الرَّازي، وفي مختصراته: أن الإضمارَ والمَجاز مُتباينان ليس أحدُهما قِسْماً من الآخَر[٥].

و«بل» للإضراب، فيقتضي كلاماً محذوفاً قبلها حتى يصحَّ الإضرابُ فيها، وتقديره: ليس الأمرُ حقيقةً كما أخبرتُم «بلْ سَوَّلَت».

قال ابن عطية: والظَّاهر أن قولَه: «بل سَوَّلت لكم أنفسُكم أمْراً» إنما هو ظَنَّ سُوءاً[٦] بهم، كما كان في قصة يوسف قبلُ، فاتَّفق أن صَدَق ظنُّه هناك، ولم يتحقّق هنا.

وقال الزمخشري: بل سَوَّلتْ لكم أنفسُكم أمراً أرَدْتموه، وإلا فما أدرى ذلك الرَّجل أن السَّارقَ يؤخذُ بسَرِقته لولا فَتْواكم وتعليمُكم[٧]!؟.

وتقدَّم شَرْحُ: «سَوَّلَت» وإعرابُ «فصَبْرٌ جَميل»[٨].

ثمَّ ترجَّى من الله أنْ يَجْمَعَهم[٩] عليه، وهم يوسف وبنيامين وكبيرُهم على الخلاف الذي فيه.

---

(١) هو الجويني، قاله في التلخيص كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧١.
(٢) ابن عطية لا الجويني كما في المحرر.
(٣) انظر الكتاب ١/ ٢١١ فما بعدها، و٣/ ٢٤٧.
(٤) يعني الجويني فيما نقل ابن عطية.
(٥) انظر المحصول ١/ ٣٥٩-٣٦٠، والتحصيل للأرموي ١/ ٢٤٥.
(٦) في المطبوع: سوء، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٢٧١: سيء.
(٧) الكشاف ٢/ ٣٣٨.
(٨) في تفسير الآية (١٨) من هذه السورة.
(٩) في (يه) ومطبوع المحرر الوجيز ٣/ ٢٧١: يجبرهم.

وتَرَجِّي يعقوب للرُّؤيا التي رآها يوسف، فكان ينتظرُها ويُحْسِنُ ظَنَّه بالله في كلِّ حال، ولِما أُخْبِرَ به عن مَلِك مصر أنه يدعو له برؤية ابنه.

ووَصْفُه اللهَ بهاتين الصِّفَتَين لائقٌ بما يؤخِّره تعالى من لقاء بَنيه، وتسليمٌ لحِكمة الله فيما جَرى عليه.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

«وتوَلَّى عنهم» أي: أعْرَضَ عنهم كَراهةً لما جاؤوا به، وأنه ساء ظَنُّه بهم ولم يُصَدِّق قولَهم، وجَعلَ يَتَفَجَّع ويتأسَّف.

قال الحسن: خُصَّت هذه الأمةُ بالاستِرْجاع، ألا ترى إلى قول يعقوب: «يا أسَفى»[1].

ونادى الأسَفَ على سبيلِ المجَاز على معنى: هذا زَمانُكَ فاحْضُر.

والظاهر أنه مُضافٌ إلى ياء المتكلّم قُلبت ألفاً، كما قالوا في يا غُلامي: يا غُلاما. وقيل: هو على النُّدْبَة، وحذف الهاء التي للسَّكْت[2].

قال الزمخشري: والتَّجانُس بين لَفظتَي الأسَف ويوسف مما يقعُ مطبوعاً غيرَ مُسْتَعمل فيَمْلُح ويَبْدُع، ونحوه: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢][3]. انتهى.

ويُسمَّى هذا تجنيس التَّصريف؛ وهو أنْ تنفَرِدَ كلُّ كلمةٍ من الكلمتَيْن عن الأخرى بحرفٍ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٢، وأخرجه الطبري ١٣/ ٢٩٥، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٥ من قول سعيد بن جبير.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٢.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٣٨.

وذَكَّرَ يعقوبَ ما دهاه من أمر بنيامينَ والقائل: «لن أبْرَحَ الأرضَ» فقدانَه يوسف، فتأسَّفَ عليه وحدَه ولم يتأسَّف عليهما؛ لأنه هو الذي لا يعلم أحيٌّ هو أم مَيّت بخلاف إخوته، ولأنه كان أصلَ الرَّزايا عنده إذ تَرَتَّبت عليه، وكان أحبَّ أولاده إليه، وكان دائماً يذكُرُه ولا ينساه.

وابْيضاضُ عينيه من توالي العَبْرَة، فيَنْقَلِبُ سَوادُ العين إلى بَياضٍ كَدِر.

والظَّاهر أنه كان عَمِي لقوله: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩] فقابلَ البَصيرَ بالأعمى. وقيل: كان يُدْرِكُ إدْراكاً ضعيفاً.

وعَلَّل الابيضاضَ بالحُزن وإنما هو من البُكاءِ المُتوالي، وهو ثَمَرَةُ الحُزْن، فعَلَّل بالأصل الذي نَشأ منه البُكاء وهو الحُزْن.

وقرأ ابن عباس ومجاهد: «من الحَزَن» بفتح الحاء والزَّاي، وقتادة بضمّهما، والجمهور بضمِّ الحاء وإسْكان الزاي[١].

«والكَظيم» إمَّا للمُبالغة وهو الظَّاهر اللَّائقُ بحال يعقوب، أي: شَديد الكَظْم؛ كما قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ولم يَشْكُ يعقوب إلى أحدٍ، وإنَّما كان يَكْتُمه في نفسه، ويُمسِكُ هَمَّه في صدره، فكان يَكْظِمُه، أي: يَرُدُّه إلى قلبه، ولا يُرْسِلُه بالشَّكوى والغَضَب والضَّجَر، وإمّا أن يكون فَعيلاً بمعنى مَفْعول، وهو لا يَنْقاس، وقاله قومٌ، كما قال في يونس: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨][٢].

قال ابن عطية: وإنما يتَّجه على تقدير أنه مُلئ بحُزْنه؛ فكأنه كَظَم حُزْنَه في صَدْره، وفَسَّر ناسٌ الكَظيم بالمَكْروب وبالمَكْمود[٣].

ورُوي أنه ما جَفَّت عيناه من فِراقِ يوسفَ إلى لقائه ثمانين عاماً، وأنَّ وَجْدَه عليه وَجْدُ[٤] سبعين ثَكْلى، وأجْرَه أجْرُ مئةِ شَهيد[٥].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٢.
(٢) ذكر الوجهين ابن عطية، واقتصر الزمخشري ٢/ ٣٣٩ على الثاني منهما.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٢.
(٤) في (ح): كوجد.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٣٩، وأخرجه الطبري ١٣/ ٣٠٧، ٣١٣ من قول الحسن.

وقال الزمخشري: «فهو كَظيم»: فهو مَمْلوءٌ من الغَيْظِ على أولاده، ولا يُظْهِر ما يَسُوءُهم[(١)]. انتهى. وقد ذكرنا أن فَعيلاً بمعنى مفعول لا يَنْقاس.

وجوابُ القَسَم: «تَفْتَأ» حُذِفَت منه لا، وحذفُها[(٢)] جائزٌ، والمعنى: لا تزال.

وقال مجاهد: لا تَفْتُر من حُبِّه؛ كأنه جعل الفُتوء والفُتورَ أخوَين.

والحَرَض: الذي قد دَنا موتُه. وقال مجاهد: ما دون الموت. وقال قتادة: البالي الهَرِم. وقال نحوه الضحَّاك والحسن. وقال ابن إسحاق: الفاسدُ الذي لا عَقْلَ[(٣)] له.

وكأنهم قالوا له ذلك على جهةِ تَفْنيدِ الرَّأي، أي لا تزالُ تذكرُ يوسف إلى حال القُرْبِ من الهلاك، أو إلى أنْ تَهْلِكَ، فقال هو عليه السلام: «إنما أشكو بَثِّي وحُزْني إلى الله» أي: لا أشكو إلى أحدٍ منكم ولا غيرِكم.

وقال أبو عُبيدة وغيره: البَثُّ: أشَدُّ الحُزْن[(٤)]، سُمِّي بذلك لأنه من صُعوبته لا يُطيق حَمْلَه فيَبُثُّه، أي: يَنْشُرُه.

وقرأ الحسن وعيسى: «وحَزَني» بفتحتين، وقرأ قتادة بضمَّتَين[(٥)].

«وأعلم من الله ما لا تعلمون» أي: أعلم من صُنْعِه ورَحْمتِهِ وحُسْنِ ظَنِّي به أنه يأتي بالفرج من حيث لا أحتَسِب. قاله الزمخشري[(٦)].

وقال ابن عطية: ويحتمل أنه أشار إلى الرُّؤيا المنتَظَرَة، أو إلى ما وقع في نفسه من قول مَلِك مصر: إني أدعو له برؤيةِ ابنِه قبلَ الموت[(٧)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٩.

(٢) في المطبوع: لأن حذفها.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٣٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٣، وأخرج الأقوال الطبري ١٣/ ٢٩٨، ٣٠٢-٣٠٤، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٧-٢١٨٨.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣١٧، وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٣، وزاد المسير ٤/ ٢٧٣.

(٥) مختصر في الشواذ ص٦٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٣، والكشاف ٢/ ٣٤٠.

(٦) في الكشاف ٢/ ٣٤٠.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٤.

وقيل: رأى مَلَكَ الموتِ في منامه فسأله: هل قبَضْتَ رُوحَ يوسف؟ فقال: لا، هو حيٌّ فاطلُبْه[١].

«اذهبوا» أمرٌ بالذَّهاب إلى الأرض التي جاؤوا منها وتركوا بها أخوَيْهم بنيامين والمقيم بها، وأمَرَهم بالتَّحَسُّس وهو الاستقصاء والطَّلَب بالحَواسّ، ويُستعمل في الخير والشّرّ.

وقرئ بالجيم كالذي في «الحجرات» ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الآية: ١٢][٢].

والمعنى فتَحَسَّسوا نَبأً من أمر يوسف وأخيه، وإنما خَصَّهما لأن الذي أقام وقال: «فلنْ أبْرَحَ الأرضَ» إنما أقام مُختاراً.

وقرأ الجمهور: «تَيْأَسُوا» وفرقة: «تأْيَسوا»، وقرأ الأعرج: «تِيْئَسوا» بكسر التاء[٣].

ورَوْح الله: رَحْمَتُه وفَرَجُه وتَنْفيسُه.

وقرأ عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة: «من رُوح الله» بضمِّ الراء[٤].

قال ابن عطية: وكأنَّ معنى هذه القراءة: لا تَيْأَسوا من حيٍّ معه رُوحُ الله الذي وَهَبه، فإن مَن بقي رُوحُه يُرْجى، ومن هذا قولُ الشاعر:

وفي غيرِ مَن قدْ وارَتِ الأرضُ فاطْمَعِ[٥]

ومن هذا قول عَبيد بن الأبْرَص:

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ[٦]

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٩-٢١٩٠، والثعلبي ٣/ ٤٠٤، والقرطبي ١١/ ٤٣٦، وزاد المسير ٤/ ٢٧٥، والكشاف ٢/ ٣٤٠.
(٢) نسبها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ص٦٥ إلى النخعي، وذكرها الزمخشري ٢/ ٣٤٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٤.
(٤) المحتسب ١/ ٣٤٨، والكشاف ٢/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٤.
(٥) صدره: عن الدهر فاصفح إنه غير معتب، وهو لأرطاة بن سُهية من قصيدة يرثي فيها ابناً له، انظر التعازي والمراثي للمبرد ١٣٩-١٤٠، وأمالي الزجاجي ٦٣-٦٤، والأغاني ١٣/ ٣٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٩٤.
(٦) ديوان عبيد ٢٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٤.

وقال الزمخشري: «من رُوح الله» بالضمّ، أي: من رَحمته التي تحيا[1] بها العباد. انتهى.

وقرأ أُبيّ: «من رَحْمةِ الله»، وعبدُ الله: «من فَضْل الله»[2] وكلاهما تفسيرٌ لا قرآن، وكأن اليأسَ من رحمة الله من صفات الكافر؛ إذْ فيه التَّكذيبُ بالرُّبوبية، أو الجهلُ بصفات الله.

❀ ❀ ❀

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا
ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ
ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ
لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ
لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ
عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ
رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ
ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ

(١) في (ز١): يُحيي، وانظر الكشاف ٢/ ٣٤٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥.

وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم
مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ
كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ
فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

المفردات المُزْجاة: المَدْفوعة يَدْفَعُها كلُّ تاجرٍ رَغْبةً عنها واحتقاراً، من أَزْجَيْتُه: إذا دَفَعْتَه وطرَدْتَه، والرِّيحُ تُزْجي السَّحابَ[1]، وقال حاتم الطَّائي:

لِيَبْكِ على مِلْحانَ ضَيفٌ مُدَفَّعٌ  وأرملةٌ تُزْجي مع الليلِ أرْمَلا[2]

الإيْثار: لفظٌ يَعُمُّ جميعَ التَّفَضُّلِ وأنواع العَطايا.

التَّثْريب: التَّأْنيب والعَتْب، وعَبَّر بعضُهم عنه بالتَّعْيير، ومنه: «إذا زَنَت أمَةُ أحدِكم فلْيَجْلِدْها ولا يُثَرِّب» أي: لا يُعَيِّر[3].

وأصلُه من الثَّرْب، وهو الشَّحْمُ الذي هو غاشِيَةُ الكَرِش، ومعناه: إزالةُ الثَّرْب؛ كما أن التَّجليدَ والتَّقْريعَ إزالةُ الجِلْد والقَرَع؛ لأنه إذا ذهبَ كان ذلك غايةَ الهُزال، فضُرب مثلاً للتَّقريع الذي يُمزِّقُ الأعراضَ، ويُذهِب بَهاءَ الوَجْهِ[4].

الفَنَد: الفَساد، قال الشاعر:

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٠.
(٢) ديوان حاتم ٢٦٨، وتفسير الطبري ١٣/ ٣١٧، والثعلبي ٣/ ٤٠٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨، وأخرجه أحمد (١٠٤٠٥)، والبخاري (٢١٥٢)، ومسلم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٤٢، وانظر الصحاح (ثرب، قرع).

إلا سُـلَـيـمـانَ إذْ قـالَ الإلـهُ لـه قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ[١]

وفَنَّدتُ الرَّجُلَ: أفسَدْتُ رأيَهُ ورَدَدْتُه، قال الشَّاعر:

يـا عـاذِلَـيَّ دَعَـا لَـوْمـي وتَـفْـنـيـدي فليسَ ما قُلْتُ[٢] من أمرٍ بمَرْدُودِ[٣]

وأفْنَدَ الدَّهرُ فُلاناً: أفْسَدَه، قال ابنُ مُقْبِل:

دَعِ الـدَّهْـرَ يَـفْـعَـلْ مـا أرادَ فـإنـه إذا كُـلِّـفَ الإفْـنـادَ بـالـنَّـاس أفْـنَـدا[٤]

القديم: الذي مَرَّت عليه أعْصار، وهو أمرٌ نسبي.

البَدْو: البادية، وهي خِلافُ الحاضرة.

* * *

التفسير ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

في الكلام حذفٌ تقديرُه: فذَهبوا من الشام إلى مصر ودخلوها، فلما دخلوا عليه، والضّمير في «عليه» عائدٌ على يوسف، وكان آكَدَ ما حَدَّثوه فيه شَكْوى ما أصابَهم من الجَهْد قبل ما وَصَّاهم به من تَحَسُّسِ نبأ يوسف وأخيه.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ١٣ (بشرح ابن السكيت)، والنكت والعيون ٣/ ٧٧، والكشف والبيان ٣/ ٤١٠، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٤٨. قوله: فاحددها: فامنعها ورددها.

(٢) كذا في النسخ جميعها والمطبوع، والذي في مصادر التخريج: فات، وهو الصواب، وأظن ما في البحر من تصحيفات النساخ، والله أعلم، وانظر التعليق الآتي.

(٣) نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٣١٨ إلى هانئ بن شكيم العدوي، وهو في ديوان بشار بن برد ٢/ ١٤٦ (بشرح الطاهر بن عاشور) مطلع قصيدة، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٦، والثعلبي ٣/ ٤١٠، والماوردي ٣/ ٧٧، والقرطبي ١١/ ٤٤٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩.

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٦، والثعلبي ١٣/ ٤١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٥٠، وروايته في ديوان ابن مقبل ٦٠:

إذا كـلـف الإفـسـاد بـالـنـاس أفـسـدا

ولا شاهد فيه حينئذ.

والضُّرُّ: الهُزالُ من الشِّدَّة والجُوع.

والبِضاعةُ كانت زيوفاً. قاله ابن عباس، وقال الحسن: قليلة، وقال ابن جُبَير: ناقصة، وقيل: كانت عُروضاً؛ قيل: كانت صوفاً وسَمْناً، وقيل: صَنوبراً وحَبَّة الخَضْراء وهي الفُسْتُق. قاله أبو صالح وزيد بن أسْلَم، وقيل: سَويق المُقْل والأقِط، وقيل: قَديد وحش[1]، وقيل: حِبالاً وأغدالاً وأقْتاباً.

ثم التمسوا منه إيفاءَ الكَيْلِ، وقد استُدلَّ بهذا على أن الكَيْلَ على البائع، ولا دَليلَ فيه[2].

«وتَصَدَّقْ علينا» أي: بالمُسامَحة والإغْماضِ عن رَداءةِ البِضاعة، أو زِدْنا على حَقِّنا، فسَمَّوا ما هو فَضْلٌ وزيادةٌ لا تَلْزَمُه صَدَقةً؛ قيل: لأن الصَّدقات مُحَرَّمةٌ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: كانت تَحِلُّ لغير نبينا ﷺ، وسُئل ابن عُيَيْنة عن ذلك فقال: ألم تسمع: «وتَصَدَّق علينا»[3]؟ أراد أنها كانت حلالاً لهم.

قال الزمخشري: والظاهر أنهم تَمَسْكَنوا له، وطَلبوا أنْ يتصدَّق عليهم، ومن ثَمَّ رَقَّ لهم ومَلَكَتْه الرَّحمةُ عليهم، فلم يَتمالكْ أنْ عَرَّفَهم نفسَه، وقوله: «إن الله يَجزي المُتَصَدِّقين» شاهدٌ لذلك لذكر الله وجزائه[4]. انتهى.

وقيل: كانت الصَّدقةُ مُحَرَّمةً، ولكن قالوها تجَوُّزاً استِعطافاً منهم له في المُبايَعة، كما تقول لمن ساوَمْتَه في سِلْعةٍ: هَبْني من ثَمنها كذا، فلم تقصِد أنْ يَهَبَك، وإنما حَسَّنْتَ معه الأفعال[5] حتى يَرجِعَ معك إلى سَوْمِكَ.

وقال ابن جُرَيج: إنما خَصُّوا بقولهم: «وتَصَدَّق علينا» أمرَ أخيهم بنيامين، أي:

---

(١) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥، والذي في تفسير القرطبي ١١/ ٤٣٩: كانت قديداً وحَيْساً. وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٣/ ٣١٧-٣٢٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩١-٢١٩٢، والثعلبي ٣/ ٤٠٥-٤٠٦، والماوردي ٣/ ٧٢-٧٣، والقرطبي ١١/ ٤٣٩، والكشاف ٢/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥، وزاد المسير ٤/ ٢٧٧.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٤٠.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٢٥.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٤٠ وما قبله منه.

(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦ والكلام منه: حسنت له الانفعال.

أوْفِ لنا الكَيلَ في المُبايَعة، وتَصَدَّق علينا بَردِّ أخينا على أبيه(١).

وقال النَّقاش في قوله: «إن الله يَجْزي المُتصَدِّقين» هو من المَعاريض التي هي مَنْدُوحَةٌ عن الكَذِب، وذلك أنهم كانوا يَعتقدونه مَلِكاً كافراً على غير دينهم، ولو قالوا: إن الله يَجْزيك بصَدَقتِك في الآخرة كَذَبوا، فقالوا له لَفْظاً يُوهمُ أنهم أرادوه، وهم يَصِحُّ لهم إخراجُه منه بالتَّأويل(٢).

ورُوي أنهم لما قالوا له: «مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ» واستَعْطَفوه رَقَّ لهم ورَحِمَهم، قال ابن إسحاق: وارْفَضَّ دَمْعُه باكياً(٣)، فشَرَع في كَشْفِ أمرِه إليهم، فيُروى أنه حَسَر قِناعَه وقال لهم: «هل عَلِمتُم ما فعلتُم بيوسُفَ وأخيه» أي: من التَّفريق بينهما في الصِّغَر وإذايَةِ بنيامين بعد مَغيب يوسف، وكانوا يُذِلُّونه ويَشْتمونه.

قال ابن عطية: ونَسبهم إمَّا إلى جَهْلِ المَعْصية، وإمَّا إلى جَهْلِ الشَّباب(٤) وقِلَّة الحِنْكة.

وقال الزمخشري: أتاهم من جِهةِ الدِّين، وكان حَليماً مُوَفَّقاً، فكَلَّمَهم مُستفهِماً عن معرفة وَجْهِ القُبْحِ الذي يجب أنْ يُراعيَه التَّائب، فقال: «هل عَلمتُم» قُبْحَ «ما فعلتُم بيوسفَ وأخيه إذ أنتم جاهلون» لا تعلمون قُبْحَه، فلذلك أقدَمْتُم عليه؟! يعني: هل علمتم قُبْحَه فتبتُم إلى الله منه، لأن عِلْمَ القُبْحِ يدعو إلى الاستِقْباح، والاستقباح يَجُرُّ إلى التَّوبة، فكان كلامُه شَفَقةً عليهم، وتَنَصُّحاً لهم في الدِّين، وإيثاراً لحقِّ الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يَتَنَفَّسُ فيه المَكْروب، ويَنْفُثُ المَصْدور، ويَشْتَفي المَغيظُ المُحْنَق، ويُدرِكُ ثأرَه المَوْتور، فللّه أخلاقُ الأنبياء ما أوْطَأها وأسْمَحَها، ولله حَصى عُقولِهم ما أرْزَنَها وأرْجَحَها(٥). انتهى.

وقيل: لم يُرِدْ نَفْيَ العلم عنهم لأنهم كانوا عُلَماء، ولكنَّهم لما فَعلوا ما لا يَقْتَضيه العلم، ولا يُقْدِم عليه إلا جاهل؛ سَمَّاهم جاهلين.

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٢٦ وقال: وليس بالقول المختار.
(٢) نقله عن النقاش: ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٢٧.
(٤) في المطبوع: السيئات، وانظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦ وما قبله منه.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٤٠-٣٤١، وما بعده منه.

وفي «التحرير» ما لُخِّص منه، وهو أن قول الجمهور: «هل علمتم» استفهامٌ معناه التَّقريرُ[١] والتَّوبيخ، ومُرادُه تعظيمُ الواقعة، أي: ما أعظمَ ما ارتكبتُم من يوسف، كما يُقال: هل تدري مَن عَصيتَ؟

وقيل: «هل» بمعنى قد؛ لأنهم كانوا عالِمين.

وفِعلُهم بيوسف: إفرادُه من أبيه[٢]، وقولُهم بأن الذئبَ أكَلَه، وإلقاؤه في الجُبِّ، وبَيْعُه بثَمَنٍ بَخْسٍ إنْ كانوا هم الذين باعوه، وقولُهم: «إنْ يَسْرِق فقد سَرَق أخٌ له من قبلُ».

والذي فَعلوا بأخيه: أذاهم له، وجَفاؤهم له، واتِّهامُه بسَرِقَةِ الصَّاع، وتَصريحُهم بأنه سَرَق.

ولم يذكر لهم ما آذَوْا به أباهم تعظيماً لقَدْرِه، وتفخيماً لشأنه أن يَذكُرَه مع نفسه وأخيه.

قال ابن عباس والحسن: جاهلون: صِبيان، وقال مقاتل: مُذنِبون، وقيل: جاهلون بما يجب له من بِرِّ الأب وصِلَةِ الرَّحِم وتَرْكِ الهوى، وقيل: جاهلون بما يؤول إليه أمرُ يوسف، وقيل: جاهلون بالفكرِ في العاقبة، وعدمِ النَّظَر إلى المَصْلَحَة[٣].

وقال المفسرون: وغرضُ يوسفَ توبيخُ إخوته وتأنيبُهم على ما فعلوا في حقِّ أبيهم، وفي حق أخوَيْهم، قال: والصَّحيح أنه قال ذلك تأنيساً لقلوبهم وبَسْطَ عُذْرٍ، كأنه قال: إنما أقْدَمَكم على ذلك الفعلِ القَبيح جَهالةُ الصِّبا أو الغُرور، وكأنه لَقَّنَهم الحُجَّة، كقوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦][٤].

وما حكاه ابن الهَيْصَم في قصته من أنه صَلَبهم، والثعلبي[٥] في حكايته أنه

(١) في المطبوع: التقريع.
(٢) في النسخ والمطبوع خلا (ح): أبيهم، والمثبت منها.
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٠٧، وزاد المسير ٤/ ٢٨٠.
(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨/ ٢٠٧.
(٥) انظر تفسيره ٣/ ٤٠٦.

غضب عليهم فأمر بقتْلهم، فبكَوا وجَزِعوا، فرَقَّ لهم وقال: «هل عَلمتم» الآية: لا يَصحُّ البتَّة، وكان يوسف من أرَقِّ خلق الله، وأشْفَقِهم على الأجانب، فكيف مع إخوته؟ ولما اعترفوا بالخطأ قال: «لا تَثْريبَ عليكم» الآية.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

لمَّا خاطبهم بقوله: «هل علمتم» أدركوا أنه لا يَسْتَفهم مَلِكٌ لم ينشأ عندهم، ولا تتبَّع أحوالَهم، وليس منهم فيما يَظْهَر إلا وعنده علمٌ بحالهم، فيقال: إنه كان يُكلِّمُهم من وراء حِجاب، فرفَعَه ووضعَ التَّاج وتَبسَّم، وكان يضيءُ ما حولَه من نور تَبسُّمِه. أو رأَوا لَمْعةً بيضاءَ كالشَّامة في فَرْقه حين وَضَع التاج، وكان مثلُها لأبيه وجدِّه وسارة، فتوَسَّموا أنه يوسف، واستفهموه استفهامَ اسْتِخبار، وقيل: استفهام تقريرٍ؛ لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سَبق ذِكرُها.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف عرفوه؟ قلت: رأَوا في رُوائه وشمائله حين كلَّمهم بذلك ما شَعروا به أنه هو، مع عِلمهم بأنَّ ما خاطبهم به لا يَصْدُر إلا عن حَنيفٍ مُسْلمٍ من سِنْخ[1] إبراهيم عليه السلام، لا عن بعضِ أعِزَّاء مصر[2].

وقرأ الجمهور: «أئِنَّك» على الاستفهام، والخلاف في تحقيق الهمزتين أو تليين الثانية وإدخال ألف في التليين أو التحقيق مذكور في القراءات السَّبع.

وقرأ قتادة وابن مُحَيْصن وابن كثير: «إنَّك» بغير همزة استفهام[3].

---

(١) في المطبوع: نسل، والسِّنخ: الأصل.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٤١-٣٤٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٦-٢٧٧، والسبعة ٣١ ٥، والتيسير ١٣٠، والنشر ١/ ٣٧٢، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٢٨، والثعلبي ٣/ ٤٠٧، والقرطبي ١١/ ٤٤٣، وزاد المسير ٤/ ٢٨٠، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة.

والظاهر أنها مُرادة، ويَبْعُدُ حَملُه على الخَبَر المَحْض، وقد قاله بعضُهم لتَعارُضِ الاستفهام والخبر إن اتَّحد القائلون في القول، وهو الظاهر، فإنْ قُدِّر أنَّ بعضاً استفهم وبعضاً أخبر، ونُسب في كلٍّ من القراءتين إلى المجموع قولُ بعضهم أمْكَنَ، وهو مع ذلك بعيد.

وقرأ أُبيّ: «أئنَّك أوْ أنتَ يوسف»[(١)] وخرَّجه ابن جنّي على حذف خبر إنَّ وقَدَّره: أئنَّك لغيرُ[(٢)] يوسف، أوْ أنت يوسف، وقدَّره الزمخشري: أئنَّك يوسف، أوْ أنت يوسف، فحُذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، قال: وهذا كلامُ مُتَعَجِّبٍ مُسْتَغْرِبٍ لما يسمع، فهو يُكرِّر الاستثبات[(٣)]. انتهى.

وحكى أبو عمرو الدَّاني في قراءة أُبيّ بن كعب قالوا: «أوَ أنت يوسف»[(٤)].

وفي قراءة الجمهور: «أئنَّك لأنت يوسف» يجوز أن تكون اللام دخلت على أنت وهو فصل، وخبر إنّ: يوسف، كما تقول: إن كان زيد لهو الفاضل، ويجوز أن تكون دخلت على أنت وهو مبتدأ، ويوسف خبره، والجملة في موضع خبر إنَّ، ولا يجوز أن يكون «أنت» توكيداً للضمير الذي هو اسم إنَّ، لحَيْلولة اللام بينهما.

ولمَّا استَفْهموه أجابهم فقال: أنا يوسف، كاشفاً لهم أمرَه، وزادَهم في الجَواب قولَه: «وهذا أخي» لأنه سَبق قوله: «هل علمتُم ما فعلتم بيوسفَ وأخيه» وكان في ذكر أخيه بيانٌ لِمَا سألوا عنه وإنْ كان مَعْلوماً عندهم، وتوطئةٌ لِمَا ذَكر بعدُ من قوله: «قد مَنَّ الله علينا» أي: بالاجتماع بعد الفُرْقَة، والأُنْسِ بعد الوَحْشَة.

ثم ذَكر أن سَبب مَنِّ الله عليه هو بالتَّقوى والصَّبر. والأحسن أنْ لا تُخَصَّ التَّقوى بحالةٍ ولا الصَّبر.

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٣٢٨، والثعلبي ٣/ ٤٠٧، والمحتسب ١/ ٣٤٩، والكشاف ٢/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧.
(٢) في النسخ والمطبوع خلا (ح ز١): لأنت، بدل: لغير، والمثبت منهما، وانظر المحتسب ١/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٤٠.
(٤) نقله عن الداني: ابن عطية في المحرر ٣/ ٢٧٧.

وقال مجاهد: مَن يتَّقي في تَرْكه المعصية، ويَصْبر في السِّجن. وقال النَّخَعي: مَن يتَّقي الزِّنا، ويَصْبر على العُزوبة. وقيل: مَن يتَّقي الله ويَصْبر على المصَائب.

وقال الزمخشري: «مَن يتَّقِ» مَن يَخَفِ الله وعقابَه، ويَصْبر عن المعاصي وعلى الطَّاعات[١].

وقيل: مَن يَتَّقي معاصيَ الله، ويَصْبِرْ على أذى الناس. وهذه كلُّها تخصيصاتٌ بحسَب حالة يوسف ونَوازِلِه[٢].

وقرأ قنبل: «مَن يَتَّقي»[٣] فقيل: هو مجزوم بحذف الياء التي هي لامُ الكلمة، وهذه الياء إشْباعٌ.

وقيل: جَزَمه بحذْف الحركة، على لُغة مَن يقول: لم يَرْمي زيدٌ، وقد حَكَوا ذلك لُغةً.

وقيل: هو مرفوع، و«مَن» موصول بمعنى الذي، وعُطف عليه مجزوم وهو «ويَصْبِرْ» وذلك على التَّوَهُّم؛ كأنه توهَّم أن «مَن» شرطية، و«يتقي» مجزوم.

وقيل: «ويَصْبِرْ» مرفوع عطفاً على مرفوع، وسُكِّنت الرّاء لا للجَزْم؛ بل لتَوالي الحركات وإنْ كان ذلك من كلمتين، كما سُكِّنت في يأمُرْكم، ويُشْعِرْكم، وبُعولَتْهُنَّ[٤]، أو مُسَكَّناً للوقف، وأُجريَ الوصلُ مجرى الوقف.

والأحسنُ من هذه الأقوال أنْ يكون «يتقي» مجزوماً على لُغةٍ وإنْ كانت قليلة، ولا يُرْجَع إلى قول أبي علي قال: وهذا مما لا يُحمَل عليه؛ لأنه إنما يجيءُ في الشِّعر لا في الكلام[٥]، لأن غيرَه من رؤساء النحويين قد نقلوا أنه لُغةٌ.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٢.

(٢) انظر الأقوال السالفة في: تفسير الطبري ١٣/ ٣٢٨-٣٢٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٤، والثعلبي ٣/ ٤٠٨، والماوردي ٣/ ٧٤، والقرطبي ١١/ ٤٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧، وزاد المسير ٤/ ٢٨١-٢٨٢.

(٣) يعني بإثبات الياء، وقنبل هو راوي ابن كثير، انظر السبعة ٣٥١، والتيسير ١٣١، والنشر ١/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧.

(٤) سورة البقرة (٦٧)، والأنعام (١٠٩)، والبقرة أيضاً (٢٢٨).

(٥) الحجة ٤/ ٤٤٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧.

و«المُحسِنين» عامٌّ يَنْدرِج فيه مَن تقدَّم. أو وُضِع موضعَ الضَّمير لاشتماله على المُتَّقين والصَّابرين؛ كأنه قيل: لا يُضيعُ أجْرَهم.

و«آثَرَكَ» فَضَّلك بالمُلك، أو بالصَّبر والعلم، قالهما ابن عباس. أو بالحِلْم والصَّفح، ذكره أبو سليمان الدّمشقي[١].

أو بحُسن الخَلْق والخُلُق والعِلم والحِلم والإحسان والمُلك والسُّلطان، وبصَبْرِك على أذانا، قاله صاحب «الغنيان».

أو بالتَّقوى والصَّبر وسيرة المُحسنين، قاله الزمخشري[٢]، وهو مُناسبٌ لقوله: «إنه مَن يَتَّق» الآية.

وخِطابُهم إيَّاه بذلك استنزالٌ لإحسانه، واعترافٌ بما صَدَرَ منهم في حقِّه.

وخاطئين: من خَطِئ إذا تعمَّد، وأمَّا أخطأ: فقَصَد الصَّوابَ ولم يُوَفَّق له[٣].

و«لا تَثْرِيبَ» لا لَوْمَ ولا عُقوبةَ. و«تَثْريبَ» اسم «لا» و«عليكم» الخبر، و«اليوم» منصوب بالعامل في الخبر، أي: لا تَثْريبَ مُسْتقِرٌّ عليكم اليوم.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: بمَ تعلَّق «اليوم»؟ قلت: بالتَّثريب، أو بالمُقَدَّر في «عليكم» من معنى الاستقرار، أو بـ «يَغْفر»، والمعنى: لا أُثَرِّبُكم اليوم، وهو[٤] اليومُ الذي هو مَظِنَّةُ التَّثريب، فما ظَنُّكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال: «يَغْفرُ الله لكم» فدعا لهم بمغفرةِ ما فَرَط منهم، يُقال: غَفَر الله لك ويغفر الله لك، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قولُ المُشَمِّت: يَهْديكم الله ويُصْلحُ بالَكم، أو اليوم يغفر الله لكم؛ بشارةً بعاجلِ الغُفران لِما تَجَدَّد يومئذٍ من توبتهم ونَدمِهم على خطيئتهم[٥]. انتهى.

أمَّا قوله: إن «اليوم» يتعلَّق بالتَّثريب، فهذا لا يجوز؛ لأن التّثريبَ مصدر،

---

(١) زاد المسير ٤/ ٢٨٢.
(٢) في الكشاف ٢/ ٣٤٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٧.
(٤) في المطبوع: وهذا.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٤٢.

وقد فُصل بينه وبين معموله بقوله: «عليكم»، و«عليكم» إمَّا أن يكون خبراً، أو صفةً لـ «تثريب» ولا يجوز الفصلُ بينهما لأن معمولَ المصدر من تمامه، وأيضاً لو كان «اليوم» مُتعلّقاً بـ «تثريب» لـم يَجُز بناؤه، وكان يكون من قبيل المُشَبَّه بالمضاف، وهو الذي يُسمَّى المُطَوَّل ويُسمَّى المَمْطول، فكان يكون مُعْرَباً مُنوَّناً.

وأمَّا تقديرُه الثاني فتقديرٌ حَسَن؛ ولذلك وقف على قوله: «اليوم» أكثرُ القُرَّاء؛ وابتدؤوا «يَغْفرُ الله لكم» على جِهةِ الدُّعاء، وهو تأويلُ ابنِ إسحاق والطَّبري[1].

وأمَّا تقديرُه الثالث وهو أن يكون «اليوم» متعلِّقاً بـ «يغفر» فمَقُول، وقد وقف بعضُ القرّاء على «عليكم» وابتدأ «اليومَ يَغفرُ الله لكم» قال ابن عطية: والوَقْفُ على اليوم أرجحُ في المعنى، لأن الآخَرَ فيه حُكمٌ على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك بوَحْي[2].

وأما قولُه: فبشارة إلى آخره، فعلى طريق المعتزلة، فإن الغُفْران لا يكون إلا لمَن تاب.

وقال ابن الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم لأنه أوَّلُ أوقات العَفْوِ، وسبيلُ العافي في مثله أن لا يُراجعَ عُقوبةً[3].

وأجاز الحَوْفيّ أن يكون «عليكم» في موضع الصِّفة لـ «تثريب» ويكون الخبر «اليوم» وهو وجهٌ حَسنٌ.

وقيل: «عليكم» بيانٌ كـ: لك في قولهم: سَقْياً لك، فيتعلَّق بمحذوف.

ونَصُّوا على أنه لا يجوز أنْ يتعلَّق «عليكم» بـ «تثريب» لأنه كان يُعرَب فيكون مُنوَّناً؛ لأنه يصير من باب المُشَبَّه بالمضاف، ولو قيل: إن الخبرَ محذوف، و«عليكم» مُتعلِّقٌ بمحذوف يدلُّ عليه «تَثْريبَ» وذلك المحذوف هو العامل في «اليوم» وتقديرُه: لا تَثْريبَ يُثَرَّبُ عليكم اليوم، كما قدَّروا في ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنَ

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٣١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨، وانظر تفسير القرطبي ١١/ ٤٤٥.
(٣) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٨٢ عن ابن الأنباري.

أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣] أي: يَعْصِمُ اليوم لكان وجهاً قويًّا؛ لأن خبر «لا» إذا عُلم كَثُر حَذْفُه عند أهل الحجاز، ولم يَلْفظ به بنو تميم.

ولمَّا دَعا لهم بالمغفرة أخْبر عن الله بالصّفة التي هي سببُ الغُفران، وهو أنه تعالى أرحمُ الرُّحَماء، فهو يرجو منه قَبولَ دُعائه لهم بالمغفرة.

والباء في «بقَميصي» الظاهر أنها للحال، أي: مَصْحوبين أو مُلْتَبِسين به، وقيل: للتَّعْدِية، أي: اذهبوا قميصي، أي: احملوا قميصي.

قيل: هو القميص الذي توارَثَه يوسف، وكان في عُنُقه، وكان من الجنة، أمره جبريل عليه السلام أنْ يُرْسلَه إليه فإن فيه ريحَ الجنة، لا يقع على مُبتَلى ولا سَقيم إلا عُوفي.

وقيل: كان لإبراهيم، كساه الله إيَّاه من الجنة حين خرج من النار، ثم لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم ليوسف.

وقيل: هو القميص الذي قُدَّ من دُبُرٍ، أرْسلَه ليُعلِمَ يعقوب أنه عُصِم من الفاحشة(١).

والظاهر أنه قميصٌ من مَلْبوس يوسف بمنزلة قميصِ كلِّ أحدٍ. قال ابن عطية(٢): وهكذا تَبِينُ الغَرابةُ في أنْ وَجدَ يعقوبُ ريحَه من بُعْد، ولو كان من قُمُصِ الجنَّة ما كان في ذلك غَرابة، ولوَجده كلُّ أحدٍ(٣).

وقوله: «فألْقُوه على وَجْهِ أبي يأتِ بَصيراً» يدلُّ على أنه عَلِم أنه عَمِي من الحُزْن، إمَّا بإعلامِهم، وإمَّا بوَحْي، وقوله: «يأتِ بصيراً» يظهر أنه بوَحْي.

وأهلوه الذين أمرَ بأنْ يؤتى بهم سبعون، أو ثمانون، أو ثلاثة وتسعون، أو ستة وتسعون، أقوال أوَّلُها للكلبي وثالثها لمسروق. وفي واحدٍ من هذا العدد حَلّوا

---

(١) انظر الأقوال في: تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٦، والثعلبي ٣/ ٤٠٨، والماوردي ٣/ ٧٦، والقرطبي ١١/ ٤٤٦-٤٤٧، والكشاف ٢/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.
(٢) في المطبوع: قال ذلك ابن عطية (؟!).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.

بمصر، ونَمَوا حتى خرج من ذُرِّيتهم مع موسى عليه السلام ستُّ مئة ألف[١].

ومعنى «يأتِ»: يأتيني، وانتصب «بصيراً» على الحال.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

فَصَل من البَلَد يَفْصِلُ فُصولاً: انْفصلَ منه وجاوزَ حيطانَه، وهو لازمٌ، وفَصَل الشَّيءَ فَصْلاً فَرَّق، وهو مُتَعدٍّ.

ومعنى «فَصَلَت العِير»: انْفَصَلت من عَريش مصر قاصِدةً مكان يعقوب وكان قريباً من بيت المقدس، وقيل: بالجزيرة، وبيت المقدس هو الصحيح لأن آثارَهم وقبورَهم هناك إلى الآن[٢].

وقرأ ابن عباس: «ولما انْفَصَل العِيرُ»[٣].

قال ابن عباس: وَجَدَ ريحَه من مسيرة ثمانية أيَّام، هاجت ريحٌ فحَمَلَت عَرْفَه.

وقال الحسن وابن جُرَيج: من ثمانين فَرْسخاً، وكان مُدَّةُ فِراقه منه سَبْعاً وسبعين سنة، وعن الحسن أيضاً: وَجَدَه من مسيرة ثلاثين يوماً، وعنه مسيرة عشرِ ليالٍ.

وعن أبي أيوب الهَوْزني[٤]: أن الرِّيحَ استأذنت في إيصالِ عَرْف يوسف إلى يعقوب، فأُذِن لها في ذلك.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٧٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨، وزاد المسير ٤/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٤٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.

(٣) مختصر في الشواذ ٦٥، والكشاف ٢/ ٣٤٣.

(٤) في المطبوع: المهروي، وفي النسخ: الهروي، والمثبت من تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩، قال ابن منده في فتح الباب في الكنى والألقاب (٣٧٥) ص٦٥: عداده في أهل مصر، روى عنه عبد الرحمن بن شريح، كناه لي أبو سعيد بن يونس بن عبد الأعلى.

وقال مجاهد: صَفَقَت الرِّيحُ القميصَ، فراحت روائحُ الجنة في الدُّنيا واتَّصلت بيعقوب، فوجدَ ريحَ الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص[(١)].

ومعنى «لأجِدُ» لأشَمُّ، فهو وجودُ حاسَّةِ الشَّم[(٢)]، وقال الشاعر:

وإنـي لأسْتَشْـفـي بـكـلِّ غَـمـامَـةٍ تَـهُـبُّ بـهـا مـن نـحـو أرضِـكِ ريـحُ[(٣)]

ومعنى «تُفَنِّدون»: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: تُسَفِّهون، وعن ابن عباس أيضاً: تُجَهِّلون، وعنه أيضاً: تُضَعِّفون.

وقال عطاء وابن جُبير: تُكَذِّبون. وقال الحسن: تُهَرِّمون. وقال ابن زيد والضحاك ومجاهد أيضاً: تقولون: ذهب عقلُك وخَرِفْتَ.

وقال أبو عمرو: تُقَبِّحون. وقال الكسائي: تُعَجِّزون. وقال أبو عُبيد: تُضَلِّلون. وقيل: تُخَطِّئون[(٤)].

وهذه كلُّها مُتقاربةٌ في المعنى، وهي راجعةٌ لاعتقاد فسادِ رأي المُفَنَّد إما لجَهْله، أو لهوىً غالبٍ عليه، أو لِكذِبه، أو لضَعْفِهِ وعَجْزه لذهاب عقلِه بهَرَمِه.

وقال القاضي منذر بن سعيد البَلُّوطي[(٥)]: يُقال: شيخٌ مُفَنَّد؛ أي: قد فَسَد رأيُه، ولا يُقال: عجوزٌ مُفَنَّدة؛ لأن المرأةَ لم يكن لها رأيٌ أصيلٌ قطّ فيَدْخُلَه التَّفْنيد.

---

(١) انظر الأقوال السالفة في: تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٢-٣٣٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٧-٢١٩٨، والثعلبي ٣/ ٤٠٩، والماوردي ٣/ ٧٧-٧٨، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨-٢٧٩، وزاد المسير ٤/ ٢٨٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) تفسير القرطبي ١١/ ٤٤٨ وفيه: وجود بحاسة الشم، وانظر روح المعاني ١٢/ ٤٨٨.

(٣) البيت مع آخر في المنتخل للميكالي ٨٠٨ دون نسبة.

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٦-٣٤١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٨، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٧، والكشف والبيان ٣/ ٤٠٩-٤١٠، والنكت والعيون ٣/ ٧٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩، وزاد المسير ٤/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٤٨-٤٤٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٣٨.

(٥) نقل كلامه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩.

وقال معناه الزمخشري قال: التَّفْنيد: النِّسبةُ إلى الفَنَد، وهو الخَرَفُ[١] وإنكار العقلِ من هَرَم، يقال: شيخٌ مُفَنَّد، ولا يقال: عجوزٌ مُفَنَّدة؛ لأنها لم تكن في شَبيبتها ذات رأي فتُفَنَّد في كِبَرِها.

و«لولا» هنا حرفُ امتناعٍ لوجود، وجوابُها محذوف، قال الزمخشري: المعنى: لولا تَفْنيدُكم إيّاي لصَدَّقتموني[٢]. انتهى.

وقد يقال: تقديرُه: لولا أنْ تُفَنّدون لأخبرتُكم بكونه حيّاً لم يمت؛ لأن وِجدان ريحِه دالٌّ على حياته.

والمخاطَبُ بقوله: «تُفَنِّدون» الظَّاهر من تناسُقِ الضمائر أنه عائدٌ على مَن كان بَقِيَ عنده من أولاده، غير الذين راحوا يَمْتارون إذْ كان أولادُه جماعةً.

وقيل: المُخاطَب وَلَدُ ولده، ومَن كان بحَضْرته من قَرابته[٣].

والضَّلال هنا لا يُراد به ضِدُّ الهُدى والرَّشاد؛ قال ابن عباس: المعنى: إنك لفي خَطَئك، وكان حُزْنُ يعقوبَ قد تجدَّد بقصَّةِ بنيامين، ولذلك يُقال له: ذو الحُزْنَين.

وقال مقاتل: الشَّقاء والعَناء.

وقال ابن جُبير: الجُنون، ويعني والله أعلم غَلَبَةَ المَحَبَّةِ.

وقيل: الهَلاكُ والذَّهاب، من قولهم: ضَلَّ الماءُ في اللَّبَن؛ أي: ذَهَب فيه وعَدِم.

وقيل: الحُبّ، ويُطلَق الضَّلال على المَحَبَّة[٤].

وقال ابن عطية: ذلك من الجَفاء الذي لا يَسوغُ لهم مواجَهَتُه به، وقد تأوَّله

---

(١) في المطبوع: الخوف، وهو تحريف.
(٢) القولان في الكشاف ٢/ ٣٤٣.
(٣) انظر النكت والعيون ٣/ ٧٨، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٥٠.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٣٤٢-٣٤٣، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٨-٢١٩٩، والماوردي ٣/ ٧٨، والقرطبي ١١/ ٤٥٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٦.

بعضُ الناس على ذلك، ولهذا قال قتادة: قالوا لوالدهم كلمةً غَليظةً لم يكن ينبغي لهم أنْ يقولوها لوالدهم ولا لنبيِّ الله ﷺ(١).

وقال الزمخشري: لفي ذَهابِك عن الصَّواب قُدُماً في إفْراطِ مَحبَّتك ليوسف، ولَهَجِكَ بذِكْره، ورَجائك لقاءه، وكان عندهم أنه قد مات(٢).

رُوي عن ابن عباس أنَّ البشيرَ كان يهوذا؛ لأنه كان جاء بقَميص الدَّم.

وقال أبو الفضل الجوهري: قال يهوذا لإخوته: قد علمتُم أني ذهبتُ إليه بقميص التَّرْحَة، فدعوني أذهبْ إليه بقميص الفَرْحة، فتركوه. وقال هذا المعنى السدي(٣).

و«أنْ» تَطَّرِد زيادتُها بعد لمَّا، والضَّمير المُسْتَكنّ في «ألقاه» عائدٌ على البشير، وهو الظاهر لقوله: «فألْقُوه». وقيل: يعود على يعقوب.

والظاهر أنه أُريد الوجهُ كلُّه؛ كما جَرَت العادةُ أنه متى وَجدَ الإنسانُ شيئاً يعتقد فيه البَرَكة مَسَحَ به وجهَه.

وقيل: عَبَّر بالوجه عن العينَيْن لأنهما فيه. وقيل: عَبَّر بالكُلِّ عن البعض.

وارتدَّ: عَدَّه بعضُهم في أخواتِ كان، والصحيح أنها ليست من أخواتها(٤)، فانتصب «بَصيراً» على الحال، والمعنى: أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البَصَر.

قيل: وفي الكلام(٥) ما يُشعِر أن بصرَه عاد أقوى مما كان عليه وأحسن؛ لأن فَعيلاً من صِيَغ المُبالغة، وما عُدِل من مُفْعِل إلى فَعيل إلا لهذا المعنى. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٩، وأخرج قول قتادة الطبري ١٣/ ٣٤٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠ وفيه الأقوال الثلاثة، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٤٥، والثعلبي ٣/ ٤١٠، والقرطبي ١١/ ٤٥٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٦.
(٤) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٤٤، ٣٤٧ (طبعة هجر)، وارتشاف الضرب ١١٤٧، ١١٦٥.
(٥) في المطبوع: البصر ففي الكلام.

وليس كذلك لأن فَعيلاً هنا ليس للمُبالغة، إذ فَعيل الذي للمبالغة هو معدول عن فاعل لهذا المعنى، وأما «بَصيراً» هنا فهو اسم فاعل من بَصُر بالشيء، فهو جارٍ على قياس فَعُل، نحو: ظَرُف فهو ظَريف، ولو كان كما زَعم بمعنى مُبْصِر لم يكن للمبالغة أيضاً، لأن فَعيلاً بمعنى مُفْعِل ليس للمبالغة، نحو: أليم وسَميع بمعنى مؤلِم ومُسْمِع.

ورُوي أن يعقوب سأل البشيرَ: كيف يوسف؟ قال: مَلِك مصر، قال: ما أصنع بالملك؟ قال: على أي دِينٍ تركتَه؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمَّت النِّعمة.

وقال الحسن: لم يجد البشيرُ عند يعقوب شيئاً يُثيبه به، فقال: والله ما خَبَزْنا شيئاً منذ سَبْعِ ليالٍ، ولكنْ هوَّن الله عليك سَكَراتِ الموت.

وقال الضحاك: رجع إليه بصرُه بعد العَمى، والقوَّةُ بعد الضَّعْف، والشَّباب بعد الهَرَم، والسُّرور بعد الكَرْب[1].

والظاهر أن قوله: «إني أعلم» مَحْكيٌّ بالقول، ويريد به ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقيل: ما لا تعلمون من حياة يوسف وأنَّ الله يجمع بيننا.

وقيل: من صِحَّة رؤيا يوسف عليه السلام. وقيل: من بَلْوى الأنبياء بالحُزْن ونزول الفَرَج.

وقيل: من إخبار مَلَك الموت إيَّاي، وكان أخبره أنه لم يَقْبِض روحَه[2].

وقال ابن عطية: «ما لا تعلمون» هو انتظارُه لتأويل الرُّؤيا، ويحتمل أنْ يُشير إلى حُسنِ ظَنِّه بالله فقط[3].

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢١٩٩، والثعلبي ٣/٤١١، والقرطبي ١١/٤٥١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٦.
(٢) انظر النكت والعيون ٣/٧٨-٧٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠.

وقال الزمخشري: «ألم أقلْ لكم» يعني قوله: «إني لأجِدُ ريحَ يوسف»، أو قوله: «ولا تَيْأسوا من رَوْح الله». وقوله: «إني أعلم» كلامٌ مبتدأ لم يقع عليه القول[1]. انتهى. وهو خلافُ الظَّاهر الذي قدَّمناه.

ولمَّا رجع إليه بصرُه، وقرَّت عينُه بالمسير إلى ابنه يوسف، وقرَّرهم على قوله: «ألم أقلْ لكم» طلبوا منه أنْ يستغفرَ لهم الله لذُنوبهم، واعترفوا[2] بالخطأ السَّابق منهم.

و«سوف أستغفرُ لكم» عِدَةٌ لهم بالاستغفار بسوف، وهي أبلغُ في التَّنفيس من السِّين.

فعن ابن مسعود: أنه أخَّر الاستغفارَ لهم إلى السَّحَر.

وعن ابن عباس: إلى ليلة الجمعة، وعنه: إلى سَحَرِها.

قال السدِّي ومقاتل والزجاج: أخَّر لإجابة الدُّعاء، لا ضِنَّةً عليهم بالاستغفار.

وقالت فرقة: سَوَّفهم إلى قيام الليل. وقال ابن جُبير وفرقة: إلى الليالي البِيْض فإن الدعاء فيهنّ يُستجاب.

وقال الشعبي: أخَّره حتى يسألَ يوسف، فإنْ عفا عنهم استغفرَ لهم. وقيل: أخَّر ليَعْلَم حالَهم في صِدقِ التَّوبة وإخلاصِها. وقيل: أراد الدَّوام على الاستغفار لهم.

ولمَّا وعَدَهم بالاستغفار رَجَّاهم بحصول الغُفران بقوله: «إنه هو الغَفور الرَّحيم»[3].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٣.
(٢) في (ز١ يه): ذنوبهم فاعترفوا.
(٣) انظر الأقوال السالفة جميعها في معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٥، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٤٧-٣٤٨، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤١١، والماوردي ٣/ ٨٠، والقرطبي ١١/ ٤٥٢-٤٥٣، والكشاف ٢/ ٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٧.
ووقع في النسخة المحمودية (ح) عقب قوله: الغفور رحيم: هذا آخر الجزء السابع من الأصل المكتوب منه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

في الكلام حذفٌ تقديرُه: فرحل يعقوبُ بأهله أجمعين، وساروا حتى تلقَّوا يوسف(١).

قيل: وجَهَّز يوسف إلى أبيه جَهازاً ومئتي راحلة؛ ليتجَهَّز إليه بمَن معه، وخرج يوسف قيل: والمَلِك في أربعة آلاف من الجُنْد والعُظَماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقَّوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي يتوكَّأ على يَهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا، أهذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ولدُك، فلما لَقيَه يعقوب عليه السلام قال: السَّلامُ عليك يا مُذْهِبَ الأحزان.

وقيل: إن يوسف قال له لما التقيا: يا أبتِ، بَكيتَ عليَّ حتى ذهبَ بصَرُك، ألم تعلم أن القيامةَ تجمعُنا؟ قال: بلى، ولكنْ خَشيتُ أنْ تُسْلَبَ دينك، فيُحالَ بيني وبينك(٢).

«آوى إليه أبوَيْه» أي: ضَمَّهما إليه وعَانقَهما.

والظاهر أنهما أبوه وأُمُّه راحيل، فقال الحسن وابن إسحاق: كانت أُمُّه بالحياة.

وقيل: كانت ماتت من نِفاس بنيامين، وأحياها الله له ليُصَدِّق رؤياه في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. حُكي هذا عن الحسن وابن إسحاق أيضاً.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨١.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٤، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٥٠، والثعلبي ٣/ ٤١١-٤١٢، والماوردي ٣/ ٨١، وزاد المسير ٤/ ٢٨٨.

وقيل: أبوه وخالته، وكان يعقوب تزوَّجها بعد موت راحيل، والخالة أُمّ. رُوي عن ابن عباس، وكانت رَبَّت يوسف، والرَّابَّةُ تُدعى أمّاً. وقال بعضهم: أبوه وجدَّتُه أم أمه. حكاه الزَّهراوي[١].

وفي مصحف عبد الله: «آوى إليه أبوَيْه وإخوته»[٢].

وظاهرُ قوله: «ادخُلوا مصرَ» أنه أمرٌ بإنشاء دخولِ مصر، قال السدي: قال لهم ذلك وهم في الطَّريق حين تَلَقَّاهم. انتهى.

فيبقى قوله: «فلما دخلوا على يوسف» كأنه ضُرب له مَضرب أو بيتٌ حالةَ التلقّي في الطريق، فدخلوا عليه فيه.

وقيل: دخلوا عليه في مصر، ومعنى: «ادخُلوا مصر» أي: تمكَّنوا منها واستَقِرُّوا فيها[٣].

والظاهر تَعَلُّقُ الدخولِ على مشيئةِ الله؛ لمَّا أمرهم بالدُّخول علَّق ذلك على مشيئة الله، لأن جميع الكائنات إنما تكون بمشيئة الله، وما لا يشاء لا يكون.

وقال الزمخشري: التقدير: ادخلوا مصر آمنين[٤] إنْ شاء الله دخلتُم آمنين، ثم حذف الجزاء لدَلالة الكلام، ثم اعترض بالجملة الجزائيَّة بين الحال وذي الحال.

ومن بِدَع التفاسير أن قولَه: «إن شاء الله» من باب التَّقديم والتأخير، وأن موضعه بعد قوله: «سوف أستغفرُ لكم ربي» في كلام يعقوب[٥]. انتهى.

وهذا البِدْعُ من التَّفسير مرويٌّ عن ابن جُرَيج[٦]، وهو في غاية البُعْد، بل في غاية الامتناع.

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٣/ ٣٥٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠١، والثعلبي ٣/ ٤١٢، والماوردي ٣/ ٨٢، والقرطبي ١١/ ٤٥٤، والكشاف ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨١، وزاد المسير ٤/ ٢٨٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨١.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨١.

(٤) في المطبوع: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٤٤.

(٦) أخرجه عنه الطبري ١٣/ ٣٥١ وردّه، وذكره عامة المفسرين.

و«العَرْش» سَريرُ المَلِك، ولمَّا دخل يوسف مصرَ، وجلس في مجلسه على سريره، واجتمعوا إليه، أكرم أبويه فرفعهما معه على السَّرير.

ويَحتمل أن يكون الرَّفْعُ والخُرور قبل دخول مصر وبعد قوله: «ادخلوا مصر» فكان يكون في قُبَّةٍ من قِباب الملوك التي تُحمَل على البِغال أو الإبل، فحين دخلوا إليه آوى إليه أبوَيْه وقال: ادخلوا مصر، ورفعَ أبوَيْه، وخَرُّوا له.

والضمير في «وخَرُّوا» عائدٌ على أبوَيْه وعلى إخوته. وقيل: الضَّمير في «وخروا» عائدٌ على إخوته وسائرِ مَن كان يدخُل عليه لأجلِ هَيْبته، ولم يدخل في الضَّمير أبواه، بل رَفَعَهما على سرير مُلْكِه تعظيماً لهما.

وظاهر قوله: «وخَرُّوا له سُجَّداً» أنه السُّجود المعهود، وأن الضمير في «له» عائدٌ على يوسف لمُطابقة الرُّؤيا في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٣]، وكان السُّجود إذْ ذاك جائزاً، من باب التَّكريم بالمُصافَحة وتقبيلِ اليَدِ والقيام مما شُهِر بين الناس في باب التَّعظيم والتَّوقير.

وقال قتادة: كانت تحيَّةَ الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السَّلامَ تحيةَ أهلِ الجنّة.

وقيل: هذا السُّجود كان إيْماءً بالرَّأسِ فقط، وقيل: كان كالرُّكوع البالغ دون وَضْعِ الجَبْهَةِ على الأرض. ولفظة: «وخَرُّوا» تأبى هذين التفسيرين.

قال الحسن: الضَّمير في «له» عائدٌ على الله، أي: خَرُّوا لله سُجَّداً شُكْراً على ما أَوْزَعَهم من هذه النِّعْمَة[١].

وقد تُؤُوِّل قوله: «رأيتُهم لي ساجدين» على أن معناه: رأيتُهم لأجلي ساجدين.

وإذا كان الضَّمير ليوسف فقال المفسرون: كان السُّجودُ تحيَّةً لا عبادة. وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: لا يكون السُّجودُ إلا لله لا ليوسف، ويَبْعُدُ من عقله ودينه

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٥٥، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٢، والماوردي ٣/ ٨٢، والقرطبي ١١/ ٤٥٦، والكشاف ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨١، وزاد المسير ٤/ ٢٩٠.

(٢) في المطبوع: الداراني (؟!).

أنْ يَرْضى بأنْ يسجُدَ له أبوه مع سابقته من حُقوق الوِلادة[١] والشَّيخوخة والعلم والدِّين وكمالِ النُّبوَّة.

وقيل الضَّمير وإن عادَ على يوسف فالسُّجود كان لله تعالى، وجعلوا يوسفَ قِبلةً؛ كما تقول: صَلَّيت للكعبة، وصَلَّيت إلى الكعبة، وقال حسان:

ما كنتُ أعرفُ أنَّ الدَّهْرَ مُنْصَرِفٌ عن هاشم ثم عنها عن أبي حَسَنِ
أليس أوَّلَ من صَلَّى لقبلَتِكم وأعرفَ النَّاسِ بالأشياء والسُّنَنِ[٢]

وقيل: السُّجود هنا: التَّواضُع، والخُرور بمعنى المُرور، لا السُّقوط على الأرض، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، أي: لم يَمُرُّوا عليها.

«وقال يا أبتِ هذا تأويلُ رؤيايَ من قبل» أي: سجودُكم هذا تأويلُ، أي: عاقبةُ رؤيايَ أن تلك الكواكبَ والشمسَ والقمرَ رأيتهم لي ساجدين.

و«من قبلُ» متعلِّق بـ «رؤياي» والمحذوف في من قبل تقديرُه: من قبل هذه الكوائن والحوادثِ التي جَرَت بعد رؤياي.

ومَن تأوَّل أن أبوَيْه لم يَسْجدا له زَعَم أن تعبيرَ الرُّؤيا لا يَلزمُ أنْ يكون مُطابقاً للرُّؤيا من كلِّ الوجوه، فسُجودُ الكواكب والشمسِ والقمرِ يُعَبَّر بتعظيم الأكابر من الناس، ولا شكَّ أنَّ ذهابَ يعقوب عليه السَّلام مع ولده من كنعان إلى مصر لأجل يوسف نهايةٌ في التَّعظيم له، فكفى هذا القَدْرُ في صِحَّة الرُّؤيا.

وعن ابن عباس أنه لما رأى سُجودَ أبوَيْه وإخوته هالَه ذلك، واقْشَعَرَّ جِلدُه منه، وقال ليعقوب: «هذا تأويلُ رُؤيايَ من قبلُ»[٣].

ثم ابتدأ يوسف عليه السلام بتَعديدِ نِعَم الله عليه فقال: «قد جَعَلَها ربِّي حقّاً» أي: صادقة، رأيتُ ما وقع لي في المنام يَقَظَةً حقيقةً لا باطلَ فيها ولا لغو.

---

(١) في المطبوع: من صون أولاده (؟!).
(٢) البيتان في تفسير الفخر الرازي ١٨/ ٢١٢ منسوبان إلى حسان، ولم نقف عليهما في ديوانه بطبعتيه.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨/ ٢١٢-٢١٤.

وفي المدَّة التي كانت بين رؤياه وسجودِهم خلافٌ مُتناقِض؛ قيل: ثمانون سنة، وقيل: ثمانيةَ عشر عاماً، وقيل غير ذلك من رُتَب العَدَد، وكذا المدَّة التي أقام يعقوبُ فيها بمصر عند ابنه يوسف خلافٌ متناقض[1].

و«أحْسَنَ» أصلُه أن يتعدَّى بإلى؛ قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقد يتعدَّى بالباء قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، كما يقال: أساء إليه وبه، قال الشاعر:

أسيئي بنا أو أحْسِني لا مَلُومةً  لدينا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تقَلَّتِ[2]

وقد يكون ضَمَّن «أحْسَنَ» معنى لَطُفَ، فعَدَّاه بالباء.

وذَكر إخْراجَه من السّجن وعَدَل عن إخراجه من الجُبِّ صَفْحاً عن ذِكر ما تعلَّق بفعلِ[3] إخوته، وتناسياً لما جَرى منهم إذْ قال: «لا تَثْريبَ عليكم اليوم يَغفرُ الله لكم» وتَنْبيهاً على طهارة نفسِه وبراءتها مما نُسبت إليه من المُراوَدَة، وعلى ما تنقَّل إليه من الرِّياسة في الدُّنيا بعد خروجه من السجن، بخلاف ما تنقَّل إليه بالخروج من الجُبِّ إلى أنْ بيع مع العَبيد.

«وجاء بكم من البَدْو» من البادية، وكان منزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام ببادية فلسطين، وكان ربَّ إبلٍ وغَنَم وبادية[4].

وقال الزمخشري: كانوا أهلَ عُمُد وأصحابَ مَواشٍ، يتنقلون في المياه والمَناجِع[5].

قيل: كان تحوَّل إلى باديةٍ وسَكَنها، وأن الله لم يَبعثْ نبيّاً من أهل البادية.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٥٧-٣٦١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٨، والكشف والبيان ٣/ ٤١٣، والنكت والعيون ٣/ ٨٢-٨٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٢، وزاد المسير ٤/ ٢٩٠-٢٩١، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص١٠١ (بتحقيق إحسان عباس)، وسلف شطره الأول دون نسبة في تفسير الآية (٥٣) من سورة التوبة.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (ح ز١): بقول، والمثبت منهما.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٢.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٤٤.

وقيل: كان خرج إلى بَدا، وهو موضع، وإيَّاه عَنى جَميلٌ بقوله:

**وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْباً إلى بَدا إليَّ وأوطاني بلادٌ سِواهُما**[(١)]

وليعقوب عليه السلام بهذا الموضع مَسجدٌ تحت جَبل، يقال: بَدا القومُ بَدْواً: إذا أتَوْا بَدَا، كما يقال: غاروا غَوْراً؛ إذا أتَوْا الغَوْر، والمعنى: وجاء بكم من مكان بَدا، ذكره القُشَيْرِي، وحكاه الماوردي عن الضحَّاك، عن ابن عباس[(٢)].

وقابَلَ يوسف عليه السَّلام نِعْمةَ إخراجه من السِّجن بمجيئهم من البَدْو، والإشارةُ بذلك إلى الاجتماع بأبيه وإخوته وزَوالِ حُزْنِ أبيه، ففي الحديث: «مَنْ يُرِد الله به خيراً يَنْقُلْه من البادية إلى الحاضرة»[(٣)].

«من بعد أنْ نَزَغ» أي: أفْسَدَ. وتقدَّم الكلامُ على «نَزَغ»[(٤)].

وأسْنَدَ النَّزْغَ إلى الشيطان لأنه هو المُوَسْوِس؛ كما قال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]، وذَكَر هذا القَدْرَ من أمر إخوته لأنَّ النِّعْمةَ إذا جاءت إثْرَ شِدَّةٍ وبَلاء كانت أحسنَ مَوْقِعاً.

«إن ربّي لَطيفٌ» أي: لطيفُ التَّدبيرِ لما يَشاء من الأمور رَفيق.

و«مِن» في قوله: «من المُلْك» وفي «من تأويل» للتَّبْعيض؛ لأنه لم يُؤتِهِ إلا بعضَ مُلْكِ الدُّنيا، ولا عَلَّمه إلا بعضَ التَّأويل[(٥)]، ويَبْعُد قولُ مَن جعل «من» زائدة، أو جعلَها لبيان الجنس[(٦)].

والظاهر أن المُلْكَ هنا مُلْكُ مصر، وقيل: مُلْك نفسِه من إنْفاذِ شَهْوَتِهِ. وقال

---

(١) ديوان جميل ٢٠٠، والنكت والعيون ٣/ ٨٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٦٠، ونسب لكثير عزة، انظر ديوانه ٣٦٣ (عباس)، وحماسة أبي تمام ١٢٨٨ (بشرح المرزوقي)، واستوفى الدكتور إحسان عباس رحمه الله تخريجه والكلام عليه.

(٢) النكت والعيون ٣/ ٨٤، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٦٠، قال الآلوسي في روح المعاني ١٢/ ٥٠٣: وهو خلاف الظاهر جداً.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) في تفسير الآية (٢٠٠) من سورة الأعراف.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٤٥.

(٦) ذكر القول الأخير: الزجاج ٣/ ١٢٩، والنحاس ٣/ ٤٥٩ في معاني القرآن لهما.

عطاء: مُلْك حُسَّادِه بالطَّاعة ونيل الأماني من المُلْك[١].

وقرأ عبد الله وعمر بن ذَرّ: «آتَيْتَنِ، وعَلَّمْتَنِ» بحذف الياء منهما[٢] اكتفاءً بالكسرة عنهما؛ مع كونهما ثابتَتَيْن خَطّاً. وحكى ابنُ عطية عن ابن ذَرّ أنه قرأ: «ربِّ آتيتَني» بغير قد[٣].

وانتصَب «فاطِرَ» على الصِّفة أو على النِّداء. و«أنت وَلِيّي» تتوَلّاني بالنِّعمة في الدَّارَيْن، وتُوصِلُ المُلْكَ الفاني بالمُلْكِ الباقي[٤].

وذكر كثيرٌ من المفسِّرين أنه لما عَدَّ[٥] نِعَمَ الله عنده تَشَوَّف[٦] إلى لقاء ربِّه، ولَحاقِه بصالِحي سَلَفِه، ورأى أن الدُّنيا كلَّها فانيةٌ فتمنَّى الموتَ. وقال ابن عبَّاس: لم يَتَمنَّ الموتَ حَيٌّ غير يوسف[٧].

والذي يَظهر أنه ليس في الآية تَمَنِّي الموت، وإنَّما عَدَّد نِعَمَه تعالى عليه، ثم دَعا أن يُتمَّ عليه النِّعَم في باقي أمرِه، أي: تَوَفَّني إذا حان أجَلي على الإسلام، واجعل لحاقي بالصَّالحين، وإنما تمنَّى الوَفاةَ على الإسلام لا الموت[٨].

والصَّالحين: أهلُ الجنَّة، أو الأنبياء، أو آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب[٩].

وعُلماء التاريخ يزعمون أن يوسف عليه السَّلام عاشَ مئةَ عامٍ وسبعةَ أعوام، وله من الولد إفراثيم، ومنشا، ورحمة زوجة أيوب عليه السَّلام.

قال الزهري[١٠]: وولد لإفراثيم نون، ولنون يوشع، وهو فتى موسى عليه

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٨٥، وردّ الآلوسي ١٢/ ٥٠٦ قول عطاء.

(٢) المحتسب ١/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٤٥.

(٥) في (ز١): عدد، وهما سواء.

(٦) في النسخ والمطبوع خلا (ح ز١): تشوق، والمثبت منهما، وكلاهما صحيح.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٦٥، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٤.

(٨) نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٣ عن المهدوي وقال: وهو الأقوى عندي.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٦٥-٣٦٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٤-٢٢٠٦.

(١٠) في النسخ والمطبوع غير (ح ز١): الذهبي، وهو تحريف، والمثبت منهما، وكذا في تفسير القرطبي ١١/ ٤٦٤ وعنه ينقل.

السلام، وولد لمنشا موسى، وهو قبل موسى بن عمران عليه السلام، ويَزْعمُ أهلُ التوراة أنه صاحبُ الخَضِر، وكان ابن عباس يُنكر ذلك، وثبت في الصَّحيح أن صاحبَ الخَضِر: موسى بن عمران[١]، وتوارَثت الفَراعِنَةُ مُلْكَ مصر، ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دينِ يوسف عليه السلام؛ إلى أن بعث الله موسى عليه السلام[٢].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

قال ابن الأنباري: سألت قريشٌ واليهود رسولَ الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت مشروحةً شَرْحاً وافياً، وأمَّل أنْ يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا تأميلَه، فعَزَّاه الله تعالى بقوله: «وما أكثرُ الناس» الآيات[٣].

وقيل: في المنافقين، وقيل: في الثَّنويّة، وقيل: في النَّصارى، وقال ابن عباس في تَلْبيَةِ المشركين، وقيل: في أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فجمعوا بين الإيمان والشِّرك[٤].

والإشارة بذلك إلى ما قصه الله من قصة يوسف وإخوته.

«وما كنتَ لديهم» أي: عند بني يعقوب حين أجْمَعوا أمرَهم على أنْ يجعلوه في الجُبّ، ولا حين ألقَوْه فيه، ولا حين التَقَطَتْه السيَّارة، ولا حين بيع.

«وهم يَمْكرون» أي: يَبْغُون الغَوائلَ ليوسف، ويَتشاورون فيما يَفْعلون به. أو يَمْكرون بيعقوب حين أتَوْا بالقميص مُلطَّخاً بالدَّم.

---

(١) انظر صحيح البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).
(٢) في (ح ز ١ يه) والنهر الماد (بهامش البحر ٥/٣٤٨): بعث الله محمداً ﷺ، وهو سبق قلم، والمثبت من سائر النسخ والمطبوع، ومثله في روح المعاني ١٢/٥١٠.
(٣) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٩٣ عن ابن الأنباري.
(٤) انظر النكت والعيون ٣/٨٧.

وفي هذا تصريحٌ لقريش بصِدْق محمد رسول الله ﷺ، وهذا النَّوع من علم البيان يُسمَّى بالاحتجاج النَّظَري، وبعضُهم يُسمِّيه المذهبَ الكَلامي؛ وهو أنْ يَلْزَمَ الخَصْمَ ما هو لازمٌ لهذا الاحتجاج، وتقدَّم نظيرُ ذلك في «آل عمران» وفي «هود»[١].

وهذا تَهَكُّمٌ بقريش وبمَن كَذَّبه؛ لأنه لا يَخفى على أحدٍ أنه لم يكن من حَمَلَة هذا الحديث وأشباهِه، ولا لَقِيَ فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من عِلم قومه، فإذا أخْبَرَ به وقصَّه هذا القَصَص الذي أعْجَز حَمَلَته ورُواتَه لم تقع شُبْهَةٌ في أنه ليس منه، وأنه[٢] من جهة الوَحْي، فإذا أنكروه تَهَكَّم بهم، وقيل لهم: قد علمتُم أنه لم يكن مُشاهِداً لمَن مضى من القُرون الخالية، ونحوُه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤][٣] فقولُه: وما كنتَ هناك تَهَكُّمٌ بهم؛ لأنه قد عَلم كلُّ أحدٍ أن محمداً ﷺ ما كان معهم.

«وأجْمَعُوا أمرَهم» أي: عَزموا على إلْقاء يوسف في الجُبِّ «وهم يمكرون» جُملة حالية، والمَكْرُ: أن يُدَبِّر على الإنسان تدبيراً يَضُرُّه ويؤذيه[٤].

و«الناس» الظَّاهر العموم؛ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، وعن ابن عباس أنهم أهل مكة.

«ولو حَرَصْتَ» ولو بالَغْتَ في طِلاب[٥] إيمانهم لا يؤمنون لفَرْط عِنادهم وتَصْميمهم على الكُفْر[٦].

وجواب «لو» محذوف، أي: ولو حَرَصْتَ لم يؤمنوا، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانَه.

---

(١) انظر الآية (٤٤) من سورة آل عمران، والآية (٤٩) من سورة هود.
(٢) في المطبوع: وإنما هو.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٤٥-٣٤٦.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٤.
(٥) في المطبوع: طلب، وهما بمعنى.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٤٦.

والضمير في «عليه» عائدٌ على دين الله، أي: ما تبتغي منهم[1] أجْراً على دين الله، وقيل: على القرآن، وقيل: على التَّبليغ، وقيل: على الإنباء بمعنى القول، وفيه توبيخٌ للكَفَرة، وإقامةُ الحُجَّة عليهم، أو وما تسألهم على ما تُحَدِّثُهم به وتُذَكِّرُهم أنْ يُنيلوك مَنفعةً وجَدْوى، كما يُعطى حَمَلةُ الأحاديث والأخبار.

«إنْ هو إلا» عِظَةٌ[2] و«ذِكرٌ» من الله «للعالَمين» عامَّة، وحَثٌّ على طَلَب النَّجاةِ على لسان رسول الله ﷺ.

وقرأ مُبَشِّر بن عُبيد: «وما نَسْألهم» بالنون[3].

ثمّ أخبر تعالى أنهم لفَرْطِ كُفرهم يَمُرُّون على الآيات التي تكون سَبباً للإيمان فيُعرضون عنها، ولا تُفيد عندهم شيئاً، ولا تُؤثِّر فيهم، وأن تلك الآيات هي في العالَم العُلويّ وفي العالَم السُّفلي.

وتقدَّم قراءةُ ابن كثير: «وكائن»[4]، وقال ابن عطية: وهو اسم فاعل من كان، فهو كائن، ومعناها معنى كم في التَّكثير[5]. انتهى.

وهذا شيءٌ يُروى عن يونس، وهو قولٌ مَرْجوح في النحو، والمشهور عندهم أنه مركَّبٌ من كاف التشبيه ومن أيّ، وتلاعَبت العربُ به فجاءت فيه لُغات[6].

وذكر صاحب «اللَّوامح» أن الحسن قرأ «وكَيِن» بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد، وجاء كذلك عن ابن مُحَيْصن، فهي لغة[7]. انتهى.

«من آية» من علامةٍ على توحيد الله وصفاته، وصدق ما جيء به عنه تعالى.

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (ز١ يه): عليه، والمثبت منهما.
(٢) في النسخ والمطبوع غير (ز١ يه): موعظة، والمثبت منهما، وهو موافق لما في النهر الماد ٥/ ٣٥٠ (بهامش البحر)، والكشاف ٢/ ٣٤٦ وعنه ينقل المصنف وإن لم يُسَمِّه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، وتحرف مبشر في مطبوع البحر إلى بشر.
(٤) في تفسير الآية (١٤٦) من سورة آل عمران.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥.
(٦) انظر ارتشاف الضرب ٧٨٩.
(٧) انظر روح المعاني ١٢/ ٥١٥، وإعراب النحاس ٢/ ٣٤٦.

وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد: «والأرضُ» بالرفع[1] على الابتداء، وما بعده خبر، ومعنى «يَمرُّون عليها» فيشاهدون ما فيها من الآيات.

وقرأ السُّدّي: «والأرضَ» بالنصب[2]، وهو من باب الاشتغال، أي: ويَطؤون الأرضَ يَمُرُّون عليها، أي: على آياتها وما أُودع فيها من الدّلالات.

والضمير في «عليها، وعنها» في هاتين القراءتين يعود على الأرض، وفي قراءة الجمهور وهي بجرِّ «الأرضِ» يعود الضَّمير على آية، :أي: يمرُّون على تلك الآيات، ويشاهدون تلك الدلالات، ومع ذلك لا يَعتبرون بها.

وقرأ عبد الله: «والأرضُ» برفع الضَّاد، ومكان «يَمرُّون» يَمْشون[3]، والمراد ما يَرَوْن من آثار الأُمم الهالكة وغير ذلك من العِبَر.

«وهم مُشركون» جملة حالية أي: إيمانُهم مُلْتَبِسٌ بالشِّرك.

وقال ابن عباس: هم أهلُ الكتاب؛ أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيِّه، أو من حيث ما قالوا في عُزَير والمسيح.

وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد: هم كُفَّار العرب؛ أقرُّوا بالخالق الرَّازق المُحيي المُميت، وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام.

وقال ابن عباس أيضاً: هم الذين يُشَبِّهون الله بخلقه.

وقيل: هم أهل مكة قالوا: الله ربُّنا لا شريكَ له، والملائكةُ بناتُه، فأشركوا ولم يُوحِّدوا.

وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة أيضاً: ذلك في تلبيتهم

---

(١) المحتسب ١/ ٣٤٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٦٧، ونسبها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ص٦٥ إلى ابن عباس وعكرمة.

(٢) انظر مصادر التعليق السابق، وزد عليها الكشاف ٢/ ٣٤٦.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٤٦، والذي في تفسير الطبري ١٣/ ٣٧٢، والمحتسب ١/ ٣٥٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٦٧ أنه قرأ: يمشون عليها، فحسب، ولم يذكروا قراءته: والأرض بالرفع.

يقولون: لبيَّك اللهم لبيك، لبيك لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك، تملِكُه وما مَلَك[١].

وفي الحديث: كان ﷺ إذا سمع أحدَهم يقول: لبَّيك لا شريك لك يقول له: «قط قط» أي: قِفْ هنا ولا تَزِد: إلا شريكٌ هو لك[٢].

وقيل: هم الثَّنوِيَّة؛ قالوا بالنُّور والظُّلمة.

وقال عطاء: هذا في الدُّعاء، ينسى الكفَّار ربَّهم في الرَّخاء، فإذا أصابهم البَلاء أخلَصوا في الدُّعاء.

وقيل: هم المنافقون؛ جَهروا بالإيمان وأخفَوا الكفر.

وقيل: على بعض اليهود عَبدوا عُزَيراً، والنَّصارى عبدوا المسيح، والمجوس عبدوا النار، وَعبَدَةُ الهياكل عبدوا الأصنام، والصَّابئة عبدوا الكواكب.

وقيل قريش لمَّا غَشِيَهم الدُّخانُ في سِنيِّ القَحْط قالوا: إنا مؤمنون، ثم عادوا إلى الشِّرْك بعد كَشفِه[٣].

وقيل: جميع الخَلْق مؤمنُهم بالرَّسول وكافرُهم، فالكُفَّار تقدَّم ذِكرُ شِرْكهم، والمؤمنون فيهم الشِّرْك الخَفيّ، فأقربها[٤] إلى الكفر المُشَبِّهة، ولذلك قال ابن عبَّاس: آمنوا مُجْمَلاً وكفروا مُفَصَّلاً، وثانيها مَن يطيع المخلوق[٥] بمعصية الخالق، وثالثها مَن يَقول: نَفَعني فلانٌ وضَرَّني فلان.

«أفأمنوا» استفهامُ إنكار فيه معنى التَّوبيخ والتهديد.

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٣/ ٣٧٢-٣٧٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٧-٢٢٠٨، والثعلبي ٣/ ٤١٦-٤١٧، والماوردي ٣/ ٨٧، والقرطبي ١١/ ٤٦٧، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٠، والكشاف ٢/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، وزاد المسير ٤/ ٢٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، ولم نقف عليه مسنداً.

(٣) انظر الكشف والبيان ٣/ ٤١٧، والنكت والعيون ٣/ ٨٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٦٧-٤٦٨.

(٤) في النسخ والمطبوع خلا (ز١ يه): وأقربهم، والمثبت منهما.

(٥) في النسخ والمطبوع غير (ز١ يه): الخلق، والمثبت منهما.

«غاشيةٌ» نِقْمةٌ تغشاهم، أي: تُغَطِّيهم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. وقال الضحاك: يعني الصَّواعق والقَوارع[1]. انتهى.

وإتْيانُ الغاشية يعني في الدنيا، وذلك لمقابلته بقوله: «أو تأتيهم السَّاعة» أي: يوم القيامة.

«بَغْتَةً» أي: فَجْأةً في الزمان ومن حيث لا تُتَوَقَّع، «وهم لا يَشْعرون» تأكيدٌ لقوله: «بَغتةً».

قال الكرماني: لا يشعرون بإتْيانها، أي: وهم غيرُ مُسْتَعِدِّين لها. قال ابن عباس: تأخذُهم الصَّيْحَةُ وهم على أسْواقهم ومَواضعهم[2].

وقرأ أبو حَفْص مُبَشِّر[3] بن عُبَيْد: «أو يأتيهم الساعة» بالياء[4].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

لمَّا تقدَّم من قول يوسف عليه السَّلام: «تَوَفَّني مُسلماً»، وكان قولُه تعالى: «وما أكثرُ النَّاسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين» دالًّا على أنه حارِصٌ على إيمانهم، مجتهدٌ في ذلك، داعٍ إليه، مُثابرٌ عليه، وذكر «وما تسألُهم عليه من أجْرٍ» أشار إلى ما فُهِم من ذلك وهو شريعة الإسلام والإيمان وتوحيد الله؛ فقال: «قل» يا محمد «هذه» الطَّريقة والدَّعوة طَريقي التي سَلَكْتُها وأنا عليها.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٤١٧، والقرطبي ١١/ ٤٦٨.

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٤١٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٦٨.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (زا يه): أبو حفص وبشر، وهو تحريف، والمثبت منهما، ومبشر بن عبيد أبو حفص الحمصي، كوفي الأصل، روى له ابن ماجه، وكان من قراء القرآن، قال أحمد: كان يضع الحديث. انظر ميزان الاعتدال (٦٦٦٦).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥ ووقع فيه: مبشر بن عبد الله، ولعله تحريف.

ثمَّ فَسَّر تلك السَّبيل فقال: «أدعو إلى الله» يعني لا إلى غيره من مَلِكٍ أو إنسان أو كوكبٍ أو صَنَم، إنما دعائي إلى الله وحده.

قال ابن عباس: «سَبيلي» أي: دَعوتي. وقال عكرمة: صَلاتي، وقال ابن زيد: سُنَّتي، وقال مقاتل والجمهور: ديني[١].

وقرأ عبد الله: «قل هذا سبيلي» على التَّذكير، والسبيل يُذَكَّر ويؤنَّث[٢].

ومفعول «أدعو» هو محذوف تقديره: أدعو الناس.

والظاهر تعلُّق «على بَصيرة» بـ «أدعو» و«أنا» توكيدٌ للضَّمير المُستكنّ في «أدعو» و«مَن» معطوفٌ على ذلك الضمير، والمعنى: أدعو أنا إليها ويدعو إليها مَن اتَّبعني.

ويجوز أن يكون «على بصيرة» خبراً مقدَّماً و«أنا» مبتدأ، و«مَن» معطوف عليه.

ويجوز أن يكون «على بصيرة» حالاً من ضمير «أدعو» فيتعلَّق بمحذوف، ويكون «أنا» فاعلاً بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف، و«مَن اتَّبعني» معطوف على «أنا»[٣].

وأجاز أبو البقاء أن يكون «ومَن اتَّبعني» مبتدأ خبرُه محذوف تقديره: كذلك، أي: داعٍ إلى الله على بَصيرة[٤].

ومعنى «بَصيرة» حُجَّة واضحة وبُرهان مُتَيَقّن، من قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

«وسبحان الله» داخل تحت قوله: «قل» أي: قل: وتَنْزيهَ[٥] الله من الشُّركاء، أي: براءةَ الله من أنْ يكون له شَريك.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٧٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٩، والثعلبي ٣/ ٤١٧، والماوردي ٣/ ٨٨، والقرطبي ١١/ ٤٦٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥، وانظر لتذكير السبيل وتأنيثه: المذكر والمؤنث للفراء ٨٧، وللسجستاني ١٤٦، وللمبرد ١٠٤، ولابن الأنباري ١/ ٣٩٤، ولابن فارس ٥٨، ومجاز القرآن ١/ ٣١٩.

(٣) انظر الكشاف ٢/ ٣٤٦.

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٥٩.

(٥) في النسخ والمطبوع خلا (ز١): وتبرئة، والمثبت منها، وكلاهما صحيح.

قال الكرماني: «أفلا يعقلون» أنها خيرٌ فيتَوَسَّلوا إليها بالإيمان. انتهى.

والاستيئاسُ من النَّصر أو من إيمان قومهم قولان، و«حتى» غايةٌ لما قبلها، وليس في اللَّفظ ما يكون له غاية، فاحتيج إلى تقدير، فقدَّره الزمخشري: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فتراخى نَصْرُهم، حتى إذا استَيْأسوا عن النَّصر[١].

وقال ابن عطية: ويتضمَّن قولُه: «أفلم يسيروا» إلى «من قبلهم» أن الرُّسلَ الذين بعثَهم الله من أهل القُرى دَعَوهم فلم يؤمنوا بهم، حتى نزلت بهم المَثُلات، فصاروا في حَيِّز مَن يُعْتَبَر بعاقبته، فلهذا المُضَمَّن حَسُن أنْ تدخلَ حتى في قوله: «حتى إذا استيأس الرُّسُلُ»[٢]. انتهى.

ولم يتلَخَّص[٣] لنا من كلامه شيءٌ يكون ما بعد «حتى» غايةً له؛ لأنه علَّق الغايةَ بما ادَّعى أنه فَهِم ذلك من قوله: «أفلم يسيروا» الآية.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: المعنى متعلِّقٌ بالآية الأولى، فتقديرُه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدَعَوا قومَهُم، فكذَّبوهم، وصَبروا، وطال دُعاؤهم وتكذيبُ قومِهم، حتى إذا استيأس الرُّسل[٤].

وقال القرطبي في تفسيره: المعنى وما أرْسَلْنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نُعاقب أُمَمَهم بالعِقاب، حتى إذا استيأسَ الرُّسُل[٥].

وقرأ أُبيّ وعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والأعمش وابن جُبير ومسروق وإبراهيم وأبو جعفر وعائشة بخلاف وزيد بن علي والكوفيون: «كُذِبوا» بتخفيف الذَّال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٧.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٧.
(٣) في النسخ والمطبوع خلا (ز١ يه): يتحصل، والمثبت منهما، وهما سواء، وانظر الدر المصون ٥/ ٥٦٣.
(٤) زاد المسير ٤/ ٢٩٦.
(٥) تفسير القرطبي ١١/ ٤٧١.

وباقي السَّبعة والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وأبو رَجاء وابن أبي مُلَيكة والأعرج وعائشة بخلافٍ عنها بتشديدها[(١)].

وهما مَبنيَّان للمفعول؛ فالضَّمائر على قراءة التشديد عائدةٌ كلُّها على الرُّسل، والمعنى: أن الرسلَ أيقنوا أنهم كَذَّبهم قومُهم المشركون.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون الظنُّ على بابه ـ يعني من ترجيح أحد الجائزَين ـ قال: والضَّمير للرُّسُل، والمُكَذِّبون مؤمنو مَن أُرسِل إليه، أي: لمّا طالت المواعيد حَسِبت الرُّسل أن المؤمنين أوّلاً قد كَذَّبوهم وارتابوا بقولهم.

وعلى قراءة التخفيف فالضَّمير في «وظَنُّوا» عائدٌ على المُرْسَل إليهم، لتقدُّمِهم في الذِّكر في قوله: «كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم» ولأن الرُّسُلَ تستدعي مُرْسَلاً إليهم، وفي «أنهم» وفي «قد كُذِبوا» عائدٌ على الرُّسُل، والمعنى وظَنَّ المُرْسَلُ إليهم أن الرُّسُلَ قد كَذَّبهم مَن ادَّعَوا أنه جاءهم بالوحي عن الله، وبنصرهم إذْ لم يؤمنوا به.

ويجوز في هذه القراءة أن تكون الضمائر الثلاثة عائدة على المُرْسَل إليهم، أي: وظَنَّ المُرْسَل إليهم أنهم قد كَذَّبهم الرُّسل فيما ادَّعَوه من النُّبوَّة، وفيما يُوعِدون به مَن لم يؤمن بهم من العَذاب، وهذا مشهورُ قول ابن عباس، وتأويلُ عبد الله وابن جُبَير ومجاهد[(٢)].

ولا يجوز أن تكون الضمائر في هذه القراءة عائدةٌ على الرُّسُل لأنهم مَعْصومون، فلا يُمكن أن يظنّ أحدٌ منهم أنه قد كذَّبه مَن جاءه بالوحي عن الله.

وقال الزمخشري في هذه القراءة: حتى إذا استَيْأسوا من النَّصر، وظَنُّوا أنهم قد كُذِبوا، أي: كَذَبَتْهم أنفسُهم حين حَدَّثَتْهم أنهم يُنْصَرون، أو رجاؤهم، كقوله:

(١) انظر القراءتين في: السبعة ٣٥١-٣٥٢، والتيسير ١٣٠، والنشر ٢/ ٢٩٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٥٦، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٩٣-٣٩٦، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٣، وإعراب القرآن له ٢/ ٣٤٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤١٨، والماوردي ٣/ ٨٩، والقرطبي ١١/ ٤٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٨، وانظر تفسير الطبري ١٣/ ٣٨٣-٣٩١.

رَجاءٌ صادق ورَجاءٌ كاذب، والمعنى: أن مُدَّةَ التَّكذيب والعَداوةِ من الكفار، وانتظارَ النَّصر من الله وتأميلَه قد تطاوَلَت عليهم وتمادَت، حتى استَشْعروا القُنوطَ، وتوهَّموا أنْ لا نَصْرَ لهم في الدنيا، فجاءهم نَصْرُنا فجأةً من غير احتساب[١]. انتهى.

فجعل الضَّمائر كلَّها للرُّسل، وجَعل الفاعل الذي حُذِف[٢] من قوله: «قد كُذِبوا» إمَّا أنفسُهم وإمّا رجاؤهم، وفي قوله إخراجُ الظنِّ عن معنى التَّرجيح وعن معنى اليقين إلى معنى التَّوهُّم، حتى تجريَ الضَّمائرُ كلُّها في القراءتَيْن على سَنَنٍ واحد.

ورُوي عن ابن مسعود وابن عباس وابن جُبير أن الضمير في «وظَنُّوا» وفي «قد كُذبوا» عائدٌ على الرُّسل، والمعنى كَذَبهم مَن أخْبَرهم عن الله، والظنُّ على بابه، قالوا: والرسُلُ بشَرٌ فضَعُفوا وساء ظنُّهم.

ورَدَّت عائشة وجماعة من أهل العلم هذا التأويل، وأعظموا أن يُوصَفَ الرسُلُ بهذا[٣].

قال الزمخشري: إنْ صحَّ هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظنِّ ما يَخْطُرُ بالبال ويَهْجِسُ في القلب من شُبَه الوَسْوسَة وحديثِ النَّفْس على ما عليه البشريَّة، وأمَّا الظنُّ الذي هو تَرْجيحُ أحدِ الجانبَيْن على الآخر فغيرُ جائزٍ على رجلٍ من المسلمين، فما بالُ رسُلِ الله الذين هم أعْرَفُ بربِّهم، وأنه مُتعالٍ عن خُلْفِ الميعاد، مُنَزَّهٌ عن كلِّ قبيح؟[٤]. انتهى. وآخرُه مذهبُ الاعتزال.

وقال أبو علي: إنْ ذَهَب ذاهبٌ إلى أنَّ المعنى: ظنَّ الرُّسُلُ أن الذي وَعَد الله أُمَمهم على لسانهم قد كُذبوا فيه فقد أتى عظيماً؛ لا يجوز أن يُنْسَبَ مثلُه إلى الأنبياء، ولا إلى صالحي عباد الله، قال: وكذلك مَن زَعم أن ابن عباس ذهبَ إلى

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٧.
(٢) في المطبوع: صرف.
(٣) انظر أقوالهم وردّ عائشة في تفسير الطبري ١٣/ ٣٩٣-٣٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٤٧.

أن الرسُلَ قد ضَعُفوا فظنّوا أنهم قد أُخْلِفوا؛ لأن الله لا يُخْلفُ الميعادَ، ولا مُبَدِّل لكلماته[١].

وقرأ ابن عباس ومجاهد والضحَّاك: «قد كَذَبوا» بتخفيف الذَّال مبنيًّا للفاعل[٢]، أي: وظنَّ المُرْسَلُ إليهم أن الرسلَ قد كَذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب، والظنُّ على بابه، وجواب «إذا»: «جاءهم نَصْرُنا».

والظاهر أن الضمير في «جاءهم» عائدٌ على الرُّسل، وقيل: عائدٌ عليهم وعلى مَن آمَن بهم.

وقرأ عاصم وابن عامر: «فنُجِّي» بنون واحدة وشدّ الجيم وفتح الياء مبنيًّا للمفعول[٣].

وقرأ مجاهد والحسن والجَحْدريّ وطلحة وابن هُرْمُز كذلك إلا أنهم سَكَّنوا الياء[٤].

وخُرِّج على أنه مضارع أُدْغِمت فيه النون في الجيم. وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا تُدْغَم النّون في الجيم، وتخريجُه على أنه ماضٍ كالقراءة التي قبلَها، سُكِّنت الياء فيه على لغة مَن يَسْتَثْقِلُ الحركة جُمْلةً على الياء؛ كقراءة مَن قرأ: «ما تُطعمون أهالِيْكم» بسكون الياء[٥]، ورُويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع[٦].

وقرآها في المشهور[٧] وباقي السَّبعة: «فنُنْجيْ» بنونين مضارع أنْجَى.

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٤٤٣.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٣٩٨-٣٩٩، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٣، وإعراب القرآن له ٢/ ٣٤٧، ومختصر في الشواذ ٦٥، والمحتسب ١/ ٣٥٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤١٩، والكشاف ٣/ ٣٤٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٧، وزاد المسير ٤/ ٢٩٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٧٣، وردها الطبري.
(٣) السبعة ٣٥٢، والتيسير ١٣٠، والنشر ٢/ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.
(٤) ذكرها السمين في الدر ٦/ ٥٦٧، والآلوسي ١٢/ ٥٣٠.
(٥) الآية (٨٩) من سورة المائدة، وقرأ بها جعفر الصادق كما في المحتسب ١/ ٢١٧، وانظر تفسيرها والكلام عليها في البحر.
(٦) فيما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.
(٧) يعني الكسائي ونافع، انظر السبعة ٣٥٢، والتيسير ١٣٠، والنشر ٢/ ٢٩٦.

وقرأت فرقةٌ كذلك إلا أنهم فتحوا الياء، قال ابن عطية: رواها هُبيرة عن حفص عن عاصم، وهي غَلَطٌ من هُبَيْرة[1]. انتهى.

وليست غلَطاً، ولها وجهٌ في العربية؛ وهو أن الشَّرط والجزاء يجوز أنْ يأتيَ بعدهما المضارع منصوباً بإضمار أنْ بعد الفاء، كقراءة مَن قرأ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، بنصب يَغْفِرَ[2]، بإضمار أنْ بعد الفاء، ولا فَرْقَ في ذلك بين أنْ تكون أداةُ الشَّرطِ جازمةً أو غيرَ جازمة.

وقرأ نَصْر بن عاصم والحسن وأبو حَيْوَة وابن السَّمَيْفع ومجاهد وعيسى البصرة وابن مُحَيْصِن: «فنَجا» جعلوه فعلاً ماضياً مُخَفَّفَ الجيم[3].

وقال أبو عمرو الدَّاني: وقرأتُ لابن مُحَيْصن: فنَجَّى بشدِّ الجيم فعلاً ماضياً على معنى: فنَجَّى النَّصْرُ[4].

وذكر الدَّاني أن المصاحفَ مُتَّفقةٌ على كَتْبها بنون واحدة[5].

وفي «التَّحبير» أن الحسن قرأ: «فنُنَجِّي» بنونين الثانية مفتوحة والجيم مُشدَّدة والياء ساكنة[6].

وقرأ أبو حَيْوَة: «مَن يَشاء» بالياء، أي: فنُجِّيَ مَن يشاء الله نجاتَه، ومَن يَشاء هم المؤمنون لقوله: «ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المُجرمين».

والبأسُ هنا الهَلاك. وقرأ الحسن: «بَأسُه» بضمير الغائب[7]، أي: بأسُ الله. وهذه الجملة فيها وَعيدٌ وتهديدٌ لمُعاصِري الرسول ﷺ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.
(٢) هي قراءة ابن عباس والأعرج وأبي حيوة كما سلف.
(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٤٠٠، والثعلبي ٣/ ٤١٩، والقرطبي ١١/ ٤٧٤، ومختصر في الشواذ ص٦٥، والكشاف ٢/ ٣٤٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.
(٤) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.
(٥) انظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ٨٦.
(٦) وذكرها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ص٦٦ رواية عن الكسائي.
(٧) قراءة أبي حيوة والحسن في المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

الضَّمير في «قَصَصِهم» عائدٌ على الرُّسُل، أو على يوسف وأبوَيْه وإخوته، أو عليهم وعلى الرسُل، ثلاثة أقوال.

الأوّل اختاره الزمخشري قال: ويَنْصُره قراءةُ مَن قرأ: «قِصَصِهم» بكسر القاف[1]. انتهى.

ولا يَنْصُره؛ إذْ قَصَص يوسف وأبيه وإخوته مُشتَمِلٌ على قَصص كثيرة وأنباءٍ مُخْتَلفة، والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جُبَير الأنطاكيّ عن الكسائي، والقَصَبي عن عبد الوارث عن أبي عمرو، جمع قِصَّة.

واختار ابن عطية الثالث، بل لم يذكر غيرَه[2].

والعِبْرَةُ: الدَّلالة التي يُعبَّر بها عن العلم.

وإذا عاد الضمير على يوسف عليه السلام وأبوَيْه وإخوته فالاعتبارُ بقَصَصهم من وجوه: إعْزازُ يوسف عليه السلام بعد إلقائه في الجُبّ، وإعلاؤه بعد حَبْسه في السّجن، وتملُّكه مصر بعد استعباده، واجتماعُه مع والدَيْه وإخوته على ما أحبَّ بعد الفُرْقَةِ الطّويلة، والإخبارُ بهذا القَصَص إخبارٌ عن الغيب، والإعلامُ بالله تعالى من العلم والقُدْرَة والتصَرُّف في الأشياء على ما لا يَخْطُر على بال، ولا يجول في فكر، وإنما خُصَّ أولو الألباب لأنهم هم الذين يَنْتفعون بالعِبَر، ومَن له لبٌّ، وأجاد النَّظَر، ورأى ما فيها من امتحانٍ ولُطفٍ وإحسان علم أنه أمرٌ من الله تعالى ومن عنده تعالى.

والظاهر أن اسم «كان» مُضمرٌ يعود على القَصَص، أي: ما كان القَصَص حديثاً مُخْتَلَقاً بل هو حديثُ صِدْقٍ، ناطقٌ بالحق، جاء به مَن لم يقرأ الكتب، ولا تَلْمَذ[3]

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٧-٣٤٨، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٩٧ أنها رواية عن عبد الوارث، وهي قراءة قتادة وأبي الجوزاء.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩.

(٣) في المطبوع: تتلمذ، وهما بمعنى.

لأحدٍ، ولا خالط العلماء، فمُحالٌ أنْ يَفتري هذه القصة بحيث تُطابقُ ما ورد في التوراة من غير تفاوُت.

وقيل: يعود على القرآن، أي: ما كان القرآن الذي تَضَمَّن قَصَص يوسف عليه السلام وغيره حديثاً يُخْتَلَق، ولكنْ كان تصديقَ الكتُبِ المتقدِّمة الإلهية، وتفصيلَ كلِّ شيءٍ واقعٍ ليوسف مع أبويه وإخوته إنْ كان الضمير عائداً على قَصَص يوسف، أو كلِّ شيءٍ مما يُحتاجُ إلى تفصيله في الشَّريعة إنْ عاد على القرآن.

وقرأ حُمْران بن أعْيَن وعيسى الكوفة فيما ذكر صاحب «اللَّوامِح» وعيسى الثَّقفي فيما ذكر ابنُ عطية: «تصديقُ، وتفصيلُ، وهُدىً ورحمةٌ» برفع الأربعة[1]، أي: ولكن هو تصديقُ.

والجمهور بالنَّصب على إضمار كان، أي: ولكنْ كان تَصديقَ، أي: كان هو، أي: الحديثُ ذا تصديقِ الذي بين يديه، ويُنْشَد قولُ ذي الرُّمة:

وما كان مالي من تُراثٍ وَرِثْتُه ... ولا دِيَةٍ كانت ولا كَسْبِ مَأْثَمِ
ولكن عطاءُ الله من كلِّ رِحلةٍ ... إلى كلِّ مَحْجوبِ السُّرادِقِ خِضْرِمِ[2]

بالرفع في عطاء ونصبه، أي: ولكن هو عطاءُ الله، أو ولكن كان عطاءَ الله، ومثلُه قول لوط بن عُبَيد الطّائي اللصّ:

وإنّي بحمدِ الله لا مالَ مُسلمٍ ... أخذتُ ولا مُعطي اليمينَ مُحالِفِ
ولكنْ عطاءُ الله من مالِ فاجرٍ ... قصيِّ المَحَلِّ مُعْوِرٍ للمَقارِفِ[3]

«وهُدىً» أي: سَببُ هداية في الدُّنيا «ورحمةً» أي: سببٌ لحصول الرَّحمة في الآخرة.

---

(١) مختصر في الشواذ ص٦٦، والمحتسب ١/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩ عن عيسى الثقفي، وانظر الدر المصون ٦/ ٥٦٩، وروح المعاني ١٢/ ٥٣٣-٥٣٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٩، ورواية صدر الأول في ديوان ذي الرمة ٢/ ١١٨٣:

نجائب ليست من مهور أشابة

والخضرم: الكثير العطاء.

(٣) لم نقف عليهما، وهما في الدر المصون ٦/ ٥٧٠.

وخُصَّ المؤمنون بذلك لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك، كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وتقدَّم أولَ السُّورة قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وفي آخرها: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [١١١]، فلذلك احتمل أنْ يعودَ الضَّميرُ على القرآن، وأن يعودَ على القَصَص، والله تعالى أعلم.

**تمَّ الجزء الثاني عشر من البحر المحيط،**

**ويتلوه الجزء الثالث عشر**

**وأوَّله تفسير قوله تعالى:**

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ...﴾

**الآية الأولى من سورة الرعد**

# فهرس الآيات


**سورة يونس** ........................................ ٥

• **مفردات الآيات (١-٢٥) من قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾** ... ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ ........ ٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ........ ١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ ........ ١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ ... ١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ ........ ٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ ........ ٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)﴾ .......... ٢٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢)﴾ ٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ .......... ٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾ .......... ٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ .......... ٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧)﴾ .......... ٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ .......... ٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾ .......... ٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)﴾ .......... ٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)﴾ .......... ٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢)﴾ ...... ٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ . . ٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ . ٦٣

• مفردات الآيات (٢٦-٧٠) من قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ . ٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ . ٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ . . . . . . . . . . . . ٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .... ٨٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .... ٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ .... ٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .... ٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .... ٩٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ .... ١٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .... ١٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .... ١٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .... ١٠٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ .... ١١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ .... ١١١

تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝﴾ . ١١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . ١١٨

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . . ١٢٠

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٢١

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝﴾ ١٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٢٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝﴾ . . ١٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾ ١٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝﴾ ١٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝﴾ . . . . . . . . . . . . . . ١٣٩

• مفردات الآيات (٧١-١٠٩) من قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ ............ ١٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ ............ ١٤٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ............ ١٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ............ ١٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ............ ١٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ............ ١٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ............ ١٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ........ ١٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ........ ١٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ........ ١٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ........ ١٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ ........ ١٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ ........ ١٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ........ ١٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ ........ ١٨٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ١٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن

فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ .. ١٨٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ........ ١٨٩

**سورة هود** ........

- **مفردات الآيات (١-٤٠) من قوله تعالى:** ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ ........ ١٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ ........ ١٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ ........ ٢٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ ........ ٢٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾ .. ٢٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ .... ٢١١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ .. ٢١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)﴾ ........................ ٢١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ .............................. ٢١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)﴾ ........ ٢٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)﴾ ........................ ٢٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾ ........................ ٢٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)﴾ ........................ ٢٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)﴾ ........................ ٢٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ

إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ
إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ
إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)﴾ .. ٢٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُجْرِمُونَ (٣٥)﴾ .................................. ٢٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ
بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم
مُّغْرَقُونَ (٣٧)﴾ .................................. ٢٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن
تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ
عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ
ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)﴾ ...... ٢٥٠

• **مفردات الآيات (٤١-٦٠) من قوله تعالى:** ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا
وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)﴾ ................ ٢٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١)
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا
وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣)﴾ ............ ٢٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ
وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ
أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ
صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧)﴾ ٢٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (٤٨) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤٩)﴾ .......... ٢٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٥١) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢)﴾ .......... ٢٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين (٥٣) إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون (٥٤) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (٥٥) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٥٦) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧)﴾ .......... ٢٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠)﴾ .......... ٢٨٧

• **مفردات الآيات (٦١-٨٣) من قوله تعالى:** ﴿۞ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١)﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد (٨٣)﴾ .......... ٢٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١) قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (٦٢)﴾ .......... ٢٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير (٦٣) ويا قوم هذه ناقة الله لكم

ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ .......... ٢٩٨

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ ٣٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ ٣٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ .......... ٣١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ .......... ٣١٨

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ .......... ٣٢٣

• **مفردات الآيات (٨٤-١٠٨) من قوله تعالى:** ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ ٣٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴿٨٤﴾ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٨٥﴾ بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴿٨٦﴾﴾ ........ ٣٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴿٨٧﴾ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴿٨٨﴾ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ﴿٨٩﴾ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ﴿٩٠﴾﴾ ........ ٣٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴿٩١﴾ قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ﴿٩٢﴾ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ﴿٩٣﴾ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿٩٤﴾ كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴿٩٥﴾﴾ ........ ٣٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴿٩٦﴾ إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴿٩٧﴾ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴿٩٨﴾ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴿٩٩﴾﴾ ٣٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ﴿١٠٠﴾ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ﴿١٠١﴾﴾ ........ ٣٥٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴿١٠٢﴾ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴿١٠٣﴾ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴿١٠٤﴾ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴿١٠٥﴾﴾ ........ ٣٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ . . ٣٦٢

• **مفردات الآيات (١٠٩-١٢٣) من قوله تعالى:** ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ (١١٤) وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٥)﴾ . . . ٣٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (١١٦)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ . ٣٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾ ٣٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٣٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ........ ٣٩٤

**سورة يوسف** ........

- **مفردات الآيات (١-٢٩) من قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾** ٣٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ ........ ٤٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ ........ ٤٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ ........ ٤١١

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ ........ ٤١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ ........ ٤١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ .................. ٤٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ .................................. ٤٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .................................. ٤١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .............................. ٤٤٧

- **مفردات الآيات (٣٠-٤٤) من قوله تعالى:** ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ .................. ٤٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ .......................... ٤٥٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ .................................. ٤٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي

إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ ........................................ ٤٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ........................................ ٤٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ........................ ٤٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ........................................ ٤٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ........................................ ٤٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ .................. ٤٨٤

• **مفردات الآيات (٤٥-٦٨) من قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ .................. ٤٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ........ ٤٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ ........ ٤٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ ........ ٤٩٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ........ ٤٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ........ ٥٠٣

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ........ ٥٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ

مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ........................ ٥٠٩

• مفردات الآيات (٦٩-٨٧) من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ........................ ٥١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ........ ٥١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ........................ ٥٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ........................ ٥٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ ........ ٥٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥٤٢

• **مفردات الآيات (٨٨-١١١) من قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ ٥٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ . . . . . . . . . . . . . . ٥٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ ........ ٥٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ ........ ٥٧٦

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ ........ ٥٨٥